السيرة النبوية

لابن هشام

طبعة متميزة مقابلة على نسختين خطيتين

أشرف على تحقيقه وقدم له
فضيلة الشيخ
مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيّ

حققه وخرج أحاديثه
سيد بن رجب

المجلد الثاني

دار ابن رجب

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ٣١٧٤/ ٢٠٠٣

دار ابن رجب طبع . نشر . توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٣٨٣٠٣٥٦
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أسرى قريش يوم بدر

قال ابنُ إسحاق : وأُسِرَ من المُشْركينَ من قُرَيْشٍ يوم بَدْرٍ ، من بني هاشم بن عبدِ مَنافٍ: عَقيلُ بنُ أبي طالبِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ بنِ هاشمٍ ؛ ونَوْفَلُ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ بنِ هاشمٍ .

وَمِن بني المطّلِبِ بن عبدِ مَناف : السّائِبُ بنُ عُبَيْدِ بنِ عبدِ يَزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المطّلِبِ ونُعْمانُ بنُ عَمرِو بنِ عَلْقَمَةَ بنِ مُطّلِبٍ . رَجُلانِ .

ومِن بني عبد شَمس بن عبدِ مَنافٍ : عمرُو بنُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسٍ ؛ والحارِثُ بنُ أبي وَجْزَةَ بنِ أبي عمرِو بنِ أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسٍ . ويُقالُ ابنُ أبي وحْرَةَ ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابنُ إسحاقَ : وأبو العاصِ بنِ الرّبيعِ بنِ عبدِ العُزّى بنِ عبدِ شَمسٍ ؛ وأبو العاصِ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ شَمسٍ . ومِن حُلَفائِهم : أبو ريشَةَ بنُ أبي عمرٍو ؛ وعمرُو بنُ الأزْرَقِ ؛ وعُقْبَةُ بنُ عبدِ الحارثِ بنِ الحَضْرَميّ . سَبْعَةُ نَفَرٍ .

ومن بني نَوْفَلِ بن عبدِ مَناف عَديّ بنُ الخيارِ بنِ عَديّ بنِ نَوْفَلٍ ؛ وعُثْمانُ بنُ عبدِ شَمسٍ ابنِ أخي غَزْوانَ بنِ جابرٍ حَليفٌ لهم من بني مازنِ بنِ مَنْصُورٍ وأبو ثَوْرٍ ، حَليفٌ لهم . ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

وَمِن بني عبدِ الدّارِ بن قُصَيّ : أبو عَزيزِ بنِ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ والأَسْوَدُ بنُ عامرٍ حَليفٌ لهم . ويقولونَ نحن بنُو الأسْوَدِ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ الحارثِ بنِ السّبّاقِ . رَجُلانِ .

وَمِن بني أسَدِ بن عبدِ العُزّى بن قُصَيّ : السّائِبُ بنُ أبي حُبَيْشٍ بنِ المطّلِبِ ابنِ أسَدٍ ؛ والحُوَيْرِث بنُ عَبّادِ بنِ عُثْمانَ بنِ أسَدٍ قال ابنُ هشام : هُوَ الحارثُ بنُ عائذِ بنِ عُثْمانَ بنِ أسَدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وسالِمُ بنُ شَمّاخٍ حَليفٌ لهم . ثَلاثَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ خالِدُ بنُ هشامِ بنِ المُغيرَةِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ؛ وأُمَيّةُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ بنِ المُغيرَةِ والوَليدُ بنُ الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ ؛ وعُثْمانُ بنُ عبدِ الله بنِ المُغيرَةِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ؛ وصَيْفيّ بنُ أبي رِفاعَةَ بنِ عابِدِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، وأبو المُنْذِرِ بنِ أبي رِفاعَةَ بنِ عابِدِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ؛ وأبو عَطاءٍ عبدُ الله بنُ أبي السّائِبِ

ابنِ عبدِ الله بن عُمَرَ بن مَخْزُوم ، والمُطَّلِبُ بنُ حَنْطَبِ بنِ الحارثِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوم ، وخالِدُ بنُ الأعْلَم حَليفٌ لهم وهو كان - فيما يَذْكُرُونَ - أوَّلَ مَن ولّى فارّاً مُنْهَزِمًا ، وهو الذي يقول :

وَلَسْنا على الأدْبارِ تَدْمَى كُلُومُنا   وَلَكِن على أقْدامِنا يَقْطُرُ الدَمُ

تِسْعَةُ نَفَرٍ . قال ابنُ هشامٍ :ويُرْوَى : «لَسْنا على الأعْقابِ» .

وخالِدُ بنُ الأعْلَم [٢٣٤/ب]من خُزاعَةَ ، ويُقال : عُقَيْليّ . قال ابنُ إسحاقَ :ومِن بني سَهْمِ بنِ عمرِو بنِ هُصَيْص بنِ كَعْبٍ : أبو وداعَةَ بنُ ضُبَيْرَة بنِ سَعيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْم ، كانأوّلَ أسيرٍ أفْتُديَ من أسْرَى بَدْرٍ افْتَداه ابنُه المُطَّلِبُ ابنُ أبي وداعَةَ ؛ وفَرْوَةُ بنُ قَيْسِ بنِ عَديّ بنِ حُذافَةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ وحَنْظَلَةُ بنُ قَبيصَةَ بنِ حُذافَةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ والحَجّاجُ بنُ قَيْسِ ابنِ عَديّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ . أرْبَعَةُ نَفَرٍ .   بنِ عمرِو بنِ هُصَيْص بنِ كَعْبٍ عبدُ الله ابنُ أُبَيّ بنِ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ وأبو عَزّةَ عمرُو بنُ عبدِ الله بنِ عُثْمانَ بنِ وُهَيْب ابنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ والفاكِه مَوْلَى أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ ، ادّعاه بعد ذلك رَباحُ بنُ المُغْتَرِفِ وهو يَزْعُمُ أنّه مِن بني الشَمّاخِ بنِ مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ - ويُقال : إنّ الفاكِهَ بنَ جَرْوَل بنِ حِذْيَمِ بنِ عَوْفِ بنِ غَضْب بنِ شَمّاخ بنِ مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ - ووَهْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافة ابنِ جُمَحَ ورَبيعَةُ بنُ دَرّاجِ بنِ العَنْبَس بنِ أُهْبان بنِ وهْب بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ . خَمْسَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ :سُهَيْلُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ أسَرَه مالِكُ بنُ الدّخْشُم ، أخُو بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ وعبدُ بنُ زَمْعَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ ، وعبدُ الرّحْمَنِ بنُ مَشْنُوءِ بنِ وقْدان بنِ قَيْسِ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ وُدّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ . ثَلاثَةُ نَفَرٍ .

ومِن بني الحارِثِ ابنِ فِهْرٍ : الطّفَيْلُ بنُ أبي قُنَيْع ؛ وعَتَبَةُ بنُ عمرِو بنِ جَحْدَم . رَجُلانِ .

[قال ابنُ إسحاقَ] :فَجَميعُ مَن حُفِظَ لَنا من الأُسارَى ثَلاثَةٌ وأرْبَعُونَ رَجُلاً .

قال ابنُ هشامٍ :وقَعَ من جُملَةِ العَدَدِ رَجُلٌ لَم نَذْكُر اسْمَه ومِمّن لَم يذْكُرِ ابنُ إسحاقَ من الأُسارَى :

من بني هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافٍ :[عُتْبَة ، حَليفٌ لهم من بني فِهْرٍ . رَجُلٌ .

وَمِن بني المُطّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ :]عَقيلُ بنُ عمرٍو ، حَليفٌ لهم وأخُوه تَميمُ بنُ عمرٍو ؛ وابنُه ثَلاثَةُ نَفَرٍ . وَمِن بني عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافٍ : خالِدُ بنُ أُسَيْد بنِ أبي العيصِ ؛ وأبو

العريضِ يَسارٌ مَوْلَى العاصِ بنِ أُمَيّةَ . رَجُلانِ . وَمِن بني نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَناف : نَبهانُ مَوْلًى لهم . رَجُلٌ . وَمِن بني أسَدِ بن عبدِ العُزّى : عبدُ الله بنُ حُمَيْد بنِ زُهَيْرِ بنِ الحارثِ . رَجُلٌ . وَمِن بني عبدِ الدّار ابن قُصَي : عَقيلٌ حَليفٌ لهم من اليَمَنِ . رَجُلٌ . [٢٣٥/أ] ومِن بني تَيْم ابن مُرّةَ مُسافِعُ بنُ عياضِ بنِ صَخْرِ بنِ عامرِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْم] وجابِرُ بنُ الزّبيرِ حَليفٌ لهم . رَجُلانِ . وَمِن بني مَخْزُوم بنِ يَقَظَةَ قَيْسُ بنُ السّائِبِ . رَجُلٌ .وَمِن بني جُمَحَ بنِ عمرِو : عمرُو بنُ أُبَيّ بنِ خَلَفٍ ، وأبو رُهْم بن عبدِ الله ، حَليفٌ لهم وحَليفٌ لهم ذَهَبَ عَنّي اسْمُه ومَوْليانِ لأُمَيّةِ بنِ خَلَفٍ أحَدُهما نِسْطاس ، وأبو رافِع غُلامُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ . سِتّةُ نَفَرٍ . وَمِن بني سَهْم بن عمرٍو : أسْلَمَ ، مَوْلَى نُبَيْه بنِ الحَجّاج . رَجُلٌ . وَمِن بني عامرِ بنِ لُؤَيّ : حَبيبُ ابنُ جابرٍ والسّائِبُ بنُ مالِكٍ . رَجُلانِ . وَمِن بني الحارثِ بن فِهْرٍ : شافِعٌ وشَفيعٌ حَليفانِ لهم من [أرْضِ] اليَمَنِ . رَجُلانِ .

[ما قيلَ من الشّعْرِ في يوم بَدْرٍ] :

قال ابنُ إسحاق : وكان مما قيلَ من الشّعْرِ في يوم بَدْر ، وتَرادّ به القَوْمُ بَيْنَهم لِما كان فيه قَوْلُ حَمزَةَ بن عبدِ المطّلِبِ يَرْحَمُه الله .

قال ابنُ هشام : وأكثَرُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها ونَقيضَتَها :

أَلَمْ تَرَ أمرًا كان من عَجَبِ الدّهْرِ ... وَلِلْحَيْنِ [1] أسبابٌ مُبَيّنَةُ الأمْرِ

وَما ذاكَ إلاّ أنّ قَوْمًا أفادَهم [2] ... فَخانُوا تَواصٍ بالعُقُوقِ وبالكُفْرِ

عَشيّةَ راحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمعِهِم ... فكانوا رُهُونًا لِلرّكيّةِ مِن بَدْرِ

وَكُنّا طَلَبنا العيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَها ... فَساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْرِ

فَلَمّا التَقَيْنا لَمْ تَكُن مَثْنَوِيّةٌ ... لَنا غَيْرَ طَعْنٍ بالمُثَقّفَةِ السّمْرِ

وَضَرْبٍ بِبيضٍ يَخْتَلي الهامَ حَدّها ... مُشَهّرَةُ الألْوانِ بَيّنَةُ الأُثْرِ [3]

وَنحن تَرَكْنا عُتْبَة الغيّ ثاوِيًا ... وَشيبَةَ في القَتْلَى تَجَرْجَمُ في الجَفْرِ [4]

وَعمرٌو ثَوَى فيمَن ثَوَى من حُماتِهِم ... فَشُقّتْ جُيُوبُ النّائِحاتِ على عمرِو

---

(١) الحين : الهلاك .

(٢) أفادهم : أهلكم .

(٣) يختلي : يقطع . الهام : الرؤوس . الأثر : وشي السيف وفرنده .

(٤) ثاويا : مقيما . تجرجم : تسقط . الجفر : البئر المتسعة .

جُيُوبُ نِسَاءٍ مِن لُؤَيّ بنِ غالِبٍ كِرامٍ تَفَرّعْنَ الذّوائِبَ مِن فِهْرِ
أُولئِكَ قَوْمٌ قُتّلُوا في ضَلالِهِم وَخَلّوْا لِواءً غَيْرَ مُحْتَضَرِ النّصْرُ
لِواءُ ضَلالٍ قادَ إبْلِيسُ أهلَهُ فَخاسَ (١) بِهِم إنّ الخَبِيثَ إلى غَدْرِ
وَقالَ لَهُم إذْ عايَنَ الأمْرَ واضِحًا بَرِئْتُ إلَيْكُمْ ما بِي اليَومَ مِن صَبْرِ
فَإنِّي أرَى ما لا تَرَوْنَ وإنَّني أخافُ عِقابَ الله والله ذُو قَسْرِ
فَقَدّمَهم لِلحَيْنِ حتى تَوَرّطُوا وَكانَ بِما لَمْ يَخْبُرِ القَوْمُ ذا خُبْرِ [٢٣٥/ب]
فَكانُوا غَداةَ البِئْرِ ألْفًا وجَمْعُنا ثَلاثُ مِئِينٍ كالمُسَدّمَةِ الزُّهْرِ (٢)
وَفِينا جُنُودُ الله حِينَ يُمِدّنا بِهِم في مَقامٍ ثُمّ مُسْتَوْضَحِ الذّكْرِ
فَشَدّ بِهِم جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوائِنا لَدَى مَأزِقٍ فِيهِ مَنايَاهُم تَجْرِي

فأجابه الحارثُ بنُ هشام بن المُغيرة ، فقال :

ألا يا لِقَوْمي لِلصّبابَةِ والهَجْرِ وَلِلْحُزْنِ مِنّي والحَرارَةِ في الصّدْرِ
وَلِلدّمْعِ مِن عَيْنَيّ جُودا كَأنّه فَرِيدٌ (٣) هَوَى مِن سِلْكِ ناظِمِه يَجْرِ
عَلى البَطَلِ الحُلْوِ الشّمائِلِ إذْ ثَوَى رَهِينَ مَقامٍ لِلرّكِيّةِ مِن بَدْرِ
فَلا تَبْعُدَنْ يا عَمْرُو مِن ذِي قَرابَةٍ وَمِن ذِي نِدامٍ كانَ ذا خُلُقٍ غَمْرِ
فَإنْ يَكُ قَوْمٌ صادَفُوا مِنْك دَوْلَةً فَلا بُدّ لِلأيّامِ مِن دُوَلِ الدّهْرِ
فَقَد كُنْتَ في صَرْفِ الزّمانِ الذي مَضَى تُرِيهِم هَوانًا مِنْكَ ذا سُبُلٍ وعْرِ
فَإلاّ أمُتْ يا عَمْرُو أتْرُكْ ثائِرًا (٤) وَلا أُبْقِ بُقْيا في إخاءٍ ولا صِهْرِ
وَأقْطَعْ ظَهْرًا مِن رِجالٍ بِمَعْشَرٍ كِرامٍ عَلَيْهِم مِثْلَ ما قَطَعُوا ظَهْرِي
أغَرّهُم ما جَمّعُوا مِن وشِيظَةٍ وَنَحْنُ الصّمِيمُ في القَبائِلِ مِن فِهْرِ (٥)
فَيالَ لُؤَيّ ذَبّبُوا عَن حَرِيمِكُم وَآلِهَةٍ لا تَتْرُكُوها لِذِي الفَخْرِ

(١) خاس : غدر .
(٢) المسدمة : الفحول من الإبل . الزهر : البيض .
(٣) الفريد : الذهب والدر .
(٤) ثائر : ذو ثأر .
(٥) الوشيظة : الأتباع ومن ليس من خالص القوم . الصميم : الخالصون في أوليائهم .

تَـــوارَثَهـــــا آبـاؤُكُـــم ووَرِثْتُـــم ... أواسيا والبَيْتَ ذا السّقْفِ والسّـــتْرِ

فَـــا لِحَـليـــم قـد أرادَ هَلاكَكُـــم ... فلا تَعْذِرُوه آلَ غالِبِ مـــن عُـذْرِ

وَجِدّوا لِمـــن عـــادَيْتُم وتَـــوازَرُوا ... وكُـــونُوا جَميعًا في التأسّي وفي الصّبْرِ

لَـعَلـــكُمُ أن تَثْـــأرُوا بأخيـــكُـــم ... وَلا شيءَ إنْ لم تَثأرُوا بذَوي عمـــرِو

بِمـطَّرِداتٍ في الأكُـــفّ كَـــأنّهـــا ... وَميـــضٌ تُطيرُ الهامَ بَيِّنَةَ الأثْـــرِ[1]

كَـــأنّ مُدِبّ الذّرّ فَـــوْقَ مُتونِهـــا ... إذا جُرِّدَتْ يـومًا لأعْدائِها الخُزْرِ[2]

قال ابنُ هشام : أبْدَلْنا من هذه القَصيدَةِ كَلِمَتَيْنِ مِمّا رَوَى ابنُ إسحاقَ وهما «الفَخْرِ» في آخِرِ البَيْتِ و «فَما لِحَليمٍ» في أوّلِ البَيْتِ لأنّه نال فيهما من النّبيّ ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال عَليّ بنُ أبي طالِبٍ في يوم بَدْرٍ قال ابنُ هشام : ولَمْ أرَ أحَدًا من أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يَعْرِفُها ولا نَقيضَتَها ، وإنّما كَتَبْناها لأنّه يُقالُ[٢٣٦/أ] إنّ عَمرَو بنَ عبدِ الله بنِ جُدْعانَ قُتِلَ يومَ بَدْرٍ ، ولَمْ يَذْكُرْه ابنُ إسحاقَ في القَتْلَى ، وذَكَرَه في هذا الشّعْرِ :

ألَمْ تَـــــرَ أنّ اللهَ أبْلَى[3] رسولَـــه ... بَلاءَ عَزيزٍ ذي اقْتِدارٍ وذي فَضْـــــلِ

بِما أنْزَلَ الكُفّـــــارَ دارَ مَـــذَلّةٍ ... فلاقَوْا هَوانًا من إسارٍ ومِـــن قَتْـــلِ

فأمسَى رسولُ الله قَـــــد عَزّ نَصْرُه ... وكان رسولُ الله أُرْسِلَ بالعَـــــدْلِ

فَجاءَ بِفُـــــرْقانٍ مِـــن الله مُنْزَلٍ ... مُبَيّنَةٍ آياتُـــــه لِذَوي العَقْـــلِ

فآمَنَ أقْـــوامٌ بِـــذاكَ وأيْقَنُـــوا ... فأمسَوْا بِحَمدِ الله مُجْتَمِعي الشّمْـــلِ

وَأنْكَرَ أقْوامٌ فَزاغَتْ قُلُوبُهـــــــم ... فَزادَهم ذُو العَرْشِ خَبْـــلاً على خَبْلِ

وَأمكَنَ منهم يومَ بَـــــدْرٍ رسولَـــه ... وَقَوْمًا غِضابًا فِعْلُهم أحْسَنُ الفِعْـــلِ

بأيْديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَـــوْا بها ... وَقَـــــد حادَثُوها بالجِلاءِ وبالصّقْـــلِ

فَكَمْ تَرَكُوا من ناشِئٍ ذي حَمِيّةٍ صريعـــا ... ومِـــــن ذي نَجْدَة منهـــم كَهْـــلِ

تَبيتُ عُيُـــــونُ النائِحـــاتِ عليهم ... تَجُودُ بِأسْبـــــالِ الرّشاشِ وبالوَبْـــلِ

نَوائِحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَـــــيّ وابنَـــه ... وَشيبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أبـــا جَهْـــلِ

---

(١) بمطردات : أي بسيوف مهتزات . الوميض : ضوء البرق . الهام : الرؤوس .

(٢) الذر : صغار النمل . الخزر : جمع أخزر وهو الذي ينظر بمؤخر عينه كبراً وعجباً .

(٣) أبلى : أي منّ عليه وأنعم وصنع له صنعا حسناً .

وَذا الرَّجْلِ تَنْعَى وابنَ جُدْعـــانَ فيهم — مُسَلَّبَـــــةً حَرَّى مُبَيِّنَة الثَّكْـــلِ[1]

ثَوَى منهم في بِئْرِ بَـــدْرٍ عِصـــــابَةٌ — ذَوي نَجَداتٍ في الحُرُوبِ وفي المَحْـــلِ

دَعـــا الغَيّ منهم مَـــن دَعـــــا — فأجابَه ولِلْغَيّ أسبابٌ مُرَمَّقَةُ[2] الوَصْـلِ

عن الشَّغْبِ والعُدْوانِ في أشْغَلِ الشَّغْلِ — فأَضْحَوْا لَـــــدَى دارِ الجَحيمِ بِمَعْـــزِلِ

فأجابَه الحارثُ بنُ هشام بن المُغيرَة ، فقال :

عَجِبْتُ لأقْوامٍ تَغَنَّى سَفيهُهم — بأمرِ سَفاهٍ ذي اعْتِراضٍ وذي بُطْلِ

تَغَنَّى بِقَتْلَى يومَ بَدْرٍ تَتابَعُوا — كِرامِ المَساعي مِـن غُلامٍ ومِن كَهْـلِ

مَصاليتَ بيضٍ من لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ — مَطاعينَ في الهَيْجا مَطاعيمَ في المَحْلِ[3]

أُصيبوا كِرامًا لَمْ يَبيعُـــوا عَشيرَةً — بِقَوْمٍ سِواهم نازِحي الدّارِ والأصْــلِ

كَما أصْبَحَتْ غَسّانُ فيكُمْ بِطانَـةً — لَكُمْ بَدَلاً مِنّا فيالكَ من فِعْـــــلِ

عُقُوقًا وإثْمًــا بَيِّنًا وقَطيعَـةً يَرَى — جَـــوْرَكُمْ فيها ذَوُو الرَّأيِ والعَقْـــلِ [٢٣٦/ب]

فَإن يَكُ قَوْمٌ قد مَضَوْا لِسَبيلِهِم — وَخَيْرُ المَنايا ما يَكُونُ من القَتْـــــلِ

فَلا تَفْرَحُوا أن تَقْتُلُوهم فَقَتْلُهُـــم — لَكُمْ كائِنٌ خَبْلاً مُقيمًا على خَبْــــــلِ

فَإنَّكُمْ لَن تَبْرَحُوا بعد قَتْلِهِـــــم — شَتيتًا هَواكُمْ غَيْرُ مُجْتَمِعي الشَّمْـــــلِ

بِفَقْدِ ابنِ جُدْعانَ الحَميدِ فِعالُـه — وَعُتْبَةَ والمَدْعُوِّ فيكُمْ أبا جَهْــــــــلِ

وَشيبَةَ فيهم والوَليـــــدَ وفيهِـــم — أُمَيَّةَ مَأْوَى المُعْتَرينَ وذُو الرَّجْـــــلِ

أُولئِكَ فابْكِ ثُمَّ لا تَبْــكِ غَيْرَهم — نَوائِحُ تَدْعُو بالرَّزِيَّةِ والثَّكْــــــــلِ

وَقُولُوا لأهلِ المَكَّتَيْنِ تَحـــاشَدُوا — وَسيرُوا إلى آطامِ يَثْرِبَ ذي النَّخْلِ[4]

جَميعًا وحامُوا آلَ كَعْــبٍ وذَبِّبوا — بِخالِصَةِ الألْوانِ مُحْدَثَةِ الصَّقْـــــلِ

وَإلاّ فَبِيتُوا خائِفِـــــينَ وأصْبِحُوا — أذَلَّ لِوَطْءِ الواطِئِينَ من النَّعْـــــلِ

---

(١) مسلبة : التي لبست السلاب وهي خرقة سوداء تلبسها الثكلى . حَرَّى : محرقة الجوف من الحزن . الثكل : الفقد . والمراد بذي الرجل : الأسود الذي قطع حمزة رجله عند الحوض .

(٢) مرمقة : ضعيفة .

(٣) المصاليت : الشجعان . مطاعين : جمع مطعان وهو الذي يكثر الطعن في الحرب . المطاعيم جمع طعام وهوالذي يكثر الإطعام . المحل : القحط والجدب .

(٤) مكتين : أي مكة والطائف . والآطام : جمع آطم وهو الحصن .

على أنني واللاتِ يا قَوْمُ فاعلَمُوا ... بِكَمْ واثقٌ أن لا تُقيمُوا على تَبَلِ [1]

سِوَى جَمعِكُمْ لِلسابغاتِ [2] ولِلْقَنا ... وَلِلْبَيْضِ والبيضِ القَواطِعِ والنَبْلِ

وقال ضِرارُ بنُ الخَطّاب بن مِرْداس ، أخُو بني مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ ، في يوم بَدْرٍ :

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأوْسِ والحَيْنُ دائِرٌ ... عليهم غَدًا والدَّهْرُ فيه بَصائِرُ

وَفَخْرُ بني النّجّارِ إن كان مَعْشَرٌ ... أُصيبوا بِبَدْرٍ كُلّهم ثَمّ صابِرُ

فَإن تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ من رِجالِنا ... فَإنّا رِجالٌ بعدهم سَنُغادِرُ

وَتَرْدي بنا الجُرْدُ العَناجيجُ وسَطكم ... بني الأوْسِ حتى يَشْفِي النَفْسَ ثائِرٌ [3]

وَوَسْطَ بني النّجّارِ سَوْفَ نَكُرّها ... لها بالقَنا والدّارِعينَ زَوافِرُ

فَنَتْرُكُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطَيرُ حَوْلَهم ... وَليس لهم إلاّ الأمانيّ ناصِرُ

وَتَبْكيهم من أهلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ ... لَهُنّ بِها لَيْلٌ عن النَوْمِ ساهِرُ

وَذلك أنّا لا تَزالُ سُيوفُنا ... بِهِنّ دَمٌ مِمّن يُحارِبْنَ مائِرُ [4]

فإن تَظْفَرُوا في يومِ بَدْرٍ فإنّما ... بأحْمَدَ أمسَى جَدُّكُمْ وهو ظاهِرُ

وَبِالنَفَرِ الأخْيارِ هم أوْلياؤُه ... يُحامُونَ في اللأواءِ والمَوْتُ حاضِرُ

يُعَدّ أبو بَكْرٍ وحَمزَةُ فيهم ... وَيُدْعَى عَليّ وسْطَ مَن أنتَ ذاكِرُ

[وَيُدْعَى أبو حَفْصٍ وعُثْمانُ منهم ... وَسَعْدٌ إذا ما كان في الحَرْبِ حاضِرُ]

أُولئِكَ لا مَن نَتّجَتْ في ديارِها ... بنُو الأوْسِ والنّجّارِ حَيْنَ تُفاخِرُ [٢٢٧/أ]

وَلَكِن أبوهم من لُؤَيّ بنِ غالِبٍ ... إذا عُدّتِ الأنسابُ كَعْبٌ وعامِرُ

هم الطّاعِنُونَ الخَيْلَ في كُلِّ مَعْرَكٍ ... غَداةَ الهياجِ الأطْيَبونَ الأكاثِرُ

فأجابه كَعْبُ بنُ مالكٍ ، أخُو بني سَلِمَةَ فقال :

عَجِبْتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قادِرٌ ... على ما أرادَ ليس للهِ قاهِرُ

قَضَى يومَ بَدْرٍ أن نُلاقِيَ مَعْشَرًا ... بَغَوْا وَسَبيلُ البَغْيِ بالنّاسِ جائِرُ

---

(١) التبل : العداوة وطلب الثأر .

(٢) السابغات : الدروع .

(٣) تردى : تسرع . الجرد : الخيل العتاق القصيرات الشعر . العناجيج : جمع عنجوج وهو الطويل السريع. الثائر : الطالب بثأره .

(٤) مائر : سائل .

وَقد حَشَدُوا واستَنْفَرُوا من يَليهم ... من النّاسِ حتى جَمْعُهم مُتَكاثـرُ
وَسارَتْ إلَينا لا تُحاوِلُ غَيـرَنا ... بأجْمعِها كَـعْبٌ جَميعًا وعامِـرُ
وَفينا رسولُ اللهِ والأوْسُ حَوْلَـه ... له مَعْقِلٌ منهـم عَزِيزٌ وناصِـرُ
وَجَمْـعُ بني النّجّارِ تَحْتَ لِوائِـه ... يُمَشّوْنَ في الماذيّ والنّقْعُ ثـائِرُ (١)
فَـلَمّا لَقيناهم وكُـلٌّ مُجاهِـدٌ ... لأصْحابه مُسْتَبْسِلُ النّفسِ صابِـرُ
شَهِـدْنا بأنّ اللهَ لا رَبّ غَيـرُه ... وَأنّ رسولَ اللهِ بالحَـقّ ظاهِـرُ
وَقَـد عُرّيَتْ بيضٌ خِفافٌ كأنّها ... مَقابيسُ يُزْهيها (٢) لِعَيْنَيْك شاهِرُ
بِهِنّ أبَـدْنا (٣) جَمْعَهـم فَتَبَدّدُوا ... وَكان يُلاقي الحَيْنَ مَن هُوَ فاجِـرُ
فَكُبّ أبـو جَهْلٍ صَريعًـا لِوَجْهه ... وَعُتْبَةُ قد غادَرْنَه وهـو عـاثِـرُ
وَشيبَةُ والتّيْميّ غادَرْنَ في الوَغَـى ... وَما منهم إلاّ بِذي العَرْشِ كافِـرُ
فأمسَوْا وقُودَ النّارِ في مُسْتَقَرّهـا ... وَكُلّ كَـفُورٍ في جَهَنّـمَ صائِـرُ
تَلَظّى عليهم وهيَ قد شَبّ حَمْيُهـا ... بِزُبَرِ الحديـدِ والحِجارَةِ ساجِرُ (٤)
وَكان رسولُ اللهِ قد قـال أقْبِلُـوا ... فَوَلّوْا وقالُوا : إنّما أنْتَ سـاحِـرُ
لأمرٍ أرادَ الله أن يَهْلَكُـوا بـه ... وَليس لأمرٍ حَمّه (٥) الله زاجِـرُ

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزّبَعْرَى التّهميّ يَبْكي قَتْلَى بَدْرٍ :

قال ابنُ هشام :وتُرْوَى لِلأعْشَى بنِ زُرارَةَ بنِ النّبّاشِ أحَدُ بني أُسَيْد بنِ عمرو بنِ تَميمٍ حَليفُ بني نَوْفَلِ بن عبدِ مَنافٍ . قال ابنُ إسحاق :حَليفُ بني عبدِ الدّار :

ماذا على بَـدْرٍ وماذا حَوْلَه ... مِـن فِتْيَةٍ بيضِ الوُجُوه كِـرامِ
تَرَكُوا نُبَيْهًا خَـلْفَهم ومُنَبّهًـا ... وابنَيْ رَبيعةَ خَيْرَ خَصمٍ فِئَام [٢٣٧/ب]
والحارثَ الفَيّاضَ يَبْرُقُ وجْهه ... كالبَدْرِ جَلّى لَيْلَـةَ الإظـلامِ

---

(١) الماذي : الدروع البيض اللينة . النقع : الغبار .
(٢) يزهيها : يستخفها ويحركها .
(٣) أبدنا : أهلكنا .
(٤) تلظى : تلتهب . شب : أوقد . زبر الحديد : قطع الحديد . ساجر : موقد .
(٥) حمّه الله : قدره .

والعاصيَ بـنَ مُنَبّهٍ ذا مِـرّةٍ   رُمحًا تمامًا غـيرَ ذي أوْصـام [1]
تَنمى بهِ أعْراقُـه وجُـدُودُه   وَمَـآثِرُ الأخْـوالِ والأعْمام
وَإذا بَكَى باكٍ فأعْوَل [2] شَجْوَه   فعلى الرّئيسِ الماجِدِ ابنِ هشامِ
حَيّا الإلَه أبا الـوَليدِ ورَهْطَـه   رَبّ الأنـامِ وخَصّهـم بِسَلامِ

فأجابه حسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريّ ، فقال :

ابكِ بَكَتْ عَيْناك ثُمّ تَبـادَرَتْ   بِـدَم تُعَـلّ غُرُوبُها سَجّام [3]
ماذا بَكَيْتَ به الذينَ تَتابَعُـوا   هَـلاّ ذَكَرْتَ مَكـارِمَ الأقْـوامِ
وَذَكَرْتَ مِنّا ماجِـدًا ذا هِمّـةٍ   سَمْحَ الخَلائِقِ صادِقَ الإقْـدامِ
أعْني النّبيّ أخا المكارِمِ والنّدَى   وَأبَرّ مَن يُولَى [4] على الإقْسامِ
فَلِمِثْلِه ولِمِثْلِ مـا يَدْعُو لـه   كـان المُمَدّحَ ثَمّ غيْرُ كَهـام [5]

وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريّ أيضًا :

تَبَلَتْ فُؤادَك في المَنامِ خَرِيـدَةٌ   تَسْقِي الضّجيعَ بِبـارِدٍ بَسّـام [6]
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بمـاءِ سَحابَـةٍ   أوْ عاتقٍ كَدَمِ الذّبيحِ بَيْحَ مُدامِ [7]
نُفُـجُ الحَقيبَةِ بوصُها مُتَنَضّـدٌ   بَلْهاءُ غَيْرُ وشيكَـةِ الأقْسـامِ [8]
بُنِيَتْ على قَـطَنٍ أجَمّ كَـأنّه   فُضُلاً إذا قَعَدَتْ مَداكُ رُخـام [9]
وَتَكادُ تَكْسَلُ أن تَجِيءَ فِراشُهـا   في جِسْمِ خَرْعَبَة وحُسْن قَـوام [10]
أمّـا النّهارَ فَـلا أُفَترُ ذِكْرَهـا   واللّيْـلُ تُوزِعُني بِهـا أحْلامـي

---

(١) المرة : القوة والشدة ، الأوصام : العيوب .
(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء . الشجو : الحزن .
(٣) تعل : تكرر . غروبها : جمع غرب وهو مجرى الدمع . السجام : السائل .
(٤) يولي : يحلف .
(٥) الكهام : الضعيف .
(٦) تبلت : أسقمك . الخريدة : الجارية الحسنة الناعمة .
(٧) العاتق : الخمر القديمة . المدام : اسم من أسماء الخمر .
(٨) نفج : مرتفعة . البوص : الردف . متنضد : أي علا بعضه بعضا . بلهاء : غافلة . وشيكة : سريعة . الأقسام : جمع قسم .
(٩) أجم : ممتلئ باللحم . المداك : الحجر الذي يسحق عليه الطيب .
(١٠) الخرعبة : اللينة الحسنة الخلق .

أَقسمتَ أنساهــا وأترُكُ ذِكْرَها ... حتى تُـغَيَّبَ في الضَريحِ عِظامـي

يا مَن لِعـاذِلَةٍ تَلُومُ سَفـاهَــةً ... وَلَقَـد عَصَيْتُ على الهَوَى لُوّامـي

بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ بعد الكَرَى ... وَتَقــارُبٍ مِـن حادِثِ الأيّـامِ

زَعمَتْ بِأَنّ المَرْءَ يَكْرُبُ عُمْـرَه ... عَــدَمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِن الأَصْـرامِ [١]

إنْ كُنْتِ كاذِبَةَ الذي حَدّثتِني ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارِثِ بنِ هِشـامِ

تَرَكَ الأحِبّةَ أن يُقـاتِلَ دُونَهـم ... وَنَجا بِرأسِ طِمِرّةٍ ولِجامِ [٢] [٢٣٨/أ]

تَـذَرُ العَناجِيجَ الجِيادَ بِقَفْـرَةٍ ... مَرّ الدَمُوكِ بِمُحْصَـدٍ ورِجـامِ [٣]

مَلأَتْ به الفَرْجَيْنِ فارْمَدّتْ بـه ... وَثَـوَى أحِبّتُه بِـشَرّ مَـقـامِ [٤]

وَبنُو أبيـه ورَهْطُـه في مَـعْـرَكٍ ... نَـصَرَ الإلَـه بـه ذَوِي الإسْـلامِ

طَحَنَتْهُــم واللهِ يُنْفِــذُ أمــرَه ... حَرْبٌ يُشَبّ سَعِيرُهـا بِـضِـرامِ

لَوْلا الإلَــه وجَــرْيُها لَتَرَكْنَـه ... جَــزَرَ السِبــاعِ ودُسْنَه بِحَوامـي

مِـن بَيْنِ مَأْسُورٍ يُــشَدّ وِثاقُــه ... صَـقْرٍ إذا لاقَى الأسِنّـةَ حامـي

وَمُجَــدّلٍ لا يَسْتَجِيبُ لِـدَعْـوَةٍ ... حتى تَــزُولَ شَــوامِخُ الأعْلامِ [٥]

بِالعــارِ والــذّلّ المُبَيّنِ إذْ رَأى ... بِيضَ السُيُوفِ تَسُوقُ كُــلّ هُمـامِ

بِيَدَيْ أغَــرّ إذا انْتَمَى لَم يُخْـزِه ... نَسَبُ القِصارِ سَمَيْــذَعٍ مِـقْـدامِ [٦]

بِيضٌ إذا لاقَتْ حَــدِيدًا صَمّمَتْ ... كالبَرْقِ تَحْتَ ظِلالِ كُــلّ غَمــامِ

فأجابه الحارثُ بنُ هشام ، فيما ذَكَرَ ابنُ هشام ، فقال :

اللهُ أعلَمُ مــا تَرَكْتُ قِتالَهـم ... حتى حَبَوْا مُهْرِي بِأَشْقَرَ مُـزْبِدِ

وَعَرَفْتُ أنّي إن أُقاتِلْ واحِدًا ... أُقْتَلْ ولا يَنْكِي عَدُوّي مَشْهَدي

---

(١) الأصرام : جمع صرم وهي القطعة من الإبل .

(٢) الطمرة : الفرس الكثيرة الجري .

(٣) العناجيج : جمع عنجوج وهو الطويل السريع . الدموك : البكرة بآلتها . المحصد : الحبل الشديد الفتل . الرجام : حجر يربط في الدلو ليكون أسرع لها عند إرسالها في البئر .

(٤) الفرجان : المراد بهما ما بين يديها وما بين رجليها . أرمدت : أسرعت . ثوى : أقام .

(٥) المجدل : الصريع على الأرض . الأعلام جمع علم وهو الجبل العالي .

(٦) القصار : الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم . السميدع : السيد .

فَصَدَدْتُ عنهم والأحِبّةُ فيهم ... طَمَعًا لهم بِعِقابِ يــوم مُــفْسِدِ

قال ابنُ إسحاق : قالها الحارثُ يَعْتَذِرُ من فِرارِه يومَ بَدْرٍ . قال ابنُ هشامٍ : تَرَكْنا من قَصيدةِ حسانَ ثلاثةَ أبياتٍ من آخِرِها ، لأنه أقْذَعَ فيها .

قال ابنُ إسحاق : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

لَقد عَلِمَتْ قُرَيْشٌ يــومَ بَدْرٍ ... غَــــداةَ الأسْرِ والقَتْــلِ الشّديــدِ

بأنّا حينَ تَشْتَجر العَـــوالى ... حُماة الحَرْبِ يـــوم أبى الوليــــد (١)

قَتَلْنا ابنَيْ رَبيعَةَ يومَ ســارا ... إلَيْنـــا في مُـضـــاعَفَــةِ الحَديــــدِ

وَفَرّ بِها حَكيمٌ يومَ جـــالتْ ... بنُـــو النّجـارِ تـــخْطِرُ كالأُسُـــودِ

وَوَلّتْ عند ذاكَ جُمُوعُ فـهْرٍ ... وَأسلَمَها الحُوَيْرِث مـــن بِـــعيـــدِ

لَقــد لاقَيْتُـــم ذُلاّ وقَتْـــلاً ... جَـــهيزًا نـــافِذًا تَحْـــتَ الوَريــدِ

وَكُلّ القَوْمِ قد وَلّوْا جَميعًـــا ... وَلَمْ يَلْوُوا على الحَسَبِ التّليدِ [٢٣٨/ب]

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

يا حارِ قـــد عَوّلْتَ غـيْرَ مُـعَوّلٍ ... عند الهياجِ وساعَةَ الأحْسابِ (٢)

إذْ تَمْتَطـــي سُرُحَ اليَدَيْنِ نَجيبَـــةً ... مَرْطَى الجِـــراءِ طَويلَةَ الأقْـــرابِ

والقَوْمُ خَلْفَك قـــد تَرَكْتَ قِتالهم ... تَرْجُو النّجاءَ وليس حَيْنَ ذَهـــابِ

ألاّ عَطَفْت على ابنِ أُمّك إذْ ثَوَى ... قَعَصَ الأسِنّةِ ضائِعَ الأسْـلابِ (٣)

عَجّـــلَ المَليكُ لــه فَأهلَكَ جَمْعَــه ... بِشَنـــارِ مُخْزِيَةٍ وسُـــوءِ عَـــذابِ

قال ابنُ هشام : تَرَكْنا منها بَيْتًا واحِدًا أقْذَعَ فيه .

قال ابنُ إسحاق : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا : - قال ابنُ هشام : ويُقالُ بَلْ قالها عبدُ الله بنُ الحارثِ السّهميّ :

مُسْتَشْعِري حَلَقِ الماذيّ يَقْدُمُهم ... جَلْدُ النّحيزَةِ ماضٍ غَيْرُ رِعْديدِ (٤)

---

(١) تشتجر : تختلط وتشتبك . العوالى : أعالى الرماح .

(٢) عولت : عزمت . الهياج : الحرب .

(٣) القعص : القتل بسرعة .

(٤) الماذي : الدروع البيض اللينة . الرعديد : الجبان

أعني رسولَ إله الخَلْقِ فَضَّلَــه ... علـى البَرِيّةِ بالتقْــوَى وبالجُـــودِ
وَقد زَعمتُم بأن تَحْمُوا ذِمــارَكُمُ ... وَمــاءُ بَــدْرٍ زَعمتُــم غَيْرُ مَــوْرُودِ
ثُمّ وردْنـا ولمْ نَسْمَــعْ لِقَوْلكُـم ... حتى شَرِبنـــا رَواءً غَيْــرَ تَصْرِيـــدِ
مُسْتَعْصِمينَ بِحَبْـلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ ... مُسْتَحْكَـمٍ مِــن حِبالِ الله مَمْدُودِ
فينا الرّسُولُ وفينــا الحَقّ نَتْبَعُـه ... حتى المَمــاتِ ونَصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ [١]
وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُسْتَضاءُ به ... بَدْرٌ أنارَ علـى كُــلِّ الأماجيدِ [٢]

قال ابنُ هشامٍ : بَيْتُه «مُسْتَعْصِمينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ» عن أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ

قال ابنُ إسحاق : وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

خابَتْ بنُو أسَــدٍ وآبَ غُزِّيهم ... يَـــومَ القَليبِ بِسَوْءَةٍ وفُضُــوحِ
منهم أبو العاصي تَجَدّلَ مُقْعَصًا ... عن ظَهْرِ صادِقَةِ النّجاءِ سَبوحِ [٣]
حَيْنًا له مِــن مانعٍ بِسِلاحِــه ... لَمّا ثَــوَى بِمَقامِــه المَذْبـــوحِ
والمَرْءُ زَمعَةُ قَـد تَــرَكْنَ ونَحْـرُه ... يدْمَى بعانِــدٍ مُعْبَطٍ مَسْفُوحِ [٤]
مُتَوَسّدًا حُــرّ الجَبينِ مُعَــفّرًا ... قَــد عُرّ مارِنِ أنفِــه بِقُبـــوحِ
وَنَجا ابنُ قَيسٍ في بَقيّـةَ رَهْطِـه ... بِشَفَـــا الرّماقِ مُــوَلّيًــا بِجُرُوحِ

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

ألا لَيتَ شِعْري هَلْ أتَى أهلَ مَكّةَ ... إبارَتُنا الكُفّــارَ في ساعَــةِ العُــسْرِ
قَتَلْنَـــا سَراةَ القَــوْمِ عند مَجالِنـا ... فَلَم يَرجعُوا إلاّ بِقاصِمَةِ الظّهْرِ [٥] [٢٣٩/أ]
قَتَلْنا أبــا جَهْــلٍ وعُتْبَــةَ قَبْلَــه ... وَشيبَةُ يَكْبُــو لِلْيَدَيْــنِ ولِلنّحْـــرِ [٦]
قَتَلْنــا سُوَيْدًا ثُمّ عُتْبَــةَ بعـــده ... وَطُعْمَــةَ أيضًا عنـــد ثـــائِرَةِ القَـــتْرِ

---

(١) غير محدود : غير ممنوع .
(٢) الأماجيد : الأشراف .
(٣) تجدل : صرع على الأرض . مقعصا : أي مقتولاً قتلا سريعا . والمراد بصادقة النجاء : فرسًا سريعة . السبوح : التي تسبح في جريها كأنها تعوم .
(٤) العاند : الذي يجري ولا ينقطع . المعبط : الدم الطري .
(٥) سراة القوم : سادتهم وخيارهم .
(٦) يكبو : يسقط .

فَكَمْ قَدْ قَتَلْنا مِنْ كَرِيمٍ مُرَزَّإٍ ... لَهُ حَسَبٌ في قَوْمِهِ نابِهُ الذِّكْرِ
تَرَكْناهُمُ لِلْعاوِياتِ يَنُبْنَهُمْ ... وَيَصْلَوْنَ نارًا بَعْدُ حامِيَةَ القَعْرِ
لَعَمْرُكَ ما حامَتْ فَوارِسُ مالِكٍ ... وَأَشْياعُهُمْ يَوْمَ الْتَقَيْنا على بَدْرِ

قال ابنُ هشام : أنشَدَني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ بَيْتَه قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَة قَبْلَه وشيبَةُ يَكْبو لِلْيَدَيْنِ وللنّحْرِ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

نَجّى حَكيمًا يومَ بَدْرٍ شَدُّه ... كَنَجاءِ مُهْرٍ مِنْ بناتِ الأَعْوَجِ
لَمّا رَأى بَدْرًا تَسيلُ جِلاهُه ... بِكَتيبةٍ خَضْراءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ
لا يَنْكُلُونَ إذا لَقُوا أعْداءَهم ... يَمْشُونَ عائِدَةَ الطَّريقِ المَنْهَجِ [(١)]
كَمْ فيهم من ماجِدٍ ذي مَنْعَةٍ ... بَطَلٍ بِمَهْلَكَةِ الجَبانِ المُحْرَجِ
وَمُسَوَّدٍ يُعْطي الجَزيلَ بِكَفِّه ... حَمّالِ أثْقالِ الدِّياتِ مُتَوَّجِ
زَيْنِ النَّديّ مُعاوِدٍ يومَ الوَغَى ... ضَرْبَ الكُماةِ بِكُلِّ أبْيَضَ سَلْجَجِ [(٢)]

قال ابنُ هشامٍ : قَوْلُه سَلْجج ، عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ :

فَما نَخْشَى بِحَوْلِ اللهِ قَوْمًا ... وَإِنْ كَثُرُوا وأُجْمِعَتِ الزُّحُوفُ
إذا ما ألَّبوا جَمْعًا عَلَيْنا ... كَفانا حَدَّهم رَبٌّ رَءُوفُ
سَمَوْنا يومَ بَدْرٍ بالعَوالي ... سِراعًا ما تُضَعْضِعُنا الحُتُوفُ
فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً في النّاسِ أنْكَى ... لِمَنْ عادَوْا إذا لَقِحَتْ كُشُوفُ
وَلَكِنّا تَوَكَّلْنا وقُلْنا ... مَآثِرُنا ومَعْقِلُنا السُّيُوفُ
لَقيناهُمْ بِها لَمّا سَمَوْنا ... وَنحن عِصابَةٌ وهم أُلُوفُ

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا ، يَهْجُو بني جُمَحَ ومَن أُصيبَ منهم

جَمَحَتْ بنُو جُمَحٍ لِشِقْوَةِ جَدِّهِم ... إنّ الذَّليلَ مُوَكَّلٌ بِذَليلِ [٢٣٩/ب]
قُتِلَتْ بنُو جُمَحٍ بِبَدْرٍ عَنْوَةً ... وَتَخاذَلُوا سَعْيًا بِكُلِّ سَبيلِ

---

(١) عائدة الطريق : حاشيته . المنهج : المتسع .
(٢) الندى : المجلس . الوغى : الحرب .

جَحَدُوا الكِتابَ وكَذَّبوا بمُحَمّدٍ ... واللهُ يُظْهِـرُ دينَ كُـلِّ رسـولِ

لَعَنَ الإلَه أبـا خُزَيمَةَ وابنَـه ... والخالِدَيْنِ وصـاعِدَ بـنَ عقيـلِ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال عُبَيْدَةُ بنُ الحارثِ بنِ المطّلِبِ في يوم بدر ، وفي قَطْعِ رِجْلِه حيْنَ أُصيبَتْ في مُبارَزَتِه هُوَ وحَمزَةُ وعَلِيّ حينَ بارَزُوا عَدُوّهم - قال ابنُ هشام ، وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِعُبَيْدَة

سَتَبْلُـغُ عَنّا أهلَ مَكّـةَ وقْعَـةٌ ... يَهُب لها مَـن كان عن ذاكَ نائِيًا

بِعُتْبَـةَ إذ وَلّى وشيبَـةُ بعـده ... وَما كـان فيها بِكْر عُتْبَة راضيًـا

فإن تَقْطَعُوا رِجْلي فـإنّي مُسلـمٌ ... أُرَجّي بها عَيْشًا مـن الله دانيًـا

مع الحُورِ أمثال التَّماثيلِ أُخْلِصَتْ ... مع الجنّةِ العُلْيا لِمَن كـان عاليًـا

وَبِعْتُ بِهـا عَيْشًا تَعَرّقْتُ صَفْـوَه ... وَعالجْتُه حتى فـقدتُ الأدانيـا

فأكْرَمَني الرّحْمَنُ مـن فَضْلِ مَنّه ... بثَوْب من الإسلام غَطّى المُساويـا

وَمـا كـان مَكْرُوهًا إليّ قِتالُهـم ... غَداةَ دَعا الأكْفاءَ مَن كان داعيًا

وَلَمْ يَبْـغِ إذْ سالُوا النّبيّ سَواءَنـا ... ثَلاثَتَنـا حتى حَضَرْنـا المُناديـا

لَقيناهم كالأُسْـدِ تَخْطِرُ بالقَنـا ... نُقاتِلُ في الرّحْمَنِ مَن كـان عاصيا

فَما بَرِحَتْ أقْدامُنا مـن مَقامِنـا ... ثَلاثَتُنـا حتى أزيـرُوا المَنائيـا

قال ابنُ هشام : لَمّا أُصيبَتْ رِجْلُ عَبيدَةَ قال أما والله لَوْ أدْرَكَ أبو طالِبٍ هذا اليومَ لَعَلِمَ أنّي أحَقّ مِنه بما قال حينَ يقول :

كَذَبْتُم وبَيْتِ الله يُبْزَى مُحَمّدٌ ... وَلَمّا نُطاعِن دُونَه ونُناضِـلِ

وَنُسْلِمُه حتى نُصَرّعَ حَوْلَـه ... وَنُذْهَل عن أبنائِنا والحَلائِلِ

وَهذانِ البَيْتانِ في قَصيدَةٍ لأبي طالِبٍ وقد ذَكَرْناها فيما مَضَى من هذا الكِتابِ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا هَلَكَ عَبيدَة بنُ الحارِثِ من مُصاب رِجْلِه يومَ بَدْرٍ . قال كَعْبُ بنُ مالِكٍ الأنْصاريّ يَبْكيه :

[أ] يا عَيْنُ جُودي ولا تَبْخَلي ... بدَمعِك حَقّـا ولا تَنْزُري[1] [٢٤٠/أ]

على سَيّـدٍ هَـدّنا هُلْكُـه ... كَريـمِ المَشاهِـدِ والعُنْصُـرِ

(١) لا تنزري : أي لا تقللي من الدمع .

جَريءِ المُقَدَّمِ شاكـي السّلاحِ كَريمِ النّثا طَيّبِ المـكْسِـرِ [١]
عَبيــدَة أمسَى ولا نَــرتَجيه لِعُــرْفٍ عَــرانا ولا مُنْكِــرِ
وَقد كان يَحْمَى غَــداةَ القِتا لِحـاميَــةَ الجــيْشِ بِالمُبْتَــرِ

وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيضًا ، في يومِ بَدْرٍ :

ألا هَلْ أتَى غَسّانَ في نَأْيِ دارِها وَأخْبَرُ شيءٍ بالأُمُــورِ عليمُهــا
بأن قد رَمَتْنا عن قِسيّ عَــداوَةٍ مُعَدّ مَعًا جُهّالُهـــا وحَليمُهـا
لأنّا عَبَدْنا اللهَ لم نَـــرجُ غَيــرَه رَجاءَ الجِنانِ إذْ أتانا زَعيمُهــا
نَبيّ له في قَوْمِــه إرْثُ عِـــزّةٍ وَأعْراقُ صِدْقٍ هذّبَتْها أُرُومُها [٢]
فَسارُوا وسِرْنا فالتَقَيْنا كـأنّنـــا أُسُودُ لِقــاءٍ لا يُرَجّى كَليمُهــا
ضَرَبْناهم حتى هَوَى في مَكَرّنـــا لِمَنْخِرِ سَــوْءٍ من لُؤَيّ عَظيمُها
فَوَلّوْا ودُسْناهم بِبيــضٍ صَــوارِمٍ سَواءٌ عَلَيْنــا حِلْفُها وصَميمُهـا

وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيضًا :

لَعمرُ أبيكُمــا يــا بني لُؤَيّ على زَهْوٍ لَدَيْــكُمْ وانتِخاءِ [٣]
لَما حامَتْ [٤] فَوارِسُكُمْ بِبَدْرٍ وَلا صَبَرُوا بــه عند اللّقــاءِ
وَرَدْنـاه بِنُــورِ الله يَجْلُـــو دُجَى الظّلْماءِ عَنّا والغِطـاءِ
رسولُ الله يَــقْدُمُنا بِــأمرٍ من أمــرِ الله أُحْكِمَ بِالقَضاءِ
فَما ظَفَرَتْ فَوارِسُكُمْ بِبَـــدْرٍ وَمــا رَجَعُوا إلَيْكُمْ بِالسّــواءِ
فَلا تَعْجَلْ أبا سُفيانَ وارْقُبْ جيادَ الخَيْلِ تَطْلُعُ من كَداءِ
بِنَصْرِ الله رُوحُ القُدُسِ فيهــا وَميكالُ فَيا طيبَ المــلاءِ

وَقال طالِبُ بنُ أبي طالِبٍ ، يَمدَحُ رسولَ الله ﷺ ويَبْكي أصْحابَ القَليبِ من قُرَيْشٍ يومَ بَدْرٍ :

---

(١) شاكي السلاح : حاد السلاح . النثا : ما يتحدث به عن الرجل من خير وشر . طيب المكسر : أي أنه إذا فتش عن أصله وجد خالصا .
(٢) الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .
(٣) الانتخاء : الإعجاب والتكبر .
(٤) حامت : امتنعت .

ألا إنّ عَيْني أنفَدَتْ دَمعَها سَكبًا تُبكّي على كَعْبٍ وما إن تَرى كَعْبا
ألا إنّ كَعْبًا في الحُرُوبِ تَخاذَلُوا وَأرْداهم ذا الدّهرُ واجْتَرَحُوا ذَنْبًا [٢٤٠/ب]
وَعامِرُ تَبْكي لِلمُلِمّاتِ غُدْوَةً فياليتَ شِعْري هَلْ أرَى لهما قُرْبًا
هما أخَوايَ لَن يُعَدّا لِغَيّةٍ [١] تُعَدّ ولَن يُسْتامُ جارُهما غَصْبا
فَيا أخَوَيْنا عَبدَ شَمسٍ ونَوْفَلاً فِدًا لَكُما لا تَبْعَثُوا بَيْنَنا حَرْبا
وَلا تُصْبِحُوا من بَعْدِ وُدّ وأُلْفَةٍ أحاديثَ فيها كُلّكُمْ يَشْتَكي النّكْبا
أَلَمْ تَعْلَمُوا ما كان في حَرْبِ داحِسٍ وَجَيْشِ أبي يَكْسُومَ إذْ مَلَئُوا الشّعْبا
فَلَوْلا دِفاعُ الله لا شيءَ غَيرُه لأَصْبَحْتُم لا تَمْنَعُونَ لَكُم سِرْبا
فَما إن جَنَيْنا في قُرَيْشٍ عَظيمَةً سِوَى أن حَمَيْنا خَيْرَ مَن وطِئَ التّرْبا
أخا ثِقَةٍ في النّائِباتِ مُرَزّأً كَريمًا نَثاه لا بَخيلاً ولا ذَرْبا [٢]
يُطيفُ به العافُونَ [٣] يَغْشَوْنَ بابَه يَؤُمّونَ بَحْرًا لا نَزُورًا ولا صَرْبًا
فَوالله لا تَنْفَكّ نَفْسي حَزِينَةً تَمَلْمَلُ [٤] حتى تَصْدُقُوا الخَزْرَجَ الضّرْبا

وقال ضِرارُ بنُ الخَطّابِ الفِهْرِيّ يَرْثِي أبا جَهلٍ :

ألا مَن لِعَيْنٍ باتَتِ اللّيْلَ لَمْ تَنَم تُراقِبُ نَجْمًا في سَوادٍ مِن الظّلَم
كَأنّ قَذًى فيا وليس بِها قَذًى سِوَى عَبْرَةٍ من جائِلِ الدّمعِ تَنْسَجِم [٥]
فَبَلّغْ قُرَيْشًا أنّ خَيْرَ نَديّها وَأكْرَمَ مَن يَمشي بِساقٍ على قَدَم
ثَوَى يومَ بَدْرٍ رَهْنَ خَوْصاءَ رَهْنُها كَريمُ المَساعي غَيْرُ وغْدٍ ولا بَرَم [٦]
فَآلَيْتُ لا تَنْفَكّ عَيْنَيَ بِعَبْرَةٍ على هالِكٍ بعدَ الرّئِيسِ أبي الحَكَم
على هالِكٍ أشْجَى لُؤَيّ بنَ غالِبٍ أتَتْه المَنايا يومَ بَدْرٍ فَلَم يَرِم

---

(١) لغية : يطلق ذلك على من كان لغير أبيه .
(٢) الذرب : الفاسد .
(٣) العافون : الطالبون المعروف . النزور : القليل . الصرب : المنقطع .
(٤) تململ : لا تستقر على فراشها .
(٥) تنسجم : تنصب .
(٦) الخوصاء : هنا البئر الضيقة . البرم : البخيل الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله .

تَرَى كِسَرَ الخَطِّيِّ في نَحْرِ مُهْرِهِ لَدَى بائِنٍ من لَحْمِه بَيْنَها خِذَم [1]
وَما كان لَيثٌ ساكِنٌ بَطنَ بيشَةٍ لَدَى غَلَلٍ يَجْري بِبَطْحاءَ في أَجَم [2]
بأجرأ منه حينَ تختلفُ القَنا وتُدعَى نَزالِ في القَماقِمَةِ البُهَم [3]
فَلا تَجْزَعُوا آلَ المغيرةِ واصبِرُوا عليه ومَن يَجْزَعْ عليه فَلَمْ يُلَم
وَجِدّوا فإنّ المَوْتَ مَكْرُمَةٌ لَكُم وَما بعده في آخِرِ العَيْشِ مِن نَدَم
وَقد قلتُ إنّ الرّيحَ طَيِّبَةٌ لَكُم وَعِزّ المَقام غَيْرُ شَكٍّ لِذي فَهَم[٢٤٠/أ]

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنكِرُها لِضِرارٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال الحارثُ بنُ هشامٍ ، يَبْكي أخاه أبا جَهْلٍ

ألا يا لَهْفَ نَفْسي بعدَ عمرٍو وَهَلْ يُغْني التّلَهّفُ من قَتيلِ
يُخَبِّرُني المُخَبِّرُ أنّ عَمرًا أمامَ القَوْمِ في جَفْرٍ مُحيلِ [4]
فَقِدْمًا كُنْتُ أحْسِبُ ذاكَ حَقًا وَأنْتَ لِما تَقَدّمَ غَيْرُ فيلِ [5]
وَكُنْتُ بِنِعْمَةٍ ما دُمتَ حَيّا فقد خُلِّفْت في دَرَجِ المَسيلِ
كَأنّ حينَ أُمسي لا أراه ضَعيفُ العَقْدِ ذُو هَمّ طَويلِ
على عَمرٍو إذا أمسَيْتُ يَومًا وَطَرْفٌ مَن تَذَكّره كَليلِ

قال ابنُ هشامٍ : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ يُنكِرُها لِلحارِثِ بنِ هشامٍ وقَوْلُه «في جَفْرٍ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال أبو بَكْرِ بنُ الأسْوَدِ بن شُعُوبٍ اللّيْثيّ وهو شَدّادُ ابنُ الأسْوَدِ :

تُحَيّي بِالسّلامَةِ أُمّ بَكْرٍ وَهَلْ لي بعد قَوْمي مِن سَلامِ
فَماذا بِالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ مِنَ القَيْناتِ والشّرْبِ الكِرامِ
وَماذا بِالقَليبِ قَليبِ بَدْرٍ مِنَ الشّيزَى تُكَلّلُ بِالسّنامِ

---

(١) الخطى : الرماح . الخِذم : قطع اللحم .
(٢) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود . الغلل : الماء الجاري في أصول الشجر . الأجم : جمع أجمة وهي الشجر الملتف وهو موضع الأسود .
(٣) القماقمة : السادة الكرماء . البهم : الشجعان .
(٤) الجفر : البئر التي لا بناء لها . المحيل : القديم المتغير .
(٥) غير فيل : أي غير فاسد الرأي .

وَكَم لَكَ بِالطّوِيّ طَوِيّ بَدْرٍ ... من الحَوْماتِ والنعَمِ المُسَامِ

وَكَم لَكَ بِالطّوِيّ طَوِيّ بَدْرٍ ... من الغاياتِ والدّسْعِ العِظامِ [1]

وَأصْحابِ الكَريمِ أبي عَليّ ... أخي الكاسِ الكَريمَةِ والنّدامِ

وَإنّكَ لَوْ رَأيت أبا عَقيلٍ ... وَأصْحابَ الثَنيّةِ مِن نَعامِ [2]

إذًا لَظَلِلْت من وجْدٍ عليهم ... كَأُمّ السّقْبِ [3] جائِلَةَ المَرامِ

يُخَبّرُنا الرّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيا ... وَكَيْفَ لِقاءُ أصْداءٍ وهامِ ؟

قال ابنُ هشامٍ : أنشَدَني أبو عُبَيْدَةَ النّحويّ :

يُخَبّرُنا الرّسُولُ بِأن سَنَحْيا ... وَكَيْفَ حَياةُ أصْداءٍ وهام

قال وكان قد أسْلَمَ ثُمّ ارْتَدّ

وقال ابنُ إسحاقَ : وقال أُمَيّةُ بنُ أبي الصّلْتِ ، يَرْثي مَن أُصيبَ من قُرَيْشٍ يومَ بَدْرٍ :

ألاّ بَكَيْتِ علَى الكِرا ... مِ بني الكِرامِ أُولي المَمادِحْ [٢٤١/ب]

كَبُكا الحَمامِ على فُرُو ... عِ الأيْكِ في الغُصْنِ الجَوانِحْ

يَبْكينَ حَرّى مُسْتَكي ... ناتٍ يَرُحْنَ مع الرّوائِحْ

أمثالُهُنّ الباكيا ... تُ المُعْوِلاتُ مِن النّوائِحْ

مَن يَبْكِهِم يَبْكِ على ... حُزْنٍ ويَصْدُق كُلّ مادِحْ

ماذا بِبَدْرٍ فالعَقَنْـ ... قَلِ مِن مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ [4]

فَمَدافِعُ البَرْقَينِ فالحْـ ... ـنانِ مِن طَرَفِ الأواشِحْ

شُمْطٍ وشُبّانٍ بِها ... لَيْلٍ مَغاوِيرَ وحاوِحْ [5]

ألا تَرَوْنَ لِما أرَى ... وَلَقَد أبانَ لِكُلّ لامِحْ

أن قد تَغَيّرَ بَطْنُ مَكّةَ ... فَهْيَ مُوحِشَةُ الأباطِحْ

---

(١) الدسع هنا : العطايا .

(٢) الثنية : فرجة بين الجبلين ونعام : موضع .

(٣) السقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٤) العقنقل : الكثيب من الرمل المنعقد . المرازبة : الرؤساء . الجحاجح : السادة .

(٥) الشمط : الذين خالطهم الشيب . البهاليل : السادة . المغاوير : جمع مغوار وهو الذي يكثر الغور . الوحاوح : جمع وحواح وهو الحديد النفس .

من كُلّ بِطْريقٍ لِبِطْريقٍ ... نَقيّ القَوْنِ واضِحْ
دُعْمُوص أبْوابِ المُلُوكِ ... وجائِبٌ لِلْخَرْقِ فاتِحْ (1)
من السّراطِمَةِ الخَلا ... جِمَةِ المَلاوِثَةِ المَناجِحْ (2)
القائِلينَ الفاعِلينَ ... الآمِرينَ بِكُلّ صالِحْ
المُطْعِمينَ الشّحْمَ فَوْ ... قَ الخُبْزِ شَحْمًا كالأنافِحْ
نُقُلُ الجِفانِ مع الجِفا ... نِ إلى جِفانٍ كالمَناضِحْ
ليستْ بِأصْفارٍ لِمن ... يَعْفُو ولا رَحّ رَحارِحْ
لِلضّيْفِ ثُمّ الضّيْفِ بعد ... الضّيْفِ والبُسُطِ السّلاطِحْ (3)
وُهُبُ المِئينَ من المِئينَ ... إلى المِئينَ من اللّواقِحْ (4)
سَوْقُ المؤَبّلِ لِلْمُؤَبّلِ ... صادِراتٌ عن بَلادِحْ (5)
لِكِرامِهِم فَوْقَ الكِرا ... مِ مَزِيّةٌ وزْنَ الرّواجِحْ
كَتَثاقُلِ الأرْطالِ بِالقِسْطاسِ ... في الأيْدي المَوائِحْ (6)
خَذَلَتْهُم فِئَةٌ وهم ... يَحْمُونَ عَوْراتِ الفَضائِحْ
الضّارِبينَ التّقْدُمِيّةَ ... بِالمُهَنّدَةِ الصّفائِحْ
وَلَقد عَناني صَوْتُهم ... من بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وصائِحْ
لِلّهِ دَرّ بني عَلِيّ ... أيّمٍ منهم وناكِحْ
إن لم يُغيرُوا غارَةً ... شَعْواءَ تُجْحِرُ كُلّ نابِحْ [٢٤٢/أ]
بِالمُقْرَباتِ المُبْعَدا ... تِ الطّامِحاتِ مع الطّوامِحْ
مُرْدًا على جُرْدٍ إلى ... أسَدٍ مُكالِبَةٍ كَوالِحْ

(١) الجائب : القاطع . الخرق : الفلاة الواسعة .
(٢) الخلاجمة : الضخم الطويل . الملاوثة : جمع ملواث وهو السيد . المناجح : الذين ينجحون في سعيهم ويسعدون فيه .
(٣) السلاطح : الطوال العراض .
(٤) يريد باللواقح هنا : الإبل الحوامل .
(٥) المؤبل : الإبل الكثيرة . صادرات : راجعات . بلادح : موضع .
(٦) الموائح : التي تتمايل من ثقل ما ترفعه .

وبُــــلاقِ قِـــرْنٌ [١] قِـــرْنَه مَشْيَ المُصـــافِحِ لِلْمُصـــافِحْ
بِزُهـــاءِ ألْـــفٍ ثُمَّ ألْفٍ بَيْنَ ذي بَــدَنٍ ورامِـــحْ

قال ابنُ هشام : تَرَكْنا منها بَيْتَيْنِ نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ . وأنْشَدَني غَيْرُ واحدٍ من أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ بَيْتَه

وبُلاقِ قِرْنٌ قِرْنَه مَشْيَ المُصافِحِ لِلْمُصافِحْ

وأنْشَدَني أيضًا :

وُهُبَ المِئِينَ من المِئِينَ إلى المئين من اللواقِحْ
سَوق المُؤَبَّـل للمُؤَبَّــل صادرات عن بلادح

قال ابنُ إسحاق : وقال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ ، يَبْكي زَمعَةَ بنَ الأسْوَدِ ، وقَتْلَى بني أسَدٍ :

عَيْنُ بَكّي بالمُسْبِلاتِ أبـــا الحَـ ـارِثِ لا تَذْخَري على زَمْعَةْ [٢]
وابْكي عقيلَ بنَ أسْوَد أسَدَ البـ ـأْسِ ليـــومِ الهيــاجِ والـدَّفَعَـــةْ
تِلْكَ بنُو أسَدٍ إخْــوَةِ الجَــوْ زاءِ لا خـانَـــةٌ ولا خَدَعَـةْ
هم الأُسْرَةُ الوَسيطَةُ مِــن كَعْبٍ وهم ذِرْوَةُ السَّنام والـقَمَعَـةْ
أنْبَتُوا مِـــن مَعاشِرٍ شَعَـــرَ الـ ـرَّأسِ وهم ألْحَقُوهـم المَنْـعَـةْ
أمسَى بنُـو عمّهم إذا حَضَرَ البـ أكْبادُهـم عليهِـــم وجِعَـــةْ
وَهم المطْعِمُونَ إذْ قَحَطَ القَــطْـ ـرُ وحالتْ فَــلا تَرَى قَـزَعَةْ

قال ابنُ هشام : هذه الرِّوايَةُ لهذا الشِّعْرِ مُخْتَلِطَةٌ ليست بِصَحيحَةِ البِناءِ لَكِن أنْشَدَني أبو مُحْرِزٍ خَلَفُ الأحْمَرُ وغَيْرُه رَوَى بَعْضٌ ما لَمْ يَرْوِ بَعْضٌ

عَيْنُ بَكّي بالمُسْبِلاتِ أبـــا الحا رِثِ لا تَـذْخَري على زَمــعَـــةْ
وَعَقيلَ بنَ أسْوَدَ أسَـدَ البَـــأْ سِ ليـــومِ الهـــياجِ والدَّفَعَـــةْ
فَعلى مِثْلِ هُلْكِهِم خَوَتِ الجَـوْ زاءُ لا خـــانَةٌ ولا خَـــدَعَـــةْ
وهم الأُسْرَةُ الوَسيطَةُ من كَعْبٍ وفيهـــم كَــذِرْوَةِ القَـــمَـــعَـــةْ
أنْبَتُوا من مَعاشِرَ شَعَـــرَ الــرَّأْ سِ وهـــم ألْحَقُوهـــم المَنْعَـــةْ

---

(١) القرن : الذي يقاوم في قتال .

(٢) المسبلات : الدموع السائلة . لا تذخري : أي لا تدخري .

فَبنُــو عمِّهــم إذا حَضَرَ البَــأ ... سُ عليهم أكبادُهم وجِعَهْ [٢٤٢/ب]

وَهم المُطْعِمُونَ إذ قَحَطَ القَطْــرُ ... وَحــالَتْ فَــلا تَــرَى قزَعَــهْ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال أبو أُسامَةَ ، مُعاوِيَةُ بنُ زُهَيْرِ بنِ قَيْسِ بنِ الحارثِ بنِ سَعْدِ بنِ ضُبَيْعةَ بنِ مازنِ بنِ عَديّ بن جُشَمَ بن مُعاويَةَ حليفُ بني مَخْزُوم - قال ابنُ هشام :وكان مُشْرِكًا وكان مَرّ بِهُبَيْرَةَ بن أبي وهْبٍ وهم مُنْهَزِمُونَ يومَ بَدْر وقد أعْيا هُبَيْرَةُ فَقامَ فألْقَى عنه دِرْعَه وحَمَله فَمَضَى به قال ابنُ هشام :وهذه أصَحّ أشْعارِ أهل بَدْرٍ :

وَلمَّا أن رَأيْت القَــوْمَ خَفّــوا ... وَقـــد زالتْ نَعامَتُهم لِنَفْــر

وَأن تُرِكتْ سَراةُ القَوْمِ صَرْعَى ... كأنّ خيارَهـــم أذْباحُ عِتْــرِ (١)

وَكـانَتْ جُمّةٌ وافَتْ حِمامًـا ... وَلُقّينا المَنايـا يَــومَ بَــدْرِ

نَصُدّ عـن الطّريقِ وأدْرَكُونـا ... كأنّ زُهاءَهـم غَطَيانُ بَحْــرِ (٢)

وَقال القائِلُونَ مَــن ابنُ قَيْسٍ ... فقلتُ أبــو أُسامَــةَ غَيْرَ فَخْــرِ

أنا الجُشَمِــيّ كَـيْما تَعْــرِفُوني ... أُبَيّـــن نِسْبَتي نَقْــرًا بِنَقْــرِ

فَإن تَكُ في الغَلاصِمِ من قُرَيْشٍ ... فَإنّي مِــن مُعــاوِيَةَ بــنِ بَكْــرِ

فَأبْلِــغْ مـالِكًـا لَمـا غُشِينــا ... وَعندك مالِ - إن نَبّأتَ - خُبْـرَى

وَأبْلِــغْ إن بَلَـغْتَ المَرْءَ عَنّـا ... هُبَيْرَةَ وهــو ذُو عِلْــمٍ وقــدْرِ

بــأنّي إذْ دُعيت إلى أُفَيْــدٍ ... كرَرْتُ ولَمْ يَضِــقْ بالكَرّ صَــدْري

عَشيّةَ لا يَكُرّ علـى مُضافٍ (٣) ... وَلا ذي نَعْمَــة منهــم وصِهْــرِ

فَدُونَكُمْ بنــي لأْيٍ (٤) أخاكُــم ... وَدُونك مالِكًــا يــا أُمّ عــمْــرو

فَلَوْلا مَشْهَـدي قـامَتْ عليـه ... مُوَقّفَــةُ القــوائمِ أُمّ أجْــري

دَفُــوعٌ لِلْقُبُــورِ بِمَنْكِبَيْهـا ... كَــأنّ بِوَجْهِها تَحْميمَ (٥) قِــدْرِ

فَأُقْسِــمُ بالذي قــد كــان رَبّي ... وَأنْصابٍ لَــدَى الجَمَراتِ مُغْــرِ

---

(١) سراة القوم : خيارهم . العتر : الصنم الذي يذبح له .

(٢) غطيان بحر : أي فيضانه .

(٣) المضاف : الخائف المضطر المضيق عليه .

(٤) بني لأي : يريد بني لؤي .

(٥) التحميم : التلطيخ بالسواد .

لَسَوْفَ تَرَوْنَ ما حَسَبي إذا ما ... تَبَدَّلَتِ الجُلُودُ جُلودَ نِمْرِ

فَما إن خادِرٌ من أُسْدِ تَرْجٍ ... مُدِلّ عَنْبَسٌ في الغَيْلِ مُجْرِي [1]

فقد أحمي الأباءَةَ من كُلافٍ ... فَما يَدْنُو له أحَدٌ بنَفْرِ

بخَلّ تَعْجِزُ الحُلَفاءُ عنه ... يُواثِبُ كُلّ هَجْهَجَةٍ وزَجْرِ

بأَوْشَكَ سَوْرَةً مِنّي إذا ما ... حَبَوْتُ له بِقَرْقَرَةٍ وهَدْرِ

ببيضٍ كالأسِنّةِ مُرْهفاتٍ ... كَأنّ ظُباتِهِنّ [2] جَحِيمُ جَمْرِ

وَأكْلَف مُجْنَإٍ من جِلْدِ ثَوْرٍ ... وَصَفْراءِ البُرايَةِ ذاتِ أزْرِ

وَأبْيَضَ كالغَديرِ ثَوَى عليه ... عُمَيْرٌ بالمَداوِسِ نِصْفَ شَهْرِ

أُرَفّلُ في حَمائِلِه وأمشي ... كَمِشْيَةِ خادِرٍ لَيْثٍ سِبَطْرِ [3]

يقول لي الفَتَى سَعْدٌ هَدِيّا ... فَقُلْتُ لَعَلّه تَقْريبُ غَدْرِ

وَقُلْتُ أبا عَدِيّ لا تَطُرْهم ... وَذلِكَ إن أطَعْتَ اليَومَ أمْرِي

كَدَأبِهِم بِفَرْوَةَ إذْ أتاهم ... فَظَلّ يُقادُ مَكْتُوفًا بِضَفْرِ

قال ابنُ هشام : وأنشَدَني أبو مُحْرِزٍ خَلَفُ الأحْمَرُ :

نَصُدّ عن الطّريقِ وأدْرَكُونا ... كَأنّ سِراعَهم تَيّارُ بَحْرِ

وَقَوْله - مُدَلّ عَنْبَسٌ في الغَيْلِ مُجْري عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال أبو أسامَةَ أيضًا :

ألا من مُبَلّغٌ عَنّي رسولاً ... مُغَلْغَلَةً [4] يُثَبّتُها لَطِيفُ

أَلَمْ تَعْلَمْ مَرَدّي يومَ بَدْرٍ ... وَقد بَرَقَتْ بِجَنْبَيْكَ الكُفُوفُ

وَقد تُرِكَتْ سَراةُ القَوْمِ صَرْعَى ... كَأنّ رُءُوسَهم حَدَجٌ نَقِيفُ [5]

وَقد مالتْ عَلَيْكَ بِبَطْنِ بَدْرٍ ... خِلافَ القَوْمِ داهيَةٌ خَصِيفُ

---

(١) الخادر : الأسد الذي يكون في خدره . ترج : جبل بالحجاز كثير الأسد .. وعنبس : أي عابس الوجه . الغيل : الشجر الملتف .

(٢) الظبأة : حدها .

(٣) أرفل : أطول . سبطر : أي طويل ممتد .

(٤) المغلغلة : الرسالة من بلد إلى بلد .

(٥) الحدج : الحنظل . النقيف : المكسور .

فَنَجّاه مـن الغَمَرات عَزْمـي ... وَعَـوْنُ الله والأمـرُ الحَصيفُ
وَمُنْقَلَبي مـن الأبواء وحدي ... وَدُونك جَمـعُ أعـداءٍ وُقُوفُ
وَأنتَ لِمَن أرادَك مُستَكيـنٌ ... بِجَنبِ كُـراشٍ مَكْلُومٌ نَزِيـفُ
وَكُنتُ إذا دَعاني يـومَ كَـرْبٍ ... من الأصحابِ داعٍ مُستَضيـفُ
فَأسْمَعَني ولـوْ أحبَبْتُ نَـفْسي ... أخٌ في مِثلِ ذلك أوْ حَليـفُ
أرُدّ فَأكْشِفُ الغُمّـى وأرْمـي ... إذا كَـلَحَ المَشافِرُ والأنُـوفُ [1]
وَقِرْنٍ قد تَرَكْتُ على يَـدَيْـه ... يَنُوءُ كَـأنَه غُـصْنٌ قَصيـفُ
دَلَفْتُ له إذِ اختَلَطُوا بِحَـرَى ... مُسَحْسَحَةٍ لِعانِدِها حَـفِـيـفُ [2]
فَذَلِكَ كان صُنعي يـومَ بَـدْرٍ ... وَقَبْلُ أخُو مُداراةٍ عَزُوفُ [٢٤٤/ب]
وَمِقْدامٌ لَكُـم لا يَزْدَهينـي ... جَنانُ اللّيـلِ والأنَسُ اللفيـفُ
أخُوضُ الصّرّةَ الجَمّـاءَ خَوْضًا ... إذا ما الكَلْبُ ألجَـأه الشّفيفُ [3]

قال ابنُ هشام : تَرَكْت قَصيدَةً لأبي أُسامَةَ على اللاّمِ ليس فيها ذِكْرُ بَدْرٍ إلاّ في أوّلِ بَيْتٍ منها والثّاني ، كَراهيَةَ الإكْثارِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقالتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة بنِ رَبيعَةَ تَبْكي أباها يومَ بدرٍ :

أعَيْنَيّ جُودا بِدَمعٍ سَرِبْ ... على خَيْرِ خِنْدِفَ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَداعَى له رَهْطُه غُـدْوَةً ... بنُـو هاشِمٍ وبنُـو المُطّلِبْ
يُذيقُونَه حَـدّ أسيافِهِـم ... يَعُلّونه بعد ما قد عَـطِبْ
يَجُرّونَـه وعَـفيرُ التّرابِ ... على وجْهِه عاريًا قد سُلِبْ
وَكان لَنـا جَبَلاً راسِيًـا ... جَميلَ المَراةِ كَثيرَ العُشُـبِ
فَأمّا بُـرَيّ فَلَمَ أعْنِـه ... فَأوتيَ من خَيْرِ ما يَحْتَسِبْ

* * *

(١) الغمى : الأمر الشديد . كلح : عبس . المشافر : الشفاة .
(٢) دلفت : قربت . بحرى : أي بطعنة موجعة . مسحسحة : كثيرة سيلان الدم . العاند : العرق الذي لا ينقطع دمه . الحفيف : صوته .
(٣) الشفيف : الريح الشديدة البرد .

وقالتْ هِندُ أيضًا :

يَسـريبُ عَلَينا دَهْـرُنا فَيَسُوءُنا وَيَأْبَى فَما نأتي بِـشيءٍ يُغالِبُـهْ
أبعد قَتيلٍ مـن لُؤَيّ بنِ غالبٍ يُراعَ أمرٌ إن ماتَ أوْ ماتَ صاحِبُهْ
ألا رُبّ يوم قـد رُزِئْتُ مُـرَزَّأً تَرُوحُ وتَغْدُو بالجَزِيـلِ مُواهِبُـهُ
فأَبلغْ أبا سُفْيانَ عَنّي مَـألُكًا [1] فإن أَلْقَه يومًا فَسَـوْفَ أُعاتِبُـهْ
فقد كان حَرْبٌ يَسْعَرُ الحَرْبَ إنّه لِكُلّ امرِئٍ في النّـاسِ مَوْلًى يُطالِبُهْ

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْدٍ .

قال ابنُ إسحاق : **وقالتْ هِنْدُ أيضًا :**

لله عَيْنـا مَـن رَأى هُلْـكًا كَهُلْكِ رِجاليَـهْ
يـا رُبّ باكٍ لي غَـدًا في النّائِبـاتِ وبـاكيَـهْ
كَمْ غادَرُوا يـومَ القَليـ ـبِ غَداةَ تِلْكَ الواعيَـهْ
من كُلّ غَيْثٍ في السّنيـ ـنِ إذا الكَواكِبُ خاويَـهْ
قد كُنْتُ أَحْذَرُ ما أرَى فاليومُ حَقّ حَذاريَهْ [٢٤٥/أ]
قد كُنْتُ أَحْذَرُ ما أرَى فأنـا الغَداةَ مُواميَـهْ
يـا رُبّ قائِلَـةٍ غَـدًا يـا وَيْحَ أُمّ مُعـاوِيَـهْ

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْدٍ .

قال ابنُ إسحاق : وقالتْ هِنْدُ أيضًا :

يا عَيْنُ بَـكّي عُتْبَـهْ شيخًا شَديدَ الرَّقَبَـهْ
يُطْعِمُ يومَ المَسْغَبَهْ [2] يَدْفَعُ يومَ المَغْلَبَـهْ
إنّي عليـه حَـرِبَهْ مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَـهْ [3]
لَـنَهْبِطَنّ يَثْرِبَـهْ بِغـارَةٍ مُنْثَعِبَهْ
فيهـا الخُيُولُ مُقْرَبَهْ كُلّ جَوادٍ سَلْهَبَهْ [4]

---

(١) المألك : جمع مألكة وهي الرسالة التي تبلغ باللسان .

(٢) المسغبة : الجوع والشدة .

(٣) حربة : حزينة غضبى . مستلبة : مأخوذة العقل .

(٤) سلهبة : الفرس الطويلة .

وَقالتْ صَفيّةُ بِنْتُ مُسافِرِ بنِ أبي عمرو بنِ أُمَيّةَ بن عبدِ شَمسِ بنِ عبدِ مَنافٍ تَبْكي أهلَ القَليبِ الذينَ أُصيبوا يومَ بَدْرٍ من قُرَيْشٍ : (وتَذْكُرُ مُصابَهم) :

يا مَن لِعَيْنٍ قَذاها عائِرُ الرَّمَــــدِ   حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لَمْ يَقِــدْ
أُخْبِرْتُ أنّ سَراةَ الأكْرَمينَ مَعًـــا   قد أحْرَزَتْهم مَناياهم إلى أمَـــــدِ
وَفَرّ بالقَـــــوْمِ أصْحابُ الرِّكابِ ولَمْ   تَعْطِفْ غَداتَئِذٍ أُمٌّ على ولَـــــدِ
قَوْمـــي صَفيّ ولا تَنْسَى قَرابَتَهُـــم   وإن بَكَيْتِ فَما تَبْكينَ من بُعُـــدِ
كانوا سُقُوبَ سَماءِ البَيْتِ فانْقَصَفَتْ   فأصْبَحَ السَمكُ منها غَيْرَ ذي عَمَدِ

قالَ ابنُ هشام : أنْشَدَني بَيْتَها : «كانوا سُقُوبَ» بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقالتْ صَفيّةُ بِنْتُ مُسافِرٍ أيضًا :

ألا يا مَن لِـــعَيْنٍ لِلتَ   بَـــكّي دَمعُهـــا فـــــانِ
كَـغَـــرْبَيْ داِلجٍ يَسْقي   خِـــلال الغَيْثِ الدّانِ [1]
وَما لَيْثُ غَريفٍ [2] ذُو   أظافيـــــرَ وأسْنـــــانِ
وأبـــو شِبْلَيْنِ وثّـــابٌ   شَديدُ البَطْشِ غَرْثانِ [3]
كَحِبّي إذْ تَـــــوَلّى و   الـــــقَــــوْمِ ألْـــوانِ
وَبالكَـــفّ حُســـامٌ صا   رِمٌ أبْيَـــــضُ ذُكْـــرانِ
وَأنْتَ الطّاعِنُ النَّجْــلا   ءِ منهـــا مُـــزْبِــدٌ آنِ

قال ابنُ هشام : ويَرْوَنَ قَوْلَها : «وما لَيْثُ غَريفٍ» إلى آخِرِها ، مَفْصُولاً من البَيْتَيْنِ اللّذَيْنِ قَبْلَه .

قال ابنُ إسحاقَ : وقالتْ هِنْدُ بِنْتُ أُثاثَةَ بنِ عَبّادِ بنِ المُطّلِبِ تَرْثي عَبيدَةَ ابنَ الحارِثِ ابنِ المُطّلِبِ :

لَقد ضُمِّنَ الصَفْراءُ مَجْـــدًا وسُؤْدُدًا   وَحِلْمًا أصيلاً وافِرَ اللّبِّ والعَقْلِ [٢٤٥/ب]
عُبَيْدَةَ فابْكيـــه لأضْيافِ غُـــرْبَةٍ   وَأرْمَلَـــــةٍ تَهْوي لأشْعَثَ كـــالجِـــذْلِ

---

(١) الغرب : الدلو العظيمة . الدالج : الذي يمشي بدلوه بين البئر والبستان .
(٢) الغريف : موضع الأسد .
(٣) غرثان : جائع .

وَبَكِيــه لِلأَقْـوامِ في كُــلِّ شَتْوَةٍ إذا احْمَرَّ آفـاقُ السّماءِ مــن المَحْلِ (١)

وَبَكِيــه لِلأَيْتــامِ والرِّيحُ (٢) زَفْزَفٌ وَتَشْبيبُ (٣) قِــدْرٍ طالما أَزْبَدَتْ تَغْــلي

فَإن تُصْبِحُ النّيرانَ قد ماتَ ضَوْءُها فــقد كــان يُذْكِيهِنّ بِالحَطَبِ الجَــزْلِ

لِطـارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمُلْتَمِسِ الـقِــرى وَمُسْتَنْبَــحٍ أَضْحَى لَدَيْــه على رِسْــلِ

قال ابنُ هشام : وأكثرُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقالتْ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الحارِثِ أُختُ النّضرِ بن الحارِثِ تَبْكيه :**

يا راكِبًا إنّ الأُثَيْــلَ مَظِنّةٌ من صُبْحِ خامِسَةٍ وأنتَ مُوَفَّــقُ

أَبْلِغْ بهــا مَيْتًا بــأَنّ تَحيّةً ما إن تَزالُ بها النّجائِبُ تَخْفِــقُ

مِنّي إلَيْك وعَبْرَةً مَسفُوحَــةً جادَتْ بواكِفِها (٤) وأُخْرى تَخْنُقُ

هَلْ يَسْمَعَنّي النّضرُ إن نادَيْتُه أم كَيْفَ يَسْمَعُ مَيّتٌ لا يَنْطِــقُ

أمُحَمّدُ يــا خَيْرَ ضَنْءِ كَرِيمَــةٍ في قَوْمِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْــرِقُ (٥)

ما كان ضَرّكَ لَـوْ مَنَنْتَ ورُبّما مَنّ الفَتَى وهو المَغيظُ المُحْنَــقُ (٦)

أَوْ كُنْتَ قابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَــن بِأَعَزِّ ما يَغْلُو بــه ما يُنْفِــقُ

فالنّضرُ أَقْرَبُ مَن أَسَرْتَ قَرابَةً وَأَحَقّهم إن كــان عِتْــقٌ يُعْتَــقُ

ظَلّتْ سُيُوفُ بني أبيه تَنُــوشُه لله أَرْحــامٌ هُنــاكَ تُشَقّقُ (٧)

صَبْرًا يُقادُ إلى المَنِيّــةِ مُتْعَبًــا رَسْفَ المُقَيّدِ وهو عــانٍ مُــوثَقُ

قال ابنُ هشام : فَيُقالُ والله أعلَمُ إنّ رسولَ الله ﷺ لَمّا بَلَغَه هذا الشّعْرُ قال : لَوْ بَلَغَني هذا قَبْلَ قَتْلِه لَمَنَنْتُ عليه (٨)

قال ابنُ إسحاقَ : وكان فَراغُ رسولِ الله ﷺ من بَدْرٍ في عَقِبِ شَهْرِ رَمَضانَ أَوْ في شَوّالٍ .

---

(١) المحل : القحط .

(٢) الزفزف من الرياح : الشديدة السريعة المرور .

(٣) التشبيب : إيقاد النار تحت القدر ونحوها .

(٤) الواكف : السائل .

(٥) الضنء : الأصل . المعرق : الكريم .

(٦) المحنق : شديد الغيظ .

(٧) تنوشه : تتناوله . تشقق : تقطع .

(٨) ضعيف : علقه ابن هشام . نقله عنه الحافظ ابن كثير في البداية [٣١٢/٣٠٧] .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

غَزْوَةُ بني سُلَيم بالكُدْرِ [1]

قال ابنُ إسحاقَ [2] : فلمّا قدِمَ رسولُ الله ﷺ لم يُقِم بها إلاّ سبْعَ لَيالٍ حتى غَزا بنَفْسِه يُريدُ بني سُلَيم . قال ابنُ هشام : واستَعْمَلَ على المَدينَةِ سِباعَ بنَ عُرفُطَةَ الغِفاريّ أوِ ابنَ أُمِّ مَكْتُوم .

قال ابنُ إسحاقَ : فَبَلَغَ ماءً من مياهِهِم يُقالُ له الكُدْرُ ، أقامَ عليه ثَلاثَ لَيالٍ ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدينَةِ ، لم يَلْقَ كَيْدًا ، فأقامَ بها بَقيّةَ شَوّالٍ وذا القَعْدَةِ وأفْدَى في إقامَتِه تِلْكَ جُلّ الأُسارَى من قُرَيْشٍ . يقال : أفدى : أخذ مالا وأعطى رجلاً ، وفادى : أعطى رجلاً وأخذ رجلاً ، وفدا : أعطى مالا وأخذ رجلاً .

غَزْوَةُ السَّويق

قال : حَدّثَنا أبو مُحَمّدٍ عبدُ المَلِكِ بنُ هشام : قال : حَدّثَنا زِيادُ بنُ عبدِ الله البَكّائي ، عن مُحمّدِ بنِ إسحاقَ المطّلبيّ قال : ثُمّ غَزا أبو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ غَزْوَةَ السّويقِ في ذي الحَجّةِ ووَلَى تِلْكَ الحَجّةَ المُشْرِكُونَ من تِلْكَ السّنَةِ فكان أبو سُفْيانَ كَما حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، ويَزيدُ بنُ رُومانَ ، ومَن لا أتّهِمُ عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ [3] ، وكان من أعْلَمِ الأنْصارِ ، حينَ رَجَعَ إلى مَكّةَ ،ورَجَعَ فَلّ قُرَيْشٍ من بَدْرٍ ، نَذَرَ أن لا يَمَسّ رَأسَه ماءٌ من جَنابَةٍ حتى يَغْزُوَ مُحَمّدًا ﷺ فَخَرَجَ في مِئَتَيْ راكِبٍ من قُرَيْشٍ ، لِيَبَرّ يَمينَه فَسَلَكَ النّجْدِيّةَ، حتى نَزَلَ بِصَدْرِ قَناةٍ إلى جَبَلٍ يُقالُ له ثَيْب ، من المَدينَةِ على بَريدٍ أوْ نَحْوِه ثُمّ خَرَجَ من اللّيْلِ حتى أتَى بني النّضيرِ تَحْتَ اللّيْلِ

---

(١) بداية المخطوط «ب» وكتب أعلاها : الجزء الثاني من سيرة الرسول ﷺ .

(٢) مرسل : رواه أيضًا عن ابن إسحاق كلٌّ من ابن جرير في التاريخ (٢/٥٠) والبيهقي في الدلائل (٣/١٦٣) ، قال الواقدي : غزوة النبي ﷺ الكدر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن أبي طالب وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم على المدينة . نقله عنه الطبري . وقال ابن سعد : طبقات (٢/٢٣) : غزوة النبي ﷺ قرقرة الكدر للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرًا من مهاجره . مثل قول الواقدي ، وزاد أن النبي ﷺ وجد رعاء ونعمًا فاستاقها وقسمها بين أصحابه فأصاب كل رجل منهم بعيرين وكان راعي هذه النعم بسار مولى النبي ﷺ فأعتقه النبي ﷺ عندما رآه يصلي .

(٣) مرسل : رواه الطبري في التاريخ (٢/٥٠) والبيهقي دلائل (٣/١٦٥ - ١٦٦) من طريق ابن إسحاق . وروي من مرسل الزهري ، رواه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٢) والبيهقي في الدلائل (٣/١٦٤) ، ومن مرسل عروة رواه البيهقي دلائل (٣/١٦٥) من رواية ابن لهيعة ، والروايات الثلاث متقاربة ، مع الخلاف في عدد الذين خرجوا مع النبي ﷺ . ففي رواية الزهري : مائتي راكب وفي رواية ابن كعب : أربعين راكبًا .

فَأَتَى حُيَيَّ بنَ أخطَب ، فضَرَبَ عليه بابَه فأَبَى أن يَفتَحَ له بابَه وخافَه فانصَرَفَ عنه إلى سَلاّم بنِ مِشْكَم ، وكان سَيّدَ بني النضير في زَمانِه ذلك وصاحِبَ كَنزِهم فاستأذَنَ عليه فأذِنَ له فَقَرَاه وسَقاه وبَطَنَ له من خَبَرِ النّاسِ ثُمّ خَرَجَ في عَقِبِ لَيلَتِه حتى أتَى أصحابَه فبَعَثَ رِجالاً من قُرَيْشٍ [إلى المَدينَةِ] ، فأتَوْا ناحيَةً منها ، يُقالُ لها : العَرِيضُ ، فحَرَقُوا في أصوارٍ من نَخلٍ بها ، ووَجَدُوا بها رَجُلاً من الأنصارِ وحَليفًا له في حَرْثٍ لهما ، فقَتَلُوهما ، ثُمّ انصَرَفُوا راجِعينَ ونَذِرَ بِهِم النّاسُ . فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ في طَلَبِهم واستَعمَلَ على المَدينَةِ بَشيرَ بنَ عبدِ المُنذِرِ [وهو أبو لُبابَةَ فيما قال ابنُ هشام] ، حتى بَلَغَ قَرقَرَةَ الكُدرِ ، ثُمّ انصَرَفَ راجِعًا ، وقد فاتَه أبو سُفيانَ وأصحابُه وقد رَأَوْا أزوادًا من أزوادِ القَوْمِ قد طَرَحُوها في الحَرْثِ يَتَخَفَّفُونَ منها لِلنّجاءِ فقالَ المُسلِمُونَ حَيْنَ رَجَعَ بِهِم رسولُ الله ﷺ يا رسولَ الله أتَطمَعُ لنا أن تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قال نَعم .

قال ابنُ هشام : وإنّما سُمّيَتْ غَزْوَةَ السَّويقِ ، فيما حَدّثَني أبو عُبَيْدَةَ أنّ أكثَرَ ما طَرَحَ القَوْمُ من أزوادِهِم السّويقُ ، فَهَجَمَ المُسلِمُونَ على سَويقٍ كَثيرٍ فَسُمّيَتْ غَزْوَةَ السّويقِ .

قال ابنُ إسحاقَ : [٢/أ] وقال أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ عند مُنصَرَفِه لِما صَنَعَ به سَلاّمُ بنُ مِشْكَم :

وَإنّي تَخَيّرْتُ المَدينَـةَ واحِـدًا	لِحِلْفٍ فَلَم أنْـدَم ولَمْ أتَلَـوّم
سَقاني فَرَواني كُمَيْتًا (١) مُدامَـةً	على عَجَلٍ مِنّي سَلاّمُ بنُ مِشْكَمِ
وَلَمّا تَوَلّى الجَيْشُ قلتُ ولَمْ أكُن	لأُفرِحَه (٢) أبْشِرْ بِعَزٍّ ومَغْنَـمِ
تَأمّلْ فَإنّ القَوْمَ سِرّ (٣) وإنّهـم	صَريحُ لُؤَيّ لا شَماطيطُ جُرْهـمِ
وَما كان إلاّ بَعْضُ لَيْلَـةِ راكِبٍ	أتَى ساعِيًا من غَيْرِ خَلّةِ مُعْدِمِ

غَزْوَةُ ذي أمَر

فلَمّا رَجَعَ رسولُ الله ﷺ من غَزْوَةِ السّويقِ ، أقامَ بالمَدينَةِ بقيةَ ذي الحَجّةِ أو قَريبًا منها ، ثُمّ غَزا نَجْدًا ، يُريدُ غَطَفانَ ، وهيَ غَزْوَةُ ذي أمَرَ واستَعمَلَ على المَدينَةِ عثمانَ بنَ عَفّانَ فيما قال ابنُ هشام .

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ بِنَجْدٍ صَفَرًا كُلّه أوْ قَريبًا من ذلك ثُمّ رَجَعَ إلى المَدينَةِ ، ولَم يَلْقَ

(١) الكميت : من أسماء الخمر .

(٢) لأفرحه : أي لأشق عليه .

(٣) سر القوم : خالصهم . الشماطيط : المختلطون .

كَيْدًا . فَلَبِثَ بِها شَهْرَ رَبيعِ الأوّلَ كُلّه أوْ إلاّ قَليلاً مِنه [١].

غزوة الفُرُع من بُحْران

ثُمّ غَـزا رسولُ اللهِ ﷺ يُريدُ قُرَيْشًا ، واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ابن أُمّ مَكْتُوم ، فيما قال ابنُ هشام . قال ابنُ إسحاقَ : حتى بَلَغَ بُحْرانَ ، مَعْدِنًا بالحجازِ من ناحيَةِ الفُرُعِ ، فَأقامَ بِها شَهْرَ رَبيعٍ الآخِرِ وجُمادَى الأُولَى ، ثُمّ رَجَعَ إلى المَدينَةِ ولم يَلْقَ كَيْدًا .

أمر بني قَيْنقاع

(قال) : وقد كان فيما بَيْنَ ذلك من غَزْوِ رسولِ الله ﷺ **أمْرَ بني قَيْنُقاعَ ، وكان من حَديثِ** بني قَيْنُقاع أنّ رسولَ الله ﷺ جَمَعَهم بِسُوقِ بني قَيْنُقاع ثُمّ قال : يا مَعْشَرَ يَهُودَ احْذَرُوا من الله مِثْلَ ما نَزَلَ بِقُرَيْشٍ من النّقْمَةِ وأسْلِمُوا ، فَإنّكم قد عَرَفْتُم أنّي نَبِيّ مُرْسَلٌ تَجِدُونَ ذلك في كِتابِكُم وعَهْدِ الله إلَيْكُم قالُوا : يا مُحَمّدُ إنّك تَرَى أنّا قَوْمُك لا يَغُرّنَكَ أنّك لَقِيتَ قَوْمًا لا عِلْمَ لهم بِالحَرْبِ فَأصَبْتَ منهم فُرْصَةً إنّا والله لَئِن حارَبْناك لَتَعْلَمَنّ أنّا نحن النّاسَ [٢]

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني مَوْلًى لآلِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أوْ عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال ما نَزَلَ هَؤُلاءِ الآياتُ إلاّ فيهم **﴿قُلْ لِلّذينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبونَ وتُحْشَرُونَ إلى جَهَنّمَ وبِئْسَ المِهادُ قد كان لَكُم آيَةٌ في فِئَتَيْنِ التَقَتا﴾** أيْ أصْحابِ بَدْرٍ من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ وقُرَيْشٍ **﴿فِئَةٌ تُقاتِلُ في سَبيلِ الله وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهم مِثْلَيْهِم رَأْيَ العَيْنِ والله يُؤَيّدُ بِنَصْرِه مَن يَشاءُ إنّ في ذلك لَعِبْرَةً لأُولِي الأبْصارِ﴾** [٣]

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ [٤] : أنّ بني قَيْنُقاعَ كانوا أوّلَ يَهُودَ نَقَضُوا ما بَيْنَهم وبَيْنَ رسولِ الله ﷺ وحارَبوا فيما بَيْنَ بَدْرٍ وأُحُدٍ .

قال ابنُ هشامٍ : وذَكَرَ [٢/ب] عبدُ الله بنُ جَعْفَرِ بنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، عن أبي عَوْنٍ [٥]

---

(١) مرسل : البيهقي في الدلائل (١٦٧/٣ ١٦٨ - ١٦٩) وابن سعد في الطبقات (٢٦/٢) وقد سبق أن ابن سعد ساق الغزوات جميعها عن الزهري وعروة وشيوخ الواقدي وبعض الصحابة وبعد ذكر الأسانيد قال : دخل كلام بعضهم في بعض ولم يفرق بينهم .

(٢) ضعيف الإسناد : رواه أبو داود (٣٠٠١) من طريق ابن إسحاق ، وكذلك البيهقي دلائل (١٧٣/٣) وسنده فيه محمد بن أبي محمد مجهول .

(٣) مثل سابقه بل هو نفسه .

(٤) مرسل : رواه البيهقي دلائل (١٧٤/٣) من طريق ابن إسحاق والطبري في التاريخ (٤٩/٢) .

(٥) معلق : علقه ابن هشام وهو مع ما ذكر مرسل ، وأبو عون مجهول . قال ابن أبي حاتم في الجرح (٤١٤/٢/٤): روي عن عبد الله بن الزبير ، روى عنه عبد الله بن جعفر المخرمي سمعت أبي يقول ذلك . وقال وسئل أبو ....=

قال كان من أمرِ بني قَيْنُقاع أنَّ امرأةً من العَرَبِ قَدِمَتْ بجَلَبٍ لها ، فَباعَتْه بِسُوقِ بني قَيْنُقاعَ ، وجَلَسَتْ إلى صائغٍ بها ، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَها على كَشْفِ وجْهِها ، فَأَبَتْ فَعمِدَ الصائغُ إلى طَرَفِ ثَوْبِها فَعَقَدَه إلى ظَهْرِها ، فَلَمّا قامَتِ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُها ، فَضَحِكُوا بِها ، فَصاحَتْ . فَوَثَبَ رَجُلٌ من المُسْلِمينَ على الصّائغِ فَقَتَلَه وكان يَهُودِيًا ، وشَدَّتِ اليَهُودُ على المُسْلِمِ فَقَتَلُوه فاسْتَصْرَخَ أهلُ المُسْلِمِ المُسْلِمِينَ على اليَهُودِ ، فَغَضِبَ المُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشَرّ بَيْنَهم وبَيْنَ بني قَيْنُقاعَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ [١] قال فَحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلُوا على حُكْمِه فَقامَ إلَيْه عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ حينَ أمكَنَه الله منهم فَقال يا مُحَمَّدُ أحْسِنْ في مَوالِيَّ وكانوا حُلَفاءَ الخَزْرَجِ ، قال فَأَبْطَأَ عليه رسولُ الله ﷺ فَقال يا مُحَمَّدُ أحْسِنْ في مُوالِيَّ قال فَأَعْرَضَ عنه . فَأَدْخَلَ يَدَه في جَيْبِ دِرْعِ رسولِ الله ﷺ . قال ابنُ هشامٍ : وكان يُقالُ لها : ذاتَ الفُضُولِ .

قال ابنُ إسحاقَ [٢] : فَقال له رسولُ الله ﷺ : «أرْسِلْني» ، وغَضِبَ رسولُ الله ﷺ حتى رَأَوْا لِوَجْهِه ظُلَلاً ، ثُمَّ قال : «ويْحَكَ أرْسِلْني» ، قال : لا والله لا أُرْسِلُك حتى تُحْسِنَ في مُوالِيَّ أَرْبَعَ مِئَةِ حاسِرٍ وثَلاثُ مِئَةِ دارِعٍ قد مَنَعُوني من الأحْمَرِ والأسْوَدِ تَحْصُدُهم في غَداةٍ واحِدَةٍ إنّي والله امرُؤٌ أخْشَى الدَّوائِرَ قال فَقال رسولُ الله ﷺ : «هم لَكَ» . قال ابنُ هشام : واسْتَعْمَلَ رسولُ الله ﷺ على المَدينَةِ في مُحاصَرَتِه إيّاهم بَشيرَ بنَ عبدِ المُنْذِرِ وكانَتْ مُحاصَرَتُه إيّاهم خَمسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثَني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن عُبادَةَ بنِ الوَلِيدِ بنِ عُبادَةَ بنِ الصّامِتِ [٣] ، قال لَمّا حارَبَتْ بنُو قَيْنُقاع رسولَ الله ﷺ تَشَبَّثَ بِأمرِهِم عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ وقامَ دُونَهم قال ومَشَى عُبادَةُ بنُ الصّامِتِ إلى رسولِ الله ﷺ وكان أحَدَ بني عَوْفٍ لهم من حِلْفِه مِثْلُ الذي لهم من عبدِ الله ابنِ أُبَيّ ، فَخَلَعَهم إلى رسولِ الله ﷺ وتَبَرَّأَ إلى الله عَزّ وجَلّ وإلى رسولِه ﷺ من حِلْفِهِم وقال يا رسولَ الله أتَوَلّى اللهَ ورسولَه ﷺ والمُؤْمِنينَ وأبْرَأُ من حِلْفِ هَؤُلاءِ الكُفّارِ ووِلايَتِهِم . ففيه وفي عبدِ الله بنِ أُبَيّ نَزَلَتْ هذه القِصّةُ من المائِدَةِ ﴿يا أيها الذينَ

= زرعة عنه فقال هو مدني لا نعرفه . قال أبو محمد بن أبي حاتم : إذا لم يعرفه مثله فقد جعله مجهولاً .

(١) مرسل .

(٢) مرسل : من رواية عاصم بن عمر كما ساقه الطبري في التاريخ (٢/٤٩) من رواية ابن إسحاق عنه .

(٣) مرسل : رواه ابن جرير تفسير (٤/٦/٢٧٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٥٠٦) والبيهقي في الدلائل (٣/١٧٤) كلهم من طريق ابن إسحاق ، وهذا سند ، وعبادة بن الوليد له رواية عن جده عبادة بن الصامت ، وله شاهد من مرسل عطية العوفي رواها ابن جرير نفس المصدر .

آمَنُوا لا تَتّخِذُوا اليَهُودَ والنّصارَى أوْلياءَ بَعْضُهم أوْلياءُ بَعْضٍ ومَن يَتَوَلّهم مِنكُم فإنّه منهم إنّ اللهَ لا يَهْدي القَوْمَ الظّالِمينَ فتَرَى الذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ ﴾ أيْ لِعبدِ الله بنِ أُبَيّ وقَوْلُه : إنّي أخْشَى الدّوائرَ ﴿يُسارِعُونَ فيهم يقولونَ نَخْشَى أن تُصيبنا دائرةٌ فعَسَى اللهُ أن يَأْتيَ بالفَتْحِ أو أمرٍ من عِنْدِه فيُصْبِحُوا على ما أسَرّوا في أنْفُسِهِم نادِمينَ ويقولُ الذينَ آمَنُوا أهَؤُلاءِ الذينَ أقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيْمانِهِم﴾ ثُمّ القِصّةُ إلى قَوْلِه تَعالى : ﴿إنّما وليّكُم اللهُ ورسولُه والذينَ آمَنُوا الذينَ يُقيمُونَ الصّلاةَ ويُؤْتُونَ الزّكاةَ وهم راكِعُونَ﴾ وَذَكَرَ لِتَوَلّي عُبادَةَ بنِ الصّامِتِ اللهَ ورسولَه والذينَ آمَنُوا ، وتَبَرّئه من بني قَيْنُقاعٍ وحِلْفِهِم ووِلايَتِهِم ﴿وَمَن يَتَوَلّ اللهَ ورسولَه والذينَ آمَنُوا فإنّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ﴾ [٣/أ] .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة من مياه نجد

قال ابن إسحاق [(١)] : وسَرِيّةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ التي بَعَثَه رسولُ الله ﷺ فيها ،حيْنَ أصابَ عيرَ قُرَيْشٍ ، وفيها أبو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ على القَرَدَةِ ، ماءٌ من مياه نَجْدٍ . وكان من حَديثِها : أنّ قُرَيْشًا خافُوا طَريقَهم الذي كانوا يَسْلُكُونَ إلى الشّأْمِ حينَ كان من وقْعَةِ بَدْرٍ ما كان فَسَلَكُوا طَريقَ العِراقِ ، فخَرَجَ منهم تُجّارٌ فيهم أبو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ ومَعَه فِضّةٌ كَثيرَةٌ وهيَ عُظْمُ تِجارَتِهِم واسْتَأْجَرُوا رَجُلاً من بني بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، يُقال له فُراتُ بنُ حَيّانَ يَدُلّهم في ذلك على الطّريقِ .

قال ابنُ هشام : فُراتُ بنُ حَيّانَ ، من بني عِجْلٍ حَليفٌ لِبَني سَهْمٍ .

قال ابنُ إسحاق : وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ فَلَقِيَهم على ذلك الماءِ فأصابَ تِلْكَ العيرَ وما فيها ، وأعْجَزَه الرّجالُ فَقَدِمَ بها على رسولِ الله ﷺ . فقال حسّانُ بنُ ثابتٍ بعد أُحُدٍ في غَزْوَةِ بَدْرٍ الآخِرَةِ يُؤَنّبُ قُرَيْشًا لأخْذِهِم تِلْكَ الطّريقِ

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حالَ دُونَها ... جِلادٌ كأفْواهِ المَخاضِ الأوارِكِ

بأيْدي رِجالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبّهِم ... وَأنْصارِهِ حَقًّا وأيْدي المَلائِكِ

إذا سَلَكَتْ لِلغَوْرِ من بَطْنِ عالِجٍ ... فَقُولا لها ليس الطّريقُ هُنالِكَ

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ في أبْياتٍ لِحسّانَ [بنِ ثابت] نَقَضَها عليه أبو سُفْيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ ، وسَنَذْكُرُها ونَقيضَتَها إن شاءَ اللهُ في مَوْضِعِها .

* * *

---

(١) ذكرها أيضا ابن سعد في الطبقات (٢/٢٧) بأسانيده المتداخلة كما ذكرنا قبل . ومن رواية ابن إسحاق والواقدي رواها ابن جرير في التاريخ (٢/٥٥) والبيهقي في الدلائل (٣/٧٠ - ٧١) .

قَتْلُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ

قال ابنُ إسحاقَ : وكان من حَديثِ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ : أنّه لَمّا أُصيبَ أصْحابُ بَدْرٍ ، وقَدِمَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ إلى أهلِ السّافِلَةِ ، وعبدُ الله بنُ رَواحَةَ إلى أهلِ العاليَةِ بَشيرَيْنِ بَعَثَهما رسولُ الله ﷺ إلى مَن بالمَدينَةِ من المُسْلِمينَ بفَتْحِ الله [عزّ وجلّ] عليه وقُتِلَ مَن قُتِلَ من المشْركينَ .

كَما حَدّثَني عبدُ الله بنُ المُغيثِ بنِ أبي بُرْدَةَ الظَّفَريّ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحمّدِ بنِ عمرو ابنِ حَزْمٍ ، وعاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، وصالِحُ بنُ أبي أُمامَةَ بنِ سَهْلٍ كُلّ قد حَدّثَني بَعْضَ حَديثِه قالُوا [١] : قال كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ وكان رَجُلاً من طَيّئٍ ثُمّ أحَدَ بني نَبْهانَ وكانَتْ أُمّه من بني النّضيرِ حينَ بَلَغَه الخَبَرُ : أحَقّ هذا ؟ أتَرَوْنَ مُحمّدًا قَتَلَ هَؤُلاءِ الذينَ يُسَمّى هذانِ الرّجُلانِ - يَعْني زَيْدًا وعبدَ الله بنَ رَواحَةَ - فَهَؤُلاءِ أشْرافُ العَرَبِ ومُلُوكُ النّاسِ واللهِ لَئِن كان مُحَمّدٌ أصابَ هَؤُلاءِ القَوْمَ لَبَطْنُ الأرْضِ خَيْرٌ من ظَهْرِها .

فَلَمّا تَيَقّنَ عَدُوّ الله الخَبَرَ ، خَرَجَ حتى قَدِمَ مَكّةَ ، فَنَزَلَ على المُطّلِبِ بنِ أبي وداعَةَ بنِ ضُبَيْرَةَ السّهْميّ وعنده عاتِكَةُ بِنْتُ أبي العيصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمْسِ بنِ عبدِ مَنافٍ فَأنْزَلَتْه وأكْرَمَتْه وجَعَلَ يُحَرّضُ على رسولِ الله ﷺ ويُنْشِدُ الأشْعارَ ويَبْكي أصْحابَ القَليبِ من قُرَيْشٍ ، الذينَ أُصيبوا بِبَدْرٍ فقال : [٣/ب]

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِك أهلِه ... وَلِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلّ وتَدْمَعُ

قُتِلَتْ سَراةُ النّاسِ حَوْلَ حِياضِهِم ... لا تَبْعَدُوا إنّ المُلُوكَ تُصَرّعُ

كَمْ قد أُصيبَ به من أبْيَضَ ماجِدٍ ... ذي بَهْجَةٍ يَأوي إلَيْه الضّيَعُ [٢]

طَلْق اليَدَيْنِ إذا الكَواكِبُ أخْلَفَتْ ... حَمّالُ أثْقالٍ يَسُودُ ويَرْبَعُ [٣]

وَيقولُ أقْوامٌ أُسَرّ بِسَخَطِهِم ... إنّ ابنَ الأشْرَفِ ظَلّ كَعْبًا يَجْزَعُ

صَدَقُوا فَلَيْتَ الأرْضُ ساعَةَ قُتّلُوا ... ظَلّتْ تَسُوخُ بِأهلِها وتُصَدّعُ

---

(١) مراسيل :رواها عن ابن إسحاق كلٌّ من الطبري في التاريخ (٢/٥٢) والبيهقي دلائل (٣/١٨٧) ورواها ابن سعد في الطبقات (٢/٢٤) .

(٢) الضيع : جمع ضائع وهو الفقير .

(٣) طلق اليد : أي كثير المعروف . أخلفت : أي لم يكن معها مطر . يربع : أي يأخذ الربع ، أي أنه كان رئيسا لأن الرئيس في الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة .

صارَ الذي أثـرَ الحديثَ بِطعْنِـه ... أوْ عاشَ أعمَى مُرْعَشًا لا يَسْمَـعُ
نُبِّئتُ أنّ بنـي المُغيـرةِ كلّهـم ... خَشَعُوا لِقَتْلِ أبي الحكيمِ وجُدّعُوا
وابنـا رَبيعةَ عنـده ومُنَبّهٌ ... نـالَ مِثْلَ المُهْلَكيـنَ وتُبّـعُ
نُبِّئتُ أنّ الحـارثَ بـنَ هشامِهـم ... في النّاسِ يَبني الصّالحاتِ ويَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَثْـرِبَ بالجُمُـوعِ وإنّمـا ... يَحْمَى على الحَسَبِ الكَريمِ الأرْوَعُ

قال ابنُ هشام: قَوْلُه «تُبّعُ»، «وأُسِرَ بِسَخَطِهِم» عن غَيْرِ ابنِ إسحاق.

قال ابنُ إسحاق:

أبْكَى لِكَعْبٍ ثُمّ عُـلّ بِعَبْرَةٍ ... مِنْه وعاشَ مُجَدّعًا لا يَسْمَعُ
وَلَقد رَأيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ منهـم ... قَتْلَى تَسُحُّ لها العُيُونُ وتَدْمَعُ
فابْكِي فقد أبْكَيْتَ عبدًا راضِعًا ... شِبْهَ الكُلَيْبِ إلى الكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَلَقد شَفَى الرّحْمَنُ مِنّـا سَيّدًا ... وَأهانَ قَوْمًا قاتَلُـوه وصُرّعُوا
وَنَجا وأُفْلِتَ منهم مَـن قَلْبُـه ... شَغَفٌ يَظَلُّ لِخَوْفِه يَتَصَدّعُ

قال ابنُ هشام: وأكثَرُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِحسّانَ. وقَوْلُه «أبْكَى لِكَعْبٍ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاق.

قال ابنُ إسحاق: وقالتِ امرأةٌ من المُسْلِمِينَ من بني مُرَيْدٍ بَطْنٌ من بَلِيّ، كانوا حُلَفاءَ في بني أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ يُقالُ لهم الجَعادِرَةُ، تُجيبُ كَعْبًا - قال ابنُ هشام: اسْمُها مَيْمُونَةُ بِنْتُ عبدِ الله، وأكْثَرُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُ هذه الأبْياتَ لها، ويُنْكِرُ نَقيضَتَها لِكَعْبِ بنِ الأشْرَفِ.

تَحَنّنَ هذا العبـدُ كُـلّ تَحَنّنٍ ... يُبَكّـي على قَتْلَى وليس بِنـاصِبِ
بَكَتْ عَيْنُ مَن يَبْكي لِبَدْرٍ وأهلِه ... وَعُلّتْ بِمِثْلَيْها لُـؤَيّ بـنُ غالِبِ
فَلَيْتَ الذينَ ضُرّجُوا بِـدِمائِهم ... يَرَى ما بِهِم مَن كان بَيْنَ الأخاشِبِ
فَيَعْلَمَ حَقًّا عن يَقيـنٍ ويُبْصِرُوا ... مَجَرّهم فَوْقَ اللّحَى والحـواجِبِ [٤/أ]

فأجابَها كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ، فقال:

ألا فازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفيهًا (١) لِتَسْلَمُوا ... عن القَوْلِ يَأتي مِنه غَيْرَ مُقـارِبِ
أتَشْتُمُني أن كُنْتُ أبْكـي بِعَبْـرَةٍ ... لِقَوْمٍ أتاني وُدّهـم غَيْـرَ كـاذِبِ

---

(١) يريد بالسفيه: ميمونة قائلة الشعر السابق.

فإنِّي لَبَاكٍ مـا بَقيتُ وذاكِـرٌ مَآثِرَ قـوْمٍ مـجْدُهم بِالجَباجِبِ
لَعمري لَقـد كانَتْ مُزَيْـدٌ بِمَعْزِلٍ عن الشّرّ فاحْتالتْ وُجُوهُ الثّعالِبِ
فَحُقَّ مُزَيْدٌ أن تُجَـدَّ أُنُوفُهـم بِشَتْمِهِم حَيَّي لُـؤَيِّ بـنِ غالِبِ
وَهَبْتُ نَصيبي مـن مُـزَيْدٍ لِجَعْدَرٍ وَفـاءً وبَيْتُ الله بَـيْنَ الأخاشِبِ

[تشبيبُ كعبٍ بنساءِ المسلمين والحيلةُ في قتله]

ثُمّ رَجَعَ كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ إلى المَدينَةِ فشبب بِنساءِ المُسْلِمينَ حتى آذاهم . فَقال رسولُ الله ﷺ كَما حَدَّثَني عبدُ الله بنُ المُغيثِ بنِ أبي بُرْدَةَ «**مَن لي بابنِ الأشْرَفِ ؟**» فَقال له مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ أخُو بني عبدِ الأشْهَلِ أنا لَكَ به يا رسولَ الله أنا أقْتُلُه قال : «**فافْعَلْ إن قَدَرْتَ على ذلك**» .

فَرَجَعَ مُحَمَّدُ بنُ مَسلَمَةَ فَمَكَثَ ثَلاثًا لا يَأكُلُ ولا يَشْرَبُ إلاّ ما يُعْلِقُ به نَفْسَه فَذُكِرَ ذلك لِرسولِ الله ﷺ فَدَعاه فَقال له «**لِمَ تَرَكْتَ الطّعامَ والشّرابَ ؟**» فَقال يا رسولَ الله قلت لَك قَوْلاً لا أدْري هَل أفِيَنَّ لَك به أم لا ؟ فَقال : «**إنّمَا عَلَيْكَ الجَهْدُ**» فَقال يا رسولَ الله إنّه لا بُدّ لَنا من أن نَقُولَ قال : «**قُولُوا ما بَدا لَكُمْ فَأَنْتُم في حِلّ من ذلك**» .

فاجْتَمع في قَتْلِه مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ ، وسِلْكانُ بنُ سَلامَةَ بنِ وقْشٍ وهو أبو نائِلَةَ أحَدُ بني عبدِ الأشْهَلِ ، وكان أخا كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ من الرّضاعَةِ وعَبّادُ بنُ بِشْرِ ابنِ وقْشٍ ، أحَدُ بني عبدِ الأشْهَلِ ، والحارِثُ بنُ أوْسِ بنِ مُعاذٍ أحَدُ بني عبدِ الأشْهَلِ ، وأبو عَبْسِ بنِ جَبْرٍ أحَدُ بني حارِثَةَ ؛ ثُمّ قَدِمُوا إلى عَدُوّ الله كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ قَبْلَ أن يَأْتُوه سِلْكانَ بنَ سَلامَةَ أبا نائِلَةَ فَجاءَه فَتَحَدّثَ مَعَه ساعَةً وتَناشَدُوا شِعْرًا ، وكان أبو نائِلَةَ يقول الشّعْرَ ثُمّ قال : ويْحَك يا ابنَ الأشْرَفِ إنّي قد جِئْتُك لِحاجَةٍ أُريدُ ذِكْرَها لَك ، فاكْتُم عَنّي ؛ قال أفْعَلُ قال كان قُدُومُ هذا الرّجُلِ عَلَيْنا بَلاءً من البَلاءِ عادَتْنا به العَرَبُ ، ورَمَتْنا عن قَوْسٍ واحِدَةٍ وقَطَعَتْ عَنّا السّبُلَ حتى ضاعَ العِيالُ وجُهِدَتِ الأنْفُسُ وأصْبَحْنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عِيالُنا .

فَقال كَعْبٌ : أنا ابنُ الأشْرَفِ ، أما والله لَقد كُنْتُ أُخْبِرُك يا ابنَ سَلامَةَ أنّ الأمْرَ سَيَصيرُ إلى ما أقُولُ فَقال له سِلْكانُ إنّي قد أرَدْتُ أن تَبيعَنا طَعامًا ونَرْهَنَك ونُوثِقَ لَك ، وتُحْسِنُ في ذلك فَقال أتَرْهَنُونَني أبناءَكُم ؟ قال لَقد أرَدْتَ أن تَفْضَحَنا إنّ مَعي أصْحابًا لي على مِثْلِ رَأْيي ، وقد أرَدْتُ أن آتيَك بِهِم فَتَبيعَهُم وتُحْسِنُ في ذلك ونَرْهَنُك من الحَلْقَةِ ما فيه وفاءٌ وأرادَ سِلْكانُ أن لا يُنْكِرَ السّلاحَ إذا جاءُوا بها ؛ قال إنّ في الحَلْقَةِ لَوَفاءً قال فَرَجَعَ سِلْكانُ إلى أصْحابه فَأَخْبَرَهم خَبَرَه

وأَمَرَهم أن يَأْخُذُوا السّلاحَ ثُمّ يَنطَلِقُوا فَيَجتَمِعُوا إلَيْه فاجْتَمَعُوا عند رسولِ الله ﷺ [1] .

قال ابن هشام : ويُقالُ أتَرْهَنُونَني نِساءَكُم ؟ قال كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِساءَنا ، وأنْتَ أشَبّ أهلِ يَثْرِبَ وأعْطَرُهم قال أتَرْهَنُونَني أبناءَكُم ؟

قال ابن إسحاق : فَحَدّثَني ثَوْرُ بنُ زَيْدٍ عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ [2] . [٤/ب] قال مَشَى مَعَهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ ، ثُمّ وجّههم فقال : «**انطَلِقُوا على اسمِ الله ؛ اللّهمّ أعِنْهم**» ثُمّ رَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى بَيْتِه وهو في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ وأقْبَلُوا حتى انْتَهَوْا إلى حِصْنِه فَهَتَفَ به أبو نائِلَةَ وكان حَديثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ فَوَثَبَ في مِلْحَفَتِه فَأَخَذَتِ امرأتُه بناحيَتِها ، وقالتْ إنّكَ امرُؤٌ مُحارِبٌ وإنّ أصْحابَ الحَرْبِ لا يَنْزِلُونَ في هذه السّاعَةِ قال إنّه أبو نائِلَةَ لَوْ وجَدَني نائِمًا لَما أيْقَظَني ؛ فَقالتْ واللهِ إنّي لأَعْرِفُ في صَوْتِه الشّرّ قال يقول لها كَعْبٌ لَوْ يُدْعَى الفَتَى لِطَعْنَةٍ لأَجابَ . فَنَزَلَ فَتَحَدّثَ مَعَهم ساعَةً وتَحَدّثُوا مَعَه ثُمّ قال هَلْ لَكَ يا ابنَ الأشْرَفِ أن تَتَماشَى إلى شِعْبِ العَجُوزِ ، فَنَتَحَدّثَ به بَقيّةَ لَيْلَتِنا هذه ؟ قال إن شِئْتُم . فَخَرَجُوا يَتَماشَوْنَ فَمَشَوْا ساعَةً ثُمّ إنّ أبا نائِلَةَ شامَ يَدَه في فَوْدِ رَأْسِه ثُمّ شَمّ يَدَه فقال ما رَأيْت كاللّيْلَةِ طيبًا أعْطَرَ قَطّ ، ثُمّ مَشَى ساعَةً ثُمّ عادَ لِمِثْلِها حتى اطْمَأَنّ ثُمّ مَشَى ساعَةً ثُمّ عادَ لِمِثْلِها ، فَأَخَذَ بِفَوْدِ رَأْسِه ثُمّ قال اضْرِبوا عَدُوّ الله فَضَرَبُوه فاخْتَلَفَتْ عليه أسيافُهم فَلَمْ تُغْنِ شيئًا .

قال مُحَمّدُ بنُ مَسْلَمَةَ : فَذَكَرْتُ مِغْوَلاً في سَيْفي ، حينَ رَأيْتُ أسيافَنا لا تُغْني شيئًا ، فَأَخَذْتُه وقد صاحَ عَدُوّ الله صَيْحَةً لَم يَبْقَ حَوْلَنا حِصْنٌ إلاّ وقد أُوقِدَتْ عليه نارٌ قال فَوَضَعْته في ثُنّتِه ثُمّ تَحامَلْتُ عليه حتى بَلَغْتُ عانَتَه فَوَقَعَ عَدُوّ الله وقد أُصيبَ الحارِثُ بنُ أوْسِ بنِ مُعاذٍ فَجُرِحَ في رَأْسِه أوْ في رِجْلِه أصابَه بَعْضُ أسيافِنا . قال فَخَرَجْنا حتى سَلَكْنا على بني أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ ثُمّ على بني قُرَيْظَة ، ثُمّ على بُعاثٍ حتى أسْنَدْنا في حَرّةِ العَرِيضِ ، وقد أبْطَأَ عَلَيْنا صاحِبُنا الحارِثُ بنُ أوْسٍ ، ونَزَفَه الدّمُ فَوَقَفْنا له ساعَةً ثُمّ أتانا يَتْبَعُ آثارَنا . قال فاحْتَمَلْناه فَجِئْنا به رسولَ الله ﷺ آخِرَ اللّيْلِ وهو قائِمٌ يُصَلّي ، فَسَلّمنا عليه فَخَرَجَ إلَيْنا . فَأَخْبَرْناه بِقَتْلِ عَدُوّ الله وتَفَلَ على جُرْحِ صاحِبِنا ، فَرَجَعَ ورَجَعْنا إلى أهلِنا فَأَصْبَحْنا وقد خافَتْ يَهُودُ لِوَقْعَتِنا بِعَدُوّ الله فَليس بِها يَهُوديّ إلاّ وهو يَخافُ على نَفْسِه .

---

(١) صحيح لغيره : سند ابن إسحاق مرسل ، والقصة رواها البخاري (٤٠٣٧) ومسلم (١٨٠١) من حديث جابر ، ومن حديث كعب بن مالك ، رواها أبو داود (٣٠٠٠) والبيهقي دلائل (١٩٧/٣) وقد سبق تخريجه . ومن حديث ابن عباس وهو الآتي .

(٢) حسن الإسناد : رواه أحمد (٢٦٦/١) والبزار كشف الأستار (٣٣٠/٢) والطبراني في الكبير (١١٥٥٤ - ١١٥٥٥) والحاكم (٩٨/٢) والبيهقي دلائل (٢٠٠/٣) .

قال ابنُ إسحاقَ :

فَغُودِرَ منهم كَعْبٌ صَرِيعًا ... فَذَلَّتْ بعد مَصْرَعِه النّضِيرُ
على الكَفَّيْنِ ثَمَّ وقد عَلَتْه ... بأيْدِينا مُشْهَـرَةٌ ذُكُـورُ
بأمرِ مُحَمّدٍ إذْ دَسّ لَيْـلاً ... إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَمَا كَـرِهَ فأنْزَلَه بِمَـكْرٍ ... وَمَحْمُودٌ أخُو ثِقَةٍ جَسُـورُ

قال ابنُ هشامٍ : وهذه الأبْياتُ في قَصيدَةٍ له في يوم بني النّضيرِ ، سَأذْكُرُها إن شاءَ الله في [حَديثِ] ذلك اليوم .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ وقَتْلَ سَلاّمِ بنِ أبي الحُقَيْقِ**

لِلّه دَرّ عِصابَـةٍ لاقَيْتَهـم ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأنْتَ يا ابـنَ الأشْرَفِ
يَسْرُونَ بالبِيضِ الخِفافِ إلَيْكُمُ ... مَرَحًا كأُسْـدٍ في عَـرِينٍ مُغْرِفِ
حتى أتَوْكُمْ في مَحَـلّ بِلادِكُـم ... فَسَقَوْكُـم حَتْفًـا بِبِيـضٍ ذُفّفِ [1]
مُسْتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيّهِـم ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُـلّ أمْـرٍ مُجْحِفِ

قال ابنُ هشامٍ : وسَأذْكُرُ قَتْلَ سَلاّمِ بنِ أبي الحُقَيْقِ في مَوْضِعِه إن شاءَ الله وقَوْلُه «ذُفّفٍ» ، عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

أمرُ مُحَيِّصَةَ وحُوَيِّصَةَ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال رسولُ الله ﷺ : «**مَن ظَفِرْتُم به من رِجالِ يَهُودَ فاقْتُلُوه**» فَوَثَبَ مُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودٍ - قال ابنُ هشام : [مُحَيْصَةُ] . ويُقالُ مُحَيِّصَةُ ابنُ مَسْعُودِ بنِ كَعْبِ بنِ عامِرِ ابنِ عَديّ بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عمرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ - على ابنِ سُنَيْنَةَ - قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ سُبَيْنَةَ - رَجُلٌ من تُجّارِ يَهُودَ كان يُلابِسُهم [٥/أ] ويُبايِعُهم فَقَتَلَه وكان حُوَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودٍ إذْ ذاكَ لَم يُسْلِم وكان أسَنّ من مُحَيِّصَةَ فَلَمّا قَتَلَه جَعَلَ حُوَيِّصَةُ يَضرِبُه ويقول : أيْ عَدُوّ الله أقَتَلْتَه أما والله لَرُبّ شَحْمٍ في بَطْنِك من مالِه . قال مُحَيِّصَةُ فَقُلْتُ : والله لَقد أمَرَني بِقَتْلِه مَن لَوْ أمَرَني بِقَتْلِك لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ؛ قال فَوالله إن كان لأوّلَ إسلامِ حُوَيِّصَةَ قال آوَاللّه لَوْ أمَرَك مُحَمّدٌ بِقَتْلي لَقَتَلْتَني ؟ قال نَعم والله لَوْ أمَرَني بِضَرْبِ عُنُقِك لَضَرَبْتُها قال والله إنّ دِينًا

---

(١) المراد بالبيض : السيوف . ذفف : سريعة القتل .

بَلَغَ بك هذا لَعَجَبٌ فأسلَمَ حُوَيِّصَة . قال ابنُ إسحاقَ : حَدَّثني هذا الحديثَ مَوْلًى لِبني حارِثَةَ عن ابنه مُحَيِّصَةَ عن أبيها مُحَيِّصَةَ [1] .

يَلُومُ ابنُ أُمّي لَوْ أُمِرْتُ بِقَتْلِـــه لَطَبَقْتُ ذِفْراه بِأبْيَضَ قاضِبِ [2]
حُسامٍ كَلَوْنِ المِلحِ أُخْلِصَ صَقْلُه مَتَى مــــا أُصَوِّبْه فَليس بِكاذِبِ
وَما سَرّنِي أَنّي قَتَلْتُــكَ طائِعًــا وَأَنّ لَنـا مـا بَيْنَ بُصْرَى ومَأرِبِ

قال ابنُ هشام : وحَدَّثني أبو عُبَيْدَةَ عن أبي عمرٍو المَدَنيّ قال [3] لَمّا ظَفَرَ رسولُ الله ﷺ ببني قُرَيْظَةَ أخَذَ منهم نَحْوًا من أرْبَع مِئَةِ رَجُلٍ من اليَهُودِ ، وكانوا حلفاءَ الأوْسِ على الخَزْرَجِ . فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بأن تُضرَبَ أعناقُهم فَجَعَلَتِ الخَزْرَجُ تَضرِبُ أعناقَهم ويَسُرّهم ذلك فَنَظَرَ رسولُ الله ﷺ إلى الخَزْرَجِ ووُجُوهُهم مُسْتَبْشِرَةٌ ونَظَرَ إلى الأوْسِ فَلَم يَرَ ذلك فيهم فَظَنَ أنّ ذلك لِلحِلفِ الذي بَيْنَ الأوْسِ وبَيْنَ بني قُرَيْظَة ولَمْ يَكُن بَقِيَ من بني قُرَيْظَةَ إلاّ اثنا عَشَرَ رَجُلاً ، فَدَفَعَهم إلى الأوْسِ .

فَدَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلَيْنِ من الأوْسِ رَجُلاً من بني قُرَيْظَةَ وقال لِيَضرِبْ فُلانٌ ولْيُذَفِّفْ فُلانٌ فكان مِمّن دَفَعَ إلَيْهم كَعْبُ بنُ يَهُوذا ، وكان عَظيمًا في بني قُرَيْظَةَ فَدَفَعَه إلى مُحَيِّصَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، وإلى أبي بُرْدَةَ بن نيارٍ - وأبو بُرْدَةَ الذي رَخّصَ له رسولُ الله ﷺ في أن يَذْبَحَ جَذَعًا من المَعْزِ في الأضْحَى [4] - وقال لِيَضرِبْه مُحَيِّصَةُ ولِيُذَفِّفْ عليه أبو بُرْدَةَ فَضَرَبَه مُحَيِّصَةُ ضَرْبَةً لَم تَقْطَعْ وذَفَّفَ أبو بُرْدَةَ فأجْهَزَ عليه . فقال حُوَيِّصَة ، وكان كافِرًا ، لأخيه مُحَيِّصَةَ أقَتَلْتَ كَعْبَ ابنَ يَهُوذا ؟ قال نَعم فَقال حُوَيِّصَة : أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ قد نَبَتَ في بَطْنِك من مالِه إنّك لَلَئيمٌ يا مُحَيِّصَةُ فَقال له مُحَيِّصَةُ لَقد أمَرَني بِقَتْلِه مَن لَوْ أمَرَني بِقَتْلِك لَقَتَلْتُك ؛ فَعَجِبَ من قَوْلِه ثُمّ ذَهَبَ عنه مُتَعَجِّبًا . فَذَكَرُوا أنّه جَعَلَ يَتَيَقّظُ من اللّيلِ فَيَعْجَبُ من قَوْلِ أخيه مُحَيِّصَةَ . حتى أصْبَحَ وهو يقول والله إنّ هذا لَدينٌ . ثُمّ أتَى النّبيّ ﷺ فأسْلَمَ فَقال مُحَيِّصَةُ في ذلك أبياتًا قد كَتَبْناها .

قال ابنُ إسحاقَ : وكانَتْ إقامَةُ رسولِ الله ﷺ بعد قُدُومِه من نَجْرانَ ، جُمادَى الآخِرَةِ

---

(١) ضعيف الإسناد : رواه أبو داود (٣٠٠٢) والبيهقي دلائل (٣/٢٠٠) والطبراني في الكبير (٢٠/٣١١ح ٧٤١) كلهم من طريق ابن إسحاق . وعلته محمد بن أبي محمد مجهول .

(٢) المراد بالأبيض القاضب : السيف القاطع .

(٣) معضل .

(٤) رواه البخاري (٥٥٥٦) ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب قال : ضحى خال لي يقال له : أبو بردة قبل الصلاة . فقال له النبي ﷺ : «أبدلها» قال : ليس عندي إلا جذعة قال : «اجعلها مكانها ولن تجزئ عن أحد بعدك» .

ورَجَبًا وشعْبانَ وشَهرَ رَمَضانَ وغَزَتْه قُرَيْشٌ غَزْوَةَ أُحُدٍ في شَوّالٍ سَنَةَ ثَلاثٍ . [٥/ب](*) [٦/أ]

غزوة أحد وما جرى فيها من القتال

وَكان من حَديثِ أُحُدٍ ، كَما حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزّهْريّ ومُحَمّدُ بنُ يَحْيَى بنِ حِبّانَ وعاصِمُ ابنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ والحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عمرِو بنِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وغَيْرُهم من عُلَمائِنا ، كُلّهم قد حَدّثَ بَعْضَ الحَديثِ عن يومِ أُحُدٍ ، وقد اجْتَمَعَ حَديثُهم كُلّه فيما سُقْتُ من هذا الحَديثِ عن يومِ أُحُدٍ قالُوا ، أوْ مَن قاله منهم (٢) . لَمّا أُصيبَ يومَ بَدْرٍ من كُفّارِ قُرَيْشٍ أصْحابُ القَليبِ ، ورَجَعَ فَلّهم إلى مَكّةَ ، ورَجَعَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ بعيرِه مَشَى عبدُ الله بنُ أبي رَبيعَةَ ، وعِكْرِمَةُ ابنُ أبي جَهْلٍ ، وصَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ ، في رِجالٍ من قُرَيْشٍ ، مِمّن أُصيبَ آباؤُهم وأبناؤُهم وإخوانُهم يومَ بَدْرٍ فَكَلّمُوا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ ومَن كانَتْ له في تِلْكَ العيرِ من قُرَيْشٍ تِجارَةٌ فَقالُوا : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنّ مُحَمّدًا قد وتَرَكُم ، وقَتَلَ خيارَكُم فَأعينُونا بِهذا المالِ على حَرْبِه فَلَعَلّنا نُدْرِكُ مِنه ثَأرَنا بِمَن أصابَ مِنّا ، فَفَعَلُوا .

قال ابنُ إسحاق : فَفيهِم كَما ذَكَرَ لي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنْزَلَ الله تَعالى : ﴿**إنّ الذينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أموالَهم لِيَصُدّوا عن سَبيلِ الله فَسَيُنْفِقُونَها ثُمّ تَكُونُ عليهم حَسْرَةً ثُمّ يُغْلَبُونَ والذينَ كَفَرُوا إلى جَهَنّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ (٣)

[اجتماع قريش للحرب]

فاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رسولِ الله ﷺ حينَ فَعَلَ ذلك أبو سُفيانَ [ابنُ حَرْبٍ] وأصْحابُ العيرِ بِأحابيشِها ، ومَن أطاعَها من قَبائِلِ كِنانَةَ وأهلِ تِهامَةَ . وكان أبو عَزّةَ عمرُو بنُ عبدِ الله الجُمَحيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله ﷺ يومَ بَدْرٍ وكان فَقيرًا ذا عيالٍ وحاجَةٍ وكان في الأُسارَى فَقال : إنّي فَقيرٌ ذُو عيالٍ وحاجَةٍ قد عَرَفْتَها فامْنُنْ عَلَيّ صَلّى الله عَلَيْك [وسَلّمَ] فَمَنّ عليه رسولُ الله ﷺ . فَقال له صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ : يا أبا عَزّةَ إنّك امرُؤٌ شاعِرٌ ، فَأعِنّا بِلِسانِك ، فاخْرُجْ مَعَنا ؛ فَقال إنّ مُحَمّدًا قد مَنّ عَلَيّ فَلا أُريدُ أن أُظاهِرَ عليه قال : [بَلَى] فَأعِنّا بِنَفْسِك ، فَلَك الله عَلَيّ إن رَجَعْتُ أن أُغْنيَك ، وإن أُصِبْتَ أن أجْعَلَ بناتِك مع بناتي ، يُصيبُهُنّ ما

(*) صفحة [٥/ب] ملغاة من المخطوطة «ب»

(٢) مراسيل كلها .

(٣) وهو قول قتادة ومجاهد والسدى وغيرهم. رواه عنهم ابن جرير في تفسيره (٢٤٥/٩/٦) بأسانيد صحاح وحسان .

أصابهُنّ من عُسْرٍ ويُسْرٍ. فخَرَجَ أبو عَزّةَ في تِهامَةَ ، ويَدْعُو بني كِنانَةَ ويقول .

إيهًا بني عبدِ مَنـاةَ الرِّزَام [١] أنتُم حُماةٌ وأبوكُم حـام

لا تَعْدُوني نَصْرَكُم بعـد العامِ لا تُسْلِمُوني لا يَحِلّ إسلام

وَخَرَجَ مُسافِعُ بنُ عبدِ مَنافِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحٍ إلى بني مالِكِ بنِ كِنانَةَ ، يُحَرِّضُهم ويَدْعُوهم إلى حَرْبِ رسولِ الله ﷺ فَقال :

يا مالُ مالُ الحَسَبِ المُقَـدَّم أَنْشُدُ ذا القُرْبَى وذا التَذَمّم [٢]

مَن كان ذا رَحِمٍ ومَن لَمْ يَرْحَم الحِلْفَ وسْطَ البَلَدِ المُحَــــرَّم

عند حَطيمِ الكَعْبَةِ المُعَظَّم

«وَدَعا جُبَيْرُ بنُ مُطْعِم غُلامًا له حَبَشيًا يُقالُ لـه وحْشِيٌ ، يَقْذِفُ بِحَرْبَةٍ له قَذْفَ الحَبَشَةِ ، قَلّما يُخْطِئُ بها ، فَقال له : اخْرُجْ مع النّاسِ فإن أنتَ قَتَلْتَ حَمزَةَ عمَّ مُحَمّدٍ بعمّي طُعَيْمَةَ بنِ عَديّ، فأنتَ عَتيقٌ» [٣] .

[خروج قريش معهم نساؤهم]

[قال] فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِحَدّها وجَدّها وحَديدِها وأحابيشِها ، ومَن تابَعَها من بني كِنانَةَ ، وأهلِ تِهامَةَ ، وخَرَجُوا مَعَهم بالظّعُنِ ؟ التِماسَ الحَفيظَةِ وألاّ يَفِرّوا . فخَرَجَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ، وهو قائِدُ النّاسِ بِهِنْدٍ بنَةِ عُتْبَةَ وخَرَجَ عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ بِأُمّ حَكيمِ بِنْتِ الحارِثِ بنِ هشامِ بنِ المُغيرَةِ ، وخَرَجَ الحارِثُ بنُ هشامِ بنِ المُغيرَةِ بِفاطِمَةَ بِنْتِ الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ ، وخَرَجَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ بِبَرْزَةَ بِنْتِ مَسْعُودِ بنِ عمرِو بنِ عُمَيْرٍ الثّقَفيّةِ وهيَ أُمّ عبدِ الله بنِ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ .

قال ابن هشام : ويُقالُ رُقَيّةُ .

قال ابن إسحاق : وخَرَجَ عمرُو بنُ العاصِ بِرَيْطَةَ بِنْتِ مُنَبّه ابنِ الحَجّاجِ وهيَ أُمّ عبـدِ الله بنِ عمرٍو ، وخَرَجَ طَلْحَةُ بنُ أبي طَلْحَةَ وأبو طَلْحَةَ عبدُ الله بنُ عبدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عبدِ الدّارِ بِسُلافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ شَهيدٍ الأنْصاريّةِ وهيَ أُمّ بني طَلْحَةَ مُسافِعٍ والجُلاسِ وكِلابٌ قُتِلُوا يومئِذٍ هم وأبوهم - ب - وخَرَجَتْ خُناسُ بِنْتُ مالِكِ بنِ المُضَرّبِ إحْدَى نِساءِ بني مالِكِ بنِ حِسْلٍ مع

---

(١) الرزام : جمع رازم وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه

(٢) يامال : أراد يامالك فحذف الكاف للترخيم . ذو التذمم : هو الذي له ذمام أي عهد

(٣) صحيح : وسيأتي في السيرة مسندًا . رواه البخاري (٤٠٧٢) وابن سعد في الطبقات (٢/٤٨١) تكملة الطبقات (طبقة من أسلم بعد الفتح] والطيالسي (١٣١٤) وأحمد [٣/٥٠١] . من حديث وحشي رضي الله عنه وهو يحكي قصة قتله حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه .

ابنها أبي عَزِيزِ بنِ عُمَيْرٍ وهيَ أُمّ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، وخَرَجَت عمرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ إحْدَى نِساءِ بني الحارِثِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ . وكانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ كُلّما مَرّتْ بِوَحْشِيّ أوْ مَرّ بِها ، قالتْ ويْها أبا دَسْمَةَ اشْفِ واسْتَشْفِ وكان وحْشِيّ يُكْنَى بِأبِي دَسْمَةَ فَأقْبَلُوا حتى نَـزَلُوا بِعَيْنَيْنِ بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السّبْخَةِ من قَناةٍ على شَفِيرِ الوادي ، مقابِلَ المَدِينَةِ .

[رُؤْيا رسولِ الله ﷺ]

[قال] فَلَمّا سَمِعَ بِهِم رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ قد نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا ، قال رسولُ الله ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ : «**إنّي قد رَأيْت والله خَيْرًا ، رَأيْتُ بَقَرًا ، ورَأيْتُ في ذُبابِ سَيْفِي ثَلْمًا ، ورَأيْتُ أنّي أدْخَلْتُ يَدِي في دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأوّلْتُها المَدِينَةَ**»(١) .

قال ابنُ هشامٍ : وحَدّثَنِي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ رسولَ الله ﷺ قال : «**رَأيت بَقَرًا لي تُذْبَحُ؟ قال فَأمّا البَقَرُ فَهِيَ ناسٌ من أصْحابِي يُقْتَلُونَ وأمّا الثّلْمُ الذي رَأيْتُ في ذُبابِ سَيْفِي ، فهو رَجُلٌ من أهلِ بَيْتِي يُقْتَلُ**» (٢)

[مُشاوَرَةُ الرّسُولِ القَوْمَ في الخُرُوجِ أوِ البَقاءِ]

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : «**فَإنْ رَأيْتُم أن تُقِيمُوا بِالمَدِينَةِ وتَدَعُوهم حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإنْ أقامُوا أقامُوا بِشَرّ مُقامٍ وإن هم دَخَلُوا عَلَيْنا قاتَلْناهم فيها**» وكان رَأيُ عبدِ الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلُولَ مع رَأيِ رسولِ الله ﷺ يَرَى رَأيَه في ذلك وألاّ يَخْرُجَ إلَيْهِم وكان رسولُ الله ﷺ يَكْرَه الخُرُوجَ فَقال رِجالٌ من المُسْلِمِينَ مِمّن أكْرَمَ الله بِالشّهادَةِ يومَ أُحُدٍ وغَيْرِه مِمّن كان فاتَه بَدْرٌ يا رسولَ الله

---

(١) رؤيا النبي ﷺ متفق عليها : البخاري (٤٠٨١) ومسلم (٢٢٧٢) من حديث أبي موسى بلفظ : قال ﷺ «رأيت في رؤياي أني هززت سيفا فتقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين ورأيت فيها بقرا والله خير فإذا هم المؤمنون يوم أحد» ومن حديث جابر عند أحمد (٣٥١/٣) والدارمي (١٢٩/٢-١٣٠) وسنده صحيح . ومن حديث ابن عباس عند الترمذي (١٥٦١) وابن ماجه (٢٨٠٨) وأحمد (٢٧١/١) . بلفظ «تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد فقال : «رأيت في سيفي ذي الفقار فلاً فأولته فلاً يكون فيكم ورأيت أني مردف كبشا فأولته كبش الكتيبة ورأيت أن في درع حصينة فأولتها المدينة ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير فبقر والله خير وكان الذي قال رسول الله ﷺ .

(٢) معضل : ويشهد له ما قبله من الأحاديث السابقة .

(٣) مرسل : بطوله هكذا مرسل ، رواه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٥) من مرسل عروة بطوله نحوه . وفيه ذكر عبد الله بن أُبي . وروى موصولاً من حديث جابر مختصرًا نحوه رواه أحمد (٣٥١/٣) . والدارمي (١٢٩/٢-١٣٠) وعلق البخاري بعضه ، الفتح (٢٨٤/١٣) وابن سعد في الطبقات (٣٤/٢) كلهم من رواية حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر . وأبو الزبير مدلس وقد عنعن لكن يشهد له مرسل عروة .

اخرُجْ بنا إلى أعدائنا ، لا يَرَوْنَ أنّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا ؟ فقال عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ يا رسولَ الله أقِم بالمدينَةِ لا تَخرُجْ إليهم فوالله ما خَرَجنا منها إلى عَدُوّ لنا قَطّ إلاّ أصابَ مِنّا ، ولا دَخَلَها علَيْنا إلاّ أصَبنا مِنه فَدَعْهم يا رسولَ الله فإن أقاموا أقاموا بِشَرّ مَحْبِسٍ وإن دَخَلُوا قاتَلَهم الرّجالُ في وجْهِهم ورَماهم النّساءُ والصّبْيانُ بالحِجارَةِ من فَوْقِهم وإن رَجَعُوا رَجَعُوا خائِبِينَ كَما جاءُوا . فَلَم يَزَل النّاسُ بِرسولِ الله ﷺ الذينَ كان من أمرِهم حُبّ لِقاءِ القَوْمِ حتى دَخَلَ رسولُ الله ﷺ بَيْتَه فَلَبِسَ لأمَتَه وذلك يومَ الجُمُعَةِ حَيْنَ فَرَغَ من الصّلاةِ .

وقد ماتَ في ذلك اليوم رَجُلٌ من الأنصارِ يُقالُ له مالِكُ بنُ عمرو ، أحَدُ بني النّجّار فَصَلّى عليه رسولُ ﷺ ثُمّ خَرَجَ عليهم وقد نَدِمَ النّاسُ وقالُوا : استَكْرَهْنا رسولَ الله ﷺ ولَمْ يَكُن لَنا ذلك . فَلَمّا خَرَجَ عليهم رسولُ الله ﷺ قالُوا : يا رسولَ الله استَكْرَهْناك ولَم يَكُن ذلك لَنا ، فَإن شِئْتَ فاقْعُدْ صَلّى الله عَلَيْك ،فَقال رسولُ الله ﷺ : **«ما يَنْبَغِي لِنَبِيّ إذا لَبِسَ لأَمته أن يَضَعَها حتى يُقاتِلَ»** فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه .

قال ابنُ هشام : واستَعْمَلَ ابنَ أُمّ مَكْتُوم على الصّلاةِ بالنّاسِ .

[انخِذالُ المُنافِقينَ]

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : حتى إذا كانوا بِالشّوْطِ بَيْنَ المَدينَةِ وأُحُدٍ ، انْخَزَلَ عنه عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ بِثُلُثِ النّاسِ وقال أطاعَهم وعَصاني ، ما نَدْري عَلامَ نَقْتُل أنفُسَنا هاهُنا أيّها النّاسُ ؟! فَرَجَعَ بِمَن اتّبَعَه من قَوْمِه من أهلِ النّفاقِ والرّيَبِ واتّبَعَهم عبدُ الله بنُ عمرو بنِ حَرام أخُو بني سَلِمَةَ يقول يا قَوْمِ أُذَكّرُكُم اللهَ ألاّ تَخْذُلُوا قَوْمَكُم ونَبِيّكُم عندما حَضَرَ من عَدُوّهِم فَقالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أنّكُم تُقاتِلُونَ لَما أسلَمْناكُم ولكِنّا لا نَرَى أنّه يَكُونُ قِتالٌ . قال فَلَمّا استَعْصَوْا عليه وأبَوْا إلاّ الانصِرافَ عنهم قال : أبْعَدَكُمُ الله أعداءَ الله فَسَيُغْني الله عَنْكُمْ نَبِيّه .

قال ابنُ هشام : وذَكَرَ غَيْرُ زِيادٍ عن مُحَمّدِ بنِ إسحاقَ عن الزّهْرِيّ [(٢)] : أنّ الأنصارَ يومَ أُحُدٍ،

---

(١)رواية ابن إسحاق مرسلة : من مرسل الزهري وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ورواه عبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٥) من مرسل عروة . وله شاهد من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه : رواه البخاري (٤٠٥٠) : قال : (لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه) . قال الحافظ : يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، ثم أشار إلى رواية ابن إسحاق ورواية موسى بن عقبة .

(٢)مرسل : وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٩/٨) من مرسل سعيد بن المنذر قال : خرج رسول الله ﷺ إلى أحد فلما خلف ثنية الوداع فنظر خلفه فإذا كتيبة خشناء ، فقال : (من هؤلاء ؟ قالوا : عبد الله بن أبي بن سلول ومواليه من اليهود ، قال : قد أسلموا ؟ قالوا : لا ، بل على دينهم ، قال : مروهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين) .

قلت : وهذا مرسل ضعيف من رواية يعلى بن عبيد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن سعيد : وسعيد ....=

قالُوا لِرسولِ الله ﷺ : [يا رسولَ الله] ألا نَستَعينُ بِحُلَفائِنا من يَهُودَ ؟ فَقال لا حاجَةَ لَنا فيهم .

قال زِيادٌ : حَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ إسحاقَ قال : ومَضَى رسولُ الله ﷺ حتى سَلَكَ في حَرَّةِ بني حارِثَةَ ، فَذَبَ فَرس بِذَنَبه فَأصابَ كَلاّبَ سَيفٍ فاسْتَلَّه .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ كِلابُ سَيفٍ .

[قال ابنُ إسحاق]: فَقال رسولُ الله ﷺ وكان يُحِبّ الفَأْلَ[1] ولا يَعْتافُ[2] لِصاحِبِ السّيفِ شِمْ[3] **سَيفَك ، فَإنّي أرَى السّيُوفَ** [٧/أ]**سَتُسَلّ اليومَ .**

ثُمّ قال رسولُ الله ﷺ لِأصْحابه[4] : «**مَن رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنا على القَوْمِ من كَثَبٍ - أيْ من قُرْبٍ - من طَرِيقٍ لا يَمُرّ بِنا عليهم ؟**» فَقال أبو خَيْثَمَةَ أخُو بني حارِثَةَ بنِ الحارِثِ أنا يا رسولَ الله فَنَفَذَ به في حَرّةِ بني حارِثَةَ ، وبَيْنَ أموالِهم حتى سَلَكَ في مالٍ لِمِرْبَعِ بنِ قَيْظِيّ وكان رَجُلاً مُنافِقًا ضَريرَ البَصَرِ فَلَمّا سَمِعَ حِسّ رسولِ الله ﷺ ومَن مَعَه من المُسْلِمينَ قامَ يَحْثي في وُجُوهِهِم التّرابَ ويقول إن كُنتَ رسولَ الله فَإنّي لا أُحِلّ لَك أن تَدْخُلَ حائِطي .

وَقد ذُكِرَ لي أنّه أخَذَ حَفْنَةً من تُرابٍ في يَدِه ثُمّ قال واللهِ لَوْ أعْلَمُ أنّي لا أُصيبُ بِها غَيْرَك يا مُحَمّدُ لَضَرَبْتُ بِها وجْهَك . فابْتَدَرَه القَوْمُ لِيَقْتُلُوه فَقال رسولُ الله ﷺ «**لا تَقْتُلُوه فَهذا الأعْمَى أعْمَى القَلْبِ ، أعْمَى البَصَرِ**» وَقد بَدَرَ إلَيْه سَعْدُ ابنُ زَيْدٍ ، أخُو بني عبدِ الأشْهَلِ ، قَبْلَ نَهْيِ رسولِ الله ﷺ عنه فَضَرَبَه بِالقَوْسِ في رَأسِه فَشَجّه .

* * *

= هذا في تعداد المجاهيل ، وثقه ابن حبان فقط وقال : شهد أبوه بدرًا وأبوه المنذر بن محمد ترجمه ابن سعد في الطبقات ، وقال لم يكن له عقب فالله أعلم . وروي من حديث أبي حميد الساعدي بسند حسنه الحافظ ابن حجر في مسند إسحاق بن راهويه المطالب (٤٧٤٤) . ورواه ابن سعد [٣٧/٢] : من رواية موسى بن الفضل عن محمد بن عمرو عن سعيد ابن المنذر عن أبي حميد الساعدي .

قلت : ما زالت الصلة قائمة وهي جهالة سعيد بن المنذر ويشهد له قول النبي ﷺ لرجل مشرك تبعه يوم بدر : «ارجع فلن استعين بمشرك» رواه مسلم [١٨١٧] وأبو داود [٢٧٣٢] والترمذي [١٥٥٨] وابن ماجة [٢٨٣٢]

(١) قوله وكان يحب الفأل . متفق عليه . رواه البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل) قالوا : وما الفأل ؟ قال : (الكلمة الطيبة) . أما قصة السيف فهي مرسلة .

(٢) لا يعتاف : لا يتطاير .

(٣) شم سيفك : أي أغمده

(٤) سبق في ذكر المنافقين وما نزل فيهم .

[نزول الرسول بالشعب وتعبئته للقتال]

قال ومَضَى رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلَ الشِّعبَ من أُحُدٍ ، في عُدْوَةِ الوادي إلى الجَبَلِ فَجَعَلَ ظَهْرَه وعَسْكَرَه إلى أُحُدٍ ، وقال لا يُقاتِلَنّ أحَدٌ مِنكُمْ حتى نَأمُرَه بالقِتالِ وَقد سَرَّحَتْ قُرَيْشٌ الظَّهْرَ والكُراعَ [١] في زُرُوعٍ كانَتْ بِالصَّمغَةِ [٢] من قَناةٍ لِلمُسلِمينَ فَقال رَجُلٌ من الأنصارِ حينَ نَهى رسولُ الله ﷺ عن القِتالِ أتُرْعَى زُرُوعُ بني قَيْلَةَ ولما نُضارِبْ ! وتَعَبّى رسولُ الله ﷺ لِلقِتالِ وهو في سَبعِ مِئَةِ رَجُلٍ وأمّرَ على الرّماةِ عبدَ الله بنَ جُبَيْرٍ [٣] ، أخا بني عمرِو بن عَوْفٍ وهو مُعْلَمٌ يومئذٍ بثيابٍ بيضٍ والرّماةُ خَمسُونَ رَجُلاً ، فقال : «انْضَحِ الخَيْلَ عَنّا بالنّبْلِ ، لا يَأْتُونا من خَلْفِنا ، إن كانَتْ لَنا أوْ عَلَيْنا ، فاثبُتْ مَكانَكَ لا نُؤْتَيَنّ من قِبَلِكَ» وَظاهَرَ رسولُ الله ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْنِ [٤] ودَفَعَ اللّواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ أخي بني عبدِ الدّارِ .

[من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة]

قال ابن هشام : وأجازَ رسولُ الله ﷺ يومئذٍ سَمُرَةَ بنَ جُنْدُبٍ الفَزاريّ ورافِعَ بنَ خَديجٍ [٥] ، أخا بني حارِثَةَ وهما ابنا خَمسَ عَشْرَةَ سَنَةً وكان قد رَدّهما ،فَقيلَ له يا رسولَ الله إنّ رافِعًا رامٍ ، فَأجازَه فَلَمّا أجازَ رافِعًا ، قيلَ له يا رسولَ الله فَإنّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رافِعًا ، فَأجازَه وَرَدّ رسولُ الله ﷺ أُسامَةَ بنَ زَيْد وعبدَ الله بنَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ [٦] وزَيْدَ بنَ ثابتٍ ، أحَدَ بني مالِكِ

---

(١) الظهر : الإبل ، والكراع : الخيل

(٢) الصمغة : أرض قرب أحد

(٣) روى البخاري (٤٠٤٣) وأحمد (٤/٢٩٣ - ٢٩٤) وأبو داود (٢٦٦٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير قال : ووضعهم موضعًا . وقال : (إن رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) .

(٤) صحيح : رواه أبو داود (٢٥٩٠) وابن ماجه (٢٨٠٦) من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه عن رجل سماه قال : (إن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين كأنه ظاهر بينهما) وسنده صحيح . ولا يضر جهالة هذا المبهم فهو صحابي والسائب صحابي . ومن حديث الزبير مثله رواه الحاكم (٣/٢٥) والبيهقي السنن (٩/٤٦) وسنده حسن من رواية ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن عباد عن أبيه عن جده الزبير .

(٥) روى الحاكم [٣/٥٦٢] من رواية رفاعة بن هرير عن جده رافع أن النبي ﷺ أجازه يوم أحد وجعله في الرماة.

(٦) رد رسول الله ﷺ ابن عمر متفق عليه : رواه البخاري (٤٠٩٧) مسلم (١٨٦٨) من رواية ابن عمر نفسه قال : عرضني رسول الله ﷺ يوم أحدًا وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني .

ابنِ النّجارِ والبَرَاءَ بنَ عازِبٍ [١] ، أحَدَ بني حارِثَة ، وعمرَو بنَ حَزمٍ ، أحَدَ بني مالِكِ بنِ النّجّارِ وأُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ ، أحَدَ بني حارِثَةَ ثُمّ أجازَهم يومَ الخَندَقِ ، وهم أبناءُ خَمسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

قال ابنُ إسحاقَ : وتَعَبّأتْ قُرَيْشٌ وهم ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ ومَعَهم مِئَتا فَرسٍ قد جَنَبوها ، فجَعَلُوا على مَيْمَنَةِ الخَيْلِ خالِدَ بنَ الوَليدِ ، وعلى مَيْسَرَتِها عِكْرِمَةَ ابنَ أبي جَهْلٍ .

[أمرُ أبي دُجانَةَ] :

وَقال رسولُ الله ﷺ [٢] مَن يَأخُذُ هذا السّيْفَ بحَقّه ؟ فَقامَ إلَيْه رِجالٌ فأمسَكَه عنهم حتى قامَ إلَيْه أبو دُجانَةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ ، أخُو بني ساعِدَةَ فقال وما حَقّه يا رسولَ الله ؟ قال : «**أن تَضرِبَ به العَدُوّ حتى يَنحَنيَ**» قال : أنا آخُذُه يا رسولَ الله بحَقّه فأعطاه إيّاه وَكان أبو دُجانَةَ رَجُلاً شُجاعًا يَختالُ عند الحَرْبِ إذا كانَتْ وكان إذا أعْلَمَ بعِصابَةٍ له حَمراءَ ، فاعْتَصَبَ بها عَلِمَ النّاسُ أنه سَيُقاتِلُ فَلَمّا أخَذَ السّيْفَ من يَدِ رسولِ الله ﷺ أخْرَجَ عِصابَتَه تِلْكَ فَعَصَبَ بها رَأسَه ثم جَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصّفّيْنِ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني جَعْفَرُ بنُ عبدِ الله بنِ أسلَمَ ، مَوْلَى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، عن رَجُلٍ من الأنْصارِ من بني سَلِمَةَ قال قال رسولُ الله ﷺ حينَ رَأى أبا دُجانَةَ يَتَبَخْتَرُ : «إنّها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها الله إلاّ في مِثْلِ هذا المَوْطِنِ» [٣] .

[أمرُ أبي عامِرٍ الفاسِقِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ [٤] : أنّ أبا عامِرٍ عبدَ عمرِو بنِ صَيْفِيّ بنِ مالِكِ بنِ النّعْمانِ أحَدَ بني ضُبَيْعَةَ وقد كان خَرَجَ حينَ خَرَجَ إلى مَكّةَ مباعدًا لِرسولِ الله ﷺ

---

(١) هذا الأمر فيه خلاف هل شهد البراء أحدًا أم لا والراجح أنه شهدها كما هو واضح في صحيح البخاري (٤٠٤٣) قال البراء : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة ... الحديث . قلت : فهذا يدل على شهوده المعركة . إلا إذا أولنا لفظ لقينا ... !

(٢) صحيح : رواه مسلم [٢٤٧٠] وأحمد [١٢٣/٣] وابن سعد في الطبقات [٤٢٠/٣] وابن أبي شيبة [٤٩٠/٨] من حديث أنس .

(٣) ضعيف : رواه البيهقي في الدلائل (٢٣٣/٣) من طريق ابن إسحاق . وبيّن في روايته المبهم وهو معاوية بن معبد بن كعب بن مالك ، ومعاوية هذا مجهول . وجعفر بن عبد الله بن أسلم . مقبول . قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٧٨/٨) : أنا يعقوب بن إسحاق فيما كتب إلي قال : أنا عثمان بن سعيد قال : قلت ليحيى بن معين : معاوية بن معبد بن كعب ، قال : لا أعرفه . قال أبو محمد : يعني أنه مجهول . قلت : وثقه ابن حبان ، وذكره البخاري في تاريخه وقال : سمع جابرًا . قلت وللحديث شاهد من رواية سماك بن خرشة . أبي دجانة : رواه الطبراني في الكبير (٦٥٠٨) وسنده ضعيف فيه مجاهيل . قال الهيثمي في المجمع (١٠٩/٦) : فيه من لم أعرفه .

(٤) مرسل : رواه الطبراني في التاريخ (٦٤/٢) من طريق ابن إسحاق .

مَعَه خَمْسُونَ غُلامًا من الأوْسِ ، وبَعْضُ النَّاسِ كان يقول كانوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً .

وكان يَعِدُ قُرَيْشًا أن لَوْ قد لَقِيَ قَوْمَه لَمْ يَخْتَلِف عليه منهم رَجُلانِ ، فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ كان أوَّلَ مَن لَقِيَهم أبو عامِرٍ في الأحابِيشِ وعُبْدانُ أهلِ مَكَّةَ ، فَنادَى : يا مَعْشَرَ الأوْسِ ، أنا أبو عامِرٍ قالُوا : فَلا أنْعمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يا فاسِقُ [٧/ب] ، وكان أبو عامِرٍ يُسَمّى في الجاهِليَّةِ الرّاهِبَ فَسَمّاه رسولُ اللهِ ﷺ الفاسِقَ - فَلَمّا سَمِعَ رَدَّهم عليه قال لَقد أصابَ قَوْمي بَعْدي شَرٌّ ، ثُمَّ قاتَلَهم قِتالاً شَديدًا ، ثُمَّ راضَخَهم بِالحِجارَةِ .

[أُسلُوبُ أبي سُفْيانَ في تَحْرِيضِ قُرَيْشٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ [١] : وقد قال أبو سُفْيانَ لأصْحابِ اللِّواءِ من بني عبدِ الدّارِ يُحَرِّضُهم بِذلك على القِتالِ يا بني عبدِ الدّارِ إنَّكُمْ قد ولَّيْتُم لِواءَنا يومَ بَدْرٍ فَأصابنا ما قد رَأيْتُم وإنَّما يُؤْتَى النّاسُ من قِبَلِ راياتِهِم إذا زالتْ زالُوا ، فإمّا أن تَكْفُونا لِواءَنا ،وإمّا أن تُخَلّوا بَيْنَنا وبَيْنَه فَنَكْفيكُمُوه فَهَمّوا به وتَواعَدُوه وقالُوا : نحن نُسْلِمُ إلَيْكَ لِواءَنا ، سَتَعْلَمُ غَدًا إذا التَقَيْنا كَيْفَ نَصْنَع وذلك أرادَ أبو سُفْيانَ .

[تَحْرِيضُ هِنْدَ والنِّسْوَةِ مَعَها] :

فَلَمّا التَقَى النّاسُ ودَنا بَعْضُهم من بَعْضٍ قامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ في النِّسْوَةِ اللاّتي مَعَها ، وأخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبنَ بِها خَلْفَ الرِّجالِ ويُحَرِّضْنَهم فَقالتْ هِنْدُ فيما تَقُولُ :

ويْها بني عبد الدار   وَيْها حماةَ الأدبار

ضَرْبًا بِكُلِّ بتّارْ

وَتَقُولُ أيضا هند :

إن تقبلوا نعانق   ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق   فراقَ غيرَ وامِقٍ

وَكان شِعارُ أصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ : أمِتْ أمِتْ فيما قال ابنُ هشامٍ [٢] .

---

(١) بنفس السند السابق ، رواه ابن جرير نفس المصدر السابق ، وهو مرسل .

(٢) هذا الشعار ثبت في سرية لأبي بكر ، رواه أبو داود (٢٥٩٦) وأحمد (٤٦/٤) والنسائي سير الكبرى (٨٨٦٢) والدارمي (٢٤٥٥) والحاكم (١٠٧/٢) كلهم من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضي ا لله عنه قال : غزونا مع أبي بكر رضي الله عنه زمن النبي ﷺ فكان شعارنا (أمت ، أمت) . وهذا سند صحيح . ورواه الحاكم من طريق شريك عن عتبة بن عبد الله أبي العميس عن إياس عن أبيه فقال : كان شعار النبي ﷺ أمت ، أمت . قلت لعله وهم من شريك فهو سيء الحفظ . قلت : وكان للنبي ﷺ شعار آخر وهو ....=

[تمامُ قِصَّةِ أبي دُجانَةَ] :

قال ابنُ إسحاق : فاقْتَتَلَ النَّاسُ حتى حَمِيَتِ الحَرْبُ وقاتَلَ أبو دُجانَةَ حتى أمعَنَ في النَّاسِ.

قال ابنُ هشام حَدَّثَني غَيْرُ واحِدٍ من أهلِ العِلْمِ أنّ الزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ قال [(١)] وجِدْتُ في نَفْسي حينَ سَأَلْتُ رسولَ الله السّيْفَ فَمَنَعَنيه وأعطاه أبا دُجانَةَ وقُلْت : أنا ابنُ صَفيّةَ عمّته ، ومِن قُرَيْشٍ ، وقد قُمت إلَيْه فَسَأَلْته إيّاه قَبْلَه فأَعْطاه إيّاه وتَرَكَني ، والله لأَنْظُرَنّ ما يَصْنَعُ فاتّبَعْته فأَخْرَجَ عِصابَةً له حَمراءَ ، فَعَصَبَ بِها رَأْسَه فَقالتِ الأنْصارُ : أخْرَجَ أبو دُجانَةَ عِصابَةَ المَوْتِ ، وهَكَذا كانَتْ تَقُولُ له إذا تَعَصّبَ بِها لِخَرَجَ وهو يقول :

أنا الذي عاهَدَني خَليــــلي وَنحن بِالسّفْحِ لَــدَى النّخيــلِ

ألاّ أَقُومَ الدّهْرَ في الكُيُولِ [(٢)] أضْــرِبْ بِسَيْــفِ الله والرّسُولِ

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى في الكَبول [(٣)]

[قال ابنُ إسحاق] : فَجَعَلَ لا يَلْقَى أحَدًا إلاّ قَتَلَه . وكان في المُشْرِكينَ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَنا جَريحًا إلاّ ذَفّفَ عليه فَجَعَلَ كُلّ واحِدٍ منهما يَدْنُو من صاحبه . فَدَعَوْتُ اللهَ أن يَجْمَعَ بَيْنَهما ، فالتَقَيا، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَ المُشْرِكُ أبا دُجانَةَ فاتّقاه بِدَرَقَتِه فَعَضّت بِسَيْفِه وضَرَبَه أبو دُجانَةَ فَقَتَلَه ثُمّ رَأَيْتُه قد حَمَلَ السّيْفَ على مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَة ، ثُمّ عَدَلَ السّيْفَ عنها . قال الزّبيرُ : فَقُلْتُ : الله ورسولُه أعلَمُ . قال ابنُ إسحاقَ : وقال أبو دُجانَةَ [سِماكُ بنُ خَرَشَةَ] : رَأَيت إنْسانًا يَخْمُشُ النّاسَ خَمشًا شَديدًا ، فَصَمَدْتُ له فَلَمّا حَمَلْتُ عليه السّيْفَ ولْوَلَ فَإذا امرأَةٌ فَأَكْرَمت سَيْفَ رسولِ الله ﷺ أن أضْرِبَ به امرَأَةً [(٤)] .

= «حم لا ينصرون» . قاله يوم الخندق . رواه أبو داود (٢٥٩٧) وأحمد (٢٨٩/٤) والترمذي (١٦٨٢) والنسائي في الكبرى (٨٨٦١) من رواية أبي إسحاق السبيعي عن المهلب بن أبي صفرة عن رجل من أصحاب النبي وبين الحاكم هذا المبهم في روايته (١٠٧/٢) فقال عن البراء .

قلت : ولم أقف على سند أن هذا شعارهم في أحد إلا ما قال ابن هشام .

(١) ضعيف الإسناد : سند ابن إسحاق معضل . رواه البيهقي دلائل (٢٣٢/٣ - ٢٣٣) موصولاً نحوه . من رواية عبيد الله بن الوازع بن ثور عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير وعبيد هذا مجهول . وروى الشعر ابن سعد في الطبقات (٤٢٠/٣) من مرسل زيد بن أسلم قال : إن أبا دجانة حين أعطاه النبي ﷺ سيفه يوم أحد على أن يعطيه حقه ارتجز يقول : فذكره وفيه ألا أكون آخر الأفولِ . بدل ألا أقوم الدهر في الكيول . قلت : ويشهد للقصة ما في الصحيح كما سبق .

(٢) الكيول : آخر الصفوف في الحرب

(٣) الكبول : القيود .

(٤) كما في حديث الزبير السابق الضعيف الإسناد . من رواية عبيد الله بن الوازع وهو مجهول .

[مقتل حمزة] :

وَقاتَلَ حَمزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ حتى قَتَلَ أَرْطاةَ بنَ عبدِ شُرَحْبيلَ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ وكان أحَدَ النَّفَرِ الذينَ يَحْمِلُونَ اللِّواءَ ثُمَّ مَرَّ به سِباعُ بنُ عبدِ العُزّى الغُبْشانِيّ وكان يُكَنّى بأبي نِيارٍ فَقال له حَمزَةُ : هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ - وكانَتْ أُمّه أُمَّ أَنْمارٍ مَوْلاةُ شَرِيقِ بنِ عمرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفِيّ .

[قال ابن هشام : شَرِيقُ بنُ الأَخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ] . وكانَتْ خَتّانَةً بِمَكّةَ - فَلَمّا التَقَيا ضَرَبَه حَمزَةُ فَقَتَلَه .

قال وحشيّ (١) ، غلامُ جبير بن مطعم : واللهِ إنّي لأَنْظُرُ إلى حَمزَةَ يَهُدّ النّاسَ بِسَيْفِه ما يُلِيقُ به شيئًا مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ (٢) ، إذْ تَقَدّمَني إلَيْه سِباعُ بنُ عبدِ العُزّى ، فَقال له حَمزَةُ : هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطّعَةِ البُظُورِ فَضَرَبَه ضَرْبَةً فَكَأَنّ ما أَخْطَأَ رَأْسَه وهَزَزْتُ حَرْبَتِي حتى إذا رَضِيتُ منها دَفَعْتُها عليه فوقعت [٨٧/١] في ثُنّتِه (٣) حتى خَرَجَتْ من بَيْنَ رِجْلَيْه فَأَقْبَلَ نَحْوي ، فَغُلِبَ فَوَقَعَ وأَمْهَلْتُه حتى إذا ماتَ جِئْت فَأَخَذْت حَرْبَتِي ، ثُمّ تَنَحّيْت إلى العَسْكَرِ ولَم تكُن لي بِشيءٍ حاجَةٌ غَيْرَه .

قال ابن إسحاق (٤) : وحَدّثَني عبدُ الله بنُ الفَضْلِ بنِ عَبّاسِ بنِ رَبيعَةَ بنِ الحارِثِ عن سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ عن جَعْفَرِ بنِ عمرِو بنِ أُمَيّةَ الضّمريّ قال : خُرِجْتُ أنا وعُبَيْدُ الله بنُ عَديّ بنِ الخيارِ ، أخُو بني نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ في زَمانِ مُعاوِيَةَ ابنِ أبي سُفْيانَ ، فَأَدْرَبنا مع النّاسِ فَلَمّا قَفَلْنا مَرَرْنا بِحِمصَ - وكان وحْشيّ ، مَوْلَى جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ ، قد سَكَنَها ، وأقامَ بِها - فَلَمّا قَدِمناها ، قال لي عُبَيْد الله بنُ عَديّ هَلْ لَكَ في أن نَأْتِيَ وحْشيًا فَنَسْأَلَه عن قَتْلِ حَمزَةَ كَيْفَ قَتَلَه؟ قال قلت له : إن شِئْتَ . فَخَرَجْنا نَسْأَلُ عنه بِحِمصَ فَقال لَنا رَجُلٌ ونحن نَسْأَلُ عنه إنّكُما سَتَجِدانِه بِفِناءِ دارِه وهو رَجُلٌ قد غَلَبَتْ عليه الخَمْرُ فَإن تَجِداه صاحِيًا تَجِدا رَجُلاً عَرَبيًا ، وتَجِدا عنده بَعْضَ ما تُرِيدانِ وتُصِيبا عنده ما شِئْتُما من حَديثٍ تَسْأَلانِه عنه وإن تَجِداه وبه بَعْضُ ما يَكُونُ به فانْصَرِفا عنه ودَعاه . قال : فَخَرَجْنا نَمْشي حتى جِئْناه فَإذا هُوَ بِفِناءِ دارِه على طِنْفِسَةٍ له فَإذا شيخٌ كَبيرٌ مِثْلُ البُغاثِ .

---

(١) سيأتي مسندًا وهو الآتي .
(٢) الأورق : الذي لونه إلى الغبرة .
(٣) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .
(٤) صحيح : رواه البخاري [٤٠٧٢] و أحمد [٥٠١/٣] والطيالسي [١٣١٤] بطوله .

قال ابنُ هشام : البُغاثُ ضَرْبٌ من الطَّيْرِ إلى السَّوادِ - فإذا هُوَ صاحٍ لا بَأسَ به .
قال فَلَمّا انْتَهَيْنا إلَيْه سَلَّمنا عليه فَرَفَعَ رَأسَه إلى عُبَيْدِ الله بنِ عَديّ فَقال ابنٌ لِعَديّ بنِ الخيارِ : أنتَ ؟ قال : نَعم قال : أما والله ما رَأيْتُك مُنذُ ناوَلْتُك أُمَّك السَّعديّةَ التي أرْضَعَتْك بِذي طُوًى، فإنّي ناوَلْتُكها وهيَ على بَعيرِها ، فأخَذَتْك بعُرْضَيْك ، فَلَمَعَتْ لي قَدَماك حينَ رَفَعْتُك إلَيْها، فَوالله ما هُوَ إلاّ أن وقَفْتَ عَلَيّ فَعَرَفْتُهما . قال فَجَلَسنا إلَيْه فَقُلْنا له : جِئْناك لِتُحَدِّثَنا عن قَتْلِك حَمزَةَ كَيْفَ قَتَلْتَه ؟ فقال أما إنّي سأُحَدِّثُكُما كَما حَدَّثْت رسولَ الله ﷺ حينَ سَألَني عن ذلك : كُنتُ غُلامًا لِجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ وكان عمّه طُعَيْمَةَ بنَ عَديّ قد أُصيبَ يومَ بَدْرٍ فَلَمّا سارَتْ قُرَيْشٌ إلى أُحُدٍ ، قال لي جُبَيْرٌ إن قَتَلْتَ حَمزَةَ عمّ مُحمّدٍ بعمّي فَأنْتَ عَتيقٌ . قال : فَخَرَجْتُ مع النّاسِ وكُنتُ رَجُلاً حَبَشيًا أقْذِفُ بالحَرْبَةِ قَذْفَ الحَبَشَةِ ، فَلَما أُخطِئُ بها شيئًا ؛ فَلَمّا التقَى النّاسُ خَرَجْتُ أنْظُرُ حَمزَةَ وأتَبَصّرُه حتى رَأيْته في عُرْضِ النّاسِ مِثْلَ الجَملِ الأوْرَقِ يَهُدّ النّاسَ بسَيْفِه هَدًّا ، ما يَقُومُ له شيءٌ فَوالله إنّي لأتَهَيّأُ له أُريدُه وأسْتَتِرُ مِنه بشَجَرَةٍ أوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنّي إذ تَقَدّمَني إلَيْه سِباعُ ابنُ عبدِ العُزّى ، فَلَمّا رَآه حَمزَةُ قال له : هَلُمّ إليّ يا ابنَ مُقَطّعَةِ البُظُورِ . قال فَضَرَبَه ضَرْبَةً كأنّ ما أخْطأ رَأسَه . قال وهَزَزْتُ حَرْبَتي ، حتى إذا رَضيتُ منها ، دَفَعْتُها عليه فَوَقَعَتْ في ثُنّتِه حتى خَرَجَتْ من بَيْنَ رِجْلَيْه وذَهَبَ لِيَنُوءَ نَحْوي ، فَغُلِبَ وتَرَكْتُه وإيّاها حتى ماتَ ثُمّ أتَيْتُه فأخَذْتُ حَرْبَتي ، ثُمّ رَجَعْت إلى العَسْكَرِ فَقَعَدْتُ فيه ولَم يَكُن لي بغَيْرِه حاجَةٌ وإنّما قَتَلْتُه لأعْتَقَ . فَلَمّا قَدِمت مَكّةَ اعتقت ، ثُمّ أقَمْتُ حتى إذا افْتَتَحَ رسولُ الله ﷺ مَكّةَ وربت إلى الطّائِفِ، فَكنت بها ، ولَمّا خَرَجَ وفْدُ الطّائِفِ إلى رسولِ الله ﷺ لِيُسلِمُوا تَعَيّتْ عَلَيّ المَذاهِبُ فَقُلْت : ألْحَقُ بالشّامِ أوِ اليَمَنِ ، أوْ بِبَعْضِ البِلادِ فَوالله إنّي لَفي ذلك من هَمّي ، إذْ قال لي رَجُلٌ ويْحَك إنّه والله ما يَقْتُلُ أحَدًا من النّاسِ دَخَلَ في دينِه وتَشَهّدَ شَهادَتَه .

[وحشيّ بَيْنَ يَدَي الرّسُولِ يُسلِمُ] :

فَلَمّا قال لي ذلك خَرَجْتُ حتى قَدِمتُ على رسول الله ﷺ المَدينَةَ ، فَلَم يَرُعه إلاّ بي قائمًا على رَأسِه أتَشَهّدُ بشَهادَةِ الحَقّ فَلَمّا رَآني قال : «أوَحْشيّ ؟» قلت : نَعم يا رسولَ الله .قال : «**اقْعُدْ فَحَدّثْني كَيْفَ قَتَلْتَ حَمزَةَ**» قال فَحَدّثته كَما حَدّثْتُكما ، فَلَمّا فَرَغْتُ من حَديثي قال : «**وَيْحَك غَيّبْ عَنّي وجْهَك ، فَلا أرَيَنّك**» . [٨/ب] قال فَكُنْتُ أتَنَكّبُ رسولَ الله ﷺ حَيْثُ كان لِئَلاّ يَراني ،حتى قَبَضَه الله ﷺ

فَلَمّا خَرَجَ المُسْلِمُونَ إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ صاحِبِ اليَمامَةِ خَرَجْت مَعَهم وأخَذْت حَرْبَتي التي قَتَلْتُ بها حَمزَةَ فَلَمّا التَقَى النّاسُ رَأيت مُسَيْلِمَةَ الكَذّابَ قائمًا في يَدِه السّيْف وما أعْرِفُه فَتَهَيّأتُ له

وتَهَيّأ له رَجُلٌ من الأنصارِ من النّاحيَةِ الأُخرَى ، كِلانا يُريدُه فَهَزَزْتُ حَرْبَتي حتى إذا رَضيت منها دَفَعْتُها عليه فَوَقَعَتْ فيه وشَدَ عليه الأنصاريّ فَضَرَبَه بالسّيفِ فَرَبّك أعْلَمُ أيّنا قَتَلَه فَإن كُنت قَتَلْته، فقد قَتَلْت خَيْرَ النّاس بعد رسولِ الله ﷺ وقد قَتَلْت شَرّ النّاس .

قال ابنُ إسحاقَ [1] : وحَدّثني عبدُ الله بنُ الفَضْلِ عن سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، وكان قد شَهِدَ اليَامَةَ ، قال سَمِعْت يومئذٍ صارخًا يقول : قَتَلَه العبدُ الأسْوَدُ .

قال ابنُ هشام [2] : فَبَلَغَني أنّ وحشيًا لَم يَزَلْ يُحَدّ في الخَمرِ حتى خُلِعَ من الدّيوانِ فَكان عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يقولُ قد عَلِمتُ أنّ اللهَ تَعالى لَمْ يَكُن ليَدَعَ قاتِلَ حَمزَةَ .

[مَقْتَلُ مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ [3] : وقاتَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ دُونَ رسولِ الله ﷺ حتى قُتِلَ وكان الذي قَتَلَه ابنُ قَمِئَةَ اللّيْثِيّ وهو يَظُنّ أنّه رسولُ الله ﷺ فَرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ فَقال قَتَلْتُ مُحَمّدًا . فَلَمّا قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ أعْطَى رسولُ الله ﷺ اللّواءَ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ ، وقاتَلَ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ورجالٌ من المُسْلِمينَ .

قال ابنُ هشامٍ : وحَدّثني مَسْلَمَةُ بنُ عَلْقَمَةَ المازِنيّ ، قال [4] لَمّا اشْتَدّ القِتالُ يومَ أُحُدٍ ، جَلَسَ رسولُ الله ﷺ تَحْتَ رايَةِ الأنصارِ ، وأرْسَلَ [رسولُ الله ﷺ] إلى عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عليه أن قَدّمَ الرّايَةَ فَتَقَدّمَ عَلِيّ ، فَقال أنا أبو الفُصَمِ ويُقالُ أبو القُصَمِ فيما قال ابنُ هشام - فَناداه أبو سَعْدِ بنِ أبي طَلْحَةَ ، وهو صاحِبُ لِواءِ المُشْرِكينَ أن هَلْ لَكَ يا أبا القُصَمِ في البِرازِ من حاجَةٍ ؟ قال نَعم . فَبَرَزا بَيْنَ الصّفّيْنِ فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَه عَلِيّ فَصَرَعَه ثُمّ انْصَرَفَ عنه ولَم يُجْهَزْ عليه فَقال له أصْحابُه : أفَلا أجْهَزْت عليه ؟ فَقال إنّه اسْتَقْبَلَني بعَوْرَتِه ، فَعَطَفَتْني عنه الرّحِمُ وعَرَفْتُ أنّ اللهَ عَزّ وجَلّ قد قَتَلَه .

ويُقالُ: إنّ أبا سَعْدِ بنِ أبي طَلْحَةَ خَرَجَ بَيْنَ الصّفّيْنِ فَنادَى : أنا قاصِمٌ مَن يُبارِزُ برازًا ، فَلَم يَخْرُجْ إلَيه أحَدٌ . فَقال يا أصْحابَ مُحَمّدٍ زَعَمتُم أنّ قَتْلاكُم في الجَنّةِ وأنّ قَتْلانا في النّارِ كَذَبْتُم واللاّتِ لَوْ تَعْلَمُونَ ذلك حَقّا لَخَرَجَ إلَيّ بَعْضُكُم ، فَخَرَجَ إلَيه عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَه عَلِيّ فَقَتَلَه .

---

(١) حسن .

(٢) ضعيف : لم أقف له على إسناد .

(٣) نقله عنه البيهقي في الدلائل (٣/٢٣٨) .

(٤) معضل : مسلمة بن علقمة له أوهام وبينه وبين النبي ﷺ على الأقل ثلاثة .

قال ابن إسحاق : قَتَلَ أبا سَعْدِ بنِ أبي طَلْحَةَ سَعْدُ بنُ أبي وقاصٍ .

وَقاتَلَ عاصِمُ بنُ ثابتِ بنِ أبي الأقْلَحِ ، فَقَتَلَ مُسافِعَ بنَ طَلْحَةَ وأخاه الجُلاسَ ابنَ طَلْحَةَ ، كِلاهما يَشْعُرُه سَهْمًا ، فَيأتي أُمّه سُلافَةَ فَيَضَعُ رَأسَه في حِجْرِها فَتَقُولُ يا بُنَيّ مَن أصابَك ؟ فَيقول سَمِعْتُ رَجُلاً حينَ رَماني وهو يقول خُذْها وأنا ابنُ أبي الأقْلَحِ . فَنَذَرَتْ إن أمكَنَها الله من رَأسِ عاصِمٍ أن تُشْرَبَ فيه الخَمرُ وكان عاصِمٌ قد عاهَدَ اللهَ أن لا يَمَسّ مُشرِكًا أبَدًا ، ولا يَمَسّه مُشرِكٌ [1]

وقال عُثْمانُ بنُ أبي طَلْحَةَ يومئذٍ وهو يَحْمِلُ لِواءَ المُشْرِكينَ

إنّ على أهلِ اللّواءِ حَقّا أن يَخْضِبوا الصّعْدَةَ أوْ تَنْدَقّا

فَقَتَلَه حَمزَةُ بنُ عبدِ المطّلِبِ .

[حنظلة غسيل الملائكة] :

والتَقَى حَنظَلَةُ بنُ أبي عامِرٍ الغَسيلُ وأبو سُفيانَ فَلَمّا اسْتَعْلاه حَنظَلَةُ بنُ أبي عامِرٍ رَآه شَدّادُ ابنُ الأسْوَدِ ، وهو ابنُ شَعُوبٍ قد عَلا أبا سُفْيانَ . فَضَرَبَه شَدّادٌ فَقَتَلَه . فَقال رسولُ الله ﷺ : «إنّ صاحِبَكُم - يَعْني حَنْظَلَةَ - لَتُغَسّلَه المَلائِكَةُ» . فَسألُوا أهلَه ما شَأنُه ؟ فَسُئِلَتْ صاحِبَتُه عنه . فَقالتْ خَرَجَ وهو جُنُبٌ حينَ سَمِعَ الهاتِفَةَ [2] . قال ابنُ هشام : ويُقالُ الهائِعَةُ .

وجاءَ في الحَديثِ [3] «**خَيْرُ النّاسِ رَجُلٌ مُمسِكٌ بِعِنانِ فَرَسِه كُلّما سَمِعَ هَيْعَةً طارَ إلَيْها**»

قال الطِّرِمّاحُ بنُ حَكيمٍ الطّائِيّ ، قال ابن هشام : والطِّرِمّاحُ [٩/أ] الطّويلُ من الرّجالِ : -

أنا ابنُ حُماةَ المَجْدِ من آلِ مالِكٍ إذا جَعَلَتْ خُورُ الرّجالِ تَهيعُ

والهَيْعَةُ : الصّيْحَةُ التي فيها الفَزَعُ

قال ابن إسحاق : فَقال رسولُ الله ﷺ «**لِذلك غَسّلَتْه المَلائِكَةُ**»

قال ابن إسحاق : وقال شَدّادُ بنُ الأسْوَدِ في قَتْلِه حَنْظَلَةَ :

لأَحْمِيَنّ صاحِبي ونَفْسي بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شُعاعِ الشّمسِ

---

(١) سبق مسنداً : والحكم عليه في وقعة الرجيع .

(٢) صحيح بطرقه وشواهده ، رواه ابن حبان (٧٠٢٥) ، رواه الحاكم (٢٠٤/٣) والبيهقي (١٥/٤) وأبو نعيم في الحلية (٣٥٧/١) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه ابن الزبير رضي الله عنهما وهذا سند حسن ، وله شاهد من حديث ابن عباس .

رواه الطبراني في الكبير (١٢٠٩٤) والبيهقي (١٥/٤) السنن ، وحَسّن الهيثمي إسناد الطبراني وقد ورد من عدة طرق مرسلة رواها ابن أبي شيبة من مرسل الشعبي (٤٨٩/٨) ، البيهقي في نفس المصدر .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٨٨٩) ، وابن ماجه (٣٩٧٧) من حديث أبي هريرة ولفظه (من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، ... الحديث) .

وقال أبو سفيان بن حرب ، **وهو يَذْكُرُ صَبْرَه في ذلك اليومِ ومُعاوَنَةَ ابنِ شَعُوبٍ إيّاه على حَنْظَلَةَ :**

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْني كُمَيْتٌ طِمِرَّة [1] ... وَلَمَ أَحْمِلِ النَّعْماءَ لابنِ شَعُوبِ

وَما زال مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ منهم ... لَدُن غُدْوَةٍ حتى دَنَتْ لِغُرُوبِ [2]

أُقاتِلُهم وأدّعي يا لَغالِبِ ... وَأَدْفَعُهم عَنّي بِرُكْنٍ صَليبِ

فَبَكّي ولا تَرْعَى مَقالةَ عاذِلٍ ... وَلا تَسْأمي من عَبْرَةٍ ونحيبِ

أباكِ وإخوانًا له قد تَتابَعُوا ... وَحُقّ لهم من عَبْرَةٍ بِنَصيبِ

وَسَلّى الذي قد كان في النّفسِ أنّني ... قَتَلْتُ من النّجّار كُلّ نَجيبِ

وَمِن هاشِمٍ قَرْمًا كَريمًا ومُصْعَبًا ... وَكان لَدَى الهَيْجاءِ غَيْرَ هَيُوبِ

وَلَوْ أنّني لَمْ أَشْفِ نَفْسي منهم ... لكانَتْ شَجًا في القَلْبِ ذاتَ نُدُوبِ

فَآبَوْا وقد أوْدَى الجَلابيبُ منهم ... بِهِم خَدَبٌ [3] من مُغْطِبٍ وكَئِيبِ

أصابَهم مَن لَمَ يَكُن لِدِمائِهِم ... كِفاءً ولا في خُطّةٍ بِضَرِيبِ [4]

فأجابه حسان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ؟ فقال :

ذَكَرْتَ القُرُومَ الصّيدَ من آلِ هاشِمٍ ... وَلَسْتَ لِزُورٍ قلتَه بِمُصيبِ

أتَعْجَبُ أن أقْصَدْت حَمْزَةَ منهم ... نَجيبًا وقد سَمّيْتَه بِنَجيبِ

أَلَمْ يَقْتُلُوا عمرًا وعُتْبَةَ وابنَه ... وَشيبَةَ والحَجّاجَ وابنَ حَبيبِ

غَداةَ دَعا العاصي عَليًا فَراعَه ... بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلّه بِخَضيبِ [5]

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شَعُوبٍ يَذْكُرُ يَدَه عند أبي سُفْيانَ فيما دَفَعَ عنه فَقال :

وَلَوْلا دِفاعي يا ابنَ حَرْبٍ ومَشْهَدي ... لأُلْفيتَ يومَ النّعْفِ غَيْرَ مُجيبِ

وَلَوْلا مَكَرّي المُهْرَ بِالنّعْفِ قَرْقَرَتْ ... ضِباعٌ عليه أوْ ضِراءُ كَليبِ

قال ابن هشام : قَوْلُه «عليه أوْ ضِراءُ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

---

(١) طمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) دنت غروب : أي الشمس .

(٣) خدب : الطعن النافذ إلى الجوف .

(٤) الضريب : الشبيه .

(٥) العضب : السيف القاطع . خضيب : أي خضيب بدم .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال الحارثُ بنُ هشام يُجيبُ أبا سُفيان**

جَزَيْتهم يومًـــا بِبَدْرٍ كَمِثْلِـــه   على سابحٍ ذي مَيْعَـــةٍ وشَبيبِ

لَدَى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْت نَوائحًا   عَلَيْك ولمْ تَحْفِلْ مُصـابَ حَبيبِ

وَإنك لَوْ عايَنْتَ ما كـان منهم   لأُبْتَ بِقَلْبٍ ما بَقيتُ نَخيبُ [1]

قال ابن هشام : وإنّما أجابَ الحارثُ بنُ هشامٍ أبا سُفيانَ لأنّه ظَنّ أنّه عَرّضَ به في قَوْلِه :

وَما زال مُهْرِيّ مَزْجَرَ الكَلْبِ منهم   لِفِرارِ الحارِثِ يوم بَـــــدْرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ أنزَلَ الله نَصْرَه على المُسْلِمِينَ وصَدَقَهم وعْدَه فَحَسّوهم بِالسّيُوفِ [2] حتى كَشَفُوهم عن العَسْكَرِ وكانَتِ الهَزِيمَةُ لا شَكّ فيها .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَـدّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ عن عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن الزّبَيْرِ أنّـه قال [3] والله لَقـد رَأيْتني أنْظُـرُ إلى خَـدَمِ هِنْـدِ بِنْتِ عُتْبَة وصَواحِبِها مُشَمّراتٌ هَوارِبُ ما دُونَ أخْذِهِنّ قَليلٌ ولا كَثيرٌ إذْ مالتِ الرّماةُ إلى العَسْكَرِ حين كَشَفْنا القَوْمَ عنه وخَلّوا ظُهُورَنا لِلْخَيْلِ فَأُتينا من خَلْفِنا ، وصَرَخَ صارِخٌ ألا إنّ مُحَمّدًا قد قُتِلَ ؛ فانْكَفَأْنا وانْكَفَأَ عَلَيْنا القَوْمُ بعد أن أصَبنا أصْحابَ اللّواءِ حتى ما يَدْنُو مِنْه أحَدٌ من القَوْمِ .

قال ابنُ هشام : الصّارِخُ أزَبّ العَقَبَةِ ، يَعْني الشّيْطانَ .

قال محمد بنُ إسحـاقَ : وحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ [4] أنّ اللّواءَ لَم يَزَلْ صَريعًا حتى أخَذَتْه عمرَةُ بِنْتُ عَلْقَمَةَ الحارِثِيّةُ ، فَرَفَعَتْه لِقُرَيْشٍ فَلاثُوا به . وكان اللّواءُ مع صُؤابٍ غُلامٌ لِبني أبي طَلْحَةَ حَبَشِيّ وكان آخِرُ مَن أخَذَه منهم فَقاتَلَ به حتى قُطِعَتْ يَداه ثُمّ بَرَكَ عليه فَأخَذَ اللّواءَ بِصَدْرِه وعُنُقِه حتى قُتِلَ عليه وهو يقول اللّهمّ هَلْ أعْزَرْت - يَقُولَ أعْذَرْت - فَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في ذلك : [٩/ب]

فَخَرْتُم بِاللّواءِ وشَرّ فَخْـــرٍ   لِـــواءٌ حينَ رُدّ إلى صُـــؤَابِ

جَعَلْتُم فَخْرَكُم فيـــه بِعبـــدٍ   وَألأمُ مَن يَطا عَفَرَ التّـــرابِ

---

(١) النخيب : الجبان الفزع .

(٢) حسوهم بالسيوف : قتلوهم واستأصلوهم .

(٣) حسن : رواه البيهقي في الدلائل (٣/٢٢٨) والطبري في التاريخ (٢/٦٤) من طريق ابن إسحاق .

(٤) هكذا وقع هنا في السيرة . وقد رواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٤٧٣٨) عن وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحاق بنفس السند السابق إلى الزبير قال الحافظ : صحيح وله شاهد في الصحيح من حديث البراء .

ظَنَنتُم والسَفيه لــه ظُنُونُ وَما إن ذاكَ من أمرِ الصَوابِ
بأنّ جِلادَنا يـــومَ التَقَيْنا بمَكّةَ بَيْعُكُم حُمْـرَ العيـابِ
أقَرّ العَيْنَ أن عُصِبَتْ يَداه وَما إن تُعْصَبانِ على خِضابِ

قال ابنُ هشامٍ : آخِرُها بَيْتًا يُرْوَى لأبِي خِراشٍ الهُذَليِّ وأنشَدَنيه له خَلَفٌ الأحْمَرُ :

أقَرّ العَيْنَ أن عُصِبَتْ يَداها وَما إن تُعْصَبانِ على خِضابِ

في أبياتٍ له يَعْني امرأتَه في غَيْرِ حَديثِ أُحُدٍ . وتُرْوَى الأبياتُ أيضًا لمِعْقِلِ ابنِ خُوَيْلِد الهُذَليّ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ في شَأنِ عَمرَةَ بِنْتِ عَلْقَمَةَ الحارِثيّةِ ورَفْعِها اللّواءِ :

إذا عَضَلٌ سيقَتْ إلَيْنا كَأنّها جِدايَةُ شِرْكٍ مُعْلِماتِ الحَواجِبِ [1]
أقَمْنا لهم طَعْنًا مُبيرًا مُنَكّلاً وَحُزناهم بالضَرْبِ من كُلّ جانِبِ
فَلَوْلا لِــواءُ الحارثيّةِ أصْبَحُوا يُباعُونَ في الأسْواقِ بَيْعَ الجَلائِبِ [2]

قال ابنُ هشامٍ : وهذه الأبياتُ في أبياتٍ له .

[ما لَقيَه الرَسُولُ يومَ أُحُدٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وانكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَأصابَ فيهم العَدُوّ ، وكان يومَ بَلاءٍ وتَمْحيصٍ أكْرَمَ الله فيه مَن أكْرَمَ من المُسْلِمينَ بالشّهادَةِ حتى خَلَصَ العَدُوّ إلى رسولِ الله ﷺ . فَدُثّ بالحِجارَةِ حتى وقَعَ لِشِقّه فأُصيبَتْ رَباعيَتُه وشُجّ في وجْهِه وكُلِمَتْ شَفَتُه وكان الذي أصابَه عُتْبَة بنُ أبي وقّاصٍ .

قال ابنُ إسحاقَ :فَحَدّثَني حُمَيْد الطَويلُ عن أنَسِ بنِ مالِكٍ ، قال [3] كُسِرَتْ رَباعيَةُ النّبيّ ﷺ يومَ أُحُدٍ ، وشُجّ في وجْهِه فَجَعَلَ الدَمُ يَسيلُ على وجْهِه وجَعَلَ يَمْسَحُ الدَمَ وهو يقول : «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبوا وجهَ نَبيّهم ، وهو يَدْعُوهم إلى رَبّهم**» فَأنْزَلَ الله عَزّ وجَلّ في ذلك ﴿**ليس لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أوْ يَتُوبَ عليهم أوْ يُعَذّبَهم فَإنّهم ظالِمُونَ**﴾ .

قال ابنُ هشامٍ : وذَكَرَ رُبَيْحُ بنُ عبدِ الرَحْمَنِ بنِ أبي سَعيدٍ الخُدْريّ عن أبيه عن أبي سَعيدٍ

---

(١) عضل : اسم قبيلة من خزيمة . الجداية : الصغير من أولاد الظباء . شرك : موضع .

(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

(٣) صحيح : رواه مسلم (١٧٩١) وأحمد (٣/٩٩ - ٢٥٣ - ٢٨٨) والترمذي (٣٠٠٢) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٧٧) وابن ماجه (٤٠٢٧) من حديث ثابت عن أنس عند مسلم .

الخُدْريّ [١] أنّ عُتْبَة بنَ أبي وقّاصٍ رَمَى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ فكَسَرَ رَباعيَتَه اليُمنَى السّفلَى ، وجَرَحَ شَفَتَه السّفلَى ، وأنّ عبدَ الله بنَ شِهابٍ الزّهريّ شَجّه في جَبْهَتِه وأنّ ابنَ قَمِئَةَ جَرَحَ وجْنَته فَدَخَلَتْ حَلْقَتانِ من حَلَقِ المِغْفَرِ وجْنَتَه ووَقَعَ رسولُ الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحُفَرِ التي عَمِلَ أبو عامِرٍ ليَقَعَ فيها المُسلِمُونَ وهم لا يَعْلَمُونَ فأَخَذَ عَليّ بنُ أبي طالِبٍ بيَدِ رسولِ الله ﷺ ورَفَعَه طَلْحَةُ ابنُ عُبَيْدِ الله حتى اسْتَوَى قائمًا ، ومَصّ مالِكُ بنُ سِنانٍ ، أبو أبي سَعيدٍ الخُدْريّ الدّمَ عن وجه رسولِ الله ﷺ ثُمّ ازْدَرَدَه فَقال رسولُ الله ﷺ : «مَن مَسّ دَمي دَمَه لَمْ تُصِبْه النّارُ» .

قال ابن هشام : وذَكَرَ عبدُ العَزِيزِ بنُ مُحَمّدٍ الدّراوَرْديّ : أنّ النّبيّ ﷺ قال **مَن أَحَبّ أن يَنْظُرَ إلى شَهيدٍ يَمشي على وجْه الأرْضِ فَلْيَنْظُرْ إلى طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله** [٢] وَذَكَرَ يَعْني عبدُ العَزيزِ الدّراوَرْديّ ، عن إسحاقَ بنِ يَحْيَى ابنِ طَلْحَةَ عن عيسَى بنِ طَلْحَةَ ، عن عائِشَةَ عن أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ [٣] أنّ أبا عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ نَزَعَ إحْدَى الحَلْقَتَيْنِ من وجه رسولِ الله ﷺ فَسَقَطَتْ ثَنيّتُه ثُمّ نَزَعَ الأُخْرَى ، فَسَقَطَتْ ثَنيّتُه الأُخْرَى ، فكان ساقِطَ الثّنيّتَيْنِ .

قال ابن إسحاق : وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ لِعُتْبَةَ بنِ أبي وقّاصٍ :

إذا اللهُ جازَى مَعْشَرًا بِفِعالِهِم ضَرّهم الرّحْمَـــنُ رَبّ المَشَــارِقِ

---

(١) ضعيف : علقه ابن هشام . وفيه ربيح بن عبد الرحمن . قال البخاري منكر الحديث . قال أحمد : ليس بمعروف . قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به . راجع ميزان الاعتدال (٣٨/٢ ترجمة ٢٧٢٧) ، وله شواهد مرسلة من مرسل قتادة ، رواه عبد الرزاق في التفسير (٤٥٢) وابن جرير في التفسير (٨٨/٤/٣) . ومن مرسل مقسم مولى ابن عباس رواه عبد الرزاق في التفسير (٤٥٥) وابن جرير نفس المصدر ومن مرسل يعقوب بن عاصم : وهو مجهول الحال رواه عبد الرزاق (٤٥٦) تفسير .

(٢) ضعيف : رواه الترمذي (٣٧٣٩) والطيالسي (١٧٩٣) وابن ماجه (١٢٥) من رواية الصلت بن دينار الأزدي عن أبي نضرة عن جابر بلفظ أعلاه . قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الصلت وقد تكلم فيه بعض أهل العلم . قلت : والصلت ضعيف .

ورواه الطبراني في الكبير (٢١٥) من رواية سليمان بن أيوب عن أبيه أيوب بن سليمان عن أبيه سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة عن موسى بن طلحة عن طلحة بن عبيد رضي الله عنه .

وهذا سند ضعيف جدًا فيه سليمان بن أيوب صاحب مناكير . قال أبو زرعة : عامة أحاديثه لا يتابع عليها . راجع ميزان الاعتدال (١٩٧/٢ ترجمة ٣٤٢٨) . قال الهيثمي في المجمع (١٤٩/٩) : فيه سليمان بن أيوب الطلحي . وثقه جماعة وضعفه جماعة ، وفيه جماعة لم أعرفهم .

وله شاهد بلفظ (طلحة ممن قضى نحبه) صححه الشيخ ناصر بهذا الشاهد أعلاه ، وصحح هذا به كما في الصحيحة (١٢٥/١٢٦) . قلت : ولم أقف على رواية الدراوردي موصولة .

(٣) ضعيف : رواه ابن سعد في الطبقات (٣١٣/٣) والبزار (٦٣- البحر الزخار) والطيالسي (ح ٦ ص ٣) ، وابن حبان (٦٩٨٠) والحاكم (٣٧٥/٣) والبيهقي دلائل (٢٦٣/٣) كلهم من رواية إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة . وعلته إسحاق بن يحيى : متروك . نقله الذهبي في تعليقه على المستدرك عن أحمد .

فَأخزاكَ رَبّي يا عُتَيْبُ بنَ مالِكٍ ... وَلَقّاكَ قَبْلَ المَوْتِ إحْدَى الصَواعِقِ

بَسَطْتَ يَمِينًا لِلنَبِيِّ تَعَمُّدًا ... فَأدْمَيْتَ فاهُ قُطِّعَتْ بِالبَوارِقِ

فَهَلاّ ذَكَرْتَ اللهَ والمَنْزِلَ الذي ... تَصيرُ إلَيْهِ عِنْدَ إحْدَى البَوائِقِ

قال ابن هشام : تَرَكْنا منها بَيْتَيْنِ أقْذَعَ فيهما .

[ابن السكن وبلاؤه يوم أُحد]

قال ابن إسحاق : وقال رسولُ الله ﷺ حينَ غَشِيَه القَوْمُ : «مَن رَجُلٌ يَشْري لَنا نَفْسَه ؟» كَما حَدّثَني [١٠/أ] الحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عمرِو بنِ سَعْدِ ابنِ مَعاذٍ ، عن مَحْمُودِ بنِ عمرٍو ، قال فَقامَ زِيادُ بنُ السّكَنِ في نَفَرٍ خَمسَةٍ من الأنْصارِ - وبَعْضُ النّاسِ يقول إنّما هُوَ عُمارَةُ بنُ يَزِيدَ ابنِ السّكَنِ - فَقاتَلُوا دُونَ رسولِ الله ﷺ رَجُلاً ثُمّ رَجُلاً ، يُقْتَلُونَ دُونَه حتى كان آخِرُهم زِيادَ أوْ عُمارَةَ فَقاتَلَ حتى أثْبَتَتْه الجِراحَةُ ثُمّ فاءَتْ فِئَةٌ من المُسْلِمينَ فَأجْهَضُوهم عنه فَقال رسولُ الله : «أدْنُوه مِنّي» فَأدْنَوْه مِنه فَوَسّدَه قَدَمَه فَماتَ وخَدّه على قَدَمِ رسولِ الله ﷺ [1]

قال ابن هشام [2] : وقاتَلَتْ أُمّ عُمارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المازِنيّة يومَ أُحُدٍ . فَذَكَرَ سَعيدُ بنُ أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ : أنّ أُمّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بنِ الرّبيعِ كانَتْ تَقُولُ دَخَلْتُ على أُمّ عُمارَةَ فَقُلْتُ لها : يا خالةُ أخْبِريني خَبَرَك ؛ فَقالتْ خَرَجْتُ أوّلَ النّهارِ وأنا أنْظُرُ ما يَصْنَعُ النّاسُ ومَعي سِقاءٌ فيه ماءٌ فانْتَهَيْتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو في أصْحابه والدّوْلَةُ والرّيحُ لِلْمُسْلِمينَ . فَلَمّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فَقُمت أُباشِرُ القِتال وأذُبّ عنه بِالسّيْفِ وأرْمي عن القَوْسِ حتى

---

(١) ضعيف الإسناد : رواه البخاري في التاريخ (٣١٥/٨) من طريق ابن إسحاق عن حصين ابن عبد الرحمن عن محمود بن عمر عن يزيد بن السكن رضي الله عنه ، وهذا السند موصول بخلاف روايته هنا فهي مرسلة . وعلة هذا السند : حصين بن عبد الرحمن . فيه جهالة . قال الذهبي في الميزان (٥٥٣/١) صالح الأمر . قال الحافظ : مقبول . ووثقه ابن حبان . ومحمود ابن عمرو مجهول . قال الذهبي في الميزان (٧٨/٤) : فيه جهالة . ووثقه ابن حبان . قال الحافظ : مقبول

قلت : وقد صح نحو هذا بدون ذكر أحد من الأنصار . رواه مسلم (١٧٨٩) وأحمد (٤١٣/١) من حديث أنس. قال : إن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش ، فلما رهقوه ، قال : (من يرد عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة ؟) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضًا - غشوة وقربوا منه - فقال : (من يردهم عنا وله الجنة ؟) أو (هو رفيقي في الجنة ؟) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبه (ما أنصفنا أصحابنا) . وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٩١/٨ - ٤٩٢) من حديث ابن مسعود مثله ورجاله ثقات . وعند النسائي (٢٩/٦ - ٣٠) والحاكم (٣٦٩/٣) من حديث جابر نحوه وأحد القريشيين طلحة بن عبيد الله ، رضي الله عنه .

(٢) معلق : علقه ابن هشام ونقله عنه الحافظ في الإصابة ولم أقف عليه موصولاً .

خَلَصَتِ الجِراحُ إليَّ . قالتْ فَرَأيْتُ على عاتِقِها جُرْحًا أجْوَفَ له غَوْرٌ ، فَقُلْت : مَن أصابَك بهذا؟ قالتِ ابنُ قَمِئَةَ أقْمَأه الله لمّا ولّى النّاسُ عن رسولِ الله ﷺ أقْبَلَ يقول دُلّوني على مُحمّد ، فلا نَجَوْتُ إن نَجا ، فاعْتَرَضْتُ له أنا ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وأُناسٌ ممّن ثَبَتَ مع رسولِ الله ﷺ فَضَرَبني هذه الضَرْبَةَ ولكِن فَلَقد ضَرَبْته على ذلك ضَرَباتٍ ولكِنّ عَدُوّ الله كان عليه دِرْعانِ .

[أبو دُجانَةَ وابنُ أبي وقّاصٍ يَدْفَعانِ عن الرَسُول] :

قال ابنُ إسحاقَ : وتَرّسَ دُونَ رسولِ الله ﷺ أبو دُجانَة بِنَفْسِه يَقَعُ النَبْلُ في ظَهْرِه وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَ فيه النَبْلُ [1] . وَرَمَى سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ دُونَ رسولِ الله . **قال سَعْدٌ : فَلَقد رَأيْتُه يُناوِلُني النَبْلَ وهو يقول : «ارْمِ فِداك أبي وأُمّي ، حتى إنّه لَيُناوِلُني السَهْمَ ما له نَصْلٌ فَيقول ارْمِ به»** [2]

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ [3] : أنّ رسولَ الله ﷺ رَمَى عن قَوْسِه حتى انْدَقّتْ سِيَتُها ، فأخَذَها قَتادَةَ بنُ النّعْمانِ ، فكانَتْ عنده وأُصيبَتْ يومئِذٍ عَيْنُ قَتادَةَ بنِ النّعْمانِ ، حتى وقَعَتْ على وجْنَتِه .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ رَدّها بيَدِه فكانَتْ

---

(١) ضعيف : وصله الطبراني في الكبير (٩/١٩/ ح ١٣) من رواية الفضل بن عاصم عن أبيه عن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده . وهذا سند فيه ثلاثة مجاهيل : شيخ الطبراني الوليد بن حماد ، وعبد الله بن الفضل ، والفضل ابن عاصم . قال الهيثمي : وفيه من لا أعرفهم .

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٥) مسلم (٢٤١١) . من حديث سعد قال : «نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد فقال : «ارم فداك أبي وأمي» .

(٣) مرسل : رواه ابن أبي شيبة (٨/٤٨٩) وابن سعد في الطبقات (٣/٣٤٦) والطبراني في تاريخه (٢/٦٦) والبيهقي في الدلائل (٣/٣٥١) كلهم من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر مرسلاً وعاصم لا يدرك جده قتادة . ولعله أخذه عن أبيه عمر أو جدته رميثة وهي صحابية قلت : وقد خالف ابن إسحاق عبد الرحمن بن سليمان ابن الغسيل . فرواه عن عاصم عن أبيه عن جده . رواه البيهقي (٣/٢٥٢) وخالف في المتن أيضًا فقال وخالف في المتن أيضًا فقال يوم بدر بدلاً من أحد . قلت : وعبد الرحمن فيه لين . وقد اختلف عليه في إسناده فرواه يحيى ابن عبد الحميد وهو الحماني على هذا الوجه وخالفه مالك بن إسماعيل فرواه عن عبد الرحمن عن عاصم عن جده بإسقاط أبيه .

وقد روى من حديث قتادة موصولاً من رواية أبي سعيد الخدري عنه رواها البيهقي في الدلائل (٣/٢٥٣) والدارقطني في السنن عزاه إليه الحافظ ابن كثير . وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة . متروك . قلت : فيترجح عندنا رواية ابن إسحاق المرسلة . والله أعلم .

ورواه الطبراني في الكبير (١٩/٨/ ح١٢) من رواية الوليد ابن حماد عن عبد الله بن الفضل عن أبيه الفضل بن عاصم عن أبيه عاصم بن عمر عن أبيه عن جده .

قلت : وهذا السند فيه ثلاثة مجاهيل وهم شيخ الطبراني وشيخ شيخه وأبوه قال الهيثمي : وفيه من لا أعرفهم .

أحسنَ عَيْنَيْه وأحَدّها .

[شأنُ أنَس بن النَّضْر]

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني القاسِمُ بنُ عبدِ الرّحمَنِ بنِ رافع أخُو بني عَديّ ابنِ النّجّارِ قال [1] انتَهَى أنَسُ بنُ النضرِ ، عمّ أنسِ بنِ مالِكٍ ، إلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، وطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله، في رِجالٍ من المهاجِرينَ والأنصارِ ، وقد ألْقَوْا بأيْديهم فقال ما يُجْلِسُكُمْ ؟ قالُوا : قُتِلَ رسولُ الله ﷺ : قال فَماذا تَصْنَعُونَ بالحَياةِ بعده ؟ قُومُوا فَمُوتُوا على ما ماتَ عليه رسولُ الله ﷺ ثُمّ استَقْبَلَ القَوْمَ فَقاتَلَ حتى قُتِلَ وبَهْ سُمّيَ أنَسُ بنُ مالِكٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فحَدّثني حُمَيْد الطّويلُ عن أنَسِ بنِ مالِكٍ ، قال [2] لَقد وجَدْنا بأنَسِ بنِ النّضرِ يومئِذٍ سَبْعينَ ضَرْبَةً فَما عَرَفَه إلاّ أُخْتُه عَرَفَتْه ببنانِه .

قال ابنُ هشامٍ : حَدّثني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ [3] . أنّ عبدَ الرّحمَنِ بنَ عَوْفٍ أُصيبَ فُوه يومئِذٍ فَهُتِمَ وجُرِحَ عِشْرينَ جِراحَةً أوْ أكْثَرَ أصابَه بَعْضُها في رِجْلِه فَعَرِجَ .

قال ابنُ إسحاقَ [4] : وكان أوّلَ مَن عَرَفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهَزيمَةِ وقَوْلُ النّاسِ قُتِلَ رسولُ الله ﷺ كَما ذَكَرَ لي ابنُ شِهابٍ الزّهْرِيّ : كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، قال : عَرَفْت عَيْنَيْه تَزْهَرانِ من تَحْتِ المِغْفَرِ فَنادَيْتُ بأعْلَى صَوْتي : يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ أبْشِرُوا ، هذا رسولُ الله ﷺ فأشارَ إليّ

---

(١) مرسل :القاسم بن عبد الرحمن ، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح ولم يذكر فيه شيئًا . فهو مجهول الحال ، ومع هذا فهو مرسل . أما قوله وبه سمى أنس بن مالك فهو صحيح كما سيأتي من حديث أنس .

(٢) متفق عليه :البخاري (٢٨٠٥) ومسلم (١٩٠٣) ولفظ البخاري : قال أنس : غاب عمي [في لفظ مسلم الذي سميت به] أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ! غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون قال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ! الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال أنس : فوجدناه به بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه . قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه و في أشباهه : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه﴾ إلى آخر الآية .

(٣) معضل :وفيه جهالة من حديث ابن هشام .

(٤) سند ضعيف لانقطاعه وقد وصله الطبراني بسند حسن : وصله الطبراني في الأوسط (١١٠٨) وفي مجمع البحرين (٢٧٦٨) من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عبد الله بن كعب عن أبيه . وهذا سند حسن . رواه في الكبير بإسناد آخر نحوه (١٩/١٠٠ ح ٢٠٠) . قال الهيثمي في المجمع (١١٢/٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الأوسط ثقات .

رسولُ الله ﷺ أن أنصِتْ .

قال ابن إسحاق : فَلَمّا عَرَفَ المُسْلِمُونَ رسولَ الله ﷺ نَهَضُوا به ونَهَضَ مَعَهم نَحْوَ الشِّعْبِ ، مَعَه أبو بَكْرٍ الصِّدّيقُ [١٠ ب] ، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، وعَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ، وطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله، والزّبَيْرُ بنُ العَوّامِ ، رِضْوانُ الله عليهم والحارِثُ ابنُ الصِّمّةِ ورَهْطٌ من المُسْلِمِينَ .

[مقتل أبيّ بن خلف] :

[قال] : فلَمّا أُسْنِدَ رسولُ الله ﷺ في الشِّعْبِ أدرَكَه أُبَيّ بنُ خَلَفٍ وهو يقول أيْ مُحَمّدُ لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ فقال القَوْمُ : يا رسولَ الله أيَعْطِفُ عليه رَجُلٌ مِنّا ؟ فقال رسولُ الله : «دَعُوه» فلَمّا دَنا ، تناوَلَ رسولُ الله ﷺ الحَرْبَةَ من الحارِثِ بنِ الصِّمّةِ يقول بَعْضُ القَوْمِ فيما ذُكِرَ لي : فَلَمّا أخَذَها رسولُ الله ﷺ مِنه انْتَفَضَ بِها انْتِفاضَةً تَطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراءِ عن ظَهْرِ البَعيرِ إذا انْتَفَضَ بِها - قال ابن هشام : الشَّعْراءُ ذُبابٌ له لَدْغٌ - ثُمّ استَقْبَلَه فطَعَنَه في عُنُقِه طَعْنَةً تَدَأْدَأَ منها عن فَرَسِه مِرارًا . [قال ابن هشام : تَدَأْدَأَ يقول تَقَلّبَ عن فرَسِه فَجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ]

قال ابن إسحاق : وكان أُبَيّ بنُ خَلَفٍ ، كَما حَدّثَني صالِحُ بنُ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ [١] ، يَلْقَى رسولَ الله ﷺ بِمَكّةَ فيقول يا مُحَمّدُ إنّ عِنْدي العَوْذَ فَرَسًا أعْلِفُه كُلّ يومٍ فَرَقًا من ذُرَةٍ أقْتُلُك عليه فيقول رسولُ الله ﷺ : «بَلْ أنا أقْتُلُك إن شاءَ الله» . فَلَمّا رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وقد خَدَشَه في عُنُقِه خَدْشًا غَيْرَ كَبيرٍ فاحْتَقَنَ الدّمُ . قال : قَتَلَني والله مُحَمّدٌ قالُوا له ذَهَبَ والله فُؤادُك والله إن بِك من بَأْسٍ قال إنّه قد كان قال لي بِمَكّةَ أنا أقتلك ، فَوالله لَوْ بَصَقَ عَلَيّ لَقَتَلَني . فَماتَ عَدُوّ الله بِسَرِف وهم قافِلُونَ به إلى مَكّةَ .

قال ابن إسحاق : فقال حسانُ بنُ ثابتٍ في ذلك

لَقد وَرِثَ الضّلالةَ عن أبيه ... أُبَيّ يومَ بارَزَه الرّسُولُ

أتَيْتَ إليْه تَحْمِلُ رِمّ عَظْمٍ ... وَتُوعِدُه وأنْتَ به جَهُولُ

وَقد قَتَلَتْ بنُو النّجّارِ مِنكُم ... أُمَيّةَ إذْ يُغَوّثُ يا عَقيلُ

وَتَبّ ابنا رَبيعَةَ إذْ أطاعا ... أبا جَهْلٍ لأُمّهِما الهَبول [٢]

وَأفْلَتَ حارِثٌ لَمّا شَغَلْنا ... بِأسْرِ القَوْمِ أُسْرَتُه فَلَيْلُ

---

(١) مرسل : رواه الطبراني في التاريخ (٢/٦٧) من رواية ابن إسحاق . وروى من مرسل عروة ، ذكره الحافظ ابن كثير في البداية (٤/٣٣) : ومن مرسل سعيد بن المسيب . رواه ابن سعد في الطبقات (٢/٣٥) وسنده صحيح إلى سعيد مثل رواية ابن إسحاق تقريبًا ، وعزاه ابن كثير لموسى بن عقبة في مغازيه من رواية سعيد .

(٢) تب : هلك . الهبول : الفقد .

قال ابن هشام : **أسَرتُه قَبيلَتُه . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا في ذلك**

ألا مَـــن مُبلغٌ عَنّي أُبَيّــــا لَقد أُلقِيتَ في سُحْقِ السَّعيــرِ

تَمَنّى بالضّلالةِ مِـــن بَعيـــدٍ وَتُقْسِمُ أن قَدَرت مع النّذُورِ

تَمَنّيك الأمانيَّ مِـــن بَعيـــدٍ وَقَوْلُ الكُفرِ يَرْجِعُ في غُـــرُورِ

فقد لاقَتْك طَعْنَةُ ذي حِفاظٍ كَرِيمِ البَيْتِ ليس بِذِي فُجُـورِ

لَه فَضْلٌ على الأحْياءِ طُـــرّا إذا نابَتْ مُلِمّـــاتُ الأُمُـــورِ

[قال] [١] : **فَلَمّا انتَهَى رسولُ الله ﷺ إلى فَمِ الشّعْبِ خَرَجَ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ، حتى مَلأَ** دَرَقَتَه ماءً من المِهْراسِ ، **فَجاءَ به إلى رسولِ الله ﷺ لِيَشْرَبَ مِنه فَوَجَدَ له رِيحًا ، فَعافَه فَلَم يَشْرَبْ** مِنه وغَسَلَ عن وجْهِه الدّمَ وصَبّ على رَأسِه وهو يقول : **«اشْتَدّ غَضَبُ الله على مَن دَمّى وجْهَ نَبيّه ﷺ»** .

قال ابن إسحاق : **فَحَدّثَني صالِحُ بنُ كَيْسانَ عمّن حَدّثَه عن سَعْد بنِ أبي وقّاصٍ أنّه كان يقول** [٢] **والله ما حَرَصْت على قَتْلِ رَجُلٍ قَطّ كَحِرْصي على قَتْلِ عُتْبَة بنِ أبي وقّاصٍ ، وإن كان ما عَلِمتُ لِسَيّئ الخُلُقِ مُبْغَضًا في قَوْمِه ولَقد كَفاني مِنه قَوْلُ رسولِ الله ﷺ : «اشْتَدّ غَضَبُ الله على مَن دَمّى وجْهَ رسوله»** .

[صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم]

قال ابن إسحاق [٣] : **فَبَيْنا رسولُ الله ﷺ بالشّعْبِ مَعَه أُولَئِكَ النّفَرُ من أصْحابه إذْ عَلَتْ**

---

(١) صحيح : وصله إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (٤٧٤١) من رواية ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن الزبير عن الزبير وهذا سند حسن . وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ، البخاري (٤٠٧٣) ومسلم (١٧٩٣) أن عليًا كان يصب الماء وفاطمة تغسل وجه النبي . ولفظه : قال سهل رضي الله عنه : (حين سئل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد . قال : جرح وجه رسول الله ﷺ ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وعلي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ، ثم ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدم). وقوله ﷺ (اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه) ، رواه البخاري (٤٠٧٦) وأحمد (٢٨٨/١) والحاكم (٢٩٦/٢ - ٢٩٧) والبيهقي دلائل (٢٦٢/٣) ومن حديث أبي هريرة نحوه . رواه البخاري (٤٠٧٣) ومسلم (١٧٩٣) .

(٢) إسناده ضعيف : فيه مبهم . والحديث صحيح لغيره كما سبق .

(٣) حسن بشواهده : رواه أحمد (٢٨٧/١ - ٢٨٨) والحاكم (٢٩٦/٢ - ٢٩٧) والبيهقي دلائل (٢٩٦/٣ - ٢٧٠) والطبراني (١٠٧٣١) كلهم من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس. في حديث طويل وفيه قول النبي ﷺ : (اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا) . قلت : فيه عبد الرحمن ....=

عاليةٌ من قُرَيْشٍ الجَبَلَ .

قال ابنُ هشام : كان على تِلْكَ الخَيْلِ خالِدُ بنُ الوَليدِ .

قال ابنُ إسحاقَ : فقال رسولُ الله ﷺ : **«اللهمّ إنه لا يَنْبَغي لهم أن يَعْلُونا»** فقاتَلَ عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ ورَهْطٌ مَعَه من المُهاجِرينَ حتى أهبَطُوهم من الجَبَلِ .

قال ابنُ إسحاقَ [١] : ونَهَضَ رسولُ الله ﷺ إلى صَخْرَةٍ من الجَبَلِ ليَعْلُوَها ، وقد كان بَدَّنَ رسولُ الله ﷺ وظاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ فَلَمّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ ﷺ لَم يَسْتَطِعْ فَجَلَسَ تَحْتَه طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله ، فَنَهَضَ به حتى اسْتَوَى عليها . فقال رسولُ الله ﷺ كَما حَدَّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزُبَيْرِ ، عن أبيه عن عبدِ الله بنِ الزُبَيْرِ ، عن الزُبَيْرِ قال سَمِعْت رسولَ الله ﷺ يومئذٍ يقول : **«أوْجَبَ [٢] طَلْحَةُ حينَ صَنَعَ برسولِ الله ﷺ ما صَنَعَ»**

قال ابنُ هشام [٣] : وبَلَغَني عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبّاسٍ [١١/أ] : أنّ رسولَ الله ﷺ لَم يَبْلُغِ الدَرَجَةَ المَبْنيّةَ في الشِّعْبِ .

قال ابنُ هشام : وذَكَرَ عُمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ [٤] : أنّ النبيّ ﷺ صَلّى الظُهْرَ يومَ أُحُدٍ قاعِدًا من الجِراحِ التي أصابَتْه وصَلّى المُسلِمُونَ خَلْفَه قُعُودًا.

قال ابنُ إسحاقَ : وقد كان النّاسُ انهَزَمُوا عن رسولِ الله ﷺ حتى انْتَهَى بَعْضُهم إلى المُنَقَّى ، دُونَ الأعْوَصِ [*] .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن مَحْمُودِ بنِ لَبيدٍ ، قال [٦] لَمّا

= ابن أبي الزناد فيه ضعف ومن أهل العلم من يوثقه . قال ابن كثير في البداية : (هذا حديث غريب ، وهو من مرسلات ابن عباس ، وله شواهد من وجوه كثيرة) .

قلت : شواهد في الصحيح وغيره وقد مضى منها شيء وسيأتي .

(١) **عند الإسناد حسن :** رواه أحمد (١٦٥/١) وابن سعد (١٦٣/٣) والترمذي (١٦٩٢) والحاكم (٣٧٤/٣) والبيهقي دلائل (٢٣٨/٣) وابن حبان (٦٩٧٩) وابن أبي عاصم في السنة (١٣٩٧) وأبو يعلى (٦٧٠) كلهم من طريق ابن إسحاق .

(٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) **معلق ومعضل :** بين ابن هشام وعكرمة ثلاث أنفس على الأقل .

(٤) **ضعيف ومرسل :** ذكره ابن هشام معلقًا ، ومع تعليقه فهو مرسل ، ومع إرساله عمر مولى غفرة ضعيف .

(*) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٦) **صحيح بطرقه :** سند ابن إسحاق حسن وهو من مراسيل الصحابة ، محمود بن لبيد صحابي صغير ولم يشهد الموقعة . ولعله أخذه من حذيفة رضي الله عنه . رواه من طريق ابن إسحاق هذا الطبري في التاريخ (٧٣/٢) . ومن حديث أم المؤمنين عائشة . رواه البخاري (٤٠٦٥) وابن سعد (٣٤/٢) والحاكم (٣٧٩/٣) ....=

خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أُحُدٍ ، رَفَعَ حُسَيْلُ بنُ جابرٍ وهو اليَمانُ أبو حُذَيْفَةَ بنُ اليَمانِ ، وثابتُ ابنُ وقْشٍ في الآطام مع النِّساءِ والصِّبْيانِ فقال أحَدُهما لِصاحِبه وهما شيخانِ كبيرانِ ما أبا لَكَ ، ما تَنْتَظِرُ ؟ فَوالله لا بَقِيَ لِواحِدٍ مِنّا من عُمرِه إلاّ ظِمءُ [1] حمارٍ إنّما نحن هامَةُ اليوم أوْ غَد ، أفَلا نَأخُذُ أسيافَنا ، ثُمَّ نَلْحَقُ برسولِ الله ﷺ لَعَلّ اللهَ يَرْزُقُنا شَهادَةً مع رسولِ الله ﷺ ؟ فَأخَذا أسيافَهما ثُمَّ خَرَجا ، حتى دَخَلا في النّاسِ ولَمْ يُعْلَمْ بهما ، فأمّا ثابتُ بنُ وقْشٍ فَقَتَلَه المُشْرِكُون وأمّا حُسَيْلُ بنُ جابرٍ فاخْتَلَفَتْ عليه أسيافُ المُسْلِمينَ فَقَتَلُوه ولا يَعْرِفُونَه فقال حُذَيْفَةُ أبي ، فقالُوا : واللهِ إن عَرَفْناه وصَدَقُوا قال حُذَيْفَةُ يَغفِرُ الله لَكُمْ وهو أرْحَمُ الرّاحِمينَ ، فأرادَ رسولُ الله ﷺ أن يَدِيَه فَتَصَدّقَ حُذَيْفَةُ بدِيَتِه على المُسْلِمينَ فَزادَه ذلك عند رسولِ الله ﷺ خَيْرًا .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ [2] : أنّ رَجُلاً منهم كان يُدْعَى حاطِبَ ابنَ أُمَيّةَ بنِ رافِعٍ وكان له ابنٌ يُقال له يَزيدُ بنُ حاطِبٍ أصابَتْه جِراحَةٌ يومَ أُحُدٍ ، فَأُتِيَ به إلى دارِ قَوْمِه وهو بالمَوْتِ فاجْتَمَعَ إلَيه أهلُ الدّارِ فَجَعَلَ المُسْلِمُونَ يقولونَ له من الرِّجالِ والنِّساءِ أبْشِرْ يا ابنَ حاطِبٍ بالجَنّةِ قال وكان حاطِبٌ شيخًا قد عَسا في الجاهِلِيّةِ فَنَجَمَ يومئذٍ نِفاقُه فقال بأيّ شيءٍ تُبَشِّرُونَه ؟ بجَنّةٍ من حَرْمَلٍ غَرَرْتُم والله هذا الغُلامَ من نَفْسِه .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، قال [3] كان فينا رَجُلٌ أَتِيّ لا يُدْرَى مِمّن هُوَ يُقالُ له قُزْمانُ ، وكان رسولُ الله ﷺ يقول إذا ذُكِرَ له إنّه لَمِن أهلِ النّارِ ، قال فَلَمّا كان يومُ أُحُدٍ قاتَلَ قِتالاً شَديدًا ، فَقَتَلَ وحدَه ثَمانِيَةً أوْ سَبعَةً من المُشْرِكينَ وكان ذا بَأْسٍ فَأثْبَتَتْه الجِراحَةُ فاحْتُمِلَ إلى دارِ بني ظَفَرٍ ، قال فَجَعَلَ رجالٌ من المُسْلِمينَ يقولونَ له والله لَقد أبْلَيْتَ اليومَ يا قُزْمانُ ، فَأبْشِرْ قال بماذا أبْشِرُ ؟ فَوالله إن قاتَلْتُ إلاّ عن أحْسابِ قَوْمي ، ولَوْلا ذلك ما

= والبيهقي دلائل (٣/٢٣٠) . ولفظه : قالت : (لما كان يوم أحد هزم المسلمون ، فصرخ إبليس لعنه الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال : أي عباد الله أبي ، أبي . قال : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم ، قال عروة : فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله) .

(١) الظمء : مقدار ما يكون بين الشربتين وأقصر الاظماء ظمء الحمار لأنه لا يصبر على الماء .

(٢) سبق في ذكر المنافقين .

(٣) أصل القصة صحيح وهذا السند مرسل : وأصلها فيما رواه البخاري (٤٢٠٢) ومسلم (١١٢) من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه . نحوه . قال الحافظ في الفتح (٧/٥٣٩) - معلقًا على حديث سهل : (جزم ابن الجوزي في مشكلة ، بأن القصة التي حكاها سهل بن سعد وقعت بأحد ، قال : واسم الرجل قزمان الظفري ، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد فعيره النساء ، فخرج حتى صار في الصف ، فكان أول من رمى بسهم ، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ، فمر به قتادة بن النعمان فقال له : هنيئًا لك الشهادة ، قال : والله إني ما قاتلت على دين ، وإنما قاتلت على حسب ...=

قاتَلْتُ . قال فَلَمّا اشْتَدَتْ عليه جِراحَتُه أخَذَ سَهمًا من كِنانَتِه فقَتَلَ به نَفْسَه .

[قتل مخيريق]

قال ابن إسحاق [1] : وكان مِمّن قُتِلَ يومَ أُحُدٍ مُخَيْرِيق ، وكان أحَدَ بني ثَعْلَبَةَ بنِ الفِطْيُونِ قال لَمّا كان يومُ أُحُدٍ ، قال يا مَعْشَرَ يَهُودَ واللهِ لَقد عَلِمتُم أنّ نَصْرَ مُحمّدٍ عَلَيْكُم لَحَق ، قالُوا : إنّ اليومَ يومُ السّبْتِ . قال : لا سَبْتَ لَكُمْ . فأَخَذَ سَيْفَه وعُدّتَه وقال إن أُصِبْتُ فَمالي لِمُحَمّدٍ يَصْنَعُ فيه ما شاءَ ثُمّ غَدا إلى رسولِ الله فقاتَلَ مَعَه حتى قُتِلَ فقال رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَنا - مُخَيْرِيق خَيْرُ يَهُود .

قال ابن إسحاق [2] : وكان الحارِثُ بنُ سُوَيْد بنِ صامَت مُنافِقًا ، فَخَرَجَ يومَ أُحُدٍ مع المُسْلِمينَ فَلَمّا التَقَى النّاسُ عَدا على المُجَذّرِ بنِ ذيادٍ البَلَوِيّ وقَيْسِ بنِ زَيْدٍ أحَدِ بني ضُبَيْعَةَ ، فقَتَلَهما ، ثُمّ لَحِقَ بِمَكّةَ بِقُرَيْشٍ وكان رسولُ الله ﷺ - فيما يَذْكُرُونَ - قد أمَرَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بِقَتْلِه إن هُوَ ظَفِرَ به فَفاتَه فكان بِمَكّةَ ثُمّ بَعَثَ إلى أخيه الجُلاسِ بنِ سُوَيْد يَطْلُبُ التّوْبَةَ لِيَرْجِعَ إلى قَوْمِه . فَأنزَلَ الله تَعالى فيه فيما بَلَغَني ، عن ابنِ عَبّاسٍ **﴿كَيْفَ يَهْدي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بعد إيمانِهِم وشَهِدُوا أنّ الرّسُولَ حَقّ وجاءَهُمُ البَيّناتُ والله لا يَهْدي القَوْمَ الظّالِمينَ﴾** إلى آخِرِالقِصّةِ .

قال ابن هشام : حَدّثَني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ أنّ الحارِثَ بنَ سُوَيْد قَتَلَ المُجَذّرَ بنَ ذيادٍ ولَم يَقْتُلْ قيسَ بنَ زَيْدٍ والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ إسحاقَ لَم يَذْكُرْه في قَتْلَى أُحُدٍ ؛ وإنّما قَتَلَ المُجَذّرَ لأنّ المُجَذّرَ بنَ ذيادٍ كان قَتَلَ أباه سُوَيْدًا في بَعْضِ الحُرُوبِ التي كانَتْ بَيْنَ الأوْسِ والخَزْرَجِ وقد ذَكَرْنا ذلك فيما مَضَى من هذا الكِتابِ . فَبَيْنا رسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصْحابه إذْ خَرَجَ الحارِثُ ابنُ سُوَيْد من بَعْضِ حَوائِطِ المَدينَةِ ، وعليه ثَوْبانِ مُضَرّجانِ فَأمَرَ به رسولُ الله ﷺ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ ، فَضَرَبَ عُنُقَه ويُقالُ بَعْضُ الأنْصارِ .

= قومي ، ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه) . وعقب الحافظ على ذلك بقوله : (وهذا الذي نقله أخذه من مغازي الواقدي ، وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف) . قلت : لم ينفرد الواقدي . بل تابعه ابن إسحاق من رواية عاصم بن عمر وهو عالم بالمغازي والسير ، ويتحدث عن رجل كان يعيش في وسط قبيلته وعبر عنه بلفظ كان فينا رجل ... قلت وقد وقع في رواية مسلم لحديث سهل أنه وقع في غزوة حنين ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى تعدد القصة . والله أعلم .

(١) سبق في ذكر اليهود وأذاهم للنبي ﷺ .

(٢) سبق في ذكر المنافقين .

قال ابنُ إسحاق : قَتَلَ سُوَيْدَ بنَ الصامِتِ مَعاذُ بنُ عَفراءَ غيلَةً في غَيْرِ حَرْبٍ رَماه بِسَهْمٍ فَقَتَلَه قَبْلَ يوم بُعاث

قال ابنُ إسحاق : وحَدَّثني الحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عمرِو بنِ سَعْدِ بْنِ مَعاذٍ عن أبي سُفيانَ مَوْلَى ابنِ أبي أحْمَدَ عن أبي هُرَيْرَةَ قال [1] كان يقول حَدّثُوني عن رَجُلٍ دَخَلَ الجَنّةَ لَم يُصَلِّ قَطّ ، فإذا لَم يَعْرِفْه النّاسُ سَألُوه مَن هُوَ ؟ فَيقول أُصَيْرِم ، بني عبدِ الأشْهَلِ ، عمرُو بنُ ثابتِ بنِ وقْشٍ .

قال الحُصَيْنُ فَقُلْت لِمَحْمُودِ بنِ أَسَدٍ : كَيْفَ كان شَأنُ الأُصَيْرِمِ ؟ قال كان يَأبَى الإسلامَ على قَوْمِه . فَلَمّا كان يومُ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أُحُدٍ بدا له في الإسلام فَأسْلَمَ ثُمّ أخَذَ سَيفَه فَعَدا حتى دَخَلَ في عُرْضِ النّاسِ فَقاتَلَ حتى أثْبَتَتْه الجِراحَةُ . قال فَبَيْنا رِجالٌ من بني عبدِ الأشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتَلاهم في المَعْرَكَةِ إذا هم به فَقالُوا : واللهِ إنّ هذا لَلأُصَيْرِمُ ما جاءَ به ؟ لَقد تَرَكْناه وإنّه لَمُنْكِرٌ لِهذا الحَديثَ فَسَألُوه ما جاءَ به فَقالُوا : ما جاءَ بِكَ يا عمرُو ؟ أحَدَبٌ على قَوْمِكَ أم رَغْبَةٌ في الإسلامِ ؟ قال بَلْ رَغْبَةٌ في الإسلام آمَنت بِالله وبِرسوله وأسْلَمتُ ثُمّ أخَذْتُ سَيْفِي ، فَغَدَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ ثُمّ قاتَلْت حتى أصابني ما أصابني ثُمّ لَم يَلْبَثْ أن ماتَ في أيْديهِم . فَذَكَرُوه لِرسولِ الله ﷺ فقال : «إنّه لَمِن أهلِ الجَنّةِ» .

* * *

(١) صحيح لغيره : رواه أحمد (٤٢٨/٥ - ٤٢٩) والبيهقي (٢٤٧/٣) من طريق ابن إسحاق . وهذا إسناد حسن فيه حصين بن عبد الرحمن . قال أبو داود : حسن الحديث . ووثقه ابن حبان قال الذهبي [ميزان الاعتدال] ذكر لأحمد فلم يضعفه . وهو صالح الأمر . قلت : وقد ورد الحديث من طريق آخر رواه أبو داود (٢٥٣٧) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قلت : وهذا إسناد حسن فالحديث يصح بطرقيه .

[مَقْتَلُ عمرو بن الجَمُوح] :

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن أشياخٍ من بني سَلِمَةَ [١] أنّ عمرَو بنَ الجَمُوح كان رَجُلاً أعرَجَ شَديدَ العَرَجِ ، وكان له بَنُونَ أربَعَةٌ مِثْلَ الأُسْدِ يَشْهَدُونَ مع رسولِ الله ﷺ المَشاهِدَ فلَمّا كان يومُ أُحُد أرادُوا حَبْسَه وقالُوا له إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ قد عَذَرَك ، فأَتَى رسولَ الله ﷺ فَقال: إنّ بنيّ يُريدُونَ أن يَحْبِسُوني عن هذا الوَجْه والخُرُوج مَعَك فيه . فَواللهِ إنّي لأَرْجُو أن أطَأَ بعَرْجَتي هذه في الجَنّةِ فقال رسولُ الله ﷺ : «**أمّا أنتَ فقد عَذَرَكَ اللهُ فلا جِهادَ عَلَيْك**» وقال لِبنيه : «**ما عَلَيْكُمْ أن لا تَمنَعُوه لَعَلّ اللهَ أن يَرْزُقَه الشّهادَةَ**» فَخَرَجَ مَعَه فَقُتِلَ يومَ أُحُدٍ .

[هِنْدُ وتَمثيلُها بِحَمزَة] :

قال ابنُ إسحاقَ : ووَقَعَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة ، كَما حَدّثني صالحُ بنُ كَيْسانَ [٢] والنّسوَةُ اللاتي مَعَها ، يُمَثّلْنَ بالقَتْلَى من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذانَ والأُنُفَ حتى اتّخَذَتْ هِنْدُ من آذانِ الرّجالِ وآنُفِهِم خَدَمًا [٣] وقَلائِدَ وأعْطَتْ خَدَمَها وقَلائِدَها وقِرَطَتَها وحْشِيًا ، غُلامَ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم ، وبَقَرَتْ عن كَبِدِ حَمزَةَ ،فَلاكَتْها ، فَلَم تَستَطِعْ أن تُسيغَها ، فَلَفَظَتْها ، ثُمّ عَلَتْ على صَخْرَةٍ مُشْرِفَةٍ فَصَرَخَتْ بِأعْلَى صَوْتِها فَقالتْ :

---

(١) حسن بشاهده : رواه البيهقي في الدلائل (٣/٢٤٦) . من طريق ابن إسحاق . وسنده حسن متصل إن كان الأشياخ صحابة ، وإلا فهو مرسل . ولكن له شاهد من حديث أبي قتادة بنحوه ، رواه أحمد (٥/٢٩٩) وإسناده حسن فيه حميد بن زياد صدوق . قال الهيثمي في المجمع (٩/٣١٥) : رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن النضر ، وهو ثقة .

(٢) المثلى التي حدثت وبقر بطن حمزة حسن بشواهده : إسناد ابن إسحاق مرسل . وقد ورد من حديث ابن مسعود نحوه ، ورواه ابن أبي شيبة (٨/٤٩٢) رواه ابن سعد (٣/٩) من رواية عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود ... وفيه قال : ونظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه وأخذت هند كبده فلاكتها فلم تستطع هند أن تأكلها . فقال رسول الله ﷺ : (أكلت منه شيئًا ؟) قالوا : لا ، قال : (ما كان الله ليدخل شيئًا من حمزة النار) . وعلته الانقطاع بين الشعبي وابن مسعود فإنه لم يسمع منه . وله شاهد آخر من مرسل محمد بن سرين . ورواه ابن سعد أيضًا الطبقات (٣/٨) بسند صحيح إلى محمد قال : بلغني أن هند بنت عتبة جاءت يوم أحد ... فذكر نحوه . وله شاهد من حديث كعب بن مالك . رواه ابن سعد أيضًا في الطبقات (٣/٩) وابن أبي شيبة (٨/٤٩٣) من رواية خالد بن مخلد عن عبد الرحمن بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه . وهذا سند لا بأس به ، خالد بن مخلد صدوق يخطيء وكذلك عبد الرحمن بن عبد العزيز . قلت : بقر بطن سيد الشهداء واستخراج كبده يثبت بمجموع هذه الطرق . وله شاهد رواه البخاري [٤٠٤٣] وسيأتي من قول أبي سفيان قال : إنكم ستجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني .

(٣) الخدم : جمع خدمة وهي الخلخال .

نحن جَزَيْنَاكُم بيـــوم بـــدْرٍ والحَرْبُ بعد الحَرْبِ ذاتِ سُعُرِ
ما كان عن عُتْبَة لي من صَبْرٍ وَلا أخي وعمّــه وبَكْـــري
شَفَيْتُ نَفْسي وقَضَيْتُ نَـذْري شَفَيْتَ وحْشِيَ غَليلَ صَـدْري
فَشُكْـــرُ وحْشِيَ عَلَيَّ عُمْــري حتى تَرُمَّ أعظُمي في قَبْـــري

فأجابتها هندُ بنتُ أُثاثَةَ بن عَبّادِ بن المطَّلِبِ فقالتْ :

خَزِيت في بَدْرٍ وبعد بَدْرِ يا بِنْتَ وقّاعٍ عَظيـــمِ الكُفْــرِ
صَبّحَك الله غَداةَ الفَجْـرِ مَلْهاشِمِيّينَ الطِّـوالِ الزُّهْــرِ
بِكُلِّ قَطّاعٍ حُسامٍ يَفْــري حَمْـــزَةُ لَيْثي وعَلِيٌّ صَقْـــرِيَ
إذْ رامَ شيبٌ وأبوكِ غَدْري فَخَضَبا مِنه ضَواحي النَّحْرِ [1]
وَنَذْرُكِ السوءَ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابنُ هشام : تَرَكْنا منها ثَلاثَةَ أبياتٍ أَقْذَعَتْ فيها .

قال ابنُ إسحاقَ : وقالتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة أيضًا :

شَفَيْتُ من حَمْزَةَ نَفْسي بأُحُــدِ حتى بَقَرْتُ بَطْنَه عـن الكَبِـــدِ
أذْهَبَ عَنّي ذاكَ ما كُنْتُ أجِـدُ من لَذْعَةِ الحُزْنِ الشّديدِ المُعْتَمِدِ
والحَرْبُ تَعْلُوكُمْ بِشُؤْبوب [2] بَـرِدِ تُقْدِمُ إقْدامًا عَلَيْكُـــم كالأسَـــدِ

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثني صالِحُ بنُ كَيْسانَ أنّه حُدِّثَ [3] أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رحمه الله قال لِحسّانَ بنِ ثابتٍ يا ابنَ الفُرَيْعَةِ - قال ابنُ هشام : الفُرَيْعَةُ بِنْتُ خالِدِ بنِ خُنَيْسٍ ويُقال : خُنَيْسُ ابنُ حارِثَةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عبدِ وُدّ بنِ زَيْدِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ - لَوْ سَمِعْتَ ما تَقُولُ هِنْدُ ، ورَأَيْتَ أَشَرَها قائِمَةً على صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بِنا ، وتَذْكُرُ [١٢/أ] ما صَنَعَتْ بِحَمزَةِ ؟ قال له حسّانُ والله إنّي لأَنْظُرُ إلى الحَرْبَةِ تَهْوي وأنا على رَأْسِ فارِعٍ - يَعْني أُطُمَه - فَقُلْت : والله إنّ هذه لَسِلاحٌ ما هِيَ بِسِلاحِ العَرَبِ ، وكَأنّها إنّما تَهْوي إلى حَمْزَةَ ولا أدْري، لَكِن أَسْمِعْني بَعْضَ قَوْلِها أَكْفِكُمُوها ، قال فَأنْشَدَه عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بَعْضَ ما قالتْ فَقالَ حسّانُ بنُ

---

(١) شيب : أرادت شيبة . ضواحي النحر : ما ظهر من الصدر .

(٢) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة . برد : أي ذو برد .

(٣) ضعيف : إسناده مرسل وفيه جهالة من أرسله وهو من حدث صالح بن كيسان . ورواه الطبراني في التاريخ (٢/٧٠) من طريق ابن إسحاق .

ثابت :

أشْرَتْ لَكاعُ وكان عادَتُها لُؤْمًا إذا أشْرَتْ مع الكُفْرِ

قال ابنُ هشام : وهذا البَيْتُ في أبياتٍ له تَرَكْناها ، وأبياتًا أيضًا له على الدّالِ . وأبياتًا أُخَرَ على الذّالِ لأنّه أَقْذَعَ فيها .

قال ابنُ إسحاق [(1)] : و[قد] كان الحُلَيْسُ بنُ زَبّانٍ أخُو بنُو الحارثِ بنِ عبدِ مَناةَ ، وهو يومئذٍ سَيّدُ الأحابيشِ ، قد مَرّ بأبي سُفيانَ وهو يَضرِبُ في شَدْقِ حَمزَةَ ابنِ عبدِ المُطّلِبِ بِزُجّ الرّمحِ ويقول ذُقْ عُقَقُ فَقال الحُلَيْسُ يا بني كِنانَةَ هذا سَيّدُ قُرَيْشٍ يَصنَعُ بابنِ عمه ما تَرَوْنَ لَحمًا ؟ فَقال ويْحَك اكْتُمها عَنّي ، فإنّها كانَتْ زَلّةً .

[شَماتَةُ أبي سُفيانَ بالمُسلِمينَ بعد أُحُدٍ وحديثُه مع عُمَرَ] :

ثُمّ إنّ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ حينَ أرادَ الانصِرافَ أشْرَفَ على الجَبَلِ ثُمّ صَرَخَ بأعْلَى صَوْتِه فقال أنْعمتَ فَعالِ وإنّ الحَرْبَ سِجالٌ يومٌ بيوم أُعْلُ هُبَلُ أيْ أظْهِرْ دينَك ، فَقال رسولُ الله ﷺ : «**قُم يا عُمَرُ فأجِبْه ، فَقُلِ الله أعلى وأجَلّ ، لا سَواءَ قَتْلانا في الجَنّةِ وقَتْلاكُم في النّارِ**» . فَلَمّا أجابَ عُمَرُ أبا سُفيانَ قال له أبو سُفيانَ هَلُمّ إليّ يا عُمَرُ ؟ فَقال رسولُ الله لِعُمَرَ ائْتِه فانظُرْ ما شَأنُه ، فَجاءَه فَقال له أبو سُفيانَ أنْشُدُك اللهَ يا عُمَرُ أقَتَلْنا مُحَمّدًا ؟ قال عُمَرُ : اللّهمّ لا ، وإنّه لَيَسمَعُ كَلامَك الآنَ قال أنتَ أصْدَقُ عِندي من ابنِ قَمِئَةَ وأبَرّ لِقَوْلِ ابنِ قَمِئَةَ لهم إنّي قد قَتَلت مُحَمّدًا .

قال ابنُ هشام : واسْمُ ابنِ قَمِئَةَ عبدُ الله .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ نادَى أبو سُفيانَ : إنّه قد كان في قَتْلاكُم مُثُلٌ والله ما رَضيت ، وما سَخِطْت ، وما نَهَيْتُ وما أمَرْت . ولَمّا انْصَرَفَ أبو سُفيانَ ومَن مَعَه نادَى : إنّ مَوْعِدَكُم بَدْرٌ لِلْعامِ القابِلِ فَقال رسولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ من أصْحابه : «**قُلْ نَعم هُوَ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ**» [(2)] .

---

(١) معضل : رواه الطبراني في التاريخ (٧١/٢) عن ابن إسحاق .

(٢) صحيح : البخاري (٤٠٤٣) وأحمد (٢٩٣/٤) وأبو داود الطيالسي (٢٣٤٥) وأبو داود (٢٦٦٢) وابن سعد في الطبقات (٣٦/٢) والنسائي في الكبرى [٨٦٣٥] والطبري في التاريخ (٧١/٢) والبيهقي دلائل (٢٣٠/٣) وغيرهم من حديث البراء نحوه بطوله . بلفظ وفيه [فقال أبو سفيان : أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ ثلاثًا ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوءك ، فقال : يوم بيوم بدر والحرب سجال ، إنكم ستجدون مثله لم آمر بها ، ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز : اعْلُ هُبَلُ ......=

[خُروجُ عليّ في آثارِ المُشركين] :

ثُمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ عَليَّ بنَ أبي طالبٍ ، فَقال (١) : «اخْرُجْ في آثارِ القَوْمِ ، فانظُرْ ماذا يَصْنَعُونَ وما يُرِيدُونَ فَإن كانوا قد جَنَبوا الخَيْلَ وامتَطَوْا الإبِلَ فإنّهم يُرِيدُونَ مَكّةَ ، وإن رَكِبوا الخَيْلَ وساقُوا الإبِلَ فإنّهم يُرِيدُونَ المَدِينَةَ ، والذي نَفْسي بيَدِه لَئِن أرادُوها لأَسِيرَنّ إليْهِم فيها ، ثُمّ لأُناجِزَنّهم» قال عَليّ : فَخَرَجْت في آثارِهِم أنظُرُ ماذا يَصْنَعُونَ فَجَنَبوا الخَيْلَ وامتَطَوْا الإبِلَ ووَجّهُوا إلى مَكّةَ .

وَفَرَغَ النّاسُ لِقَتْلاهم فَقال رسولُ الله ﷺ - كَما حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ أبي صَعْصَعَةَ المازِنيّ أخُو بني النّجّار (٢) - : «**مَن رَجُلٌ يَنْظُرُ لي ما فَعَلَ سَعْدُ بنُ الرّبيع ؟ أفي الأحْياءِ هُوَ أم في الأمواتِ ؟**» فَقال رَجُلٌ من الأنْصارِ : أنا أنْظُرُ لَك يا رسولَ الله ما فَعَلَ سَعْدٌ فَنَظَرَ فَوَجَدَه جَريحًا في القَتْلَى وبه رَمَقٌ . قال فَقُلْت له : إنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَني أن أنْظُرَ أفي الأحْياءِ أنْتَ أم في الأمواتِ ؟ قال : أنا في الأمواتِ فَأبْلِغْ رسولَ الله ﷺ عَنّي السّلامَ وقُلْ له إنّ سَعْدَ بنَ الرّبيعِ يقول لَك : جَزاك الله عَنّا خَيْرَ ما جَزَى نَبِيّا عن أُمّتِه وأبْلِغْ قَوْمَك عَنّي السّلامَ وقُلْ لهم إنّ سَعْدَ بنَ الرّبيع يقول لَكُمْ : إنّه لا عُذْرَ لَكُمْ عند الله إن خَلُصَ إلى نَبِيّكُم ﷺ ومِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ ، قال : ثُمّ لَمْ أبْرَحْ حتى ماتَ ، قال فَجِئْتُ رسولَ الله ﷺ فَأخْبَرْته خَبَرَه .

قال ابنُ هشام : وحَدّثَني أبو بَكْرٍ الزّبَيْرِيّ أنّ رَجُلاً دَخَلَ على أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ ، وبِنْتٌ لِسَعْدِ بنِ الرّبيعِ جارِيَةٌ صَغيرَةٌ على صَدْرِهِ يَرْشُفُها ويُقَبّلُها ، فَقال لَهُ الرّجُلُ مَن هذه ؟ قال هذه

= اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونه ؟) فقالوا : يا رسول الله ما نقول ؟ قال : (قولوا الله أعلى وأجل) ، قال : إن العزى لنا ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ : (ألا تجيبونه ؟) قالوا : يا رسول الله وما نقول؟ قال : (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم) . ومن حديث ابن عباس . رواه أحمد (٢٨٧/١) والحاكم (٢٩٦/٢). ولفظه أقرب إلى لفظ ابن إسحاق ، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي الزناد متكلم فيه . لكن يشهد له ما قبله وما بعده ومن حديث ابن مسعود . رواه ابن أبي شيبة (٤٩٢/٨) وابن سعد في الطبقات (٩/٢) وسبق الكلام على إسناده ص (٧٨) .

(١) مرسل .

(٢) حسن بشواهده : رواه الحاكم (٢٠١/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٤٨/٣) والطبري (٧٢/٢) كلهم من طريق ابن إسحاق مرسلاً . ورواه الحاكم من حديث زيد بن ثابت بسند موصول المستدرك (٢٠١/٣) من رواية مخرمة بن بكير عن أبيه عن أبي حازم عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد قال : بعثني النبي ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فذكره نحوه . وسنده حسن إلا ما كان من رواية مخرمة عن أبيه فهي وجادة لم يسمع منه إلا القليل . وله شاهد من مرسل يحيى ابن سعد رواه مالك في الموطأ (٣٧٠/١/ باب الترغيب في الجهاد) وابن سعد في الطبقات (٣٩٦/٣) من طريق مالك بن أنس عنه . ومن مرسل عمرو بن يحيى المازني . رواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب (٤٧٤٢) .

بِنْتُ رَجُلٍ خَيْرٍ مِنِّي ، سَعْدِ بنِ الرَّبيعِ ، كان من النُّقَباءِ يومَ العَقَبَةِ ، وشَهِدَ بَدْرًا ، واسْتُشْهِدَ يومَ أُحُدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وَخَـرَجَ رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني ، يَلْتَمِسُ حَمزَةَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ ، فَوَجَدَه ببَطْنِ الوادي قد بُقِرَ بَطْنُه عن كَبِدِه ومُثِّلَ به فَجُدِعَ أنفُه وأُذُناه [1] . فَحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ [2] : أنّ رسولَ الله ﷺ قال حينَ رَأى ما رَأى : «**لَوْلا أن تَحْزَنَ صَفيّةُ ، ويَكُونُ سُنَّةً من بَعْدي لَتَرَكْته ، حتى يَكُونَ** [١٢/ب] **في بطُونِ السّباعِ وحَواصِلِ الطّيْرِ ولَئِن أظْهَرني الله على قُرَيْشٍ في مَوْطِنٍ من المَواطِنِ لأُمَثِّلَنّ بثَلاثينَ رَجُلاً منهم**» . فَلَمّا رَأى المُسْلِمُونَ حُزْنَ رسولِ الله ﷺ وغَيْظَه على مَن فَعَلَ بعمّه ما فَعَلَ قالُوا : والله لَئِن أظْفَرَنا الله بِهِم يومًا من الدّهْرِ لَنُمَثِّلَنّ بِهِم مُثْلَةً لَم يُمَثِّلْها أحَدٌ من العَرَبِ .

قال ابنُ هشامٍ : وَلَمّا وقَفَ رسولُ الله ﷺ على حَمزَةَ قال **لَن أُصابَ بِمِثْلِكَ أبَدًا ما وقَفْتُ مَوْقِفًا قَطّ أغْيَظَ إلَيّ من هذا ثُمّ قال جاءَني جِبْريلُ فَأَخْبَرَني أنّ حَمزَةَ بنَ عبدِ المُطّلِبِ مَكْتُوبٌ**

---

(١) حسن بشواهده . وسبق تخريجه .

(٢) صحيح بطرقه : سند ابن إسحاق مرسل . وقد روى هذا الحديث من طرق : منها طريق أنس ، رواه الترمذي (١٠١٦) وابن أبي شيبة (٤٨٦/٨) وأحمد (١٢٨/٣) وابن سعد في الطبقات (١٠/٣) وأبو داود (٣١٣٦) والحاكم (١٩٦/٣) والبيهقي السنن (١٠/٤ ، ١١) وأبو يعلى (٣٥٦٨) من طريق أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن أنس . قلت : وقد حدث خلاف على الزهري في هذا الإسناد ، ذكره الترمذي قال الترمذي : (حديث أنس حسن غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه) وقد خولف أسامة بن زيد في رواية هذا الحديث ، فروى الليث بن سعد عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب عن جابر بن عبد الله .

قلت : رواه ابن أبي شيبة (٤٨٧/٨) مختصرًا . قال : وروي معمر عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة عن جابر .

قلت : رواه ابن أبي شيبة (٤٨٩/٨) مختصرًا ولم يسمّ عبد الله بن ثعلبة بل قال : رجل - قال : ولا نعلم أحدًا ذكره عن الزهري عن أنس إلا أسامة ابن زيد . قال وسألت محمدًا - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال : حديث الليث عن ابن شهاب عن عبد الرحمن ابن كعب عن جابر أصح . أ . هـ

قلت : وأسامة بن زيد متكلم فيه ، ووثقه جمع ، وهو حسن حديث إن شاء الله . وللحديث شواهد أخر . منها حديث أبي هريرة رواه ابن سعد في الطبقات (٩/٣) والحاكم (١٩٧/٣) والبيهقي (٢٨٨/٣) والطبراني في الكبير (٢٩٣٧) والبزار عزاه إلى الهيثمي في المجمع (١١٩/٦) كلهم من رواية صالح المرى عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة . وسنده ضعيف فيه صالح المرى : ضعيف . ومنها طريق ابن عباس : رواه ابن سعد في الطبقات (٩/٣) والطبراني في الكبير (٢٩٣٥) والحاكم (١٩٧/٣) والبيهقي (٢٨٧/٣) وابن ماجه (١٥١٣) مختصرًا ، كلهم من طريق أبي بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم مولى ابن عباس عن ابن عباس . وعلته أبو بكر بن عياش ويزيد بن ابي زيادمتكلم في حفظهما .

قلت : فالحديث بهذه الطرق إن كان في كل منها مقال إلا أنها تصح بمجموع الطرق .

في أهل السمٰوات السبع حَمزَةُ بنُ عبدِ المطّلب ،أسَدُ الله وأسَدُ رسوله [(١)] وَكان رسولُ الله ﷺ وحَمزَةُ وأبو سَلَمَةَ بنَ عبدِ الأسَدِ ، إخْوَةٌ من الرّضاعَةِ أرْضَعَتْهم مَوْلاةٌ لأبي لَهَب [(٢)] .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني بُرَيْدَةُ بنُ سُفيانَ بنِ فَرْوَةَ الأسْلَميّ عن مُحَمّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظيّ ، وحَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن ابنِ عَبّاسٍ [(٣)] : أنّ اللهَ عَزّ وجَلّ أنْزَلَ في ذلك من قَوْلِ رسولِ الله ﷺ وقَوْلِ أصْحابه ﴿وَإن عاقَبْتُم فَعاقِبوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم به ولَئِن صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّابِرينَ واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلاّ باللهِ ولا تَحْزَن عليهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ﴾ فَعَفا رسولُ الله ﷺ وصَبَرَ ونَهَى عن المُثْلَةِ .

---

(١) واه : علقه ابن هشام فلم يذكر له سندًا . ووصله الطبراني في الكبير (٢٩٥٢) والحاكم (١٩٨/٣) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده أن رسول الله ﷺ قال : (والذي نفسي بيده إنه لمكتوب في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله ورسوله ﷺ) . قال الذهبي : يحيى واهٍ .

(٢) صحيح : وقد سبق في أول سيرة . وهو في صحيح البخاري وغيره في قصة عَرْض بنت حمزة على النبي وكذلك إشاعة خبر زواجه ﷺ من زينب بنت أبي سلمة .

(٣) صحيح بطرقه : طريق محمد بن كعب القرظي مرسلاً . رواه الطبري في التاريخ (٧٢/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٨٦/٣) وطريق ابن عباس . رواه الطبري أيضًا نفس المصدر وبين المبهم . وهو الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس .

قلت الحسن بن عمارة : متروك ، وقد تابع الحسن ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ ، رواه البيهقي في الدلائل (٢٨٨/٣) وعزاه السيوطي لابن المنذر والطبراني وابن مردويه .
قلت : وقد روى الحديث من طرق .

* طريق أبي هريرة : رواه ابن سعد في الطبقات (٩/٣) ، والحاكم (١٩٧/٣) والبيهقي دلائل (٢٨٨/٣) والطبراني في الكبير (٢٩٣٧) وفيه صالح بن بشير المري ضعيف .

* طريق أبي بن كعب : رواه الترمذي (٣١٢٩) والنسائي في الكبرى (١١٢٧٩) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٥/٥) وابن حبان (٤٨٧) والحاكم (٣٥٨/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٨٩/٣) كلهم من طرق عن عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي رضي الله عنه . قال الترمذي : حسن غريب من حديث أبي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

قلت : فيه الربيع بن أنس صدوق يهم .

وقد روى الحديث من مرسل الشعبي : رواه ابن أبي شيبة (٤٨٥/٨) والطبري في التفسير (١٩٥/٨) وسنده صحيح إلى الشعبي . ومن مرسل قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٥١٥) والطبري في تفسيره نفس المصدر السابق ص (١٩٦) . ومن مرسل ابن جريج ومرسل ابن زيد رواهما ابن جرير . قلت : فالحديث بمجموع هذه الطرق يصح إن شاء الله .

قال ابن كثير : هذه الآية مكية وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا ؟

قلت : روى ابن إسحاق عن عطاء بن يسار أن السورة مكية إلا ثلاث آيات منها هذه الآية . والله أعلم .

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني حُمَيْد الطّويلُ عن الحَسَنِ عن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ ، قال [١] ما قامَ رسولُ الله ﷺ في مَقامٍ قَطّ ففارَقه حتى يأمُرنا بِالصّدَقةِ وينْهانا عن المُثْلَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن مِقْسَم ، مَوْلَى عبدِ الله بنِ الحارِثِ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال أمَرَ رسولُ الله ﷺ بِحَمزَةِ فَسُجّيَ بِبُرْدَةٍ ثُمّ صَلّى عليه فكَبّرَ سَبْعَ تكْبيراتٍ ثُمّ أُتِيَ بِالقَتْلَى فيُوضَعُونَ إلى حَمْزَةَ فَصَلّى عليهِم وعليه مَعَهم حتى صَلّى عليه ثِنْتَيْنِ وسَبْعينَ صَلاةً

قال ابنُ إسحاقَ :وَقد أقْبَلَتْ فيما بَلَغني ، صَفيّةُ بِنْتُ عبدِ المُطّلِبِ لِتَنْظُرَ إلَيْه وكان أخاها لأبِيها وأُمّها ، فَقال رسولُ الله ﷺ لابنِها الزّبَيْرِ بنِ العَوّامِ : القَها فأرْجِعْها ، لا تَرى ما بِأخيها ؛ فَقال لها : يا أُمّه إنّ رسولَ الله ﷺ يأمُرك أن تَرْجِعي ، قالتْ ولِمَ ؟ وقد بَلَغَني أن قد مُثّلَ بِأخي، وذَلِك في الله فَما أرْضانا بِما كان من ذلك لأَحْتَسِبن ولأَصْبِرَن إن شاءَ الله . فَلَمّا جاءَ الزّبَيْرُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخْبَرَه بِذلك قال : «**خلّ سَبيلَها**» فأتَتْه فَنظَرَتْ إلَيْه فَصَلّتْ عليه واسْتَرْجَعَتْ واسْتَغْفَرَتْ له ثُمّ أمَرَ به رسولُ الله ﷺ فَدُفِنَ .

قال فَزَعَمَ لي آلُ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ - وكان لأُمَيْمَةَ بِنْتِ عبدِ المُطّلِبِ حَمْزَةُ خالُه وقد كان مُثّلَ به كَما مُثّلَ بِحَمزَةِ ، إلاّ أنه لَمْ يُبْقَرْ عن كَبِده - أنّ رسولَ الله ﷺ دَفَنَه مع حَمْزَةَ في قَبْرِه ولَمْ أسْمَعْ ذلك إلاّ عن أهلِه

[دفن الشّهَداء] :

قال ابنُ إسحاق :وكان قد احْتَمَلَ ناسٌ من المُسْلِمِينَ قَتْلاهم إلى المَدينَةِ ، فَدَفَنُوهم بِها ، ثُمّ نَهَى رسولُ الله ﷺ عن ذلك وقال ادْفِنُوهم حَيْثُ صُرِعُوا .

قال ابنُ إسحاق [٢] :وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزّهْرِيّ ، عن عبدِ الله بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ

---

(١) صحيح بشواهده :رواه أحمد (٤٤٥/٤) وابن عدي (٣٢٢/٣) من طريق حميد عن الحسن : عن سمرة وفيه عنعنة الحسن والحسن مدلس . وقد وقع في رواية عند الإمام أحمد (١٢/٥) التصريح بالسماع من رواية هشيم عن حميد عن الحسن حدثنا سمرة وأظنها من أوهام هشيم . فقد روى الحديث أبو داود (٢٦٦٧) . من رواية قتادة عن الحسن فزاد واسطة وهو الهياج بن عمران قال : أبق عبدٌ لعمران فنذر أن يمثل به قال : فذهبت إلى سمرة فسألته فذكر الحديث قال : ثم ذهبت إلى عمران بن حصين فذكر الحديث . والهياج بن عمران هذا وثقه ابن سعد وابن حبان ، وقال ابن المديني : مجهول . قال الحافظ : مقبول . قلت : وقد رواه الإمام أحمد (٤٤٠/٤) من رواية ابن المبارك عن الحسن قال أخبرني عمران بن حصين فذكر الحديث . فالله أعلم سمع الحسن من عمران وسمرة بعدما سمعه من الهياج أم لا . لكن الحديث ثابت في صحيح البخاري (٢٤٧٤) من حديث عبد الله بن يزيد الأنصاري قال : «نهى النبي ﷺ عن النُهبى والمثلة» .

(٢) صحيح :رواه أحمد (٤٣١/٥) والبيهقي (٢٩/٣) دلائل . ومن رواية جابر : رواه البخاري (١٣٤٣) وأبو داود (٣١٣٨) والترمذي (١٠٣٦) وابن ماجه (١٥١٤) والنسائي (٦٢/٤) .

العُذْرِيّ ، حَليفِ بني زُهْرَةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ لَمّا أشْرَفَ على القَتْلَى يومَ أُحُدٍ ، قال : «**أنا شَهيدٌ على هؤُلاءِ ، إنّه ما من جَريحٍ يُجْرَحُ في الله إلاّ والله يَبْعَثُه يومَ القيامَةِ يَدْمَى جُرْحُه اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ والرّيحُ ريحُ مِسْكٍ انظُرُوا أكثَرَ هؤُلاءِ جَمعًا لِلقُرآنِ فاجْعَلُوه أمامَ أصْحابه في القَبْرِ**» وكانوا يَدْفِنُونَ الاثْنَيْنِ والثّلاثَةَ في القَبْرِ الواحِدِ .

وحَدّثني عمّي مُوسَى بنُ يَسارٍ أنّه سَمِعَ أبا هُرَيْرَةَ يقول [١] قال أبو القاسِمِ ﷺ : «**ما من جَريحٍ يُجْرَحُ في الله إلاّ والله يَبْعَثُه يومَ القيامَةِ وجُرْحُه يَدْمَى ، اللّوْنُ لَوْنُ دَمٍ والرّيحُ ريحُ مِسْكٍ**»

قال ابنُ إسحاقَ [٢] : وحَدّثني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن أشْياخٍ من بني سَلَمَةَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال يومَئِذٍ حينَ أمَرَ بِدَفْنِ القَتْلَى : «**انظُرُوا إلى عمرِو بنِ الجَمُوحِ وعبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حَرامٍ فإنّهما كانا مُتَصافِيَيْنِ في الدّنيا ، فاجْعَلُوهما في قَبْرٍ واحِدٍ**» .

قال ابنُ إسحاقَ [٣] ثُمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ راجِعًا إلى المَدينَةِ ، فَلَقِيَتْه حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، كَما ذُكِرَ لي [١٣/أ] ، فَلَمّا لَقِيَتِ النّاسَ نُعِيَ إلَيْها أخُوها عبدُ الله ابنُ جَحْشٍ ، فاسْتَرْجَعَتْ واسْتَغْفَرَتْ له ثُمّ نُعِيَ لها خالُها حَمزَةُ بنُ عبدِ المُطّلِبِ فاسْتَرْجَعَتْ واسْتَغْفَرَتْ له ثُمّ نُعِيَ لها زَوْجُها مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، فَصاحَتْ وَوَلْوَلَتْ فَقال رسولُ الله ﷺ إنّ زَوْجَ المَرْأةِ منها لَبِمَكانٍ لِما رَأى من تَثَبّتِها عند أخيها وخالِها ، وصِياحِها على زَوْجِها .

---

(١) متفق عليه بمعناه : سند ابن إسحاق حسن . ورواه البخاري (٢٨٠٣) ومسلم (١٨٧٦) من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ : (والذي نفسي بيده لا يُكلم أحدٌ في سبيل الله ، والله أعلم بمن يُكلم في سبيله ، إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك) .

(٢) حسن بشواهده : رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/٤٨٧) والطبري في التاريخ (٢/٧٣) والبيهقي في الدلائل (٣/٢٩١) كلهم من طريق ابن إسحاق هذا ، فإن كان هؤلاء الأشياخ من الصحابة فهو حديث حسن لذاته وإن كانوا تابعين فهو مرسل ، لكن له شاهد من حديث جابر ، رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٤٢٤) من رواية الوليد ابن مسلم قال : حدثني الأوزاعي عن الزهري عن جابر نحو رواية ابن إسحاق مطولاً . قلت : وهذا السند فيه الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية ولا يقبل منه إلا بالتصريح بالسماع من أول السند إلى آخره . وقد أسقط من سنده عبد الرحمن بن كعب . وقد علقه البخاري (١٣٤٨) مثل رواية الوليد مختصرًا من رواية ابن المبارك فالحديث عند البخاري وغيره من رواية الليث عن الزهري عن عبد الرحمن عن جابر مختصرًا . وشاهده في الصحيح أن جابرًا رضي الله عنه قال : دفن أبي مع رجل في القبر فلم تطب نفسي حتى أخرجته فدفنته وحده . البخاري (١٣٥٢) .

(٣) ضعيف : علقه ابن إسحاق . وصله ابن سعد في الطبقات (٨/١٩١) وابن ماجه (١٥٩٠) والحاكم (٤/٦١) والبيهقي السنن (٤/٦٦) كلهم من رواية عبد الله بن عمر العمري عن عبد الله ابن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن جحش . وهذا سند ضعيف لضعف عبد الله بن عمر العمري .

قال ابنُ إسحاقَ [١] وَمَرّ رسولُ الله ﷺ بِدارٍ من دُورِ الأنْصارِ من بني عبدِ الأشْهَلِ وظَفَرٍ فَسَمِعَ البُكاءَ والنَوائِحَ على قَتْلاهم فَذَرَفَتْ عَيْنا رسولِ الله ﷺ فبَكَى ، ثُمّ قال : «**لَكِنّ حَمزَةَ لا بَواكِيَ له**» فَلَمّا رَجَعَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ إلى دارِ بني عبدِ الأشْهَلِ أمَرا نِساءَهم أن يَتَحَزّمنَ ثُمّ يَذْهَبنَ فَيَبْكينَ على عَمّ رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ [٢] : حَدّثَني حَكيمُ بنُ حَكيمٍ عن عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ عن بَعْضِ رِجالِ بني عبدِ الأشْهَلِ قال لمّا سَمِعَ رسولُ الله ﷺ بُكاءَهُنّ على حَمزَةَ خَرَجَ عليهِنّ وهُنّ على بابِ مَسْجِدِه يَبْكينَ عليه فقَال : «ارْجِعْنَ يَرْحَمكُنّ الله فقد آسَيْتُنّ بِأنْفُسِكُنّ»

قال ابنُ هشام : ونُهيَ يومَئِذٍ عن النَوْحِ [٣] . قال ابنُ هشامٍ : وحَدّثَني أبو عُبَيْدَةَ [٤] أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا سَمِعَ بُكاءَهُنّ قال : «**رَحِمَ الله الأنْصارَ فَإنّ المُواساةَ منهم ما عَتَمَتْ لَقَديمَةٌ مُرُوهُنّ فَلْيَنْصَرِفْنَ**»

[شَأنُ المرْأةِ الدّيناريّةِ]

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني عبدُ الواحِدِ بنُ أبي عَوْنٍ عن إسماعيلَ بنِ مُحَمّدٍ عن سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ ، قال [٥] مَرّ رسولُ الله ﷺ بِامرَأةٍ من بني دينارٍ ، وقد أُصيبَ زَوْجُها وأخُوها وأبوها مع رسولِ الله ﷺ بِأُحُدٍ فَلَمّا نُعُوا لها ، قالتْ فَما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ ؟ قالوا : خَيْرًا يا أُمّ فُلانٍ هُوَ بِحَمدِ الله كَما تُحِبّينَ قالتْ: أرُونيه حتى أنْظُرَ إلَيْه ؟ قال فَأُشيرَ لها إلَيْه حتى إذا رَأتْه قالتْ كُلّ

---

(١) صحيح بطرقه : أبهم السند ابن إسحاق . والحديث رواه ابن سعد في الطبقات وأحمد (٢/٤٠ /٨٤ ، ٩٢) وابن ماجه (١٥٩١) وأبو يعلى في مسنده (٣٥٧٦ ، ٣٦١٠) والحاكم (٣٨١/١) والطبراني في الكبير (٢٩٤٤) وابن أبي شيبة (٤٨٧/٨) كلهم من طرق عن أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر وهذا سند حسن من أجل أسامه بن زيد . وزاد أسامه في مسنده عن الزهري عن أنس رواه أبو يعلى المصدر السابق. ومن حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير (١٢٠٩٦) **وسنده ضعيف** . فيه يحيى بن مطيع مجهول . قال الهيثمي : مجمع (٦/١٢٠ - ١٢١) وفيه يحيى بن مطيع ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات . ومن مرسل عكرمة . رواه عبد الرزاق في المصنف (٦٦٩٤) . ومن مرسل عروة بن الزبير : رواه البيهقي في الدلائل (٣/٣٠٠) وموسى بن عقبة في مغازيه عزاه إليه ابن كثير في البداية . ومن مرسل الشعبي : رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٩١١) ، وسنده صحيح إليه . ومن مرسل عطاء بن بسار . رواه ابن سعد في الطبقات (٣/١٢) . ورواه سعيد بن منصور (٢٩١٠) ، وفيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، سيء الحفظ . ومن مرسل ابن المنكدر : رواه ابن سعد في الطبقات (٣/١٣) ورواه كذلك من مرسل محمد بن إبراهيم ومحارب ابن دثار . قلت : فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح إن شاء الله .

(٢) إسناده ضعيف : حكيم بن حكيم . ضعيف . قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) : قوّاه ابن حبان ، وقال ابن سعد : لا يحتجون به . والحديث يشهد له ما قبله .

(٣) صحيح : انظر ما سبق رقم (١) . والنهي عن النوح . متفق عليه .

(٤) معضل : لكن صحيح بمعناه كما سبق .

(٥) مرسل : رواه الطبري في التاريخ (٢/٧٤) والبيهقي في دلائل (٣/٣٠٢) .

مُصيبَةٍ بعدك جَلَلْ . تُريدُ صَغيرَةً

قال ابنُ هشام : الجَلَلُ يَكُونُ من القَليلِ ومِن الكَثيرِ وهو هاهُنا من القَليلِ . قال امرُؤُ القَيْسِ في الجَلَلِ القَليلِ :

لَقَتْلُ بني أسَدٍ رَبّهم ... ألا كُلّ شيءٍ سِواه جَلَلُ

قال ابنُ هشام : وأمّا قَوْلُ الشّاعِرِ [وهو الحارثُ بنُ وعْلَةَ الجَرْميّ] :

وَلَئِن عَفَوْتُ لأَعْفُوَن جَلَلاً ... وَلَئِن سَطَوْت لأُوْهِنَن عَظْمِي

فهو من الكَثيرِ .

قال ابنُ إسحاقَ [1] فَلَمّا انْتَهى رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه ناوَلَ سَيْفَه ابنَتَه فاطِمَةَ فَقال : «**اغْسلي عن هذا دَمَه يا بُنَيّةَ فَوالله لَقد صَدَقَني اليومَ**» وناوَلَها عَليّ بنُ أبي طالِبٍ سَيْفَه فَقال وهذا أيضًا ، فاغْسِلي عنه دَمَه فَوالله لَقد صَدَقَني اليومَ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**لَئِن كُنْت صَدَقْتَ القِتال لَقد صَدَقَ مَعَك سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ وأبو دُجانَة**» .

قال ابنُ هشام : وكان يُقالُ لِسَيْفِ رسولِ الله ﷺ ذُو الفَقارِ .

قال ابنُ هشام : وحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ ابنَ أبي نَجيحٍ قال نادَى مُنادٍ يومَ أُحُدٍ :

لا سَيْفَ إلاّ ذُو الفَقارِ ... ولا فَتَــى إلاّ عَليّ

قال ابنُ هشام : وحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْم [2] أنّ رسولَ الله ﷺ قال لِعَليّ ابنِ أبي طالِبٍ : «لا يُصيبُ المُشْرِكُونَ مِنّا مِثْلَها حتى يَفْتَحَ الله عَلَيْنا»

قال ابنُ إسحاقَ : وكان يومُ أُحُدٍ يومَ السّبْتِ لِلنّصْفِ من شَوّالٍ .

[خُرُوجُ الرّسُولِ في أثَرِ العَدُوّ لِيُرْهِبَهُ] :

قال: [3] فَلَمّا كان الغَدُ من يومِ الأحَدِ لِسِتّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ من شَوّالٍ أذّنَ مُؤَذّنُ

---

(١) صحيح بطرقه : وصله الحاكم (٣/٢٤) من طريق ابن إسحاق قال : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله ابن عباس عن عكرمة عن ابن عباس . وهذا سند ضعيف ؛ لضعف حسين بن عبد الله . وروى من طريق آخر عن ابن عباس . رواه الحاكم (٣/٢٤) والبيهقي دلائل (٣/٢٨٣) والطبراني في الكبير (٦٥٠٧ ، ١١٦٤٤) من رواية سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس نحوه ، وسنده صحيح . ومن رواية ابن أبزي. رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/٤٩٤) من رواية مالك عن يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبزي. وهذا سند لا بأس به . ومن مرسل محمد بن كعب القرظي . رواه ابن أبي شيبة (٨/٤٩١) وفي مسنده موسى ابن عبيدة الربذي ضعيف .

(٢) معضل : وفيه جهالة من حدث ابن هشام .

(٣) هذا ما عليه أهل السير : ورواه ابن سعد في الطبقات ((٢/٣٧ - ٣٨) عن شيوخه الذين روى ....=

رسولِ الله ﷺ في النّاسِ بِطَلَبِ العَدُوّ فأَذّنَ مُؤَذِّنُه أن لا يَخْرُجَنّ مَعَنا أحَدٌ إلاّ أحَدٌ حَضَرَ يومَنا بالأمسِ . فكَلّمَه جابرُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حَرام ،فقال يا رسولَ الله إنّ أبي كان خَلّفَني على أخَواتٍ لي سَبْعٍ وقال يا بُنَيّ إنّه لا يَنْبَغي لي ولا لَكَ أن نَتْرُكَ هَؤُلاءِ النّسْوَةَ لا رَجُلَ فيهنّ ولَسْتُ بالذي أُوثِرُكَ بالجِهادِ مع رسولِ الله ﷺ على نَفْسي ، فَتَخَلّفْ على أخَواتِك ، فَتَخَلّفْتُ عليهنّ . فأذِنَ له رسولُ الله ﷺ فخَرَجَ مَعَه ، وإنّما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ مُرْهِبًا لِلْعَدُوّ وليُبَلّغَهم أنّه خَرَجَ في طَلَبِهم ليَظُنّوا به قُوّةً وأنّ الذي أصابَهم لَم يُوهِنْهم عن عَدُوّهم .

[مَثَلٌ من استِماتَةِ المُسلمِينَ في نُصرَةِ الرّسُولِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ خارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ ، عن أبي السّائِبِ مَوْلَى عائِشَةَ بِنْتِ عُثْمانَ أنّ رَجُلاً من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ من بني عبدِ الأشْهَلِ ، كان شَهِدَ أُحُدًا [١٣/ب] مع رسولِ الله قال [(١)] شَهِدْتُ أُحُدًا مع رسولِ الله ﷺ أنا وأخٌ لي ، فَرَجَعْنا جَرِيحَيْنِ فَلَمّا أذّنَ مُؤَذّنُ رسولِ الله ﷺ بالخُرُوجِ في طَلَبِ العَدُوّ قلت لأخي أو قال لي : أتَفُوتُنا غَزْوَةٌ مع رسولِ الله ﷺ؟ واللهِ ما لَنا من دابّةٍ نَرْكَبُها ، وما مِنّا إلاّ جَرِيحٌ ثَقِيلٌ فَخَرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ وكُنْتُ أيْسَرَ جُرْحًا ، فكان إذا غُلِبَ حَمَلْتُه عُقْبَةً ومَشَى عُقْبَةً حتى انْتَهَيْنا إلى ما انْتَهَى إلَيْه المُسْلِمُون .

قال ابنُ إسحاقَ :فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ حتى انْتَهَى إلى حَمْراءِ الأسَدِ ، وهِيَ من المَدينَةِ على ثَمانِيَةِ أميالٍ واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ابنَ أُمّ مَكْتُومٍ ، فيما قال ابنُ هشامٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ بِها الاثْنَيْنِ والثّلاثاءَ والأرْبعاءَ ثُمّ رَجَعَ إلى المَدينَةِ .

[شَأنُ مَعْبَدٍ الخُزاعيّ]

قال وقد مَرّ به كَما حَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ [(٢)] ، مَعْبَدُ بنُ أبي مَعْبَدٍ الخُزاعيّ ، وكانَتْ

= عنهم المغازي ، وذكر أسانيده عنهم فيهم ابن إسحاق عن مشايخه وموسى بن عقبة والواقدي عن مشايخه وقد سبق ذكر هذه الأسانيد في بداية غزوة بدر . ومن مرسل عروة نحوه رواه البيهقي في الدلائل (٣/٣١٣) .

(١) سنده ضعيف : رواه الطبري في التفسير (٣/٤/١٧٦) والبيهقي في الدلائل (٣/٣١٤) وسنده فيه عبد الله بن خارجة : ترجمه البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلاً . وأبو السائب لم أعرفه .

(٢) مرسل : رواه الطبري في التفسير (٣/٤/١٧٩) والبيهقي في الدلائل (٣/٣١٥) وله شاهد من حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير [١١٦٣٢] والنسائي في الكبرى (١١٠٨٣) من رواية محمد بن منصور عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات . إلا أن هذا الحديث روي عن عكرمة مرسلاً . رواه ابن أبي حاتم في التفسير (٤٥١٠) أشار إليه الحافظ في الفتح (٨/٢٢٨) وله شاهد من مرسل قتادة ، رواه الطبري في التفسير المصدر السابق ، وكذلك من مرسل السدى رواه الطبري أيضا ، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضًا . والله أعلم .

خُزاعَةُ ، مُسلِمُهم ومُشرِكُهم عَيْبَةَ [1] نُصْحٍ لِرسولِ الله ﷺ بتِهامَةَ صَفقَتُهم مَعَه لا يُخْفُونَ عنه شيئًا كان بها ، ومَعْبَدٌ يومَئِذٍ مُشرِكٌ فقال : يا مُحَمَّدُ أما والله لَقد عَزَّ عَلَيْنا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولَوَدِدْنا أنّ اللهَ عافاكَ فيهم ثُمّ خَرَجَ ورسولُ الله ﷺ بحَمراءِ الأسَدِ حتى لَقِيَ أبا سُفيانَ بنَ حَرْب ومَن مَعَه بالرَّوْحاءِ وقد أجْمَعُوا الرَّجْعَةَ إلى رسولِ الله ﷺ وأصْحابه وقالُوا : أصَبنا حَدّ أصْحابه وأشْرافَهم وقادَتَهم ثُمّ نَرْجِعُ قَبلَ أن نَستَأصِلهم لَنَكُرَنّ على بَقِيَّتِهم فَلَنَفْرُغَنّ منهم . فَلَمّا رَأى أبو سُفيانَ مَعْبَدًا ، قال ما وراءَكَ يا مَعْبَدُ ؟ قال مُحَمَّدٌ قد خَرَجَ في أصْحابه يَطْلُبُكم في جَمعٍ لَم أرَ مِثلَه قَطّ ، يَتَحَرَّقُونَ [2] عَلَيْكُم تَحَرُّقًا ، قد اجْتَمَعَ مَعَه مَن كان تَخَلَّفَ عنه في يومِكُم ونَدِمُوا على ما صَنَعُوا ، فيهم من الحَنَقِ عَلَيْكُم شيءٌ لَم أرَ مِثلَه قَطّ ؛ قال ويحك ما تَقُولُ ؟ قال والله ما أرَى أن تَرْتَحِلَ حتى أرَى نَواصِيَ الخَيْلِ قال فَوالله لَقد أجْمَعْنا الكَرّةَ عليهم لِنَستَأصِلَ بَقِيَّتَهم ، قال : فإنّي أنهاكَ عن ذلك قال والله لَقد حَمَلَني ما رَأيْتُ على أن قُلْتُ فيهم أبياتًا من شِعْرٍ قال وما قلت ؟ قال قلت :

كادَتْ تُهَدّ من الأصْـــواتِ راحِلَتي ... إذْ سالَتِ الأرْضُ بالجُرْدِ الأبابيـلِ [3]

تَرْدِى بأُسْـــدٍ كَرامٍ لا تَنابِلَـــةٍ ... عند اللّقاءِ ولا ميـلٍ مَعازِيـــلِ [4]

فَظَلْتُ عَدْوًا أظُـنّ الأرْضَ مائِلَـةً ... لَمّا سَمَـوْا بِرَئِيسٍ غَيْـرِ مَخْـــذُولِ

فَقُلْت : ويْلَ ابنِ حَرْبٍ من لِقائِكُم ... إذا تَغَطمطت البَطْحـــاءُ بالجيـــلِ

إنّي نَذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحِيَـــــةً ... لِكُلّ ذي إرْبَـةٍ منهـــم ومَعْقُـولِ [5]

من جَيْشِ أحْمَدَ لا وخَشٍ تَنابِلَـــةٍ ... وَليس يُوصَفُ مـــا أنْذَرْتُ بالقيـلِ [6]

فَثَنَى ذلك أبا سُفْيانَ ومَن مَعَه .

رسالةُ أبي سُفيانَ إلى الرّسُول على لسانِ رَكْبٍ :

وَمَرّ به رَكْبٌ من عبدِ القَيْسِ ، فَقال أيْنَ تُرِيدُونَ ؟ قالُوا : نُرِيدُ المَدِينَةَ ؟ قال ولِمَ ؟ قالُوا : نُرِيدُ المِيرَةَ قال فَهَلْ أنتُم مُبَلِّغُونَ عَنّي مُحَمَّدًا رِسالةً أرْسِلُكُم بها إلَيْه وأحْمِلُ لَكُم هذه غَدًا زَبيبًا بعُكاظٍ

---

(١) عيبة نصح لرسول الله : أي موضع سره .

(٢) يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

(٣) الجرد : الخيل العتاق . الأبابيل : الجماعات .

(٤) تردى : تسرع ، التنابلة : القصار . الميل : جمع أميل وهو الذي لا رمح أو لا ترس معه وقيل هو الذي لا يثبت على السرج . المعازيل : الذين لا سلاح معهم

(٥) أهل البسل : قريش لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . الضاحية : البارزة للشمس . الإربة : العقل .

(٦) الوخش : رذالة الناس وأخساؤهم . التنابلة : القصار . القيل : القول .

إذا وافيْتُموها ؟ قالُوا نَعم ؟ قال فَإذا وافَيْتُموه فأخْبِرُوه أنَا قد أجْمَعْنا السَيْرَ إلَيْه وإلى أصْحابه لِنَستَأْصِلَ بَقيّتَهم فَمَرّ الرّكْبُ بِرسولِ الله ﷺ وهو بِحَمراءِ الأسَدِ فأخْبَرُوه بالذي قال أبو سُفيانَ فَقال : «حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيلُ» .

قال ابنُ هشام : حَدّثَنا أبو عُبَيْدَةَ [1] أنّ أبا سُفيانَ بنَ حَرْب لَمّا انصَرَفَ يومَ أُحُدٍ ، أرادَ الرّجُوعَ إلى المَدينَةِ ، ليَستَأْصِلَ بَقيّةَ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ فقال لهم صَفوانُ بنُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ : لا تَفْعَلُوا ، فإنّ القَوْمَ قد حَرِبوا [2] ، وقد خَشينا أن يَكُونَ لهم قِتالٌ غَيْرُ الذي كان فارْجِعُوا ، فَرَجَعُوا . فَقال النّبيّ ﷺ وهو بِحَمراءِ الأسَدِ حينَ بَلَغَه أنّهم هَمّوا بالرّجْعَةِ : «والذي نَفْسي بيَدِه لَقد سُوّمَتْ [3] لهم حِجارَةٌ لَوْ صُبّحُوا بِها لَكانوا كأمسِ الذّاهِبِ»

قال أبو عُبَيْدَةَ [4] وَأخَذَ رسولُ الله ﷺ في جِهَة ذلك قَبْلَ رُجُوعِه إلى المَدينَةِ ، مُعاوِيَةَ ابنَ المُغيرَةِ بنَ أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسٍ ، وهو جَدّ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ ، أبو أُمّه عائِشَةَ بِنْتِ مُعاوِيَةَ وأبا عَزّة الجُمَحيّ وكان رسولُ الله ﷺ أسَرَه بِبَدْرٍ ثُمّ مَنّ عليه فَقال يا رسولَ الله أقِلْني ، فَقال رسولُ الله ﷺ : «**والله لا تَمسَحُ عارِضَيْك بمَكّةَ بعدها وتَقُول : خَدَعت مُحَمّدًا مَرّتَيْنِ اضرِبْ عُنُقَه يا زُبَيْرُ**» . **فَضَرَبَ عُنُقَه** .

قال ابنُ هشام : وبَلَغَني عن سَعيدِ بنِ المُسَيّبِ أنّه قال قال له رسولُ الله ﷺ [١٤/أ] «**إنّ المُؤْمِنَ لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مَرّتَيْنِ**» [5] اضرِبْ عُنُقَه يا عاصِمُ بنُ ثابتٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ .

[مَقْتَلُ مُعاوِيَةَ بن المُغيرَةِ]

قال ابنُ هشام [6] : ويُقالُ إنّ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ وعمّارَ بنَ ياسِرٍ قَتَلا مُعاوِيَةَ بنَ المُغيرَة بعد حَمراءِ الأسَدِ ، كان لَجَأَ إلى عُثْمانَ بنِ عَفّانَ فاستَأْمَنَ له رسولَ الله فَأمّنَه على أنّه إن وُجِدَ بعد ثَلاثٍ قُتِلَ فَأقامَ بعد ثَلاثٍ وتَوارَى فَبَعَثَهما النّبيّ ﷺ وقال إنّكُما سَتَجِدانِه بِمَوْضِعِ كَذا وكَذا ، فَوَجَداه فَقَتَلاه .

---

(١) معضل .

(٢) حربوا : غضبوا

(٣) سومت : أي جعلت لها علامة يعرف بها أنها من عند الله .

(٤) سبق تخريجه في أسارى بدر .

(٥) متفق عليه : البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٢٩٩٨) من رواية سعيد عن أبي هريرة دون زيادة : «اضرب عنقه يا عاصم» .

(٦) معضل .

[شأن عبد الله بن أُبَيّ بعد ذلك]

قال ابنُ إسحاق [١] : فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، وكان عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابن سَلُولَ ، كَما حَدَّثني ابنُ شِهابٍ الزّهْريّ ، له مَقامٌ يَقومُه كُلّ جُمُعةٍ لا يُنكَرُ شَرَفًا له في نَفسِه وفي قَوْمِه وكان فيهم شَريفًا ، إذا جَلَسَ رسولُ الله ﷺ يومَ الجُمعة وهو يَخْطُبُ النّاسَ قامَ فقال أيها النّاسُ هذا رسولُ الله ﷺ بَيْنَ أظْهُرِكُم أكْرَمَكُمُ الله وأعَزّكُم به فانْصُرُوه وعَزّرُوه واسْمَعُوا له وأطيعُوا ، ثُمّ يَجْلِسُ حتى إذا صَنَعَ يومَ أُحُدٍ ما صَنَعَ ورَجَعَ بالنّاسِ قامَ يَفْعَلُ ذلك كَما كان يَفْعَلُه فَأَخَذَ المُسلِمُونَ بثِيابه من نَواحيه وقالُوا : اجْلِسْ أيْ عَدُوّ الله لَستَ لِذلك بأهلٍ ، وقد صَنَعْتَ ما صَنَعْتَ فَخَرَجَ يَتَخَطّى رِقابَ النّاسِ وهو يقول والله لَكَأنّما قلت بَجْرًا [٢] أن قُمت أُشَدّدُ أمرَه . فَلَقِيَه رَجُلٌ من الأنصارِ ببابِ المَسْجِدِ فقال ما لَك ؟ ويْلَك قال قُمتُ أُشَدّدُ أمرَه فَوَثَبَ عَلَيّ رِجالٌ من أصْحابه يَجْذِبونَني ويُعَنّفُونَني ، لَكَأنّما قلت بَجْرًا أن قُمت أُشَدّدُ أمرَه . قال ويْلَك ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَك رسولُ الله ﷺ قال والله ما أبْتَغي أن يَسْتَغْفِرَ لي .

قال ابنُ إسحاقَ : كان يومُ أُحُدٍ يومَ بَلاءٍ ومُصيبَةٍ وتَمحيصٍ اخْتَبَرَ الله به المُؤْمِنينَ ومَحَنَ به المُنافِقينَ مِمّن كان يُظْهِرُ الإيمانَ بِلِسانِه وهو مُسْتَخْفٍ بالكُفْرِ في قَلْبه ويومًا أكْرَمَ الله فيه مَن أرادَ كَرامَتَه بالشّهادَةِ من أهلِ وِلايَتِه .

[ذِكْرُ ما أنزَلَ الله في أُحُدٍ من القُرآنِ]

[قال حَدّثَنا أبو مُحَمّدٍ عبدُ المَلِكِ بنُ هشام . قال حَدّثَنا زِيادُ بنُ عبدِ الله البَكّائيّ عن مُحَمّدِ بنِ إسحاقَ المُطّلِبيّ] قال : فَكان مِمّا أنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى في يومِ أُحُدٍ من القُرآنِ سِتّونَ آيَةً من آلِ عِمرانَ ، فيها صِفَةُ ما كان في يومِهم ذلك ومُعاتَبَةُ مَن عاتَبَ منهم يقول الله تَبارَكَ وتَعالى لِنَبيّه ﷺ ﴿**وإذ غَدَوتَ من أهلِكَ تُبَوّئُ المُؤْمِنينَ مَقاعِدَ لِلقِتالِ والله سَميعٌ عَليمٌ**﴾

قال ابنُ هشام : تُبَوّئُ المُؤْمِنينَ تَتّخِذُ لهم مَقاعِدَ ومَنازِلَ . قال الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ

لَيْتَني كُنتُ قَبْلَه   قد تَبَوّأتُ مَضْجَعا

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ له . أيْ سَميعٌ بِما تَقُولُونَ عَليمٌ بِما تُخْفُونَ .

﴿**إذ هَمّت طائفَتانِ مِنكُم أن تَفْشَلا**﴾ أن تَتَخاذَلا والطّائِفَتانِ بنُو سَلِمَةَ بنِ جُشَمِ بنِ الخَزْرَجِ ، وبنُو حارِثَةَ بنِ النّبيتِ من الأوْسِ [٣] ، وهما الجَناحانِ يقول الله تَعالى : ﴿**والله**

---

(١) مرسل : البيهقي في الدلائل (٣/٣١٨) .

(٢) بجرًا : أمرًا عظيمًا .

(٣) أخرج البخاري (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) من حديث جابر بلفظ قال : نزلت هذه الآية فينا .....=

وليّهما﴾ أي المُدافِعُ عنهما ما هَمّتا به من فَشَلِهما ، وذَلِك أنّه إنّما كان ذلك منهما عن ضَعْفٍ ووَهَنٍ أصابهما غيْرَ شَكٍّ في دينِهما ، فَتَوَلّى دَفْعَ ذلك عنهما بِرَحْمَتِه وعائِدَتِه حتى سَلِمَتا من وُهُونِهما وضَعْفِهما ، ولَحِقتا بِنَبِيّهما ﷺ.

قال ابنُ هشام : حَدّثَني رَجُلٌ من الأسْدِ من أهلِ العِلْمِ قال قالتِ الطّائِفتانِ ما نُحِبّ أنّا لَمْ نَهِمّ بما هَمَمنا به ، لِتَوَلّي الله إيّانا في ذلك [١]

قال ابنُ إسحاق : يقول الله تَعالى : ﴿وَعلى الله فَلْيَتَوَكّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ أيْ مَن كان به ضَعْفٌ من المُؤْمِنينَ فَلْيَتَوَكّلْ عَلَيّ ولْيَسْتَعِن بِي ، أُعِنْه على أمرِهِ وأُدافِعْ عنه حتى أبْلُغَ به وأدْفَعَ عنه وأُقَوّيَه على نيّتِه .

﴿وَلَقَد نَصَرَكُمُ الله بِبَدْرٍ وأنتُم أذِلّةٌ فاتّقُوا اللهَ لَعَلّكُم تَشْكُرُونَ﴾ أيْ فاتّقُوني ، فَإنّه شُكْرُ نِعْمَتي . ﴿وَلَقَد نَصَرَكُمُ الله بِبَدْرٍ﴾ وَأنتُم أقَلّ عَدَدًا وأضْعَفُ قُوّةً ﴿إذْ تَقُولُ لِلمُؤْمِنينَ ألَن يَكْفيَكُم أن يُمِدّكُمْ رَبّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلينَ بَلَى إن تَصْبِرُوا وتَتّقُوا ويَأتُوكُم من فَوْرِهِم هذا يُمدِدْكُم رَبّكُمْ بِخَمسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوّمينَ﴾ أيْ إن تَصْبِرُوا لِعَدُوّي ، وتُطيعُوا أمري، ويَأتُوكُم من وجْهِهِم هذا ، أُمِدّكُمْ بِخَمسَةِ آلافٍ من المَلائِكَةِ مُسَوّمينَ .

قال ابنُ هشام : مُسَوّمينَ مُعْلَمينَ . بَلَغَنا عن الحَسَنِ بن أبي الحَسَنِ البَصْريّ أنّه قال أعْلَمُوا على أذْنابِ خَيْلِهِم ونَواصيها بِصُوفٍ أبْيَضَ [٢] فَأمّا ابنُ إسحاقَ فَقال كانَتْ سِيماهم يومَ بَدْرٍ عمائمَ بيضًا . وقد ذَكَرْت ذلك في حَديثِ بَدْرٍ . والسّيما : العَلامَةُ . وفي كِتابِ الله عَزّ وجَلّ ﴿سيماهم في وُجُوهِهِم من أثَرِ السّجُودِ﴾ : أيْ عَلامَتُهم . و﴿حِجارَةً من سِجّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوّمَةً﴾ يَقُول : مُعْلَمَةً . بَلَغَنا عن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْريّ أنّه قال عليها عَلامَةٌ أنّها ليستْ من حِجارَةِ الدّنيا ،وأنّها من حِجارَةِ العَذابِ . قال رُؤْبَةُ بنُ العَجّاج : [١٤/ب]

فالآنَ تُبْلَى بي الجِيادُ السّهَمْ ... وَلا تُجاريني إذا ما سَوّمُوا

وَشَخَصَتْ أبْصارُهم وأجْذَمُوا

[أجْذَمُوا «بِالذّالِ المُعْجَمَةِ» : أيْ أسْرَعُوا ، وأجْدَمُوا «بالدّالِ المُهْمَلَةِ» : أقْطَعُوا] . وهذه

= ﴿إذ همت طائفتان ...﴾ بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنه لم تنزل والله يقول ﴿والله وليهما﴾

(١) مرسل : سند ابن هشام ضعيف ، فيه جهالة هذا الرجل ، ومع ذلك فهو معضل لكن صح في الحديث السابق من قول جابر رضي الله عنه .

(٢) ضعيف إلى الحسن : رواه الطبري في تفسيره (٨٣/٤/٣) من رواية جويبر عن الضحاك وبعض الشيوخ عن الحسن ، وفي سنده جويبر : ضعيف . وصح من قول قتادة ومجاهد نحوه ، رواهما ابن جرير نفس المصدر .

الأبياتُ في أُرْجُوزَةٍ له . والمُسَوَّمَةُ أيضًا : المَرْعِيّةُ . وفي كِتابِ الله تَعالى : ﴿**والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ**﴾ و ﴿**شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ**﴾ تَقُولُ العَرَبُ : سَوَّمَ خَيْلَه وإبِلَه وأسامَها : إذا رَعاها . قال الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ :

راعيًا كان مُسْجِحًا ففقدناه　　وَفَقْدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوام

قال ابنُ هشام : مُسْجِحًا : سَلِسُ السِّياسَةِ مُحْسِنٌ إلى الغَنَم . وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له .

﴿**وَما جَعَلَه الله إلاّ بُشْرَى لَكُمْ ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم به وما النَّصْرُ إلاّ مِن عِنْدِ الله العَزيزِ الحَكيم**﴾ أيْ ما سَمَّيت لَكُمْ مَن سَمَّيتُ من جُنُودِ مَلائكَتي إلاّ بُشْرَى لَكُمْ ولِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم به لِما أعْرِفُ من ضَعْفِكُمْ وما النَّصْرُ إلاّ من عِندي ، لِسُلْطاني وقُدْرَتي ، وذَلِك أنّ العِزّ والحُكْمَ إليَّ لا إلى أحَدٍ من خَلْقي . ثُمّ قال ﴿**لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الذينَ كَفَرُوا أوْ يَكْبِتَهم فَيَنْقَلِبوا خائِبينَ**﴾ أيْ لِيَقْطَعَ طَرَفًا من المُشْرِكينَ بِقَتْلٍ يَنْتَقِمُ به منهم أوْ يَرُدّهم خائبينَ أيْ ويَرْجِعُ مَن بَقِيَ منهم فَلاّ خائبينَ لَم يَنالُوا شيئًا ممّا كانوا يَأْمُلُونَ .

قال ابنُ هشام : يَكْبِتُهم يَغُمّهم أشَدّ الغَمّ ويَمْنَعُهم ما أرادُوا . قال ذُو الرُّمّةِ ما أنْسَ من شَجَنٍ لا أنْسَ مَوْقِفَنا في حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ ومَكْبوتِ ويَكْبِتُهم أيضًا : يَصْرَعُهم لِوُجُوهِهِم .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ قال لِمُحَمّدٍ نبيه ﷺ ﴿**ليس لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أوْ يَتُوبَ عليهم أوْ يُعَذّبَهم فإنّهم ظالِمونَ**﴾ [١] أيْ ليس لَك من الحُكم شيءٌ في عِبادي ، إلاّ ما أمَرْتُك به فيهم أوْ أتُوبُ عليهم بِرَحْمَتي ، فإن شِئْتُ فَعَلْت ، أوْ أُعَذّبُهم بِذُنُوبِهم فَبِحَقّي فإنّهم ظالِمُونَ أيْ قد اسْتَوْجَبوا ذلك بِمَعْصيَتِهم إيّايَ ﴿**والله غَفُورٌ رَحيمٌ**﴾ أيْ يَغْفِرُ الذّنْبَ ويَرْحَمُ العِبادَ على ما فيهم.

ثُمّ قال ﴿**يا أيها الذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أضْعافًا مُضاعَفَةً**﴾ أيْ لا تَأْكُلُوا في الإسلام إذْ هَداكُم الله به ما كُنْتُم تَأْكُلُونَ إذْ أنْتُم على غَيْرِه ممّا لا يَحِلّ لَكُمْ في دينِكُم ﴿**واتّقُوا الله لَعَلّكُم تُفْلِحُونَ**﴾ أيْ فأطيعُوا الله لَعَلّكُم تَنْجُونَ ممّا حَذّرَكُمْ الله من عَذابه تُدْرِكُونَ ما رَغّبَكُم الله فيه من ثَوابه ﴿**واتّقُوا النّارَ التي أُعِدّتْ لِلْكافِرِينَ**﴾ أيِ التي جُعِلَتْ دارًا لِمَن كَفَرَ بي .

ثُمّ قال ﴿**وَأطيعُوا الله والرّسُولَ لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ مُعاتَبَةً لِلّذينَ عَصَوْا رسولَ الله ﷺ حينَ أمَرَهم بما أمَرَهم به في ذلك اليوم وفي غَيْرِه . ثُمّ قال : ﴿**وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ من رَبّكُم وجَنّةٍ عَرْضُها السّماواتُ والأرْضُ أُعِدّتْ لِلْمُتّقينَ**﴾ أيْ دارًا لِمَن أطاعَني وأطاعَ رسولي . ﴿**الذينَ**

---

(١) ورد سببان لنزول هذه الآية : الأول أن النبي ﷺ كان يقنت في صلاته فيقول : اللهم العن فلانًا وفلانًا .. فنزلت . رواه البخاري (٤٥٥٩) ومسلم (٢٩٤) من حديث أبي هريرة . والثاني :أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه وجعل يغسل الدم عنه ، وهو يقول : (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت) . رواه مسلم (١٧٩١) . من حديث أنس .

يُنفِقُونَ في السّرّاءِ والضّرّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عَنِ النّاسِ واللهُ يُحِبّ المُحْسِنِينَ﴾ أيْ : وذَلِكَ هُوَ الإحْسانُ وأنا أُحِبّ مَن عمِلَ به **﴿والّذينَ إذا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم ومَن يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلاّ اللهُ ولَم يُصِرّوا على ما فَعَلُوا وهم يَعْلَمُون﴾** أيْ : إن أتَوْا فاحِشَةً ﴿أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم﴾ بمَعْصِيَةٍ ذَكَرُوا نَهْيَ الله عنها ، وما حَرّمَ عليهم فاسْتَغْفَرُوه لها، وعَرَفُوا أنّه لا يَغْفِرُ الذّنُوبَ إلاّ هُوَ **﴿ولَم يُصِرّوا على ما فَعَلُوا وهم يَعْلَمُونَ﴾** أيْ : لَمْ يُقِيمُوا على مَعْصِيَتي كَفِعْلِ مَن أشْرَكَ بي فيما غَلَوْا به في كُفْرِهم **﴿وهم يَعْلَمُونَ﴾** ما حَرّمْتُ عليهم من عِبادَةِ غَيْري . **﴿أولئِكَ جَزاؤُهم مَغْفِرَةٌ من رَبّهم وجَنّاتٌ تَجْرِي من تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فيها ونِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾** أيْ ثَوابُ المُطِيعِينَ .

ثُمّ استَقْبَلَ ذِكْرَ المُصِيبَةِ التي نَزَلَتْ بهم والبَلاءِ الذي أصابَهم والتّمحيصَ لِما كان فيهم واتّخاذَه الشّهداءَ منهم فَقال تَعْزِيَةً لهم وتَعْرِيفًا لهم فيما صَنَعُوا ، وفيما هُوَ صانِعٌ بهم **﴿قد خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا في الأرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كان عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ﴾** أيْ قد مَضَتْ مِنّي وقائِعُ نِقْمَةٍ في أهلِ التّكذِيبِ لِرُسُلي والشّرْكِ بي : عادٍ وثَمُودَ وقَوْمِ لُوطٍ وأصْحابِ مَدْيَنَ ، فَرَأَوْا مَثُلاتٍ قد مَضَتْ مِنّي فيهم ولِمَن هُوَ على مِثْلِ ما هم عليه من ذلك مِنّي ، فإنّي أمْلَيْتُ لهم أيْ لِئَلاّ يَظُنّوا أنّ نِقْمَتي انْقَطَعَتْ عن عَدُوّكُم وعَدُوّي ، لِلدّوْلَةِ التي أدَلْتُهم بها عَلَيْكُم لِيَبْتَلِيَكُم بذلك لِيُعْلِمَكُم ما عندَكُم .

ثُمّ قال تَعالى : **﴿هذا بَيانٌ لِلنّاسِ وهُدًى ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتّقِينَ﴾** [أيْ هذا تَفْسِيرٌ لِلنّاسِ إن قَبِلُوا الهُدَى وهُدًى ومَوْعِظَةٌ أيْ نُورٌ وأدَبٌ «لِلْمُتّقِينَ»] أيْ لِمَن أطاعَني وعَرَفَ أمْري **﴿ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا﴾** أيْ لا تَضْعُفُوا [١٥/أ] ولا تَبْتَئِسُوا على ما أصابَكُم **﴿وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ﴾** أيْ لَكُمْ تَكُونُ العاقِبَةُ والظّهُورُ **﴿إن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾** أيْ إن كُنْتُم صَدّقْتُم نَبِيّي بما جاءَكُم به عَنّي . **﴿إن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فقد مَسّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه﴾** أيْ جِراحٌ مِثْلُها ، **﴿وتِلْكَ الأيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ﴾** أيْ نُصَرّفُها بَيْنَ النّاسِ لِلْبَلاءِ والتّمحيصِ **﴿ولِيَعْلَمَ اللهُ الذينَ آمَنُوا ويَتّخِذَ مِنكُمْ شُهَداءَ واللهُ لا يُحِبّ الظّالِمِينَ﴾** أيْ لِيُمَيّزَ بَيْنَ المُؤْمِنينَ والمُنافِقينَ ولِيُكْرِمَ مَن أكْرَمَ من أهلِ الإيمانِ بالشّهادَةِ **﴿واللهُ لا يُحِبّ الظّالِمِينَ﴾** أيِ المُنافِقِينَ الذينَ يُظْهِرُونَ بألْسِنَتِهِم الطّاعَةَ وقُلُوبُهم مُصِرّةٌ على المَعْصِيَةِ **﴿ولِيُمَحّصَ اللهُ الذينَ آمَنُوا﴾** أيْ يَخْتَبِرَ الذينَ آمَنُوا حتى يُخَلّصَهم بالبَلاءِ الذي نَزَلَ بهم وكَيْفَ صَبْرُهم ويَقِينُهم **﴿ويَمْحَقَ الكافِرِينَ﴾** أيْ يُبْطِلَ من المُنافِقِينَ قَوْلَهم بألْسِنَتِهِم ما ليس في قُلُوبِهِم حتى يَظْهَرَ منهم كُفْرُهم الذي يَسْتَتِرُونَ به .

ثُمّ قال تَعالى : **﴿أم حَسِبْتُم أن تَدْخُلُوا الجَنّةَ ولَمّا يَعْلَمِ اللهُ الذينَ جاهَدُوا مِنكُم ويَعْلَمَ الصّابِرِينَ﴾** أيْ حَسِبْتُم أن تَدْخُلُوا الجَنّةَ فَتُصِيبوا من ثَوابي الكَرامَةَ ولَم أخْتَبِرْكُم بالشّدّةِ وأبْتَلِيَكُم

بالمكاره حتى أعلَمَ صِدْقَ ذلك مِنكُم بالإيمانِ بي ، والصَبْرَ على ما أصابَكُم فيّ ولقد كُنتُم تَمَنَّوْنَ الشّهادَةَ على الذي أنتُم عليه من الحَق قَبْلَ أن تَلْقَوْا عَدُوّكُم يَعْني الذينَ استَنْهَضُوا رسولَ الله ﷺ إلى خُرُوجِه بِهِم إلى عَدُوِّهِم لِما فاتَهم من حُضُورِ اليومِ الذي كان قَبْلَه بِبَدْرٍ ورَغْبَةً في الشّهادَةِ التي فاتَتْهم بها ، فَقال : **﴿وَلَقد كُنتُم تَمَنَّوْنَ المَوْتَ من قَبْلِ أن تَلْقَوْه﴾** يقول **﴿فقد رَأَيْتُمُوه وأَنتُم تَنظُرُونَ﴾** أي المَوْتُ بالسّيُوفِ في أيدي الرّجالِ قد خُلّيَ بَيْنَكُم وبَيْنَهم وأنتُم تَنظُرُونَ إلَيْهِم ثُمَّ صَدّهم عَنكُم .

﴿وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلَتْ من قَبْلِه الرّسُلُ أفَإن ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُم على أعقابِكُم ومَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْه فَلَن يَضُرّ اللهَ شيئًا وسَيَجْزِي الله الشّاكِرين﴾ أيْ لِقَوْلِ النّاسِ قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ وانهِزامُهم عند ذلك وانصِرافُهم عن عَدُوّهِم أفَإن ماتَ أوْ قُتِلَ رَجَعْتُم عن دينِكُم كُفّارًا كَما كُنتُم وتَرَكتُم جِهادَ عَدُوِّكُم وكِتابَ الله . وما خَلّفَ نَبِيّه ﷺ من دينِه مَعَكُم وعندكُم وقد بَيّنَ لَكُم فيما جاءَكُم به عَنّي أنّه مَيّتٌ ومُفارِقُكُم **﴿وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْه﴾** أيْ يَرْجِعُ عن دينِه **﴿فَلَن يَضُرّ اللهَ شيئًا﴾** أيْ ليس يُنقِصُ ذلك عِزّ الله تَعالى ولا مُلْكَه ولا سُلْطانَه ولا قُدْرَتَه وسَيَجْزِي الله الشّاكِرينَ أيْ مَن أطاعَه وعمِلَ بأمرِه .

[ثُمّ قال] **﴿وَما كان لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلاّ بإذْنِ الله كِتابًا مُؤَجّلاً﴾** أيْ أنّ لِمُحَمّدٍ ﷺ أجَلاً هُوَ بالِغُه فإذا أذِنَ الله عَزّ وجَلّ في ذلك كان . **﴿وَمَن يُرِدْ ثَوابَ الدّنيا نُؤْتِه منها ومَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِه منها وسَنَجْزِي الشّاكِرينَ﴾** أيْ مَن كان مِنكُمْ يُرِيدُ الدّنيا ، ليستْ له رَغْبَةٌ في الآخِرَةِ نُؤْتِه منها ما قُسِمَ له من رِزْقٍ ولا يَعْدُوه فيها ، وليس له في الآخِرَةِ من حَظّ ومَن يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِه منها ما وُعِدَ به مع ما يُجْزَى عليه من رِزْقِه في دُنْياه وذلِك جَزاءُ الشّاكِرينَ أي المُتّقِينَ .

ثُمّ قال **﴿وَكَأَيّن من نَبِيّ قاتَلَ مَعَه رِبّيّونَ كَثيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أصابَهم في سَبيلِ الله وما ضَعُفُوا وما استَكانوا والله يُحِبّ الصّابِرِينَ﴾** أيْ وكَأيّن من نَبِيّ أصابَه القَتْلُ ومَعَه رِبّيّونَ كَثيرٌ أيْ جَماعَةٌ فَما وهَنُوا لِفَقْدِ نَبِيّهم وما ضَعُفُوا عن عَدُوّهِم وما استَكانوا لِما أصابَهم في الجِهادِ عن الله تَعالى وعن دينِهم وذلِك الصّبْرُ والله يُحِبّ الصّابِرِينَ **﴿وَما كان قَوْلَهم إلاّ أن قالُوا رَبّنا اغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا وثَبّتْ أقدامَنا وانصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ﴾** .

قال ابنُ هشام :واحِدُ الرّبّيّينَ رِبّيّ ، وقَوْلُهم الرِّبابُ ، لِوَلَدِ عبدِ مَناةَ بنِ أُدّ ابنِ طابِخة بنِ إلْياسَ ولِضَبّةَ لأنّهم تَجَمّعُوا وتَحالَفُوا ، من هذا ، يُرِيدُونَ الجَماعاتِ . وواحِدَةُ الرِّبابِ : رِبّةٌ ورِبابَةٌ وهِيَ جَماعاتُ قِداحٍ أوْ عِصِيّ ونَحْوِها ، فَشَبّهُوها بها قال أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيّ :

وَكَأَنَّهُنَّ رِبابَةٌ وكأنَّه يَسَرٌ يَفيضُ على القِداحِ ويَصْدَعُ

وَهذا البَيْتُ في قصيدة له . وقال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ:

حَوْلَ شَياطينِهم أبابيلُ رِبِّيّونَ شَدّوا سَنَوَّرًا مَدْسُورا

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له [قال ابنُ هشام] : والرِّبابَةُ أيضًا : الخِرْقَةُ التي تُلَفُّ فيها القِداحُ .

قال ابنُ هشام : والسَّنَوَّر : الدُّرُوعُ . والدُّسُرُ هيَ المَساميرُ التي في الحِلَقِ يقول الله عَزّ وجَلّ ﴿وَحَمَلْناه على ذاتِ ألْواحٍ ودُسُرٍ﴾ قال الشّاعِرُ ، وهو أبو الأخْزَرِ الحِمّانِيّ ، من تَميمٍ : دَسْرًا بأطْرافِ القَنا المُقَوَّمِ [١٥/ب]

وهذا من قول الأخزر الحماني .

قال ابنُ إسحاقَ : أيْ فَقُولُوا مِثْلَ ما قالُوا ، واعْلَمُوا أنّما ذلك بِذُنُوبٍ مِنْكُم واسْتَغْفِرُوه كَما اسْتَغْفَرُوه وَامضُوا على دينِكُم كَما مَضَوْا على دينِهِم ولا تَرْتَدّوا على أعْقابِكُم راجِعينَ واسْأَلُوه كَما سَأَلُوه أن يُثَبِّتَ أقْدامَكُمْ واسْتَنْصِرُوه كَما اسْتَنْصَرُوه على القَوْمِ الكافِرينَ فَكُلّ هذا من قَوْلِهِم قد كان وقد قُتِلَ نَبيّهم فَلَم يَفْعَلُوا كَما فَعَلْتُم ﴿فَآتاهمُ الله ثَوابَ الدّنْيا﴾ بالظّهُورِ على عَدُوّهِم ﴿وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ﴾ وَما وعَدَ الله فيها ، ﴿والله يُحِبّ المُحْسِنينَ﴾

﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا إن تُطيعُوا الذينَ كَفَرُوا يَرُدّوكُمْ على أعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبوا خاسِرينَ﴾ أيْ: عن عَدُوِّكُمْ فَتَذْهَبُ دُنْياكُمْ وآخِرَتُكُم ﴿بَلِ الله مَوْلاكُمْ وهو خَيْرُ النّاصِرينَ﴾ فإن كان ما تَقُولُونَ بأَلْسِنَتِكُمْ صِدْقًا في قُلُوبِكُم فاعْتَصِمُوا به ولا تَسْتَنْصِرُوا بِغَيْرِه ولا تَرْجِعُوا على أعْقابِكُم مُرْتَدّينَ عن دينِه .

﴿سَنُلْقِي في قُلُوبِ الذينَ كَفَرُوا الرّعْبَ﴾ أيِ : الذي به كُنْتُ أنْصُرُكُم عليهِم بِما أشْرَكُوا بي ما لَم أجْعَلْ لهم من حُجّةٍ أيْ فَلا تَظُنّوا أنّ لهم عاقِبَةَ نَصْرٍ ولا ظُهُورٍ عَلَيْكُم ما اعْتَصَمتُم بي ، واتّبَعْتُم أمري ، لِلْمُصيبَةِ التي أصابَتْكُم منهم بِذُنُوبٍ قَدّمتُمُوها لأنْفُسِكُم خالَفتُم بِها أمري لِلْمَعْصيَةِ وعَصَيْتُم بها نَبِيّي .

﴿وَلَقد صَدَقَكُمُ الله وعْدَه إذْ تَحُسّونَهم بإذْنِه حتى إذا فَشِلْتُم وتَنازَعْتُم في الأمرِ وعَصَيْتُم من بَعْدِ ما أراكُم ما تُحِبّونَ مِنكُمْ مَن يُريدُ الدّنْيا ومِنكُمْ مَن يُريدُ الآخِرَةَ ثُمّ صَرَفَكُمْ عنهم لِيَبْتَليَكُمْ ولَقد عَفا عَنْكُم والله ذُو فَضْلٍ على المُؤْمِنينَ﴾ أيْ وقد وفَيْت لَكُمْ بِما وعَدْتُكُم من النّصْرِ على عَدُوّكُم إذْ تَحُسّونَهم بالسّيُوفِ أيِ القَتْلِ بإذْني وتَسليطي أيْديَكُمْ عليهم وكَفّي أيْديَهم عَنْكُمْ .

قال ابنُ هشامٍ : الحَسّ : الاسْتِئْصالُ يُقالُ حَسَسْتُ الشّيْءَ أيِ اسْتَأْصَلْته بالسّيْفِ وغَيْرِه . قال جَريرٌ :

تَحُسّهم السّيوفُ كَما تَسامَى ... حَريقُ النّارِ في الأجَمِ الحَصيدِ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وقال رُؤْبَةُ بنُ العَجّاج

إذا شَكَوْنا سَنَةً حَسُوسا ... تَأكُلُ بعد الأخْضَرِ اليَبيسا

وَهذانِ البَيْتانِ في أُرْجُوزَةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : ﴿**حتى إذا فَشِلْتُم**﴾ أيْ تَخاذَلْتُم وتَنازَعْتُم في الأمرِ أيِ اخْتَلَفْتُم في أمري، أيْ تَرَكْتُم أمرَ نَبيّكُم وما عَهِدَ إليكُم يَعْني الرّماةَ ﴿**وَعَصَيْتُم من بَعْدِ ما أراكُم ما تُحِبّونَ**﴾ أي الفَتْحُ لا شَكّ فيه وهَزِيمَةُ القَوْمِ عن نِسائِهِم وأموالِهِم ، ﴿**مِنكُم مَن يُريدُ الدّنيا**﴾ أيِ الذينَ أرادُوا النّهْبَ في الدّنيا وتَرْكَ ما أُمِرُوا به من الطّاعَةِ التي عليها ثَوابُ الآخِرَةِ ﴿**وَمِنكُمْ مَن يُريدُ الآخِرَةَ**﴾ أي الذينَ جاهَدُوا في الله ولَم يُخالِفُوا إلى ما نُهُوا عنه لِعَرَضٍ من الدّنيا ، رَغْبَةً فيها ، رَجاءَ ما عِندَ الله من حُسْنِ ثَوابه في الآخِرَةِ أي الذين جاهَدُوا في الدّينِ ولَم يُخالِفُوا إلى ما نُهُوا عنه لِعَرَضٍ من الدّنيا ، لِيَخْتَبِرَكُم وذَلِك بِبَعْضِ ذُنُوبِكُم ولقد عَفا الله عن عَظيمِ ذلك أن لا يُهْلِكَكُمْ بِما أتَيْتُم من مَعْصِيَةِ نَبيّكُم ولَكِنّي عُدت بِفَضْلي عَلَيْكُم وكذلك مَنّ الله على المُؤْمِنينَ أن عاقَبَ بِبَعْضِ الذّنُوبِ في عاجِلِ الدنيا أدَبًا ومَوْعِظَةً فإنّه غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلّ ما فيهم من الحَقّ له عليهم بِما أصابوا من مَعْصِيَتِه رَحْمَةً لهم وعائِدَةً عليهِم لِما فيهم من الإيمانِ .

ثُمّ أنّبَهم بِالفِرارِ عن نَبيّهِم ﷺ وهم يُدْعَوْنَ لا يَعْطِفُونَ عليه لِدُعائِه إيّاهم فَقال﴿**إذْ تُصْعِدُونَ ولا تَلْوُونَ على أحَدٍ والرّسُولُ يَدْعُوكُم في أُخْراكُم فَأثابَكُمْ غَمّا بِغَمّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُم ولا ما أصابَكُمْ**﴾ أيْ كَرْبًا بعد كَرْبٍ بِقَتْلِ مَن قُتِلَ من إخْوانِكُم وعُلُوّ عَدُوّكُم عَلَيْكُم وبِما وقَعَ في أنْفُسِكُم من قَوْلِ مَن قال قُتِلَ نَبيّكُم فكان ذلك مِمّا تَتابَعَ عَلَيْكُم غَمّا بِغَمّ ﴿**لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ**﴾ من ظُهُورِكُمْ على عَدُوّكُم بعد أن رَأيْتُمُوه بِأعْيُنِكُم ﴿**وَلا ما أصابَكُمْ**﴾ من قَتْلِ إخْوانِكُمْ حتى فَرّجْتُ ذلك الكَرْبَ عَنْكُم والله خَبيرٌ بِما تَعْمَلُونَ . وكان الذي فَرّجَ الله به عنهم ما كانوا فيه من الكَرْبِ والغَمّ الذي أصابَهم أنّ اللهَ عَزّ وجَلّ رَدّ عنهم كِذْبَةَ الشّيْطانِ بِقَتْلِ نَبيّهِم ﷺ [١٦/أ] فَلَمّا رَأوْا رسولَ الله ﷺ حَيّا بَيْنَ أظْهُرِهِم هانَ عليهِم ما فاتَهم من القَوْمِ بعد الظّهُورِ عليهم والمُصيبَةُ التي أصابَتْهم في إخْوانِهِم حينَ صَرَفَ الله القَتْلَ عن نَبيّهِم ﴿**ثُمّ أنْزَلَ عَلَيْكُم من بَعْدِ الغَمّ أمَنَةً نُعاسًا يَغْشَى طائِفَةً مِنكُم وطائِفَةٌ قد أهَمّتْهم أنْفُسُهم يَظُنّونَ بالله غَيْرَ الحَقّ ظَنّ الجاهِلِيّةِ يقولونَ هَل لَنا مِنَ الأمرِ من شيءٍ قُلْ إنّ الأمرَ كُلّه لله يُخْفُونَ في أنْفُسِهِم ما لا يُبْدُونَ لَكَ يقولونَ لَوْ كان لَنا مِنَ الأمرِ شيءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُم في بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم وليَبْتَلِيَ الله ما في صُدُورِكُم وليُمَحّصَ ما في قُلُوبِكُمْ والله عَليمٌ**

بذاتِ الصدُورِ ﴾ فأنزَلَ الله النعاسَ أمَنَةً مِنه على أهلِ اليَقِينِ به فهم نيامٌ لا يخافُونَ وأهلُ النفاقِ قد أهَمّتهم أنفُسُهم يظُنّونَ بالله غيْرَ الحَقّ ظَنّ الجاهلِيّةِ تَخَوّفَ القتلِ وذلِك أنهم لا يَرجُونَ عاقِبَةً فذَكَرَ الله عَزّ وجَلّ تلاوُمَهم وحَسْرَتَهم على ما أصابَهم ثُمّ **قال الله سُبحانَه لِنبيّه ﷺ** ﴿**قُلْ لَوْ كُنتُم في بُيُوتِكُمْ**﴾ لَمْ تَحضُرُوا هذا المَوْطِنَ الذي أظْهَرَ الله فيه مِنكُمْ ما أظهَرَ من سَرائِرِكُمْ " **لَبَرَزَ** " لأَخْرَجَ الذينَ كُتِبَ عليهِم القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِم إلى مَوْطِنٍ غَيْرِه يُصرَعُونَ فيه حتى يُبْتَلَى به ما في صُدُورِهِم ﴿**وَلِيُمَحّصَ ما في قُلُوبِكُم والله عَليمٌ بِذاتِ الصّدُورِ**﴾ أيْ لا يَخْفَى عليه ما في صُدُورِهِم مِمّا استَخفَوْا به مِنكُمْ .

[تَحذيرُهم أن يَكُونُوا مِمّن يَخْشَوْنَ المَوْتَ في اللهِ]

ثُمّ قال ﴿**يا أيها الذينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كالذينَ كَفَرُوا وقالُوا لإخوانِهِم إذا ضَرَبوا في الأرْضِ أوْ كانوا غُزّى لَوْ كانوا عندنا ما ماتُوا وما قُتِلُوا ليَجْعَلَ الله ذلك حَسْرَةً في قُلُوبِهِم والله يُحْيي ويُمِيتُ والله بما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ**﴾ أيْ لا تَكُونُوا كالمُنافِقِينَ الذينَ يَنْهَوْنَ إخوانَهم عن الجِهادِ في سَبيلِ الله والضّرْبِ في الأرْضِ في طاعَةِ الله عَزّ وجَلّ وطاعَةِ رسولِه ﷺ ويقولونَ إذا ماتُوا أوْ قُتِلُوا : لَوْ أطاعُونا ما ماتُوا وما قُتِلوا ﴿**لِيَجْعَلَ الله ذلك حَسْرَةً في قُلُوبِهِم**﴾ لِقِلّةِ اليَقينِ بِرَبّهِم ﴿**والله يُحْيي ويُمِيتُ**﴾ أيْ يُعَجّلُ ما يَشاءُ ويُؤَخّرُ ما يَشاءُ من ذلك من آجالِهِم بِقُدرَتِه .

قال تَعالى : ﴿**وَلَئِن قُتِلْتُم في سَبيلِ الله أوْ مُتّم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله ورَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ**﴾ أيْ إنّ المَوْتَ لَكائِنٌ لا بُدّ مِنه فَمَوْتٌ في سَبيلِ الله أوْ قَتْلٌ خَيْرٌ لَوْ عَلِمُوا وأيْقَنُوا مِمّا يَجْمَعُونَ من الدّنيا التي لها يَتَأخّرُونَ عن الجِهادِ تَخَوّفَ المَوْتِ والقَتْلِ لِما جَمَعُوا من زَهْرَةِ الدّنيا زَهادَةً في الآخِرَةِ ولَئِن مُتّم أوْ قُتِلْتُم أيّ ذلك كان ﴿**لإلَى الله تُحْشَرُونَ**﴾ أيْ أنّ إلى الله المَرْجِعَ فَلا تَغُرّنّكُمُ الدّنيا ، ولا تَغْتَرّوا بِها ، ولْيَكُن الجِهادُ وما رَغّبَكُمُ الله فيه من ثَوابِه آثَرَ عندكُم منها .

ثُمّ قال تَبارَكَ وتَعالى : ﴿**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لهم ولَوْ كُنْتَ فَظّا غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا من حَوْلِكَ**﴾ أيْ لَتَرَكُوكَ ﴿**فاعْفُ عنهم**﴾ أيْ فَتَجاوَزْ عنهم ﴿**واستَغْفِرْ لهم وشاوِرْهم في الأمرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ على الله إنّ اللهَ يُحِبّ المُتَوَكّلِينَ**﴾ فَذَكَرَ لِنَبِيّه ﷺ لينَه لهم وصَبْرَه عليهم لِضَعْفِهِم وقِلّةِ صَبْرِهِم على الغِلْظَةِ لَوْ كانَتْ مِنه عليهم في كُلّ ما خالَفُوا عنه مِمّا افْتَرَضَ عليهم من طاعَةِ نَبِيّهِم ﷺ .

ثُمّ قال تَبارَكَ وتَعالى : ﴿**فاعْفُ عنهم**﴾ أيْ تَجاوَزْ عنهم **واستَغْفِرْ لهم** ذُنُوبَهم مَن قارَفَ من أهلِ الإيمانِ منهم ﴿**وَشاوِرْهم في الأمرِ**﴾ أيْ لِتُرِيَهِم أنّك تَسْمَعُ منهم وتَستَعِينُ بِهِم وإن كُنْتَ غَنِيّا عنهم تَألّفًا لهم بِذلك على دينِهِم ﴿**فإذا عَزَمْتَ**﴾ أيْ على أمرٍ جاءَك مِنّي وأمرٍ من دينِك في جِهادِ

عَدُوّك لا يُصلِحُك ولا يُصلِحُهم إلاّ ذلك فامضِ على ما أُمِرْتَ به على خِلافِ مَن خالفَك ، ومُوافقةِ مَن وافقَك ، وتَوَكّلْ على الله ، أي ارْضَ به من العبادِ ﴿إنّ اللهَ يُحِبّ المتَوَكّلينَ إن يَنصُرْكُمُ الله فَلا غالِبَ لَكُم وإن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذا الذي يَنصُرُكُم من بَعْدِه﴾ أيْ لِئَلاّ تَتْرُكَ أمري لِلنّاسِ وارْفُضْ أمرَ النّاسِ إلى أمري ، ﴿وَعلى الله﴾ لا على النّاس ﴿فَلْيَتَوَكّلِ المُؤْمِنُونَ﴾

[ما نَزَلَ في الغُلُول] :

ثُمّ قال : ﴿وما كان لِنَبِيّ أن يَغُلّ ومَن يَغْلُلْ يَأْتِ بما غَلّ يومَ القيامَةِ ثُمّ تُوَفّى كُلّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يُظلَمُونَ﴾ أيْ ما كان لِنَبِيّ أن يَكْتُمَ النّاسَ ما بَعَثَه الله به إلَيْهم عن رَهْبَةٍ من النّاسِ ولا رَغْبَةٍ ومَن يَفْعَلْ ذلك يَأْتِ يومَ القيامَةِ به ثُمّ يُجْزَى بِكَسْبِه غَيْرَ مَظْلُومٍ ولا مُعْتَدًى عليه ﴿أفَمَنِ اتّبَعَ رِضْوانَ الله﴾ على ما أحَبّ النّاسُ أوْ سَخِطُوا ﴿كَمَن باءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله﴾ لِرِضا النّاسِ أوْ لِسَخَطِهم .

يقول أفَمَن كان على طاعَتي ، فَثَوابُه الجَنّةُ ورِضْوانٌ من الله ﴿كَمَن باءَ بِسَخَطٍ مِنَ الله﴾ واسْتَوْجَبَ سَخَطَه فَكان مَأْواه جَهَنّمَ وبِئْسَ المَصيرُ أسَواءٌ المِثْلانِ فاعْرِفُوا ﴿هم دَرَجاتٌ عند الله والله بَصيرٌ بما يَعْمَلُونَ﴾ لِكُلّ دَرَجاتٌ مِمّا عمِلُوا في الجَنّةِ والنّارِ أيْ إنّ اللهَ لا يَخْفَى عليه أهلُ طاعَتِه من أهلِ مَعْصيَتِه .

ثُمّ قال ﴿لَقد مَنّ الله على المُؤْمِنينَ إذْ بَعَثَ فيهم [١٦/ب] رسولاً من أنْفُسِهم يَتْلُو عليهم آياتِه ويُزَكّيهم ويُعَلّمُهمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وإن كانوا من قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ أيْ لَقد مَنّ الله عَلَيْكُم يا أهلَ الإيمانِ إذْ بَعَثَ فيكُمْ رسولاً من أنْفُسِكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِه فيما أحْدَثْتُم وفيما عمِلْتُم فَيُعَلّمَكُمُ الخَيْرَ والشّرّ لِتَعْرِفُوا الخَيْرَ فَتَعْمَلُوا به والشّرّ فَتَتّقُوه ويُخْبِرَكُمْ بِرِضاه عَنْكُم إذا أطَعْتُمُوه فَتَسْتَكْثِرُوا من طاعَتِه وتَجْتَنِبوا ما سَخِطَ مِنْكُم من مَعْصيَتِه لِتَتَخَلّصُوا بذلك من نِقْمَتِه وتُدْرِكُوا بذلك ثَوابَه من جَنّتِه وإن كُنْتُم من قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ أيْ لَفي عمياءَ من الجاهِلِيّةِ أيْ لا تَعْرِفُونَ حَسَنَةً و لا تَسْتَغْفِرُونَ من سَيّئَةٍ ، صُمّ عن الخَيْرِ بُكْمٌ عن الحَقّ عُمْيٌ عن الهُدَى .

[ذِكْرُه المُصيبَةَ التي أصابَتْهم]

ثُمّ ذَكَرَ المُصيبَةَ التي أصابَتْهم فَقال ﴿أوَلَمّا أصابَتْكُمْ مُصيبَةٌ قد أصَبْتُم مِثْلَيْها قُلْتُم أنّى هذا قُلْ هُوَ من عِنْدِ أنْفُسِكُم إنّ اللهَ على كُلّ شيءٍ قَديرٌ﴾ أيْ إن تَكُ قد أصابَتْكُمْ مُصيبَةٌ في إخْوانِكُم بِذُنُوبِكُمْ فقد أصَبْتُم مِثْلَيْها قَبْلُ من عَدُوّكُمْ في اليومِ الذي كان قَبْلَه بِبَدْرٍ قَتْلاً وأسْرًا ونَسيتُم مَعْصيَتَكُمْ وخِلافَكُمْ عمّا أمَرَكُمْ به نَبِيّكُمْ ﷺ أنْتُم أحْلَلْتُم ذلك بِأنْفُسِكُمْ ﴿إنّ اللهَ على كُلّ شيءٍ قَديرٌ﴾ أيْ إنّ اللهَ على ما أرادَ بِعِبادِه من نِقْمَةٍ أوْ عَفْوٍ قَديرٌ .

﴿وَما أصابَكُم يومَ التَقَى الجَمعانِ فَبِإذْنِ الله وليَعْلَمَ المؤْمِنينَ﴾ أيْ ما أصابَكُمْ حينَ التَقَيْتُم أنْتُم وعَدُوّكُم فَبِإذْني ، كان ذلك حينَ فَعَلْتُم ما فَعَلْتُم بعد أن جاءَكُم نَصْري ، وصَدَقْتُكُم وعْدي ، ليُمَيّزَ بَيْنَ المؤْمِنينَ والمُنافِقينَ ﴿وَليَعْلَمَ الذينَ نافَقُوا مِنْكُم﴾ أيْ ليُظْهِرَ ما فيهم . وَقيلَ لهم تعالَوْا قاتِلُوا في سَبيلِ الله أوِ ادْفَعُوا يَعْني عبدَ الله بنَ أُبَيّ وأصْحابَه الذينَ رَجَعُوا عن رسولِ الله ﷺ حينَ سارَ إلى عَدُوّه من المُشْرِكينَ بِأُحُدٍ وقَوْلهم لَوْ نَعْلَمُ أنّكُم تُقاتِلُونَ لَسِرْنا مَعَكُمْ ولَدَفَعْنا عَنْكُمْ ولَكِنّا لا نَظُنّ أنّه يَكُونُ قِتالٌ . فَأظْهَرَ منهم ما كانوا يُخْفُونَ في أنْفُسِهِم .

يقول الله عَزّ وجَلّ : ﴿هم لِلْكُفْرِ يومَئِذٍ أقْرَبُ منهم لِلإيمانِ يقولونَ بِأفْواهِهِم ما ليس في قُلُوبِهِم﴾ أيْ يُظْهِرُونَ لَكَ الإيمانَ وليس في قُلُوبِهِم ﴿والله أعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ﴾ أيْ ما يُخْفُونَ ﴿الذينَ قالُوا لإخْوانِهِم﴾ الذينَ أُصيبوا مَعَكُم من عَشائِرِهِم وقَوْمِهِم ﴿لَوْ أطاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فادْرَءُوا عن أنْفُسِكُمُ المَوْتَ إن كُنْتُم صادِقِينَ﴾ أيْ أنّه لا بُدّ من المَوْتِ فَإن اسْتَطَعْتُم أن تَدْفَعُوه عن أنْفُسِكُم فافْعَلُوا ،وذلك أنّهم إنّما نافَقُوا وتَرَكُوا الجِهادَ في سَبيلِ الله حِرْصًا على البَقاءِ في الدّنيا ، وفِرارًا من المَوْتِ .

ثُمّ قال لِنَبيّه ﷺ يُرَغّبُ المُؤْمِنينَ في الجِهادِ ويُهَوّنُ عليهِم القَتْلَ ﴿وَلا تَحْسَبَنّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ الله أمواتًا بَلْ أحْياءٌ عند رَبّهِم يُرْزَقُون فَرِحينَ بِما آتاهمُ الله من فَضْلِه ويَسْتَبْشِرُون بِالذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم من خَلْفِهِم ألاّ خَوْفٌ عليهِم ولا هم يَحْزَنُون﴾ أيْ لا تَظُنّن الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ الله أمواتًا : أيْ قد أحْيَيْتُهم فَهم عِنْدي يُرْزَقُونَ في رَوْحِ الجَنّةِ وفَضْلِها ، مَسْرُورينَ بِما آتاهم الله من فَضْلِه على جِهادِهِم عنه .

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالذينَ لَم يَلْحَقُوا بِهِم من خَلْفِهِم﴾ أيْ ويُسَرّونَ بِلُحُوقِ مَن لَحِقَهم من إخْوانِهِم على ما مَضَوْا عليه من جِهادِهِم لِيَشْرَكُوهم فيما هم فيه من ثَوابِ الله الذي أعْطاهم قد أذْهَبَ الله عنهم الخَوْفَ والحَزَنَ . يقول الله تَعالى : ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وفَضْلٍ وأنّ اللهَ لا يُضيعُ أجْرَ المُؤْمِنينَ﴾ لِما عايَنُوا من وفاءِ المَوْعُودِ وعَظيمِ الثّوابِ .

[مَصيرُ قَتَلَى أُحُدٍ]

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني إسماعيلُ بنُ أُمَيّةَ عن أبي الزّبَيْرِ عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال [١] قال

(١) حسن : رواه أحمد (٢٦٦/١) وأبو داود (٢٥٢٠) والحاكم (٨٨/٢) وابن جرير في التفسير (١٧٠/٤/٣) والبيهقي في السنن (١٦٣/٩) وهناد في الزهد (١٥٥) وابن أبي شيبة (٥٦٥/٤) . قلت : اختلف فيه على ابن إسحاق. فرواه جمع عنه على هذا النحو أعلاه عن إسماعيل عن أبي الزبير عن ابن عباس . وهم : زياد البكائي كما هنا، وسلمة بن الفضل ، وإسماعيل بن عياش وعند الطبري ومحمد بن فضيل عند هناد وابن أبي شيبة . وخالفهم عبد الله ابن إدريس ، فرواه عنه عن إسماعيل عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فزاد في السند ....=

رسولُ الله ﷺ : «لمَّا أُصيبَ إخوانُكم بأُحُدٍ جعَلَ الله أرْواحَهم في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنْهارَ الجَنّةِ وتَأكُلُ من ثِمارِها ، وتَأوي إلى قَناديلَ من ذَهَبٍ في ظِلّ العَرْشِ فلَمّا وجَدُوا طيبَ مَشْرَبِهم ومَأكَلِهم وحُسْنَ مَقيلِهم قالُوا : يا لَيْتَ إخْوانَنا يَعْلَمُونَ ما صَنَعَ الله بِنا ، لِئَلاّ يَزْهَدُوا في الجِهادِ ولا يَنْكُلُوا عن الحَرْبِ فقال الله تَعالى : فَأنا أُبَلّغُهم عَنْكُم فَأنْزَلَ الله على رسولِه ﷺ هَؤُلاءِ الآياتِ ﴿وَلا تَحْسَبنّ .....﴾ .

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني الحارثُ بنُ الفَضيلِ عن مَحْمُودِ بنِ لَبيدٍ الأنصاريّ عن ابنِ عَبّاسٍ أنّه قال [1] قال رسولُ الله ﷺ: [١٧/أ]«الشّهَداءُ على بارِقِ نَهْرٍ بِبابِ الجَنّةِ ، في قُبّةٍ خَضْراءَ يَخْرُجُ عليهم رِزْقُهم من الجَنّةِ بُكْرَةً وعَشيا»

قال ابنُ إسحاقَ [2] :وحَدّثَني مَن لا أَتّهِمُ عَنْ عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ أنّه سُئِلَ عن هَؤُلاءِ الآياتِ ﴿وَلا تَحْسَبنّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ الله أمواتًا بَلْ أحْياءٌ عند رَبّهم يُرْزَقُونَ﴾ فقال : أما إنّا قد سَألْنا عنها فَقيلَ لَنا : إنّه لَمّا أُصيبَ إخْوانُكم بِأُحُدٍ جعَلَ الله أرْواحَهم في أجْوافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنْهارَ الجَنّةِ وتَأكُلُ من ثِمارِها ، وتَأوي إلى قَناديلَ من ذَهَبٍ في ظِلّ العَرْشِ فَيَطّلِعُ الله عَزّ وجَلّ عليهم اطّلاعَةً فيقول يا عِبادي ، ما تَشْتَهُونَ فَأزِيدَكُم ؟ قال فيقولونَ رَبّنا لا فَوْقَ ما أعْطَيْتنا ، الجَنّةُ نَأكُلُ منها حَيْثُ شِئْنا قال ثُمّ يَطّلِعُ الله عليهم اطّلاعَةً فيقول يا عِبادي ، ما تَشْتَهُونَ فَأزِيدَكُم ؟ فيقولونَ رَبّنا لا فَوْق ما أعْطَيْتنا ، الجَنّةُ نَأكُلُ منها حَيْثُ شِئْنا قال ثُمّ يَطّلِعُ عليهم اطّلاعَةً فيقول يا عِبادي ، ما تَشْتَهُونَ فَأزِيدَكُم ؟ فيقولونَ رَبّنا لا فَوْقَ ما أعْطَيْتنا ، الجَنّةُ نَأكُلُ منها حَيْثُ شِئْنا . إلاّ أنّا نُحِبّ أن تَرُدّ أرْواحَنا في أجْسادِنا ، ثُمّ نُرَدّ إلى الدّنْيا ، فَنُقاتِلُ فيك ، حتى نُقْتَلَ مَرّةً أُخْرَى .

قال ابنُ إسحاقَ [3] :وحَدّثَني بَعْضُ أصْحابِنا ، عن عبدِ الله بنِ مُحَمّدِ بنِ عُقَيْلٍ ،

= ابن جبير . رواه أبو داود والحاكم قال ابن كثير في تفسيره (٤٢٧/١) : هذا أثبت . قال الدارقطني : تفرد به عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق ، وغيره يرويه عن ابن إسحاق لا يذكر فيه سعيد بن جبير ، ذكره المنذري . قلت : والحديث له شاهد من حديث ابن مسعود كما سيأتي .

(١) حسن رواه أحمد (٢٦٦/١) وابن أبي شيبة (٥٦٣/٤) وهناد في الزهد (١٦٦) وابن حبان (٤٦٥٨) والحاكم (٧٤/٢) والطبري في التفسير (١٧٢/٤/٣) وابن أبي حاتم (٤٤٩٤) تفسير ، كلهم من طريق ابن إسحاق .

(٢) سند ابن إسحاق هنا ضعيف والحديث صحيح وصله الطبري عن ابن إسحاق عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود رواه مسلم (١٨٨٧) وابن أبي شيبة (٥٧٣/٤) والترمذي (٣٠١١) وابن ماجه (٢٠٨١) وعبد الرزاق في تفسيره (٤٨٢) والحميدي في مسنده (١٢٠) والطبري في تفسيره (١٧١/٤/٣ - ١٧٢) كلهم من طرق عن الأعمش به ، وقد أمنا من تدليس الأعمش لرواية شعبة عنه .

(٣) صحيح بشواهده رواه الطبري في التفسير (١٧٢/٤/٣) من طريق ابن إسحاق . وعلته إبهام شيوخ ابن إسحاق ومحمد بن عقيل متكلم فيه .ووصله أحمد في المسند (٣٦١/٣) من رواية ابن المديني عن سفيان ....=

قال سَمِعْت جابرَ بنَ عبدِ الله يقول قال لي رسولُ الله ﷺ : «ألا أُبَشِّرُكَ يا جابِرُ ؟ قال قلت : بَلَى يا نَبِيَّ الله قال إنّ أباك حَيثُ أُصيبَ بأُحُدٍ أحياه الله عَزّ وجَلّ ثُمّ قال له ما تُحِبّ يا عبدَ الله بنَ عمروٍ أن أفعَلَ بك ؟ قال أيْ رَبّ أُحِبّ أن تَرُدّني إلى الدّنيا فأُقاتِلَ فيك ، فأُقْتَلَ مَرّةً أُخرَى»

قال ابنُ إسحاقَ [1] ؛ وحَدّثني عمرُو بنُ عُبَيْدٍ ، عن الحَسَنِ قال : قال رسولُ الله ﷺ والذي نَفْسي بيَدِه ما من مُؤْمِنٍ يُفارِقُ الدّنيا يُحِبّ أن يَرْجِعَ إليها ساعَةً من نَهارٍ وأنّ له الدّنيا وما فيها إلاّ الشّهيدُ فإنّه يُحِبّ أن يُرَدّ إلى الدّنيا ، فيُقاتِلَ في سَبيلِ الله فيُقْتَلَ مَرّةً أُخرَى .

[ذِكْرُ مَن خَرَجُوا مع الرّسُولِ إلى حَمراءِ الأسَدِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ قال تَعالى : ﴿الذينَ استَجابوا لله والرّسُولِ من بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ﴾ أي الجِراحُ وهم المُؤْمِنُونَ الذينَ سارُوا مع رسولِ الله ﷺ الغَدَ من يوم أُحُدٍ إلى حَمراءِ الأسَدِ على ما بِهِم من أَلَمِ الجِراح ﴿لِلّذينَ أحْسَنُوا منهم واتّقَوْا أجرٌ عَظيمٌ الذينَ قال لهمُ النّاسُ إنّ النّاسَ قد جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُم فزادَهم إيمانًا وقالُوا حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيلُ﴾ والنّاسُ الذينَ قالُوا لهم ما قالُوا ، النّفَرُ من عبدِ القَيْسِ ، الذينَ قال لهم أبو سُفْيانَ ما قال ؟

قالُوا: إنّ أبا سُفْيانَ ومَن مَعَه راجِعُونَ إلَيْكُمْ . يقول الله عَزّ وجَلّ ﴿فانقَلَبوا بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وفَضْلٍ لَم يَمْسَسْهم سُوءٌ واتّبَعُوا رِضْوانَ الله والله ذُو فَضْلٍ عَظيمٍ﴾ لِما صَرَفَ الله عنهم من

= عن محمد بن علي بن ربيعة عن محمد بن عقيل عن جابر ، ورواه أيضًا الحميدي (١٢٦٥) ، وأبو يعلى (٢٠٠٢) وله طريق آخر مطولاً نحوه وسنده حسن ، رواه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجه (١٩٠ - ٢٨٠٠) وابن أبي عاصم (٦٠٢) في السنة ، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٩٨) كلهم من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابرًا يقول (لقيني رسول الله ﷺ فقال لي : يا جابر مالي أراك منكسرًا ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي ، قتل يوم أحد وترك عيالاً ودينًا قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به ؟ = قال : قلت : بلى يا رسول الله . قال : ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحًا . فقال : يا عبدي تمنَّ علي أعطك . قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال : وأنزلت هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا﴾ الآية .قال أبو عيسى (الترمذي) : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئًا من هذا . ولا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم. ورواه علي بن المديني وغير واحد من كبار أهل الحديث هكذا عن موسى بن إبراهيم . قلت : وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها رواه البزار (٢٧٠٦) كشف الأستار والحاكم (٣/٢٠٣) والبيهقي في الدلائل (٣/١٩٨) من رواية ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وعن فيض بين وثيق عن أبي عبادة الأنصاري . قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ لجابر فذكرت نحوه . وهذا سند حسن .

(١) واهٍ ومرسل : فيه عمرو بن عبيد متهم بالكذب . ومراسيل الحسن واهية مثل الريح ، لكن المعنى يشهد له ما قبله من الأحاديث الصحاح .

لِقاءِ عَدُوِّهِم ﴿إنّما ذَلِكُمُ الشَّيطانُ﴾ أيْ لأُولئِكَ الرَهْط وما أَلْقَى الشّيْطانُ على أفْواهِهِم ﴿يُخَوِّفُ أوْلِياءَه﴾ أيْ يُرهِبُكم بأوْليائِه ﴿فَلا تَخافُوهم وخافُونِ إن كُنتُم مُؤْمِنينَ ولا يَحْزُنكَ الذينَ يُسارِعُونَ في الكُفْرِ﴾ أي المُنافِقُونَ ﴿إنّهم لَن يَضُرّوا اللهَ شيئًا يُريدُ اللهُ ألاّ يَجْعَلَ لهم حَظًّا في الآخِرَةِ ولهم عَذابٌ عَظيمٌ إنّ الذينَ اشْتَرَوُا الكُفْرَ بالإيمانِ لَن يَضُرّوا اللهَ شيئًا ولهم عَذابٌ أليمٌ ولا يَحْسَبنّ الذينَ كَفَرُوا أنّمَا نُملي لهم خَيْرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليَزْدادُوا إثْمًا ولهم عَذابٌ مُهينٌ ما كان اللهُ ليَذَرَ المُؤْمِنينَ على ما أنتُم عليه حتى يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي المُنافِقِينَ ﴿وما كان اللهُ ليُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ﴾ أيْ فيما يُريدُ أن يَبْتَليَكم به لِتَحْذَرُوا ما يَدْخُلُ عَلَيْكم فيه ولَكِنّ اللهَ يَجْتَبي من رُسُلِه مَن يَشاءُ أيْ يُعْلِمُه ذلك ﴿فآمِنُوا باللهِ ورُسُلِه وإن تُؤْمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ أيْ تَرْجِعُوا وتَتُوبوا ﴿فَلَكُمْ أجْرٌ عَظيمٌ﴾.

[ذِكْرُ مَن اسْتُشْهِدَ بأُحُدٍ من المُهاجِرين والأنصار] (١)

قال ابنُ إسحاقَ : واسْتُشْهِدَ من المُسْلِمينَ يومَ أُحُدٍ مع رسولِ الله ﷺ من المُهاجِرينَ من قُرَيْشٍ ، ثُمّ من بني هاشِمِ بن عبدِ مَنافٍ : حَمْزَةُ بنُ عبدِ المُطّلِبِ ابنِ هاشِمٍ ، رَضِيَ اللهُ عنه قَتَلَه وحْشِيّ ، غُلامُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ . وَمِن بني أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ : عبدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ ، حَليفٌ لهم من بني أسَدِ ابنِ خُزَيْمَةَ . وَمِن بني عبدِ الدّارِ بنِ قُصَيّ : مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، قَتَلَه ابنُ قَمِئَة اللّيْثيّ . بن يَقَظَةَ شَمّاسُ بنُ عُثْمانَ . أرْبَعَةُ نَفَرٍ .

وَمِن الأنصارِ : ثُمّ من بني عبدِ الأشْهَلِ : عَمرُو بنُ مُعاذِ بنِ النّعْمانِ والحارِثُ بنُ أنَسِ بنِ رافِعٍ وعُمارَةُ بنُ زِيادِ بنِ السّكَنِ . قال ابنُ هشام : السّكَنُ ابنُ رافِعِ بنِ امرِئِ القَيْسِ ويُقالُ السّكْنُ .

قال ابنُ إسحاقَ : وسَلَمَةُ بنُ ثابتِ بنِ وقْشٍ وعمرُو بنُ ثابتِ بنِ وقْشٍ رَجُلانِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقد زَعَمَ لي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ : أنّ أباهما ثابتًا قُتِلَ يومَئِذٍ . ورِفاعَةُ ابنُ وقْشٍ . وحُسَيْلُ بنُ جابِرٍ أبو حُذَيْفَةَ وهو اليَمانُ أصابَه المُسْلِمُونَ في المَعْرَكَةِ ولا يَدْرُونَ فَتَصَدّقَ حُذَيْفَةُ بدِيَتِه على مَن أصابَه وصَيْفِيّ بنُ قَيْظِي . وحَبابُ بنُ قَيْظِي . وعَبّادُ بنُ سَهْلٍ ، والحارِثُ بنُ أوْسِ بنِ مُعاذٍ . اثْنا عَشَرَ رَجُلاً .

وَمِن أهلِ راتِجٍ : إياسُ بنُ أوْسِ بنِ عَتيكِ [١٧/ب] بنِ عمرِو بنِ عبدِ الأعْلَمِ بنِ زَعُوراءَ بنِ جُشَمِ بنِ عبدِ الأشْهَلِ وعُبَيْدُ بنُ التّيِّهانِ . قال ابنُ هشام : ويُقالُ عَتيكُ بنُ التّيِّهانِ . وحَبيبُ

(١) ذكرهم الهيثمي في المجمع (٦/١٢٣ - ١٢٤) عن الزهري من رواية الطبراني .

ابنُ يَزِيدَ بن تَيْم . ثَلاثَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني ظَفَرٍ : يَزِيدُ بنُ حاطِبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ رافِعٍ . رَجُلٌ .

وَمِن بني عمرِو بن عَوْفٍ ، ثُمّ من بني ضُبَيْعَةَ بنِ زَيْدٍ : أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ ابنِ زَيْدٍ وحَنْظَلَةُ بنُ أبي عامِرِ بنِ صَيْفِيّ بنِ نُعْمانَ بنِ مالِكِ بنِ أَمَةَ ، وهو غَسيلُ الملائِكَةِ قَتَلَه شَدّادُ بنُ الأَسْوَدِ بنِ شُعُوبِ اللَّيْثِيّ . رَجُلانِ . قال ابنُ هشام : قَيْسُ : ابنُ زَيْدِ بنِ ضُبَيْعَةَ ومالِكُ ابنُ أَمَةَ بنِ ضُبَيْعَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : ومن بني عُبَيْدِ بنِ زَيْدٍ : أُنَيْسُ بنُ قَتادَةَ . رَجُلٌ .

ومن بني ثَعْلَبَةَ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ : أبو حَيَّةَ وهو أخُو سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ لأُمِّه .

قال ابنُ هشام : أبو حَيَّةَ ابنُ عمرِو بنِ ثابتٍ . قال ابنُ إسحاقَ : وعبدُ الله ابنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ ، وهو أميرُ الرُّماةِ . رَجُلانِ . وَمِن بني السَّلْمِ بنِ امرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ : خَيْثَمَةُ أبو سَعْدِ بنُ خَيْثَمَةَ . رَجُلٌ . وَمِن حُلَفائِهِم مِن بني العَجْلانِ : عبدُ الله بنُ سَلَمَةَ . رَجُلٌ . وَمِن بني مُعاوِيَةَ بنِ مالِكٍ : سُبَيْعُ بنُ حاطِبِ بنِ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ هَيْشَةَ . رَجُلٌ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ سُوَيْبِقُ بنُ الحارِثِ بنِ حاطِبِ بنِ هَيْشَةَ

قال ابنُ إسحاقَ : ومِن بني النَّجّارِ : ثُمّ من بني سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمٍ : عَمْرُو بنُ قَيْسٍ، وابنُه قَيْسُ بنُ عمرٍو . قال ابنُ هشام : عَمْرُو بنُ قَيْسٍ : ابنُ زَيْدِ ابنِ سَوادٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وثابتُ بنُ عمرِو بنِ زَيْدٍ ، وعامِرُ بنُ مَخْلَدٍ . أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني مَبْذُولٍ أبو هُبَيْرَةَ بنُ الحارِثِ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ عمرِو بنِ ثَقْفِ بنِ مالِكِ ابنِ مَبْذُولٍ وعمرُو بنُ مُطَرِّفِ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ عمرٍو رَجُلانِ . وَمِن بني عمرِو بنِ مالِكٍ : أَوْسُ بنُ ثابتِ بنِ المُنْذِرِ . رَجُلٌ . قال ابنُ هشام : أَوْسُ بنُ ثابتٍ أخُو حسّانَ بنِ ثابتٍ .

[قال ابنُ إسحاقَ] : ومِن بني عَدِيّ بنِ النَّجّارِ : أَنَسُ بنُ النَّضْرِ بنِ ضَمْضَمِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامِ بنِ جُنْدُبِ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيّ بنِ النَّجّارِ . رَجُلٌ . قال ابنُ هشام : أَنَسُ بنُ النَّضْرِ ، عمّ أَنَسِ بنِ مالِكٍ خادِمُ رسولِ الله ﷺ .

ومن بني مازِنِ بنِ النَّجّارِ : قَيْسُ بنُ مَخْلَدٍ ، وكَيْسانُ عبدٌ لهم . رَجُلانِ .

وَمِن بني دينارِ بنِ النَّجّارِ : سُلَيْمُ بنُ الحارِثِ ونُعْمانُ بنُ عبدِ عمرٍو . رَجُلانِ . وَمِن بني الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ : خارِجَةُ بنُ زَيْدِ بنِ أبي زُهَيْرٍ وسَعْدُ بنُ الرَّبيعِ بنِ عمرِو بنِ أبي زُهَيْرٍ دُفِنا في قَبْرٍ واحِدٍ وأَوْسُ بنُ الأَرْقَمِ بنِ زَيْدِ بنِ قَيْسِ بنِ النُّعْمانِ بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبٍ . ثَلاثَةُ نَفَرٍ. وَمِن بني الأَبْجَرِ ، وهم بنُو خُدْرَةَ : مالِكُ بنُ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ الأَبْجَرِ وهو

أبو أبي سَعيدٍ الخُدْريّ . قال ابنُ هشام : اسْمُ أبي سَعيدٍ [الخُدْريّ] سِنانٌ ويُقالُ سَعْدٌ .

قال ابنُ إسحاقَ : وسَعيدُ بنُ سُوَيْدِ بنِ قَيْسِ بنِ عامِرِ بنِ عَبّادِ بنِ الأَبْجَرِ وعُتْبَةُ بنُ رَبيعِ بنِ رافِعِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ الأَبْجَرِ ثَلاثَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ : ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدِ بنِ مالِكِ بنِ خالِدِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حارِثَةَ بنِ عمرِو بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ وثَقْفُ بنُ فَرْوَةَ بنِ البَدِيّ . رَجُلانِ .

وَمِن بني طَرِيفٍ ، رَهْطُ سَعْدِ بنِ عُبادَةَ : عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ وهْبِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ وقْشِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طَرِيفٍ ؛ وضَمْرَةُ حَليفٌ لهم من بني جُهَيْنَةَ . رَجُلانِ

وَمِن بني عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ ، ثُمّ من بني سالِمٍ ثُمّ من بني مالِكِ بنِ العَجْلانِ ابنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ نَوْفَلُ بنُ عبدِ الله وعَبّاسُ بنُ عُبادَةَ بنِ نَضْلَةَ بنِ مالِكِ ابنِ العَجْلانِ ؛ ونُعْمانُ بنُ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ فِهْرِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ والمُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ حَليفٌ لهم من بَلِيّ ، وعُبادَةُ بنُ الحَسْحاسِ . دُفِنَ النعْمانُ بنُ مالِكٍ والمُجَذَّرُ وعُبادَةُ في قَبْرٍ واحِدٍ . خَمْسَةُ نَفَرٍ .

ومِن بني الحُبْلَى : رِفاعَةُ بنُ عمرٍو . رَجُلٌ .

وَمِن بني سَلِمَةَ ، ثُمّ من بني حَرامٍ عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرامٍ وعَمْرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ ؛ دُفِنا في قَبْرٍ واحِدٍ وخَلّادُ بنُ عمرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ وأبو أَيْمَنَ مَوْلَى عمرِو بنِ الجَمُوحِ . أَرْبَعَةُ نَفَرٍ

وَمِن بني سَوادِ بنِ غَنْمٍ : سُلَيْمُ بنُ عمرِو بنِ حَديدَةَ ؛ ومَوْلاه عَنْتَرَةُ ؛ وسَهْلُ بنُ قَيْسِ بنِ أبي كَعْبِ بنِ القَيْنِ . ثَلاثَةُ نَفَرٍ . وَمِن بني زُرَيْقِ بنِ عامِرٍ ذَكْوانُ بنُ عبدِ قَيْسٍ ؛ وعُبَيْدُ بنُ المُعَلَّى بنِ لَوْذانَ . رَجُلانِ . قال ابنُ هشام : عُبَيْدُ بنُ المُعَلَّى ، من بني حَبيبٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَجَميعُ مَن اسْتُشْهِدَ من المُسْلِمينَ مع رسولِ الله ﷺ من المهاجِرينَ والأنصارِ . خَمْسَةٌ وستّونَ رَجُلاً . قال ابنُ هشام : ومِمّن لَم يَذْكُرِ ابنُ إسحاقَ من السّبْعينَ الشّهَداءِ الذينَ ذَكَرْنا ، من الأَوْسِ ، ثُمّ من بني مُعاوِيَةَ بنِ مالِكٍ [١٨/أ] : مالِكُ بنُ نُمَيْلَةَ ، حَليفٌ لهم من مُزَيْنَةَ . وَمِن بني خَطْمَةَ - واسْمُ خَطْمَةَ عبدُ الله بنُ جُشَمِ بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ الحارِثُ بنُ عَدِيّ بنِ خَرَشَةَ ابنِ أُمَيّةَ بنِ عامِرِ بنِ خَطْمَةَ . ثُمّ من بني سَوادِ بنِ مالِكٍ : مالِكُ بنُ إياسٍ . وَمِن بني عمرِو بنِ مالِكِ بنِ النّجّارِ : إياسُ بنُ عَدِيّ .

وَمِن بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ : عَمْرُو بنُ إياسٍ .

* * *

[ذكر من قُتِل من المشركين يوم أُحد]

قال ابنُ إسحاقَ : وقُتِلَ من المشركينَ يومَ أُحدٍ من قُرَيْشٍ ، ثُمّ من بني عبدِ الدارِ بنِ قُصيّ من أصحاب اللّواءِ : طَلْحَةُ بنُ أبي طَلْحَةَ واسمُ أبي طَلْحَةَ عبدُ الله ابنُ عبدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عبدِ الدّارِ قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ ؛ و أبو سَعيدِ بنُ أبي طَلْحَةَ ، قَتَلَه سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ . قال ابنُ هشام : ويُقالُ قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ . قال ابنُ إسحاقَ : وعُثْمانُ بنُ أبي طَلْحَةَ ، قَتَلَه حَمزَةُ بنُ عبدِ المطّلِبِ ؛ ومُسافِعُ بنُ طَلْحَةَ ، والجُلاّسُ بنُ طَلْحَةَ ، قَتَلهما عاصِمُ بنُ ثابتِ بنِ أبي الأقْلَحِ . وكِلابُ بنُ طَلْحَةَ والحارِثُ بنُ طَلْحَةَ قَتَلهما قُزْمانُ ، حَليفٌ لِبني ظَفَرٍ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ قَتَلَ كِلابًا عبدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وأَرْطاةُ بنُ عبدِ شُرَحْبيلَ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ قَتَلَه حَمزَةُ بنُ عبدِ المطّلِبِ ، وأبو يَزِيدَ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ ابنِ عبدِ الدّارِ قَتَلَه قُزْمانُ ؛ وصُؤَابُ غُلامٌ له حَبَشيّ ، قَتَلَه قُزْمانُ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ ، ويُقالُ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ ويُقالُ أبو دُجانَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : والقاسِطُ بنُ شُرَيْحِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ قَتَلَه قُزْمانُ . أحَدَ عَشَرَ رَجُلاً .

وَمِن بني أسَدِ بن عبدِ العُزّى بنِ قُصَيّ : عبدُ الله ابنُ حُمَيْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ . رَجُلٌ . وَمِن بني زُهْرَةَ بنِ كِلابٍ : أبو الحَكَمِ بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقِ بنِ عمرِو بنِ وهْبٍ الثّقَفيّ ، حَليفٌ لهم قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ ؛ وسِباعُ بنُ عبدِ العُزّى - واسْمُ عبدِ العُزّى : عمرُو بنُ نَضْلَةَ بنِ غُبْشانَ بنِ سُلَيْمِ بنِ مَلْكانَ بنِ أفْصَى - حَليفٌ لهم من خُزاعَةَ ، قَتَلَه حَمزَةُ بنُ عبدِ المطّلِبِ . رَجُلانِ .

وَمِن بني مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ ، هشامُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغيرَةِ ، قَتَلَه قُزْمانُ ؛ والوَليدُ بنُ العاصِ ابنِ هشامِ بنِ المُغيرَةِ ، قَتَلَه قُزْمانُ : وأبو أُمَيّةَ بنُ أبي حُذَيْفَةَ بنِ المُغيرَةِ قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالبٍ، وخالِدُ بنُ الأعْلَمِ حَليفٌ لهم قَتَلَه قُزْمانُ . أرْبَعَةُ نَفَرٍ .

وَمِن بني جُمَحَ ابنِ عمرٍو : عمرُو بنُ عبدِ الله بنِ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ ، وهو أبو عَزّةَ قَتَلَه رسولُ الله ﷺ صَبْرًا ؛ وأُبَيّ بنُ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ ، قَتَلَه رسولُ الله ﷺ بيَدِه . رَجُلانِ .

وَمِن بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ : عُبَيْدَةُ بنُ جابِرٍ وشيبَةُ ابنُ مالِكِ بنِ المُضَرّبِ قَتَلهما قُزْمانُ . رَجُلانِ قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ قَتَلَ عُبَيْدَةَ بنَ جابِرٍ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَجَميعُ مَن قَتَلَ الله تبارَكَ وتَعالى يومَ أُحُدٍ من المُشْرِكينَ اثْنانِ وعِشْرُونَ رَجُلاً [1]

ذِكْرُ ما قيلَ من الشّعْرِ يومَ أُحُدٍ

[قال ابنُ إسحاقَ] : وكان مِمّا قيلَ من الشّعْرِ في يوم أُحُدٍ ، قَوْلُ هُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبِ بنِ عمرِو بنِ عائِذِ بنِ عبدِ بنِ عِمرانَ بنِ مَخْزُومٍ - قال ابنُ هشامٍ عائِذٌ ابنُ عِمرانَ بنُ مَخْزُومٍ :

ما بالُ هَمّ عميدٍ باتَ يَطْرُقني ... بِالوُدّ من هِنْدَ إذْ تَغْدُو عَواديها [2]

باتَتْ تُعاتِبني هِنْدٌ وتَعْذُلُني ... والحَرْبُ قد شُغِلَتْ عَنّي مَواليها

مَهْلاً فَلا تَعْذُليني إنّ من خُلُقي ... ما قد عَلِمتِ وما إن لَسْتُ أُخْفيها

مُساعِفٌ لِبني كَعْبٍ بِما كَلِفُوا ... حَمّالُ عِبْءٍ وأثْقالٌ أُعانيها

وَقد حَمَلْتُ سِلاحي فَوْقَ مُشْتَرَفٍ ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْري يُباريها

كَأنّه إذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَةٍ ... مُكَدّمٌ لاحِقٌ بِالعُونِ يَحْميها [3]

من آلِ أعْوَجَ يَرْتاحُ النّديّ لَه ... كَجِذْعِ شَعْراءَ مُسْتَعْلٍ مَراقيها [4]

أعْدَدْتُه ورِقاقَ الحَدّ مُنْتَخَلاً ... وَمارِنًا لِخُطُوبٍ قد أُلاقيها

هذا وبَيْضاءَ مِثْلَ النّهْيِ مُحْكَمَةً ... نيطَتْ عَلَيّ فَما تَبْدُو مَساويها [5]

سُقْنا كِنانَةَ من أطْرافِ ذي يَمَنٍ ... عُرْضَ البِلادِ على ما كان يُزْجيها

قالتْ كِنانَةُ أنّي تَذْهَبُونَ بِنا ؟ ... قُلْنا : النّخَيْلُ فَأمّوها ومَن فيها

نَحن الفَوارِسُ يومَ الجَرّ [6] من أُحُدٍ ... هابَتْ مَعَدّ فَقُلْنا نَحن نَأتيها

---

(١) هذا العدد مختلف فيه . قال عروة : جميع من قتل من المشركين يوم أحد تسعة عشر رجلاً . قال موسى بن عقبة : وقتل من المشركين يوم أحد ستة عشر رجلاً . رواه البيهقي في الدلائل (٣/٢٨٠) فالله أعلم بالصواب .

(٢) العميد : المؤلم الموجع ، العوادي : الشواغل

(٣) عير : الحمار الوحشي . الفدفدة : الفلاة . العون : جمع عانة من حمر الوحش

(٤) أعوج : اسم فرس مشهور عند العرب . الندى : المجلس من القوم . شعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٥) النهى : الغدير من الماء ، نيطت : علقت .

(٦) الجر : أصل الجبل .

هابوا ضِرابًا وطَعْنًا صادِقًا خَذِمًا ... مِمّا يَرَوْنَ وقد ضُمّتْ قَواصيها [١]

ثُمّتَ رُحْنا كأنّا عارِضٌ بَرِدٌ ... وَقامَ هامُ بني النّجّارِ يَبْكيها [٢]

كأنّ هامَهم عند الوَغَى فِلَقٌ ... من قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْه عن أداحيها [٣]

أوْ حَنْظَلٌ ذَعْذَعَتْه الرّيحُ في غُصُنٍ ... بالٍ تَعاوَرَه منها سَوافيها

قد نَبْذُلُ المالَ سَحًا لا حِسابَ له ... ونَطْعَنُ الخَيْلَ شَزْرًا في مَآقيها

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلي بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصّ بالنّقَرَى المُثْرِينَ داعيها

وَلَيْلَةٍ من جُمادَى ذاتِ أنْدِيَةٍ ... جَرْبا جُمادِيّةٍ قد بِتّ أسْريها

لا يَنْبَحُ الكَلْبُ فيها غَيْرَ واحِدَةٍ ... من القَريس [٤] ولا تَسْرَى أفاعيها

أوْقدتُ فيها لِذي الضّرّاءِ جاحِمَةً ... كالبَرْقِ ذاكيَةَ الأرْكانِ أحْميها [٥]

أوْرَثَني ذاكُم عمرٌو ووالِدُه ... من قَبْلِه كان بالمَثْنَى يُغاليها

كانوا يُبارُونَ أنْواءَ النّجومِ فما ... دَنّتْ عن السّوْرَةِ العُلْيا مَساعيها [٦]

قال ابنُ إسحاقَ : **فأجابَه حسّانُ بنُ ثابتٍ ، فقال**

سُقْتُم كِنانَةَ جَهْلاً من سَفاهَتِكُم ... إلى الرّسُولِ فَجُنْدُ الله مُخْزِيها

أوْرَدْتُموها حِياضَ المَوْتِ ضاحيَةً ... فالنّارُ مَوْعِدُها ، والقَتْلُ لاقيها

جَمّعْتُموها أحابيشًا بلا حَسَبٍ ... أئمّةَ الكُفْرِ غَرّتْكُم طَواغيها

ألا اعْتَبَرْتُم بخَيْلِ الله إذ قَتَلَتْ ... أهلَ القَليبِ ومَن ألْقَيْنَه فيها

كَمْ من أسيرٍ فَكَكْناه بلا ثَمَنٍ ... وَجَزّ ناصيَةٍ كُنّا مَواليها

قال ابنُ هشامٍ : أنْشَدَنيها أبو زَيْدٍ الأنْصاريّ لِكَعْبِ بنِ مالكٍ .

قال ابنُ هشامٍ : وبيتُ هُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبٍ الذي يقول فيه :

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلي بالفَرْثِ جازِرُها ... يَخْتَصّ بالنّقَرَى المُثْرِينَ داعيها

يُرْوَى لِجَنُوبٍ أُخْتِ عمرٍو ذي الكَلْبِ الهُذَليّ في أبْياتٍ لها في غَيْرِ يومِ أُحُدٍ .

---

(١) قواصيها : ما تفرق منها وبعد

(٢) العارض : السحاب . الهام : جمع هامة وهي الطائر التي تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل

(٣) الهام : جمع هامة وهي الرأس . الربد : النعام . الأداحي : جمع أدحى وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام .

(٤) القريس : البرد مع الصقيع

(٥) جاحمة : ملتهبة ، ذاكية : مضيئة .

(٦) يبارون : يعارضون ، دنت : قصرت ، السورة : الرفعة والمنزلة ، المساعي : ما يسعى فيه من المكارم .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ يُجيبُ هُبَيْرَةَ بنَ أبي وهبٍ أيضًا :**

ألا هَلْ أتَى غَسّانَ عَنّا ودُونَهم   من الأرْضِ خَرْقٌ سَيْرُه مُتَنَعْنِعُ [1]

صَحارٍ وأعْلامٌ كَأنّ قَتامَها   من البُعْدِ نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقَطِّعُ [2]

تَظَلّ به البُزْلُ العَراميس رُزّحا   وَيَخْلُو به غَيْثُ السِّنينَ فَيُمْرِعُ

به جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوحُ صَليبُها   كَما لاحَ كَتّانُ التّجارِ المُوَضّعُ

به العَيْنُ والآرامُ يَمشينَ خِلْفَةً   وَبَيْضُ نَعامٍ قَيْضُه يَتَقَلّعُ

مُجالِدُنا عن دينِنا كُلّ فَخْمَةٍ   مُذَرّبَةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمَعُ

وَكُلّ صَمُوتٍ في الصّوانِ كأنّها   إذا لُبِسَتْ نَهْيٌ من الماءِ مُتْرَعُ

وَلَكِن بِبَدْرٍ سائِلُوا مَن لَقِيتُمُ   من النّاسِ والأنْباءُ بِالغَيْبِ تَنْفَعُ

وَإنّا بِأرْضِ الخَوْفِ لَوْ كان أهلُها   سِوانا لَقَد أجْلَوْا بِلَيْلٍ فَأقْشَعُوا [3]

إذا جاءَ مِنّا راكِبٌ كان قَوْلُه   أعِدّوا لِما يُزْجي [4] ابنُ حَرْبٍ ويَجْمَعُ

فَمَهْما يُهِمّ النّاسَ مِمّا يَكيدُنا   فَنحن له من سائِرِ النّاسِ أوْسَعُ

فَلَوْ غَيْرُنا كانَتْ جَميعًا تَكيدُه الـ   ـقَد أعْطَوْا يَدًا وتَوَزّعُوا

نُجالِدُ لا تَبْقَى عَلَيْنا قَبيلَةٌ   من النّاسِ إلاّ أن يَهابوا ويَفْظَعُوا

وَلَمّا ابْتَنَوْا بِالعَرْضِ قال سَراتُنا   عَلامَ إذا لَم تَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ

وَفينا رسولُ الله نَتْبَعُ أمْرَه   إذا قال فينا القَوْلَ لا نَتَطَلّعُ

تَدَلّى عليه الرّوحُ [5] من عِنْدِ رَبّه   يُنَزّلُ من جَوّ السّماءِ ويُرْفَعُ

نُشاوِرُه فيما نُريدُ وقَصْرُنا [6]   إذا ما اشْتَهَى أنّا نُطيعُ ونَسْمَعُ

وَقال رسولُ الله لَمّا بَدَوْا لَنا   ذَرُوا عَنْكُمُ هَوْلَ المَنِيّاتِ واطْمَعُوا

وَكُونُوا كَمَن يَشْري الحَياةَ تَقَرّبًا   إلى مَلِكٍ يُحْيا لَدَيْه ويُرْجَعُ

---

(١) الخرق : الفلاة الواسعة . متنعنع : مضطرب .

(٢) الأعلام : الجبال المرتفعة . القتام : ما مال لونه إلى السواد . النقع : الغبار . الهامد : المتلبد الساكن .

(٣) فأقشعوا : فروا وزالوا .

(٤) يزجي : يسوق

(٥) الروح : جبريل عليه السلام .

(٦) قصرنا : غايتنا .

وَلَكِن خُذُوا أسيافَكُم وتَوَكّلُوا — على الله إنّ الأمرَ لِله أجْمَعُ

فَسِرْنا إلَيْهِم جَهْرَةً في رِحالِهِم — ضُحَيّا عَلَيْنا البيضُ لا نَتَخَشّعُ

بِمَلْمُومَةٍ فيها السّنَوّرُ والقَنا — إذا ضَرَبُوا أقْدامَها لا تَوَرّعُ

فَجِئْنا إلى مَوْجٍ من البَحْرِ وسْطَه — أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنّعُ

ثَلاثَةُ آلافٍ ونحن نَصيّةٌ [(١)] — ثَلاثُ مِئِينٍ إن كَثُرْنا وأرْبَعُ

نُغاوِرهم تَجْري المَنيّةُ بَيْنَنا — نُشارِعُهم حَوْضَ المَنايا ونَشْرَعُ [(٢)]

تَهادَى قِسيّ النّبْعِ فينا وفيهم — وَما هُوَ إلاّ اليَثْرِبيّ المُقَطّعُ

وَمَنْجُوفَةٌ حَمِيّةٌ صاعِدِيّةٌ — يُذَرّ عليها السّمّ ساعَةَ تُصْنَعُ [(٣)]

تَصُوبُ بِأبْدانِ الرّجالِ وتارَةً — تَمُرّ بِأعْراضِ البِصارِ تَقَعْقَعُ

وَخَيْلٌ تَراها بِالفَضاءِ كَأنّها — جَرادُ صَبًا في قَرّةٍ يَتَرَيّعُ

فَلَمّا تَلاقَيْنا ودارَتْ بِنا الرّحَى — وَليس لِأمْرٍ حَمّه الله مَدْفَعُ

ضَرَبْناهم حتى تَرَكْنا سَراتَهم [(٤)] — كَأنّهم بِالقاعِ خُشْبٌ مُصَرّعُ

لَدُن غُدْوَةً حتى اسْتَفَقْنا عَشيّةً — كَأنّ ذَكانا حَرّ نارٍ تَلَفّعُ

وراحُوا سِراعًا مُوجِفِينَ كَأنّهم — جَهامٌ هَراقَتْ ماءَه الرّيحُ مُقْلَعُ [(٥)]

وَرُحْنا وأُخْرانا بِطاءٌ كَأنّنا — أُسُودٌ على لَحْمٍ بِبِيشَةَ ظُلّعُ

فَنِلْنا ونال القَوْمُ مِنّا ورُبّما — فَعَلْنا ولَكِن ما لَدَى الله أوْسَعُ

وَدارَتْ رَحانا واسْتَدارَتْ رَحاهُم — وَقد جُعِلُوا كُلّ مِنَ الشّرّ يَشْبَعُ

وَنحن أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبّةً — على كُلّ مَن يَحْمي الذّمارَ ويَمْنَعُ

جِلادٌ على رَيْبِ الحَوادِثِ لا نَرى — على هالِكٍ عَيْنًا لَنا الدّهْرَ تَدْمَعُ

بَنُو الحَرْبِ لا نَعْيا بِشيءٍ نَقُولُه — وَلا نحن مِمّا جَرّتِ الحَرْبُ نَجْزَعُ

بَنُو الحَرْبِ إن نَظْفَرْ فَلَسْنا بِفُحّشٍ — وَلا نحن من أظْفارِها نَتَوَجّعُ

---

(١) النصية : الخيار من القوم .

(٢) نشرع : نشرب .

(٣) المنجوفة : السهام . الحرمية : نسبة إلى أهل الحرم .

(٤) سراتهم : خيارهم .

(٥) موجفين : مسرعين ، الجهام : السحاب الرقيق الذي ليس فيه ماء .

وَكُنّـــا شِهابًـــا يُتقَى النّاسُ حَـــرّه ... وَيَفْرُجُ عنه مَـــن يَليه ويَسْفَـــــــعُ
فَخَرْتَ عَلَيّ ابـــنَ الزِّبَعْرَى وقد سَرَى ... لَكُمْ طَلَبٌ من آخِرِ اللّيـــــلِ مُتْبَـــعُ
فَسَلْ عَنْك في عُلْيـــا مَعَدّ وغَيْرِها ... من النّاسِ مَن أخْزَى مَقامًا وأشْنَـــعُ
وَمن هُوَ لَمْ تَتْرُكْ له الحَرْبُ مَفْـخَرًا ... وَمَن خَدّه يـومَ الكَرِيهَـــــةِ أضْرَعُ [1]
شَدَدْنا بِحَـوْلِ اللهِ والنّصرِ شَـــدّةً ... عَلَيْكُـم وأطْرافُ الأسِنّـــةِ شُـــرّعُ
تَكُرّ القَنا فيكُـــم كَـــأنّ فُرُوعَهـا ... عَزالـــي مَزادٍ مـــاؤُها يَتَهَـــزّعُ [2]
عَمَدْنا إلى أهـلِ اللّـــواءِ ومَـــن يَطِرْ ... بِذِكْرِ اللّواءِ فهـــو في الحَمْـــدِ أسْرَعُ
فَخانُوا وقـــد أعْطَوْا يَـدًا وتَخاذَلوا ... أبَى اللهُ إلاّ أمرَه وهـــو أصْنَـــــعُ

قال ابنُ هشام : **وكان كَعْبُ بنُ مالِكٍ قد قال :**

مُجالِدُنا عن جِذْمِنا [3] كُلّ فَخْمَةٍ

فَقال رسولُ الله ﷺ : «**أيَصْلُحُ أن تَقُولَ مُجالِدُنا عن دِينِنا ؟**» فَقال كَعْبٌ نَعم فَقال رسولُ الله ﷺ : «**فهو أحْسَنُ**» . فَقال كَعْبٌ : مُجالِدُنا عن دِينِنا .

قال ابنُ إسحاق : **وقال عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى في يوم أُحُدٍ :**

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فَقُلْ ... إنّما تَنْطِقُ شيئًـــا قـــــد فُعِـــلْ
إنّ لِلْخَيْـــرِ ولِلشّرّ مَـــدًى ... وَكِلا ذلـــــكَ وجْـــهٌ وقَبَـــلْ
والعَطِيّاتُ خِساسٌ [4] بَيْنَهم ... وَسَواءٌ قَبْـــرُ مُثْـــرٍ ومُقِـــلّ
كُلّ عَيْشٍ ونَعيـــمٍ زائِـــلٌ ... وَبناتُ الدّهْـــــرِ يَلْعَبْنَ بِكُـــلّ
أبْلِغَنْ حسّانَ عَنّـــي آيَـــةً ... فَقَرِيضُ الشّعْرِ يَشْفي ذا الغُلَـــلْ [5]
كَمْ تَرَى بِالجَرّ من جُمْجُمَـــةٍ ... وَأكُفٍّ قـــد أُتِرّتْ ورِجِـــــــلْ
وَسَرابِيـــلَ حِســـانٍ سُرِيَتْ ... عن كُماةٍ أُهْلِكُـــوا في المُنْتَزَلْ [6]
كَمْ قَتَلْنا مِـــن كَرِيـــمٍ سَيّدٍ ... ماجِدِ الجَدّيْنِ مِقْـــدامٍ بَطَـــلْ

---

(١) أضرع : ذليل .
(٢) يتهزع : يتقطع .
(٣) الجذم : الأصل .
(٤) خساس : حقيرة .
(٥) الغلل : جمع غلة ، وهي حرارة العطش .
(٦) السرابيل : الدروع . سريت : جردت . الكماة : الشجعان . المنتزل : موضع الحرب والنزال

صادِقِ النَجْدَةِ قَرْمٍ بارِعٍ   غَيْرِ مُلْتاثٍ لَدَى وقْعِ الأسَلْ (١)

فَسَلِ المِهْراسَ مَن ساكِنُه ؟   بَيْنَ أقْحافٍ وهامٍ كالحَجَلْ

لَيْت أشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا   جَزَعَ الخَزْرَجِ من وقْعِ الأسَلْ

حينَ حَكّتْ بِقُباءٍ بَرْكَها   واسْتَحَرّ القَتْلُ في عبدِ الأشَلْ

ثُمّ خَفّوا عن ذاكُم رُقّصًا   رَقَصَ الحَفّانِ (٢) يَعْلُو في الجَبَلْ

فَقَتَلْنا الضّعْفَ مِن أشْرافِهِم   وَعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَدَلْ

لا ألُومُ النَفْسَ إلاّ أنّنا   وْكَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفْتَعَلْ

بِسُيُوفِ الهِنْدِ تَعْلُو هامَهم   عَلَلاً تَعْلُوهم بعد نَهَلْ

قال ابن إسحاق **فأجابَه حسّانُ بنُ ثابتٍ [الأنصاريّ رَضيَ الله عنه] فقال :**

ذَهَبْت يا بنَ الزّبَعْرَى وقْعَةٌ   كان مِنّا الفَضْلُ فيها لَوْ عَدَلْ

وَلَقد نِلْتُم ونِلْنا مِنكُم   وَكَذاكَ الحَرْبُ أحْيانًا دُوَلْ

نَضَعُ الأسْيافَ في أكْتافِكُم   حَيْثُ نَهْوِي عَلَلاً بعد نَهَلْ

نُخْرِجُ الأضْياحَ من أسْتاهِكُمْ   كَسُلاحِ النّيبِ يَأكُلْنَ العَصَلْ (٣)

إذْ تُوَلّونَ على أعْقابِكُم   هُرّبًا في الشّعْبِ أشْباهَ الرّسَلْ

إذْ شَدَدْنا شَدّةً صادِقَةً   فَأجَأناكُم إلى سَفْحِ الجَبَلْ

بِخَناطيلَ كَأشْدافِ المَلا   مَن يُلاقُوه من النّاسِ يُهَلْ (٤)

ضاقَ عَنّا الشّعْبُ إذْ نَجْزَعُه   وَمَلأنا الفَرْطَ مِنْه والرّجَلْ

بِرِجالٍ لَسْتُم أمثالَهم   أُيّدُوا جِبْرِيل نَصْرًا فَنَزَلْ

وَعَلَوْنا يومَ بَدْرٍ بِالتّقَى طاعَةِ   الله وتَصْدِيقِ الرّسُلْ

وَقَتَلْنا كُلّ رَأسٍ منهم   وَقَتَلْنا كُلّ جَحْجاحٍ رِفَلْ

وَتَرَكْنا في قُرَيْشٍ عَوْرَةً   وَرسولُ الله حَقّا شاهِدٌ

(١) النجدة : القوة والشجاعة . القرم : الفحل الكريم . الملتاث : الضعيف . الأسل : الرماح .

(٢) الحفان : صغار النعام .

(٣) الأضياح : جمع ضيح وهو اللبن المخلوط بالماء . النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة . العصل : نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر .

(٤) الخناطيل : الجماعات من كل شئ . الملا : المتسع من الأرض . يهل : يرتاع ، من الهول وهو الفزع .

يومَ بَـــدْرٍ وأحاديثَ المَثَـــل　　يومَ بَدْرٍ والتنابيلُ الهُبُـــــل

في قُرَيْشٍ مِـــن جُمُوعٍ جَمَعُوا　　مِثْلَ ما يُجْمَعُ في الخِصْبِ الهَمَلْ

نحن لا أمثالُكُمْ وُلْـــدَ استها　　نَحْضُرُ النّاسَ إذا البَأْسُ نَـــزَلْ

قال ابنُ هشام : وأنشَدَني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ [١٩/أ] : «وأحاديثَ المَثَلْ» والبَيْتَ الذي قَبْلَه .

وقَوْلَه «في قُرَيْشٍ من جُمُوعٍ جَمَعُوا» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَبْكي حَمزَةَ بنَ عبدِ المطّلِبِ وقَتْلَى أُحُدٍ من المسْلِمينَ .**

نَشَجْتَ وهَلْ لَكَ من مَنْشجِ　　وَكُنْتَ مَتَى تَـــذَّكِرْ تَلْجَـــجِ

تَذَكَّرَ قَوْمٍ أتانـــي لهـــم　　أحاديثُ في الزَّمَنِ الأعـــوَجِ

فَقَلْبُكَ من ذِكْرِهِم خـــافِقٌ　　من الشَّوْقِ والحَـــزَنِ المُنْضِجِ

وَقَتْلاهم في جِنانِ النعيـــمِ　　كِرامُ المَداخِـــلِ والمَخْــرَجِ

بِما صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللّـــواءِ　　لِواءِ الرَّسُولِ بِذي الأَضْوُجِ [1]

غَداةَ أجابَتْ بِأسْيافِهـــا　　جَميعًا بَنُو الأوْسِ والخَـــزْرَجِ

وَأشْياعُ أحْمَـدَ إذْ شايَعُـــوا　　على الحَقِّ ذي النّورِ والمَنْهَـــجِ

فَما بَرِحُوا يَضْـــرِبونَ الكُماةَ　　وَيَمْضُونَ في القَسْطَلِ المُرْهَـــجِ

كذلك حتى دَعاهـــم مَليكٌ　　إلى جَنّةٍ دَوْحَـــةِ المَوْلِـــجِ

فَكُلُّهم ماتَ حُرَّ البَـــلاء [2]　　على مِلّـــةِ اللهِ لَمْ يَحْـــرَجِ

كَحَمزَةَ لَمّا وفَى صادِقًـــا　　بِذي هَبّةٍ صـــارِمٍ سَلْجَجِ [3]

فَلاقاه عبـــدُ بني نَـــوْفَـــلٍ　　يُبَرْبِرُ كالجَمَـــلِ الأدْعَجِ [4]

فَأوْجَرَه حَرْبَـــةً كالشِّهـــابِ　　تَلَهَّبُ في اللّهَـــبِ المُوهَجِ

وَنُعْمـــانُ أوْفَى بِميثاقِـــه　　وَحَنْظَلَةُ الخَيْرِ لَمْ يُحْنَـــجِ

---

(١) الأضوج : جمع ضوج وهو جانب الوادي .

(٢) حر البلاء : خالص الاختبار

(٣) سلجج : مرهف .

(٤) عبد بني نوفل : هو وحشي قاتل حمزة . يبربر : يصيح . الجمل الأدعج : الأسود

عـــــن الحَقِ حتى غَدَتْ رُوحُه إلى مَنْزِلٍ فاخِرِ الزِبْـــــرِجِ
أُولَئِكَ لا مَـــــن ثَوَى مِنكُـــــم من النّارِ في الدّرْكِ المُرْتَـجِ

فأجابَه ضِرارُ بنُ الخطّابِ الفِهرِيّ فقال :

أيَجْـــزَعُ كَعْبٌ لأشْياعِـــه وَيَبْكـــي من الزّمَنِ الأعـــوَجْ
عَجيجَ المُذَكّـــي رَأى إلْفَـه تَـــــرَوَّحَ في صـــادِرٍ مُحْنَـــجْ
فَراحَ الرّوايـــا وغادَرْنَـــه يُعَجْعِجُ قَسْرًا ولَـــم يُحْـــدَجْ [1]
فَقُولا لِكَعْبٍ يُثَنّي البُكـــا وَلِلنّيءِ من لَحْمِـــه يَنْضَـــجْ
لِمَصْرَعِ إخوانِـه في مَكَـــرّ من الخَيْلِ ذي قَسْطَلٍ مُرْهَجْ [2]
فَيا لَيْتَ عَمـــرًا وأشْياعَـــه وَعُتْبَـــةَ في جَمْعِنـــا السّوْرَجْ [3]
فَيَشْفُوا النّفُوسَ بِأوْتارِها [4] بِـقَتْـلَى أُصيبَتْ مِـــــن الخَزْرَجْ
وَقَتْلَى من الأوْسِ في مَعْرَكٍ أُصيبوا جَميعًا بِـــذي الأضْـــوُجْ
وَمَقْتَلِ حَمْزَةَ تَحْتَ اللّـــواءِ بِمُطّـــرِدٍ مـــــارِنٍ مُخْلَـــجْ
وَحَيْثُ انْثَنَى مُصْعَبٌ ثاوِيًـا بِضَرْبَةِ ذي هَبّـــةٍ سَلْجَـــجْ
بِأُحُـــدٍ وأسْيافُنـــا فيهـــم تَلَهّبُ كاللّـــهَبِ المُوهَـــجْ
غَداةَ لَقيناكُـم في الحَديـــدِ كَأُسْدِ البَراحِ فَلَـــم تُعْنَـــجْ
بِكُلّ مُجَلّحَـــةٍ كالعُقـــابِ وَأجْرَدَ ذي مَيْعَةٍ مُسْـــرَجْ [5]
فَدُسْناهم ثَـــمّ حتى انْثَنَـــوْا سِوَى زاهِقِ النّفْسِ أو مُحْـــرَجْ

قال ابنُ هشام :وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِضِرارٍ . وقَوْلُ كَعْبٍ : «ذي النّورِ والمَنْهَجْ» عن أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ .

قال ابنُ إسحاق :**وقال عبدُ الله بنُ الزّبَعْرَى في يوم أُحُدٍ [يَبْكي القَتْلَى] :**

ألا ذَرَفَتْ من مُقْلَتَيْك دُمُـــوعُ وَقد بانَ من حَبْلِ الشّبابِ قُطُوعُ

---

(١) الروايا : الإبل التي تحمل الماء . يعجعج : يصوت .
(٢) القسطل : الغبار ، المرهج : المرتفع .
(٣) السورج : المتقد .
(٤) الأوتار : جمع وتر وهو طلب الثأر .
(٥) المجلحة : الماضية المتقدمة ويعني بها فرسًا . الأجرد : الفرس العتيق . الميعة : النشاط .

وَشَطَّ بِمَن تَهوَى المَزارُ وفَرّقَتْ ... نَوَى الحَيّ دارٌ بِالحَبيبِ فَجُوعُ
وَليس لِما ولّى على ذي حَرارَةٍ ... وَإن طال تذْرافُ الدّمُوعِ رُجُوعُ
فَذَرْ ذا ولَكِن هَلْ أتَى أُمّ مالِكٍ ... أحاديثُ قَوْمي والحَديثُ يَشيعُ
وَمُجْنَبُنا جُرْدًا إلى أهلِ يَثْرِبٍ ... عَناجيجَ منها مُتْلَدٌ ونَزِيعُ [1]
عَشيّةَ سِرْنا في لُهامٍ يَقُودُنا ... ضَرُورُ الأعادي لِلصّديقِ نَفُوع
نَشُدّ عَلَيْنا كُلّ زَغْفٍ كَأنّها ... غَديرٌ بِضَوْجِ الواديَيْنِ نَقيعُ
فَلَمّا رَأَوْنا خالطَتْهُم مَهابَةٌ ... وَعايَنَهم أمرٌ هُناكَ فَظيعُ
وَوَدّوا لَوْ أنّ الأرْضَ يَنْشَقّ ظَهْرُها ... بِهِم وصَبورُ القَوْمِ ثَمّ جَزُوعُ
وَقد عُرّيَتْ بيضٌ كَأنّ وميضَها ... حَريقٌ تَرَقّى في الآباءِ سَريعُ [٢٠/أ]
بِأيْمانِنا نَعْلُو بِها كُلّ هامَةٍ ... وَمنها سِهامٌ لِلْعَدُوّ ذَريعُ
فَغادَرْنَ قَتْلَى الأوْسِ عاصِبَةً بِهِم ... ضِباعٌ وطَيْرٌ يَعْتَفِينَ [2] وُقُوعُ
وَجَمعُ بني النّجّارِ في كُلّ تَلْعَةٍ ... بِأبْدانِهِم مِن وقْعِهِنّ نَجيعُ
وَلَوْلا عُلُوّ الشّعْبِ غادَرْنَ أحْمَدا ... وَلَكِن عَلا والسّمهَريّ شُرُوعُ
كَما غادَرَتْ في الكَرّ حَمْزَةَ ثاوِيًا ... وَفي صَدْرِه ماضي الشّباةِ وقيعُ
قد غادَرْنَ تَحْتَ لِوائِه ... على لَحْمِه طَيْرٌ يَجُفْنَ وُقُوعُ
بِأُحُدٍ وأرْماحُ الكُماةِ يُرِدْنَهم ... كَما غالَ أشْطانَ الدّلاءِ نُزُوعُ

فَأجابَه حسّانُ بنُ ثابتٍ ، فَقال :

أشاقَكَ من أُمّ الوَليدِ رُبُوعٌ ... بَلاقِعُ [3] ما من أهلِهِنّ جَميعُ
عَفاهُنّ صَيْفِيّ الرّياحِ وواكِفٌ ... من الدّلْوِ رَجّافُ السّحابِ هَمُوعُ [4]
فَلَمْ يَبْقَ إلاّ مَوْقِدُ النّارِ حَوْلَه ... رَواكِدُ أمثالِ الحَمامِ كُنُوعُ
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بَدّدَتْ بَيْنَ أهلِها ... نَوًى لِمَتيناتِ الحِبالِ قَطُوع
وَقُلْ إن يَكُن يومٌ بِأُحْدٍ يَعُدّه ... سَفيهٌ فَإنّ الحَقّ سَوْفَ يَشيعُ

---

(١) العناجيج : الطوال الحسان . النزيع : الغريب .

(٢) يعتفين : يطلبن الرزق .

(٣) بلاقع : القفر الخالي .

(٤) عفاهن : غيرهن ودرسهن . الواكف : المطر السائل . رجاف : متحرك الصوت . هموع : سائل

فقد صابَرَتْ فيه بنُو الأوْسِ كُلُّهم ... وَكان لهـــم ذِكْــــرٌ هُنــاكَ رَفيعُ
وَحامَى بنُـــو النّجّارِ فيه وصابَرُوا ... وَما كان منهـــم في اللّقـــاءِ جَزُوعُ
أمامَ رســـــولِ الله لا يَخْذُلُونَه ... لهم ناصِرٌ مــــن رَبّهِـــم وشَفيـــعُ
وَفَوْا إذْ كَفَرْتُــــم يــــا سَخينَ ... بِرَبّكُمْ ولا يَسْتَوي عبدٌ وفَى ومُضيـــعُ
بأيْديهِم بيضٌ إذا حَمِشَ الوَغَــى ... بُــــدّ أن يَرْدَى لَهُـــنّ صَريـــعُ
كَما غادَرَتْ في النّقْعِ عُتْبَةَ ثاوِيًـا ... وَسَعْدًا صَريعًـــا والوَشيجُ شُرُوعُ [1]
وَقد غادَرَتْ تَحْتَ العَناجَةِ مُسْنَدًا ... أبيًا وقـــد بَـــلّ القَميصَ نَجيعُ [2]
بِكَفّ رســـولُ الله حَيْثُ تَنَصّبَتْ ... على القَـــــوْمِ مِمّا قـــد يُثِرْنَ نُقُوعُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ ســـادَة مـــن فُرُوعِكُمْ ... وَفي كُلّ قَـــــــوْمٍ سادَةٌ وفُـــرُوعُ
بِهِـــنّ نُـــعِزّ اللهَ حتى يُعِزّنـــا ... وَإن كان أمرٌ يـــا سَخينَ فَظيـــعُ
فَلا تَـــذْكُرُوا قَتْلَى وحَمْزَةُ فيهِـــمُ ... قَتيلٌ ثَوَى لِلّهِ وهُــــوَ مُطيـــعُ
فَإنّ جِنانَ الخُلْدِ مَنْزِلَـــــةٌ لَـــهُ ... وَأمرُ الذي يَقْضي الأُمُــــورَ سَريعُ
وَقَتْلاكُم في النّارِ أفْضَلُ رِزْقِهِـــم ... حَميمٌ مَعا في جَوْفِها وضَريـــعُ

قال ابنُ هشام :وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُهما لِحسّانٍ وابنِ الزِّبَعْرَى . وقَوْلُه «ماضي الشّباةِ وطَيْرٌ يَخِفْنَ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

وَقال ابنُ إسحاقَ::وقال عمرُو بنُ العاصِ في يومِ أُحُدٍ :

خَرَجْنا من الفَيْفــا عليهِم كَأنّنـــا ... مع الصّبحِ من رَضْوَى الحَبيكُ المُنَطّقِ [3]
تَمَنّتْ بنُو النّجّـــارِ جَهْلاً لِقاءَنـــا ... لَدَى جَنْبِ سَلْـــعٍ والأمانِيُّ تَصْـــدُقُ
فَمـــا راعَهُـــم بالشّرّ إلاّ فُجــــاءَةً ... كَراديسُ خَيْــــلٍ في الأزِقّةِ تَمْـــرُقُ
أرادُوا لِكَيْما يَسْتَبيحُـــوا قِبابَنـــا ... وَدُونَ القِبـــابِ اليــــومَ ضَرْبٌ مُحَرّقُ
وَكانَتْ قِبابًا أُومِنَتْ قَبْلَ مـــا تَرَى ... إذْ رامَها قَــــوْمٌ أُبيحُـــوا وأُخْنِقُـــوا
كَـــأنّ رُءُوسَ الخَزْرَجِيّينَ غُـــدْوَةً ... وَأيْمانَهُـــــم بِالمُشْرِفِيّـــــةِ بَـــــرْوَقُ

(١) الوشيج : الدروع . شروع : مائلة للطعن .
(٢) النجيع : الدم .
(٣) الفيفا : القفر التي لا ينبت شيئًا . رضوى : اسم جبل . الحبيك : الذي فيه طرائق . المنطق : المحزم .

فأجابه كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، فيما ذَكَرَ ابنُ هشام ، فقال :

ألا أبْلَغا فِهْرًا على نأْيِ دارِهـــا ، وَعندهم من عِلْمِنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنّا غَداةَ السّفحِ من بَطْنِ يَثْرِبٍ صَبَرْنا وراياتُ المَنيّـــةِ تَخْفِــــقُ
صَبَرْنا لهم والصّبرُ مِنّا سَجيّـــةٌ إذا طارَتِ الأبْرامُ نَسْمُو ونَرْتُقُ [1]
على عادَةٍ تِلْكُمْ جَرَيْنا بِصَبْرِنـــا وَقِدْمًا لَدَى الغاياتِ نَجْري فَنَسْبِقُ
لَنا حَوْمَةٌ لا تُستَطاعُ يَقُودُهـــا نَبيّ أتَى بالحَـــقّ عَفّ مُصَـــدّقُ
ألا هَلْ أتَى أفناءَ فِهْرِ بنِ مالِـكٍ مُقَطّعُ أطْرافٍ وهـامٌ مُفَلّــــــقُ

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال ضِرارُ بنُ الخَطّابِ :**

إنّي وجَدّك لَوْلا مُقْدَمي فَرَســــي إذْ جالتِ الخَيْلُ بَيْنَ الجِــزْعِ والقاعِ
ما زال مِنْكُمْ بِجَنْبِ الجَزْعِ من أُحُدٍ أصْواتُ هامٍ تَزاقى أمرُهـا شاعـــي
وَفارسٌ قد أصابَ السّيفُ مَفْرِقَــه أفْـــلاقُ هامَتِـــه كَفَرْوَةِ الرّاعـــي
إنّي وجَدّك لا أنفَــك مُنْتَطِقًـــا بصارمٍ مِثْلَ لَوْنِ المِلْحِ قَطّاعِ ٢٠/ب]
على رِحالةِ مِلْـــــواحٍ مُثابــــرَةٍ نَحْوَ الصّريخِ إذا ما ثُوّبَ الدّاعـــي [2]
وَما انْتَمَيْتُ إلى خُـــورٍ ولا كُشُـفٍ وَلا لِئَامٍ غَــــداةَ البَـــأسِ أوْراعِ
بَلْ ضاربينَ حَبيكَ البيضِ إذْ لَحِقُـوا شُمّ العَرانينِ عنـــد المَوْتِ لُـــذّاعِ
شُـــمّ بَهاليـــلُ مُسْتَرْخٍ حَمائِلُهـــم يَسْعَوْنَ لِلْمَوْتِ سَعْيًا غَيْرَ دَعْــــداعِ

وَقال ضِرارُ بنُ الخَطّابِ أيضًا :

لَمّا أتَتْ من بني كَـــعْبٍ مُزَيّنَـــةٌ والخَزْرَجيّةُ فيهـــا البيضُ تَأتَلِـــقُ
وَجَرّدُوا مَشْرَفيّــــاتٍ مُهَنّـــدَةً وَرايَـــةٌ كَجَناحِ النّسْرِ تَخْتَفِـــقُ
فَقُلْت يـــومٌ بأيّـــامٍ ومَعْرَكَـــةٌ تُنْبي لِما خَلْفَهـــا مـــا هُزْهِزَ الوَرَقُ
قد عُوّدُوا كُلّ يومٍ أن تَكُونَ لهـــم ريحُ القِتـــالِ وأسْلابُ الذين لَقُـوا
خَيّرْتُ نَفْسي على ما كان من وجَلٍ منها وأيْقَنْتُ أنّ المَجْدَ مُسْتَبَـــقُ
أكْرَهْتُ مُهْري حتى خاضَ غَمْرَتَهـــم وَبَلّه من نَجيعِ عانِـــكٍ عَلَـــقُ [3]

---

(١) الأبرام : اللئام . نرتق : نسد ونصلح .

(٢) الرحالة : السرج ، الملواح : الفرس الشديدة التي ضمر لحمها . ثوب : كرر الدعاء .

(٣) النجيع : الدم . عانك : أحمر . العلق : من أسماء الدم .

فَظَلّ مُهري وسِرْبالــي جَسيدُهــا نَفْخُ العُرُوقِ رِشاشُ الطَّعْنِ والوَرَقُ
أيْقَنتُ أنّـي مُقيـــمٌ في ديــارِهِمُ حتى يُفارِقَ ما في جَوْفِه الحَـــدَقُ
لا تَجْزَعُوا يـــا بني مَخْزُومَ إنّ لَكُــم مِثْلَ المُغيرَةِ فيكمُ ما بـــه زَهَـــقُ
صَبْرًا فِدًى لَكُــم أُمّي ومـــا وَلَدَتْ تَعاوَرُوا[١] الضّرْبَ حتى يُدْبِرَ الشّفَقُ

وقال عمرُو بنُ العاص :

لَمّا رَأيْتُ الحَرْبَ يَنـــزُو شَرَها بالرّضْفِ[٢] نَـــزْوا
وَتَناوَلَتْ شَهْباءُ تَلْحَـو النّاسَ بالضّـــرّاءِ لَحْـــوا
أيْقَنتُ أنّ المَوْتَ حَــقٌ والحَيَـــاةُ تَكُونُ لَغْـــوا
حَمَلْتُ أثْوابـي علـــى عَتَدٍ يَبُذُّ الخَيْـــلَ رَهْـــوا
سَلِسٍ إذا نُكِبْنَ في البَيْـ داءِ يَعْلُو الطّرْفَ عُلْـــــوا
وَإذا تَنَـــزّلَ مـــاؤُه من عِطْفِه يَزْدادُ زَهْـــوا
رَبِـذٍ كَيَعْفُــورِ الصّريـ مَةِ راعَه الرّامُونَ دَحْوا[٣]
شَنِــجٍ نَساه ضابِـــطٍ لِلْخَيْلِ إرْخـــاءً وعَـــدْوا
فَفِدًى لهم أُمّـي غَـــدا ةَ الرّوْعِ إذْ يَمْشُونَ قَـــطْوا
سَيْرًا إلى كَبْشِ الكَتـــيـ بَةِ إذْ جَلَتْه الشّمسُ جَلْـــوا

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِعمرٍو .

قال ابنُ إسحاق : **فَأجابَهما كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، فقال :**

أبْلِغْ قُرَيْشًا وخَيْرُ القَـــوْلِ أصْدَقُـــه والصّدْقُ عند ذَوي الألْبابِ مَقْبولُ
أن قد قَتَلْنا بِقَتْلانـــا سَراتَكُـــم أهلَ اللّواءِ فَفيمـــا يَكْثُرُ القيــــلُ
وَيومَ بَدْرٍ لَقيناكُم لَنـــا مَـــــدَدٌ فيه مع النّصْرِ ميكـــالُ وجِبْريـــلُ
إن تَقْتُلُونا فَديـــنُ الحَقّ فِطْرَتُنـــا والقَتْلُ في الحَقّ عند الله تَفْضيـــلُ
وَإن تَرَوْا أمرَنا في رَأيِكُـــم سَفَهًـــا فَرَأيُ مَن خالفَ الإسلامَ تَضْليـــلُ

---

(١) تعاوروا : : تداولوا .
(٢) الرضف : الحجارة المحماة بالنار .
(٣) ربذ : سريع . اليعفور : ولد الظبية . الصريمة : الرملة المنقطعة . الدحو : الإنبساط

فلا تمَنَّوا لِقاحَ الحَرْبِ واقتَعِدُوا ... إنَ أخا الحَرْبِ أصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ

إنَ لَكُمْ عندنا ضَرْبًا تراحُ لَه ... عُرْجُ الضِباعِ لَه خَذْمٌ رَعابِيلُ

إنّا بنُو الحَرْبِ نَمْرِيها ونَنْتِجُها ... وَعندنا لِذَوِي الأضْغانِ تَنْكِيلُ

إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْبٍ بعد ما بَلَغَتْ ... مِنه التراقي وأمرُ الله مَفْعُولُ

فقد أفادَتْ له حِلْمًا ومَوْعِظَةً ... لِمَن يَكُونُ لَه لُبّ ومَعْقُولُ

وَلَوْ هَبَطْتُم بِبَطْنِ السَيْلِ كافَحَكُم ... ضَرْبٌ بشاكِلَةِ البَطْحاءِ تَرْعِيلُ [1]

تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النبيّ لهم ... مِمّا يُعِدّونَ لِلْهَيْجا سَرابِيلُ

من جِذْمِ غَسّانَ مُسْتَرْخٍ حَمائِلُهم ... لا جُبناءُ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ

يَمْشُونَ تَحْتَ عمايات القِتالِ كَما ... تَمْشي المَصاعِبَةُ الأُدْمُ المَراسِيلُ

أوْ مِثْلُ مَشْيِ أُسُودِ الظَلِّ أَلْثَقَها ... يومُ رَذاذٍ من الجَوْزاءِ مَشْمُولُ

فيكُلّ سابِغَةٍ كالنِهْيِ مُحْكَمَةٍ ... قيامُها فَلَجٌ كالسَيْفِ بُهْلُولُ

تَرُدّ حَدّ قِرامِ النَبْلِ خاسِئَةً ... وَيَرْجِعُ السَيْفُ عنها وهو مَفْلُولُ

وَلَوْ قَذَفْتُم بِسَلْعٍ [2] عن ظُهُورِكُم ... وَلِلْحَياةِ ودَفْعِ المَوْتِ تَأْجِيلُ

ما زال في القَوْمِ وِتْرٌ مِنكُم أبَدًا ... تَعْفُو السَلامَ [3] عليه وهو مَطْلُولُ

عبدٌ وحرّ كَرِيمٌ مُوثَقٌ قَنَصًا ... شَطْرَ المَدِينَةِ مأسُورٌ ومَقْتُولُ

كُنّا نُؤَمّلُ أُخْراكُم فأعْجَلَكُم ... مِنّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيلُ

إذا جَنَى فيهم الجاني فقد عَلِمُوا ... حَقًّا بأنّ الذي قد جَرّ مَحْمُولُ

ما نحن لا نحن من إثْمٍ مُجاهَرَةً ... وَلا مَلُومٌ ولا في الغُرْمِ مَخْذُولُ [٢١/أ]

وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ ، **يَذْكُرُ عُدّةَ أصْحابِ اللِواءِ يومَ أُحُدٍ : -**

قال ابنُ هشام : **هذه أحْسَنُ ما قيلَ**

مَنَعَ النَوْمَ بالعَشاءِ الهُمُومُ ... وَخَيالٌ إذا تَغُورُ النُجُومُ

من حَبِيبٍ أضافَ قَلْبَك مِنه ... سَقَمٌ فهو داخِلٌ مَكْتُومُ

يا لَقَوْمي هَلْ يَقْتُلُ المرْءَ مِثْلي ... واهِنُ البَطْشِ والعِظامِ سَؤُومُ

---

(١) كافحكم : واجهكم . بشاكلة : أي بطرف . البطحاء : الأرض السهلة . الترعيل : الضرب السريع

(٢) سلع : جبل .

(٣) السلام : الحجارة . مطلول : أي لم يأخذ بثأره .

لَوْ يَدِبَ الحَوْلِيّ من ولَدِ الذّ ... عليها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ

شَأنُها العِطْرُ والفِراشُ ويَعْلُو ... ها لُجَيْنٌ [1] ولؤْلُؤٌ مَنْظُومُ

لَم تَفُتْها شَمسُ النّهارِ بِشيءٍ ... غَيْرَ أنّ الشّبابَ ليس يَدُومُ

إنّ خالي خَطيبُ جابيَةِ الجَوْ ... لانِ عند النّعْمانِ حينَ يَقُومُ

وَأنا الصّقْرُ عند بابِ ابنِ سَلْمَى ... يومَ نُعْمانَ في الكُبولِ سَقيمُ

وَأبِيّ وواقِدٌ أُطْلِقا لي ... يومَ راحا وكَبْلُهم مَخْطُومُ [2]

وَرَهنتُ اليَدَيْنِ عنهم جَميعًا ... كُلّ كَفّ جُزْءٍ لها مَقْسُومُ

وَسَطَتْ نِسْبَتي الذّوائِبَ [3] منهم ... كُلّ دارٍ فيها أبٌ لي عَظيمُ

وَأَبِيَ في سُمَيْحَةِ القائِلِ الفا ... صِلِ يومَ التَقَتْ عليه الخُصُومُ

تِلْكَ أفْعالُنا وفِعْلُ الزّبَعْرَى ... خامِلٌ في صَديقِه مَذْمُومُ

رُبّ حِلْمٍ أضاعَه عَدَمُ المَ ... الِ وجَهْلٍ غَطّى عليه النّعيمُ

لا تُسَبّنّني فَلَسْتَ بِسَبّي ... إنّ سَبّي من الرّجالِ الكَريمُ

ما أُبالي أنَبّ بِالحَزْنِ تَيْسٌ ... أم لَحاني بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وَلِيَ البَأسَ مِنكُم إذْ رَحَلْتُم ... أُسرَةٌ من بني قُصَيّ صَميمُ

تِسعَةٌ تَحْمِلُ اللّواءَ وطارَتْ ... في رَعاعٍ من القَنا مَخْزُومُ

وَأقامُوا حتى أُبيحُوا جَميعًا ... في مَقامٍ وكُلّهم مَذْمُومُ

بِدَمٍ عانِكٍ وكان حِفاظًا ... أن يُقيمُوا إنّ الكَريمَ كَريمُ

وَأقامُوا حتى أُزِيرُوا شَعُوبًا ... والقَنا في نُحُورِهِم مَحْطُومُ

وَقُرَيْشٌ تَفِرّ مِنّا لِواذًا ... أن يُقيمُوا وخَفّ منها الحُلُومُ [4]

لَم تُطِقْ حَمْلَه العَواتِقُ منهم ... إنّما يَحْمِلُ اللّواءَ النّجُومُ

قال ابنُ هشامٍ : قال حسانٌ هذه القَصيدَةَ :

مَنَعَ النّوْمَ بِالعِشاءِ الهُمُومُ لَيْلاً

---

(١) اللجين : الفضة .

(٢) المخطوم : مكسور .

(٣) الذوائب : الأعالي .

(٤) لواذا : مستترين . الحلوم : العقول .

فَدَعا قَوْمَه فَقال لهم خَشيت أن يُدرِكَني أجَلي قَبلَ أن أُصبحَ فَلا تَرُوُوها عَنّي .

قال ابنُ هشام : أنشَدَني أبو عُبَيدَةَ لِلحَجاج بن عِلاطٍ السّلَميّ يَمدَحُ أبا الحَسَنِ أميرَ المُؤمنينَ عَليّ بنَ أبي طالبٍ ، ويَذكُرُ قَتْلَه طَلحَةَ بنَ أبي طَلحَةَ بنِ عبدِ العُزّى بنِ عُثمانَ بنِ عبدِ الدّارِ صاحِبِ لِواءِ المُشركينَ يومَ أُحُدٍ :

لله أيّ مُذَبّبٍ عن حُرْمَـــةٍ أعْني ابنَ فاطِمَةَ المُعِمّ المُخْوِلا [1]

سَبَقَتْ يَداكَ له بِعاجِلِ طَعْنَةٍ تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبينِ مُجَـــدّلا

وَشَدَدْتَ شَدّةَ باسِلٍ فَكَشَفْتهم بِالجَرّ إذْ يَهْوُونَ أخْوَلَ أخْـــوَلا

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكي حَمزَةَ بنَ عبدِ المطّلِبِ ومَن أُصيبَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يومَ أُحُدٍ :**

يا مَيّ قُومِــــي فانْدُبِن بِسُـــحَيْرَةٍ شَجْـــوَ النّوائِحْ

كالحامِلاتِ الوِقْـــــرِ بِالـ ثّقْلِ المُلِحّـاتِ الدّوالِـــحِ [2]

المُعْـــوِلاتُ الخامِشـــا تُ وُجُوهَ حُـرّاتٍ صَحائِـــحِ

وَكَأنّ سَيْلَ دُمُوعِهـــا الـ أنْصابُ تُخْضَبُ بِالذّبائِـــحِ

يَنْقُضْنَ أشْعارًا لَهُـــــنّ هُنــاكَ بـادِيَـــةَ المَسائِـــحِ

وَكَـــأنّها أذْنـابُ خَيْـ لٍ بِالضّحَى شُمْسٍ رَوامِـــحِ

مِـــــن بَيْنِ مَشْزُورٍ ومَجْـ زُورٍ يُذَعْـذَع بِالبَـــــوارِحِ [3]

يَبْـــكِينَ شَجْـــوًا مُسْلِبا تٍ كَدّحَتْـهُنّ الكَـــــوادِحِ

وَلَقَد أصـابَ قُلُوبَهـــا مَجْلٌ له جُلَبٌ قَـــــــوارِحُ

إذْ أقْصَـدِ الحِدْثانَ مَن كُنّا نُرَجّـــــي إذْ نُشايِـــحُ [4]

أصْحابَ أُحْـدٍ غالَهـــم دَهْـــرٌ ألَمّ لَـــــه جَـــوارِحُ

مَـــن كـان فارِسَنا وحا مينــــا إذا بُـــعِثَ المَسالِـــحُ

---

(١) ابن فاطمة : يريد علي بن أبي طالب أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم . المعم : الكريم الأعمام . المخول : الكريم الأخوال.

(٢) الملحات : الثبتات التي لا تبرح . الدوالح : التي تحمل الثقل .

(٣) البوارح : الرياح الشديدة .

(٤) نشايح : نحذر .

يا حَمزَ لا والله لا   أنساكَ ما صُرّ اللّقائِحُ

لِمُناخِ أيْتامٍ وأضيـ   ـفٍ وأرْمَلَةٍ تُلامِحُ (١)

وَلِما يَنُوبُ الدّهْرُ في   حَرْبٍ لِحَرْبٍ وهْيَ لاقِحُ

يافارِسًا يا مِدْرَهًا   يا حَمزَ قد كُنْتَ المُصامِحَ

عَنّا شَديداتِ الخُطُو   بِ إذا يَنُوبُ لَهُنّ فادِحْ

ذَكّرْتني أسَدَ الرّسُو   لِ وذاكَ مِدْرَهُنا المُنافِحْ [٢١/ب]

عَنّا وكان يُعَدّ إذْ   عُدّ الشّريفُونَ الجَحاجِحْ (٢)

يَعْلُو القَماقِمَ (٣) جَهْرَةً   سَبْطَ اليَدَيْنِ أغَرّ واضِحْ

لا طائِشٌ رَعِشٌ ولا   ذُو عِلّةٍ بِالحِمْلِ آنِحْ

بَحْرٌ فَليس يُغِبّ جا   رًا مِنْه سَيْبٌ أوْ مَنادِحْ

أوْدَى شَبابُ أُولي الحَفا   ئِظِ والثّقيلُونَ المَراجِحْ

المُطْعِمُونَ إذا المَشا   تِي ما يُصَفّقهنّ ناضِحْ

لَحْمَ الجِلادِ وفَوْقَه   من شَحْمِه شُطَبٌ شَرائِحْ

لِيُدافِعُوا عن جارِهِما   رامَ ذُو الضّغْنِ المُكاشِحْ

لَهْفي لِشُبّانٍ رُزِئْ   ناهُم كأنّهم المَصابِحْ

شُمّ ، بَطارِقَةٌ غَطا   رِفَةٌ خَضارِمَةٌ مَسامِحْ

المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بِالـ   أموالِ إنّ الحَمْدَ رابِح

والحامِزُونَ (٤) بِلُجْمِهِم   يومًا إذا ما صاحَ صائِح

مَن كان يُرْمَى بِالنّوا   قِرِ من زَمانٍ غَيْرِ صالِح

ما إن تَزالُ رِكابُه   يَرْسِمْنَ في غُبْرٍ صَحاصَح

راحَتْ تَبارَى وهو في   رَكْبٍ صُدُورُهم رَواشِح (٥)

---

(١) المناخ : المنزل . تلامح : أي تنظر بعينها سريعا ثم تغضها .

(٢) الجحاجح : جمع جحجاح وهو السيد .

(٣) القماقم : السادة .

(٤) الحامزون : الواثبون .

(٥) رواشح : أي ترشح بالعرق .

حتى تئوبَ لـــــه المعَا لي ليس من فَـــوْزِ التفائـــح
يا حَمـــزَ قــد أوْحَدْتَني كالعُودِ شَذّ به الكَوافِـــــح [1]
أشْكُو إليْكَ وفَـوْقَـك الـ تُّرْبُ المكَــــوّرُ والصفائـــح
مـن جَنْدَلٍ نُلْقيه فَـــوْ قَكَ إذْ أجادَ الضّرْحَ [2] ضارِح
في واسِـــع يَحْشُونَــه بالتّرْبِ سَوّتْــه المَاســـح
فعَزاؤُنـــا أنّــا نَـقُــــو لُ وقَوْلُنـــا بَــرْحٌ بَــوارِح
مَن كـان أمسَى وهو عمّـــا أوْقَـعَ الحِدْثـــانُ جانِـــح
فَلْيأتِنـــا فَلْتَبْــكِ عَيــ نـــاه لِهَلْكانـــا النّوافِـــح
القـــائِلينَ الـفـــاعِلينَ ذَوي التماحَـةِ والمَمـــادِح
مَـــن لا يَـزالُ نَـدَى يَدَيـ ـه له طَوال الـدّهْرِ مائِـــح

قال ابنُ هشام : وأكثرُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لحسانٍ وبَيْتُه «المُطعِمُونَ إذا المَشاتي» ، وبَيْتُه «الجامِزُونَ بِلُجْمِهِم» ، وبَيْتُه «مَن كان يُرْمَى بالنّواقِرِ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَبْكِي حَمْزَةَ بنَ عبدِ المُطّلِب**

أتَعْرِفُ الدّارَ عَفـــا رَسْمُهـا بعدكَ صَوْبُ المُسْبِـــلِ الهاطِلِ
بَيْنَ السّراديـــح فأُدْمانَـــةٍ فَمَدْفَعُ الرّوْحـــاءِ في حائِـــلِ
ساءَلْتُها عن ذاكَ فاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَدْرِ ما مَرْجُوعَةُ السّائِـــلِ ؟
دَعْ عَنْك دارًا قد عَفا رَسْمُها وابْكِ على حَمْزَةَ ذي النّائِـــلِ [3]
المالِئِ الشّيزَى إذا أعْصَفَـــتْ غَبْراءُ في ذي الشّبِـــمِ الماحِـلِ
والتّارِكِ القِرْنَ لَدَى لِبْـــدَةٍ يَعْثُرُ في ذي الخُرُصِ الذّابِلِ [4]
واللاّبِسِ الخَيْلَ إذْ أجْحَمَـــتْ كاللّيْثِ في غابَتِـــه الباسِـــلِ
أبْيَضُ في الذّرْوَةِ مِـــن هاشِمٍ لَمْ يَمْرِ دُونَ الحَـــقّ بالباطِـــلِ
مـــال شَهِيدًا بَيْنَ أسيافِكُـــمْ شلّتْ يَدا وحْشيّ مِـــن قاتِـــلِ

(١) الكواخ : الذين يتناولونه بالقطع .
(٢) الضرح : الشق والمراد القبر .
(٣) النائل : العطاء .
(٤) الذابل : الرقيق .

أيّ امـرئٍ غادَرَ في ألّـةٍ مَطْرُورةٍ مارِنَةٍ (١) العـامِـلِ
أظلَمـتِ الأرْضُ لِفقدانِـه واسْوَدّ نُـورُ القَمَرِ النّاصِـلِ
صَلّى علَيـه الله في جَنّـةٍ عاليـةٍ مُكرَمَـةَ الدّاخِـلِ
كُنّـا نَرَى حَمـزَةَ حِـرزًا لَنا في كُـلّ أمرٍ نابنا نـازِلِ
وَكان في الإسلام ذا تُـدْرَأٍ (٢) يَكفيك فَقْدَ القاعِـدِ الخـاذِلِ
لا تَفْرَحي يا هِندُ واستَحْلِبـي دَمعًا وأذْري عَبـرَةَ الثاكِـلِ
وابكِي على عُتبَـةَ إذ قَطّـه بالسّيفِ تَحتَ الرّهَـجِ الجائِـلِ
إذا خرّ في مَشيَخَـةٍ مِنكُـم من كُلّ عاتٍ قَلْبُه جاهِـلِ
أرْداهـم حَمـزَةُ فـي أُسْرَةٍ يَمشُونَ تَحتَ الحَلَـقِ الفاضِـلِ
غَـداةَ جبْريـلَ وزيرٌ لـه نِعْمَ وزيرُ الفـارِسِ الحامِـلِ

وَقال كَعْبُ بنُ مالكٍ يَبْكي حَمزَةَ بنَ عبدِ المطّلِب :

طَرَقَتْ همُومُك فالرّقادُ مُسَهّـدُ وَجَزِعَتْ أن سُلِخَ الشّبابُ الأغْيَدُ (٣)
وَدَعَتْ فُؤادَك لِلْهَوَى ضَمـرِيّةٌ فَهَواك غَوْرِيٌّ وصَحْوك مُنجِـدُ [٢٢/أ]
فَـدَعِ التّمادِيَ في الغَوايَةِ سادِرًا قد كُنتَ في طَلَبِ الغَوايَةِ تُفْنَـدُ (٤)
وَلَقَـد أنَى لَك أن تَناهَى طائِعًا أوْ تَستَفِيـقَ إذا نَهـاك المُرْشِـدُ
وَلَقَـد هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمزَةَ هَدّةً ظَلّتْ بنـاتُ الجَوْفِ منها تَرْعَـدُ
وَلَـوْ أنّـه فُجِعَتْ حِراءُ بِمِثْلِه لَـرَأيْتَ راسيَ صَخرِهـا يَتَبَـدّدُ
قَرْمٌ تَمَكّنَ في ذُؤابَـةِ هاشِـمٍ حَيثُ النّبُـوّةُ والنّدَى والسّـودَدُ
والعاقِرُ الكُومَ الجِلادِ إذا غَـدَتْ رِيحٌ يَكادُ المـاءُ منهـا يَجْمُـدُ
والتّارِكُ القِرْنَ الكَمِيّ مُجَـدّلاً يومَ الكَرِيهَةِ والقَنـا يَتَقَصّـدُ (٥)
وَتَـراه يَرْفُلُ في الحَديـدِ كَأنّه ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ (٦) البـراثِنِ أرْبَدُ

---

(١) مارنة : لينة .
(٢) ذا تدرأ : أي ذا مدافعة .
(٣) سلخ : أزيل . الأغيد : الناعم .
(٤) تفند : تلام وتكذب .
(٥) يتقصد : ينكسر .
(٦) شثن : غليظ والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان

عـــمّ النبيّ مُحَمــدٍ وصَفيّـــه وَرَدَ الحِمامَ فَطــــابَ ذاكَ المَـــوْرِدُ
وَأتَى المَنِيّـــةَ مُعْلِمًـــا في أُسْرَةٍ نَصَرُوا النبيّ ومنهـــم المُستَشْهَـــــدُ
وَلَقد إخالُ[1] بِـذاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ لِتُميتَ داخِلَ غُصّــــةٍ لا تَبْــــرُدُ
مِمّا صَبَحْـا بالعَقَنْقَلِ [2] قَوْمَهـا يومًا تَغَيّبَ فيه عنهــــــا الأسْعَـدُ
وَبِبئْرِ بَــــدْرٍ إذْ يَرُدّ وُجُوهَهُــــم جِبْرِيـــلُ تَحْتَ لِوائِنـــا ومُحَمّـــدُ
حتى رَأيْتُ لَدَى النبيّ سَراتَهم [3] قِسْمَيْنِ يَقْتُـــلُ مَــــن نَشاءُ وِيَطْــرُدُ
فَأقامَ بِالعَطَنِ [4] المُعَطّنِ منهــم سَبْعُونَ عُتْبَــةُ منهـــم والأسْــــوَدُ
وابنُ المُغِيرَةِ قد ضَرَبنـا ضَرْبَـــةً فَوْقَ الوَرِيدِ لهـــا رَشاشٌ مُـــزْبِدُ [5]
وَأُمَيّــةُ الجُمَحِيّ قَـــوّمَ مَيْلَــــه عَضْبٌ بِأيْــــدي المُؤْمِنِينَ مُهَنّــــدُ
فَأتــاكَ فَـــلّ المُشْرِكِينَ كَأنّهــم والخَيْـــــلُ تَثْفِنُهُــم [6] نَعــامٌ شُرّدُ
شَتّانَ مَــــن هُوَ في جَهَنّــمَ ثاوِيًا أبَدًا ومَــــن هــــوَ في الجِنانِ مُخَلّـدُ

وَقال كَعْبٌ أيضًا يَبْكي حَمْزَةَ بن عبد المطلب :

صَفِيّةَ قُومي ولا تَعْـجِزِي وَبَكّي النّساءَ على حَمْـــزَةِ
وَلا تَسْأمي أن تُطيلي البُكا على أسَدِ الله في الهِـــزّةِ
فقد كان عِـزًا لِأيْتامِنـــا وَلَيْثَ المَلاحِـمِ في البِـــزّةِ
يُرِيدُ بِذاكَ رِضـــا أحْمَــدٍ وَرِضْوانَ ذي العَرْشِ والعِزّةِ

وَقال كَعْبُ بن مالك أيضًا في أُحُدٍ :

إنّكِ عمرَ أبيـــكِ الكَـــر يمِ أن تَسْألي عَنْكِ مَن يَجْتَدِينا
فَإن تَسْألي ثَمّ لا تُكْذَبِــي يُخَبّرْكِ مَن قد سَألْتِ اليَقينـــا
بِأنّا لَيالي ذاتِ العِظـــا مِ كُنّا ثِمالاً لِمَن يَعْتَرِينـــا [7]

---

(١) إخال : أظن .
(٢) العقنقل : الكثيب من الرمل .
(٣) سراتهم : خيارهم .
(٤) العطن : مبرك الإبل حول الماء .
(٥) الرشاش المزبد : الدم تعلوه رغوة .
(٦) تثفنهم : تطردهم وتتبع آثارهم .
(٧) ليالي ذات العظام : ليالي الجوع التي تُجمع فيها العظام فتطبخ فيستخرج ودكها ، فيؤتدم به .

تَلُوذُ البُجُــودُ بِأَذْرائِنــا من الضّرّ في أَزَمات السّنينــا
بِجَدْوَى فُضُولِ أُولي وُجْدِنا وَبِالصّبْرِ والبَذْلِ في المُعْدِمينــا
وَأَبْقَتْ لَنا جَلَمــاتُ الحُرُو بِ ممّن نُوازِي لَدُن أن بُرينــا
مَعاطِنَ تَهْوي إلَيْهــا الحُقُو قُ يَحْسِبُها مَن رَآها الفَتينــا
تُخَيَّسُ [1] فيهـا عِتاقُ الجِما لِ صُحْما دَواجِن حُمْرًا وُجُونــا
وَدُفّاعُ رَجْـــلٍ كَمَوْجِ الفُرا تِ يَقْدُمُ جَأْواءَ[2] جُولا طَحُونا
تَرَى لَوْنَهــا مِثْلَ لَوْنِ النّجُو مِ رَجْراجَةً تُبْرِقُ النّاظِرينــا
فَإن كُنْتَ عن شَأْنِنا جاهِلاً فَسَلْ عنه ذا العِلْمِ ممّن يَلينــا
بِنا كَيْفَ نَفْعَــلُ إن قَلَّصَتْ عَوانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونا [3]
لَسْنا نَشُــدّ عليهـا العِصا بَ حتى تَدُرّ وحتى تَلينــا
وَيومٌ له وهَـــجٌ دائِـــمٌ شَديدُ التّهاوُل حامــي الأرينا
طَويلٌ شَديــدُ أُوارِ القِتــا لِ تَنْفي قَواحِــزُه المُقْرِفينا [4]
تَخالُ الكُمــاةَ بِأَعْراضِــه ثِمالاً على لَـــذّةٍ مُنْزِفينــا
تَعاوَرُ أَيْمانُهــم بَيْنَهــم كُؤُوسَ المَنايا بِحَدّ الظّبينــا
شَهِدْنا كَكُنّا أُولــي بَأْسِــه وَتَحْتَ العَمايَة والمُعْلِمينــا
بِخُرْسِ الحَسيسِ حِسانٍ رِواءٍ وَبُصْرِيَةٍ قد أُجِمْنَ الجُفونــا
فَمــا يَنْفَلِلْنَ ومــا يَنْحَنينَ وَما يَنْتَهينَ إذا ما نُهينا [٢٢/ب]
كَبَرْقِ الخَريفِ بِأَيْدي الكُمــاةِ يُفَجّعْنَ بِالظّلّ هامًا سُكُونــا
وَعَلّمنا الضّرْبَ آبــاؤُنــا وَسَوْفَ نُعَلّمُ أيضًــا بنينــا
جِلادَ الكُماةِ وبَــذْلَ التّــلا دِ عن جُلّ أَحْسابِنــا ما بَقينا
إذا مَرّ قَرْنٌ كَــفَى نَسْلُـــه وَأَوْرَثَــه بعـــده آخَرينــا

(١) تخيس : تذلل .
(٢) جأواء : كتيبة لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح
(٣) قلصت : ارتفعت وانقبضت . التقليص : كناية عن الشدة في الحرب . العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة . العضوض : كثيرة العض . الحجون : المعوجة الأسنان .
(٤) الأوار : الحر ، القواحز : من القحز وهو القلق وعدم التثبت . المقرفون : اللئام .

نَشِبَ وَتَهْلِــكُ آباؤُنــــا ... وَبَيْنا نُرَبّي بنينــــا فَنِينــــا
سَأَلْتُ بِكَ ابنَ الزِّبَعْرَى فَلَــم ... أُنَبّأكَ في القَــــوْمِ إلاّ هَجِينــا
خَبِيثًا تُطيفُ بِكَ المُنْدياتُ [1] ... مُقيمًا على اللؤْمِ حِينًـــا فَحِينا
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رسولَ المَلِيـ ... ـكِ قاتَلَكَ اللهُ جِلْفًا لَعِينــا
تَقُولُ الخَنا ثُمَّ تَرْمِــي بِــهِ ... نَقِيَّ الثِّيابِ تَقِيًّـا أمينــا

قال ابنُ هشام : أنشَدَني بَيْتَه «بِنا كَيفَ نَفْعَلُ» ، والبَيْتَ الذي يَليه والبَيْتَ الثالِثَ مِنه وصَدْرَ الرابِعِ مِنه وقَوْلَه «نَشِبَ وتَهْلِكُ آباؤُنا» والبَيْتَ الذي يَليه . والبَيْتَ الثالِثَ مِنه أبو زَيْدٍ الأنصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : **قال كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيضًا ، في يوم أُحُدٍ :**

سائِلْ قُرَيْشًا غَداةَ السَفحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينــا ومــا لاقَوْا من الهَرَبِ
كُنّا الأُسودَ وكانوا النَمِرَ إذْ زَحَفُــوا ... مــا إن نُراقِب مــن آلٍ ولا نَسَبِ
فَكَمْ تَرَكْنا بِها من سَيِّــدٍ بَطَــلٍ ... حامي الذِّمارِ كَريــمِ الجَدِّ والحَسَبِ
فينا الرَسُولُ شِهابٌ ثُـــمَّ يَتْبَعُه ... نُورٌ مُضِيءٌ له فَضْـلٌ علــى الشُّهُبِ
الحَقُّ مَنْطِقُه والعَــدْلُ سيرَتُــه ... فَمَن يُجِبْه إلَيْــه يَنْجُ مــن تَبَبِ [2]
نَجْدُ المُقَدَّم ماضي الهَمِّ مُعْتَــزِمٌ ... حينَ القُلُوبِ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ
يَمضي ويَذْمُرنا عــن غَيْرِ مَعْصيَــةٍ ... كأنّه البَدْرُ لَمْ يُطْبَـعْ علــى الكَذِبِ
بَــدا لَنــا فاتَّبَعْناه نُصَدِّقُــه ... وَكَذَّبوه فَكُنّـــا أسعَــدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فَما فاءُوا ومــا رَجَعُوا ... ونحن نَثْفِنُهم لَمْ نَــأْلُ في الطَّلَبِ
لَيْسا سَــواءً وشَتّى بَيْنَ أمرِهِمــا ... حِزْبُ الإلَهِ وأهلِ الشِّــرْكِ والنُّصُبِ

قال ابنُ هشام : أنشَدَني من قَوْلِه «يَمضي ويَذْمُرنا» إلى آخِرِها ، أبو زَيْدٍ الأنصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ يَبْكي حَمزَةَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ :** قال ابنُ هشام : **أنشَدَنيها أبو زَيْدٍ الأنصاريّ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ :**

بَكَتْ عَيْني وحَقّ لها بُكاهــا ... وَما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ
على أسَدِ الإلَه غَداةَ قالُــوا ... أحَمزَةُ ذاكُمُ الرَجُلُ القَتيــلُ

---

(١) المندبات : المخذيات يندى منها الجبين والأمور الشنيعة .

(٢) التبب : الخسران .

أُصيبَ المُسْلِمُونَ به جَميعًـــــا ... هُناكَ وقد أُصيبَ به الرّسُولُ

أبا يَعْلي [1] لَك الأرْكانُ هُدّتْ ... وأنتَ الماجِدُ البَرّ الوَصُـــولُ

عَلَيْك سَلامُ رَبّك في جنــــانٍ ... مُخالِطُها نَعيمٌ لا يَـــــزُولُ

ألا يا هاشِمَ الأخيـــــارِ صَبْرًا ... فَكُلّ فِعالِكُم حَسَنٌ جَميـــلُ

رســـولُ الله مُصْطَبِرٌ كَريـــمٌ ... بأمرِ الله يَنْطِقُ إذْ يقـــول

ألا من مُبْلِغٌ عَنّـــي لُؤيّـــا ... فَبعد اليومِ دائِلَــــةٌ تَـدُولُ

وَقَبْلَ اليومِ ما عَرَفُوا وذاقُـــوا ... وَقائِعَنا بِهــا يُشْفَى الغَليـــلُ

نَسيتُم ضَرْبَنــــا بِقَليبِ بَـــدْرٍ ... غَداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجيـــلُ

غَداةَ ثَوَى أبــــو جَهْلٍ صَريعًا ... عليه الطّيْرُ حائِمَةٌ تَجُــــولُ

وَعُتْبَةُ وابنُه خَـــــرّا جَميعًـا ... وَشيبَةُ عَضّه السّيْفُ الصّقيـلُ

وَمَتْرَكُنــا أُمَيّــةَ مُجْلَعِبّـــا ... وَفي حَيْزُومِه لَدْنٌ نَبيـــــلُ

وَهامَ بَني رَبيعَـــةَ سائِلُوهـــا ... فَفي أسْيافِنا منهـــا فُلُـــولُ

ألا يا هِنْدُ فابْـــكـــي لا تَمَلّي ... فَأنتِ الواله العَبْرَى الهَبُـولُ [2]

ألا يا هِنْـــدُ لا تُبْدي شِماتــا ... بِحَمْـزَةَ إنّ عِـــزّكُمُ ذَليـــلُ

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال كَعْبُ بنُ مالكٍ :**

أَبْلِغْ قُرَيْشًا على نَأْيِهــا ... أَتَفْخَرُ مِنّا بِمــا لَــم تَلِي

فَخَرْتُم بِقَتْلَى أصابَتْهُــــم ... فَواضِلُ من نَعَمِ المُفْضِـلِ

فَحَلَو جِنانًا وأَبْقَوْا لَـــكُمْ ... أُسُودًا تُحامي عن الأشْبُلِ

تُقاتِلُ عن دينِها ، وسْطَها ... نَبِيّ عن الحَقّ لَمْ يَنْكُلِ [3]

رَمَتْه مَعَدّ بِعُورِ الكَــلامِ ... وَنَبْلِ العَداوَةِ لا تَأْتَلي [4]

قال ابنُ هشام : أنشَدَني قَوْلَه «لَمْ تَلِي» ، وقَوْلَه «من نَعَمِ المُفْضِلِ» زَيْدٌ الأنصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال ضِرارُ بنُ الخَطّابِ في يومِ أُحُدٍ :**

---

(١) أبو يعلى : كنية حمزة رضي الله عنه .

(٢) الهبول : الفاقدة

(٣) ينكل : ينقص .

(٤) لا تأتلي : لا تقصر .

ما بالُ عَيْنُكَ قد أزْرَى بِهـا السّهدُ … كَأنّمـا جـــال في أجْفانِها الرَمَـــدُ
أمِن فِـــراقِ حَبيبٍ كُنْتَ تَألَفَــه … قد حال من دُونِه الأعْداءُ والبُعْدُ [٢٣/أ]
أم ذاكَ من شَغْبِ قَوْمٍ لا جَداءَ بِهِم … إذِ الحُرُوبُ تَلَــظّتْ نارُهـــا تَقِـــدُ
ما يَنْتَهُونَ عن الغَيّ الذي رَكِبـــوا … وَما لهم من لُؤَيّ ويْحهـــم عَضُـــــدُ
وَقـــد نَشَدْناهـــم وبِالله قاطِبَـــةً … فَمـــا تَرُدّهـــم الأرْحامُ والنّشَـــــدُ
حتى إذا مـــا أبَـــوْا إلاّ مُحارَبَةً … واستَحْصَدَتْ بَيْنَنـــا الأضْغانُ والحِقَـــدُ
سِرْنا إلَيْهِـــم بِجَيْشٍ في جَوانِبـــه … قَـــوانِسُ البَيْضِ والمَحْبوكَـــةُ السّرُدُ
والجُرْدُ تَـــرْفُلُ بِالأبْطالِ شازِبَـــةً … كَأنّها حِـــدَأٌ في سَيْرِهـــا تُـــؤَدُ
جَيْشٌ يَقُودُهـم صَخْرٌ ويَرْأسُهـــم … كَأنّه لَيْثُ غابٍ هـــاصِرٌ حَـــرِدُ(١)
فَأبْرَزَ الحَيْنَ قَوْمًـــا مـــن مَنازِلِهِم … فَكان مِنّـــا ومنهـــم مُلْتَقًى أُحُـــدُ
فَغُـــودِرَتْ منهـــم قَتْلَى مُجَدّلَـــةٌ … كالمَعْـــزِ أصْرَدَه بالصـــرْدحِ البَـــرَدُ
قَتْلَى كِرامٌ بنُـــو النّجارِ وسْطَهـــم … وَمُصْعَبٌ من قَنانا حَوْلَـــه قِصَـــدُ(٢)
وَحمزَةُ القَرْمُ مَصْـــرُوعٌ تُطيفُ به … ثَكْلَى وقد حُزّ مِنْـــه الأنْفُ والكَبِـــدُ
كَأنّه حينَ يَكْبـــو في جَديّتِـــه … تَحْتَ العَجاجِ وفيـــه ثَعْـــلَبٌ جَسَـــدُ
حُوارُ نابٍ وقـــد ولّى صَحابَتُـــه … كَمـــا تَوَلّى النّعـــامُ الهـــارِبُ الشّرُدُ
مُجَلّحينَ (٣) ولا يَلْوونَ قـــد مُلِئُوا … رُعْبًا فَنَجّتْهم العَوْصـــاءُ والكُـــؤُدُ
تَبْكي عليهِم نِساءٌ لا بُعُـــولَ لهـــا … من كُلّ سالِبَةٍ أثْوابُهـــا قِـــدَدُ
وَقد تَرَكْناهـــم لِلطّيْرِ مَلْحَمَـــةً … وَلِلضّبـــاعِ إلى أجْسادِهـــم تَفِـــدُ

قال ابنُ هشامٍ وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُها لِضِرارٍ

قال ابنُ إسحاقَ وقال **أبو زَعْنَةَ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ عُتْبَةَ أخُو بني جُشَمِ بنِ الخَزْرَجِ، يومَ أُحُدٍ :**

أنا أبو زَعْنَةَ يَعْدُو بي الهُزَم … لَمْ تُمنَعِ المَخْزاةُ إلاّ بِالألَمْ
يَحْمي الذّمارَ خَزْرَجيّ من جُشَم

قال ابنُ إسحاقَ :وقال عَليّ بنُ أبي طالِبٍ - قال ابنُ هشامٍ :قالها رَجُلٌ من المُسْلِمينَ يومَ

---

(١) صخر : اسم أبي سفيان ، هاصر : كاسر ، حرد : غاضب .
(٢) قصد : قطع متكسرة .
(٣) مجلحين : مصممين لا يردهم شئ .

أُحُدٍ غَيْرَ عَلِيّ ، فيما ذَكَرَ لي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ ولَمْ أرَ أحَدًا منهم يَعْرِفُها لِعَلِيّ :

لا هُمَّ إنّ الحارِثَ بنَ الصِّمَّهْ كان وفيًا وبنا ذا ذِمَّهْ

أقْبَلَ في مَهامَهٍ مُهِمَّهْ كَلَيلَةٍ ظَلْماءَ مُدْلَهِمَّهْ

بَيْنَ سُيُوفٍ ورِماحٍ جَمَّهْ يَبْغِي رسولَ الله فيما ثَمَّهْ

قال ابنُ هشام : قَوْلُه «كَليلَةٍ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ في يوم أُحُدٍ :**

كُلُّهم يَزْجُرُه أرْحِبْ هَلا وَلَن يَرَوْه اليومَ إلاّ مُقْبِلا

يَحْمِلُ رُمْحًا ورَئِيسًا جَحْفَلا [1]

وقال الأعْشَى بنُ زُرارَةَ بنِ النَّبَّاشِ التَّميميّ - قال ابنُ هشام : ثُمّ أحَدُ بني أسَدِ بنِ عَمرو ابنِ تَميمٍ - يَبْكي قَتْلَى بني عبدِ الدّارِ يومَ أُحُدٍ :

حُيِّيَ من حَيّ عَلَيّ نَأْيُهِم بنُو أبي طَلْحَةَ لا تُصْرَفُ

يَمُرّ ساقيهم عليهم بها وَكُلّ ساقٍ لهم يَغْرِفُ

لا جارُهم يَشْكُو ولا ضَيْفُهم من دُونِه بابٌ لهم يَصْرِفُ [2]

وقال عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى يومَ أُحُدٍ :

قَتَلْنا ابنَ جَحْشٍ فاغْتَبَطْنا بِقَتْلِه وَحَمْزَةَ في فُرْسانِه وابنَ قَوْقَلِ

وَأفْلَتَنا منهم رِجالٌ فَأسْرَعُوا فَلَيْتَهم عاجُوا [3] ولَمْ نَتَعَجَّلِ

أقامُوا لَنا حتى تَعَضّ سُيُوفُنا سَراتَهم وكُلّنا غَيْرُ عُزّلِ

وَحتى يَكُونَ القَتْلُ فينا وفيهم وَيَلْقَوْا صَبوحًا [4] شَرّه غَيْرَ مُنْجَلي

قال ابنُ هشام : وقَوْلُه «وكُلّنا» ، وقَوْلُه «ويَلْقَوْا صَبوحًا» : عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقالتْ صَفِيّةُ بِنْتُ عبدِ المطَّلِبِ ، تَبْكي أخاها حَمْزَةَ بنَ عبدِ المطَّلِبِ :**

أسائِلَةٌ أصْحابَ أُحْدٍ مَخافَةً بناتُ أبي مِنْ أعْجَمٍ وخَبيرِ

فَقالَ الخَبيرُ إنّ حَمْزَةَ قَدْ ثَوَى وَزِيرُ رسولِ الله خَيْرُ وزيرِ

---

(١) الجحفل : العظيم .

(٢) يصرف : يغلق فيسمع له صوت .

(٣) عاجوا : عطفوا وأقاموا .

(٤) الصبوح : شرب الغداة .

دَعاه إلَه الحقّ ذُو العَرْشِ دَعْــوَةً إلى جَنّةٍ يَحْيـا بهـــا وسُرُورِ
فَذلك مــا كُنّـــا نُرَجّي ونَرْتَجي لِحَمزَةِ يومَ الحَشْرِ خَيْرِ مَصيـــرِ
فَواللهِ لا أنساك ما هَبّتِ الصّبــا بُكاءً وحُزنًا مَحْضَري ومَسيري [1]
على أسَدِ الله الذي كان مِدْرَهــا يَذُودُ عن الإسلام كُلّ كَفُــورِ
فَيا لَيتَ شِلْوي عند ذاكَ وأعظُمـي لَدَى أضبُعٍ تَعْتادُني ونُسُـــورِ
أقُولُ وقَـــد أعْلَى النّعِيّ عَشيرَتي جَزَى الله خَيْرًا من أخٍ ونَصِيــرِ

قال ابنُ هشام : وأنشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ قَوْلَها : بُكاءً وحُزْنًا [مَحْضَري ومَسيري]

قال ابنُ إسحاقَ : [٢٣/ب] **وقالتْ نُعمُ امرَأةُ شَمّاسِ بنِ عُثْمانَ ، تَبْكي شَمّاسًا ، وأُصيبَ يومَ أُحُدٍ :**

يا عَيْنُ جُودي بِفَيْضٍ غَيْرِ إبْساسِ [2] على كَريمٍ مِــن الفِتْيــانِ أبّاسِ
صَعْبِ البَديهَةِ مَيْمُـــونٍ نَقيبَتُـــه حَمّالِ ألْوِيَـــةٍ رَكّابِ أفْـــراسِ
أقُولُ لَما أتَى النّاعـــي لـــه جَـــزَعًا أوْدَى الجَوادُ وأوْدَى المُطْعِمُ الكاسي
وَقُلْتُ لَمّـــا خَلَتْ مِنْـــه مَجالِسُـــه لا يُبْعِـدُ الله عَنّـــا قُرْبَ شَمّاسِ

فأجابَها أخُوها ، وهو أبو الحَكَمِ بنُ سَعيدِ بنِ يَرْبوعٍ يُعَزّيها ، فقال :

إقْنَى حَياءَك في سِتْرٍ وفـــي كَرَمٍ فَإنّما كان شَمّاسٌ مِـــن النّـــاسِ
لا تَقْتُلي النّفْسَ إذْ حانَتْ مَنِيّتُه في طاعَةِ الله يـومَ الرّوْعِ والباسِ
قد كان حَمزَةُ لَيْثَ الله فاصْطَبِري فَذاقَ يومَئِذٍ مِـــن كأسِ شَمّاسِ

وَقالتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، حينَ انْصَرَفَ المُشْرِكونَ عن أُحُدٍ :

رَجَعْتُ وفي نَفْسي بَلابِلُ جَمّـــةٌ وَقد فاتَني بَعْضُ الذي كان مَطْلَبي
من أصْحابِ بَدْرٍ من قُرَيْشٍ وغَيْرِهم بني هاشِمٍ منهم ومِن أهـــلِ يَثْرِبِ
وَلَكِنّني قد نِلْتُ شيئًـــا ولَمْ يَـــكُن كَما كُنْتُ أرْجُو في مَسيري ومَرْكَبي

قال ابنُ هشامٍ :وأنْشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ قَوْلَها :

وَقد فاتَني بَعْضُ الذي كان مَطْلَبي

وَبَعْضُهم يُنْكِرُها لِهِنْدٍ ، والله أعْلَمُ .

---

(١) الصبا : ريح شرقية . مسيري : غيابي .
(٢) الإبساس : أن تمسح ضرع الناقة لتدر وتقول لها : بس بس .

[ذكر يوم الرجيع]
«في سَنَةِ ثلاثٍ» *

[طَلَبَتْ عَضَلُ والقارَةُ نَفَرًا من المسلمين ليُعَلِّمُوهم فأوْفَدَ الرَّسولُ سِتَّةً]

قال حَدّثنا أبو مُحمّدٍ عبدُ المَلِكِ بنُ هشام قال حَدّثنا زِيادُ بنُ عبدِ الله البَكّائِيّ عن مُحمّدِ بنِ إسحاقَ المطَّلِبِيّ قال حَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، قال قَدِمَ (٢) على رسولِ الله ﷺ بعد أُحُدٍ رَهْطٌ من عَضَلٍ والقارَةِ .قال ابنُ هشام : عَضَلٌ والقارَةُ ، من الهَوْنِ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ .قال ابنُ هشام : ويُقالُ الهُونُ ، بِضَمّ الهاءِ [قال ابنُ إسحاقَ] : فقالُوا : يا رسولَ الله إنّ فينا إسلامًا ، فابعَثْ مَعَنا نَفَرًا من أصحابِك يُفَقِّهونَنا في الدّينِ ويُقرِئُونَنا القُرآنَ ويُعَلِّمُونَنا شَرائعَ الإسلام . فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ نَفَرًا سِتّةً من أصْحابه وَهم مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ ، حَليفُ حَمزَةَ ابنِ عبدِ المطَّلِبِ ؛ وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ اللّيْثِيّ ، حَليفُ بني عَديّ بنِ كَعْبٍ ، وعاصِمُ ابنُ ثابتٍ بنِ أبي الأقْلَحِ ، أخُو بني عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ ؛ وخُبَيْبُ ابنُ عَديّ ، أخُو بني جَحْجَبَى ابنِ كُلْفَةَ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ ، وزَيْدُ بنُ الدّثِنَةِ بنِ مُعاوِيَةَ أخُو بني بَياضَةَ بنِ عمرِو بنِ زُرَيْقِ بنِ عبدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمِ بنِ الخَزْرَجِ ؛ وعبدُ الله بنُ طارِقٍ حَليفُ بني ظَفَرِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عمرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ .

وَأمّرَ رسولُ الله ﷺ على القَوْمِ مَرْثَدَ بنَ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيّ ، فخَرَجَ مع القَوْمِ حتى إذا كانوا على الرَّجيعِ ، ماءٍ لِهُذَيْلٍ بناحيَةِ الحِجازِ ، على صُدُورِ الهَدَأةِ غَدَرُوا بِهِم فاسْتَصْرَخُوا عليهم هُذَيْلاً ، فَلَم يَرُعِ القَوْمَ وهم في رِحالِهِم إلاّ الرّجالُ بِأيْديهِم السّيُوفُ قد غَشُوهم فأخَذُوا أسْيافَهم لِيُقاتِلُوهم فَقالُوا لهم إنّا والله ما نُرِيدُ قَتْلَكُم ، ولكِنّا نُرِيدُ أن نُصيبَ بِكُم شيئًا من أهلِ مَكّةَ ولَكُم عَهْدُ الله وميثاقُه أن لا نَقْتُلَكُمْ .

فَأمّا مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ ، وعاصِمُ بنُ ثابتٍ فقالُوا : والله لا نَقْبَلُ من مُشْرِكٍ عَهْدًا ولا عَقْدًا أبَدًا ؛ فَقال عاصِمُ بنُ ثابتٍ :

---

* أول الجزء الحادي عشر من أجزاء السيرة لابن هشام .

(٢) صحيح : سند ابن إسحاق مرسل قوي . والحديث صح من رواية أبي هريرة نحوه بطوله . رواه البخاري (٣٩٨٩) وأحمد (٢/٢٩٥- ٣١٥) وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٣٠) وأبو داود (٣٦٦٠-٣٦٦١) والطيالسي (٢٣٤٩) والبيهقي دلائل (٣/٣٢٣) وغيرهم . وقد خالف ابن إسحاق في المتن ما في الصحيح فقال كانوا ستة نفر أميرهم مرثد ابن أبي مرثد . وفي الصحيح أنهم كانوا عشرة أميرهم عاصم بن ثابت .

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابِلُ والقَوْسُ فيها وتَرٌ عُنابِلُ
تَزَلّ عن صَفْحَتِها المَعَابِلُ المَوْتُ حَق والحَياةُ باطِلُ
وَكُلّ ما حَمَ الإلَه نـازِلٌ بالمَرْءِ والمَرْءُ إلَيه آئِـلُ
إن لَمْ أُقاتِلْكُمْ فَأُمّي هابِلُ

قال ابنُ هشام هابِلُ ثاكِلُ . وقال عاصِمُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

أبو سُلَيْمانَ وريشُ المُقْعَـدِ وَضالةٌ مِثْلَ الجَحيمِ المُوقَدِ
إذا النّواجي افتُرِشتِ لَمْ أُرْعَدِ وَمُجْنَأٌ مِـن جَلْدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بما علـى مُحَمَّـدِ

وقال عاصِمُ بنُ ثابت أيضًا :

أبو سُلَيْمانَ ومِثْلي رامَى وَكان قَوْمي مَعْشَرًا كِراما

وَكان عاصِمُ بنُ ثابتٍ يُكَنّى : أبا سُلَيْمانَ . ثُمَّ قاتَلَ القَوْمَ حتى قُتِلَ وقُتِلَ صاحِباه .

فَلَمّا قُتِلَ عاصِمٌ أرادَتْ هُذَيْلٌ أخْذَ رَأسِه ليَبيعُوه من سُلافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ شُهَيْدٍ وكانَتْ قد نَذَرَتْ حين أصابَ ابنَيْها يومَ أُحُدٍ : لَئِن قَدَرَتْ على رَأسِ عاصِمٍ لَتَشْرَبن في قِحْفِه الخَمرَ فَمَنَعَتْه الدَبْرُ فَلَمّا حالتْ بَيْنَه وبَيْنَهم الدبْرُ قالُوا : دَعُوه يُمسي فَتَذْهَبُ عنه فَنَأْخُذُه .

فَبَعَثَ الله الواديَ فاحْتَمَلَ [٢٤/أ]عاصِمًا ، فَذَهَبَ به وَقد كان عاصِمٌ قد أعْطَى اللهَ عَهْدًا أن لا يَمَسّه مُشْرِكٌ ولا يَمَسّ مُشْرِكًا أبَدًا ، تَنَجّسًا ، فَكان عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ الله عنه يقول حينَ بَلَغَه أنّ الدّبْرَ مَنَعَتْه يَحْفَظُ الله العبدَ المُؤْمِنَ ، كان عاصِمٌ نَذَرَ أن لا يَمَسّه مُشْرِكٌ ولا يَمَسّ مُشْرِكًا أبَدًا في حَياتِه فَمَنَعَه الله بعد وفاتِه كَما امتَنَعَ مِنه في حَياتِه

[مَقْتَلُ ابنِ طارِقٍ وبَيْعُ خُبَيْبٍ وابنِ الدّثِنَةِ] :

وَأمّا زَيْدُ بنُ الدّثِنَةِ وخُبَيْبُ بنُ عَديّ ، وعبدُ الله بنُ طارِقٍ ، فَلانُوا ورَقّوا ورَغِبوا في الحَياةِ فَأعْطَوْا بأيْديهم فَأسَرُوهم ثُمّ خَرَجُوا إلى مَكّةَ ، لِيَبيعُوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظّهْرانِ انْتَزَعَ عبدُ الله ابنُ طارِقٍ يَدَه من القِرانِ ثُمّ أخَذَ سَيفَه واستَأخَرَ عنه القَوْمُ فَرَمَوْه بالحِجارَةِ حتى قَتَلُوه فَقَبْرُه رَحِمَه الله بالظّهْرانِ ، وأمّا خُبَيْبُ بنُ عَديّ وزَيْدُ بنُ الدّثِنَةِ فَقَدِمُوا بِهما مَكّةَ .

قال ابنُ هشام فَباعُوها من قُرَيْشٍ بأسيرَيْنِ من هُذَيْلٍ كانا بِمَكّةَ .

قال ابنُ إسحاقَ فابْتاعَ خُبَيْبًا حُجَيْرُ بنُ أبي إهابِ التَميميّ ، حَليفُ بني نَوْفَلٍ لِعُقْبَةَ بنِ

الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نَوْفَلٍ ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارثِ بنِ عامرٍ لأمه لِقَتْلِه بأبيه . قال ابنُ هشام الحارثُ بنُ عامرٍ خالُ أبي إهابٍ وأبو إهابٍ أحَدُ بني أُسَيْدِ بنِ عمرو بنِ تَميم ويُقالُ أحَدُ بني عُدَسِ بنِ زَيْدِ بنِ عبدِ الله بنِ دارِمٍ من بني تَميم .

[مَقْتَلُ ابنِ الدَّثِنَةِ ومَثَلٌ من وفائه لِلرَّسُول] :

قال ابنُ إسحاقَ : وأمّا زَيْدُ بنُ الدَّثِنَةِ فابْتاعَه صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَه بأبيه أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ ، وبَعَثَ به صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ مع مَوْلًى له يُقالُ لـه نِسْطاسُ إلى التّنعيم ، وأخْرَجُوه من الحَرَمِ ليَقْتُلُوه . واجْتَمَعَ رَهْطٌ من قُرَيْشٍ ، فيهم أبو سُفيانَ ابنُ حَرْبٍ فقال له أبو سُفيانَ حينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ أنشُدُكَ اللهَ يا زَيْدُ أتُحِبُ أنّ مُحَمّدًا عندنا الآنَ في مَكانِكَ نَضرِبُ عُنُقَه وأنك في أهلِك ؟ قال واللهِ ما أُحِبّ أنّ مُحَمّدًا الآنَ في مَكانِه الذي هُوَ فيه تُصيبُه شَوْكَةٌ تُؤْذيه وأنا جالِسٌ في أهلي . قال يقول أبو سُفيانَ ما رَأيتُ من النّاسِ أحَدًا يُحِبّ أحَدًا كَحُبّ أصحابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا ؛ ثُمّ قَتَلَه نِسطاس يَرْحَمُه الله

[مَقْتَلُ خُبَيْبٍ وحَديثُ دَعْوَتِه] :

وَأمّا خُبَيْبُ بنُ عَديّ ، فحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ ، أنّه حُدّثَ عن ماوِيّةَ مَوْلاةِ حُجَيْرِ بنِ أبي إهابٍ ، وكانَتْ قد أسْلَمَتْ قالتْ كان خُبَيْبٌ عِندي ، حُبِسَ في بَيْتي ، فَلَقد اطّلَعَتْ عليه يومًا ، وإنّ في يَدِه لَقِطْفًا من عِنَبٍ مِثْلَ رَأسِ الرّجُلِ يَأكُلُ مِنه وما أعْلَمُ في أرْضِ الله عِنَبًا يُؤْكَلُ.

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ وعبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ جَميعًا أنّها قالتْ قال لي حينَ حَضَرَه القَتْلُ ابْعَثي إلَيّ بِحَديدَةٍ أتَطَهّرُ بها لِلقَتْلِ قالتْ فَأعْطَيْتُ غُلامًا من الحَيّ المُوسَى ، فَقُلْت : ادْخُلْ بها على هذا الرّجُلِ البَيْتَ قالتْ فَواللهِ ما هُوَ إلاّ أن وَلّى الغُلامُ بها إلَيْه فَقُلْت : ماذا صَنَعْتُ أصابَ واللهِ الرّجُلُ ثَأرَه بِقَتْلِ هذا الغُلامِ فَيَكُونُ رَجُلاً بِرَجُلٍ فَلَمّا ناوَلَه الحَديدَةَ أخَذَها من يَدِه ثُمّ قال لَعمرُكَ ، ما خافَتْ أُمّكِ غَدْري حينَ بَعَثَتْكِ بهذه الحَديدَةِ إلَيّ ثُمّ خَلّى سَبيلَه .

قال ابنُ إسحاقَ : قال عاصِمٌ ثُمّ خَرَجُوا بِخُبَيْبٍ حتى إذا جاءُوا به إلى التّنعيمِ ليَصْلُبوه قال لهم إن رَأيْتُم أن تَدَعُوني حتى أرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فافعَلُوا ؛ قالُوا : دُونَك فارْكَعْ . فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ أتَمّهما وأحسَنَهما ، ثُمّ أقْبَلَ على القَوْمِ فقال أما واللهِ لَوْلا أن تَظُنّوا أنّي إنّما طَوّلْت جَزَعًا من القَتْلِ لاستَكْثَرْت من الصّلاةِ قال فكان خُبَيْبُ بنُ عَديّ أوّلَ مَن سَنّ هاتَيْنِ الرّكْعَتَيْنِ عند القَتْلِ لِلمُسْلِمينَ . قال ثُمّ رَفَعُوه على خَشَبَةٍ فَلَمّا أوْثَقُوه قال اللّهمّ إنّا قد بَلّغنا رِسالةَ رسولِك ، فَبَلّغه

الغَداةَ ما يُصْنعُ بنا ؛ ثُمّ قال اللّهمّ أحْصِهِم عَدَدًا ، واقْتُلْهم بَدَدًا ، ولا تُغادِرْ منهم أحَدًا . ثُمّ قَتَلُوه رَحِمَه الله فَكان مُعاوِيَةُ بنُ أبي سُفيانَ يقول حَضَرْتُه يومَئِذٍ فيمَن حَضَرَه مع أبي سُفْيانَ فَلَقد رَأيْتُه يُلْقيني إلى الأرْضِ فَرَقًا من دَعْوَةِ خُبَيْبٍ وكانوا يقولونَ إنّ الرّجُلَ إذا دُعِيَ عليه فاضْطَجَعَ لِجَنْبه زالَتْ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ :حَدّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ عن عُقْبَةَ ابن الحارثِ قال سَمِعْته يقول ما أنا والله قَتَلْت خُبَيْبًا ؛ لأنّي كُنت أصْغَرَ من ذلك ولكِنّ أبا مَيْسَرَةَ أخا بني عبدِ الدّارِ أخَذَ الحَرْبَةَ فَجَعَلَها في يَدي ، ثُمّ أخَذَ بيَدي وبالحَرْبَةِ ثُمّ طَعَنَه بها حتى قَتَلَه

قال ابنُ إسحاقَ :وحَـدّثَني بَعْضُ [٢٤/ب]أصْحابِنا ، قال : كان عُمَرُ بنُ الخَطّابِ [رَضِيَ الله عنه] اسْتَعْمَلَ سَعيدَ بنَ عامِرِ بنِ حِذْيَمٍ الجُمَحيّ على بَعْضِ الشّامِ ، فَكانَتْ تُصيبُه غَشْيَةٌ وهو بَيْنَ ظَهْرَيِ القَوْمِ فَذُكِرَ ذلك لِعُمَرِ بنِ الخَطّابِ وقيلَ إنّ الرّجُلَ مُصابٌ فَسَألَه عُمَرُ في قدمَةٍ قَدِمَها عليه فَقال يا سَعيدُ ما هذا الذي يُصيبُك ؟ فَقال والله يا أميرَ المُؤْمِنينَ ما بي من بَأسٍ ولَكِنّي كُنت فيمَن حَضَرَ خُبَيْبُ بنُ عَديّ حينَ قُتِلَ وسَمِعْتُ دَعْوَتَه فَوالله ما خَطَرَتْ على قَلْبي وأنا في مَجْلِسٍ قَطّ إلاّ غُشِيَ عَلَيّ فَزادَتْه عند عُمَرَ خَيْرًا .

قال ابنُ هشامٍ :أقامَ خُبَيْبٌ في أيْديهِم حتى انْقَضَتِ الأشْهُرُ الحُرُمُ ، ثُمّ قَتَلُوه .

[ما نَزَلَ في سَرِيّةِ الرّجيعِ من القُرآنِ] :

قال ابنُ إسحاقَ :وكان مِمّا نَزَلَ من القُرْآنِ في تِلْكَ السّرِيّةِ كَما حَدّثَني مَوْلًى لآلِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ ، عن عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابنِ عَبّاسٍ ، أوْ عن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ . قال قال ابنُ عَبّاسٍ : لَمّا أُصيبَتِ السّرِيّةُ التي كان فيها مَرْثَدٌ وعاصِمٌ بالرّجيعِ قال رِجالٌ من المُنافِقينَ يا ويْحَ هَؤُلاءِ المَفْتُونينَ الذينَ هَلَكُوا هَكَذا ، لا هم قَعَدُوا في أهليهِم ولا هم أدّوْا رِسالَةَ صاحِبِهِم فَأنْزَلَ الله تَعالى في ذلك من قَوْلِ المُنافِقينَ وما أصابَ أُولَئِكَ النّفَرُ من الخَيْرِ بِالذي أصابَهم فَقال سُبْحانَه **﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُه في الحَياةِ الدّنيا﴾** أيْ لِما يُظْهِرُ من الإسلامِ بِلِسانِه ويُشْهِدُ اللهَ على ما في قَلْبِه وهو مُخالِفٌ لِما يقول بِلِسانِه **﴿وَهُوَ ألَدّ الخِصامِ﴾** أيْ ذُو جِدالٍ إذا كَلّمَك وراجَعَك قال ابنُ هشامٍ :الألَدّ : الذي يَشْغَبُ فَتَشْتَدّ خُصُومَتُه وجَمْعُه لُدّ . [وفي كِتابِ الله عَزّ وجَلّ] **﴿وَتُنْذِرَ به قَوْمًا لُدًا﴾** وَقال المُهَلْهِلُ بنُ رَبيعَةَ التّغْلِبيّ ، واسْمُه امرُؤُ القَيْسِ ؛ ويُقالُ عَديّ بنُ رَبيعَةَ :

إنّ تَحْتَ الأحْجارِ حَدّا ولينا وَخَصيمًا ألَدّ ذا مِعْلاقِ

[وَيُرْوَى « ذا مِغْلاقٍ » فيما قال ابنُ هشام . وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له] وهو الألَندُ . قال الطِرِمّاحُ بنُ حَكيم الطائيّ يَصِفُ الحِرْباءَ

يُوفي على جِذْمِ الجُذُولِ كأنه   خَصْمٌ أبَرَّ على الخُصُوم ألَندَد

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس : قال تَعالى : ﴿وَإذا تَوَلّى﴾ أيْ خَرَجَ من عِندِك سَعَى في الأرض ﴿لِيُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ والله لا يُحِبّ الفَسادَ﴾ أيْ لا يُحِبّ عمَلَه ولا يَرْضاه . ﴿وَإذا قيلَ له اتّقِ الله أخَذَتْه العِزّةُ بالإثمِ فَحَسْبُه جَهَنّمُ ولَبِئْسَ المِهادُ ومِنَ الناسِ مَن يَشْري نَفْسَه ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله والله رَؤوفٌ بالعِبادِ﴾ أيْ قد شَرَوْا أنْفُسَهم من الله بالجِهادِ في سَبيلِه والقيامِ بِحَقّه حتى هَلَكُوا على ذلك يَعْني تِلْكَ السّريّةَ . قال ابنُ هشام : يَشْري نَفْسَه يَبيعُ نَفْسَه وشَرَوْا : باعُوا . قال يَزيدُ بنُ رَبيعَةَ بنِ مُفَرّغ الحِمْيَرِيّ :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَني   من بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهُ

بُرْدٌ غُلامٌ له باعَه . وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وشَرَى أيضًا : اشْتَرَى .

قال الشّاعِرُ :

فَقُلْتُ لها لا تَجْزَعي أُمّ مالِكٍ   على ابنَيْكِ إن عبدٌ لَئيمٌ شَراهما

قال ابنُ إسحاقَ : وكان مِمّا قيلَ في ذلك من الشّعْرِ قَوْلُ خُبَيْبِ بنِ عَديّ ، حينَ بَلَغَه أنّ القَوْمَ قد اجْتَمَعُوا لِصَلْبه . قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها له .

لَقد جَمّعَ الأحْزابُ حَوْلي وألّبُوا   قَبائِلَهم واسْتَجْمَعُوا كُلّ مَجْمَعِ

وَكُلّهم مُبْدي العَداوَةَ جاهِدٌ   عَلَيّ لأنّي في وِثاقٍ بِمَضْيَعِ

وَقد جَمّعُوا أبناءَهم ونساءَهم   وَقُرّبْتُ من جِذْعٍ طَويلٍ مُمَنّعِ

إلى الله أشْكُو غُرْبَتي ثُمّ كُرْبَتي   وَما أرْصَدَ الأحْزابُ لي عند مَصْرَعي

فَذا العَرْشِ صَبّرْني على ما يُرادُ بي   فقد بَضّعُوا لَحْمي وقد ياسَ مَطْمَعي

وَذلك في ذاتِ الإلَه وإن يَشَأْ   يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزّعِ

وَقد خَيّرُوني الكُفْرَ والمَوْتُ دُونَه   وَقد هَمَلَتْ عَيْناي من غَيْرِ مَجْزَعِ [٢٥/أ]

وَما بي حِذارُ المَوْتِ إنّي لَمَيّتٌ   وَلَكِن حِذاري جَحْمُ نارٍ مُلَفّعِ

فَواللهِ مـــا أرجُو إذا مِتُ مُسْلِمًا ... علــى أيّ جَنْبٍ كـان في الله مَصْرَعي

فَلَسْتُ بِمُبْـدٍ لِلعَــدُوّ تَخَشُّعًـا ... ولا جَزَعًـا إنّي إلـى الله مَرْجِعـي

وَقال حسانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا :

ما بالُ عَيْنِكِ لا تَرْقا مَدامِعُهـا ... سَحًا على الصّدرِ مِثْـلَ اللّؤلُؤِ القَلِقِ

على خُبَيْبٍ فَتَى الفِتْيانِ قد عَلِمُوا ... لا فَشِلٍ حينَ تَلْقـاه ولا نَزِقِ [١]

فاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزاكَ الله طَيّبَـةً ... وَجَنّةَ الخُلْدِ عنـد الحُورِ في الرّفُقِ

ماذا تَقُولُونَ إن قال النّبيّ لَكُـم ... حينَ الملائِكَةِ الأبـرارُ في الأُفُـقِ

فيمَ قَتَلْتُم شَهيدَ الله في رَجُـلٍ ... طاغٍ قد أوْعَثَ [٢] في البُلْدانِ والرُّفَقِ

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى : « الطُّرُقِ » . وتَرَكْنا ما بَقِيَ منها ، لأنّه أقْذَعَ فيها

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَبْكِي خُبَيْبًا :

يا عَيْنُ جُودي بِدَمعٍ مِنكِ مُنْسَكِبِ ... وابْكِي خُبَيْبًا مع الفِتْيانِ لَـم يَؤُبِ

صَقْرًا تَوَسّطَ في الأنْصارِ مَنْصِبُـه ... سَمْحَ السّجيّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُـؤْتَشِبِ

قد هاجَ عَيْني على عِـلاّتِ عَبْرَتِها ... إذ قيلَ نُصّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ

يأيّها الرّاكِبُ الغـادي لِطَيّتِـه ... أبْلِغْ لَدَيْكَ وعيـدًا ليس بالكَـذِبِ

بني كُهَيْبَـةَ أنّ الحَرْبَ قـد لَقِحَتْ ... مَحْلُوبُها الصّابُ إذ تُمْرَى لِمُحْتَـلِبِ [٣]

فيهـا أُسُودُ بني النّجّارِ تَقْدُمُهـم ... شُهُبُ الأسِنّةِ في مُعْصَوْصَبٍ [٤] لَجِـبِ

قال ابنُ هشام : وهذه القَصيدَةُ مِثْلُ التي قَبْلَها ، وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِحسّانٍ وقد تَرَكْنا أشْياءَ قالها حسانٌ في أمرِ خُبَيْبٍ لِما ذَكَرْتُ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :

لَوْ كان في الدّارِ قَرْمٌ ماجِدٌ بَطِلٌ ... ألْوَى من القَوْمِ صَقْرٌ خالُـه أنَسُ

---

(١) النزق : السيئ الخلق .

(٢) أوعث : اشتد فساده .

(٣) لقحت : ازداد شرها . محلوبها : لبنها . الصاب : العلقم . تمري : تمسح .

(٤) المعصوصب : الجيش الكثير ، واللجب : الكثير الأصوات .

إذَن وجَدْتَ خُبَيْبًا مَجْلِسًا فَسِحًا وَلَمْ يُشَدّ عَلَيْكَ السّجْنُ والحَـــرس

وَلَمْ تَسُقْكَ إلى التنعيمِ زِعْنِفَـــــةٌ من القَبائِلِ منهم مَن نَفَتْ عُـدَسُ

دَلَوْكَ غَدْرًا وهم فيها أُولُو خُلُـفٍ وَأَنتَ ضَيْمٌ لها في الـــدّارِ مُحْتَبَسُ

قال ابنُ هشام : أَنَسُ الأَصَمّ السّلَمِيّ : خالُ مُطعِمِ بنِ عَديّ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ . وقَوْلُه من «نَفَتْ عُدَسُ» يَعْني حُجَيْرَ بنَ أبي إهابٍ ، ويُقالُ الأعشَى بنُ زُرارَةَ بنِ النّبّاشِ الأَسَديّ ، وكان حَليفًا لِبَني نَوْفَلِ بن عبدِ مَنافٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان الذينَ أجلَبوا [١] على خُبَيْبٍ في قَتْلِه حينَ قُتِلَ من قُرَيْشٍ : عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ ، وسَعيدُ بنُ عبدِ الله بنِ أبي قَيْسِ بنِ عبدِ وُدّ والأَخْنَسُ بنُ شَريقٍ الثّقَفِيّ ، حَليفُ بني زُهْرَةَ وعُبَيْدَةُ بنُ حَكيمِ بنِ أُمَيّةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الأَوْقَصِ السّلَمِيّ ، حَليفُ بني أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسٍ ، وأُمَيّةُ بنُ أبي عُتْبَةَ وبنُو الحَضْرَميّ .

وقال حسّانُ أيضًا يَهجُو هُذَيْلاً فيما صَنَعُوا بخُبَيْبِ بن عَديّ :

أَبْلِغْ بني عَمرٍو بأنّ أخاهــم شَراه امرُؤٌ قد كان لِلْغَدْرِ لازِما

شَراه زُهَيْرُ بنُ الأَغَرّ وجامِعٌ وَكانـا جَميعًا يَرْكَبانِ المَحارِمـــا

أَجَرْتُم فَلَمّا أن أَجَرْتُم غَدَرْتُم وَكُنْتُم بأَكْنافِ الرّجيعِ لَهاذِمـــا

فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخُنْه أمانَــةٌ وَلَيْتَ خُبَيْبًا كان بِالقَوْمِ عالِمـــا

قال ابنُ هشام : زُهَيْرُ بنُ الأَغَرّ وجامِعٌ الهُذَليّانِ اللّذانِ باعا خُبَيْبًا .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :**

إن سَرّكَ الغَدْرُ صِرْفًا لا مِزاجَ له فَأْتِ الرّجيعَ فَسَلْ عن دارِ لِحْيانَ

قَوْمٌ تَواصَوْا بأَكْلِ الجـارِ بَيْنَهُـــم فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنسانُ مِثْــلانِ

لَوْ يَنْطِقُ التّيْسُ يومًا قـامَ يَخْطُبُهم وَكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شـــانِ

قال ابنُ هشام : وأَنْشَدَني أبو زَيْدٍ الأَنْصاريّ قَوْلَه

لَوْ يَنْطِقُ التّيْسُ يومًا قامَ يَخْطُبُهم وَكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن إسحاق : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَهجُو هُذَيْلاً :**

سالتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحِشَةً ضَلّتْ هُذَيْلٌ بما سالتْ ولَمْ تُصِبِ

---

(١) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا .

سالُوا رسولهم ما ليس مُعْطيَهم حتى المَماتِ وكانوا سُبَّةَ العَرَب

وَلَن تَرَى لِهُذَيْلٍ داعِيًا أبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عن مَنْزِلِ الحَرَبِ[1] [٢٥/ب]

لَقد أرادُوا خِلال الفُحْشِ ويحَهم وَأن يُحِلّوا حَرامًا كان في الكُتُبِ

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَهجُو هُذَيْلاً :

لَعمري لَقد شانَتْ[2] هُذَيْلَ بنَ مُدْرِكٍ أحاديثُ كانَتْ في خُبَيْبٍ وعاصِمِ

أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بِقَبيحِها وَلِحْيانُ جَرّامُونَ شَرّ الجَرائِمِ

أُناسٌ هم مِن قَوْمِهِم في صَميمِهِم بِمَنْزِلَةِ الزِّمعانِ دُبْرَ القَوادِمِ

هم غَدَرُوا يومَ الرَّجيعِ وأسلَمَتْ أمانَتُهم ذا عِفّةٍ ومَكارِمِ

رسولَ رسولِ الله غَدْرًا ولم تَكُن هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَراتِ المَحارِمِ

فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يومًا عليهِم بِقَتْلِ الذي تَحْميه دُونَ الحَرائمِ

أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دُونَ لَحْمِه حَمَتْ لَحْمَ شَهّادٍ عِظامَ المَلاحِمِ

لَعَلّ هُذَيْلاً أن يَرَوْا بِمَصابِه مَصارِعَ قَتْلَى أوْ مَقامًا لِماتِمِ

وَنُوقِعَ فيهم وقْعَةً ذاتَ صَوْلَةٍ يُوافي بِها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسِمِ

بِأمرِ رسولِ الله إنّ رسولَه رَأى رَأيَ ذي حَزْمٍ بِلِحْيانَ عالِمِ

قُبَيْلَةٌ ليس الوَفاءُ يُهِمُّهم وَإن ظُلِمُوا لَمْ يَدفَعُوا كَفّ ظالِمِ

إذا النّاسُ حَلّوا بِالفَضاءِ رَأيتَهم بِمَجْرَى مَسيلِ الماءِ بَيْنَ المَخارِمِ

مَحَلّهم دارُ البَوارِ ورأيُهم إذا نابَهم أمرٌ كَرَأيِ البَهائِمِ

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَهجُو هُذَيْلاً :

لَحَى الله لِحْيانًا فَليستْ دِماؤُهم لَنا مِن قَتيلَيْ غَدْرَةٍ بِوَفاءِ

---

(١) الحرب : السلب .

(٢) شانت : عابت .

هُو قَتَلُوا يومَ الرّجيعِ ابنَ حُرّةٍ   أخا ثِقَــةٍ في وُدّه وصَفـــاءِ
فَلَوْ قُتِلُوا يومَ الرّجيعِ بأسْرِهِـــم   بِذي الدّبْرِ ما كانوا له بِكِفـــاءِ
قَتيلٌ حَمَتْه الدّبرُ بَيْنَ بُيُوتِهِـــم   لَدَى أهلِ كُفرٍ ظاهِرٍ وجَفـــاءِ
فقد قَتَلَتْ لِحيانُ أكْرَمَ منهـــم   وَباعُوا خُبَيْبًا وَيْلهم بلَفـــاءِ [١]
فأُفّ لِلحيانٍ على كُلّ حالـــةٍ   على ذِكْرِهِم في الذّكْـرِ كُلّ عَفاءِ
قُبَيّلـةٌ باللّؤْمِ والغَـــدْرِ تَغْتَرِي   فَلَم تُمْسِ يَخْفَى لُؤْمُهـــا بِخَفـــاءِ
فَلَوْ قُتِلُـــوا لَمْ تُوفِ مِنْه دِماؤُهم   بَلَى إنّ قَتْلَ القاتِليــه شِفـــائي
فالا أُمُتْ أذْعَرْ هُذَيْلاً بِغـــارَةٍ   كَغادي الجَهامِ المُغْتَدي بافاءِ [٢]
بأمرِ رسولِ الله والأمــرُ أمـــرُه   يَبيتُ لِلِحيانَ الخَنـــا بِفَنـــاءِ
يُصَبّحُ قَوْمًا بالرّجيـــعِ كأنّهـــم   جِداءُ شِتـــاءٍ بِتْنَ غَيْرَ دِفاءِ

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَهجُو هُذَيْلاً :

فَلا واللهِ ما تَدْرِي هُذَيْـلٌ   أصافٍ ماءُ زَمزَمَ أم مَشُوبُ
وَلا لهم إذا اعْتَمَرُوا وحَجّوا   من الحِجْرَيْنِ والمَسْعَى نَصيبُ
وَلكِنّ الرّجيعَ لهم مَحَـــلّ   به اللّؤْمُ المُبَيّنُ والعُيُـــوبُ
كأنّهم لَدَى الكَنّاتِ أُصُلاً   تُيُوسٌ بالحِجازِ لهـــا نَبيبُ
هم غَرّوا بِذِمّتِهِم خُبَيْبًـــا   فَبِئْسَ العَهْدُ عَهْدُهم الكَذُوبُ

قال ابنُ هشام : آخِرُها بَيْتًا عن أبي زَيْدٍ الأنصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِي خُبَيْبًا وأصْحابَهُ :**

صَلّى الإلَه على الذينَ تَتابَعُوا   يومَ الرّجيعِ فأُكْرِمُوا وأُثيبوا
رَأْسُ السّرِيّةِ مَرْثَدٌ وأميرُهـــم   وابنُ البُكَيْرِ إمامُهم وخُبَيْبُ
وابنٌ لِطارِقَ وابنُ دَثْنَةَ منهـــم   وافاه ثَمّ حِمامُه المكْتُـــوبُ
والعاصِمُ المَقْتُولُ عند رَجيعِهِـم   كَسَبَ المَعالِيَ إنّه لَكَسُـــوبُ

---

(١) اللفاء : الشئ الحقير اليسير .
(٢) أذعر : أفزع ، الغادي : المبكر ، الجهام : السحاب الرقيق .

مَنَـعَ المَقَادَةَ أن يَنالُوا ظَهْـــرَه   حتى يُجالِدَ إنه لَنَجيـبُ (١)

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى : حتى يُجَدَّلَ إنه لَنُجيبُ . قال : وأكْثَرُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانٍ .

غزوة بِئْرِ مَعُونَةَ [في صَفرٍ سَنَةَ أَرْبَع]

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ رسولُ الله ﷺ بَقِيَةَ شَوّالٍ وذا القَعْدَةِ وذا الحِجّـةِ - ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ والمُحَرّمَ - ثُمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أصْحابَ بِئْرِ مَعُونَةَ في صَفَرٍ على رَأسِ أرْبَعَةِ أشْهُرٍ من أُحُدٍ .

وَكان من حَديثِهم كَما حَدّثَني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ عن المُغيرَةِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ ابنِ الحارِثِ بنِ هشامٍ ، وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ مُحَمّدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، وغَيْرُه من أهلِ العِلْمِ قالُوا : قَدِمَ أبو بَراءٍ عامِرُ بنُ مالِكِ بنِ جَعْفَرٍ مُلاعِبُ الأسِنّةِ على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ ، فَعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودَعاه إلَيْه [٢٦/أ] فَلَم يُسْلِمْ ولَمْ يَبْعُدْ من الإسلامِ وقال : يا مُحَمّدُ لَوْ بَعَثْتَ رِجالاً من أصْحابِكَ إلى أهلِ نَجْدٍ ، فَدَعَوْهم إلى أمرِكَ ، رَجَوْتُ أن يَسْتَجيبوا لَكَ ؛ فَقالَ رسولُ الله ﷺ : «**إنّي أخْشَى عليهِم أهلَ نَجْدٍ**» قال أبو بَراءٍ . أنا لهم جارٌ فابْعَثْهم فَلْيَدْعُوا النّاسَ إلى أمرِكَ .

فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ المُنْذِرَ بنَ عمرٍو ، أخا بني ساعِدَةَ المُعْنِقَ لِيَمُوتَ في أرْبَعينَ رَجُلاً من أصْحابِه من خِيارِ المُسْلِمِينَ منهم الحارِثُ بنُ الصِّمّةِ وحَرامُ بنُ مِلْحانَ أخُو بني عَدِيّ بنِ النّجّارِ وعُرْوَةُ بنُ أسْماءَ بنِ الصّلْتِ السّلَمِيّ ، ونافِعُ بنُ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ الخُزاعِيّ ، وعامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ في رِجالٍ مُسَمّيْنَ من خِيارِ المُسْلِمينَ . فَسارُوا حتى نَزَلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ وهِيَ بَيْنَ أرْضِ بني عامِرٍ وحَرّةِ بني سُلَيْمٍ ، كِلا البَلَدَيْنِ منها قَريبٌ وهِيَ إلى حَرّةِ بني سُلَيْمٍ أقْرَبُ .

فَلَمّا نَزَلُوها بَعَثُوا حَرامَ بنَ مِلْحانَ بِكِتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عَدُوّ الله عامِرِ ابنِ الطُّفَيْلِ ؛ فَلَمّا أتاه لَم يَنْظُرْ في كِتابه حتى عَدا على الرّجُلِ فَقَتَلَه ثُمّ اسْتَصْرَخَ عليهِم بني عامِرٍ فأبَوْا أن يُجيبوه إلى ما دَعاهم إلَيْه وقالُوا : لَن نَخْفِرَ أبا بَراءٍ ، وقد عَقَدَ لهم عَقْدًا وجِوارًا ؛ فاسْتَصْرَخَ عليهِم قَبائِلَ من بني سُلَيْمٍ من عُصَيّةَ ورِعْلٍ وذَكْوانَ ، فأجابوه إلى ذلك فَخَرَجُوا حتى غَشُوا القَوْمَ فأحاطُوا بِهِم في رِحالِهم فَلَمّا رَأوْهم أخَذُوا سُيُوفَهم ثُمّ قاتَلُوهم حتى قُتِلُوا من عِندِ آخِرِهم يَرْحَمُهم الله إلاّ كَعْبَ بنَ

(١) المقادة : الانقياد والذلة . يجالد : يضارب بالسيف .

زَيْدِ أخا بني دينارِ بن النَجّارِ فإنهم تَرَكُوه وبه رَمَقٌ فارْتُثَ من بَيْنِ القَتْلَى ، فعاشَ حتى قُتِلَ يومَ الخَنْدَقِ شَهيدًا ، رَحِمَه الله .

وَكان في سَرْحِ القَوْمِ عمرُو بنُ أُمَيّةَ الضَمريّ ، ورَجُلٌ من الأنصارِ ، أحَدُ بني عمرِو بنِ عَوْفٍ . قال ابنُ هشامٍ : هُوَ المُنْذِرُ بنُ مُحَمّدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَم يُنبِئهما بمُصابِ أصْحابِهما إلاّ الطَيْرُ تَحُومُ على العَسْكَرِ فقال والله إنّ لهذه الطَيْرِ لَشَأْنًا ، فَأقْبَلا لينظُرا ، فإذا القَوْمُ في دِمائِهم وإذا الخَيْلُ التي أصابَتْهم واقِفَةٌ . فقال الأنصاريّ لِعمرو بنِ أُمَيّةَ ما تَرَى ؟ قال أرَى أن نَلْحَقَ برسولِ الله ﷺ فَنُخْبِرَه الخَبَرَ ، فقال الأنصاريّ : لَكِنّي ما كُنتُ لأرْغَبَ بِنَفْسي عن مَوْطِنٍ قُتِلَ فيه المُنْذِرُ بنُ عمرٍو ، وما كُنتُ لِتُخْبِرَني عنه الرّجالُ ثُمّ قاتَلَ القَوْمَ حتى قُتِلَ وأخَذُوا عمرَو بنَ أُمَيّةَ أسيرًا ؛ فَلَمّا أخْبَرَهم أنّه من مُضَرَ ، أطْلَقَه عامِرُ ابنُ الطُفَيْلِ ، وجَزّ ناصيتَه وأعْتَقَه عن رَقَبَةٍ زَعمَ أنّها كانَتْ على أُمّهِ فَخَرَجَ عمرُو بنُ أُمَيّةَ حتى إذا كان بالقَرْقَرَةِ من صَدْرِ قَناةٍ ، أقْبَلَ رَجُلانِ من بني عامِرٍ .

قال ابنُ هشام : ثُمّ من بني كِلابٍ وذَكَرَ أبو عمرٍو المَدَنِيّ أنّهما من بني سُلَيْمٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : حتى نَزَلا مَعَه في ظِلّ هُوَ فيه . وَكان مع العامِرِيّيْنِ عَقْدٌ من رسولِ الله ﷺ وجِوارٌ لَم يَعْلَم به عمرُو بنُ أُمَيّةَ وقد سَألهما حينَ نَزَلا ، مِمّن أنتُما ؟ فَقالا : من بني عامرٍ فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عَدا عليهما فَقَتَلَهما ، وهو يَرَى أنه قد أصابَ بِهما ثُؤْرَةً من بني عامِرٍ فيما أصابوا من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ فَلَمّا قَدِمَ عمرُو بنُ أُمَيّةَ على رسولِ الله ﷺ فأخْبَرَه الخَبَرَ ، قال رسولُ الله ﷺ : «لَقد قَتَلْتَ قَتيلَيْنِ لأدِيَنّهما» ثُمّ قال رسولُ الله ﷺ **«هذا عَمَلُ أبي بَراءٍ ، قد كُنت لِهذا كارِهًا مُتَخَوّفًا»** فَبَلَغَ ذلك أبا بَراءٍ فَشَقّ عليه إخفارُ عامِرٍ إيّاه وما أصابَ أصْحابَ رسولِ الله ﷺ بِسَبَبه وجِوارِه وكان فيمَن أُصيبَ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ .

[أمرُ ابن فُهَيْرَةَ بعد مَقْتَلِه] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثني هشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه أنّ عامِرَ بنَ الطُفَيْلِ كان يقول مَن رَجُلٌ منهم لَمّا قُتِلَ رَأيْته رُفِعَ بَيْنَ السّماءِ والأرْضِ حتى رَأيْت السّماءَ من دُونِه ؟ قالُوا : هُوَ عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقد حَدّثَني بَعْضُ بني جَبّارِ بنِ سَلْمَى بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرٍ ، قال - وكان جَبّارٌ فيمَن حَضَرَها يومَئِذٍ مع عامِرٍ ثُمّ أسْلَمَ - قال : فكان يقول إنّ مِمّا دَعاني إلى الإسلام أنّي طَعَنْتُ رَجُلاً منهم يومَئِذٍ بالرّمْحِ بَيْنَ كَتِفَيْه [٢٦/ب] فَنَظَرْتُ إلى سِنانِ الرّمْحِ حينَ خَرَجَ من

صَدْرِه فَسَمِعْته يقول فُزْتُ والله فَقُلْت في نَفْسي : ما فازَ أَلَسْتُ قد قَتَلْتُ الرَّجُلَ قال حتى سأَلْت بعد ذلك عن قَوْلِه فَقالُوا : لِلشَّهادَةِ فَقُلْت : فازَ لَعمرِ الله .

قال ابنُ إسحاق : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يُحَرِّضُ بني أَبي بَراءٍ على عامِرِ بنِ الطُّفَيْلِ :**

بني أُمِّ البنينَ أَلَمْ يَرُعْكُـــم ... وَأَنْتُم من ذَوائِبِ أهلِ نَجْــدِ

تَهَكُّمُ عامِرٍ بِأبـــي بَراءٍ ... لِيُخْفِرَه وما خَطأٌ كَعمـــدِ

ألا أَبْلِغْ رَبيعَةَ ذا المَساعي[1] ... فَما أَحْدَثْتَ في الحَدَثانِ بَعْدي

أَبوك أَبو الحُرُوبِ أَبــو بَراءٍ ... وَخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بنُ سَعْــدِ

قال ابنُ هشام : حَكَمُ بنُ سَعْدٍ من القَيْنِ بن جَسْرٍ ، وأُمّ البنينَ بِنْتُ عمرِو ابن عامِرِ بنِ رَبيعَةَ بن عامِرِ بن صَعْصَعَةَ وهيَ أُمّ أبي بَراءٍ .

قال ابنُ إسحاق :فَحَمَلَ رَبيعَةُ بنُ عامِرِ بنِ مالِكٍ على عامِرِ بنِ الطُّفَيْلِ ، فَطَعَنَه بِالرُّمحِ فَوَقَعَ في فَخِذِه فَأَشْواه ووَقَعَ عن فَرَسِه فَقال هذا عمَلُ أَبي بَراءٍ ، إن أَمُتْ فَدَمي لِعمّي ، فَلا يُتْبَعَنّ به وإن أَعِشْ فَسَأَرَى رَأْيي فيما أُتِيَ إليّ .

[مَقْتَلُ ابنِ ورقاءَ ورِثاءُ ابنِ رَواحَةَ له] :

وَقال أَنَسُ بنُ عبّاسٍ السّلَمِيّ ، وكان خال طُعَيْمَةَ بنَ عَديّ بنِ نَوْفَلٍ ، وقَتَلَ يومَئِذٍ نافِعَ بنَ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ الخُزاعيّ :

تَرَكْتُ ابنَ ورْقاءَ الخُزاعيّ ثاوِيًا ... بِمُعْتَرَكٍ تَسْفي عليه الأعاصِرُ [2]

ذَكَرْتُ أَبا الرّيّانِ لَمّا رَأَيْتُـــه ... وَأَيْقَنْت أَنّي عند ذلك ثائِرُ [3]

وَأَبو الرّيّانِ طُعَيْمَةُ بنُ عَديّ .

وقال عبدُ الله بنُ رَواحَةَ يَبْكي نافِعَ بنَ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ :

رَحِمَ الله نافِعَ بنَ بُدَيْــلِ ... رَحْمَةَ المُبْتَغي ثَوابَ الجِهــادِ

صابِرٌ صادِقٌ وفِيّ إذا ما ... أَكْثَرَ القَوْمُ قال قَوْلَ السّدادِ

---

(١) المساعي : السعي في طلب المجد والمكارم .

(٢) المعترك : الموضع الضيق في الحرب . الأعاصر : الرياح التي يلتف معها الغبار .

(٣) ثائر : آخذ بثأري .

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَبكي قَتْلَى بئرِ مَعُونَةَ ، ويخُصّ المُنْذِرَ بنَ عمرٍو :

على قَتْلَى مَعُونَةَ فاستهِلّي ... بدَمعِ العَيْنِ سَحًا غَيْرَ نَزْرِ [1]

على خَيْلِ الرّسُولِ غَداةَ لاقَوْا ... ولاقَتْهم مَناياهم بِقَدرِ

[أصابهم الفَناءُ بِعَقْدِ قَومٍ ... تُخُوِّنَ عَقْدُ حَبْلِهم بِغَدْرِ]

فَيا لَهَفي لِمُنْذِرٍ إذْ تَوَلَّى ... وَأعْنَقَ [2] في مَنِيّتِه بِصَبْرِ

وَكائِن قد أُصيبَ غَداةَ ذاكُم ... من أبيَضَ ماجِدٍ من سِرّ عمرِو

قال ابنُ هشام : أنْشَدَني آخِرَها بَيْتًا أبو زَيْدٍ الأنصاريّ .

وأنْشَدَني لِكَعْبِ بن مالِكٍ في يوم بِئْرِ مَعُونَةَ ، يُعيّرُ بني جَعْفَرِ بن كِلابٍ

تَرَكْتُم جارَكُم لِبني سُلَيْمٍ ... مَخافَةَ حَرْبِهِم عَجْزًا وهُونا

فَلَوْ حَبْلاً تَناوَلَ من عُقَيْلٍ ... لَمَدّ بِحَبْلِها حَبْلاً مَتينا

أوِ القُرَطاءُ ما إن أسلَمُوه ... وَقِدْمًا ما وفَوْا إذْ لا تَفُونا

قال ابنُ هشام : القُرَطاءُ قَبيلَةٌ من هَوازِنَ ، ويُرْوَى «من نُفَيْلٍ» مَكان «من عُقَيْلٍ» ، وهو الصّحيحُ لأنّ القُرَطاءَ من نُفَيْلٍ قَريبٌ .

أمرُ إجلاءِ بني النَّضيرِ [في سَنَةِ أربَعٍ]

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى بني النّضيرِ يَستَعينُهم في ديَةِ ذَيْنِك القَتيلَيْنِ من بني عامِرٍ اللّذَيْنِ قَتَلَ عمرُو بنُ أُمَيّةَ الضّمريّ ، لِلْجوارِ الذي كان رسولُ الله ﷺ عَقَدَ لهما ، كَما حَدّثني يَزيدُ بنُ رُومانَ ، وكان بَيْنَ بني النّضيرِ وبَيْنَ بني عامِرٍ عَقْدٌ وحِلْفٌ . فَلَمّا أتاهم رسولُ الله ﷺ يَستَعينُهم في دِيَةِ ذَيْنِك القَتيلَيْنِ قالُوا نَعم يا أبا القاسِمِ نُعينُك على ما أحْبَبْت ، مِمّا استَعَنْت بنا عليه ثُمّ خَلا بَعْضُهم بِبَعْضٍ فَقالُوا : إنّكُم لَن تَجِدُوا الرّجُلَ على مِثْلِ حالِه هذه - ورسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِ جِدارٍ من بُيُوتِهِم قاعِدٌ - فَمَن رَجُلٌ يَعْلُو على هذا البَيْتِ فَيُلْقي عليه صَخْرَةً فَيُريحُنا مِنه ؟ فانْتَدَبَ لِذلك عمرُو بنُ جَحّاشِ بنِ كَعْبٍ ، أحَدُهم فَقال : أنا لِذلك ، فَصَعِدَ لِيُلْقيَ عليه صَخرَةً كَما قال ورسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه فيهم أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وعَليّ . [رِضوانُ الله عليهم] .

---

(١) استهلي : أسيلي دمعك . السح : الصب . النزر : القليل .

(٢) أعنق : أسرع .

فَأَتَى رسولَ الله ﷺ الخَبَرُ من السَّماءِ بما أرادَ القَومُ فقامَ وخَرَجَ راجِعًا إلى المَدينةِ . فَلَمّا استَلْبَثَ النّبيّ ﷺ أصحابُه قاموا في طَلَبِه فَلَقُوا رَجُلاً مُقبِلاً من المَدينةِ ، فَسَأَلُوه عنه فقال رَأيتُه داخِلاً المَدينةَ . فأقْبَلَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ حتى انْتَهَوْا إليه ﷺ فأخبَرَهم الخَبَرَ ، بما كانَتِ اليَهودُ أرادَتْ من الغَدْرِ به وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالتَّهَيّؤ لِحَرْبِهم والسَّيْرِ إليْهم . واستَعْمَلَ [٢٧/أ] على المَدينةِ ابنَ أُمّ مَكْتُومٍ فيما قال ابن هشام .

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ سارَ بِالنّاسِ حتى نَزَلَ بِهم . قال ابنُ هشامٍ : وذلك في شَهرِ رَبيعٍ الأوّلِ فَحاصَرَهم سِتّ لَيالٍ ونَزَلَ تَحْريمُ الخَمرِ

[حصارُ الرّسُولِ لهم وتَقْطيعُ نَخْلِهم] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَتَحَصّنُوا مِنه في الحُصُونِ فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَطْعِ النّخيلِ والتّحْريقِ فيها ، فَنادَوْه أن يا مُحَمّدُ قد كُنْتَ تَنْهَى عن الفَسادِ ، وتَعيبُه على مَن صَنَعَه فَما بالُ قَطْعِ النّخْلِ وتَحْرِيقِها ؟

وَقد كان رَهْطٌ من بني عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ ، منهم [عَدُوّ الله] عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنِ سَلُولَ و وديعَةُ ومالِكُ بنُ أبي قَوْقَلٍ وسُوَيْدُ وداعِسٌ قد بَعَثُوا إلى بني النّضيرِ : أن اثْبُتُوا وتَمَنّعُوا ، فإنّا لَن نُسَلِّمَكُم إن قُوتِلْتُم قاتَلْنا مَعَكُم وإن أُخرِجْتُم خَرَجْنا مَعَكُم فَتَرَبّصُوا ذلك من نَصْرِهِم فَلَم يَفعَلُوا ، وقَذَفَ الله في قُلُوبِهِم الرّعْبَ وسَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أن يُجْلِيَهم ويَكُفّ عن دِمائِهِم على أنّ لهم ما حَمَلَتِ الإبِلُ من أموالِهِم إلاّ الحَلْقَةَ فَفَعَلَ . فاحْتَمَلُوا من أموالِهم ما استَقَلّتْ به الإبِلُ فكانَ الرّجُلُ منهم يَهدِمُ بَيْتَه عن نِجافِ بابِه فَيَضَعُه على ظَهرِ بَعيرِه فَيَنْطَلِقُ به . فَخَرَجُوا إلى خَيْبَرَ ومنهم مَن سارَ إلى الشّام .

فكانَ أشْرافُهم مَمّن سارَ منهم إلى خَيْبَرَ : سَلاّمُ بنُ أبي الحَقيقِ وكِنانَةُ بنُ الرّبيعِ ابنِ أبي الحَقيقِ ، وحُيَيّ بنُ أخْطَبَ . فَلَمّا نَزَلُوها دانَ لهم أهلُها .

قالَ ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكرٍ أنّه حُدّثَ أنّهم استَقَلّوا بِالنّساءِ والأبناءِ والأموالِ مَعَهم الدّفُوفُ والمَزاميرُ والقِيانُ يَعْزِفْنَ خَلْفَهم وإنّ فيهم لأُمّ عمرٍو صاحِبَةَ عُرْوَةَ بنِ الوَرْدِ العَبْسيّ ، التي ابْتاعُوا مِنه وكانَتْ إحْدَى نِساءِ بني غِفارٍ ، بِزُهاءٍ وفَخْرٍ ما رُئِيَ مِثْلُه من حَيّ من النّاسِ في زَمانِهِم .

[تَقْسيمُ الرّسُولِ أموالَهم بَيْنَ المهاجِرين] :

وَخَلَّوْا الأموالَ لِرسولِ الله ﷺ فكانَ لِرسولِ الله ﷺ خاصّةً يَضَعُها حَيْثُ يَشاءُ فَقَسَمَها

رسولُ الله ﷺ على المهاجرينَ الأوّلينَ دُونَ الأنصارِ . إلاّ أنّ سَهْلَ ابنَ حُنَيْفٍ وأبا دُجانَةَ سِماكَ ابنَ خَرَشَةَ ذَكَرا فَقْرًا ، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ . وَلَم يُسْلِم من بني النّضيرِ إلاّ رَجُلانِ يامينُ بنُ عُمَيْرٍ ، أبو كَعْبِ بنُ عمرِو بنِ جِحاشٍ ؛ وأبو سَعْدِ بنُ وهْبٍ ، أسلَمَا على أموالِهِما فَأحْرَزاها .

قال ابنُ إسحاق - وقد حَدّثَني بَعْضُ آلِ يامينَ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال ليامينَ : «أَلَمْ تَرَ ما لَقيتُ من ابنِ عمّك ، وما هم به من شَأني ؟» فَجَعَلَ يامينُ بنُ عُمَيْرٍ لِرَجُلٍ جُعْلاً على أن يَقْتُلَ له عمرَو بنَ جِحاشٍ ، فَقَتَلَه فيما يَزْعُمُونَ .

[ما نَزَلَ في بني النّضيرِ من القُرآنِ] :

وَنَزَلَ في بني النّضيرِ سُورَةُ الحَشْرِ بأسْرِها ، يَذْكُرُ فيها ما أصابَهم الله بِه من نِقْمَتِه . وما سَلّطَ عليهم به رسولَه ﷺ وما عمِلَ به فيهم فقال تعالى : ﴿**هُوَ الذي أخْرَجَ الذينَ كَفَرُوا من أهلِ الكِتابِ من ديارِهِم لأوّلِ الحَشْرِ ما ظَنَنْتُم أن يَخْرُجُوا وظَنّوا أنّهم مانِعَتُهُم حُصُونُهم مِنَ الله فأتاهمُ الله من حَيْثُ لَم يَحْتَسِبوا وقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ يُخْرِبونَ بُيُوتَهم بأيْديهم وأيْدي المُؤْمنينَ**﴾ وَذلك لِهَدْمِهِم بُيُوتَهم عن نُجُفِ أبوابِهِم إذا احْتَمَلُوها . ﴿**فاعْتَبِرُوا يا أُولي الأبْصارِ ولَوْلا أن كَتَبَ الله عليهِمُ الجَلاءَ**﴾ وَكان لهم من الله نِقْمَةٌ ﴿**لَعَذّبَهم في الدّنيا**﴾ أيْ بالسّيْفِ ﴿**وَلَهم في الآخِرَةِ عَذابُ النّارِ**﴾ مع ذلك . ﴿**ما قَطَعْتُم من لينَةٍ أوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِها**﴾ واللّينَةُ ما خالفَ العَجْوَةَ من النّخلِ ﴿**فَبِإذْنِ الله**﴾ أيْ فَبِأمرِ الله قُطِعَتْ لَمْ يَكُن فَسادًا ، ولَكِن كان نِقْمَةً من الله ﴿**وَلِيُخْزِيَ الفاسِقينَ**﴾ قال ابنُ هشام : اللّينَةُ من الألْوانِ وهيَ ما لَمْ تَكُن بَرْنِيّةً ولا عَجْوَةً من النّخلِ فيما حَدّثَنا أبو عُبَيْدَةَ . قال ذُو الرّمّةِ :

كَأنّ قُتُودي فَوْقَها عُشّ طائرٍ على لينَةٍ سَوْقاءَ تَهْفُو جُنُوبُها

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ لـه [٢٧/ب] . ﴿**وَما أفاءَ الله على رسولِه منهم**﴾ .

يَعْني من بني النّضيرِ - ﴿**فَما أوْجَفْتُم عليه من خَيْلٍ ولا رِكابٍ ولَكِنّ الله يُسَلّطُ رُسُلَه على مَن يَشاءُ والله على كُلّ شيءٍ قَديرٌ**﴾ أيْ له خاصّةً . قال ابنُ هشامٍ : أوْجَفْتُم حَرّكْتُم وأتْعَبْتُم في السّيْرِ . قال تَميمُ بنُ أُبَيّ بنِ مُقْبِلٍ أحَدُ بني عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ :

مَذاويدُ بالبيضِ الحَديثِ صِقالُها عن الرّكْبِ أحْيانًا إذا الرّكْبُ أوْجَفُوا

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له وهو الوَجيفُ . وقال أبو زُبَيْدٍ الطّائيّ واسْمُه حَرْمَلَةُ ابنُ المُنْذِرِ :

مُسْنِفاتٌ كأنّهنّ قَنا الهِنْدِ لِطُولِ الوَجيفِ جَدْبَ المَرْودِ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ لـه [قال ابنُ هشام : السّنافُ البِطانُ] . والوَجيفُ أيضًا : وجيفُ

القَلْبِ والكَبِدِ وهو الضَرَبانُ . قال قَيْسُ بنُ الخَطيم الظَفَرِيّ :

إنّا وإن قَدّمُوا التي عَلِمُوا　　أكبادُنا من ورائِهم تَجِفُ

وَهـذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ لـه . ﴿**ما أفاءَ اللهُ على رسولِه من أهلِ القُرى**﴾ . قال ابنُ إسحاقَ : ما يُوجِفُ عليه المُسلِمُونَ بالخَيْلِ والرِّكابِ وفُتِحَ بالحَرْبِ عَنْوَةً ﴿**فَلِلّه ولِلرّسُولِ ولِذي القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وابنِ السّبيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأغْنياءِ مِنْكُمْ وما آتاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوه وما نَهاكُمْ عنه**﴾ يقول هذا قِسْمٌ آخَرُ فيما أُصِيبَ بالحَرْبِ بَيْنَ المُسْلِمينَ على ما وضَعَه اللهُ عليه . ثُمّ قال تَعالى : ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الذينَ نافَقُوا**﴾ يَعْني عبدَ الله بنَ أُبَيّ وأصْحابَه ومَن كان على مِثْلِ أمرِهِم ﴿**يقولونَ لإخوانِهِمُ الذينَ كَفَرُوا من أهلِ الكِتابِ**﴾ يَعْني بني النّضيرِ إلى قَوْلِه ﴿**كَمَثَلِ الذينَ من قَبْلِهِم قَرِيبًا ذاقُوا وبالَ أمرِهِم ولهم عَذابٌ أليمٌ**﴾ يَعْني بني قَيْنُقاعَ . ثُمّ القِصّةُ . . . إلى قَوْلِه ﴿**كَمَثَلِ الشّيْطانِ إذْ قال لِلإنسانِ اكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قال إنّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنّي أخافُ اللهَ رَبّ العالمينَ فَكان عاقِبَتَهُما أنّهما في النّارِ خالِدَيْنِ فيها وذلك جَزاءُ الظّالِمينَ**﴾ وَكان مِمّا قيلَ في بني النّضيرِ من الشّعْرِ قَوْلُ ابنِ لُقَيْم العَبْسيّ ويُقالُ قاله قَيْسُ بنُ بَحْرِ بنِ طَريفٍ .

قال ابنُ هشام : قَيْسُ بنُ بَحْرٍ الأشْجَعِيّ - فقال :

أهلي فِداءٌ لامرِئٍ غَيْرِ هالِكٍ　　أحَلّ اليَهُودَ بالحَسِيّ المُزَنّمِ

يَقيلُونَ في جَمرِ الغَضاةِ [1] وبُدّلُوا　　أُهَيْضِبَ عُودى بالوَدِيّ المُكَمّمِ [2]

فَإن يَكُ ظَنّي صادِقًا بمُحَمّدٍ　　تَرَوْا خَيْلَه بَيْنَ الصّلا ويَرَمْرَمِ [3]

يَؤُمّ بِها عمرَو بنَ بُهْثَةَ إنّهم　　عدُوّ وما حَيّ صَديقٌ كَمُجْرِمِ

عليهنّ أبطالٌ مَساعيرُ في الوَغَى　　يَهُزّونَ أطرافَ الوَشيجِ [4] المُقَوّمِ

وَكُلّ رَقيقِ الشّفْرَتَيْنِ مُهَنّدٍ　　تُوُورِثْنَ من أزمانِ عادٍ وجُرْهُمِ

فَمَن مُبْلِغٌ عَنّي قُرَيْشًا رِسالَةً　　فَهَلْ بعدهم في المَجْدِ من مُتَكَرّمِ

بأنّ أخاكُم فاعلَمُنّ مُحَمّدًا　　تَليدُ النّدَى بَيْنَ الحَجُونِ وَزَمْزَمِ

---

(١) الغضاة : واحدة الغض وهو شجر .

(٢) الأهيضب : المكان المرتفع .

الودي : صغار النحل . المكم : الذي خرج طلعه .

(٣) الصلا ويرمرم : موضعان .

(٤) الوشيج : الرماح .

فَدينُوا له بالحَــــقِّ تَجْسُمْ أُمورُكُمْ وَتَسمُوا من الدّنيا إلى كُــــلِّ مُعْظَمِ
نَبيّ تَلاقَتْه مــــن الله رَحْمَــــةٌ وَلا تَسْألُوه أمرَ غَيْبٍ مُرَجّــــمِ (١)
فقد كان في بَدْرٍ لَعمــــري عِبْرَةٌ إليكُمْ يا قُرَيْشًا والقَليبِ الملَمَّــــمِ (٢)
غَداةَ أتَى في الخَزْرَجيّةِ عامِــــدًا إليكُمْ مُطيعًا لِلعَظيــــمِ المكَــــرّمِ
مُعانًا بِرُوحِ القُدُسِ يُنْكَى عَــــدُوّه رسولاً من الرّحْمَنِ حَقّــــا بِمَعْلَــــمِ
رسولاً من الرّحْمَنِ يَتْلُــــو كِتابَــــه فَلَمّا أنارَ الحَــــقُّ لَــــمْ يَتَلَعْثَــــمِ
أرَى أمْرَه يَزْدادُ في كُــــلّ مَــــوْطِنٍ عُلُوّا لأمرٍ حَمّــــه (٣) الله مُحْكَــــمِ

قال ابنُ هشامٍ : عمرُو بنُ بُهْثَةَ ، من غَطَفانَ . وَقَوْلُه « بالحَسيِ المُرَتّمِ » عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال عَليّ بنُ أبي طالِبٍ : يَذْكُرُ إجْلاءَ بني النّضيرِ وقَتْلَ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ . قال ابنُ هشامٍ : قالها رَجُلٌ من المُسْلِمينَ غَيْرُ عَليّ بن أبي طالِبٍ ، فيما ذَكَرَ لي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ ولَمْ أرَ أحَدًا منهم يَعْرِفُها لِعَليّ

عَرَفْتُ ومَن يَعْتَدِلْ يَعْـرِفِ وَأيْقَنْتُ حَقّا ولَمْ أصْـدِفِ
عن الكَلِمِ المُحْكَمِ اللآءِ مــــن عن الكَلِمِ المُحْكَمِ اللآءِ مــــن
رسائِلُ تُدْرس في المُؤْمِنيـنَ بِهِنّ اصْطَفَى أحْمَدَ المُصْطَفَى
فَأصْبَحَ أحْمَدُ فينا عَزيــــزًا عَزيزَ المُقامَــةِ والمَوْقــــفِ
فَيَأيّها المُوعَــــدُوه سَفاهًــــا وَلَمْ يَأتِ جَوْرًا ولَمْ يَعْنُفِ (٤)
ألَسْتُم تَخافُونَ أدْنَى العَذاب وَما آمِنُ الله كالأخْــــوَفِ
وَأن تُصْرَعُوا تَحْتَ أسْيافِــه كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أبي الأشْــرَفِ
غَــــداةَ رَأى الله طُغْيانَــــه وَأعْرَضَ كالجَمَلِ الأجْنَفِ (٥)

---

(١) المرجم : المظنون الذي لا يتيقن .
(٢) الملمم : المجموع .
(٣) حمه : قدرة .
(٤) الموعدوه : المهددوه . السفاه : الضلال . لم يعنف : لم يأت غير الرفق .
(٥) الأجنف : المائل إلى جهة .

فَأَنــــزَلَ جبْرِيلَ في قَتْلِـــه بِوَحْيٍ إلى عبدِه مُلْطَــــفِ
فَدَسّ الرّسولُ رسولاً لــــه بأبْيَضَ ذي هَبّةٍ مُرْهَــفِ (١)
فَباتَتْ عُيونٌ له مُعْــولاتٍ مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ لها تَـــذْرِفِ
وَقُلْنَ لأحْمَدَ ذَرْنا قَليـــلاً فإنّا من النّوْحِ لَـم نَشْتَــفِ
فَخَلاّهم ثُمّ قــال اظْعَنُـــوا دُحُورًا على رَغْـمِ الآنُفِ (٢)
وَأجلَى النّضيرَ إلى غُرْبَـــةٍ وكانوا بِــدارِ ذَوِي زُخْــرُفِ
إلى أذْرِعاتٍ رُدافَى وهـــم على كُــلّ ذي دَبَــرٍ أعْجَفِ

فأجابَه سَمّاكٌ اليَهودِيّ ، فقال :

إن تَفْخَرُوا فهو فَخْرٌ لَكُـــم بِمَقْتَلِ كَعْبِ أبِي الأشْرَفِ
غَداةَ غَدَوْتُم على حَتْفِـــه وَلَمْ يَأتِ غَدرًا ولَمْ يُخْلِـفِ
فَعَلّ اللّيالِيَ وصَرْفَ الدّهُورَ يُديلُ من العادِلِ المُنْصِفِ
بِقَتْــلِ النّضيرِ وأحْلافِهـــا وَعَقْرِ النّخيلِ ولَمْ تُقْطَــفِ
فَــإن لا أمُتْ نَأتِكُمْ بالقَنا وَكُلّ حُسامٍ مَعًا مُرْهَــفِ
بِكَفّ كَمِيّ بِـــه يَحْتَمِــي مَتَى يَلْقَ قِرْنًا له يُتْلِـــفِ
مَعَ القَوْمِ صَخْرٌ وأشْياعُـــهُ إذا غاوَرَ القَوْمَ لَمْ يَضْعُــفِ
كَلَيْثٍ بِتَرْجِ حَمَى غيلَـــه أخِي غابَةٍ هاصِرٍ أجْـوَفِ (٣)

قال ابنُ إسحاقَ : وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ يَذْكُرُ إجْلاءَ بني النّضِيرِ وقَتْلَ كَعْبِ ابنِ الأشْرَفِ

لَقَد خَزِيَتْ بِغَدْرَتِها الحُبورُ كَذاكَ الدّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ (٤)
وَذلك أنّهـــم كَفَرُوا بِربٍ عَزِيزٍ أمــــرُه أمـــرٌ كَبيـــرُ
وَقد أُوتُوا مَعًـــا فَهْمًا وعِلْمًا وَجاءَهـــم مـــن الله النّذيرُ
نَذيرٌ صادِقٌ أدّى كِتـــابًا وَآيـــاتٍ مُبَيّنَـــةً تُنيـــرُ

---

(١) الهبة : الاهتزاز . المرهف : القاطع .

(٢) اظعنوا : ارحلوا . الدحور : الذل والهوان . الآنف : جمع أنف .

(٣) ترج : جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود . الغيل : أجمة الأسد . الأجوف : العظيم الجوف .

(٤) الحبور : جمع حبر وهو العالم ويريد بالحبور أحبار اليهود .

فقالُوا ما أتَيْتَ بأمرِ صِـدْقٍ   وَأنتَ بمُنـــكَرٍ مِنّــا جَديـــرُ
فَقال بَلَى لَقَــد أدّيْتُ حَقًا   يُصَدّقُني به الفَهِـــمُ الخَبيـــرُ
فَمَن يَتْبَعْه يُهدَ لِكُــلّ رُشْدٍ   وَمَن يَكْفُرْ بـــه يُجْزَ الكَفُـــورَ
فَلَمّا أُشْرِبوا غَدرًا وكُفــــرًا   وَحادَ بِهِم عـــن الحَـــقّ النفُورِ
أرَى اللهُ النّبيّ بِرأيِ صَـدْقٍ   وَكان اللهُ يَحْكُـــمُ لا يَجُـــورُ
فَأيّدَه وسَلّطَـــه عليهِـــم   وَكان نَصيرُه نِعْـــمَ النّصــــيرِ
فَغُودِرَ منهم كَعْبٌ صَريعًــا   فَذَلّتْ بعـــد مَصْرَعِه النّضيــــرُ
على الكَفّيْنِ ثَمّ وقد عَلَتْـــهُ   بأيْدينـــا مُشَهّـــرَةٌ ذُكُورُ [1]
بِأمـــرِ مُحَمّدٍ إذ دَسّ لَيْـــلاً   إلى كَعْبٍ أخــــا كَعْبٍ يَسيرُ
فَمـــا كَـــرِهَ فأنْزَلَه بمَكْرٍ   وَمَحْمُودٌ أخُو ثِقَـــةٍ جَسُـــورُ
فَتِلْكَ بنُو النّضيرِ بِـدارِ سَوْءٍ   أبارَهم بمـــا اجْتَرَمُـــوا المُبيرُ
غَداةَ أتاهم في الزّحْـفِ رَهْوًا   رسولُ اللهِ وهْـــوَ بِهِم بَصيـــرُ
وَغَسّانَ الحُماةَ مُـــوازِرُوه   على الأعْداءِ وهْوَ لهـــم وزيـــرُ
فَقال السّلمَ ويْحَكُـــم فَصَدّوا   وَحالَفَ أمرَهم كَـــذِبٌ وزُورُ
فَذاقُوا غِبّ أمرِهِـــم وبالاً   لِكُلّ ثَلاثَـــةٍ منهـــم بَعيـــرُ
وَأجلَوْا عامِديـــنَ لِقَيْنُقــاعَ   وَغُودِرَ منهـــم نَخْـــلٌ ودُورُ

فَأجابه سَمّاكٌ اليَهوديّ ، فقال :

أرِقْتُ وضافَني هَـــمّ كَبيرُ   بِلَيْلٍ غَيْرُه لَيْلٌ قَصيـــرُ
أرَى الأحْبارَ تُنْكِرُه جَميعًـا   وَكُلّهم له عِلْمٌ خَبيـــرُ
وَكانوا الدّارِسِينَ لِكُلّ عِلْمٍ   به التّوْراةُ تَنْطِقُ والزّبـــورُ
قَتَلْتُم سَيّدَ الأحْبارِ كَعْبًـــا   وَقِدْمًا كان يَأمَنُ مَن يُجيرُ
تَدَلّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أخيــــهِ   وَمَحْمُودٌ سَريرَتُه الفُجُـــورُ
فَغادَرَه كَأنّ دَمًـــا نَجيعًا   يَسيلُ على مَدارِعِه عَبيـــرُ

---

(١) مشهرة ذكور : سيوف مسلولة من أغمادها ، قوية قاطعة .

فُقِدَ وأبيكُـم وأبي جَميعًـا أُصيبَتْ إذْ أُصيبَ به النّضيرُ
فإن نَسلَمْ لَكُمْ نَترُكْ رجـالاً بِكَعْبٍ حَوْلهم طَيْرٌ تَـدُورُ
كأنهم عَتائِرُ [1] يـومَ عيدٍ تُذَبَّحُ وهْيَ ليس لها نَكيـرُ
بِبِيضٍ لا تُليقُ [2] لَهُنّ عَظْمًا صَوافي الحَدّ أكثَرُها ذُكُـورُ
كَما لاقَيْتُم من بَأْسِ صَخْرٍ [3] بِأُحُدٍ حَيْثُ ليس لَكُمْ نَصيـرُ

وقال عبّاسُ بنُ مِرداسٍ أخُو بني سُليمٍ يمتدحُ رجالَ بني النّضيرِ : [٢٨/ب]

لَوَ أنّ أهـلَ الدّارِ لَمْ يَتَصَدّعُوا رَأيْتَ خِلالَ الدّارِ مَلْهًى ومَلْعَبا
فإنّكَ عَمـري هَلْ أُريكَ ظَعائِنـا سَلَكْنَ على رُكْنِ الشّطـاةِ فَتَيْأبا
عليهِنّ عِيـنٌ مِـنْ ظِباءِ تَبالةٍ أوانِسُ يُصْبِينَ [4] الحَليمَ المُجَرّبا
إذا جـاءَ باغي الخَيْرِ قُلْنَ فُجاءَةً له بِوُجُوهٍ كالدّنانيـرِ مَرْحَبـا
وأهلاً فَلا مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَـه وَلا أنتَ تَخْشَى عندنا أن تُؤَنّبـا
فَلا تَحْسَبَنّي كُنْتُ مَوْلَى ابنِ مِشْكَمٍ سَلامِ ولا مَوْلَى حُيَيّ بنِ أخْطَبا

فأجابه خَوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ ، أخُو بني عَمرِو بنِ عَوْفٍ فقال :

تُبَكّي على قَتْلَى يَهُودَ وقَـدْ تَرَى من الشّجْوِ لَوْ تَبْكي أحَبّ وأقْرَبـا
فَهَلاّ علـى قَتْلَى بِبَطْنِ أُرَيْنِـقٍ بَكَيْتَ ولَمْ تُعْوِلْ من الشّجْوِ مُسْهِبا [5]
إذا السّلْمُ دارَتْ في صَديقٍ رَدَدْتَها وَفي الدّينِ صَدّادًا وفي الحَرْبِ ثَعْلَبا
عَمَدْتَ إلى قَدرٍ لِقَوْمِكَ تَبْتَغـي لهم شَبَهًـا كَيْمـا تَعِزّ وتَغْلِبـا
فَإنّكَ لَمّا أنْ كَلِفْـتَ تَمَدّحًـا لِمَنْ كـانَ عَيْبًا مَدْحُه وتَكَذّبـا
رَحَلْتَ بِأمرٍ كُنْتَ أهْـلاً لِمِثْلِـه وَلَمْ تُلْـفِ فيهم قائِلاً لَكَ مَرْحَبـا
فَهَلاّ إلى قَوْمٍ مُلُـوكٍ مَدَحْتَهُـمْ تَبَنَّوْا مِـنَ العِزّ المُؤَثّلِ [6] مَنْصِبـا

---

(١) العتائر : جمع عتيرة وهي الذبيحة .
(٢) لا تليق : لا تبقي .
(٣) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .
(٤) يصبين : يذهبن العقل .
(٥) المسهب : المتغير اللون .
(٦) المؤثل : القديم .

إلى مَعْشَرٍ صارُوا مُلوكًا وكُرِّموا ... ولَمْ يُلْفَ فيهم طالِبُ العُرْفِ مُجْدِبا
أُولئِكَ أحْرَى من يَهُودَ بمِدْحَةٍ ... تَراهم وفيهم عِزّةُ المَجْدِ تُرْتُبا

فأجابَه عبّاسُ بنُ مِرداسٍ السّلَميّ ، فقال :

هَجَوْتَ صَرِيحَ الكاهِنَيْنِ وفيكُمُ ... لهم نِعَمٌ كانَتْ من الدّهْرِ تُرْتُبا [١]
أُولئِكَ أحْرَى لَوْ بَكَيْتَ عليهِمُ ... وَقَوْمُكَ لَوْ أدّوْا مِنَ الحَقّ مُوجَبا
من الشّكْرِ إنّ الشّكْرَ خَيْرٌ مَغَبّةً ... وَأَوْفَقُ فِعْلاً لِلّذي كانَ أصْوَبا
فَكُنْتَ كَمَن أمسَى يُقَطّعُ رَأسَهُ ... ليَبْلُغَ عِزّا كانَ فيهِ مُرَكّبا
فَبَكّ بني هارُونَ واذْكُرْ فِعالَهُم ... وَقَتْلَهم لِلْجُوعِ إذْ كُنْتَ مُجْدِبا
أخَوّاتُ أذْرِ الدّمعَ بالدّمعِ وابْكِهِم ... وَأعْرِضْ عَنِ المَكْرُوهِ منهم ونَكّبا
فَإنّكَ لَوْ لاقَيْتَهم في دِيارِهِم ... لأُلْفِيتَ عمّا قد تَقُولُ مُنَكّبا
سِراعٌ إلى العَلْيا كِرامٌ لَدَى الوَغَى ... يُقالُ لِباغِي الخَيْرِ أهلاً ومَرْحَبا

فأجابَه كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، أوْ عبدُ الله بنُ رَواحةَ ، فيما قال ابنُ هشامٍ ، فقال :

لَعمري لَقد حَكّتْ رَحَى الحَرْبِ بعدما ... أطارَتْ لُؤَيّا قَبْلُ شَرْقًا ومَغْرِبا
بَقِيّةَ آلِ الكاهِنَيْنِ وعِزّها ... فَعادَ ذَليلاً بعد ما كانَ أغْلَبا
فَطاحَ سَلامٌ وابنُ سَعْيَةَ عَنْوَةً ... وَقِيدَ ذَليلاً لِلْمَنايا ابنُ أخْطَبا
وَأجْلَبَ يَبْغي العِزّ والذّلّ يَبْتَغي ... خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حينَ أجْلَبا
كَتارِكِ سَهْلِ الأرْضِ والحَزْنُ هَمّهُ ... وَقد كانَ ذا في النّاسِ أكْدَى وأصْعَبا [٢]
وَشَأْسٌ وعَزّالٌ وقد صَلِيَا بِها ... وَما غُيِّبا عن ذاكَ فيمَنْ تَغَيّبا
وَعَوْفُ بنُ سَلْمَى وابنُ عَوْفٍ كِلاهما ... وَكَعْبٌ رَئِيسُ القَوْمِ حانَ وخُيّبا
فَبُعْدًا وسُحْقًا لِلنّضيرِ ومِثْلِها ... إن أعْقَبَ فَتْحٌ أوْ إن الله أعْقَبا [٣]

قال ابنُ هشامٍ : قال أبو عمرٍو المَدَنيّ : ثُمّ غَزا رسولُ الله ﷺ بعد بني النّضيرِ بني المُصْطَلِق .

---

(١) ترتب : ثابت .
(٢) الحزن : ما علا من الأرض . أكدى : لم ينجح في سعيه .
(٣) إن الله أعقبا : أي أن الله جاء بالنصر عليهم .

وَسَأَذْكُرُ حَديثَهم إن شاءَ الله في المَوْضِعِ الذي ذَكَرَه ابنُ إسحاقَ فيه .

غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاعِ في [سَنَةِ أَرْبَعٍ]

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمَدينةِ بعد غَزْوَةِ بني النَّضيرِ شَهرَ رَبيعٍ الآخَرِ وبَعْضَ جُمادَى .

ثُمّ غَزا نَجْدًا يُريدُ بني مُحارِبٍ وبني ثَعْلَبَة من غَطَفانَ واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ أبا ذَرّ الغِفاريّ وَيُقالُ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ ، فيما قال ابنُ هشام

[سَبَبُ تَسْمِيَتِها بذاتِ الرِّقاعِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : حتى نَزَلَ نَخْلاً ، وهيَ غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاعِ .

قال ابنُ هشام : وإنّما قيلَ لها غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاعِ ، لأنّهم رَقَعُوا فيها راياتِهم ويُقالُ ذاتُ الرِّقاعِ شَجَرَةٌ بذلك المَوْضِعِ يُقالُ لها : ذاتُ الرِّقاعِ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَقِيَ بها جَمعًا عَظيمًا من غَطَفانَ ، فَتَقارَبَ النّاسُ ولَم يَكُن بَيْنَهم حَرْبٌ وقد خافَ النّاسُ بَعْضُهم بَعْضًا - حتى صَلّى رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ صَلاةَ الخَوْفِ ، ثُمّ انْصَرَفَ بالنّاسِ . [٢٩/أ]

[صَلاةُ الخَوْفِ] :

قال ابنُ هشام : حَدّثَنا عبدُ الوارِثِ بنُ سَعيدٍ التَّنّوريّ - [وكان يُكَنّى : أبا عُبَيْدَةَ] - قال حَدّثَنا يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ ، عن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ عن جابرِ بنِ عبدِ الله . في صَلاةِ الخَوْفِ قال صَلّى رسولُ الله ﷺ بطائِفَةٍ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ سَلّمَ وطائِفَةٌ مُقبِلُونَ على العَدُوّ . قال فَجاءُوا فَصَلّى بِهِم رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمّ سَلّمَ .

قال ابنُ هشام : وحَدّثَنا عبدُ الوارِثِ ، قال حَدّثَنا أيّوبُ عن أبي الزُّبَيْرِ عن جابرٍ قال : صَفّنا رسولُ الله ﷺ صَفّيْنِ فَرَكَعَ بِنا جَميعًا ، ثُمّ سَجَدَ رسولُ الله ﷺ وسَجَدَ الصّفّ الأوّلُ فَلَمّا رَفَعُوا سَجَدَ الذينَ يَلُونَهم بأنْفُسِهِم ثُمّ تأَخّرَ الصّفّ الأوّلُ وتَقَدّمَ الصّفّ الآخَرُ حتى قامُوا مَقامَهم ثُمّ رَكَعَ النّبيّ ﷺ بِهِم جَميعًا ، ثُمّ سَجَدَ النّبيّ ﷺ وسَجَدَ الذينَ يَلُونَه مَعَه فَلَمّا رَفَعُوا رُءُوسَهم سَجَدَ الآخَرُونَ بأنْفُسِهِم فَرَكَعَ النّبيّ ﷺ بِهِم جَميعًا ، وسَجَدَ كُلّ واحِدٍ منهما بأنْفُسِهِم سَجْدَتَيْنِ .

قال ابنُ هشام : حَدّثَنا عبدُ الوارِثِ بنُ سَعيدٍ التَّنّوريّ ، قال حَدّثَنا أيّوبُ عن نافعٍ عن ابنِ عُمَرَ قال يَقُومُ الإمامُ وتَقُومُ مَعَه طائِفَةٌ ، وطائِفَةٌ مِمّا يَلي عَدُوّهم فَيَرْكَعُ بِهِم الإمامُ ويَسْجُدُ بِهِم

ثُمَّ يَتأخَرُونَ فيَكُونُونَ بِمَا يَلِي العَدُوّ يَتَقَدَّمُ الآخَرُونَ فيَرْكَعُ بِهِم الإمامُ رَكعَةً ويَسْجُدُ بِهِم ثُمَّ تُصلّي كُلّ طائفةٍ بأنفُسِهِم رَكعَةً فكانَتْ لهم مع الإمام رَكعَةً رَكعَةً وصلّوا بأنفُسِهم رَكعَةً رَكعَةً

[غَوْرَثُ وما هَمّ به من قتل الرَّسُول] :

قال ابنُ إسحاق : وحَدّثني عمرُو بنُ عُبَيْدٍ ، عن الحَسَنِ عن جابرِ بنِ عبدِ الله : أنّ رَجُلاً من بني مُحارِب يُقالُ له غَوْرَثُ قال لِقَوْمِه من غَطَفانَ ومُحارِبٍ ألا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمّدًا ؟ قالُوا : بَلَى ، وكَيْفَ تَقْتُلُه ؟ قال : أَفْتِكُ به . قال فَأَقْبَلَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو جالِسٌ وسَيْفُ رسولِ الله ﷺ في حِجْرِه فَقال يا مُحَمّدُ أنظُرُ إلى سَيفِك هذا ؟ قال نَعم - وكان مُحَلّى بفِضّةٍ فيما قال ابنُ هشام - قال فَأَخَذَه فاسْتَلّه ثُمّ جَعَلَ يَهُزّه ويَهِمّ فيَكْبِتُه الله ثُمّ قال يا مُحَمّدُ أما تخافُني ؟ قال لا ، وما أخافُ مِنك ؟ قال أما تخافني وفي يَدي السّيفُ ؟ قال لا ، يَمنَعُني الله مِنك ثُمّ عمَدَ إلى سَيْفِ رسولِ الله ﷺ فَرَدّه عليه قال : فأَنزَلَ الله ﴿**يا أيها الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُم إذْ هَمّ قَوْمٌ أن يَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أَيْدِيَهم فَكَفّ أيديَهم عَنْكُمْ واتّقُوا اللهَ وعلى الله فَلْيَتَوَكّلِ المُؤْمِنُون**﴾ .

قال ابنُ إسحاق : وحَدّثني يَزِيدُ ابنُ رُومانَ : أنّها إنّما أُنزِلَتْ في عمرِو بنِ جِحاشٍ ، أخي بني النّضيرِ وما هَمّ به فالله أعلَمُ أيّ ذلك كان .

[جابرٌ وقِصّته هُوَ وجَمَلُه مع الرّسُول] :

قال ابنُ إسحاق : وحَدّثني وهْبُ بنُ كَيْسانَ عن جابرِ بنِ عبدِ الله ، قال : خَرَجْتُ مع رسولِ الله ﷺ إلى غَزْوَةِ ذاتِ الرّقاعِ من نَخْلٍ ، على جَمَلٍ لي ضَعيفٍ فلَمّا قَفَلَ رسولُ الله ﷺ قال جَعَلَتِ الرّفاقُ تَمضي ، وجَعَلْتُ أتَخَلّفُ حتى أدرَكَني رسولُ الله ﷺ فقال : «**ما لَكَ يا جابِرُ ؟**» قال قلت : [يا رسولَ الله] أبطَأَ بي جَمَلي هذا ، قال : «**أنِخْه**» قال : فأَنَخْتُه ، وأناخَ رسولُ الله ﷺ ثُمّ قال «**أعطِني هذه العَصا من يَدِك ، أو اقْطَعْ لي عَصًا من شَجَرَةٍ**» قال : فَفَعَلْت . قال فأَخَذَها رسولُ الله ﷺ فَنَخَسَه بها نَخَساتٍ ثُمّ قال : «**ارْكَبْ**» فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ والذي بَعَثَه بالحَقّ يُواهِقُ [1] ناقَتَه مُواهَقَةً .

قال وتَحَدّثْت مع رسولِ الله ﷺ فَقال لي : «**أتَبيعُني جَمَلَك هذا يا جابرُ ؟**» قال قلت : يا رسولَ الله بَلْ أهَبُه لَك ، قال : «**لا ، ولكِن بِعْنيه**» قال : قلت : فَسُمْنيه [يا رسولَ الله] قال : «**قد أخَذْته بِدِرْهَمٍ**» قال : قلت : لا . إذَن تَغْبِنُني يا رسولَ الله قال : «**فَبِدِرْهَمَيْنِ**» قال : قلت : لا . قال فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لي رسولُ الله ﷺ في ثَمَنِه حتى بَلَغَ الأُوقيّةَ . قال فَقُلْت :

---

(١) يواهق ناقته : يعارضها في المشي لسرعته .

أفقد رَضيتَ يا رسولَ الله ؟ قال : «**نَعم**» قلت : فهو لَك ؛ قال : «**قد أخَذْته**». قال ثُمّ قال : «**يا جابِرُ هَلْ تَزَوّجتَ بَعْدُ ؟**» قال قلت : نَعم يا رسولَ الله قال : «**أثَيّبًا أم بِكرًا ؟**» قال : قلت : لا ، بَلْ ثَيّبا ؛قال : «**أفَلا جاريَةً تُلاعِبُها وتُلاعِبُك**» قال قلت : [٢٩/ب] يا رسولَ الله إنّ أبي أُصيبَ يومَ أُحُدٍ وتَرَكَ بناتٍ له سَبْعًا ، فَنَكَحت امرأةً جامِعَةً تَجْمَعُ رُءوسَهُنّ وتَقُومُ عليهِنّ قال «**أَصَبْتَ إن شاءَ الله أما إنّا لَوْ قد جِئْنا صِرارًا** [1] **أمَرْنا بجَزُورٍ فنُحِرَتْ وأقَمنا عليها يومَنا ذاكَ وسَمِعَتْ بنا ، فَنَفَضَتْ نَمارِقَها**» . قال قلت : والله يا رسولَ الله ما لَنا من نَمارِقَ قال : «**إنّها سَتَكُونُ فَإذا أنتَ قَدِمت فاعْمَلْ عملاً كَيّسًا**» .

قال فَلَمّا جِئْنا صِرارًا أمَرَ رسولُ الله ﷺ بجَزُورٍ فنُحِرَتْ وأقَمنا عليها ذلك اليومَ فَلَمّا أمسَى رسولُ الله ﷺ دَخَلَ ودَخَلْنا ، قال فَحَدّثتُ المَرْأَةَ الحَديثَ وما قال لي رسولُ الله ﷺ . قالتْ : فَدُونَك ، فَسَمعٌ وطاعَةٌ . قال فَلَمّا أصْبَحْتُ أخَذْتُ برأسِ الجَمَلِ فَأقْبَلْتُ به حتى أنَخْته على بابِ رسولِ الله ﷺ ، قال : ثُمّ جَلَسْتُ في المَسْجِدِ قَريبًا مِنه ، قال : وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ فَرَأى الجَمَلَ فَقال : «**ما هذا ؟**» قالُوا : يا رسولَ الله هذا جَمَلٌ جاءَ به جابِرٌ ، قال : «**فَأينَ جابِرٌ ؟**» قال فَدُعيتُ له قال : فَقال : «**يا ابنَ أخي خُذْ برَأسِ جَمَلِك ، فهو لَك**» ودَعا بِلالاً ، فَقال له اذْهَبْ بجابِرٍ فَأعْطِه أُوقيّةً . قال فَذَهَبْت مَعَه فَأعْطاني أُوقيّةً وزادَني شيئًا يَسيرًا . قال فَوالله ما زال يَنْمِي عِنْدي ، ويَرَى مَكانَه من بَيْتِنا ، حتى أُصيبَ أمسِ فيما أُصيبَ لَنا يَعْني يومَ الحَرّةِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني عمّي صَدَقَةُ بنُ يَسارٍ عن عَقيلِ بنِ جابِرٍ عن جابِرِ بنِ عبدِ الله الأنصاريّ ، قال خَرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ ذاتِ الرّقاعِ من نَخْلٍ ، فَأصابَ رَجُلٌ امرأةَ رَجُلٍ من المُشْرِكِينَ فَلَمّا انْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ قافِلاً ، أتَى زَوْجُها وكان غائِبًا ؛ فَلَمّا أُخْبِرَ الخَبَرَ حَلَفَ لا يَنْتَهي حتى يُهَرِيقَ في أصْحابِ مُحَمّدٍ ﷺ دَمًا ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ فَنَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَنْزِلاً ، فَقال : «**مَن رَجُلٌ يَكْلَؤُنا لَيْلَتَنا هذه ؟**» قال : فانْتَدَبَ رَجُلٌ من المُهاجِرِينَ ، ورَجُلٌ آخَرُ من الأنصارِ ، فَقالا : نحن يا رسولَ الله قال : «**فَكُونا بِفَمِ الشّعْبِ**» قال وكان رسولُ الله ﷺ وأصْحابُه قد نَزَلُوا إلى شِعْبٍ من الوادي ، وهما عمّارُ بنُ ياسِرٍ وعَبّادُ ابنُ بِشْرٍ فيما قال ابنُ هشامٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا خَرَجَ الرّجُلانِ إلى فَمِ الشّعْبِ ، قال الأنْصاريّ لِلْمُهاجِريّ أيّ اللّيْلِ

---

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

تُحِبّ أن أكفيكه : أوّله أم آخره ؟ قال بَلِ اكْفِنِي أوّلَه قال فاضْطَجَعَ المهاجِريّ فنامَ وقامَ الأنصاريّ يُصَلّي ؛ قال وأتَى الرّجُلُ فلَمّا رَأى شَخْصَ الرّجُلِ عَرَفَ أنّه رَبيئَةُ القَوْمِ . قال فرَمَى بسَهْمٍ فوَضَعَه فيه قال فنَزَعَه ووَضَعَه فثَبَتَ قائمًا ؛ قال ثُمّ رَماه بسَهْمٍ آخَرَ فوَضَعَه فيه . قال فنَزَعَه فوَضَعَه وثَبَتَ قائمًا ؛ ثُمّ عادَ له بالثّالِثِ فوَضَعَه فيه قال فنَزَعَه فوَضَعَه ثُمّ رَكَعَ وسَجَدَ ثُمّ أهَبّ صاحِبَه فقال اجْلِس فقد أُثْبِتّ ، قال فوَثَبَ فلَمّا رَآهما الرّجُلُ عَرَفَ أن قد نَذِرا [1] به فهَرَبَ . قال ولمّا رَأى المهاجِريّ ما بالأنصاريّ من الدّماءِ قال سُبْحانَ الله أفَلا أهبَبْتَني أوّلَ ما رَماك ؟ قال كُنتُ في سُورَةٍ أقرَؤُها فلَم أُحِبّ أن أقطَعَها حتى أُنفِدَها ، فلَمّا تابَعَ عَلَيّ الرّميَ رَكَعتُ فآذَنْتُك ، وأيمُ الله لَوْلا أن أُضَيّعَ ثَغرًا أمَرَني رسولُ الله ﷺ بحِفظِه لَقَطَعَ نَفسي قبْلَ أن أقطَعَها أو أُنفِدَها . قال ابنُ هشام : ويُقالُ أنْفَذَها .

قال ابنُ إسحاقَ : ولمّا قدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ من غَزْوَةِ الرّقاعِ أقامَ بها بَقيّةَ جُمادَى الأُولَى وجُمادَى الآخِرَةِ ورَجَبًا .

[غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع]

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ خَرَجَ في شَعْبانَ إلى بَدْرٍ ، لِميعادِ أبي سُفْيانَ حتى نَزَلَهُ .

واستَعْمَلَ على المَدينَةِ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ أُبَيّ بنِ سَلُولَ [٣٠/أ] الأنصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ عليه ثَماني لَيالٍ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ وخَرَجَ أبو سُفيانَ في أهلِ مَكّةَ حتى نَزَلَ مَجَنّةَ ، من ناحيَةِ الظّهْرانِ ; وبَعْضُ النّاسِ يقول قد بَلَغَ عُسْفانَ ، ثُمّ بَدا له في الرّجُوعِ فقال يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّه لا يُصْلِحُكُم إلاّ عامٌ خَصيبٌ تَرْعَوْنَ فيه الشّجَرَ وتَشْرَبونَ فيه اللّبَنَ وإنّ عامَكُم هذا عامُ جَدْبٍ وإنّي راجِعٌ فارْجِعُوا ، فرَجَعَ النّاسُ . فسَمّاهم أهلُ مَكّةَ جَيْشَ السّويقِ ، يقولونَ إنّما خَرَجْتُم تَشْرَبونَ السّويقَ . وأقامَ رسولُ الله ﷺ على بَدْرٍ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ لِميعادِه فأتاه مَخْشيّ بنُ عمرٍو الضّمريّ ، وهو الذي كان وادَعَه على بني ضَمْرَةَ في غَزْوَةِ وَدّانَ ، فقال يا مُحَمّدُ أجِئتَ لِلِقاءِ قُرَيْشٍ على هذا الماءِ ؟ قال : «نَعم يا أخا بني ضَمْرَةَ ، وإن شِئْتَ مع ذلك رَدَدْنا إلَيْكَ ما كان بَيْنَنا وبَيْنَكَ ، ثُمّ جالَدْناك حتى يَحْكُمَ الله بَيْنَنا وبَيْنَك» قال : لا والله يا مُحَمّدُ ما لَنا بذلك مِنك من حاجَةٍ فأقامَ رسولُ الله ﷺ يَنْتَظِرُ أبا سُفيانَ فمَرّ به مَعْبَدُ بنُ أبي مَعْبَدٍ الخُزاعيّ ، فقال وقد رَأى مَكانَ رسولِ الله ﷺ وناقَتُه تَهْوَي به :

---

(١) نذرا به : علما .

قد نَفَرَتْ من رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ من يَثْرِبَ كالعَنْجَدِ [١]
تَهْوَى على دينِ أبيها الأتْلَدِ قد جَعَلَتْ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدي
وَماءَ ضَجْنانَ لها ضُحَى الغَدِ

شِعْرٌ لابنِ رَواحَةَ أو كَعْبٍ في بَدْرٍ :

وَقال عبدُ الله بنُ رَواحَةَ في ذلك - قال ابنُ هشامٍ :أنشَدَنيها أبو زَيْدٍ لِكَعْبِ بنِ مالكٍ [الأنصاريّ] :

وعدنا أبا سفيان فلم نجد لِميعادِه صِدْقًا وما كان وافيا
فَأُقْسِمُ لَوْ وافَيْتَنا فَلَقيتنا لأُبْتَ ذَميمًا وافْتَقدتَ المَواليا
تَرَكْنا به أَوْصالَ عُتْبَةَ وابنَه وَعمرًا أبا جَهْلٍ تَرَكْناه ثاويا
عَصَيْتُم رسولَ الله أُفٍّ لِدينِكُمْ وَأمرِكُمُ السَّيِّءِ الذي كان غاويا
فإنّي وإن عَنَّفْتُموني لَقائِلٌ فِدًى لِرسولِ الله أهلي وماليا
أطَعْناه لَمْ نَعْدِلْه فينا بغَيْرِه شِهابًا لَنا في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هاديا

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في ذلك :

دَعُوا فَلَجاتِ الشّامِ قد حال دُونَها جِلَادٌ كأفواه المَخاضِ الأوارِكِ [٢]
بأيْدي رِجالٍ هاجَروا نَحْوَ رَبِّهم وَأنصارِه حَقًّا وأيْدي المَلائِكِ
إذا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ من بَطْنِ عالجٍ فَقُولا لها ليس الطَّريقُ هُنالِكِ
أقَمْنا على الرَّسّ النَّزُوعِ ثمانيا بأرْعَنَ جَرّارٍ عَريضِ المَبارِكِ
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُه نِصْفُ خَلْقِه وَقُبٍّ طِوالٍ مُشْرِفاتِ الحَوارِكِ
تَرَى العَرْفَجَ العاميَّ تَذْري أُصولَه مَناسِمُ أخفافِ المَطِيّ الرَّواتِكِ [٣]
فإن نَلْقَ في تَطْوافِنا والتِماسِنا فُراتَ بنَ حَيّانٍ يَكُن رَهْنَ هالِكِ
وَإن تَلْقَ قَيْسَ بنَ امرئِ القَيْسِ بعده يُزَدْ في سَوادٍ لَوْنُه لَوْنُ حالِكِ
فأبْلِغْ أبا سُفْيانَ عَنّي رِسالَةً فإنّكَ من غُرِّ الرِّجالِ الصَّعالِكِ

---

(١) العنجد : حب الزبيب ويقال : هو الزبيب الأسود .
(٢) الفلجات : جمع فلج وهو الماء الجاري . المخاض : الحوامل من الإبل .
(٣) العرفج : نبات ، العامي : الذي أتى عليه العام . الرواتك : المسرعة .

فأجابه أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بن عبدِ المطّلِب ، فقال :

أحسانُ إنّا يا ابنَ آكِلَةِ الفغـا وَجَدِّك نَغتالُ الخُرُوقَ كَذَلِكِ
خَرَجْنا وما تَنجُو اليَعافيرُ بَيْنَنـا وَلَوْ وألَتْ مِنّا بِشَدّ مُـدارِكِ
إذا ما انْبَعَثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَه مُدَمّنَ أهلِ المَوْسِمِ المُتَعـارِكِ
أقَمْتَ على الرّسّ النَّزُوعِ تُرِيدُنا وَتَتْرُكُنا في النَّخْلِ عنـد المَدارِكِ
على الزَّرْعِ تَمشي خَيْلُنا ورِكابُنا فَما وطِئَتْ ألْصَقْنَه بِالـدَّكادِكِ
أقَمْنا ثَلاثًا بَيْنَ سَلْـعٍ وفـارِعٍ بِجُرْدِ الجِيادِ والمَطِيّ الرَّواتِـكِ
حَسِبْتُم جِلادَ القَوْمِ عند قِبابِهِم كَمَأخَذِكُم بالعَيْنِ أرْطالَ آنُـكِ
فَلا تَبْعَثِ الخَيْلَ الجِيادَ وقُلْ لها على نَحْوِ قَوْلِ المُعْصِمِ المُتَماسِـكِ
سَعِدْتُم بِها وغَيْرُكُم كان أهلَهـا فَوارِسُ من أبناءِ فِهْرِ بنِ مالِـكِ
فَـإنّك لا في هِجْرَةٍ إن ذَكَرْتَهـا وَلا حُرُماتِ الدّينِ أنتَ بِناسِكِ

قال ابنُ هشام : بَقِيَتْ منها أبياتٌ تَرَكْناها ، لِقُبْحِ اختِلافِ قَوافِيها . وأنْشَدَني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ هذا البَيْتَ : خَرَجْنا وما تَنجُو اليَعافيرُ بَيْنَنا

والبَيْتَ الذي بعده لِحسّانِ بن ثابتٍ في قَوْله :

دَعُوا فَلَجاتِ الشّأمِ قد حال دُونَها ..... وَأنْشَدَني له فيها بَيْتَه « فَأبْلِغْ أبا سُفيانَ» .

[غزوة دَوْمَة الجَنْدَل « في شَهر رَبيع الأوّل سَنَة خَمس »]

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المَدينَةِ ، فأقامَ بها حتّى مَضَى ذُو الحِجّةِ ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ وهِيَ سَنَةَ أرْبَعٍ من مقدم رسول الله ﷺ ثُمّ غزا رسولُ الله ﷺ دَوْمَةَ الجَنْدَلِ . قال ابنُ هشام : في شَهرِ رَبيعٍ الأوّلِ واستَعْمَلَ على المَدينَةِ سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ الغِفاريّ .

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ رَجَعَ [رسولُ الله ﷺ] قَبْلَ أن يَصِلَ إليْها ، ولَم يَلْقَ كَيْدًا ، فأقامَ بالمَدينَةِ [بَقيّةَ سَنَتِهِ] .

غَزْوَةُ الخَنْدَق [في شَوّال سَنَةَ خَمس]

[حَدّثَنا أبو مُحمّدٍ عبدُ المَلِكِ بنُ هشام قال حَدّثَنا زِيادُ بنُ عبدِ الله البَكّائيّ ، عن مُحمّد بنِ إسحاقَ المطّلبيّ] قال : ثُمّ كانَتْ غَزْوَةُ الخَنْدَقِ في شَوّالِ سَنَةَ خَمسٍ .

فَحَدَّثَني يَزِيدُ بنُ رُومانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، ومَن لا أَتَّهِمُ عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ ، ومُحَمّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظيّ ، والزّهْرِيّ ، وعاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، وعبدِ الله بنِ أبي بَكْرٍ ، وغَيْرِهم من عُلَمائِنا ، كُلّهم قد اجْتَمَعَ حَديثُه في الحَديثِ عن الخَنْدَقِ ، وبَعْضُهم يُحَدّثُ ما لا يُحَدّثُ به بَعْضٌ قالُوا : إنّه كان من حَديثِ الخَنْدَقِ أنّ نَفَرًا من اليَهُودِ ، منهم سَلاّمُ ابنُ أبي الحُقَيقِ النَضْرِيّ ، وحُيَيّ بنُ أخْطَبَ النَضْرِيّ ، وكِنانَةُ بنُ أبي الحُقَيقِ النَضْرِيّ ، وهَوْذَةُ ابنُ قَيْسٍ الوائِلِيّ ، وأبو عمّارٍ الوائِلِيّ ، في نَفَرٍ من بني النَضيرِ ونَفَرٍ من بني وائِلٍ وهم الذين حَزّبوا الأحْزابَ على رسولِ الله ﷺ خَرَجُوا حتى قَدِمُوا على قُرَيْشٍ مَكّةَ ، فَدَعَوْهم إلى حَرْبِ رسولِ الله ﷺ وقالُوا : إنّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عليه حتى نَسْتَأْصِلَه ، فقالت لهم قُرَيْشٌ : يا مَعْشَرَ يَهُودَ إنّكُمْ أهلُ الكِتابِ الأوّلِ والعِلْمِ بما أصْبَحْنا نَخْتَلِفُ فيه نحن ومُحَمّدٌ أفَدِينُنا خَيْرٌ أم دينُه ؟ قالُوا : بَلْ دينُكُم خَيْرٌ من دينِه وأنتُم أوْلَى بالحَقّ مِنْهُ . فَهم الذينَ أنْزَلَ الله تَعالى فيهم : **﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصيبًا مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطّاغُوتِ ويقولونَ لِلّذينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أهدَى مِنَ الذينَ آمَنُوا سَبيلاً أُولَئِكَ الذينَ لَعَنَهُمُ الله ومَن يَلْعَنِ الله فَلَن تَجِدَ له نَصيرًا﴾** إلى قَوْلِه تَعالى **﴿أم يَحْسُدُونَ النّاسَ على ما آتاهمُ الله من فَضْلِه أي النّبوّةَ فقد آتَيْنا آلَ إبراهيمَ الكِتابَ والحِكْمَةَ وآتَيْناهم مُلْكًا عَظيمًا فَمِنهم مَن آمَنَ به ومنهم مَن صَدّ عنه وكَفَى بِجَهَنّمَ سَعيرًا﴾** قال : فَلَمّا قالُوا ذلك لِقُرَيْشٍ سَرّهم ونَشَطُوا لِما دَعَوْهم إلَيه من حَرْبِ رسولِ الله ﷺ فاجْتَمَعُوا لِذلك واتّعَدُوا له ثُمّ خَرَجَ أُولَئِكَ النّفَرُ من يَهُودَ حتى جاءُوا غَطَفانَ ، من قَيْسِ عَيْلانَ ، فَدَعَوْهم إلى حَرْبِ رسولِ الله ﷺ وأخبَرُوهم أنّهم سَيَكُونُونَ مَعَهم عليه [٣١/أ] وأنّ قُرَيْشًا قد تابَعُوهم على ذلك فاجْتَمَعُوا مَعَهم فيه .

قال ابنُ إسحاقَ : فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ ، وقائِدُها أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ؛ وخَرَجَتْ غَطَفانُ ، وقائِدُها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ ، في بني فَزارَةَ والحارِثُ ابنُ عَوْفِ بنِ أبي حارِثَةَ المُرّيّ ، في بني مُرّةَ ومِسْعَرُ بنُ رُخَيْلَةَ بنِ نُوَيْرَةَ بنِ طَرِيفِ ابنِ سُحْمَةَ بنِ عبدِ الله بنِ هِلالِ بنِ خَلاوَةَ بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ ، فيمَن تابَعَه من قَوْمِه من أشْجَعَ .

[حَفْرُ الخَنْدَقِ وتَخاذُلُ المُنافِقينَ وجِدّ المُؤْمنين] :

فَلَمّا سَمِعَ بِهم رسولُ الله ﷺ ، وما أجْمَعُوا له من الأمرِ ضَرَبَ الخَنْدَقَ على المَدينَةِ ، فَعَمِلَ فيه رسولُ الله ﷺ تَرْغيبًا لِلْمُسْلِمينَ في الأجْرِ وعَمِلَ مَعَه المُسْلِمُونَ فيه فَدَأَبَ فيه ودَأَبوا . وأبْطَأَ عن رسولِ الله ﷺ وعن المُسْلِمينَ في عَمَلِهم ذلك رِجالٌ من المُنافِقينَ وجَعَلُوا يُوَرّونَ بالضّعيفِ من العَمَلِ ويَتَسَلّلُونَ إلى أهليهم بِغَيْرِ عِلْمٍ من رسولِ الله ﷺ ولا إذْنٍ . وَجَعَلَ الرّجُلُ من

المُسلمينَ إذا نابَتْه النَّائبَةُ من الحاجَةِ التي لا بُدّ له مِنها ، يَذْكُرُ ذلك لِرسولِ الله ﷺ ويَستأذِنُه في اللّحُوقِ بِحاجَتِه فيَأْذَنُ له فإذا قَضَى حاجَتَه رَجَعَ إلى ما كان فيه من عمَلِه رَغْبَةً في الخَيْرِ واحْتِسابًا له .

فأنْزَلَ الله تَعالى في أُولَئِكَ من المُؤْمنِينَ **﴿إنّما المُؤْمِنُونَ الذينَ آمَنُوا بالله ورسوله وإذا كانوا مَعَه على أمرٍ جامعٍ لَم يَذْهَبوا حتى يَستَأْذِنُوه إنّ الذينَ يَستَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الذينَ يُؤْمِنُونَ بالله ورسوله فإذا استَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهم فَأْذَن لِمَن شِئْتَ منهم واستَغْفِرْ لهمُاللّه إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾** فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ فيمَن كان من المُسلمينَ من أهلِ الحِسْبَةِ والرّغْبَةِ في الخَيْرِ والطّاعَةِ لله ولِرسوله ﷺ . ثُمّ قال تَعالى ، يَعْني المُنافِقينَ الذيْنَ كانوا يَتَسَلّلُونَ من العمَلِ ويَذْهَبونَ بِغَيْرِ إذْنٍ من النّبيّ ﷺ **﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قد يَعْلَمُ الله الذينَ يَتَسَلّلُونَ مِنكُمْ لِواذًا فَلْيَحْذَرِ الذينَ يُخالِفُونَ عن أمرِه أن تُصيبَهم فِتْنَةٌ أو يُصيبَهم عَذابٌ أليمٌ﴾** .

قال ابنُ هشام : اللّوَاذُ الاستِتارُ بالشّيءِ عند الهَرَبِ قال حسّانُ بنُ ثابتٍ :

وَقُرَيْشٌ تَفِرّ مِنّا لِواذًا أن يُقيمُوا وخَفّ منها الحُلُومُ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له قد ذَكَرْتها في أشْعارِ يوم أُحُدٍ .

﴿ألا إنّ لله ما في السّماواتِ والأرْضِ قد يَعْلَمُ ما أنتُم عليه﴾ .قال ابنُ إسحاقَ : من صَدقٍ أو كَذِبٍ . **﴿ويومَ يُرْجَعُونَ إلَيه فَيُنَبّئُهم بما عمِلُوا والله بِكُلّ شيءٍ عَليمٌ﴾** .

[ارتِجازُ المُسلِمينَ في حَفرِ الخَنْدَقِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وعمِلَ المُسلِمُونَ فيه حتى أحكَمُوه وارتَجَزُوا فيه بِرَجُلٍ من المُسلِمِينَ يُقالُ له جُعَيْلٌ سَمّاه رسولُ الله ﷺ عمرًا ، فقالُوا :

سَمّاه من بَعْدِ جُعَيْلٍ عمرا وَكان لِلْبائِسِ يومًا ظَهْرا

فإذا مَرّوا «بِعمرٍ» قال رسولُ الله ﷺ : **«عمرًا»** ، وإذا مَرّوا «بِظَهْرٍ» قال رسولُ الله ﷺ : **«ظَهْرًا»** .

ما ظَهَرَ من المُعْجِزاتِ :

قال ابنُ إسحاقَ : وكان في حَفْرِ الخَنْدَقِ أحاديث بَلَغَتْني ، فيها من الله تَعالى عِبْرَةٌ في تَصْديقِ رسوله وتَحْقيقِ نُبوّته وعايَنَ ذلك المُسلِمُونَ .

فكان مِمّا بَلَغَني أنّ جابرَ بنَ عبدِ الله كان يُحَدّثُ أنّه اشْتَدّتْ عليهم في بَعْضِ الخَنْدَقِ كُدْيَةٌ فَشَكَوْها إلى رسولِ الله ﷺ فَدَعا بِإناءٍ من ماءٍ فَتَفَلَ فيه ثُمّ دَعا بما شاءَ الله أن يَدْعُوَ به ثُمّ نَضَحَ

ذلك الماء على تِلْكَ الكُدْيَةِ فيقول مَن حَضَرَها : فوالذي بَعَثَه بالحق نبيًا [٣١/ب]، لانهالت حتى عادَتْ كالكَثيبِ لا تَرُدّ فأسًا ولا مِسْحاةً .

[قال ابنُ إسحاقَ] : وحَدَّثني سَعيدُ بنُ مينا أنه حُدّثَ أنّ ابنَةً لِبَشيرِ بنِ سَعْدٍ أُختِ النعمانِ بنِ بَشيرٍ قالت : دَعَتْني أُمّي عمرَةُ بِنْتُ رَواحَةَ ، فَأَعْطَتْني حَفْنَةً من تَمرٍ في ثَوْبي ، ثُمّ قالتْ أيْ بُنَيّةُ . اذهَبي إلى أبيكِ وخالِكِ عبدِ الله بنِ رَواحَةَ بِغَدائِهِما ، قالتْ فَأَخَذْتها ، فانطَلَقْت بها ، فَمَرَرْتُ برسولِ الله ﷺ وأنا أَلْتَمِسُ أبي وخالي ، فقال : «**تعالَيْ يا بُنَيّةُ ما هذا مَعَكِ ؟**» قالتْ فَقُلْت : يا رسولَ الله هذا تَمرٌ بَعَثَتْني به أُمّي إلى أبي بَشيرِ بنِ سَعْدٍ وخالي عبدِ الله بنِ رَواحَةَ يَتَغَدّيانِهِ قال : «**هاتيه**» قالتْ فَصَبَبْته في كَفّيْ رسولِ الله ﷺ فَمَا مَلأَتْهما ، ثُمّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبُسِطَ له ثُمّ دَحا بالتمرِ عليه فَتَبَدّدَ فَوْقَ الثَوْبِ ثُمّ قال لإنسانٍ عنده اصْرُخْ في أهلِ الخَنْدَقِ : أن هَلُمّ إلى الغَداءِ فاجْتَمَعَ أهلُ الخَنْدَقِ عليه فَجَعَلُوا يَأْكُلونَ مِنه وجَعَلَ يَزيدُ حتى صَدَرَ أهلُ الخَنْدَقِ عنه وإنّه لَيَسْقُطُ من أطْرافِ الثّوْبِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني سَعيدُ بنُ مينا ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله ، قال : عمِلْنا مع رسولِ الله ﷺ في الخَنْدَقِ ، فكانَتْ عِندي شُوَيْهَةٌ غَيْرُ جِدّ سَمينَةٍ . [قال] فَقُلْت : والله لَوْ صَنَعْناها لِرسولِ الله ﷺ قال فَأَمَرْت امرَأتي ، فَطَحَنَتْ لَنا شيئًا من شَعيرٍ فَصَنَعَتْ لَنا مِنه خُبْزًا ، وذَبَحَتْ تِلْكَ الشّاةَ فَشَوَيْناها لِرسولِ الله ﷺ . قال : فَلَمّا أَمسَيْنا وأرادَ رسولُ الله ﷺ الانصِرافَ عن الخَنْدَقِ - قال وكُنّا نَعْمَلُ فيه نَهارَنا ، فإذا أمسَيْنا رَجَعْنا إلى أهالينا - قال فقلت : يا رسولَ الله إنّي قد صَنَعْت لَكَ شُوَيْهَةً كانَتْ عندنا ، وصَنَعْنا مَعَها شيئًا من خُبْزِ هذا الشّعيرِ فَأُحِبّ أن تَنْصَرِفَ مَعي إلى مَنْزِلي ، وإنّما أُريدُ أن يَنْصَرِفَ مَعي رسولُ الله ﷺ وحْدَه .

قال فَلَمّا أن قلت له ذلك ؟ قال نَعم ثُمّ أَمَرَ صارِخًا فَصَرَخَ أن انْصَرِفُوا مع رسولِ الله ﷺ إلى بَيْتِ جابِرِ بنِ عبدِ الله ؛ قال قلت : إنّا لله وإنّا إلَيه راجِعُونَ قال فَأَقْبَلَ رسولُ الله ﷺ وأَقْبَلَ النّاسُ مَعَه قال فَجَلَسَ وأَخْرَجْناها إلَيْه . قال فَبَرّكَ وسَمّى اللهَ ، ثُمّ أَكَلَ وتَوارَدَها النّاسُ كُلّما فَرَغَ قَوْمٌ قامُوا وجاءَ ناسٌ حتى صَدَرَ أهلُ الخَنْدَقِ عنها .

[ما أرى الله رسوله من الفَتْح] :

[قال ابنُ إسحاقَ] : وحُدّثْت عن سَلْمانَ الفارِسيّ ، أنّه قال : ضَرَبْت في ناحيَةٍ من الخَنْدَقِ ، فَغَلُظَتْ عَلَيّ صَخْرَةٌ ورسولُ الله ﷺ قَريبٌ مِنّي ؛ فَلَمّا رَآني أضرِبُ ورَأى شِدّةَ المَكانِ عَلَيّ نَزَلَ فَأَخَذَ المِعْوَلَ من يَدي ، فَضَرَبَ به ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ المِعْوَلِ بُرْقَةٌ ، قال : ثُمّ ضَرَبَ به

ضَرْبَةً أُخرى ، فَلَمَعَتْ تحته بُرْقَةٌ أُخرى ؛ قال ثم ضَرَبَ به الثالِثَةَ فَلَمَعَتْ تحته بُرْقَةٌ أُخرى .

قال قلت : بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله ما هذا الذي رَأيت لَمَعَ تحتَ المِعْوَلِ وأنتَ تَضرِبُ ؟ قال : «أوَقد رَأيت ذلك يا سَلْمانُ ؟ قال قلت : نعم قال أمّا الأُولى فإنّ اللهَ فَتَحَ عَلَيّ بها اليَمَنَ ؛ وأمّا الثانيةُ فإنّ اللهَ فَتَحَ عَلَيّ بها الشّامَ والمَغْرِبَ وأمّا الثالِثَةُ فإنّ اللهَ فَتَحَ عَلَيّ بها المَشْرِقَ» .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن أبي هُرَيْرَةَ أنّه كان يقول حينَ فُتِحَتْ هذه الأمصارُ في زَمانِ عُمَرَ وزَمانِ عُثْمانَ وما بعده : افْتَتِحُوا ما بَدا لَكُمْ فَوالذي نَفْسي أبي هُرَيْرَةَ بيَدِه ما[٣٢/أ] افْتَتَحْتُم من مَدينَةٍ ولا تَفْتَتِحُونَها إلى يومِ القيامَةِ إلاّ وقد أعطَى الله سُبْحانَه مُحَمّدًا ﷺ مَفاتيحَها قَبْلَ ذلك .

[نُزُولُ قُرَيْشٍ المَدينَةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : ولَمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من الخَنْدَقِ ، أقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حتى نَزَلَتْ بمُجْتَمَعِ الأسْيالِ من رُومَةَ ، بَيْنَ الجُرُفِ وَزَغابَةَ في عَشَرَةِ آلافٍ من أحابيشِهِم ومَن تَبِعَهم من بني كِنانَةَ وأهلِ تِهامَةَ ، وأقْبَلَتْ غَطَفانُ ومَن تَبِعَهم من أهلِ نَجْدٍ ، حتى نَزَلُوا بِذَنَبِ نَقْمَى ، إلى جانِبِ أُحُدٍ .

وَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ حتى جَعَلُوا ظُهُورَهم إلى سَلْعٍ [١] ، في ثَلاثَةِ آلافٍ من المُسْلِمِينَ فَضَرَبَ هُنالِكَ عَسْكَرَه والخَنْدَقُ بَيْنَه وبَيْنَ القَوْمِ .

[قال ابنُ هشام] : واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ابنَ أُمّ مَكْتُوم .

قال ابنُ إسحاقَ : وأمَرَ بالذّراريّ والنّساءِ فَجُعِلُوا في الآطامِ [٢] .

[حَمْلُ حُيَيّ كَعْبًا على نَقْضِ عَهْده للرّسول] :

قال : وخَرَجَ عَدُوّ الله حُيَيّ بنُ أخْطَبَ النّضْريّ ، حتى أتَى كَعْبَ بنَ أسَدٍ القُرَظِيّ صاحِبَ عَقْدِ بني قُرَيْظَةَ وعَهْدِهِم وكان قد وادَعَ رسولَ الله ﷺ على قَوْمِه وعاقَدَه على ذلك وعاهَدَه فَلَمّا سَمِعَ كَعْبٌ بحُيَيّ بنِ أخْطَبَ أغْلَقَ دُونَه بابَ حِصْنِه فاسْتَأذَنَ عليه فأبَى أن يَفْتَحَ له فَناداه حُيَيّ : ويْحَكَ يا كَعْبُ افْتَحْ لي ؛ قال ويحك يا حُيَيّ : إنّكَ امْرُؤٌ مَشْئُومٌ وإنّي قد عاهَدْت مُحَمّدًا ، فَلَسْتُ بِناقِضٍ ما بَيْني وبَيْنَه ولَم أرَ مِنه إلاّ وفاءً وصِدْقًا ؛ قال ويحك افْتَحْ لي أُكَلّمكَ ؛ قال : ما أنا

(١) سلع : جبل بالمدينة .
(٢) الأطام : الحصون .

بفاعِلٍ قال والله إن أغْلَقْت دُوني إلاّ عن جَشيشَتِك أن آكُلَ مَعَك منها ؛ فاحْفَظَ الرّجُلَ فَفَتَحَ له فَقال ويْحَك يا كَعْبُ جِئتُك بِعِزّ الدّهْرِ وبِبَحْرٍ طامٍ جِئتُك بِقُرَيْشٍ على قادَتِها وسادَتِها ، حتى أنْزَلْتهم بمُجْتَمَعِ الأسيالِ من رُومَةَ ، وبِغَطَفانَ على قادَتِها وسادَتِها حتى أنْزَلْتهم بِذَنَبِ نَقْمَى إلى جانِبِ أُحُدٍ ، قد عاهَدُوني وعاقَدُوني على أن لا يَبْرَحُوا حتى نَستأْصِلَ مُحَمَّدًا ومَن مَعَه .

قال : [فَقال له] كَعْبٌ جِئتني والله بِذُلّ الدّهْرِ وبِجَهامٍ قد هَراقَ ماءَه فهو يَرْعَدُ ويَبْرُقُ ليس فيه شيءٌ ، ويْحَك يا حُيَيّ فَدَعْني وما أنا عليه فَإنّي لَم أرَ من مُحَمّدٍ إلاّ صِدْقًا ووَفاءً . فَلَم يَزَلْ حُيَيّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُه في الذّرْوَةِ والغارِبِ حتى سَمَحَ له على أن أعْطاه عَهْدًا من اللهِ وميثاقًا : لَئِن رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ ، ولَم يُصيبوا مُحَمَّدًا أن أدْخُلَ مَعَكَ في حِصْنِك حتى يُصيبني ما أصابَك . فَنَقَضَ كَعْبُ بنُ أسَدٍ عَهْدَه وبَرِئَ مِمّا كان بَيْنَه وبَيْنَ رسولِ الله ﷺ .

فَلَمّا انْتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ الخَبَرُ وإلى المُسْلِمينَ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَعْدَ ابنَ مُعاذِ بنِ النّعْمانِ ، وهو يومَئِذٍ سَيّدُ الأوْسِ ، وسَعْدَ بنَ عُبادَةَ بنِ دُلَيْمٍ ، أحَدَ بني ساعِدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ وهو يومَئِذٍ سَيّدُ الخَزْرَجِ ومَعَهما عبدُ الله بنُ رَواحَةَ ، أخُو بني الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، وخَوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ ، أخُو بني عمرِو بنِ عَوْفٍ . فَقال انطَلِقُوا حتى تَنظُرُوا ، أحَقّ ما بَلَغَنا عن هَؤُلاءِ القَوْمِ أم لا ؟ فإن كان حَقّا فالحَنُوا لي لَحْنًا أعْرِفُه ولا تَفُتّوا في أعْضادِ النّاسِ وإن كانوا على الوَفاءِ فيما بَيْنَنا وبَيْنَهم فاجْهَرُوا به لِلنّاسِ قال : فَخَرَجُوا حتى أتَوْهم فَوَجَدُوهم على أخْبَثِ ما بَلَغَهم عنهم فيما نالُوا من رسولِ الله ﷺ وقالُوا : مَن رسولُ الله ؟ لا عَهْدَ بَيْنَنا وبَيْنَ مُحَمّدٍ ولا عَقْدَ . فَشاتَمَهم سَعْدُ بنُ مُعاذٍ وشاتَمُوه وكان رَجُلاً فيه حِدّةٌ فَقال له سَعْدُ بنُ عُبادَةَ : دَعْ عَنْك مُشاتَمَتَهم فَما بَيْنَنا وبَيْنَهم أرْبَى من المُشاتَمَةِ . ثُمّ أقْبَلَ سَعْدٌ وسَعْدٌ ومَن مَعَهما ، إلى رسولِ الله ﷺ فَسَلّمُوا عليه ثُمّ قالُوا : عَضَلٌ والقارَةُ ؛ أيْ كَغَدْرِ عَضَلٍ والقارَةِ بِأصْحابِ الرّجيعِ ، خُبَيْبٍ وأصْحابه [٣٢/ب]فَقال رسولُ الله ﷺ : **«الله أكْبَرُ أبْشِرُوا يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ»**

[ما عَمّ المُسْلِمينَ من الخَوْفِ وظُهُورُ نِفاقِ المُنافِقينَ] :

قال : وعَظُمَ عند ذلك البَلاءُ واشْتَدّ الخَوْفُ وأتاهم عَدُوّهم من فَوْقِهم ومِن أسْفَلَ منهم حتى ظَنّ المُؤْمِنُونَ كُلّ ظَنّ ونَجَمَ النّفاقُ من بَعْضِ المُنافِقينَ حتى قال مُعَتّبُ بنُ قُشَيْرٍ ، أخُو بني عمرِو ابنِ عَوْفٍ : كان مُحَمّدٌ يَعِدُنا أن نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، وأحَدُنا اليومَ لا يَأْمَنُ على نَفْسِه أن يَذْهَبَ إلى الغائِطِ .

قال ابنُ هشامٍ :وأخْبَرَني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ أنّ مُعَتّبَ بنَ قُشَيْرٍ لَم يَكُن من

المُنافِقِينَ واحْتَجَّ بِأنّه كان من أهلِ بَدْرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحتى قال أَوْسُ بنُ قَيْظِيّ ، أحَدُ بني حارِثَةَ بنِ الحارِثِ : يا رسولَ الله إنّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ من العَدُوّ وذلك عن مَلأٍ من رِجالِ قَوْمِه فأْذَن لَنا أن نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إلى دارِنا ، فإنّها خارِجٌ من المَدِينَةِ .

فَأقامَ رسولُ الله ﷺ وأقامَ عليه المُشْرِكُونَ بِضْعًا وعِشْرِينَ لَيْلَةً قَرِيبًا من شَهْرٍ لَم تَكُن بَيْنَهم حَرْبٌ إلاّ الرّمْيا بِالنَّبْلِ والحِصارُ .قال ابنُ هشام : ويُقالُ الرّميا .

[هَمّ الرّسُولُ بِعَقْدِ الصّلْح بَيْنَه وبَيْنَ غَطَفانَ ثُمّ عَدَلَ] :

فَلَمّا اشْتَدّ على النّاسِ البَلاءُ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ كَما حَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ ابنِ قَتادَةَ ومَن لا أتّهِمُ عن مُحَمّدِ بنِ مُسْلِمِ بنِ عُبَيْدِ الله بنِ شِهابٍ الزّهْرِيّ ، إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ ، وإلى الحارِثِ بنِ عَوْفِ بنِ أبي حارِثَةَ المُرّيّ ، وهما قائِدا غَطَفانَ ، فأعْطاهما ثُلُثَ ثِمارِ المَدِينَةِ على أن يَرْجِعا بِمَن مَعَهما عنه وعن أصْحابه فَجَرَى بَيْنَه وبَيْنَهما الصّلْحُ حتى كَتَبوا الكِتابَ ولَمْ تَقَع الشّهادَةُ ولا عَزِيمَةُ الصّلْحِ إلاّ المُراوَضَةُ في ذلك . فَلَمّا أرادَ رسولُ الله ﷺ أنْ يَفْعَلَ بَعَثَ إلى سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وسَعْدِ بنِ عُبادَةَ ، فَذَكَرَ ذلك لهما ، واسْتَشارَهما فيه فَقالا له يا رسولَ الله أمرًا نُحِبّه فَنَصْنَعُه أم شيئًا أمَرَك الله به لا بُدّ لَنا من العمَلِ به أم شيئًا تَصْنَعُه لَنا ؟ قال : **«بَلْ شيءٌ أصْنَعُه لَكُمْ ، والله ما أصْنَعُ ذلك إلاّ لأنّني رَأيْت العَرَبَ قد رَمَتْكُم عن قَوْسٍ واحِدَةٍ وكالبوكُمْ مِن كُلّ جانِبٍ فَأرَدْت أن أكْسِرَ عَنْكُم من شَوْكَتِهِم إلى أمرٍ ما»** فَقال له سَعْدُ بنُ مُعاذٍ : يا رسولَ الله قد كُنّا نحن وهَؤُلاءِ القَوْمُ على الشّرْكِ بِالله وعِبادَةِ الأوْثانِ لا نَعْبُدُ اللهَ ولا نَعْرِفُه وهم لا يَطْمَعُونَ أن يَأكُلُوا منها تَمْرَةً إلاّ قِرًى أوْ بَيْعًا ، أفَحِينَ أكْرَمَنا الله بِالإسلام وهَدانا له وأعَزّنا بِك وبه نُعْطِيهِم أموالَنا [والله] ما لَنا بِهذا من حاجَةٍ والله لا نُعْطِيهِم إلاّ السّيْفَ حتى يَحْكُمَ الله بَيْنَنا وبَيْنَهم قال رسولُ الله ﷺ : **«فَأنْتَ وذاكَ»** . فَتَناوَلَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ الصّحِيفَةَ فَمَحا ما فيها من الكِتابِ ثُمّ قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنا

[قال ابنُ إسحاقَ] : فَأقامَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ وعَدُوّهم مُحاصِرُوهم ولَمْ يَكُن بَيْنَهم قِتالٌ إلاّ أنّ فَوارِسَ من قُرَيْشٍ ، منهم عمرُو بنُ عبدِ وُدّ بنِ أبي قَيْسٍ ،أخُو بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ عمرُو بنُ عبدِ بنِ أبي قَيْسٍ -

قال ابنُ إسحاقَ : وعِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ ، وهُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ المَخْزُومِيّانِ وضِرارُ بنُ الخَطّابِ الشّاعِرُ بنُ مِرْداسٍ أخُو بني مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ ، تَلَبّسُوا لِلْقِتالِ ثُمّ خَرَجُوا على خَيْلِهِم حتى

مرّوا بمنازلِ بني كِنانَةَ ، فقالُوا : تَهَيّئُوا يا بني كِنانَةَ لِلحَرْبِ فَستَعْلَمُونَ مَن الفُرْسانُ اليومَ . ثُمّ أقْبَلُوا تُعْنِقُ بِهِم خَيْلُهم حتى وقَفُوا على الخَنْدَقِ ، فَلَمّا رَأوْه قالُوا : واللهِ إنّ هذه لَمَكِيدَةٌ ما كانَتِ العَرَبُ تَكِيدُها .

قال ابنُ هشام :يُقالُ إنّ سَلْمانَ الفارِسيّ أشارَ به على رسولِ الله ﷺ.

وَحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ المُهاجِرينَ يومَ الخَنْدَقِ قالُوا : سَلْمانُ مِنّا ؛ وقالتِ الأنْصارُ : سَلْمانُ مِنّا ؛ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**سَلْمانُ مِنّا أهلَ البَيْتِ**» قال ابنُ إسحاقَ :ثُمّ تَيَمّمُوا مَكانًا ضَيّقًا من الخَنْدَقِ ، فَضَرَبوا خَيْلَهم فاقْتَحَمَتْ مِنْه فَجالتْ بِهِم في السّبْخَةِ بَيْنَ الخَنْدَقِ وَسَلْعٍ [٣٣/أ]، وخَرَجَ عَليّ بنُ أبي طالِبٍ عليه السّلامُ في نَفَرٍ مَعَه من المُسْلِمينَ حتى أخَذُوا عليهِم الثّغْرَةَ التي أقْحَمُوا منها خَيْلَهم وأقْبَلَتِ الفُرْسانُ تُعْنِقُ نَحْوَهم وكان عمْرُو بنُ عبدِ وُدّ قد قاتَلَ يومَ بَدْرٍ حتى أثْبَتَتْه الجِراحَةُ فَلَم يَشْهَدْ يومَ أُحُدٍ ؛ فَلَمّا كان يومُ الخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا لِيُرِيَ مَكانَه فَلَمّا وقَفَ هُوَ وخَيْلُه قال مَن يُبارِزُ ؟ فَبَرَزَ له عَليّ بنُ أبي طالِبٍ فَقال له يا عمْرُو ، إنّكَ قد كُنْت عاهَدْت اللهَ ألاّ يَدْعُوك رَجُلٌ من قُرَيْشٍ إلى إحْدَى خَلّتَيْنِ إلاّ أخَذْتَها مِنْه قال له : أجَلْ ، قال له عَليّ : فَإنّي أدْعُوك إلى الله وإلى رسولِه وإلى الإسلامِ ، قال : لا حاجَةَ لي بذلك ، قال : فَإنّي أدْعُوك إلى النّزالِ . فَقال له : لِمَ يا ابنَ أخي ؟ فَواللهِ ما أُحِبّ أن أقْتُلَك ، قال له عَليّ : لَكِنّي واللهِ أُحِبّ أن أقْتُلَك ؛ فَحَمِيَ عمْرٌو عند ذلك فاقْتَحَمَ عن فَرَسِه فَعَقَرَه وضَرَبَ وجْهَه ثُمّ أقْبَلَ على عَليّ فَتَنازَلا وتَجاوَلا ، فَقَتَلَه عَليّ رَضِيَ اللهُ عنه . وخَرَجَتْ خَيْلُهم مُنْهَزِمَةً حتى اقْتَحَمَتْ من الخَنْدَقِ هارِبَةً .

قال ابنُ إسحاقَ :وقال عَليّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عليه في ذلك .

نَصَرَ الحِجارَةَ من سَفاهَةِ رَأيِه ... وَنَصَرْتُ رَبّ مُحَمّدٍ بِصَوابِي
فَصَدَدْت حينَ تَرَكْته مُتَجَدّلاً ... كالجِذْعِ بَيْنَ دَكادِكٍ ورَوابِ
عَفَفْت عن أثْوابِه ولَوْ أنّنِي ... كُنْتُ المُقَطّرَ بَزّنِي أثْوابِي
لا تَحْسَبَن اللهَ خاذِلَ دينِه ... وَنَبِيّه يا مَعْشَرَ الأحْزابِ

قال ابن هشام :وأكثر العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب .

قال ابنُ إسحاقَ :وألْقَى عِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ رُمْحَه يومَئِذٍ وهو مُنْهَزِمٌ عن عمرٍو ؛ فَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في ذَلِك :

فَرّ وألْقَى لَنا رُمْحَه ... لَعَلّك عِكْرِمَ لَم تَفْعَلِ

وَوَلَيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيمِ ... ما إن تَجُورُ عن المَعْدِلِ

وَلَمْ تَلْـــقَ ظَهْرَك مُستأنِسًا ... كأنّ قَفاك قَفــا فُرْعُــلِ

قال ابنُ هشام : الفُرْعُلُ صَغيرُ الضباعِ وهذه الأبياتُ في أبياتٍ له .

وَكان شِعارُ أَصْحابِ رسولِ الله ﷺ يومَ الخَنْدَقِ وبني قُرَيْظَةَ : «حم ، لا يُنْصَرُون»

[شَأنُ سَعْدِ بن مُعاذٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني أبو لَيْلَى عبدُ الله بنُ سَهْلِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ سَهْلٍ الأنصاريّ أخُو بني حارِثَةَ : أنّ عائِشَةَ أمّ المؤْمنينَ كانَت في حِصْنِ بني حارِثَةَ يومَ الخَنْدَقِ ، وكان من أحْرَزِ حُصُونِ المَدينَةِ . قال وكانَتْ أُمّ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ مَعَها في الحِصْنِ فقالت عائِشَةُ وذلك قَبْلَ أن يُضْرَبَ عَلَيْنا الحِجابُ فمَرّ سَعْدٌ وعليه دِرْعٌ له مُقَلّصَةٌ قد خَرَجَتْ منها ذِراعُه كُلّها ، وفي يَدِه حَرْبَتُه يَرْقُدُ بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل ... لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أُمّه الحَقْ : أيْ بنيّ ، فقد والله أخّرت ؛ قالت عائِشَةُ فَقُلْت لها : يا أُمّ سَعْدٍ والله لَوَدِدْت أنّ دِرْعَ سَعْدٍ كانَتْ أسْبَغَ مِمّا هِيَ قالت وخِفْتِ عليه حَيْثُ أصابَ السّهْمُ مِنه فَرُمِيَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنه الأكْحَلَ رَماه كَمَا حَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادة ، حِبّانُ بنُ قَيْسِ بنِ العَرِقَةِ أحَدُ بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، فَلَمّا أصابَه قال : خُذْها مِنّي وأنا ابنُ العَرِقَةِ ؛ فَقال له سَعْدُ عَرّقَ الله وجْهَك في النّارِ اللّهمّ إن كُنْتَ أبْقَيْتَ من حَرْبِ قُرَيْشٍ شيئًا فَأبْقِنِي لها ، فإنّه لا قَوْمَ أحَبّ إلَيّ أن أُجاهِدَهم من قَوْمٍ آذَوْا رسولَك وكَذّبوه وأخْرَجُوه اللّهمّ وإن كُنْت قد وضَعْت الحَرْبَ بيننا وبَيْنَهم فاجْعَلْه لي شهادة ولا تُمِتْنِي حتى تُقِرّ عَيْنِي من بني قُرَيْظَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ أنّه كان يقول ما أصابَ سَعْدًا يومَئِذٍ إلاّ أبو أُسامَةَ الجشمي ، حَليفُ بني مَخْزُوم .

وَقد قال أبو أُسامَةَ في ذلك شِعْرًا لِعِكْرِمَةَ بنِ أبي جَهْلٍ :

أعكرم هَلاّ لُمْتني إذْ تَقُولُ لِـــي ... فِداك بآطامِ المدينَـــةِ خالِـــدُ

أَلَسْتُ الذي ألْزَمت سَعْدًا مُرِشّةً ... لَها بَيْنَ أثْنــــاءِ المَرافِـــقِ عانِــدُ

قَضَى نَحْبَه منها سَعِيدٌ فأعـــولت ... عليه مع الشّمطِ العَذارَى النواهد

وَأنتَ الذي دافَعْتَ عنه وقد دَعا ... عُبَيْدَةُ جَمْعًا منهـــم إذْ يُكابِـــدُ

على حينِ ما هم جائرٌ عن طَريقِه ... وَآخَرُ مَرْعُوبٌ عن القَصْدِ قاصِدُ [٣٣/ب]

والله أعلَمُ أيّ ذلك كان .

قال ابنُ هشام :ويُقالُ إنّ الذي رَمَى سَعْدًا خَفاجَةُ بنُ عاصِمِ ابنِ حِبّانَ .

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني يحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ قال : كانَتْ صَفيّةُ بِنْتُ عبدِ المُطّلِبِ في فارعٍ ، حِصْنُ حسانِ بنِ ثابتٍ ؛ قالتْ وكان حسّانُ بنُ ثابتٍ مَعَنا فيه مع النّساءِ والصّبْيانِ . قالتْ صَفيّةُ فَمَرّ بِنا رَجُلٌ من يَهُودَ فجَعَلَ يُطيفُ بالحِصْنِ وقد حارَبَتْ بنُو قُرَيْظَةَ ، وقَطَعَتْ ما بَيْنَها وبَيْنَ رسولِ الله ﷺ وليس بَيْنَنا وبَيْنَهم أحَدٌ يَدْفَعُ عَنّا ، ورسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ في نُحُورِ عَدُوّهِم لا يَسْتَطيعُونَ أن يَنْصَرِفُوا عنهم إلَيْنا إن أتانا آتٍ . قالتْ فَقُلْت : يا حسّانُ إنّ هذا اليَهُوديّ كَما تَرَى يُطيفُ بالحِصْنِ وإنّي والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْرَتِنا مَن وراءَنا من يَهُودَ وقد شُغِلَ عَنّا رسولُ الله ﷺ وأصْحابُه فانزِلْ إلَيه فاقْتُلْه قال يَغْفِرُ الله لَك يا بنة عبدِ المُطّلِبِ ، والله لقد عَرَفْت ما أنا بصاحِبِ هذا : قالتْ فَلَمّا قال لي ذلك ولَم أرَ عنده شيئًا ، احْتَجَزْت ثُمّ أخَذْت عَمُودًا ، ثُمّ نَزَلْت من الحِصْنِ إلَيه فَضَرَبْتُه بالعَمُودِ حتى قَتَلْته . قالتْ فَلَمّا فَرَغْت مِنه رَجَعْتُ إلى الحِصْنِ فَقُلْت : يا حسّانُ انزِلْ إلَيه فاسْلُبْه فإنّه لَم يَمْنَعْني من سَلَبِه إلاّ أنّه رَجُلٌ ، قال : ما لي بِسَلَبِه من حاجَةٍ يا بنة عبدِ المُطّلِبِ .

[شأنُ نُعَيم في تَخْذيلِ المُشْركينَ عن المُسْلمينَ] :

قال ابنُ إسحاقَ :وأقامَ رسولُ الله ﷺ وأصْحابُه فيما وصَفَ الله من الخَوْفِ والشّدّةِ لِتَظاهُرِ عَدُوّهِم عليهم وإتْيانِهِم إيّاهم من فَوْقِهِم ومِن أسْفَلَ منهم .

ثُمّ إنّ نُعَيْمَ بنَ مَسْعُودِ بنِ عامِرِ بنِ أُنَيْفِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ قُنْفُذِ بنِ هِلالِ ابنِ خَلاوَةَ بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ ، أتَى رسولَ الله ﷺ فَقال يا رسولَ الله إنّي قد أسْلَمت ، وإنّ قَوْمي لَم يَعْلَمُوا بإسلامي ، فَمُرْني بما شِئْت ؛ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**إنّما أنت فينا رَجُلٌ واحِدٌ ، فَخَذّلْ عَنّا إن اسْتَطَعْت ، (فَإنّ الحَرْبَ خُدْعَةٌ)**» .

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ حتى أتَى بني قُرَيْظَةَ ، وكان لَهم نَديمًا في الجاهِلِيّةِ فَقال يا بني قُرَيْظَةَ قد عَرَفْتُم وُدّي إيّاكُم وخاصّةً ما بَيْني وبَيْنَكُم قالُوا : صَدَقْت ، لَسْت عندنا بمُتّهَمٍ ، فَقال لَهم : إنّ قُرَيْشًا وغَطَفانَ لَيْسُوا كَأنْتُم البَلَدُ بَلَدُكُم فيه أموالُكُم وأبناؤُكُم ونساؤُكُم لا تَقْدِرُونَ على أن تَحَوّلُوا مِنه إلى غَيْرِه وإنّ قُرَيْشًا وغَطَفانَ قد جاءُوا لِحَرْبِ مُحَمّدٍ وأصْحابه وقد ظاهَرْتُمُوهم عليه وبَلَدُهم وأموالُهم ونِساؤُهم بِغَيْرِه فَلَيْسُوا كَأنْتُم فَإن رَأَوْا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غَيْرَ ذلك لَحِقُوا بِبِلادِهِم وخَلَوْا بَيْنَكُم

وبَيْنَ الرّجُلِ بِبَلَدِكُم ولا طاقَةَ لَكُم بِهْ إن خَلا بِكُم فَلا تُقاتِلُوا مع القَوْمِ حتى تَأْخُذُوا منهم رَهْنًا من أشْرافِهِم يَكُونُونَ بِأيْدِيكُم ثِقَةً لَكُم على أن تُقاتِلُوا مَعَهم مُحَمّدًا حتى تُناجِزُوه فَقالُوا له لَقد أشَرْت بِالرّأيِ . ثُمّ خَرَجَ حتى أتَى قُرَيْشًا ، فَقال لأبِي سُفْيانَ ابنِ حَرْبٍ ومَن مَعَه من رِجالِ قُرَيْشٍ : قد عَرَفْتُم وُدّي لَكُمْ وفِراقِي مُحَمّدًا ، وإنّه قد بَلَغَنِي أمرٌ قد رَأيْت عَلَيّ حَقّا أن أُبْلِغَكُمُوه نُصْحًا لَكُمْ فاكْتُمُوا عَنّي ؛ فَقالُوا : نَفْعَلُ قال تَعْلَمُوا أنّ مَعْشَرَ يَهُودَ قد نَدِمُوا على ما صَنَعُوا فِيما بَيْنَهم وبَيْنَ مُحَمّدٍ وقد أرْسَلُوا إلَيْه إنّا قد نَدِمنا على ما فَعَلْنا ، فَهَلْ يُرْضِيك أن نَأْخُذَ لَك من القَبِيلَتَيْنِ من قُرَيْشٍ وغَطَفانَ رِجالاً من أشْرافِهِم فَنُعْطِيكَهم فَتَضْرِبَ أعْناقَهم ثُمّ نَكُونُ مَعَك على مَن بَقِيَ منهم حتى نَسْتَأْصِلَهم ؟ فَأرْسَلَ إلَيْهِم أن نَعم . فَإن بَعَثَتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُم رَهْنًا من رِجالِكُم فَلا تَدْفَعُوا إلَيْهِم مِنكُمْ رَجُلاً واحِدًا . ثُمّ خَرَجَ حتى أتَى غَطَفانَ ، فَقال يا مَعْشَرَ غَطَفانَ ، إنّكُم أصْلِي وعَشِيرَتِي ، وأحَبّ النّاسِ إلَيّ ولا أراكُم تَتّهِمُونِي ؛ قالُوا : صَدَقْت ، ما أنْتَ عِندنا بِمُتّهَمٍ قال فاكْتُمُوا عَنّي ؛ قالُوا : نَفْعَلُ فَما أمرُك ؟ ، ثُمّ قال لهم مِثْلَ ما قال لِقُرَيْشٍ وحَذّرَهم ما حَذّرَهم .

فَلَمّا كانَتْ لَيْلَةُ السّبْتِ من شَوّالٍ سَنَةَ خَمسٍ وكان من صُنْعِ الله [٣٤/أ] لِرسولِه ﷺ أن أرْسَلَ أبو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ ورُءُوسُ غَطَفانَ إلى بني قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ ابنَ أبي جَهْلٍ ، في نَفَرٍ من قُرَيْشٍ وغَطَفانَ ، فَقالوا لهم : إنّا لَسْنا بِدارِ مُقامٍ ، قد هَلَكَ الخُفّ والحافِرُ فاغْدُوا لِلْقِتالِ حتى نُناجِزَ مُحَمّدًا ، ونَفْرُغَ مِمّا بَيْنَنا وبَيْنَه فَأرْسَلُوا إلَيْهِم إنّ اليومَ يومُ السّبْتِ وهو يومٌ لا نَعْمَلُ فيه شيئًا ، وقد كان أحْدَثَ فيه بَعْضُنا حَدَثًا ، فَأصابَه ما لَم يَخْفَ عَلَيْكُمْ ولَسْنا مع ذلك بِالذِينَ نُقاتِلُ مَعَكُم مُحَمّدًا حتى تُعْطُونا رَهْنًا من رِجالِكُمْ يَكُونُونَ بِأيْدِينا ثِقَةً لَنا حتى نُناجِزَ مُحَمّدًا ، فَإنّا نَخْشَى إنْ ضَرّسَتْكُمُ الحَرْبُ واشْتَدّ عَلَيْكُمُ القِتالُ أن تَنْشَمِرُوا إلى بِلادِكُم وتَتْرُكُونا ، والرّجُلَ في بَلَدِنا ، ولا طاقَةَ لَنا بِذلك مِنْهُ فَلَمّا رَجَعَتْ إلَيْهِم الرّسُلُ بِما قالتْ بنُو قُرَيْظَةَ ، قالتْ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ : واللهِ إنّ الذي حَدّثَكُم نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ ، فَأرْسِلُوا بني قُرَيْظَةَ إذاً واللهِ لا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلاً واحِدًا من رِجالِنا ، فَإن كُنْتُم تُرِيدُونَ القِتال فاخْرُجُوا وَقاتِلُوا ؛ فَقالَتْ بنُو قُرَيْظَةَ ، حينَ انْتَهَتِ الرّسُلُ إلَيْهِم بِهذا : إنّ الذي ذَكَرَ لَكُم نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ ، ما يُرِيدُ القَوْمُ إلاّ أن يُقاتِلُوا ، فَإن رَأوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوها ، وإن كان غَيْرَ ذلك انْشَمَرُوا إلى بِلادِهِم . وخَلّوْا بَيْنَكُم وبَيْنَ الرّجُلِ في بَلَدِكُم فَأرْسِلُوا إلى قُرَيْشٍ وغَطَفانَ : إنّا واللهِ لا نُقاتِلُ مَعَكُم مُحَمّدًا حتى تُعْطُونا رَهْنًا ؛ فَأبَوْا علَيهِم وخَذّلَ الله بَيْنَهم وبَعَثَ الله عليهِم الرّيحَ في لَيالٍ شاتِيَةٍ بارِدَةٍ شَدِيدَةِ البَرْدِ فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهم وتَطْرَحُ أبْنِيَتَهم

[الرّسُولُ يرسل حُذَيْفَةَ لِيَتَعَرّفَ ما حَلّ بِالمُشْرِكين] :

(قال) : فَلَمّا انْتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ ما اخْتَلَفَ من أمرِهِم وما فَرّقَ الله من جَماعَتِهِم دَعا

حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ ، فَبَعَثَه إليهم ليَنظُرَ ما فَعَلَ القَوْمُ لَيلاً .

قال ابنُ إسحاقَ :فحَدَّثَني يَزِيدُ بنُ زِيادٍ ، عن مُحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظيِّ ، قال : قال رَجُلٌ من أهلِ الكُوفةِ لحُذَيْفَةَ بنِ اليَمانِ يا أبا عبدِ الله أرَأيتُم رسولَ الله ﷺ وصَحِبتُمُوه ؟ قال : نَعم يا ابنَ أخي ، قال فَكَيْفَ كُنتُم تَصنَعُونَ ؟ قال والله لَقد كُنّا نَجْهَدُ ، قال فقال : والله لَوْ أدْرَكْناه ما تَرَكْناه يَمشي على الأرْضِ ولَحَمَلْناه على أعناقِنا . قال فَقال حُذَيْفَةُ : يا ابنَ أخي ، والله لَقد رَأيْتُنا مع رسولِ الله ﷺ بالخَنْدَقِ وصَلّى رسولُ الله ﷺ هُوِيًا من اللّيلِ ثُمَّ التَفَتَ إلَينا فَقال : «**مَن رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنظُرَ لَنا ما فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ** - يَشْرِطُ له رسولُ الله ﷺ الرَّجْعَةَ - **أسأَلُ اللهَ تَعالى أن يَكُونَ رَفيقِي في الجَنّةِ ؟**» فَما قامَ رَجُلٌ من القَوْمِ ، من شِدّةِ الخَوْفِ وشِدّةِ الجُوعِ وشِدّةِ البَرْدِ فَلَمّا لَم يَقُم أحَدٌ ، دَعاني رسولُ الله ﷺ فَلَم يَكُن لي بُدّ من القيامِ حينَ دَعاني ؛ فَقال : «**يا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فادْخُلْ في القَوْمِ ، فانظُرْ ماذا يَصنَعُونَ ولا تُحْدِثَنّ شيئًا حتى تَأتِيَنا**» . قال فَذَهَبْت فَدَخَلْت في القَوْمِ والرّيحُ وجُنُودُ الله تَفْعَلُ بِهِم ما تَفْعَلُ لا تُقِرّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بِناءً . فَقامَ أبو سُفيانَ فَقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لِيَنظُرِ امرُؤٌ مَن جَليسُه ؟ قال حُذَيْفَةُ فأخَذْت بيَدِ الرّجُلِ الذي كان إلى جَنْبي ، فَقُلْت : مَن أنْتَ ؟ قال فُلانُ ابنُ فُلانٍ .

ثُمّ قال أبو سُفيانَ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّكُم والله ما أصْبَحْتُم بِدارِ مُقامٍ لَقد هَلَكَ الكُراعُ والخُفّ ، وأخْلَفَتْنا بنُو قُرَيْظَةَ ، وبَلَغَنا عنهم الذي نَكْرَه ولَقينا من شِدّةِ الرّيحِ ما تَرَوْنَ ما تَطْمَئِنّ لَنا قِدْرٌ ولا تَقُومُ لَنا نارٌ ولا يَستَمسِكُ لَنا بِناءٌ فارْتَحِلُوا فَإنّي مُرْتَحِلٌ ثُمّ قامَ إلى جَمَلِه وهو مَعْقُولٌ فَجَلَسَ عليه ثُمّ ضَرَبَه فَوَثَبَ به على ثَلاثٍ فَواللهِ ما أُطْلِقَ عِقاله إلاّ وهو قائِمٌ ولَوْلا عَهْدُ رسولِ الله ﷺ إلَيّ «**أن لا تُحْدِثْ شيئًا حتى تَأتِيَني**» ، ثُمّ شِئْت ، لَقَتَلْته بِسَهمٍ . قال حُذَيْفَةُ فَرَجَعْتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائِمٌ يُصَلّي في مِرْطٍ لِبَعْضِ نِسائِه مَراجِلُ . قال ابنُ هشام :المَراجِلُ ضَرْبٌ من وشْيِ اليَمَنِ . فَلَمّا رَآني أدْخَلَني [٣٤/ب]إلى رِجلَيْه وطَرَحَ عَلَيّ طَرَفَ المِرْطِ ثُمّ رَكَعَ وسَجَدَ وإنّي لَفيه فَلَمّا سَلّمَ أخْبَرْته الخَبَرَ ، وسَمِعَتْ غَطَفانُ بما فَعَلَتْ قُرَيْشٌ ، فانْشَمَرُوا راجِعينَ إلى بِلادِهِم .

قال ابنُ إسحاقَ :ولَمّا أصْبَحَ رسولُ الله ﷺ انصَرَفَ عن الخَنْدَقِ راجِعًا إلى المَدينَةِ والمُسلِمُونَ ووَضَعُوا السّلاحَ .

[غَزْوَةُ بني قُرَيْظَةَ في سَنَةِ خَمسٍ]

فَلَمّا كانَتِ الظّهْرُ أتَى جِبْرِيلُ رسولَ الله ﷺ كَما حَدّثَني الزّهْرِيّ «**مُعْتَجِرًا بِعِمامَةٍ من إستَبْرَقٍ على بَغْلَةٍ عليها رِحالَةٌ عليها قَطيفَةٌ من ديباجٍ فَقال أوَقَد وضَعْتَ السّلاحَ يا**

رسولَ الله ؟ قال : نَعم ، فَقال جِبْرِيلُ فَما وضَعَتِ الملائِكَةُ السّلاحَ بَعْدُ وما رَجَعَتِ الآنَ إلاّ من طَلَبِ القَوْمِ إنّ اللهَ عَزّ وجَلّ يَأمُرُك يا مُحَمّدُ بالمَسِيرِ إلى بني قُرَيْظَةَ ، فَإني عامِدٌ إلَيْهِم فَمُزَلْزِلٌ بِهِم» .

فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ مُؤَذّنًا ، فَأذّنَ في النّاسِ مَن كان سامِعًا مُطيعًا ، فَلا يُصَلّيَنّ العَصْرَ إلاّ ببني قُرَيْظَةَ واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ابنَ أُمّ مَكْتُوم ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابنُ إسحاقَ : وقَدّمَ رسولُ الله ﷺ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ بِرايَتِه إلى بني قُرَيْظَةَ ، وابْتَدَرَها النّاسُ . فَسارَ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ، حتى إذا دَنا من الحُصُونِ سَمِعَ منها مَقالةً قَبيحَةً لِرسولِ الله ﷺ فَرَجَعَ حتى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ بالطّريقِ فَقال يا رسولَ الله لا عَلَيْكَ أن لا تَدْنُوَ من هَؤُلاءِ الأخابِثِ قال : «لِمَ ؟ أظُنّكَ سَمِعْتَ منهم لي أذًى ؟» قال : نَعم يا رسولَ الله قال : «لَوْ رَأوْني لَم يقولوا من ذلك شيئًا» . فَلَمّا دَنا رسولُ الله ﷺ من حُصُونِهِم . قال : «يا إخْوانَ القِرَدَةِ هَلْ أخزاكُمُ الله وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَه ؟» قالُوا : يا أبا القاسِمِ ما كُنْتَ جَهُولاً .

[سأل الرّسُولُ عمّن مَرّ بِهِم فَقيلَ دِحْيَةُ فَعَرَفَ أنّه جبْرِيلُ] :

وَمَرّ رسولُ الله ﷺ بِنَفَرٍ من أصحابه بالصّوْرَيْنِ قَبْلَ أن يَصِلَ إلى بني قُرَيْظَةَ ، فَقال : «هَلْ مَرّ بِكُمْ أحَدٌ ؟» قالُوا : يا رسولَ الله قد مَرّ بِنا دِحْيَةُ بنُ خَليفَةَ الكَلْبِيّ ، على بَغْلَةٍ بَيْضاءَ عليها رِحالَةٌ عليها قَطيفَةٌ ديباجٌ . فَقال رسولُ الله ﷺ : «ذلك جِبْرِيلُ بُعِثَ إلى بني قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِم حُصُونَهم ويَقْذِفُ الرّعْبَ في قُلُوبِهِم» .

وَلَمّا أتَى رسولُ الله ﷺ بني قُرَيْظَةَ نَزَلَ على بِئْرٍ من آبارِها من ناحيَةِ أموالِهِم يُقالُ لها بِئْرُ أُنا .

قال ابنُ هشام : بِئْرُ أُنَى .

[تَلاحُقُ المُسْلِمينَ بالرّسُولِ]

[قال ابنُ إسحاقَ] : وتَلاحَقَ به النّاسُ فَأتَى رِجالٌ منهم من بَعْدِ العِشاءِ الآخِرَةِ ولَم يُصَلّوا العَصْرَ لِقَوْلِ رسولِ الله ﷺ : «لا يُصَلّيَنّ أحَدٌ العَصْرَ إلاّ ببني قُرَيْظَةَ» فَشَغَلَهم ما لَمْ يَكُن مِنه بُدّ في حَرْبِهِم وأبَوْا أن يُصَلّوا ، لِقَوْلِ رسولِ الله : «حتى تَأتُوا بني قُرَيْظَةَ» . فَصَلّوْا العَصْرَ بِها بعد العِشاءِ الآخِرَةِ ، فَما عابَهم الله بذلك في كِتابه ولا عَنّفَهم به رسولُ الله ﷺ . حَدّثَني بِهذا الحَديثِ أبو إسحاقَ بنُ يَسارٍ ، عن مَعْبَدِ بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ الأنْصارِيّ .

[قال] : وحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ خَمْسًا وعِشْرينَ لَيْلَةً حتى جَهَدَهم الحِصارُ وقَذَفَ الله في قُلُوبِهِم الرّعْبَ . وقد كان حُيَيّ بنُ أخْطَبَ دَخَلَ مع بني قُرَيْظَةَ في حِصْنِهِم حينَ رَجَعَتْ عنهم

قُرَيْشٌ وغَطفانُ ، وفاءً لِكَعْبِ بنِ أَسَدٍ بما كان عاهَدَه عليه . فلَمّا أيقَنُوا بأنّ رسولَ الله ﷺ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عنهم حتى يُناجِزَهم قال كَعْبُ ابنُ أَسَدٍ لهم يا مَعْشَرَ يَهُودَ قد نَزَلَ بِكُم من الأمرِ ما تَرَوْنَ ، وإنّي عارِضٌ عَلَيْكُم خِلالاً ثَلاثًا ، فخُذُوا أيّها شِئْتُم قالُوا : وما هِيَ ؟ قال نُتابِعُ هذا الرَّجُلَ ونُصَدِّقُه فَوالله لَقد تَبَيَّنَ لَكُمْ أنه لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ وأنه لَلَذي تَجِدُونَه في كِتابِكُم فَتَأْمَنُونَ على دِمائِكُم وأموالِكُمْ وأبنائِكُمْ ونِسائِكُمْ . قالُوا : لا نُفارِقُ حُكْمَ التَوْراةِ أبَدًا ، ولا نَسْتَبْدِلُ به غَيْرَه ، قال : فإذا أبَيْتُم عَلَيَّ هذه فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أبناءَنا ونِساءَنا ثُمّ نَخْرُجُ إلى مُحَمّدٍ وأصحابه رِجالاً مُصْلِتِينَ السُّيُوفَ لَم نَتْرُكْ وراءَنا [٣٥/أ] ثَقَلاً ، حتى يَحْكُمَ الله بَيْنَنا وبَيْنَ مُحَمّدٍ فإن نَهْلِكْ نَهْلِكْ ولَم نَتْرُكْ وراءَنا نَسْلاً نَخْشَى عليه وإن نَظْهَرْ فَلَعَمري لَنَجِدَنّ النّساءَ والأبناءَ قالُوا : نَقْتُلُ هَؤُلاءِ المَساكِينَ فما خَيْرُ العَيْشِ بعدهم ؟ قال : فإن أبَيْتُم عَلَيَّ هذه فإنّ اللّيْلَةَ لَيْلَةُ السّبْتِ وإنه عَسَى أن يَكُونَ مُحَمّدٌ وأصحابُه قد أَمَنُونا فيها ، فانْزِلُوا لَعَلّنا نُصيبُ من مُحَمّدٍ وأصحابه غِرّةً قالُوا : نُفْسِدُ سَبْتَنا عَلَيْنا ، ونُحْدِثُ فيه ما لَمْ يُحْدِثْ مَن كان قَبْلَنا إلاّ مَن قد عَلِمت ، فأصابَه ما لَم يَخْفَ عَلَيْك من المَسْخ ، قال : ما باتَ رَجُلٌ مِنكُمْ مُنذُ وَلَدَتْه أُمّه لَيْلَةً واحِدَةً من الدهْرِ حازِمًا .

[أبو لُبابَةَ وتَوْبَتُهُ] :

قال : ثُمّ إنّهم بَعَثُوا إلى رسولِ الله ﷺ: أن ابْعَثْ إلَيْنا أبا لُبابَةَ بنَ عبدِ المُنْذِرِ أخا بني عمرِو ابنِ عَوْفٍ وكانوا حُلَفاءَ الأَوْسِ ، لِنَسْتَشيرَه في أمرِنا ، فأَرْسَلَه رسولُ الله ﷺ إليْهِم فلَمّا رَأَوْه قامَ إلَيه الرِّجالُ وجَهَشَ إلَيه النساءُ والصِّبْيانُ يَبْكُونَ في وجْهه فَرَقّ لهم وقالُوا له : يا أبا لُبابَةَ أتَرَى أن نَنْزِلَ على حُكْمِ مُحَمّدٍ ؟ قال نَعم وأشارَ بيَدِه إلى حَلْقِه إنه الذّبْحُ . قال أبو لُبابَةَ : فَوالله ما زالتْ قَدَمايَ من مَكانِهِما حتى عَرَفْتُ أنّي قد خُنْتُ اللهَ ورسولَه ﷺ ثُمّ انطَلَقَ أبو لُبابَةَ على وجْهِه ولَمْ يَأْتِ رسولَ الله ﷺ حتى ارْتَبَطَ في المَسْجِدِ إلى عَمُودٍ من عُمُدِه وقال : لا أبْرَحُ مَكاني هذا حتى يَتُوبَ الله عَلَيَّ مِمّا صَنَعْت ، وعاهَدَ اللهَ أن لا أطَأَ بني قُرَيْظَةَ أبَدًا ، ولا أُرَى في بَلَدٍ خُنْت اللهَ ورسولَه فيه أبَدًا .

قال ابنُ هشام : وأنْزَلَ الله تَعالى في أبي لُبابَةَ فيما قال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالِدٍ ، عن عبدِ الله بنِ أبي قَتادَةَ : **﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنتُم تَعْلَمُونَ﴾** .

قال ابنُ إسحاقَ : فلَمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ خَبَرُه وكان قد اسْتَبْطَأَه قال : **«أما إنّه لَوْ جاءَني لاستَغْفَرْتُ له فأمّا إذْ قد فَعَلَ ما فَعَلَ فما أنا بالذي أُطْلِقُه من مَكانِه حتى يَتُوبَ الله عليه»**

قال ابنُ إسحاق : فحَدَّثني يَزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ قُسَيْط أنّ تَوْبَةَ أبي لُبابَةَ نَزَلَتْ على رسولِ الله ﷺ من السَّحَرِ وهو في بَيْتِ أُمّ سَلَمَةَ . قالتْ أُمّ سَلَمَةَ : فَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَرِ [وهو] يَضْحَكُ . قالتْ فَقُلْت : مِمّ تَضْحَكُ يا رسولَ الله ؟ أضحَكَ الله سِنّك ؛ قال : «تِيبَ على أبي لُبابَةَ» قالتْ قلت : أفَلا أُبَشّرُه يا رسولَ الله ؟ قال : «بَلَى ، إن شِئْتِ» قال فَقامَتْ على بابِ حُجْرَتِها ، وذلِكَ قَبْلَ أن يُضْرَبَ عليهنّ الحِجابُ فقالتْ يا أبا لُبابَةَ أبْشِرْ فقد تابَ الله عَلَيْكَ قالتْ فَثارَ النّاسُ إلَيْه ليُطْلِقُوه فقال لا والله حتى يَكُونَ رسولُ الله - ﷺ - هُوَ الذي يُطْلِقُني بيَدِه فلَمّا مَرّ عليه رسولُ الله ﷺ خارِجًا إلى صَلاةِ الصّبح أطْلَقَه .

قال ابنُ هشام : أقامَ أبو لُبابَةَ مُرْتَبِطًا بالجِذْعِ سِتّ لَيالٍ . تَأتيه امرأتُه في كُلّ وقْتِ صَلاةٍ فَتَحُلّه لِلصّلاةِ ثُمّ يَعُودُ فَيَرْتَبِطُ بالجِذْعِ فيما حَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ

والآيَةُ التي نَزَلَتْ في تَوْبَتِه قَوْلُ الله عَزّ وجَلّ ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عمَلاً صالِحًا وآخَرَ سَيّئًا عَسَى الله أن يَتُوبَ عليهم إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾

[إسلامُ نَفَرٍ من بني هُدَلٍ] :

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ إنّ ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ ، وأُسَيْدَ بنَ سَعْيَةَ . وأسَدَ بنَ عُبَيْدٍ ، وهم نَفَرٌ من بني هُدَلٍ لَيْسُوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النّضيرِ نَسَبُهم فَوْقَ ذلك هم بنُو عمّ القَوْمِ أسْلَمُوا تِلْكَ اللّيْلَةَ التي نَزَلَتْ فيها بنُو قُرَيْظَةَ على حُكْمِ رسولِ الله ﷺ وَخَرَجَ في تِلْكَ اللّيْلَةِ عمرُو بنُ سُعْدَى القُرَظيُّ فَمَرّ بحَرَسِ رسولِ الله ﷺ وعليه مُحَمّدُ ابنُ مَسلَمَةَ تِلْكَ اللّيْلَةَ فَلَمّا رَآه قال مَن هذا ؟ قال أنا عمرُو بنُ سُعْدَى وكان عمرٌو قد أبَى أن يَدْخُلَ مع بني قُرَيْظَةَ في غَدْرِهِم برسولِ الله ﷺ وقال لا أغْدِرُ بمُحَمّدٍ أبَدًا - فَقال مُحَمّدُ بنُ مُسلِمَة حينَ عَرَفَه : اللّهمّ لا تَحْرِمني إقالَةَ عَثَراتِ الكِرام ثُمّ خَلّى سَبيلَه . فَخَرَجَ على وجْهِه حتى أتَى بابَ مَسْجِدِ رسولِ الله ﷺ بالمَدينَةِ تِلْكَ اللّيْلَةَ ثُمّ ذَهَبَ فَلَم يُدْرَ أيْنَ تَوَجّهَ من الأرْضِ إلى يومِه هذا ، فَذُكِرَ لِرسولِ الله ﷺ شَأنُه فَقال : «ذاكَ رَجُلٌ نَجّاه الله بوَفائِه»

وَبَعْضُ النّاسِ يَزْعُمُ أنّه كان أُوثِقَ برُمّةٍ [(١)] فيمَن أُوثِقَ من بني قُرَيْظَة حينَ نَزَلُوا على حُكْمِ رسولِ الله ﷺ فَأصْبَحَتْ رُمّتُه مُلْقاةً [٣٥/ب] ولا يُدْرَى أيْنَ ذَهَبَ فَقال رسولُ الله ﷺ فيه تِلْكَ المَقالَةَ والله أعْلَمُ أيّ ذلك كانَ .

---

(١) الرمة : الحبل البالي .

[نزُولُ بني قُرَيْظَةَ على حُكْمِ الرّسُولِ وتَحْكيمُ سَعْدٍ] :

قال : فَلَمّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا على حُكْمِ رسولِ الله ﷺ فَتَواثَبَتِ الأوْسُ ، فَقالُوا : يا رسولَ الله إنّهم مَوالينا دُونَ الخَزْرَجِ ، وقد فَعَلْتَ في مَوالي إخْوانِنا بالأمسِ ما قد عَلِمت - وقد كان رسولُ الله ﷺ قَبْلَ بني قُرَيْظَةَ قد حاصَرَ بني قَيْنُقاعٍ وكانوا حُلَفاءَ الخَزْرَجِ ، فَنَزَلُوا على حُكْمِه فَسَأله إيّاهم عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ ، فَوَهَبَهم له - فَلَمّا كَلّمَتْه الأوْسُ قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأوْسِ أن يَحْكُمَ فيهم رَجُلٌ مِنْكُم ؟**» قالُوا : بَلَى ؛ قال رسولُ الله ﷺ : «**فَذاكَ إلى سَعْدِ ابنِ مُعاذٍ**»

وَكان رسولُ الله ﷺ قد جَعَلَ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ في خَيْمَةٍ لامرأةٍ من أسْلَمَ ، يُقالُ لها رُفَيْدَةُ في مَسْجِدِه كانَتْ تُداوي الجَرْحَى ، وتَحْتَسِبُ بِنَفْسِها على خِدْمَةِ مَن كانَتْ به ضَيْعَةٌ من المُسْلِمينَ وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لِقَوْمِه حينَ أصابَه السّهْمُ بالخَنْدَقِ : «**اجْعَلُوه في خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حتى أعُودَه من قَريبٍ**»

فَلَمّا حَكّمَه رسولُ الله ﷺ في بني قُرَيْظَةَ أتاه قَوْمُه فَحَمَلُوه على حِمارٍ قد وطّئُوا له بِوِسادَةٍ من أدَمٍ وكان رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً ، ثُمّ أقْبَلُوا مَعَه إلى رسولِ الله ﷺ وهم يقولونَ يا أبا عمرٍو ، أحْسِن في مَواليك ، فإنّ رسولَ الله ﷺ إنّما ولاّك ذلك لِتُحْسِنَ فيهم فَلَمّا أكْثَرُوا عليه قال : لَقد آنَ لِسَعْدٍ أن لا تَأْخُذَه في الله لَوْمَةُ لائِمٍ . فَرَجَعَ بَعْضُ مَن كان مَعَه من قَوْمِه إلى دارِ بني عبدِ الأشْهَلِ ، فَنَعَى لهم رِجالَ بني قُرَيْظَةَ قَبْلَ أن يَصِلَ إليهم سَعْدٌ عن كَلِمَتِه التي سَمِعَ مِنه . فَلَمّا انْتَهَى سَعْدٌ إلى رسولِ الله ﷺ والمُسْلِمينَ قال رسولُ الله ﷺ : «**قُومُوا إلى سَيّدِكُم**» فَأمّا المُهاجِرُونَ من قُرَيْشٍ ، فَيقولونَ إنّما أرادَ رسولُ الله ﷺ الأنْصارَ ؛ وأمّا الأنْصارُ ، فَيقولونَ قد عمّ بها رسولُ الله ﷺ فَقامُوا إليه فَقالُوا : يا أبا عمرٍو ، إنّ رسولَ الله ﷺ قد ولاّك أمرَ مَواليك لِتَحْكُمَ فيهم فَقال سَعْدُ بنُ مُعاذٍ : عَلَيْكُمْ بذلك عَهْدُ الله وميثاقُه ، أنّ الحُكْمَ فيهم لَما حَكَمْتُ ؟ قالُوا : نَعم وعلى مَن هاهُنا في النّاحيَةِ التي فيها رسولُ الله ﷺ وهو مُعْرِضٌ عن رسولِ الله ﷺ إجْلالاً له فَقال رسولُ الله ﷺ : نَعم قال سَعْدٌ فَإنّي أحْكُمُ فيهم أن تُقْتَلَ الرّجالُ وتُقَسّمَ الأموالُ وتُسْبَى الذّراريّ والنّساءُ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عمرِو بنِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ ، عن عَلْقَمَةَ بنِ وقّاصٍ اللّيْثِيّ ، قال : «قال رسولُ الله ﷺ لِسَعْدٍ : «**لَقد حَكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ الله من فَوْقِ سَبْعَةِ أرْقِعَةٍ**»

[سَبَبُ نُزُولِ بني قُرَيْظَةَ على حُكْمِ سَعْدٍ في رَأْيِ ابنِ هشام] :

قال ابنُ هشام : حَدَّثَني بَعْضُ مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ أنّ عَليَّ بنَ أبي طالِبٍ صاحَ وهم مُحاصِرُو بني قُرَيْظَةَ : يا كَتيبَةَ الإيمانِ ، وتَقَدَّمَ هُوَ والزُّبَيْرُ بنُ العَوّام ، وقال واللهِ لأَذُوقَنّ ما ذاقَ حَمْزَةُ أو لأَفْتَحَنّ حِصْنَهم فقالُوا : يا مُحَمَّدُ نَنْزِلُ على حُكْمِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمَّ استَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهم رسولُ اللهِ ﷺ بالمَدينَةِ في دارِ بِنْتِ الحارِثِ امرَأةٍ من بني النَّجّارِ ثُمَّ خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى سُوقِ المَدينَةِ ، التي هيَ سُوقُها اليومَ فَخَنْدَقَ بها خَنادِقَ ثُمَّ بَعَثَ إلَيْهِم فَضَرَبَ أعناقَهم في تِلْكَ الخَنادِقِ يُخْرَجُ بِهِم إلَيْه أرْسالاً ، وفيهم عَدُوّ اللهِ حُيَيّ بنُ أخطَبَ ، وكَعْبُ بنُ أسَدٍ ، رَأْسُ القَوْمِ وهم سِتّ مِئَةٍ أو سَبْعُ مِئَةٍ والمُكْثِرُ لهم يقول كانوا بَيْنَ الثّمانِ مِئَةٍ والتّسعِ مِئَةٍ .وَقد قالُوا لِكَعْبِ بنِ أسَدٍ ، وهم يُذْهَبُ بِهِم إلى رسولِ اللهِ ﷺ أرْسالاً : يا كَعْبُ ما تَراه يُصْنَعُ بنا ؟ قال أفي كُلّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلُونَ ؟ ألا تَرَوْنَ الدّاعيَ لا يَنْزِعُ وأنّه مَن ذُهِبَ به مِنْكُم لا يَرْجِعُ ؟ هُوَ واللهِ القَتْلُ فَلَمْ يَزَلْ ذلك الدّأْبُ حتى فَرَغَ منهم رسولُ اللهِ ﷺ

وَأُتِيَ بِحُيَيّ بنِ أخطَبَ [٣٦/أ] عَدُوّ اللهِ وعليه حُلّةٌ له فَقّاحِيّةٌ - قال ابنُ هشام : فَقّاحيّةٌ ضَرْبٌ من الوَشْي - قد شَقّها عليه من كُلّ ناحيَةٍ قدرَ أُنْمُلَةٍ لِئَلاّ يُسْلَبَها ، مَجْمُوعَةٌ يَداه إلى عُنُقِه بِحَبْلٍ . فَلَمّا نَظَرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ قال : أما واللهِ ما لُمتُ نَفْسي في عَداوَتِك ، ولَكِنّه مَن يَخْذُلِ اللهَ يُخْذَلْ ثُمّ أقْبَلَ على النّاسِ فقال : أيها النّاسُ إنّه لا بَأْسَ بِأمرِ اللهِ كِتابٌ وقَدَرٌ ومَلْحَمَةٌ كَتَبَها اللهُ على بني إسرائيلَ ثُمّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُه . فَقال جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثّعْلَبيّ :

لَعَمرُك ما لامَ ابنُ أخطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنّه مَن يَخْذُلُ اللهَ يُخْذَلِ

لَجاهَدَ حتى أبْلَغَ النّفْسَ عُذْرَهـا وَقَلْقَلَ يَبْغي العِزّ كُلّ مُقَلْقَلِ

قَتْلُ من نِسائِهم امرَأةً واحِدَةً :

قال ابنُ إسحاقَ : وقد حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عائِشَةَ أُمّ المُؤْمِنينَ أنّها قالتْ : لَم يُقْتَلْ من نِسائِهم إلاّ امرَأةٌ واحِدَةٌ قالتْ واللهِ إنّها لِعِنْدي تَحَدّثُ مَعي ، وتَضْحَكُ ظَهْرًا وبَطْنًا ، ورسولُ اللهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجالَها في السّوقِ إذْ هَتَفَ هاتِفٌ باسْمِها : أيْنَ فُلانَةُ ؟ قالتْ : أنا ، واللهِ قالتْ قلت لها : وَيْلَك ، ما لَكِ ؟ قالتْ أُقْتَلُ قلت : ولِمَ ؟ قالتْ لِحَدَثٍ أحْدَثْتُه ، قالتْ فانْطَلَقَ بها ، فَضُرِبَتْ عُنُقُها ، فَكانَتْ عائِشَةُ تَقُولُ : فَواللهِ ما أنْسَى عَجَبًا منها ، طيبَ نَفْسِها ، وكَثْرَةَ ضَحِكِها ، وقد عَرَفَتْ أنّها تُقْتَلُ .

قال ابنُ هشام : وهيَ التي طَرَحَتِ الرّحا على خَلاّدِ بنِ سُوَيْدٍ ، فَقَتَلَتْه .

[شَأنُ الزَبِيْرِ بن باطا] :

قال ابنُ إسحاقَ : وقد كان ثابتُ بنُ قَيْسِ بنِ الشَمّاسِ كما ذَكَرَ لي ابنُ شِهابٍ الزُهْرِيّ ، أَتَى الزَبِيْرَ بنَ باطا القُرَظيّ وكان يُكَنّى أبا عبدِ الرَحْمَنِ - وكان الزَبِيْرُ قد مَنّ على ثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمّاسٍ في الجاهِلِيّةِ . ذَكَرَ لي بَعْضُ ولَدِ الزَبِيْرِ أنّه كان مَنّ عليه يومَ بُعاثٍ أَخَذَه فَجَزّ ناصيَتَه ثُمّ خَلّى سَبيلَه - فَجاءَه ثابتٌ وهو شيخٌ كَبيرٌ فَقال يا أبا عبدِ الرَحْمَنِ هَلْ تَعْرِفُني ؟ قال وهَلْ يَجْهَلُ مِثْلي مِثْلَك ؛ قال إنّي قد أرَدْتُ أن أجْزِيَك بيَدِك عِنْدي ؛ قال إنّ الكَرِيمَ يَجْزِي الكَرِيمَ .

ثُمّ أَتَى ثابتُ بنُ قَيْسٍ رسولَ الله ﷺ فَقال يا رسولَ الله إنه قد كانَتْ لِلزَبِيْرِ عَلَيّ مِنّةٌ وقد أحْبَبْت أن أجْزِيَه بِها ، فَهَبْ لي دَمَه فقال رسولُ الله ﷺ : «**هُوَ لَك**» ؛ فأتاه فَقال إنّ رسولَ الله ﷺ قد وهَبَ لي دَمَك ، فهو لَك ، قال شيخٌ كَبيرٌ لا أهلَ له ولا ولَدٌ فَما يَصْنَعُ بالحَياةِ ؟ قال فَأَتَى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فَقال بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ الله هَبْ لي امرأتَه ووَلَدَه قال : «**هم لَك**» . قال فأتاه فَقال قد وهَبَ لي رسولُ الله ﷺ أهلَك ووَلَدَك ، فَهم لَك ؛ قال أهلُ بَيْتٍ بالحِجازِ لا مالَ لهم فَما بَقاؤُهم على ذلك ؟ فأَتَى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فَقال يا رسولَ الله ماله قال : «**هُوَ لَك**» . فأتاه ثابتٌ فَقال قد أعْطاني رسولُ الله ﷺ مالك ، فهو لَك قال أيْ ثابتُ ما فَعَلَ الذي كَأنّ وجْهَه مِرآةٌ صينيّةٌ يَتَراءَى فيها عَذارَى الحَيّ كَعْبُ بنُ أسَدٍ ؟ قال قُتِلَ قال فَما فَعَلَ سَيّدُ الحاضِرِ والبادي حُيَيّ ابنُ أخْطَبَ ؟ قال قُتِلَ ، قال فَما فَعَلَ مُقَدّمَتُنا إذا شَدَدْنا ، وحامِيَتُنا إذا فَرَرْنا ،عَزّالُ بنُ سَمَوْأَلَ ؟ قال : قُتِلَ ، قال : فَما فَعَلَ المَجْلِسانِ ؟ - يَعْني بني كَعْبِ بنِ قُرَيْظَةَ - وبنيّ عمرِو بنِ قُرَيْظَةَ قال ذَهَبوا قُتِلُوا ؟ قال فَأَنّي أسألُك يا ثابتُ بيَدي عندك إلاّ ألْحَقْتني بالقَوْمِ فَوالله ما في العَيْشِ بعد هَؤُلاءِ من خَيْرٍ فَما أنا بِصابِرٍ لله فَتْلَةَ دَلْوٍ ناضِحٍ حتى ألْقَى الأحِبّةَ . فَقَدّمَه ثابتٌ فَضُرِبَ عُنُقُه . فَلَمّا بَلَغَ أبا بَكْرٍ الصِدّيقَ قَوْلَه ألْقَى الأحِبّةَ . قال يَلْقاهم والله في نارِ جَهَنّمَ خالِدًا فيها مُخَلّدًا .

قال ابنُ هشامٍ : قِبْلَةَ دَلْوٍ ناضِحٍ . وقال زُهَيْرُ بنُ أبي سَلْمَى في «قِبْلَةٍ» :

وَقابِلٍ يَتَغَنّى كُلّما قَدَرَتْ ... على العَراقَى يَداه قائمًا دَفَقاه

وَهذا البَيْتُ في قَصيدةٍ له . قال ابنُ هشامٍ : ويُرْوَى : وقابِلٌ يُتَلَقّى ، يَعْني قابِلَ الدَلْوِ يَتَناوَلُ

قال ابنُ إسحاقَ : وكان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ بِقَتْلِ كُلّ مَن أنْبَتَ منهم .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني شُعْبَةُ بنُ الحَجّاجِ عن عبدِ المَلِكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن عَطيّةَ القُرَظيّ ،مقال كان رسولُ الله ﷺ قد أمَرَ أن يُقْتَلَ من بني قُرَيْظَةَ [٣٦/ب] كُلّ مَن أنْبَتَ منهم

وكُنت غُلامًا ، فَوَجَدُوني لَمْ أُنبِتْ فَخَلَّوْا سَبِيلي .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثَني أيّوبُ بنُ عبدِ الرَّحمَنِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي صَعْصَعَةَ أخُو بني عَديّ بنِ النّجّارِ أنّ سَلْمَى بِنْتَ قَيْسٍ ، أُمّ المُنْذِرِ أُخْتَ سُلَيْطِ ابنِ أُخْتَ سُلَيْطِ بنِ قَيْسٍ - وكانَتْ إحْدَى خالاتِ رسولِ الله ﷺ قد صَلّتْ مَعَه القِبْلَتَيْنِ وبايَعَتْه بَيْعَةَ النّساءِ - سَألَتْه رِفاعَةَ ابنَ سَمَوْأَلَ القُرَظيّ وكان رَجُلاً قد بَلَغَ فَلاذَ بها ، وكان يَعْرِفُهم قَبْلَ ذلك فقالت يا نَبِيّ الله بِأبي أنْتَ وأُمّي ، هَبْ لي رِفاعَةَ ، فإنّه قد زَعَمَ أنّه سَيُصَلّي ويَأكُلُ لَحْمَ الجَمَلِ قال فَوَهَبَه لها ، فاستَحْيَتْه

[قَسْمُ فَيْءِ بني قُرَيْظَةَ]

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ إنّ رسولَ الله ﷺ قَسَمَ أموالَ بني قُرَيْظَةَ ونِساءَهم وأبناءَهم على المُسْلِمينَ وأعْلَمَ في ذلك اليومِ سُهْمانَ الخَيْلِ وسُهْمانَ الرّجالِ وأخْرَجَ منها الخُمُسَ فكان لِلْفارِسِ ثَلاثَةُ أسْهُمٍ لِلْفَرَسِ سَهْمانِ ولِفارِسِه سَهْمٌ ولِلرّاجِلِ مَن ليس له فَرَسٌ سَهْمٌ . وكانَتِ الخَيْلُ يومَ بني قُرَيْظَةَ سِتّةً وثَلاثينَ فَرَسًا ، وكان أوّلَ فَيْءٍ وقَعَتْ فيه السّهْمانُ وأُخْرِجَ منها الخُمُسُ فَعلى سُنّتِها وما مَضَى من رسولِ الله ﷺ فيها وقَعَتِ المَقاسِمُ ومَضَتِ السّنّةُ في المَغازي . ثُمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سَعْدَ ابنَ زَيْدٍ الأنْصاريّ أخا بني عبدِ الأشْهَلِ بِسَبايا من سَبايا بني قُرَيْظَةَ إلى نَجْدٍ ، فابْتاعَ لهم بها خَيْلاً وسِلاحًا .

[قال] : وكان رسولُ الله ﷺ قد اصْطَفَى لِنَفْسِه من نِسائِهِم رَيْحانَةَ بِنْتَ عمرِو بنِ خُنافَةَ إحْدَى نِساءِ بني عمرو بنِ قُرَيْظَةَ فكانَتْ عند رسولِ الله ﷺ حتى تُوُفّيَ عنها وهيَ في مِلْكِه وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يَتَزَوّجَها ، ويَضْرِبَ عليها الحِجابَ فَقالتْ يا رسولَ الله بَلْ تَتْرُكُني في مِلْكِك ، فهو أخَفّ عَلَيّ وعَلَيْك ، فَتَرَكَها . وقد كانَتْ حينَ سَباها قد تَعَصّتْ بالإسلامِ وأبَتْ إلاّ اليَهُودِيّةَ فَعَزَلَها رسولُ الله ﷺ ووَجَدَ في نَفْسِه لِذلك من أمرِها . فَبَيْنا هُوَ مع أصْحابه إذْ سَمِعَ وقْعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَه فقال : «إنّ هذا لَثَعْلَبَةَ بنِ سَعْيَةَ يُبَشّرُني بإسلامِ رَيْحانَةَ» فَجاءَه ، فَقال : يا رسولَ الله قد أسْلَمَتْ رَيْحانَةُ . فَسَرّه ذلك من أمرِها

[ما نَزَلَ في الخَنْدَقِ وبني قُرَيْظَةَ] :

[قال ابنُ إسحاقَ] : وأنْزَلَ الله تَعالى في أمرِ الخَنْدَقِ ، وأمرِ بني قُرَيْظَةَ من القُرْآنِ القِصّةَ في سُورَةِ الأحْزابِ ، يَذْكُرُ فيها ما نَزَلَ من البَلاءِ ونِعْمَتِه عليهم وكِفايَتِه إيّاهم حينَ فَرّجَ ذلك عنهم بعد مَقالةِ مَن قال من أهلِ النّفاقِ ﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُم إذْ جاءَتْكُم جُنُودٌ فَأرْسَلْنا عليهم رِيحًا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها وكان الله بِما تَعْمَلُونَ بَصيرًا﴾ والجُنُودُ قُرَيْشٌ وغَطَفانُ

وبنو قُرَيْظَةَ ، وكانَتِ الجُنُودُ التي أرْسَلَ الله عليهم مع الرِّيحِ الملائِكَـةَ . يَقُول الله تَعالى : ﴿**إذْ جاءُوكُم من فَوْقِكُمْ ومِن أسفَلَ مِنْكُم وإذْ زاغَتِ الأبصارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحناجِرَ وتَظُنُّونَ بالله الظَّنُونَ**﴾ فالـذينَ جاءُوهم من فَوْقِهـم بنُـو قُرَيْظَـةَ ، والـذينَ جاءُوهم مـن أسْفَـلَ منهم قُـرَيْشٌ وغَطَفانُ . يقول الله [تَبارَكَ و تَعالى] : ﴿**هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَديدًا وَإذْ يقـول المُنافِقُونَ والذينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ ما وعَدَنا الله ورسولُـه إلاّ غُرُورًا**﴾ لِقَوْلِ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيرٍ إذْ يقول ما قال ﴿**وَإذْ قالتْ طائِفَةٌ منهم يا أهلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا ويَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ منهمُ النَّبِيَّ يقولـونَ إنّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وما هِيَ بِعَوْرَةٍ إن يُرِيـدُونَ إلاّ فِرارًا**﴾ لِقَوْلِ أوْسِ بنِ قَيْظِيّ ومَن كان على مثل رَأيِه من قَوْمِه ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عليهم من أقْطارِها**﴾ أي المَدينَةِ .

قال ابنُ هشام : الأقْطارُ الجَوانِبُ وواحِدُها : قُطْرٌ ، وهِيَ الأقْتارُ وواحِدُها : قَتْرٌ . قال الفَرَزْدَقُ :

كَمْ من غِنًى فَتَحَ الإلَهُ لهم به والخَيْلُ مُقْعِيَةٌ على الأقْطارِ

وَيُرْوَى : «على الأقْتارِ» . وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له .

﴿**ثُمّ سُئِلُوا الفِتْنَـةَ**﴾ أي الـرّجُوعَ إلى الشِّرْكِ ﴿**لآتَوْها وما تَلَبَّثُوا بِها إلاّ يَسيرًا ولَقَـد كانوا عاهَدُوا اللهَ**﴾ [٣٧/أ] **من قَبْلُ لا يُوَلّونَ الأدْبارَ وكان عَهْدُ الله مَسْئُولاً**﴾ فَهم بنُو حارِثَةَ ، وهم الذينَ هَمّوا أن يَفْشَلُوا يومَ أُحُدٍ مع بني سَلِمَةَ حَيْنَ هَمّتا بالفَشَلِ يومَ أُحُدٍ ، ثُمّ عاهَدُوا اللهَ أن لا يَعُودُوا لِمِثْلِها أبَدًا ، فَذَكَرَ لهم الـذي أعطَوْا من أنْفُسِهِم ثُمّ قال [تَعالى] : ﴿**قُلْ لَن يَنفَعَكُمُ الفِـرارُ . إن فَـرَرْتُم مِنَ المَوْتِ أو القَتْـلِ وإذًا لا تُمَتّعُونَ إلاّ قَليلاً قُـلْ مَن ذا الذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ الله إن أرادَ بِكُم سُوءًا أوْ أرادَ بِكُم رَحْمَةً ولا يَجِدُونَ لهم من دُونِ الله وليًا ولا نَصيرًا قد يَعْلَمُ الله المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ**﴾ أيْ أهلَ النِّفاقِ ﴿**والقائِلِينَ لإِخوانِهِم هَلُمّ إلَيْنا ولا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاّ قَليلاً**﴾ أيْ إلاّ دَفْعًا وتَعْذيرًا ﴿**أشِحّةً عَلَيْكُمْ**﴾ أيْ لِلضّغَنِ الذي في أنْفُسِهِم ﴿**فَإذا جاءَ الخَوْفُ رَأيْتَهم يَنظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهـم كالـذي يُغْشَى عليه مِنَ المَوْتِ**﴾ أيْ إعْظامًا له وفَرَقًا مِنه ﴿**فَإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُم بِألْسِنَةٍ حِدادٍ**﴾ [أيْ] في القَوْلِ بِما لا تُحِبّونَ لأنّهم لا يَرْجُونَ آخِرَةً ولا تَحْمِلُهم حِسْبَةٌ فَهم يَهابُونَ المَوْتَ هَيْبَةَ مَن لا يَرْجُو ما بعدَهُ . سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ،فأحرقوكم وآذوكم . تقول العرب : خطيب سلاّق ، وخطيب يسلق ويسلاق . قال أعشى ابن قيس بن تعلبة :

فيهم المجد السماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قريش وغطفان ﴿وإن يأت الأحزاب يودون لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ ثم أقبل على المؤمنون فقال : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثُمَّ ذَكَرَ المُؤْمِنينَ وصِدْقَهم وتَصْديقَهم بما وعَدَهم الله من البَلاءِ يَخْتَبِرُهم به فقال ﴿وَلَمَّا رَأى المُؤْمِنُونَ الأحزابَ قالُوا هذا ما وعَدَنا الله ورسولُه وصَدَقَ الله ورسولُه وما زادَهم إلاّ إيمانًا وتَسليمًا﴾ أيْ صَبْرًا على البَلاءِ وتَسليمًا لِلْقَضاءِ وتَصْديقًا لِلْحَق لَمَّا كان الله تَعالى وعَدَهم ورسولُه ﷺ ثُمَّ قال ﴿مِنَ المُؤْمِنينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه فَمنهم مَن قَضَى نَحْبَهُ﴾ أيْ فَرَغَ من عمَلِه ورَجَعَ إلى رَبِّه كَمَن استُشْهِدَ يومَ بَدْرٍ ويومَ أُحُدٍ . قال ابنُ هشام : ﴿قَضَى نَحْبَهُ﴾ ماتَ والنَحْبُ النَفْسُ فيما أَخْبَرَني أبو عُبَيْدَةَ وجَمْعُه نُحُوبٌ . قال ذُو الرِّمَّةِ :

عَشيّةَ فَرّ الحارِثيونَ بعدما قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وَهَوْبَرُ من بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ أرادَ يَزيدَ بنَ هَوْبَرٍ . والنَحْبُ أيضًا : النَذْرُ . قال جَريرُ بن الخَطَفي :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وخَيْلُنا عَشيّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يَقُول : على نَذْرٍ كانَتْ نَذَرَتْ أن تَقْتُلَه فَقَتَلَتْه وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له وبِسْطامٌ بِسْطامُ بنُ قَيْسِ بنِ مَسْعُودٍ الشَيْبانِيّ وهو ابنُ ذي الجَدَّيْنِ . حَدَّثَني أبو عُبَيْدَةَ أنّه كان فارِسَ رَبيعَةَ بنِ نِزارٍ . وطِخْفَةُ : مَوْضِعٌ بِطَريقِ البَصْرَةِ والنَحْبُ أيضًا : الخِطارُ وهو الرِّهانُ . قال الفَرَزْدَقُ :

وَإذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النّاسِ أيّنا على النَحْبِ أعْطَى لِلْجَزيلِ وأفْضَلُ

والنَحْبُ أيضًا : البُكاءُ . ومِنه قَوْلُهم يُنْتَحَبُ . والنَحْبُ أيضًا : الحاجَةُ والهِمّةُ تَقُولُ ما لي عندهم نَحْبٌ . قال مالِكُ بنُ نُوَيْرَةَ اليَرْبوعي :

وَما لي نَحْبٌ عندهم غَيْرَ أنّني تَلَمّسْت ما تَبْغي من الشّدُنِ الشّجْزِ

وَقال نَهارُ بنُ تَوْسِعَةَ أَحَدُ بني تَيْمِ اللاّتِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ . قال [٣٧/ب]ابنُ هشامٍ : هَؤُلاءِ مَوالي بني حَنيفَةَ

وَنَجّى يُوسُفَ الثَقَفِيَّ رَكْضٌ دِراكٌ بعد ما وقَعَ اللِّواءُ

وَلَوْ أدْرَكْنَه لَقَضَيْنَ نَحْبًا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ به ولِكُلِّ مُخْطأَةٍ وِقاءُ

والنَحْبُ أيضًا : السَيْرُ الخَفيفُ المَرّ .

[قال ابنُ إسحاقَ] : ﴿وَمِنهم مَن يَنْتَظِرُ﴾ أيْ ما وعَدَ الله به من نَصْرِه والشَهادَةُ على ما مَضَى عليه أصْحابُه . يقول الله تَعالى : ﴿وما بَدَّلُوا تَبديلاً﴾ أيْ ما شَكّوا وما تَرَدَّدُوا في دينِهم وما استَبْدَلُوا به غَيْرَه . ﴿ليَجزيَ اللهُ الصادِقينَ بِصِدْقِهم ويُعَذّبَ المُنافِقينَ إن شاءَ أو يَتُوبَ عليهم إنّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحيمًا وردّ اللهُ الذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهم﴾ أيْ قُرَيْشًا وغَطَفانَ ﴿لَمْ يَنالُوا خَيْرًا وكَفَى اللهُ المُؤْمِنينَ القِتالَ وكانَ اللهُ قَوِيًا عَزيزًا وأنزَلَ الذينَ ظاهَرُوهم من أهلِ الكِتابِ﴾ أيْ بني قُرَيْظَةَ ﴿من صَياصِيهم﴾ والصَياصيّ الحُصُونُ والآطامُ التي كانوا فيها . قال ابنُ هشامٍ : قال سُحَيْمٌ عبدُ بني الحِسْحاسِ وبنُو الحِسْحاسِ من بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ :

وَأصْبَحَتِ الثيرانُ صَرْعَى وأصْبَحَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نِساءُ تَميمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَياصِيا

[وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . والصَياصِيّ أيضًا : القُرُونُ] . قال النابِغَةُ الجَعْديّ :

وسادَةَ رَهْطي حتى بَقيتُ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فَرْدًا كَصَيْصِيَةِ الأعْضَبِ

[يَقُول : أصابَ المَوْتُ سادَةَ رَهْطي] . وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وقال أبو دَوادَ :

فَذَعَرْنا سُحْمَ الصَياصي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بِأيْديهِنّ نَضْحٌ من الكُحَيْلِ وقارُ

وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له .

والصَياصيّ أيضًا : الشَوْكُ الذي لِلنّساجينَ فيما أخْبَرَني أبو عُبَيْدَةَ . وأنْشَدَني لِدُرَيْدِ بنِ الصِمّةِ الجُشَميّ جُشَمُ بنُ مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ :

نَظَرْتُ إلَيْه والرّماحُ تَنُوشُه ‏ ‏ ‏ ‏ كَوَقْعِ الصَياصي في النّسيجِ المُمَدّدِ

وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . والصَياصيّ أيضًا : التي تَكُونُ في أرْجُلِ الدِيَكَةِ ناتِئَةً كأنّها القُرُونُ الصِغارُ والصَياصيّ أيضًا : الأُصُولُ . أخْبَرَني أبو عُبَيْدَةَ أنّ العَرَبَ تَقُولُ : جَذّ الله صيصيَتَه أيْ أصْلَه .

[قال ابنُ إسحاقَ] : ﴿وَقَذَفَ في قُلُوبِهِمُ الرّعْبَ فَريقًا تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَريقًا﴾ أيْ قَتَلَ الرّجالَ وسَبَى الذّراريّ والنّساءَ ﴿وَأوْرَثَكُم أرْضَهم ودِيارَهم وأموالَهم وأرْضًا لَم تَطَئُوها﴾ يَعْني خَيْبَرَ ﴿وَكانَ اللهُ على كُلّ شيءٍ قَديرًا﴾ .

وفاةُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ وما ظَهَرَ مع ذلك :

قال ابنُ إسحاقَ : فلَمّا انقضى شأنُ بني قُرَيْظَة انفَجَرَ بِسَعْدِ بنِ مُعاذٍ جُرْحُه فَماتَ مِنه شَهيدًا

قال ابنُ إسحاقَ : حَدّثني مُعاذُ بنُ رِفاعَةَ الزرَقيّ ، قال حَدّثني مَن شِئْت من رِجالِ قَوْمي : أنّ جِبْريلَ عليه السّلامُ أتَى رسولَ الله ﷺ حينَ قُبِضَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ من جَوْفِ اللّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعمامَةٍ من إستَبْرَقٍ فقال يا مُحَمّدُ مَن هذا الميّتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السّماءِ واهتَزّ له العَرْشُ ؟ قال فَقامَ رسولُ الله ﷺ سَريعًا يَجُرّ ثَوْبَه إلى سَعْدٍ فَوَجَدَه قد ماتَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، عن عَمرَةَ بِنْتِ عبدِ الرّحْمَنِ قالتْ أقْبَلَتْ عائِشَةُ قافِلَةً من مَكّةَ ، ومَعَها أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ فَلَقيَه مَوْتُ امرأةٍ له فَحَزِنَ عليها بَعْضَ الحُزْنِ ، فَقالتْ له عائِشَةُ يَغْفِرُ الله لَكَ يا أبا يَحْيَى ، أتَحْزَنُ على امرأةٍ وقد أُصِبْتَ بِابنِ عمّك ، وقد اهتَزّ له العَرْشُ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن الحَسَنِ البَصْريّ ، قال كان سَعْدٌ رَجُلاً بادِنًا ، فَلَمّا حَمَلَه النّاسُ وجَدُوا له خِفّةً فَقال رِجالٌ من المُنافِقينَ والله إن كان لَبادِنًا ، وما حَمَلْنا من جِنازَةٍ أخَفّ مِنه فَبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فَقال : «**إنّ له حَمَلَةً غَيْرَكُمْ ، والذي نَفْسي بِيَدِه لَقد استَبْشَرَتِ الملائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ واهتَزّ له العَرْشُ**» .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني مُعاذُ بنُ رِفاعَةَ عن مَحْمُودِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عمرِو بنِ الجَمُوحِ ، عن جابِرِ بنِ عبدِ الله ، قال لَمّا دُفِنَ سَعْدٌ ونحن مع رسولِ الله ﷺ سَبّحَ رسولُ الله ﷺ فَسَبّحَ النّاسُ مَعَه ثُمّ كَبّرَ فَكَبّرَ النّاسُ مَعَه [٣٨/أ] فَقالُوا : يا رسولَ الله مِمّ سَبّحْت ؟ قال لَقد تَضايَقَ على هذا العبدِ الصّالِحِ قَبْرُه ، حتى فَرّجَه الله عنه .

قال ابنُ هشام : ومَجازُ هذا الحَديثِ قَوْلُ عائِشَةَ قال رسولُ الله ﷺ : «**إنّ لِلْقَبْرِ لَضَمّةً لَوْ كان أحَدٌ منها ناجِيًا لَكان سَعْدَ بنَ مُعاذٍ**» .

قال ابنُ إسحاقَ : ولِسَعْدٍ يقول رَجُلٌ من الأنصارِ :

وَما اهتَزّ عَرْشُ الله من مَوْتِ هالِكٍ   سَمِعْنا به إلاّ لِسَعْدٍ أبي عَمرِو

وَقالتْ أُمّ سَعْدٍ حين احْتُمِلَ نَعْشُه وهيَ تَبْكيه - قال ابنُ هشام - وهيَ كُبَيْشَةُ بِنْتُ رافِعِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ بنِ الأبْجَرِ وهو خُدْرَةُ بنُ عَوْفِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ :

وَيْلُ أُمّ سَعْدٍ سَعْدَا   صَرامَةً وحَدّا

وَسُؤْدُدًا ومَجْدَا   وَفارِسًا مُعَدّا

سُدّ به مَسَـــدّا [يَقُدّ هامًا قَدّا]

قال : يقول رسولُ الله ﷺ : «كُلّ نائِحَةٍ تَكْذِبُ إلاّ نائِحَةَ سَعْدِ بن مُعاذٍ»

شُهداءُ يوم الخَنْدَقِ :

قال ابنُ إسحاقَ : ولَم يَستَشهِدْ من المُسلِمينَ يومَ الخَندَقِ إلاّ سِتّةُ نَفَرٍ . ومِن بني عبدِ الأشْهَلِ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ ، وأنَسُ بنُ أوْسِ بنِ عَتيكِ بنِ عمرٍو ، وعبدُ الله ابنُ سَهْلٍ . ثلاثةُ نَفَرٍ . ومِن بني جُشَمِ بنِ الخَزرَجِ ، ثُمّ من بني سَلِمَةَ الطُفَيْلُ بنُ النعْمانِ وثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمَةَ . رَجُلانِ . ومِن بني النَجّارِ ثُمّ من بني دينارٍ : كَعْبُ ابنُ زَيْدٍ أصابَه سَهْمٌ غَرَبٌ فَقَتَلَه . [قال ابنُ هشامٍ : سَهْمُ غَرَبٍ وسَهْمٌ غَرَبٌ بإضافَةٍ وغَيْرِ إضافَةٍ وهو الذي لا يُعْرَفُ من أيْنَ جاءَ ولا مَن رَمَى به] .

[قتلى المشركين] :

وَقُتِلَ من المُشْرِكينَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ . من بني عبدِ الدّارِ بنِ قُصَيّ : مُنَبّه بنُ عُثْمانَ ابنِ عُبَيْدِ بنِ السَبّاقِ بنِ عبدِ الدّارِ أصابَه سَهْمٌ فماتَ مِنه بمَكّةَ . قال ابنُ هشامٍ : هُوَ عُثْمانُ بنُ أُمَيّةَ بنِ مُنَبّه ابنِ عُبَيْدِ بنِ السَبّاقِ .

[عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل] :

قال ابنُ إسحاقَ : ومِن بني مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ نَوْفَلُ بنُ عبدِ الله بنِ المُغيرَةِ . سَألُوا رسولَ الله ﷺ أن يَبيعَهم جَسَدَه وكان اقْتَحَمَ الخَنْدَقَ ، فَتَوَرّطَ فيه فَقُتِلَ فَغَلَبَ المُسلِمُونَ على جَسَدِه . فَقالَ رسولُ الله ﷺ : «لا حاجَةَ لَنا في جَسَدِه ولا بِثَمَنِه فَخَلّى بَيْنَهم وبَيْنَه» .

قال ابنُ هشامٍ : أعْطَوْا رسولَ الله بجَسَدِه عَشْرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ فيما بَلَغَني عن الزّهْريّ .

قال ابنُ إسحاقَ : ومِن بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، ثُمّ من بني مالِكِ بنِ حِسْلٍ عمرُو بنُ عبدِ وُدّ ، قَتَلَه عَليّ بنُ أبي طالِبٍ [رِضوانُ الله عليه] . قال ابنُ هشامٍ : وحَدّثَني الثِقَةُ أنّه حَدّثَ عن ابنِ شِهابٍ الزّهْريّ أنّه قال قَتَلَ عَليّ بنُ أبي طالِبٍ يومَئِذٍ عمرَو بنَ عبدِ وُدّ وابنَه حِسْلَ بنَ عمرٍو .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ عمرُو بنُ عبدِ وُدّ ، ويُقالُ عمرُو بنُ عبدٍ .

[شُهَداءُ المُسلِمينَ يومَ بني قُرَيْظَةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : واستُشْهِدَ يومَ بني قُرَيْظَةَ من المُسلِمينَ ثُمّ من بني الحارِثِ ابنِ الخَزرَجِ : خَلاّدُ بنُ سُوَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عمرٍو ، طُرِحَتْ عليه رَحًى ، فَشَدَخَتْه شَدْخًا شَديدًا ، فَزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال : «إنّ له لأجْرَ شَهيدَيْن» . وماتَ أبو سِنانِ بنُ مُحْصَنِ بنِ حَرْثانَ أخُو بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، ورسولُ الله ﷺ مُحاصِرٌ بني قُرَيْظَةَ فَدُفِنَ في مَقْبَرَةِ بني قُرَيْظَةَ التي يَدْفِنُونَ فيها

اليومَ وإليه دَفَنُوا أمواتهم في الإسلام . وَلَمَّا انصَرَفَ أهلُ الخَنْدَقِ عن الخَنْدَقِ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ فيا بَلَغَني : «**لَن تَغزُوَكُم قُرَيْشٌ بعد عامِكُمْ هذا ، ولكنّكُمْ تَغزُونَهم**» . فَلَمْ تَغزُهم قُرَيْشٌ بعد ذلك وكان هُوَ الذي يَغزُوها ، حتى فَتَحَ الله عليه مَكَّةَ .

[ما قيلَ من الشّعرِ في أمرِ الخَنْدَقِ وبني قُرَيْظَةَ]

وَقال ضِرارُ بنُ الخَطّابِ بنِ مِرْداسٍ ، أخُو بني مُحارِبِ بنِ فِهرٍ ، في يوم الخَنْدَقِ :

وَمُشْفِقَةٌ تَظُنّ بنا الظّنُونا ... وَقد قُدْنا عَرَنْدَسَةً [١] طَحُونا
كَأنّ زُهاءَها أُحُدٌ إذا ما ... بَدَتْ أرْكانُه لِلنّاظِرِينا
تَرَى الأبْدانَ فيها مُسْبِغاتٍ ... على الأبْطالِ واليَلَبَ الحَصِينا
وَجُرْدًا كالقِداحِ مُسَوّماتٍ ... نَؤُمّ بِها الغُواةَ الخاطِئِينا
كَأنّهم إذا صالُوا وصُلْنا ... بِبابِ الخَنْدَقَيْنِ مُصافِحُونا
أُناسٌ لا نَرَى فيهم رَشِيدًا ... وَقد قالُوا ألَسْنا راشِدِينا
فَأجْحَرْناهُمُ شَهْرًا كَرِيتًا ... وَكُنّا فَوْقَهم كالقاهِرِينا [٢]
نُراوِحُهم ونَغْدُو كُلّ يَومٍ ... عليهم في السّلاحِ مُدَجّجِينا [٣٨/ب]
بِأيْدِينا صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... نَقُدّ بِها المَفارِقَ والشّئُونا
كَأنّ وَمِيضَهُنّ مُعَرّياتٍ ... إذا لاحَتْ بِأيْدي مُصْلِتِينا
وَمِيضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ ... تَرَى فيها العَقائِقَ مُسْتَبِينا
فَلَوْلا خَنْدَقٌ كانوا لَدَيْهِ ... لَدَمّرْنا عليهم أجْمَعِينا
وَلَكِن حالَ دُونَهم وكانُوا ... به مِنْ خَوْفِنا مُتَعَوّذِينا
فَإن نَرْحَلْ فَإنّا قد تَرَكْنا ... لَدَى أبْياتِكُم سَعْدًا رَهِينا
إذا جَنّ الظّلامُ سَمِعْتَ نَوْحَى ... على سَعْدٍ يُرَجّعْنَ الحَنِينا
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عمّا قَرِيبٍ ... كَما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينا
بِجَمْعٍ من كِنانَةَ غَيْرَ عُزْلٍ ... كَأُسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا

---

(١) العرندسة : الشديدة القوة . الطحون : التي تطحن كل ما مرت به .
(٢) أجحرناهم : حصرناهم . شهرا كريتا : تاما كاملا .

فأجابه كَعْبُ بنُ مالكٍ ، أخُو بني سَلِمَةَ فقال :

وَسائِلَةٍ تُسائِلُ ما لَقِينـــا ... وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنـــا صابِرينا
صَبَرْنا لا نَرَى للهِ عَـــدْلاً ... على ما نابَنـــا مُتَوَكِّلينـــا
وَكان لَنا النَّبيُّ وزيرَ صِـدْقٍ ... به نَعْلُو البَرِيّةَ أجْمَعينـــــا
نُقاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُــوا وعَقّـوا ... وَكانوا بِالعَداوَةِ مُرْصِدينـــا
نُعاجِلُهم إذا نَهَضُوا إلَيْنـــا ... بِضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعينـــــا
تَرانا في فَضافِضَ سابِغاتٍ ... كَغُدْرانِ المــلا مُتَسَرْبِلينـــــا
وَفي أيْمانِنا بِيضٌ خِفَـــافٌ ... بِها نَشْفي مُراحَ الشّاغِبينا [١]
بِبابِ الخَنْدَقَيْنِ كَأنّ أُسْـدًا ... شَوابِكُهُنّ [٢] يَحْمينَ العَرينـــا
فَوارِسُنا إذا بَكَرُوا وراحُــوا ... على الأعْداءِ شُوسًا مُعْلَمينـا
لِنَنْصُــرَ أحْمَــــدًا واللهَ حتى ... نَكُونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصينا
وَيَعْلَمَ أهــلُ مَكّةَ حينَ سارُوا ... وَأحْزابٌ أتَــوْا مُتَحَزِّبينـــا
بِأنّ اللهَ ليس لَــــه شَرِيـــكٌ ... وَأنّ اللهَ مَــــوْلَى المُؤْمِنينا
فإمّا تَقْتُلُوا سَعْـدًا سَفاهًــــا ... فَـــإنّ اللهَ خَيْرُ القادِرينـــا
سَيُدْخِلُه جِنانـــا طَيّبَـــاتٍ ... تَكُـــونُ مُقامَةً لِلصّالِحينـا
كَما قد رَدّكُــم فَلاًّ شَرِيـــدًا ... بِغَيْظِكُــم خَزايا خائِبينـــا
خَزايا لَمْ تَنالُـــوا ثَمّ خَيْــرًا ... وَكِدْتُم أن تَكُونُوا دامِرينا [٣]
بِريحٍ عاصِفٍ هَبّتْ عَلَيْكُـــم ... فَكُنْتُم تَحْتَها مُتَكَمِّهينـــا [٤]

قال عبدُ اللهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهميّ ، في يوم الخَنْدَقِ :

حتى الدِّيـارَ مَحا مَعارِفَ رَسْمِها ... طُولُ البِلَى وتَراوُحُ الأحْقـــابِ
كَأنّمـــا كَتَبَ اليَهُودُ رُسُومَهـــا

(١) المراح : النشاط .
(٢) الشوابك : التي يتشبث بها فلا يفلت .
(٣) دامرين : هالكين .
(٤) المتكمه : الأعمى الذي لا يبصر .

إلاّ الكَنيفَ ومَعْقِدَ الأَطْنـــابِ

قَفْرًا كأنكَ لَمْ تَكُن تَلْهُـــو بِهـــا ... في نِعْمَةٍ بِأَوانِسٍ أَتْـــرابِ [1]

فاتْرُكْ تَذَكُّرَ ما مَضَى من عيشَةٍ ... وَمَحِلَّةٍ خَلَقِ المَقَـــامِ يَبابِ [2]

واذْكُرْ بَلاءَ مَعاشِرٍ واشْكُرْهـــم ... سارُوا بِأَجْمَعِهـــم من الأَنْصابِ

أنصابِ مَكَّةَ عامِـــدِينَ ليَثْرِبِ ... في ذي غَياطِـلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ

يَدَعُ الحُزُونَ مَناهِجًـــا مَعْلُومَةً ... في كُـلِّ نَشْزٍ ظاهِرٍ وشِعـــابِ

فيها الجِيادُ شَوازِبٌ مَجْنُوبَـــةٌ ... قُبِّ البُطُونِ لَواحِقُ الأَقْرابِ [3]

من كُـــلِّ سَلْهَبَةٍ وأَجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كالسِّيدِ بادَرَ غَفْلَـةَ الرَّقَّـــابِ

جَيْشُ عُيَيْنَـــةَ قاصِدٌ بِلِوائِهِ فيه ... وصَخْرٌ قائِـــدُ الأَحْـــزابِ

قَرْمانُ كالبَدْرَيْـنِ أَصْبَحَ فيهمـــا ... غَيْثُ الفَقِيرِ ومَعْقِلُ الهُـــرّابِ

حتى إذا وَرَدُوا المَدينَـــةَ وارْتَدَوْا ... لِلْمَوْتِ كُـــلَّ مُجَرَّبٍ قَضّـــابِ

شَهْرًا وعَشْرًا قاهِرِينَ مُحَمَّدًا وصِحابُه ... في الحَرْبِ خَيْـــرُ صِحـــابِ

نادَوْا بِرِحْلَتِهِم صَبِيحَـــةَ قُلْتُـــم ... كِدْنا نَكُونُ بها مع الخُيَّـــابِ

لَوْلا الخَنادِقَ غـادَرُوا من جَمْعِهِم ... قَتْلَى لِطَيْـــرٍ سُغَّبٍ وذِئـــابِ

فأجابَه حسّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريّ ، فقال :

هَلْ رَسْمُ دارِسَةِ المَقامِ يَبـــابِ ... مُتَكَلِّمٌ لِمُحاوِرٍ بِجَـــوابِ [٣٩/أ]

قَفْرٌ عَفا رِهَمُ السَّحابِ رُسُومَـه ... وَهُبوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبـــابِ [4]

وَلَقَد رَأَيْتُ بها الحُلُولَ يَزِينُهـــم ... بِيضُ الوُجُوهِ ثَواقِبُ الأَحْســابِ

فَدَعِ الدِّيارَ وذِكْرَ كُلِّ خَرِيـــدَةٍ ... بَيْضاءَ آنِسَةِ الحَدِيثِ كَعـابِ [5]

---

(١) الأتراب : المتساويات في السن .

(٢) اليباب : القفر .

(٣) الشوازب : الضامرة . المجنوبة : المقودة . وقب : ضامرة . لواحق : ضامرة . الأقراب : جمع قرب وهو الخاصرة وما يليها .

(٤) عفا : تغير ، رهم : جكع رهمة وهي المطر . مرباب : دائمة ثابتة .

(٥) الخريدة : المرأة الناعمة . الكعاب : التي نهد ثديها في أول ما ينهد .

واشْكُ الهمُومَ إلى الإلَه وما تَرَى ... من مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرّسُولَ غِضابِ
سارُوا بأجْمَعِهِم إليَه وألّــبــوا ... أهلَ القُرَى وبَوادِيَ الأعْــــرابِ
جَيْشُ عُيَيْنَةَ وابنُ حَرْبٍ فيهـــم ... مُتَخَمّطُونَ بِحَلْبَةِ الأحْـــــزاب
حتى إذا ورَدُوا المَدينَةَ وارْتَجَـوْا ... قَتْلَى الرّسُولِ ومَغْنَمَ الأسْـــلابِ
وَغَدَوْا عَلَيْنا قادِرينَ بأيْدِهِـــم ... رُدّوا بِغَيْظِهِم على الأعْقـــابِ
بِهُبوبِ مُعْصِفَـــةٍ تُفَرّقُ جَمْعَهـم ... وَجُنُودِ رَبّكَ سَيّدِ الأرْبــــــابِ
وَكَفَى الإلَه المُؤْمِنينَ قِتالهــــم ... وَأثابَهم في الأجْرِ خَيْرَ ثَـــوابِ
من بَعْدِ ما قَنَطُوا فَفَرّقَ جَمْعَهـم ... تَنْزِيلُ نَصْرِ مَليكِنا الوَهّــــابِ
وَأقَرّ عَيْنَ مُحَمّـــدٍ وصِحابـــه ... وَأذَلّ كُلّ مُكَذّبٍ مُرْتـــــابِ
عاتي الفُؤَادِ مُوَقّـــعٍ ذي رِيبَةٍ ... في الكُفْرِ ليس بِطاهِرِ الأثْــوابِ [1]
عَلِقَ الشّقاءُ بِقَلْبِـــه فَفُـــؤَادُهُ ... في الكُفْرِ آخِرُ هذه الأحْقـــابِ

وَأجابَه كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيضًا ، فقال :

أبْقَى لَنا حَدَثُ الحُرُوبِ بَقيّةً ... من خَيْرِ نِحْلَةِ رَبّنا الوَهّـــابِ
بَيْضاءَ مُشْرِفَةَ الذّرَى ومَعاطِنًا ... حُمّ الجُذُوعِ غَزِيرَةَ الأحْـــلابِ
كاللّوبِ يُبْذَلُ جَمّها وحَفيلُهـا ... لِلْجارِ وابنِ العمّ والمُنْتــابِ [2]
وَنَزائِعًا مِثْلَ السّراحِ نَمَى بِها ... عَلَفُ الشّعِيرِ وجِزّةُ المِقْضابِ
عَرِيَ الشّوَى منها وأرْدَفَ نَحْضَها ... جُرْدُ المُتُونِ وسائِـرُ الآرابِ [3]
قُودًا تَراحُ إلى الصّيـاحِ إذْ غَدَتْ ... فِعْلَ الضّراءِ تَراحُ لِلْكَـلّابِ [4]
وَتَحُوطُ سائِمَةَ الدّيـــارِ وتـــارَةً ... تُرْدي العِدا وتَئُوبُ بالأسْـلابِ
حُوشُ الوُحُوشِ مُطارَةٌ عند الوَغَى ... عُبْسُ اللّقاءِ مُبِينَةُ الإنْجـــابِ

---

(١) عاتي الفؤاد : قاسيه .
(٢) المنتاب : القاصد الزائر .
(٣) الشوى : القوائم . النحض : اللحم . جرد المتون : ملسة الظهور . الآراب : جمع إرب وهو كل عضو مستقر بنفسه .
(٤) قود : طوال . تراح : تنشط . الضراء : الكلاب الضاربة في الصيد . الكلّاب : الصائد صاحب الكلام .

عُلِفَتْ على دَعَةٍ فَصارَتْ بُدَنـــا دُخْس البَضيعِ خَفيفَةَ الأقْصابِ
يَغْدُونَ بالزَغْفِ المُضاعَفِ شَكّـةً وَبِمُتْرَصاتٍ في الثِقافِ صِيــابِ
وَصَوارِمٌ نَزَعَ الصَياقِـلُ غُلْبَهـــا وَبِكُلّ أرْوَعَ ماجِدِ الأنْسابِ (١)
يَصِلُ اليَمينَ بِمارِنٍ مُتَقـــارِبٍ وُكِلَتْ وقيعَتُـه إلى خَبّـــابِ
وَأغَرّ أزْرَقَ في القَنـــاةِ كأنّـــه في طخيه الظلمـاء ضوء شهاب
وَكَتيبَةٍ يَنفـــي القِرانَ قَتيرُهـــا وَتَرُدّ حَدّ قَواحِـذِ النُشّـــابِ
جَأْوَى مُلَمْلَمَةٌ كَـأنّ رِماحَهـــا في كُلّ مَجْمَعَةٍ ضَريمَةُ غـــابِ
يَأوي إلى ظِلّ اللّـــواءِ كأنّـــه في صَعْدَةِ الخَطّيّ فَيْءُ عُقـــابِ
أعْيَتْ أبا كَرِبٍ وأعْيَتْ تُبّعـــا وَأبَتْ بَسالتُها على الأعْـــرابِ
وَمَواعِظٌ من رَبّنا نُهْدَى بِهـــا بِلِسانِ أزْهَـــرَ طَيّبِ الأثْـــوابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنا فاشْتَهَيْنا ذِكْرَهـــا من بَعْدِ ما عُرِضَتْ على الأحْزابِ
حِكَمًا يَراها المُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِـــم حَرَجًا ويَفْهَمُهـا ذَوُو الألْبـــابِ
جاءَتْ سَخينَةُ كَيْ تُغالِبَ رَبّهـــا فَلَيُغْلَبَنّ مُغـــالِبُ الغَـــلاّبِ

[قال ابنُ هشام : حَدّثني مَن أثِقُ به قال حَدّثني عبدُ المَلِكِ بنُ يَحْيَى بـنِ عَبّادِ بنِ عبدِ الله ابنِ الزبَيْرِ ، قال لَمّا قال كَعْبُ بنُ مالِكٍ :

جاءَتْ سَخينَةُ كَيْ تُغالِبَ رَبّها فَلَيُغْلَبَنّ مُغالِبُ الغَلاّبِ]

قال له رسولُ الله ﷺ : **«لَقد شَكَرَك الله يا كَعْبُ على قَوْلِك هذا»**

قال ابنُ إسحاقَ : وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يوم الخَنْدَقِ :

مَن سَرّه ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بَعْضُـــه بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الأبـــاءِ المُحْرَقِ
فَلْيَأتِ مَأسَدَةً تُسَنّ سُيُوفُهـــا بَيْنَ المَذادِ وبَيْنَ جَـــزْعِ الخَنْدَقِ
دَربوا بِضَرْبِ المُعْلِمينَ وأسْلَمـوا مُهُجاتِ أنْفُسِهِـــم لِرَبّ المَشْرِقِ
في عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلَه نَبِيّـــه بِهِم وكان بِعبدِه ذا مَـــرْفَـــقِ
في كُلّ سابِغَةٍ تَخُطّ فُضُولُهـــا كالنَهْيِ هَبّتْ رِيحُـــه المُتَرَقْـــرِقِ

---

(١) غلبها : خشونتها وما عليها من الصدأ . الأروع : الذي يروع بكماله وجماله . الماجد : الشريف .

بَيْضاءُ مُحْكَمَةٌ كَــأَنَّ قَتِيرَهــا ... حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتُ شَكٍّ مُوثَقِ [١]
جَدْلاءُ يَحْفِزُهــا نِجــادُ مُهَنَّدٍ ... صافي الحَديدَةِ صارِمٌ ذي رَوْنَــقِ
تِلْكُمْ مع التقْوَى تَكُونُ لِباسَنــا ... يومَ الهياجِ وكُلِّ ساعَةِ مَصْدَقِ [٣٩/ب]
نَصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرْنَ بِخَطْوِنا ... قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لــم تَلْحَــقِ
فَتَرَى الجَماجِمَ ضاحيًا هاماتُهــا ... بَلَهَ الأَكُفِّ كأنّها لــم تُخْلَــقِ
نَلْقَى العَدُوَّ بفَخْمَــةٍ مَلْمُومَــةٍ ... تَنْفِي الجُمُوعَ كَقَصْــدِ رَأْسِ المَشْرِقِ
وَنُعِدّ لِلأعْداءِ كُلَّ مُقَــلَّصٍ [٢] ... وَرْدٍ ومُحَجَّلِ القَوائِــمِ أبْلَــقِ
تُرْدِي بفُرْســانٍ كأنّ كُماتَهُــمْ ... عند الهياجِ أُسُودُ طَــلٍّ [٣] مُلْثِــقِ
صُدُقٍ يُعاطُونَ الكُمــاةَ حُتُوفَهم ... تَحْتَ العِمايَةِ بالوَشِيــجِ المُزْهِــقِ
أَمَرَ الإلَهُ بِرَبْطِهــا لِعَــدُوِّه ... في الحَرْبِ إنّ اللهَ خَيْرُ مُوَفِّــقِ
لِتَكُونَ غَيْظًــا لِلْعَدُوّ وحُيّطــا ... لِلدّارِ إن دَلَفَتْ خُيُولُ النَّــزِقِ [٤]
وَيُعِينُنــا اللهُ العَزِيزُ بِقُــوّةٍ ... مِنه وصِدْقِ الصَّبْرِ ساعَــةَ نَلْتَــقِي
وَنُطِيعُ أمْــرَ نَبِيّنــا ونُجِيبُــه ... وَإذا دَعا لِكَرِيهَةٍ لــم نُسْبَــقِ
وَمَتَى يُنادِ إلى الشّدائِــدِ نَأْتِهــا ... وَمَتَى نَرَ الحَوْماتِ [٥] فيهــا نُعْنِقِ
مَن يَتّبِعْ قَــوْلَ النّبِيّ فإنّــه ... فينا مُطاعُ الأمرِ حَقّ مُصَــدّقِ
فَبِذاكَ يَنْصُرنــا ويُظْهِرُ عِزّنــا ... وَيُصيبُنا من نَيْــلِ ذاكَ بِمِرْفَــقِ
إنّ الذينَ يُكَذّبــونَ مُحَمّــدًا ... كَفَرُوا وضَلّوا عن سَبِيــلِ المُتّقِــي

قال ابنُ هشام أَنْشَدَني قوله : تِلْكُمْ مع التقْوَى تَكُونُ لِباسَنا
وَبَيْتَه : مَن يَتّبِعْ قَوْلَ النّبِيّ
أبو زَيْدٍ . وأَنْشَدَني : تَنْفِي الجُمُوعَ كَرَأْسِ قُدْسِ المَشْرِقِ

---

(١) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : ذكور الجراد .
(٢) المقلص : الفرس الخفيف .
(٣) الطل : الضعيف من المطر .
(٤) النزق : الغاضبون .
(٥) الحومات : مواطن القتال .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال كَعْبُ بنُ مالكٍ في يومِ الخَنْدَقِ :

لَقد عَلِمَ الأحْزابُ حينَ تَألَّبُوا ... عَلَيْنا وراموا دينَنا ما نُوادِعُ [1]

أضاميمُ من قَيْسِ بنِ عَيْلانَ أَصْفَقَتْ[2] ... وَخِنْدِفُ لَمْ يَدْرُوا بِما هُوَ واقِعُ

يَذُودُونَنا عن دينِنا ونَذُودُهُم ... عن الكُفْرِ والرَّحْمَنُ راءٍ وسامِعُ

إذا غايَظُونا في مَقامٍ أعانَنا ... على غَيْظِهِم نَصْرٌ من الله واسِعُ

وَذَلِكَ حِفْظُ الله فينا وفَضْلُهُ ... عَلَيْنا ومَن لَمْ يَحْفَظِ الله ضائِعُ

هَدانا لِدينِ الحَقِّ واخْتارَه لَنا ... وَلله فَوْقَ الصّانِعينَ صَنائِعُ

قال ابنُ هشامٍ : وهذه الأبياتُ في قَصيدَةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال كَعْبُ بنُ مالكٍ في يومِ الخَنْدَقِ :

ألا أبْلِغْ قُرَيْشًا أنّ سَلْعًا ... وما بَيْنَ العُرَيْضِ إلى الصِّمادِ

نَواضِحُ في الحُرُوبِ مُدَرَّباتٌ ... وَخَوْصٌ ثُقِّبَتْ مِن عَهْدِ عادِ

رَواكِدُ يَزْخَرُ المُرّارُ فيها ... فَليستْ بالجِمامِ ولا الثِّمادِ [3]

كَأنّ الغابَ والبَرْدِيَّ فيها ... أجَشُّ إذا تَبَقَّعَ لِلْحَصادِ

وَلَمْ نَجْعَلْ تِجارَتَنا اشْتِراءَ ... الحَميرِ لأرْضِ دَوْسٍ أوْ مُرادِ

بِلادٌ لَمْ تُثَرْ [4] إلاّ لِكَيْما ... نُجالِدُ إن نَشِطْتُم لِلْجِلادِ

أثَرْنا سِكّةَ الأنْباطِ فيها ... فَلَمْ تَرَ مِثْلَها جَلَهاتِ وادِ [5]

قَصَرْنا كُلَّ ذي حُضْرٍ وطَوْلٍ ... على الغاياتِ مُقْتَدِرٍ جَوادِ [6]

أجيبونا إلى ما نَجْتَديكُم [7] ... من القَوْلِ المُبَيَّنِ والسَّدادِ

---

(١) نوادع : نصالح ونهادن .

(٢) أصفقت : اجتمعت وتوافقت على الأمر .

(٣) رواكد : ثابتة . يزخر : يعلو ويرتفع . المرار : النهر .
الجام : جمع جمه وهي البئر الكثيرة الماء . الثماد : الماء القليل .

(٤) لم تثر : لم تحرث .

(٥) جلهات الوادي : ما استقبلك منه إذا نظرت إليه من الجانب الآخر .

(٦) الحضر : الجري والمراد بذي الحضر : الخيل .

(٧) نجتديكم : نطلب .

وَإلاّ فاصْبِرُوا لِجِلادِ يَـوْمٍ … لَكُمْ مِنّا إلى شَطْرِ المَذادِ
نُصَبِّحُكُمْ بِكُلِّ أخِي حُرُوبٍ … وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ القِيادِ
وَكُلِّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشاها … تَدِفُّ دَفيفَ صَفراءِ الجَرادِ
وَكُلِّ مُقَلِّصِ الآرابِ نَهْدٍ … تَميمِ الخَلْقِ من أُخَرٍ وهادي [1]
خُيُولٌ لا تُضاعُ إذا أُضيعَتْ … خُيُولُ النّاسِ في السّنَةِ الجَمادِ
يُنازِعْنَ الأعِنّةَ مُصْغِياتٍ … إذا نادَى إلى الفَزَعِ المُنادِ
إذا قالتْ لَنا النّذُرُ اسْتَعِدّوا … تَوَكّلنا على رَبّ العِبادِ [٤٠/أ]
وَقُلْنا لَن يُفَرّجَ ما لَقِينا … سِوَى ضَرْبِ القَوانِسِ والجِهادِ
فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فيمَن لَقينا … من الأقْوامِ من قارٍ وبادِ [2]
أشَدَّ بَسالةً مِنّا إذا ما … أرَدْناه وألْيَنَ في الوِدادِ
إذا ما نحن أشْرَجْنا [3] عليها … جيادَ الجُدْلِ في الأُرَبِ الشّدادِ
قَذَفْنا في السّوابِغِ [4] كُلَّ صَقْرٍ … كَريمٍ غَيْرِ مُعْتَلِثِ الزّنادِ
أشَمَّ كأنّه أسَدٌ عَبُوسٌ … غَداةَ بَدا بِبَطْنِ الجَزْعِ غادِ
تُغَشّي هامَةَ البَطَلِ المُذَكّى … صَبِيَّ السّيْفِ مُسْتَرْخي النّجادِ
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللّهمّ إنّا … بِكَفِّكَ فاهْدِنا سُبُلَ الرّشادِ

قال ابنُ هشامٍ بَيْتُه قَصَرْنا كُلّ ذي حُضْرٍ وطُولٍ

والبَيْتُ الذي يَتْلُوه والبَيْتُ الثّالِثُ مِنه والبَيْتُ الرّابِعُ مِنه وبَيْتُه : أشَمّ كأنّه أسَدٌ عَبوسٌ . والبَيْتُ الذي يَتْلُوه عن أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ .

قال ابنُ إسحاقَ وقال مُسافِعُ بنُ عبدِ مَنافِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحٍ يَبْكي عمرَو بنَ عبدِ وُدّ ، ويَذْكُرُ قَتْلَ عَليّ بنِ أبي طالِبٍ إيّاه :

---

(١) الآراب : قطع اللحم . النهد : الغليظ . الهادي : العنق .
(٢) القاري : من كان من أهل القرى . البادي : من كان من أهل البادية .
(٣) أشرجنا : ربطنا .
(٤) السوابغ : الدروع الكاملة .

عمرُو بنُ عبدٍ كان أوّلَ فارسٍ جَزَعَ المَذادَ وكان فارسَ يَلْيَلِ
سَمْحُ الخَلائِقِ ماجِدٌ ذُو مِــرّةٍ يَبْغي القِتال بِشِكّةٍ لَمْ يَنْكُلْ (١)
وَلَقد عَلِمتُم حينَ ولّوا عَنْكُــم أنّ ابنَ عبدٍ فيهِــم لَمْ يَعْجَــلِ
حتى تَكَنّفَه الكُماةُ وكُلّهــــم يَبْغي مُقاتِلَــه وليس بِمُؤْتَلــي
وَلَقد تَكَنّفَتِ الأسِنّةُ فارِسًــا بِجُنُوبِ سَلْعٍ غيْرَ نَكْسٍ أميَــلِ
تَسَلُ النّزالَ عَلَيَّ فارِسَ غــالِبٍ بِجُنُوبِ سَلْعٍ لَيْته لَـــم يَنْـزِلِ
فاذْهَبْ عَلِيّ فَما ظَفِرتَ بِمِثْلِـــه فَخْرًا ولا لاقَيْتَ مِثْلَ المُعْضِلِ (٢)
نَفْسي الفِداءُ لِفارِسٍ من غــالِبٍ لاقَى حِمامَ المَوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ (٣)
أعْني الذي جَزَعَ المَذادَ بِمُهْــرِه طَلَبًا لِثَأرِ مَعاشِرٍ لَمْ يُخْـــذَلِ

قال : وَقال مُسافِعٌ أيضًا يُؤَنّبُ فُرسانَ عمرو الذينَ كانوا مَعَه فَأَجلَوْا عنه وتَرَكُوه :

عمرُو بنُ عبدٍ والجِيادُ يَقُودُهــا خَيْلٌ تُقادُ له وخَيْلٌ تُنْعَلُ
أجْلَتْ فَوارِسُه وغادَرَ رَهْطُــه رُكْنًا عَظِيمًا كان فيهــا أوّلُ
عَجَبًا وإن أعْجَبْ فقد أبْصَرْتــه مَهْما تَسُومُ عَلِيّ عمرًا يَنْــزِلُ
لا تَبْعَدَنّ فقد أُصِبْتُ بِقَتْلِــه وَلَقيتُ قَبْلَ المَوْتِ أمرًا يَثْقُلُ
وَهُبَيْرَةُ المَسْلُوبُ ولّى مُدْبِــرًا عند القِتالِ مَخافَةً أنْ يُقْتَلُوا
وَضِرارٌ كأنّ البَأسَ مِنه مُحْضَرًا وَلّى كَما ولّى اللّئِيمُ الأعْــزَلُ

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُها له .

وَقَوْلُه «عمرًا يَنْزِلُ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاق .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ يَعْتَذِرُ من فِرارِه ويَبْكي عمرًا ، ويَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيّ إيّاه :

لَعمري ما ولّيْتُ ظَهْري مُحَمّــدًا وَأَصْحابَه جُبنًا ولا خيفَةَ القَتْـــلِ
وَلَكِنّني قَلّبْت أمْــري فَلَمْ أجِــدْ لِسَيْفي غَناءً إن ضَرَبْتُ ولا نَبْلــي

---

(١) المرة : الشدة والقوة . الشكة : السلاح . لم ينكل : لم يرجع من هيبة ولا خوف .
(٢) المعضل : الأمر الشديد .
(٣) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه .

وَقَفت فلَمّا لَم أجـــدْ لي مُقدّمًا ... صَدَدْتُ كَضِرْغامٍ هِزَبْرٍ أبي شَبْلِ (١)

ثَنَى عِطفَه عن قِرنه حينَ لَم يَجِدْ ... مكرا وقدما كان ذلك من فعــــلي

فَلا تَبعَدَن يا عمــرُو حَيًا وهالِكًا ... فقد بِنْتَ مَحْمُودَ الثنا ماجِدَ الأصْلِ

فَمَن لِطِرادِ الخَيْلِ تُقْدَعُ بالقَنـــا ... وَلِلفَخرِ يومًا عند قَرْقَرَةِ البَـــزْلِ (٢)

هُنالِكَ لَو كان ابنُ عبدٍ لَزارَهـــا ... وَفَرّجَها حَقًا فَتًى غَيْرُ مـــا وغـــلِ

فَعَنكَ عَلِيّ لا أرَى مِثْلَ مَوْقِـفٍ ... وَقَفْت على نَجْدٍ (٣) المُقَـدّمِ كالفَحْلِ

فَما ظَفِرَتْ كَفّـــاك فَخْرًا بِمِثلِـــه ... أَمِنْت به ما عِشْت مـــن زَلّةِ النَّعْلِ

وقال هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ يَبكِي عمرَو بنَ عبدُ ودٍ ، ويَذكُرُ قَتْلَ عَلِيّ إيّاه

لَقد عَلِمت عُليا لُؤَيّ بنِ غالِبٍ ... لَفارِسُها عمرٌو إذا نـــابَ نائِبُ

لَفارِسُها عمرٌو إذا ما يَسُومُـــه ... عَلِيّ وإنّ اللّيثَ لا بُدّ طـــالِبُ

عَشيّةَ يَدْعُوه عَلـــيّ وإنّـــه ... لَفارِسُها إذْ خامَ (٤) عنه الكَتائِبُ

فَيا لَهْفَ نَفْسي إنّ عمرًا تَرَكْتُـــه ... بيَثْرِبَ لا زالتْ هُناكَ المَصائِبُ [٤٠/ب]

وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَفتَخِرُ بقَتْلِ عمرِو بنِ عبدُ ودٍ :

بَقِيّتُكُمْ عمرٌو أبَحْناه بالقَنـــا ... بيَثْرِبَ نَحْمي والحُماةُ قَليـــلُ

وَنحن قَتَلْناكُمْ بِكُلّ مُهَنّــــدٍ ... وَنحن وُلاةُ الحَرْبِ حينَ نَصُولُ

وَنحن قَتَلْناكُمْ بِبَدْرٍ فَأَصْبَحَتْ ... مَعاشِرُكُم في الهالِكينَ تَجُـــولُ

قال ابنُ هشام :وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ يُنْكِرُها لِحسّانَ .

قال ابنُ إسحاقَ :**وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا في شَأْنِ عمرِو بنِ عبدُ ودٍ :**

أمسَى الفَتَى عمرُو بنُ عبدٍ يَبْتَغي ... بِجُنُوبِ يَثْرِبَ ثَأْرَه لَم يُنْظَــرِ

فَلَقد وجَدْتَ سُيُوفَنا مَشْهُـــورَةً ... وَلَقد وجَدْتَ جيادَنا لَم تُقْصَرِ

---

(١) الضرغام : الأسد ، الهزبر : الشديد ، الشبل : ولد الأسد .

(٢) تقدع : تكف ، القرقرة : من أصوات فحول الأبل . البزل : الأبل القوية .

(٣) النجد : الشجاع .

(٤) خام : جبن ورجع .

وَلَقد لَقيتَ غَداةَ بَدْرٍ عُصْبَــةً ... ضَرَبوكَ ضَرْبًا غيْرَ ضَرْبِ الحُسَّرِ

أصْبَحْت لا تُدْعَى ليوم عَظيمَـةٍ ... يا عمْرُو أو لِجَسيمِ أمرٍ مُنْكَــرِ

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ يُنْكِرُها لحسّانَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسّانُ [بنُ ثابت] أيضًا :

ألا أبْلِغْ أبا هِدْمٍ رسولاً ... مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ بها المطِيّ [1]

أكُنْتُ وليّكُمْ في كُلِّ كُرْهٍ ... وَغَيْري في الرّخاءِ هُوَ الوَليّ

وَمِنكُمْ شاهِدٌ ولَقد رَآني ... رُفِعْتُ له كَما احْتُمِلَ الصّبيّ

قال ابنُ هشام : وتُرْوَى هذه الأبياتُ لِرَبيعَةَ بن أُمَيّةَ الدّيْليّ .

ويُرْوَى فيها آخِرُها :كَبَبْتَ الخَزْرَجيّ على يَدَيْه وكان شِفاءُ نَفْسي الخَزْرَجيّ وتُرْوَى أيضًا لأبي أُسامَةَ الجُشَميّ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في يومِ بني قُرَيْظَةَ يَبْكي سَعْدَ بنَ مُعاذٍ ويَذْكُرُ حُكْمَه فيهم

لَقد سَجَمَتْ مِـــن دَمعِ عَيْني عَبْرَةٌ ... وَحُقّ لِعَيْني أن تَفيضَ على سَعْـدِ

قَتيلٌ ثَوَى فـي مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِـــه ... عُيُونٌ ذَواري الدمعِ دائِمَةُ الوَجْـدِ

على مِلّةِ الرّحْمَـــنِ وارِثَ جَنّــةٍ ... مَعَ الشّهَداءِ وفْدُها أكْرَمُ الوَفْـــدِ

فإن تَكُ قد ودّعْتنــــا وتَرَكْتنـــا ... وَأمسَيْت في غَبْراءِ مُظْلِمَةِ اللّحْــــدِ

فأنْتَ الذي يا سَعْدُ أُبْت بِمَشْهَــــدٍ ... كَريمٍ وأثْـوابِ المكارِمِ والحَمْـــدِ

بِحُكْمِك في حَيّيْ قُرَيْظَةَ بالــــــذي ... قَضَى الله فيهم ما قَضَيْت على عمْدِ

فَوافَقَ حُكْمَ الله حُكْمُـــك فيهـــم ... وَلَمْ تَعْفُ إذْ ذُكّرت ما كان من عَهْدِ

فإن كان رَيْبُ الدّهْرِ أمضاكَ في الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدّنْيا بِجَنّاتِهـــا الخُلْـــدِ

فَنِعْمَ مَصيرُ الصّادِقيــنَ إذا دُعُـــوا ... إلى الله يومًا لِلْوَجاهَـــةِ والقَصْـــدِ

وَقال حسّانُ [بنُ ثابت] أيضًا ، يَبْكي سَعْدَ بنَ مُعاذٍ ، ورِجالاً من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ من الشّهَداءِ ، ويَذْكُرُهم بما كان فيهم من الخَيْرِ

---

(١) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . تخب : تسرع .

ألا يا لَقَوْمي هَلْ لِما حُمّ (١) دافِـعُ … وَهَلْ ما مَضَى من صالحِ العَيْشِ راجعُ
تَذَكَّرت عَصْرًا قد مَضَى فَتَهافَتَت … بناتُ الحَشَى (٢) وانهَلّ مِنّي المَدامِـعُ
صَبابَةُ وجْـدٍ ذَكَّرَتْني أحِبّـةً … وَقَتْلَى مَضَى فيها طُفَيْـلٌ ورافِـعُ
وَسَعْدٌ فأضْحَوْا في الجِنانِ وأَوْحَشَتْ … مَنازِلُهم فالأرْضُ منهم بَـلاقِعُ (٣)
وَفَوْا يومَ بَدْرٍ لِلرّسُـولِ وفَوْقَهم … ظِلالُ المَنايا والسّيُوفُ اللّوامِـعُ
دَعـا فأجابـوه بِحَق وكُلّهم … مُطيعٌ له في كُلّ أمـرٍ وسامِـعُ
فَما نَكَـلُوا حتى تَوَلّوْا جَماعَـةً … وَلا يَقْطَعَ الآجـالَ إلاّ المَصـارِعُ
لأنّهم يَرْجُـونَ مِنه شَفاعَـةً … إذا لَمْ يَكُن إلاّ النّبيّـونَ شافِـعُ
فَذلك يا خَيْرَ العِبـادِ بَـلاؤُنا … إجابَتُنـا لله والمَوْتُ ناقِـعُ (٤)
لَنا القَدَمُ الأُولَى إليْك وخَلْفُنـا … لأوّلِنـا في مِلّـةِ الله تابِـعُ
وَنَعْلَـمُ أنّ المُلْكَ لله وحْـدَه … وَأنّ قَضـاءَ الله لا بُـدّ واقِـعُ

وَقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا [في يوم بني قُرَيْظَةَ]:

لَقد لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ ما سَآها … وَما وجَدَتْ لِذُلّ من نَصيـرِ
أصابَهم بَلاءٌ كـان فيـه … سِوَى ما قد أصابَ بني النّضيرِ
غَداةَ أتاهم يَهْـوِى إلَيْهم … رسـولُ الله كالقَمَرِ المُنيـرِ
لَه خَيْلٌ مُجَنّبَـةٌ تَعادَى … بِفُرْسـانٍ عليها كالصّقُـورِ
تَرَكْناهم ومـا ظَفِرُوا بِشيءٍ … دِماؤُهم عليهـم كالغَديـرِ
فَهم صَرْعَى تَحُوم الطّيْرُ فيهم … كَذاكَ يُدانُ ذُو العَنَدِ الفَجُورِ [٤١/أ]
فأنْذِرْ مِثْلَها نُصْحًا قُرَيْشًـا … مِـنَ الرّحْمَنِ إن قَبِـلَتْ نَذيرى

---

(١) حم: قدر.
(٢) بنات الحشى: القلب وما اتصل به.
(٣) بلاقع: قفار خالية.
(٤) ناقع: ثابت.

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ في بني قُرَيظَةَ :

لَقد لَقِيَتْ قُرَيظَةُ ما سَآها ... وَحَلّ بِحِصْنِهـــا ذُلّ ذَليلُ
وَسَعْدٌ كان أَنْذَرَهم بِنُصْحٍ ... بِأنّ إلهَكُم رَبّ جَليـــلُ
فَما بَرِحُوا بِنَقْضِ العَهْدِ حتى ... فَلاهم (١) في بِلادِهِمُ الرّسُولُ
أحاطَ بِحِصْنِهِم مِنّا صُفُـوفٌ ... لَه من حَرّ وقْعَتِهم صَليـلُ

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا في [يومِ] بني قُرَيظَةَ :

تَفاقَدَ مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشًا ... وَليس لهم بِبَلْدَتِهِم نَصـيرُ
هم أُوتُوا الكِتابَ فَضَيّعُوه ... وَهم عُمْيٌ من التّوْراةِ بـورُ
كَفَرْتُم بِالقُرانِ وقد أَتَيْتُـم ... بِتَصْديقِ الذي قال النّذيرُ
فَهانَ على سَراةِ بنـي لُؤَيّ ... حَريقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُستَطيــرُ

فَأجابَه أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلبِ ، فَقال :

أدامَ الله ذلك من صَنيعٍ ... وَحَرّقَ في طَرائِقِها السّعيرُ
سَتَعْلَمُ أيّنا منها بِنُـــزْه (٢) ... وَتَعْلَمُ أيّ أرْضَينا تَضيــرُ
فَلَوْ كان النّخيلُ بِهـا رِكابًا ... لَقالُوا لا مُقامَ لَكُمْ فَسيرُوا

وَأجابَه جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثّعْلَبيّ أيضًا ، وبكَى النّضيرَ وقُرَيظَةَ فَقال :

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بني مُعاذٍ ... لِما لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ والنّضيـــرُ
لَعَمرُك إنّ سَعْدَ بني مُعـاذٍ ... غَداةَ تَحَمّلُوا لَهُوَ الصّبـــورُ
فَأمّا الخَزْرَجِيّ أبو حُبـــابٍ ... فَقال لِقَيْنُقاعَ لا تَسيـــرُوا
وَبُدّلَتِ المَوالي من حُضَيْـرٍ ... أُسَيْدًا والدّوائِرُ قد تَـــدُورُ
وَأقْفَرَتِ البُوَيْرَةُ من سَــلامٍ ... وَسَعْيَةَ وابنِ أخْطَبَ فَهيَ بورُ
وَقد كانوا بِبَلْدَتِهِم ثِقـــالاً ... كَما ثَقُلَتْ بِمَيطانَ الصّخُـورُ
فَإن يَهْلِكْ أبو حَكَمٍ سَـــلامٌ ... فَلا رَثّ السّلاحِ ولا دَثُـورُ

---

(١) فلاهم : قتلهم بالسيوف .
(٢) النزه : البعد .

وَكُلّ الكاهِنَيْنِ وكان فيهم ... مَعَ اللِّينِ الخَضارِمَةُ الصقُورُ
وَجَدْنا المَجْدَ قد ثَبَتُوا عليه ... بِمَجدٍ لا تُغَيِّبُه البُدُورُ (١)
أقيمُوا يا سَراةَ الأوْسِ فيها ... كَأنَّكُمْ من المَخْزاةِ عُورُ (٢)
تَرَكْتُم قِدْرَكُمْ لا شيءَ فيها ... وَقِدْرُ القَوْمِ حامِيَةٌ تَفُورُ

قَتْلُ أبي رافِع [سَلاّم بن أبي الحُقَيْق]

قال ابنُ إسحاقَ : ولَمَّا انْقَضَى شَأنُ الخَنْدَقِ ، وأمرُ بني قُرَيْظَةَ وكان سَلاّمُ بنُ أبي الحُقَيْقِ وهو أبو رافِعٍ فيمَن حَزَّبَ الأحْزابُ على رسولِ الله ﷺ وكانَتِ الأوْسُ قَبْلَ أُحُدٍ قد قَتَلَتْ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ في عَداوَتِه لِرسولِ الله ﷺ وتَحْرِيضِه عليه اسْتَأذَنَتِ الخَزْرَجُ رسولَ الله ﷺ في قَتْلِ سَلاّمِ بنِ أبي الحُقَيْقِ وهو بخَيْبَرَ فأذِنَ لهم .

[قال ابنُ إسحاقَ] : وحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيّ ، عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ ، قال وكان مِمّا صَنَعَ اللهُ به لِرسولِه ﷺ أنّ هذَيْنِ الحَيَّيْنِ من الأنصارِ ، والأوْسَ والخَزْرَجَ ، كانا يَتَصاوَلانِ مع رسولِ الله ﷺ تَصاوُلَ الفَحْلَيْنِ لا تَصْنَعُ الأوْسُ شيئًا عن رسولِ الله ﷺ غَناءً إلاّ قالتِ الخَزْرَجُ : والله لا تَذْهَبونَ بهذه فَضْلاً عَلَيْنا عند رسولِ الله ﷺ وفي الإسلام . قال فَلا يَنْتَهُونَ حتى يُوقِعُوا مِثْلَها ؛ وإذا فَعَلَتِ الخَزْرَجُ شيئًا قالتِ الأوْسُ مِثْلَ ذلك . ولَمّا أصابَتِ الأوْسَ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ في عَداوَتِه لِرسولِ الله ﷺ قالتِ الخَزْرَجُ : والله لا تَذْهَبونَ بها فَضْلاً عَلَيْنا أبَدًا ، [قال] فَتَذاكَرُوا : مَن رَجُلٌ لِرسولِ الله ﷺ في العَداوَةِ كابنِ الأشْرَفِ ؟ فَذَكَرُوا ابنَ أبي الحُقَيْقِ ، وهو بخَيْبَرَ فاسْتَأذَنُوا رسولَ الله ﷺ في قَتْلِه فَأذِنَ لهم فخَرَجَ [٤١/ب] إليه من الخَزْرَجِ من بني سَلِمَةَ خَمسَةُ نَفَرٍ عبدُ الله بنُ عَتيكٍ ، ومَسْعُودُ بنُ سِنانٍ ، وعبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ ، وأبو قَتادَةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيّ ، وخُزاعِيّ بنُ أسْوَدَ ، حَليفٌ لهم من أسْلَمَ . فَخَرَجُوا وأمّرَ عليهم رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ عَتيكٍ ، ونَهاهم عن أن يَقْتُلُوا وليدًا أو امرأةً فَخَرَجُوا حتى إذا قَدِمُوا خَيْبَرَ ، أتَوْا دارَ ابنِ أبي الحُقَيْقِ لَيلاً ، فَلَم يَدَعُوا بَيْتًا في الدّارِ إلاّ أغْلَقُوه على أهلِه . قال وكان في عِلِّيَةٍ له إلَيْها عَجَلَةٌ قال فَأسْنَدُوا فيها ،حتى قامُوا على بابه فاسْتَأذَنُوا عليه فخَرَجَتْ إلَيْهِم امرأتُه فَقالتْ مَن أنْتُم ؟ قالُوا : ناسٌ من العَرَبِ نَلْتَمِسُ المِيرَةَ . قالتْ ذاكُم صاحِبُكُم فادْخُلُوا عليه . قال : فَلَمّا دَخَلْنا عليه أغْلَقْنا عَلَيْنا وعليها الحُجْرَةَ تَخَوّفًا أن تَكُونَ دُونَه مُجاوَلَةٌ

---

(١) البدور : الشهور والدهور .
(٢) عور : جمع أعور .

تَحُولُ بَيْنَنا وبَيْنَه قال : فَصاحَتِ امرَأتُه فَنَوَّهَتْ بنا وابْتَدَرْناه وهو على فِراشِه بأسيافِنا ، فَواللهِ ما يَدُلُّنا عليه في سَوادِ اللّيلِ إلاّ بَياضُه كأنه قُبْطيّةٌ مُلقاةٌ . قال : ولَمّا صاحَتْ بنا امرَأتُه جَعَلَ الرّجُلُ مِنّا يَرْفَعُ عليها سَيْفَه ثُمّ يَذْكُرُ نَهْيَ رسولِ الله ﷺ فيَكُفّ يَدَه ولَوْلا ذلك لَفَرَغْنا منها بِلَيْلٍ . قال فَلَمّا ضَرَبناه بأسيافِنا تَحامَلَ عليه عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ بسَيْفِه في بَطْنِه حتى أنْفَذَه وهو يقول قَطْني قَطْني : أيْ حَسْبي حَسْبي .

وخَرَجْنا ، وكان عبدُ الله بنُ عَتيكٍ رَجُلاً سَيّئَ البَصَرِ قال فَوَقَعَ من الدّرَجَةِ فَوُثِئَتْ [1] يَدُه وثْئًا شَديدًا - ويُقالُ رِجْلُه فيما قال ابنُ هشام - وحَمَلْناه حتى نَأتِيَ به مَنْهَرًا من عُيُونِهِم فَنَدْخُلَ فيه . قال فأوْقَدُوا النّيرانَ واشْتَدّوا في كُلّ وَجْهٍ يَطْلُبونَنا ، قال حتى إذا يَئِسُوا رَجَعُوا إلى صاحِبِهم فاكْتَنَفُوه وهو يَقْضي بَيْنَهم كَيْفَ لَنا بأن نَعْلَمَ بأنّ عَدُوّ الله قد ماتَ ؟ قال : فَقال رَجُلٌ مِنّا : أنا أذْهَبُ فأنْظُرُ لَكُمْ فانطَلَقَ حتى دَخَلَ في النّاسِ . قال فَوَجَدْتُ امرَأتَه ورجالُ يَهُودَ حَوْلَه وفي يَدِها المِصْباحُ تَنْظُرُ في وجْهِه وتُحَدّثُهم وتَقُولُ أما والله لَقد سَمِعْتُ صَوْتَ ابنِ عَتيكٍ ثُمّ أكْذَبْتُ نَفسي وقُلْت : أنّى ابنُ عَتيكٍ بهذه البِلادِ ؟ ثُمّ أقْبَلَتْ عليه تَنْظُرُ في وجْهِه ثُمّ قالتْ : فاظَ [2] وإلَه يَهُودَ ، فَما سَمِعْتُ من كَلِمَةٍ كانَتْ ألَذّ إلى نَفْسي منها . قال : ثُمّ جاءَنا الخَبَرُ فاحْتَمَلْنا صاحِبَنا فَقَدِمنا على رسولِ الله ﷺ فأخْبَرْناه بقَتْلِ عَدُوّ الله واخْتَلَفْنا عنده في قَتْلِه كُلّنا يَدّعيه . قال فقال رسولُ الله ﷺ : «**هاتُوا أسيافَكُمْ**» قال : فَجِئْناه بِها ، فَنَظَرَ إليها فَقال لَسَيْفُ عبدِ الله بنِ أُنَيْسٍ : «**هذا قَتَلَه أرَى فيه أثَرَ الطّعامِ**»

[قال ابنُ إسحاقَ] : **فَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ وهو يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ وقَتْلَ سَلاّمِ بنِ أبي الحُقَيْقِ :**

لِلّهِ دَرّ عِصابَةٍ [3] لاقَيْتَهُم ... يا بنَ الحُقَيْقِ وأنْتَ يا بنَ الأشْرَفِ
يَسْرُونَ بالبيضِ الخِفافِ إلَيْكُمُ ... مَرَحًا كأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِفِ
حتى أتَوْكُمْ في مَحِلّ بِلادِكُم ... فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بِبيضٍ ذُفّفِ [4]
مُسْتَبْصِرينَ لِنَصْرِ دينِ نَبيّهِم ... مُسْتَصْغِرينَ لِكُلّ أمرٍ مُجْحِفِ [5]

---

(١) وثئت : أصاب عظمها شئ ليس بكسر وقيل : هو أن يصاب اللحم دون العظم .
(٢) فاظ : مات .
(٣) العصابة : الجماعة .
(٤) ذفف : سريعة القتل .
(٥) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

قال ابنُ هشام :قَوْله «دُفُف» ، عن غَيْرِ ابنِ إسحاق .

[إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد]

قال ابنُ إسحاق :وحَدَثني يَزِيدُ بنُ أَبي حَبيبٍ ، عن راشِدٍ مَوْلَى حَبيبِ بنِ أبي أَوْسٍ الثَّقَفيّ عن حَبيبِ بنِ أبي أَوْسٍ الثَّقَفيّ قال حَدَثني عمرُو بنُ العاصِ من فيه قال لَمَّا انصَرَفْنا مع [٤٢/أ] الأحزابِ عن الخَنْدَقِ جَمَعْتُ رجالاً من قُرَيْشٍ ، كانوا يَرَوْنَ رَأْيي ، ويَسْمَعُونَ مِنِّي ، فَقُلْت لهم تَعْلَمُونَ والله أنّي أرَى أمرَ مُحمدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوًا مُنكَرًا ، وإنّي قد رَأَيت أمرًا ، فما تَرَوْنَ فيه ؟ قالُوا : وماذا رَأَيت ؟ قال رَأَيت أن نَلْحَقَ بالنّجاشيّ فَنَكُونَ عنده فإن ظَهَرَ مُحَمّدٌ على قَوْمِنا كُنّا عند النّجاشيّ ، فإنّا أن نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْه أحَبّ إلَيْنا من أن نَكُونَ تَحْت يَدَيْ مُحَمدٍ وإن ظَهَرَ قَوْمُنا فَنحن مَن قد عَرَفُوا ، فَلَن يَأْتِيَنا منهم إلاّ خَيْرٌ قالُوا : إنّ هذا الرّأْيُ قلت : فاجْمَعُوا لَنا ما نُهْديه له وكان أحَبّ ما يُهْدَى إلَيْه من أرْضِنا الأَدَمَ . فَجَمَعْنا له أدَمًا كَثيرًا ، ثُمّ خَرَجْنا حتى قَدِمنا عليه . فَوالله إنّا لَعنده إذْ جاءَه عمرُو بنُ أُمَيّةَ الضّمريّ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَه إلَيْه في شَأْنِ جَعْفَرٍ وأَصْحابه .

قال : فَدَخَلَ عليه ثُمّ خَرَجَ من عِنْدِه . قال فَقُلْت لأصْحابي : هذا عمرُو بنُ أُمَيّةَ [الضّمريّ] ، لَوْ قد دَخَلْتُ على النّجاشيّ وسَأَلْته إيّاه فَأَعْطانيه فَضَرَبْت عُنُقَه فإذا فَعَلْت ذلك رَأَتْ قُرَيْشٌ أنّي قد أجْزَأْت عنها حينَ قَتَلْت رسولَ مُحمدٍ .

قال : فَدَخَلْت عليه فَسَجَدْت له كَما كُنت أَصْنَعُ فَقال مَرْحَبًا بِصَديقي ، أهدَيْتَ إلَيّ من بِلادِك شيئًا ؟ قال قلت : نَعم أيها المَلِكُ قد أهدَيْت إلَيْك أدَمًا كَثيرًا ؛ قال : ثُمّ قَرّبْته إلَيْه فَأَعْجَبَه واشْتَهاه ثُمّ قلت له : أيها المَلِكُ إنّي قد رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ من عِنْدِك ، وهو رسولُ رَجُلٍ عَدُوّ لَنا ، فَأَعْطِنيه لأَقْتُلَه فإنّه قد أصابَ من أشْرافِنا وخيارِنا ؛ قال فَغَضِبَ ثُمّ مَدّ يَدَه فَضَرَبَ بها أَنْفَه ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أنّه قد كَسَرَه فَلَوِ انْشَقّتْ لي الأرْضُ لَدَخَلْت فيها فَرَقًا مِنه ثُمّ قلت له : أيها المَلِكُ والله لَوْ ظَنَنْت أنّك تَكْرَه هذا ما سَأَلْتُكَه . قال : أتَسْأَلُني أن أُعطِيَك رسولَ رَجُلٍ يَأْتيه النّامُوسُ الأكْبَرُ الذي كان يَأْتي مُوسَى لِتَقْتُلَه ؟ قال : قلت : أيها المَلِكُ أكَذاك هُوَ ؟ قال وَيْحَكَ يا عمرُو أَطِعْني واتّبِعْه فإنّه والله لَعلى الحَقّ ولَيَظْهَرَنّ على مَن خالَفَه كَما ظَهَرَ مُوسَى على فِرْعَوْنَ وجُنُودِه قال قلت : أفَتُبايِعُني له على الإسلام ؟ قال : نَعم فَبَسَطَ يَدَه فَبايَعْتُه على الإسلامِ ثُمّ خَرَجْت إلى أصْحابي وقد حال رَأْيي عمّا كان عليه وكَتَمْتُ أصْحابي إسلامي .

ثُمّ خَرَجْت عامِدًا إلى رسولِ الله ﷺ لأُسْلِمَ فَلَقيتُ خالِدَ بنَ الوَليدِ ، وذلك قُبَيْلَ الفَتْحِ

وهو مُقبِلٌ من مَكّةَ ، فَقُلْت : أَيْنَ يا أبا سُلَيْمانَ ؟ قال والله لَقد اسْتَقامَ المَنْسِمُ وإنَ الرَّجُلَ لَنَبِيّ ، أَذْهَبُ والله فَأُسْلِمَ فحتى مَتَى ؛ قال قلت : والله ما جِئتُ إلاّ لأُسْلِمَ . قال : فَقَدِمنا المَدينَةَ على رسولِ الله ﷺ فَتَقَدّمَ خالِدُ بنُ الوَليدِ فَأَسْلَمَ وبايَعَ ثُمَ دَنَوْتُ فَقُلْت : يا رسولَ الله إِنّي أُبايِعُك على أن يُغْفَرَ لي ما تَقَدّمَ من ذَنْبي ، ولا أَذْكُرُ ما تَأَخَرَ قال فَقال رسولُ الله ﷺ : «**يا عمرُو ، بايعْ فإنّ الإسلامَ يَجُبّ ما كان قبْلَه ، وإنّ الهجْرَةَ تَجُبّ ما كان قَبْلَها**» قال : فَبايَعْته ، ثُمَ انصَرَفْت .قال ابنُ هشام : ويُقالُ إنّ الإسلامَ يَحُتّ ما كان قَبْلَه وأنّ الهِجْرَةَ تَحُتّ ما كان قَبْلَها .

قال ابنُ إسحاقَ ، وحَدّثني مَن لا أَتّهِمُ أنّ عُثْمانَ بنَ طَلْحَةَ بنِ أَبي طَلْحَةَ ، كان مَعَهما ، حينَ أَسْلَما .قال ابنُ إسحاقَ : **فقال ابنُ الزِّبَعْرَى السَّهْميّ :**

أَنْشُدُ عُثْمانَ بنَ طَلْحَةَ حِلْفَنا ... وَمُلْقَى نِعالِ القَوْمِ عند المُقَبّلِ (١)

وَما عَقَدَ الآباءُ من كُلّ حِلْفِه ... وَما خالِدٌ من مِثْلِها بمُحَلّلِ

أَمِفْتاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِك تَبْتَغي ... وَما يُبْتَغَى من مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثّلِ (٢)

فَلا تَأْمَنَنّ خالِدًا بعد هذه ... وَعُثْمانُ جاءَ بالدّهَيْمِ المُعْضِلِ (٣)

الدهيم ناقة حمل عليها رؤوس مقتولين من بني شيبان وجهوا إلى بني شيبان والذين قتلوهم بنو تغلب والعرب تضربها مثلا .

وكان فَتْحُ بني قُرَيْظَةَ[٤٢/ب] في ذي القَعْدَةِ وصَدْرِ ذي الحَجّةِ ووَلِيَ تِلْكَ الحِجّةَ المُشْرِكُونَ .

غَزْوَةُ بني لِحيانَ

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمَ أَقامَ رسولُ الله بالمَدينَةِ ذا الحَجّةِ والمُحَرّمَ وصَفَرًا وشَهْرَيْ رَبيعٍ وخَرَجَ في جُمادَى الأُولَى على رَأْسِ سِتّةِ أَشْهُرٍ من فَتْحِ قُرَيْظَةَ إلى بني لِحْيانَ يَطْلُبُ بأَصْحابِ الرّجيعِ : خُبَيْبَ ابنَ عَدِيّ وأَصْحابَه وأَظْهَرَ أنّه يُريدُ الشّامَ ، لِيُصيبَ من القَوْمِ غِرّةً .فَخَرَجَ من المَدينَةِ ﷺ واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ابنَ أُمّ مَكْتُومٍ ، فيما قال ابنُ هشامٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَسَلَكَ على غُرابٍ ، جَبَلٍ بناحيَةِ المَدينَةِ على طَريقِه إلى الشّامِ ، ثُمَ على مَحيصٍ ، ثُمَ على البَتْراءِ ، ثُمَ صَفّقَ ذاتَ اليَسارِ فَخَرَجَ على بَيَنٍ ثُمَ على صُخَيْراتِ اليَمامِ ، ثُمَ اسْتَقامَ به الطّريقُ على المَحَجّةِ من طَريقِ مَكّةَ ، فَأَغَذّ السّيْرَ سَريعًا ، حتى نَزَلَ على غُرانَ ، وهيَ مَنازِلُ

(١) يريد بالمقبل : موضع تقبيل الحجر الأسود .
(٢) المؤثل : القديم .
(٣) الدهيم : من أسماء الداهية . المعضل : الشديد .

بني لِحيان ، وَغُرانُ وادٍ بَيْنَ أَمَجَ وَعُسْفانَ ، إلى بَلَدٍ يُقالُ له سايَةُ ، فَوَجَدَهم قد حَذِرُوا وتَمَنّعُوا في رُءُوسِ الجبالِ .

فَلَمّا نَزَلَها رسولُ الله ﷺ وأخطأه من غِرّتهم ما أرادَ قال لَوْ أنّا هَبَطْنا عُسْفانَ لَرأى أهلُ مَكّةَ أنّا قد جِئْنا مَكّةَ ، فَخَرَجَ في مِئَتَيْ راكِبٍ من أصحابه حتى نَزَلَ عُسْفانَ ، ثُمّ بَعَثَ فارِسَيْنِ من أصحابه حتى بَلَغا كُراعَ الغَمِيمِ ، ثُمّ كَرّ وراحَ رسولُ الله ﷺ قافِلاً . فكان جابرُ بنُ عبدِ الله يقول : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول : حينَ وجّهَ راجعًا : **«آيِبونَ تائِبونَ إن شاءَ الله لِرَبّنا حامِدُونَ أعُوذُ بالله من وعثاءِ السّفرِ وكآبَةِ المُنْقَلَبِ وسُوءِ المَنْظَرِ في الأهلِ والمالِ»**

والحديثُ في غَزْوَةِ بني لِحيانَ عن عاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ عن عبدِ الله ابنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ ؛ فقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ في غَزْوَةِ بني لِحيانَ :

لَوْ أنّ بني لِحيانَ كانوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَبًا في دارِهِم ذاتَ مَصْدَقِ

[لَقُوا سَرَعانًا يَملأُ السّرْبَ رَوْعُه ... أمامَ طَحُونٍ كالمَجَرّةِ فَيْلَقِ] (*)

وَلَكِنّهم كانوا وِبارًا تَتَبّعَتْ ... شِعابَ حِجازٍ غَيْرِ ذي مُتَنَفّقِ

ثُمّ قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ ، فَلَم يُقِم بِها إلاّ لَيالِيَ قَلائِلَ حتى أغارَ عُيَيْنَةُ ابنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ الفَزارِيّ ، في خَيْلٍ من غَطَفانَ على لِقاحٍ لِرسولِ الله ﷺ بالغابَةِ وفيها رَجُلٌ من بني غِفارٍ وامرَأَةٌ له فَقَتَلُوا الرّجُلَ واحْتَمَلُوا المَرْأَةَ في اللّقاحِ .

غزوة ذي قرد

قال ابنُ إسحاقَ فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، ومَن لا أتّهِمُ عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ ، كُلّ قد حَدّثَ في غَزْوَةِ ذي قَرَدٍ بَعْضَ الحَديثِ أنّه كان أوّلَ مَن نَذَرَ بِهِم سَلَمَةُ بنُ عمرِو بنِ الأكْوَعِ الأسلَمِيّ ، غَدا يُريدُ الغابَةَ مُتَوَشّحًا قَوْسَه ونَبْلَه ومَعَه غُلامٌ لِطَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله مَعَه فَرَسٌ له يَقُودُه حتى إذا عَلا ثَنِيّةَ الوَداعِ نَظَرَ إلى بَعْضِ خُيُولِهِم فأشْرَفَ في ناحيَةِ سَلْعٍ ، ثُمّ صَرَخَ واصَباحاه ، ثُمّ خَرَجَ يَشْتَدّ في آثارِ القَوْمِ وكان مِثْلَ السّبُعِ حتى لَحِقَ بِالقَوْمِ فَجَعَلَ يَرُدّهم بِالنّبْلِ ويقول إذا رَمَى : خُذْها وأنا ابنُ الأكْوَعِ ، اليومُ يومُ الرّضّعِ فإذا وُجّهَتِ الخَيْلُ نَحْوَه انطَلَقَ هارِبًا ، ثُمّ عارَضَهم فإذا أمكَنَه الرّميُ رَمَى ، ثُمّ قال خُذْها وأنا ابنُ الأكْوَعِ ، اليومُ

* السرعان : أول القدم . السرب : الطريق . الطحون : الكتيبة تطحن كل ما تمر بها .
المجرة : نجوم كثيرة يختلط ضوءها في السماء . الفيلق : الكتيبة الشديدة .

يومُ الرَّضَعِ قال فيقول قائلُهم أُوَيْكِعُنا هُوَ أوّلُ النهارِ قال : - وبَلَغَ رسولَ الله ﷺ صياحُ ابنِ الأكوعِ فَصَرَخَ بالمدينةِ الفَزَعُ الفَزَعُ فَتَرامَتِ الخُيُولُ إلى رسولِ الله ﷺ .

وكان أوّلَ مَن انتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ [٤٣/أ] من الفُرسانِ المِقدادُ بنُ عمرو ، وهو الذي يُقالُ له المِقدادُ بنُ الأسوَدِ حليفُ بني زُهرَةَ ثُمّ كان أوّلَ فارسٍ وقَفَ على رسولِ الله ﷺ بعد المِقدادِ من الأنصارِ ، عَبّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وقْشِ بنِ زُغْبَةَ بنِ زَعُوراءَ ، أحَدُ بني عبدِ الأشهَلِ وسَعْدُ بنُ زَيْدٍ ، أحَدُ بني كَعْبِ بنِ عبدِ الأشهَلِ وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ ، أخُو بني حارِثَةَ بنِ الحارِثِ يُشَكُّ فيه وعُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ أخُو بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ أخُو بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، وأبو قَتادَةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيّ ، أخُو بني سَلِمَةَ وأبو عَيّاشٍ وهو عُبَيْدُ بنُ زَيْدِ بنِ الصّامِتِ ، أخُو بني زُرَيْقٍ . فَلَمّا اجْتَمَعُوا إلى رسولِ الله ﷺ أمّرَ عليهم سَعْدَ بنَ زَيْدٍ [فيما بَلَغَني] ثُمّ قال : اخْرُجْ في طَلَبِ القَوْمِ ، حتى أَلْحَقَكَ في النّاسِ

وَقد قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني عن رجالٍ من بني زُرَيْقٍ لأبي عَيّاشٍ : **«يا أبا عياشٍ لَوْ أعْطَيْت هذا الفَرَسَ رَجُلاً ، هُوَ أفْرَس مِنكَ فَلَحِقَ بالقَوْمِ ؟»** قال أبو عَيّاشٍ فَقُلْت : يا رسولَ الله أنا أفْرَس النّاسِ ثُمّ ضَرَبْتُ الفَرَسَ ، فَوالله ما جَرَى بي خَمسينَ ذِراعًا حتى طَرَحَني ، فَعَجِبْت أنّ رسولَ الله ﷺ يقول لَوْ أعْطَيْتَه أفْرَسَ مِنْك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس فزعم رجالٌ من بني زُرَيْق أن رسولَ الله ﷺ أعْطى فَرَسَ أبي عَيّاشٍ مُعاذَ بنَ ماعِصٍ أوْ عائِذَ بنَ ماعِصِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدَةَ وكان ثامِنًا ، وبَعْضُ النّاسِ يَعُدّ سَلَمَةَ بنَ عمرِو بنِ الأكْوَعِ أحَدَ الثّمانيَةِ ويَطْرَحُ أُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ ، أخا بني حارِثَةَ والله أعلَمُ أيّ ذلك كان .

وَلَم يَكُن سَلَمَةُ يومَئِذٍ فارِسًا ، وقد كان أوّلَ مَن لَحِقَ بالقَوْمِ على رِجْلَيْه . فَخَرَجَ الفُرْسانُ في طَلَبِ القَوْمِ حتى تَلاحَقُوا .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ : أنّ أوّلَ فارِسٍ لَحِقَ بالقَوْمِ مُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ أخُو بني أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ - وكان يُقالُ لِمُحْرِزٍ الأخْرَمُ ويُقالُ له قُمَيْرٌ - وأنّ الفَزَعَ لَمّا كان جال فَرَسٌ لِمَحْمُودِ بنِ مَسْلَمَةَ في الحائِطِ ، حينَ سَمِعَ صاهِلَةَ الخَيْلِ وكان فَرَسًا صَنيعًا جامًّا ، فَقالَ نِساءٌ من نِساءِ بني عبدِ الأشهَلِ حينَ رَأيْنَ الفَرَسَ يَجُولُ في الحائِطِ بِجِذْعِ نَخْلٍ هُوَ مَرْبوطٌ فيه يا قُمَيْرُ هَلْ لَكَ في أن تَرْكَبَ هذا الفَرَسَ ؟ فَإنّه كَما تَرَى ، ثُمّ تَلْحَقُ بِرسولِ الله ﷺ وبالمُسلِمينَ ؟ قال نَعم فَأعْطَيْنَه إيّاه . فَخَرَجَ عليه فَلَم يَلْبَثْ أن بَذّ الخَيْلَ بِجَمامِه حتى أدْرَكَ القَوْمَ فَوَقَفَ لهم بَيْنَ أيديهم ثُمّ قال قِفُوا يا مَعْشَرَ بني اللَّكيعَةِ حتى يَلْحَقَ بِكُمْ مَن وراءَكُم من أدْبارِكُمْ من المُهاجِرينَ والأنْصارِ .

قال : وحَمَلَ عليه رَجُلٌ منهم فَقَتَلَه وجال الفَرس ، فَلَم يَقدِرْ عليه حتى وقَفَ على آريّه من بني عبدِ الأشْهَلِ فَلَم يُقتَلْ من المُسلِمينَ غَيْرُه . قال ابنُ هشام :وقُتِلَ يومَئِذٍ من المُسلِمينَ مع مُحْرِزٍ وقّاصُ بنُ مُجَزِّزٍ المُدْلِجيّ ، فما ذَكَرَ غَيْرُ واحِدٍ من أهلِ العِلْمِ .

قال ابنُ إسحاقَ :وكان اسْمُ فَرسِ مَحْمُودٍ ذا اللّمّةِ . قال ابنُ هشام :وكان اسْمُ فَرسِ سَعْدِ ابنِ زَيْدٍ : لاحِقٌ واسْمُ فَرسِ المِقْدادِ بَعْزَجَةُ ويُقالُ سَبْحَةُ واسْمُ فَرسِ عُكاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ ذو اللِّمّةِ واسْمُ فَرسِ أبي قَتادَةَ : حَزْوَرةُ وفرس عَبّادِ بنِ بِشْرٍ لَمّاعٌ وفَرس أُسَيْدِ بنِ ظُهَيْرٍ : مَسْنُونٌ وفَرس أبي عَيّاشٍ جُلْوَةُ .

قال ابنُ إسحاقَ :وحَدّثَني بَعْضُ مَن لا أَتّهِمُ عن عبدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ : أنّ مُجَزِّزًا إنّما كان على فَرسٍ لِعُكّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ يُقالُ له الجَناحُ فَقُتِلَ مُجَزِّزٌ واسْتُلِبَتِ الجَناحُ . ولَمّا تَلاحَقَتِ الخَيْلُ قَتَلَ أبو قَتادَةَ الحارثَ بنَ رِبْعِيّ ، أخُو بني سَلِمَةَ حَبيبُ بنُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ وغَشّاه بُرْدَه ثُمّ لَحِقَ بالنّاسِ . وأقْبَلَ [٤٣/ب]رسولُ الله ﷺفي المُسلِمينَ .

[قال ابنُ هشام :واستَعْمَلَ على المَدينَةِ ابنَ أُمّ مَكْتُومٍ] .

قال ابنُ إسحاقَ :فإذا حَبيبٌ مُسَجّى بِبُرْدِ أبي قَتادَةَ ، فاسْتَرْجَعَ النّاسُ وقالُوا : قُتِلَ أبو قَتادَةَ ؛ فقال رسولُ الله ﷺ: **«ليس بأبي قَتادَةَ ولكِنّه قُتِيلَ لأبي قَتادَةَ ، وضَعَ عليه بُرْدَه لِتَعْرِفُوا أنّه صاحِبُه»** . وَأَدْرَكَ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ أوْبارًا وابنَه عمرَو بنَ أوْبارٍ ، وهما على بَعيرٍ واحِدٍ فانتَظَمَها بالرّمْحِ فَقَتَلَهما جَميعًا ، واسْتَنْقَذُوا بَعْضَ اللّقاحِ وسارَ رسولُ الله ﷺحتى نَزَلَ بالجَبَلِ من ذي قَرَدٍ ، وتَلاحَقَ به النّاسُ فَنَزَلَ رسولُ الله ﷺبه وأقامَ عليه يومًا ولَيْلَةً وقال له سَلَمَةُ بنُ الأكْوَعِ : يا رسولَ الله لَوْ سَرّحتني في مِئَةِ رَجُلٍ لاسْتَنْقَذْتُ بَقيّةَ السّرْحِ وأخَذْتُ بأعْناقِ القَوْمِ ؟ فقال له رسولُ الله ﷺفيما بَلَغَني : **«إنّهم الآنَ لَيُغْبَقُونَ [1] في غَطَفانَ»** فَقَسَمَ رسولُ الله ﷺفي أصْحابه في كُلّ مِئَةِ رَجُلٍ جَزُورًا ، وأقامُوا عليها ، ثُمّ رَجَعَ رسولُ الله ﷺقافِلاً حتى قَدِمَ المَدينَةَ .

وأقْبَلَتِ امرأةُ الغِفاريّ على ناقَةٍ من إبِلِ رسولِ الله ﷺحتى قَدِمَتْ عليه فأخْبَرَتْه الخَبَرَ ، فَلَمّا فَرَغَتْ قالتْ يا رسولَ الله إنّي قد نَذَرْتُ لله أن أنْحَرَها إن نَجّاني الله عليها ؛ قال فَتَبَسّمَ رسولُ الله ﷺثُمّ قال : **«بِئْسَ ما جَزَيْتِها أن حَمَلَكِ الله عليها ونَجّاكِ بها ثُمّ تَنْحَرينَها إنّه لا نَذْرَ في مَعْصيَةِ الله ولا فيما لا تَملِكينَ إنّما هيَ ناقَةٌ من إبِلي ، فارْجِعي إلى أهلِكِ على بَرَكَةِ الله»**

(١) يغبقون : يسقون اللبن بالعشي .

والحديثُ عن امرأةِ الغِفاريّ وما قالتْ وما قال لها رسولُ الله ﷺ عن أبي الزّبَيْرِ المكّيّ عن الحَسَنِ ابنِ أبي الحَسَنِ البَصْريّ .

وَكان ممّا قيلَ من الشّعْرِ في يوم ذي قَرَدٍ قَوْلُ حسّانَ بن ثابتٍ :

لَوْلا الذي لاقَتْ ومَسّ نُسُورَها ... بِجَنُوبِ سايَةَ أمسِ في التقْوادِ

لَلَقينَكُمْ يَحْمِلْنَ كُلّ مُدَجّجٍ ... حامي الحَقيقَةِ ماجِدُ الأجْدادِ

وَلَسَرّ أوْلادَ اللّقيطَةِ أنّنا ... سِلْمٌ [1] غَداةَ فَوارِسِ المِقْدادِ

كُنّا ثمانيَةً وكانوا جَحْفَلاً ... لجِبًا فَشُكّوا بالرِّماحِ بَدادِ [2]

كُنّا من القَوْمِ الذينَ يَلُونَهمْ ... وَيُقَدّمُونَ عِنانَ كُلّ جَوادِ

كَلاّ ورَبّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأطْوادِ [3]

حتى نُبيلَ الخَيْلَ في عَرَصاتِكُم ... وَنَؤُوبَ بالمَلَكاتِ والأوْلادِ

رَهْوًا بكُلّ مُقَلّصٍ وطِمِرّةٍ ... في كُلّ مُعْتَرَكٍ عَطَفْنَ رِوادَ

أفْنَى دَوابِرَها ولاحَ مُتُونَها ... يومٌ تُقادُ به ويومُ طِرادُ [4]

فَكَذاكَ إنّ جيادَنا مَلْبونَةٌ ... والحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بريحِ غَوادِ

وَسُيُوفُنا بيضُ الحَدائِدِ تَجْتَلي ... جُنَنَ الحَديدِ وهامَةَ المُرْتادِ

أخَذَ الإلَه عليهِم لِحَرامِهِ ... وَلِعِزّةِ الرّحمَنِ بالأسْدادِ

كانوا بدارٍ ناعِمينَ فَبُدّلُوا ... أيّامَ ذي قَرَدٍ وُجُوهَ عِبادِ

[قال ابنُ هشام] : فَلَمّا قالها حسّانُ غَضِبَ عليه سَعْدُ بنُ زَيْدٍ ، وحَلَفَ أن لا يُكَلّمَه أبَدًا ، قال انطَلَقَ إلى خَيْلي وفَوارِسي فَجَعَلَها لِلمِقْدادِ فاعْتَذَرَ إليْه حسّانُ وقال والله ما ذاكَ أرَدْتُ ولَكِنّ الرّويّ وافَقَ اسْمَ المِقْدادِ ، وقال أبياتًا يُرْضي بها سَعْدًا :

[إذا أرَدْتُم الأشَدّ الجَلْدا ... أوْ ذا غَناءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدًا]

سَعْدَ بنَ زَيْدٍ لا يُهَدّ هَدّا

---

(١) السلم : الصلح .

(٢) الجحفل : الجيش الكثير . اللجب : الكثير الأصوات . شكوا : طعنوا . بداد : من التبدد وهو التفرق .

(٣) الراقصات : الإبل . الأطواد : الجبال المرتفعة . المخارم : الطرق بين الجبال .

(٤) متونها : ظهورها . الطراد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضا .

فَلَم يَقْبَلْ مِنه سَعْدٌ ولَمْ يُغْنِ شيئًا . وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في يوم ذي قَرَدٍ :

أظَنّ عُيَيْنَـــةُ إذْ زارَهـــا بأن [سَوْفَ] يَهدِمُ فيها قُصُورًا
فأُكذِبْتَ ما كُنتَ صَدّقته وَقُلتُم سَنَغْنَمُ أمـــرًا كَبيـــرًا
فَعِفتَ المَدينَةَ إذْ زُرتَهـــا وَآنَسْت لِلأُسْدِ فيها زَئِيـــرًا
فَوَلّوْا سِراعًا كَشَـدِّ النعامِ وَلَمْ يَكْشِفُوا عن مُلِطّ حَصيرًا
أميرٌ عَلَيْنا رسولُ المَلِـيكِ أحْبِبْ بِذاكَ إلَيْنا أميـــرًا
رسولٌ نُصَدّقُ ما جـــاءَه وَيَتْلُو كِتابًا مُضيئًا مُنيرًا [٤٤/أ]

وَقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ في يوم ذي قَرَدٍ لِلفَوارِسِ :

أتَحْسَبُ أوْلادُ اللَقيطَةِ أنّنـــا على الخَيْلِ لَسْنا مِثْلهم في الفَوارِسِ
وَإنّا أُناسٌ لا نَرَى القَتْلَ سُبّـــةً وَلا نَنْثَني عند الرّماحِ المَداعِسِ [١]
وَإنّا لَنَقْري الضَيْفَ من قَمّعِ الذّرا وَنَضْرِبُ رَأسَ الأبْلَخِ [٢] المُتَشاوِسِ
نَرُدّ كُـــاةَ المُعْلَمِينَ إذا انْتَخَـــوْا بِضَرْبٍ يُسَلّي نَخْوَةَ المُتَقاعِـــسِ [٣]
بِكُلّ فَتًى حامي الحَقيقَةِ ماجِـــدٍ كَريمٍ كَسِرْحانِ [٤] الغَضاةِ مُخالِسِ
يَذُودُونَ عن أحْسابِهِم وتِلادِهِـــم بِبِيضٍ تَقُدّ الهامَ تَحْتَ القَـــوانِسِ
فَسائِلْ بني بَدْرٍ إذا ما لَقيتَهُـــم بِما فَعَلَ الإخْوانُ يومَ التَمـــارُسِ
إذا ما خَرَجْتُم فاصْدُقُوا مَن لَقيتُم وَلا تَكْتُمُوا أخْبارَكُم في المَجالِـــسِ
وَقُولُوا زَلِلْنا عن مَخالِبِ خـــادِرٍ به وحَرٌ في الصّدْرِ ما لَمْ يُمـــارِسِ

قال ابنُ هشام : أنْشَدَني بَيْتَه «وإنّا لَنَقْري الضَيْفَ» أبو زَيْـدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال شَدّادُ بنُ عارِضٍ الجُشَمِيّ ، في يومِ ذي قَرَدٍ لِعُيَيْنَةَ ابنِ حِصْنٍ وكان عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ يُكَنّى بِأبي مالِكٍ

فَهَلاّ كَرَرْتَ أبا مالِـــكٍ وَخَيْلُك مُدْبِـــرَةٌ تُقْتَـــلُ

(١) المداعس : المطاعن .
(٢) الأبلخ : المتكبر .
(٣) انتخوا : تكبروا ، المتقاعس : الذي لا يلين ولا ينقاد .
(٤) السرحان : الذئب . الغضاة : شجرة .

ذَكَرْتَ الإيابَ إلى عَسْجَرٍ وَهَيهاتَ قد بَعُـــدَ المُقْفَـلُ
وَظَنَنتَ نَفسَك ذا مَيْعَـــةٍ مِسَحّ الفَضـــاءِ إذا يُرْسَـــلُ
إذا قَبَضَته إلَيك الشمـــا لُ جـــاشَ كَمَا اضطَرَمَ المِرْجَلُ
فَلَمّا عَرَفْتُم عِبـــادَ الإلَـــه لَـــم يَنظُرِ الآخَـــرَ الأوّلَ
عَرَفْتُم فَوارِسَ قـــد عُوّدُوا طِرادَ الكُمـــاةِ إذا أسهَلُـــوا
إذا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشقَى بِهِـم فِضاحًا [١] وإن يُطرَدُوا يَنْزِلُـوا
فَيَعْتَصِمُوا في سَواءِ المقَـــا مِ بالبيضِ أخلَصَها الصَيقَلُ [٢]

غزوة بني المصطلق بالمريسيع

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينَةِ بَعْضَ جُمادَى الآخِرَةِ ورَجَبًا ، ثُمّ غَزا بني المُصطَلِقِ من خُزاعَةَ ، في شَعْبانَ سَنَةَ سِتّ . قال ابنُ هشامٍ : واستَعْمَلَ على المدينةِ أبا ذَرّ الغِفاريّ ويُقالُ نُمَيْلَةُ بنُ عبدِ الله اللّيْثِيّ .

[سَبَبُ غَزْوِ الرّسُولِ لهم] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، ومُحَمّدُ بنُ يَحْيَى بنِ حِبّانَ ، كُلّ قد حَدّثني بَعْضَ حَديثِ بني المُصطَلِقِ ، قالُوا : بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ بني المُصطَلِقِ يَجْمَعُونَ له وقائِدُهم الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ أبو جُوَيْرِيَةَ بِنتِ الحارِثِ ، زَوْجِ رسولِ الله ﷺ فَلَمّا سَمِعَ رسولُ الله ﷺ بِهِم خَرَجَ إلَيْهِم حتى لَقِيَهم على ماءٍ لهم يُقالُ له المُرَيْسيعُ ، من ناحيَةِ قَديدٍ إلى الساحِلِ فَتَزاحَفَ الناسُ واقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ الله بني المُصطَلِقِ وقُتِلَ مَن قُتِلَ منهم ونَفّلَ رسولُ الله ﷺ أبناءَهم ونِساءَهم وأموالهم فأفاءَهم عليه .

وَقد أُصيبَ رَجُلٌ من المُسلِمينَ من بني كَلْبِ بنِ عَوْفِ بنِ عامِرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرٍ يُقالُ له هِشامُ بنُ صُبابَةَ ، أصابَه رَجُلٌ من الأنصارِ من رَهْطِ عُبادَةَ بنِ الصامِتِ ، وهو يَرَى أنّه من العَدُوّ فَقَتَلَه خَطَأً .

فَبَيْنا الناس على ذلك الماءِ ورَدَتْ وارِدَةُ الناسِ ومَعَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ أجيرٌ له من بني غِفارٍ ، يُقالُ له جَهجاه بنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَه فازْدَحَمَ جَهجاه وسِنانُ بنُ وبَرٍ الجُهَنِيّ ، حَليفُ بني

---

(١) الفضاح : الفاضحة .

(٢) أخلصها الصيقل : أي أزال ما عليها من الصدأ .

عَوفِ بنِ الخَزرَجِ على الماءِ فاقْتَتَلا ، فَصَرَخَ الجُهَنِيّ : يا مَعْشَرَ الأنصارِ ، وصَرَخَ جَهجاه : يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ فَغَضِبَ عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ وعنده رَهطٌ من قَوْمِه فيهم زَيْدُ بنُ أرْقَمَ غُلامٌ حَدَثٌ فَقال أوَ قد فَعَلُوها ، قد نافَرُونا وكاثَرُونا في بِلادِنا ، والله ما أعَدّنا وجَلابيبَ قُرَيْشٍ إلاّ كَما قال الأوَّلُ سَمِّن كَلْبَك يَأكُلْك ، أما والله ﴿لَـئِن رَجَعْنا إلى المَدينَـةِ لَيُخرِجَنّ الأعَـزّ منها الأذَلّ﴾ ثُمّ أقْبَلَ على مَن حَضَرَه من قَوْمِه فقال لهم هذا ما فَعَلْتُم [٤٤/ب] بأنْفُسِكُمْ أحْلَلْتُمُوهم بِلادَكُم وقاسَمْتُوهم أموالَكُمْ أما والله لَوْ أمسَكْتُم عنهم ما بأيْديكُمْ لَتَحَوَّلُوا إلى غَيْرِ دارِكُم . فَسَمِعَ ذلك زَيْدُ بنُ أرْقَمَ فَمَشَى به إلى رسولِ الله ﷺ وذلك عند فَراغِ رسولِ الله ﷺ من عَدُوّه فأخْبَرَه الخَبَرَ ، وعنده عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، فقال مُرْ به عَبّادَ بنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْه فقال له رسولُ الله ﷺ: «**فكَيْفَ يا عُمَرُ إذا تَحَدّثَ النّاسُ أنّ مُحَمّدًا يَقْتُلُ أصْحابَه لا ! ولكِن أذِّنْ بالرّحيل**» وَذلك في ساعَةٍ لَمْ يَكُن رسولُ الله ﷺ يَرْتَحِلُ فيها ، فارْتَحَلَ النّاسُ .

وَقد مَشَى عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ إلى رسولِ الله ﷺ حينَ بَلَغَه أنّ زَيْدَ ابنَ أرْقَمَ قد بَلّغَه ما سَمِعَ مِنْه فَحَلَفَ بالله ما قلت ما قال ولا تَكَلّمت به . - وكان في قَوْمِه شَريفًا عَظيمًا - ، فَقال مَن حَضَرَ رسولَ الله ﷺ من الأنْصارِ من أصْحابه يا رسولَ الله عَسَى أن يَكُونَ الغُلامُ قد أوْهَمَ في حَديثِه ولَمْ يَحْفَظْ ما قال الرّجُلُ حَدَبًا على ابنِ أُبَيّ ابنِ سَلُولَ ، ودَفْعًا عنه .

[قال ابنُ إسحاقَ] : فَلَمّا اسْتَقَلّ رسولُ الله ﷺ وسارَ لَقيَه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ فَحَيّاه بِتَحيّةِ النّبوّةِ وسَلّمَ عليه ثُمّ قال : يا نَبِيّ الله والله لَقد رُحْتَ في ساعَةٍ مُنْكَرَةٍ ما كُنْتَ تَرُوحُ في مِثْلها ، فَقال له رسولُ الله ﷺ : «**أوَ ما بَلَغَكَ ما قال صاحِبُكُمْ ؟**» قال وأيّ صاحِبٍ يا رسولَ الله ؟ قال : «**عبدُ الله بنُ أُبَيّ**» قال : وما قال ؟ قال : «**زَعَمَ أنّه إن رَجَعَ إلى المَدينَـةِ لَيُخرِجَن الأعَزّ منها الأذَلّ**» قال : فَأنْتَ يا رسولَ الله والله تُخْرِجُه منها إن شِئْتَ . هُوَ والله الذّليلُ وأنْتَ العَزيزُ ثُمّ قال : يا رسولَ الله ، ارْفُقْ به فَوالله لَقد جاءَنا الله بِك ، وإنّ قَوْمَه لَيَنْظِمُونَ له الخَرَزَ لِيَتَوّجُوه فإنّه لَيَرَى أنّك قد اسْتَلَبْتَه مُلْكًا . ثُمّ مَشَى رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ يومَهم ذلك حتى أمسَى ، ولَيْلَتَهم حتى أصْبَحَ وصَدْرَ يومِهم ذلك حتى آذَتْهم الشّمسُ ثُمّ نَزَلَ بالنّاسِ فَلَم يَلْبَثُوا أن وجَدُوا مَسّ الأرْضِ فَوَقَعُوا نيامًا ، وإنّما فَعَلَ ذلك رسولُ الله ﷺ لِيَشْغَلَ النّاسَ عن الحَديثِ الذي كان بالأمسِ من حَديثِ عبدِ الله ابنِ أُبَيّ . ثُمّ راحَ رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ وسَلَكَ الحِجازَ حتى نَزَلَ على ماءٍ بالحِجازِ فُوَيْقَ النّقيعِ ; يُقالُ له بَقْعاءُ . فَلَمّا راحَ رسولُ الله ﷺ هَبّتْ على النّاسِ رِيحٌ شَديدَةٌ آذَتْهم وتَخَوّفُوها ، فَقال رسولُ الله ﷺ : «**لا تَخافُوها ، فإنّما هَبّتْ لِمَوْتِ عَظيمٍ من عُظَماءِ الكُفّارِ**» . فَلَمّا قَدِمُوا المَدينَةَ وجَدُوا رِفاعَةَ بنَ زَيْدِ بنِ التّابوتِ أحَدَ بني قَيْنُقاعَ ، وكان

عَظيمًا من عُظَماءِ يَهودَ وكَهْفًا لِلْمُنافِقينَ ماتَ في ذلك اليوم .

وَنَزَلَتِ السّورَةُ التي ذَكَرَ الله فيها المُنافِقينَ في ابنِ أُبَيّ ومَن كان على مِثْلِ أمرِه فَلَمّا نَزَلَتْ أخَذَ رسولُ الله ﷺ بِأُذُنِ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ ثُمّ قال : «**هذا الذي أوْفَى الله بِأُذُنِه**» . وبَلَغَ عبدَ الله بنَ عبدِ الله بنِ أُبَيّ الذي كان من أمرِ أبيه .

طَلَبُ ابن عبدِ الله بن أُبَيّ أن يَتَوَلّى هُوَ قَتْلَ أبيه وعفو الرّسُول :

[قال ابنُ إسحاقَ] : فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ : أنّ عبدَ الله أتَى رسولَ الله ﷺ فَقال يا رسولَ الله إنّه بَلَغَني أنّك تُريدُ قَتْلَ عبدِ الله بنِ أُبَيّ فيما بَلَغَك عنه فَإن كُنْت لا بُدّ فاعِلاً فَمُرْني به فَأنا أحْمِلُ إلَيْك رَأْسَه فَوالله لَقد عَلِمَتِ الخَزْرَجُ ما كان لها من رَجُلٍ أبَرّ بِوالِدِه مِنّي ، وإنّي أخْشَى أن تَأْمُرَ به غَيْري فَيَقْتُلَه فَلا تَدَعُني نَفْسي أنْظُرُ إلى قاتِلِ عبدِ الله بنِ أُبَيّ يَمْشي في النّاسِ فَأَقْتُلَه فَأَقْتُلَ رَجُلاً مُؤْمِنًا بِكافِرٍ فَأَدْخُلَ النّارَ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**بَلْ نَتَرَفّقُ به ونُحْسِنُ صُحْبَتَه ما بَقِيَ مَعَنا**» .

وَجَعَلَ بعد ذلك إذا أحْدَثَ الحَدَثَ كان قَوْمُه هم الذينَ يُعاتِبونَه ويَأْخُذونَه ويُعَنّفُونَه فَقال رسولُ الله ﷺ لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ [٤٥/أ] حينَ بَلَغَه ذلك من شَأْنِهم : «**كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ أما والله لَوْ قَتَلْتُهُ يومَ قُلْتَ لي اقْتُلْه لأُرْعِدَتْ له آنُفٌ لَوْ أمَرْتها اليومَ بِقَتْلِه لَقَتَلَتْه**» قال : قال عُمَرُ : قد والله عَلِمْتُ لأَمْرُ رسولِ الله ﷺ أعْظَمُ بَرَكَةً من أمري .

قال ابنُ إسحاقَ : وقَدِمَ مِقْيَسُ بنُ صُبابَةَ من مَكّةَ مُسْلِمًا ، فيما يَظْهَرُ فَقال يا رسولَ الله جِئْتُك مُسْلِمًا ، وجِئْتُك أطْلُبُ دِيَةَ أخي ، قُتِلَ خَطَأً . فَأَمَرَ له رسولُ الله ﷺ بِدِيَةِ أخيه هشامِ ابنِ صُبابَةَ ؛ فَأقامَ عند رسولِ الله ﷺ غيرَ كَثيرٍ ثُمّ عَدا على قاتِلِ أخيه فَقَتَلَه ثُمّ خَرَجَ إلى مَكّةَ مُرْتَدًا فَقال في شِعْرٍ يقوله :

شَفَى النّفْسَ أن قد ماتَ بِالقاعِ مُسْنَدًا ... تُضَرّجُ ثَوْبَيْه دِماءُ الأخادِعِ [1]

وَكانَتْ هُمُومُ النّفسِ من قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِمّ [2] فَتَحْميني وِطاءَ المَضاجِعِ

حَلَلْت بِهِ وِتْري وأدْرَكْتُ ثُؤْرَتي ... وَكُنْتُ إلى الأوْثانِ أوّلَ راجِعِ

ثَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا وحَمّلْت عَقْلَهُ [3] ... سَراةَ بني النّجّارِ أرْبابَ فارِعِ

---

(١) الأخادع : عروق القفا .

(٢) تلم : تساورني وتحل بي .

(٣) العقل : الدية . فارع : حصن له .

وقال مقيس بن صُبابة أيضًا :

جَلَّلته ضَرْبَةٌ باءَتْ لها وشَلٌ   من ناقع الجَوْفِ يَعْلُوه ويَنْصَرِمُ
فَقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشاه أَسِرَّتُه [1]   لا تَأْمَنَن بني بَكْرٍ إذا ظَلَمُوا

قال ابنُ هشام : وكان شِعارُ المُسْلِمينَ يومَ بني المُصْطَلِقِ : يا مَنْصُورُ ، أَمِتْ أَمِتْ .

قال ابنُ إسحاقَ : وَأُصيبَ من بني المُصْطَلِقِ يومَئِذٍ ناسٌ ، وقَتَلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ منهم رَجُلَيْنِ مالِكًا وابنَه وقَتَلَ عبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوْفٍ رَجُلاً من فُرْسانِهِم يُقالُ له أَحْمَرُ أَوْ أُحَيْمِرٌ .

أمرُ جُوَيْرِيةَ بنتِ الحارِثِ :

وَكان رسولُ الله ﷺ قد أصابَ منهم سَبْيًا كَثيرًا ، فَشا قَسْمُه في المُسْلِمينَ وكان فيمَن أُصيبَ يومَئِذٍ من السَّبايا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ ، زَوْجُ رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثني مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائِشَةَ قالتْ لَمَّا قَسَمَ رسولُ الله ﷺ سَبايا بني المُصْطَلِقِ وقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ في السَّهمِ لِثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ أوْ لابنِ عمٍّ له فكاتَبَتْه على نَفْسِها ، وكانَتِ امرَأةً حُلْوَةً مُلاّحَةً لا يَراها أحَدٌ إلاّ أخَذَتْ بِنَفْسِه فَأتَتْ رسولَ الله ﷺ تَسْتَعينُه في كِتابَتِها ؛ قالتْ عائِشَةُ : فَوالله ما هُوَ إلاّ أن رَأيْتُها على بابِ حُجْرَتي فَكَرِهتُها ، وعرَفْت أنه سَيَرَى منها ﷺ ما رَأَيْتُ فَدَخَلَتْ عليه فَقالتْ يا رسولَ الله أنا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ ، سَيِّدِ قَوْمِه وقد أصابني من البَلاءِ ما لَم يَخْفَ عَلَيْك ، فَوَقَعْت في السَّهمِ لِثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ أوْ لابنِ عمٍّ له فَكاتَبْتُه على نَفْسي ، فَجِئْتُك أسْتَعينُك على كِتابَتي ، قال : «**فَهَلْ لَكِ في خَيْرٍ من ذلك ؟**» قالتْ وما هُوَ يا رسولَ الله ؟ قال : «**أَقْضِي عَنْكِ كِتابَتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ**»قالتْ : نَعم يا رسولَ الله قال : «**قد فَعَلْتُ**» .

قالتْ : وخَرَجَ الخَبَرُ إلى النّاسِ أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابنَةَ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ ، فَقال النّاسُ أصْهارُ رسولِ الله ﷺ وأرْسَلُوا ما بأيْديهِم قالتْ : فَلَقد أُعْتِقَ بِتَزْويجِه إيّاها مِئَةُ أهلِ بَيْتٍ من بني المُصْطَلِقِ فَما أَعْلَمُ امرأةً كانَتْ أعْظَمَ على قَوْمِها بَرَكَةً منها .

[قال ابنُ هشام : ويُقالُ لَمّا انْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من غَزْوَةِ بني المُصْطَلِقِ ومَعَه جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ ، وكان بِذاتِ الجَيْشِ دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلى رَجُلٍ من الأنْصارِ وديعَةً وأمَرَه بالاحْتِفاظِ بها ، وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ ; فَأقْبَلَ أبوها الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ بِفِداءِ ابنَتِه فَلَمّا كان بالعَقيقِ نَظَرَ إلى الإبِلِ التي جاءَ بها لِلفِداءِ فَرَغِبَ في بَعيرَيْنِ منها ، فَغَيَّبَهما في شِعْبٍ من شِعابِ العَقيقِ ،

(١) الأسرة : التكسر الذي يكون في جلد الوجه .

ثمّ أتى إلى النبيّ ﷺ وقال :يا محمّدُ أصبْتُم ابنتي ، وهذا فِداؤُها ، فقال رسولُ الله ﷺ : «فأينَ البَعيرانِ اللّذانِ غَيّبتهما بالعَقيقِ ، في شِعْبِ كَذا وكَذا ؟» فقال الحارثُ : أشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ الله ، وأنكَ محمّدٌ رسولُ الله فوالله ما اطّلَعَ على ذلك إلاّ الله فأسْلَمَ الحارثُ وأسْلَمَ مَعَه ابنانِ له وناسٌ من قَوْمِه وأرْسَلَ إلى البَعيرَيْنِ فجاءَ بِهما ، فدَفَعَ الإبلَ إلى النبيّ ﷺ ودُفِعَتْ إليه ابنَتُه جُوَيْرِيَةُ فأسْلَمَتْ وحَسُنَ إسلامُها ؛ فخَطَبَها رسولُ الله ﷺ إلى أبيها ، فزَوّجَه إيّاها ، وأصْدَقَها أرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ] .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني يَزيدُ بنُ رُومانَ : أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ إليْهِم بعد إسلامِهِم الوَليدَ بنَ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ، فلَمّا سَمِعُوا به رَكِبوا إليْه فلَمّا سَمِعَ بِهِم هابَهم فرَجَعَ إلى رسولِ الله ﷺ فأخْبَرَه أنّ القَوْمَ قد هَمّوا بِقَتْلِه ومَنَعُوه ما قِبَلَهم من صَدَقَتِهم فأكْثَرَ المُسْلِمُونَ في ذِكْرِ غَزْوِهِم حتى هَمّ رسولُ الله ﷺ بأن يَغْزُوَهم فبَيْنا هم على ذلك قَدِمَ وفْدُهم على رسولِ الله ﷺ [٤٥/ب] فقالُوا : يا رسولَ الله سَمِعْنا برسولِك حينَ بَعَثْتَه إلَينا ، فخَرَجْنا إلَيْه لِنُكْرِمَه ونُؤَدّيَ إليْه ما قِبَلَنا من الصّدَقَةِ فانْشَمَرَ راجِعًا ، فبَلَغَنا أنّه زَعَمَ لِرسولِ الله ﷺ أنّا خَرَجْنا إليْه لِنَقْتُلَه ووالله ما جِئْنا لِذلك فأنْزَلَ الله تَعالى فيه وفيهم ﴿يا أيّها الذينَ آمَنُوا إن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أن تُصيبوا قَوْمًا بِجَهالةٍ فتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نادِمينَ واعْلَمُوا أنّ فيكُمْ رسولَ الله لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ الأمرِ لَعَنِتّم﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ .

قد أقْبَلَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرِه ذلك كَما حَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن الزّهْريّ ،وعن عُرْوَةَ عن عائِشَةَ رَضيَ الله عنها ، حتى إذا كان قَريبًا من المَدينَةِ ، وكانَتْ مَعَه عائِشَةُ في سَفَرِه ذلك قالَ فيها أهلُ الإفْكِ ما قالُوا .

[خبَرُ الإفْكِ في غَزْوَةِ بني المُصْطَلِقِ سَنَةَ سِتّ]

قال ابنُ إسحاقَ : حَدّثَنا الزّهْريّ ، عن عَلْقَمَةَ بنِ وقّاصٍ وعن سَعيدِ بنِ جُبَيْرٍ وعن عُرْوَةَ ابنِ الزّبَيْرِ ، وعن عُبَيْدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ قال كُلّ قد حَدّثَني بَعْضَ هذا الحَديثِ وبَعْضُ القَوْمِ كان أوْعَى له من بَعْضٍ وقد جَمَعْتُ لَكَ الذي حَدّثَني القَوْمُ . قال محمّدُ بنُ إسحاقَ : وحَدّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله ابنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عن عائِشَةَ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، عن عمرَةَ بِنْتِ عبدِ الرّحْمَنِ ، عن عائِشَةَ عن نَفْسِها ، حينَ قال فيها أهلُ الإفْكِ ما قالُوا ، فكُلّ قد دَخَلَ في حَديثِها عن هَؤُلاءِ جَميعًا يُحَدّثُ بَعْضُهم ما لَم يُحَدّثْ صاحِبَه وكُلّ كان عنها ثِقَةً فكُلّهم حَدّثَ عنها ما سَمِعَ .

قالتْ : كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ سَفَرًا أقْرَعَ بَيْنَ نِسائِه فأيَّتُهُن خَرَجَ سَهمُها خَرَجَ بِها مَعَه فَلَمّا كانَتْ غَزْوَةُ بني المُصْطَلِقِ أقْرَعَ بَيْنَ نِسائِه كَما كان يَصْنَعُ فَخَرَجَ سَهْمي عليهِن مَعَه فَخَرَجَ بِي رسولُ الله ﷺ .

قالتْ : وكان النّساءُ إذْ ذاكَ إنّما يَأكُلْنَ العُلَقَ لَم يَهِجْهُنَ اللّحمُ فَيَثْقُلْنَ وكُنْت إذا رُحِّلَ لِي بَعيري جَلَسْتُ في هَوْدَجي ، ثُمّ يَأتي القَوْمُ الذينَ يُرَحِّلُونَ لِي ويَحْمِلُونَني ، فَيَأخُذُونَ بِأسْفَلِ الهَوْدَجِ فَيَرْفَعُونَه فَيَضَعُونَه على ظَهْرِ البَعيرِ فَيَشُدّونَه بِحِبالِه ثُمّ يَأخُذُونَ بِرَأسِ البَعيرِ فَيَنْطَلِقُونَ به .

قالتْ : فَلَمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من سَفَرِه ذلك وجّهَ قافِلاً ، حتى إذا كان قَريبًا من المَدينَةِ نَزَلَ مَنْزِلاً ، فَبات به بَعْضَ اللّيلِ ثُمّ أذّنَ في النّاسِ بالرّحيلِ فارْتَحَلَ النّاسُ وخَرَجْتُ لِبَعْضِ حاجَتي ، وفي عُنُقي عِقْدٌ لي ، فيه جَزْعُ ظِفارٍ ، فَلَمّا فَرَغْت انسَلّ من عُنُقي ولا أدْري ، فَلَمّا رَجَعْت إلى الرّحْلِ ذَهَبْتُ ألْتَمِسُه في عُنُقي ، فَلَم أجِدْه وقد أخَذَ النّاسُ في الرّحيلِ فَرَجَعْت إلى مَكاني الذي ذَهَبْت إلَيه فالتَمَسْته حتى وجَدْته . وَجاءَ القَوْمُ خِلافي ، الذينَ كانوا يُرَحّلُونَ لي البَعيرَ وقد فَرَغُوا من رِحْلَتِه فَأخَذُوا الهَوْدَجَ وهم يَظُنّون أنّي فيه كَما كُنْت أصْنَعُ فاحْتَمَلُوه فَشَدّوه على البَعيرِ ولَم يَشُكّوا أنّي فيه ثُمّ أخَذُوا بِرَأسِ البَعيرِ فانْطَلَقُوا به فَرَجَعْتُ إلى العَسْكَرِ وما فيه من داعٍ ولا مُجيبٍ قد انْطَلَقَ النّاسُ .

قالتْ : فَتَلَفّفْت بِجِلْبابي ، ثُمّ اضْطَجَعْتُ في مَكاني ، وعَرَفْت أن لَوْ قد افْتُقِدْت لَرُجِعَ إلَيّ . قالتْ فَواللهِ إنّي لَمُضْطَجِعَةٌ إذْ مَرّ بِي صَفْوانُ بنُ المُعَطّلِ السّلَمِيّ ، وقد كان تَخَلّفَ عن العَسْكَرِ لِبَعْضِ حاجَتِه فَلَم يَبِتْ مع النّاسِ فَرَأى سَوادي ، فَأقْبَلَ حتى وقَفَ عَلَيّ [٤٦/أ]وقد كان يَراني قَبْلَ أن يُضْرَبَ عَلَيْنا الحِجابُ فَلَمّا رَآني قال إنّا لله وإنّا إلَيه راجِعُونَ ، ظَعينَةُ رسولِ الله ﷺ وأنا مُتَلَفّفَةٌ في ثيابي ، قال ما خَلّفَك يَرْحَمُك الله ؟ قالتْ فَما كَلّمْته ثُمّ قَرّبَ البَعيرَ فَقال ارْكَبي ، واسْتَأخَرَ عَنّي **قالتْ** : فَرَكِبْتُ وأخَذَ بِرَأسِ البَعيرِ فانطَلَقَ سَريعًا ، يَطْلُبُ النّاسَ فَواللهِ ما أدْرَكْنا النّاسَ وما افْتُقِدت حتى أصْبَحْتُ ونَزَلَ النّاسُ فَلَمّا اطْمَأنّوا طَلَعَ الرّجُلُ يَقُودُ بي ، فَقال أهلُ الإفْكِ ما قالُوا ، فارْتَعَجَ العَسْكَرُ واللهِ ما أعْلَمُ بِشيءٍ من ذلك .

ثُمّ قَدِمنا المَدينَةَ ، فَلَم ألْبَثْ أن اشْتَكَيْتُ شَكْوى شَديدَةً ولا يَبْلُغُني من ذلك شيءٌ وقد انْتَهَى الحَديثُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى أبَوَيّ لا يَذْكُرُونَ لي مِنه قَليلاً ولا كَثيرًا ، إلاّ أنّي قد أنْكَرْتُ من رسولِ الله ﷺ بَعْضَ لُطْفِه بي ، كُنْت إذا اشْتَكَيْتُ رَحِمَني ، ولَطَفَ بِي ، فَلَم يَفْعَلْ ذلك بي في شَكْوايَ تِلْكَ فَأنْكَرْت ذلك مِنْه كان إذا دَخَلَ عَلَيّ وعِنْدي أُمّي تُمَرّضُني .

قال ابنُ هشام : وهيَ أُمّ رُومانَ ، واسْمُها زَيْنَبُ بِنْتُ عبدِ دُهْمانَ ، أَحَدُ بني فِراسِ بنِ غَنَم بنِ مالِكِ بنِ كِنانَةَ - قال كَيْفَ تيكُمْ لا يَزِيدُ على ذلك .

[قال ابنُ إسحاق] : قالتْ حتى وجَدْتُ في نَفْسي ، فَقُلْت : يا رسولَ الله حينَ رَأَيْتُ ما رَأَيتَ من جَفائِه لي : لَوْ أذِنتَ لي ، فانتَقَلْت إلى أُمّي ، فَمَرّضَتني ؟ قال لا عَلَيْك . قالتْ فانتَقَلْت إلى أُمّي ، ولا عِلْمَ لي بِشيءٍ مِمّا كان حتى نَقِهَت من وجَعي بعد بِضْعٍ وعِشْرِيْنِ لَيْلَةً وكُنّا قَوْمًا عَرَبًا ، لا نَتّخِذُ في بُيُوتِنا هذه الكُنُفَ التي تَتّخِذُها الأعاجِمُ ، نَعافُها ونَكْرَهُها ، إنّما كُنّا نَذْهَبُ في فُسَحِ المَدِينَةِ ، وإنّما كانَتِ النّساءُ يَخْرُجنَ كُلّ لَيْلَةٍ في حَوائِجِهِنّ فَخَرَجْتُ لَيْلَةً لحاجَتي ومَعي أُمّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أبي رُهْم بنِ المُطّلِبِ بنِ عبدِ مَنافٍ ، وكانَتْ أُمّها بِنْتَ صَخْرِ بنِ عامِرِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْم خالَةَ أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ - رَضِيَ الله عنه - .

قالتَ : فَوالله إنها لَتَمشي مَعي إذْ عَثَرَت في مِرْطِها ؛ فَقالتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ ومِسْطَحٌ لَقَبٌ واسْمُه عَوْفٌ قالتْ قلت : بِئْسَ لَعمرُ الله ما قلت لِرَجُلٍ من المُهاجِرينَ قد شَهِدَ بَدْرًا ، قالتْ : أَوَ ما بَلَغَكِ الخَبَرُ يا بِنتَ أبي بَكْرٍ ؟ قالتْ قلت : وما هو الخَبَرُ ؟ فَأَخْبَرَتْني بِالذي كان من قَوْلِ أهلِ الإفْكِ قالتْ قلت : أوَ قد كان هذا ؟ قالتْ نَعم والله لَقد كان .

[قالتْ] : فَوالله ما قَدَرْت على أن أَقْضِيَ حاجَتي ، ورَجَعْت ، فَوالله ما زِلْت أَبْكِي حتى ظَنَنْت أنّ البُكاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدي ؛ قالتْ وقُلْت لأمّي : يَغْفِرُ الله لَكِ ، تَحَدّثَ النّاسُ بِما تَحَدّثُوا به ولا تَذْكُرِينَ لِي من ذلك شيئًا قالتْ أيْ بُنَيّةُ خَفّضي عَلَيْكِ الشّأنَ فَوالله لَقَلّما كانَتِ امرَأَةٌ حَسْناءُ عند رَجُلٍ يُحِبّها ، لها ضَرائِرُ إلاّ كَثّرْنَ وكَثّرَ النّاسُ عليها .

[خُطْبَةُ الرّسُولِ في النّاسِ يُذَكِّرُ إيذاءَ قَوْمٍ له في عِرْضِهِ] :

وقد قامَ رسولُ الله ﷺ في النّاسِ يَخْطُبُهم ولا أَعْلَمُ بِذلك فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه ثُمّ قال : «**أيها النّاسُ ما بالُ رِجالٍ يُؤْذُونَني في أهلي ويقولونَ عليهم غَيْرَ الحَقّ والله ما عَلِمت منهم إلاّ خَيْرًا ، ويقولونَ ذلك لِرَجُلٍ والله ما عَلِمت مِنه إلاّ خَيْرًا ، وما يَدْخُلُ بَيْتًا من بُيُوتي إلاّ وهو مَعي**»

قالتَ : وكان كِبْرُ ذلك عِنْدَ عبدِ الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلُولَ في رِجالٍ من الخَزْرَجِ مع الذي قال مِسْطَحٌ وحَمنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وذلك أنّ أُخْتَهَا زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ كانَتْ عند رسولِ الله - ﷺ - ولَمْ تَكُن من نِسائِه امرَأَةٌ تُناصِيني في المَنْزِلَةِ عنده غَيْرُها ؛ فَأمّا زَيْنَبُ فَعَصَمَها الله [تَعالى] بِدينِها فَلَم تَقُلْ إلاّ خَيْرًا ، وأمّا حَمنَةُ [بِنْتُ جَحْشٍ] فَأَشاعَتْ من ذلك ما أشاعَتْ تُضادّني لأُخْتِها ، فَشَقِيَتْ

بذلك .

[ما كان بَيْنَ المُسلِمينَ بعد خُطبَةِ الرَّسُول] :

فَلَمّا قال رسولُ الله - ﷺ - تِلْكَ المَقالةَ قال له أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ : يا رسولَ الله إن يَكُونُوا من الأَوْسِ نَكْفِكَهم وإن يَكُونُوا من إخوانِنا من الخَزْرَجِ ، فَمُرْنا [٤٦/ب] بِأمرِك ، فَواللهِ إنّهم لأَهلٌ أن تُضرَبَ أعناقُهم .

قالت فَقامَ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ ، وكان قَبْلَ ذلك يَرَى أنه رَجُلاً صالِحًا ، فَقال كَذَبْت لَعمرُ الله لا نَضرِبُ أعناقَهم أما والله ما قُلْتَ هذه المَقالةَ إلاّ أنّك قد عَرَفْت أنّهم من الخَزْرَجِ ولَوْ كانوا من قَوْمِك ما قُلْتَ هذا ، فَقال أُسَيْدٌ كَذَبْت لَعمرُ الله ولكِنّك مُنافِقٌ تُجادِلُ عن المُنافِقينَ قالتْ وتَثاوَرَ النّاسُ حتى كادَ يَكُونُ بَيْنَ هذَيْنِ الحَيَّيْنِ من الأَوْسِ والخَزْرَجِ شَرّ . ونَزَلَ رسولُ الله ﷺ فَدَخَلَ عَلَيّ

[اسْتِشارةُ الرَّسُولِ لِعَليّ وأُسامَةَ] :

قالتْ : فَدَعا عَليّ بنَ أبي طالِبٍ - رِضوانُ الله عليه - وأُسامَةَ بنَ زَيْدٍ فاسْتَشارَهما ؛ فَأمّا أُسامَةُ فَأثْنَى عَلَيّ خَيْرًا وقاله ثُمّ قال يا رسولَ الله أهلُك ولا نَعْلَمُ منهم إلاّ خَيْرًا ، وهذا الكَذِبُ والباطِلُ وأمّا عَليّ - رضي الله عنه - فقال : يا رسولَ الله إنّ النّساءَ لَكَثيرٌ وإنّكَ لَقادِرٌ على أن تَستَخلِفَ وسَلِ الجارِيَةَ فَإنّها سَتُصَدِّقُك . فَدَعا رسولُ الله - ﷺ - بَرِيرَةَ لِيَسْألَها ؛ قالتْ فَقامَ إلَيْها عَليّ [بنُ أبي طالِبٍ] ، فَضَرَبَها ضَرْبًا شَديدًا ، ويقول اصْدُقِي رسولَ الله ﷺ قالتْ فَتَقُولُ والله ما أعْلَمُ إلاّ خَيْرًا ، وما كُنت أعيبُ على عائِشَةَ شيئًا ، إلاّ أنّي كُنت أعْجِنُ عَجِيني ، فآمُرُها أن تَحْفَظَه فَتَنامُ عنه فَتَأتِي الشّاةُ فَتَأكُلُه .

[نُزُولُ القُرآنِ بِبَراءةِ عائِشَةَ] :

قالتْ ثُمّ دَخَلَ عَلَيّ رسولُ الله - ﷺ - وعِندي أبَوايَ وعِندي امرَأةٌ من الأنْصارِ ، وأنا أبْكِي ، وهِيَ تَبْكِي مَعي ، فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه ثُمّ قال : «**يا عائِشَةُ . إنّه قد كان ما قد بَلَغَكِ من قَوْلِ النّاسِ فاتّقِي اللهَ وإن كُنتِ قد قارَفْتِ سُوءًا مِمّا يقول النّاسُ فَتُوبِي إلى الله فَإنّ** اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عِبادِه» قالتْ : فَواللهِ ما هُوَ إلاّ أن قال لي ذلك فَتَقَلّصَ دَمعي ، حتى ما أُحِسّ مِنه شيئًا ، فانتَظَرْت أبَوَيّ أن يُجِيبا عَنّي رسولَ الله - ﷺ - فَلَم يَتَكَلّما .

قالتْ : وايْمُ الله لأنا كُنت أحْقَرَ في نَفْسي ، وأصْغَرَ شَأنًا من أن يُنْزِلَ الله فِيّ قُرآنًا يُقْرَؤُنه في المَساجِدِ ويُصَلّى به ولَكِنّي قد كُنت أرْجُو أن يَرَى رسولُ الله - ﷺ - في نَوْمِه شيئًا يُكَذِّبُ

به الله عَنّي ، لِما يَعْلَمُ من بَراءَتي ، أوْ يُخْبِرُ خَبَرًا ؛ فَأمّا قُرآنٌ يَنْزِلُ فيّ فَوالله لَنَفْسي كانَتْ أحْقَرَ عِنْدي من ذلك . قالتْ فَلَمّا لَم أرَ أبَوَيّ يَتَكَلّمانِ قالتْ قلت لهما : ألا تُجيبانِ رسولَ الله ﷺ ؟

قالتْ فَقالا : والله ما نَدْري بماذا نُجيبُه ، قالتْ : ووالله ما أعْلَمُ أهلَ بَيْتٍ دَخَلَ عليهم ما دَخَلَ على آلِ أبي بَكْرٍ في تِلْكَ الأيّام قالتْ فَلَمّا أن اسْتَعْجَما عَلَيّ اسْتَعْبَرْتُ فَبَكَيْتُ ثُمّ قلت : والله لا أتُوبُ إلى الله مِمّا ذَكَرْت أبَدًا . والله إنّي لأعْلَمُ لَئِنْ أقْرَرْتُ بما يقول النّاس والله يَعْلَمُ أنّي مِنه بَريئَةٌ لأقُولَن ما لَمْ يَكُن ، ولَئِن أنا أنْكَرْت ما يقولونَ لا تُصَدِّقُونَني .

قالتْ ثُمّ التَمَسْت اسْمَ يَعْقُوبَ فَما أذْكُرُه ثم قُلْت : ولَكِن سَأقُولُ كَما قال أبو يُوسُفَ : ﴿فَصَبْرٌ جَميلٌ والله المُسْتَعانُ على ما تَصِفُون﴾ قالتْ فَوالله ما بَرِحَ رسولُ الله - ﷺ - مَجْلِسَه حتى تَغَشّاه من الله ما كان يَتَغَشّاه فَسُجّيَ بِثَوْبه ووُضِعَتْ له وِسادَةٌ من أدَمٍ تَحْت رَأسِه فَأمّا أنا حينَ رَأيْت من ذلك ما رَأيْت ، فَوالله ما فَزِعْت ولا باليْتُ قد عَرَفْت أنّي بَريئَةٌ وأنّ اللهَ [عَزّ وجَلّ] غَيْرُ ظالِمي .

وَأمّا أبَوايَ فَوالّذي نَفْسُ عائِشَةَ بيَدِه ما سُرّيَ عن رسولِ الله - ﷺ - حتى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَن أنْفُسُهما ، فَرَقًا من أن يَأتيَ من الله تَحْقيقُ ما قال النّاس قالتْ ثُمّ سُرّيَ عن رسولِ الله - ﷺ - فَجَلَس وإنّه لَيَتَحَدّرُ مِنه مِثْلُ الجُمانِ في يوم شاتٍ فَجَعَلَ يَمْسَحُ العَرَقَ عن جَبينِه ويقول أبْشِري يا عائِشَةُ [٤٧/أ] فقد أنْزَلَ الله بَراءَتَك ؛ قالتْ قلت : بِحَمْدِ الله ثُمّ خَرَجَ إلى النّاسِ فَخَطَبَهم وتَلا عليهم ما أنْزَلَ الله عليه من القُرآنِ في ذلك ثُمّ أمَرَ بِمِسْطَحِ بنِ أثاثَةَ وحسّانِ بنِ ثابتٍ ، وحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ ، وكانوا مِمّن أفْصَحَ بالفاحِشَةِ فَضُرِبوا حَدّهم .

[أبو أيّوبَ وذِكْرُه طُهْرَ عائِشَةَ لِزَوْجِه] :

[قال ابنُ إسحاقَ] : وحَدّثَني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ عن بَعْضِ رجالِ بني النّجّارِ : أنّ أبا أيّوبَ خالِدَ بنَ زَيْدٍ ، قالتْ له امرَأتُه أُمّ أيّوبَ يا أبا أيّوبَ ألا تَسْمَعُ ما يقول النّاسُ في عائِشَةَ ؟ قال بَلَى ، وذلك الكَذِبُ أكُنْت يا أُمّ أيّوبَ فاعِلَةً ؟ قالتْ : لا والله ما كُنْتُ لأفْعَلَه ، قال : فَعائِشَةُ والله خَيْرٌ مِنك .

[ما نَزَلَ من القُرآنِ في ذلك] :

قالتْ : فَلَمّا نَزَلَ القُرآنُ بِذِكْرِ مَن قال من أهلِ الفاحِشَةِ ما قال من أهلِ الإفْكِ فَقال تَعالى ﴿إنّ الذينَ جاءُوا بالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لا تَحْسَبوه شَرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلّ امرِئٍ منهم ما

اكْتَسَبَ مِنَ الإثْمِ والذي تَوَلَّى كِبْرَه منهم له عَذابٌ عَظيمٌ﴾ وَذلك حسانُ بنُ ثابتٍ وأصحابُه الذينَ قالُوا ما قالُوا .

وقال ابنُ هشام : ويُقالُ وذلك عبدُ الله بنُ أُبَيّ وأصحابُه .

قال ابنُ هشام : والذي تَوَلَّى كِبْرَه عبد الله بنُ أُبَيّ ، وقد ذَكَرَ ذلك ابنُ إسحاقَ في هذا الحَديثِ قَبْلَ هذا . ثُمّ قال تَعالى : ﴿لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَّ المُؤْمِنُونَ والمُؤْمِناتُ بأنْفُسِهِم خَيْرًا﴾ أيْ فَقالُوا كَما قال أبو أيّوبَ وصاحِبَتُه ثُمّ قال﴿ إذْ تَلَقَّوْنَه بألْسِنَتِكُمْ وتَقُولُونَ بأفْواهِكُمْ ما ليس لَكُمْ به عِلْمٌ وتَحْسَبونَه هَيِّنًا وهو عند الله عَظيمٌ﴾ فَلَمّا نَزَلَ هذا في عائِشَةَ وفيمَن قال لها ما قال قال أبو بَكْرٍ وكان يُنْفِقُ على مِسْطَحٍ لِقَرابَتِه وحاجَتِه والله لا أُنْفِقُ على مِسْطَحٍ شيئًا أبَدًا ، ولا أنْفَعُه بِنَفْعٍ أبَدًا بعد الذي قال لِعائِشَةَ وأدْخَلَ عَلَيْنا قالتْ فَأنْزَلَ الله في ذَلِكَ ﴿وَلا يَأتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُم والسَّعَةِ أن يُؤْتُوا أُولي القُرْبَى والمَساكينَ والمُهاجِرينَ في سَبيلِ الله ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا ألا تُحِبّونَ أن يَغْفِرَ الله لَكُمْ والله غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ .

قال ابنُ هشام : يُقالُ كِبْرَه وكُبْرَه في الرِّوايَةِ وأمّا في القُرْآنِ فَكِبْرَه [بالكَسْرِ] .

قال ابنُ هشام : ﴿وَلا يَأتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنكُمْ﴾ وَلا يَألُ أُولُو الفَضْلِ مِنكُمْ .

قال امرُؤُ القَيْسِ بنُ حِجْرٍ الكِنْديّ :

ألا رُبّ خَصْمٍ فيكَ ألْوَى رَدَدْتُه نَصيحٍ على تَعْذالِه غَيْرُ مُؤْتَلِي

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له ، ويُقالُ ولا يَأتَلِ أُولُوا الفَضْلِ ولا يَحْلِفُ أُولُو الفَضْلِ وهو قَوْلُ الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ [البَصْريّ] ، فيما بَلَغَنا عنه . وفي كِتابِ الله تَعالى : ﴿لِلّذينَ يُؤْلُونَ من نِسائِهِم﴾ وَهُوَ من الأَلْيَةِ والأَلْيَةُ اليَمينُ .

قال حسّانُ بنُ ثابتٍ :

آلَيْتُ ما في جَميعِ النّاسِ مُجْتَهِدًا مِنّي ألْيَةَ بِرّ غَيْرَ إفْنادِ

وَهذا البَيْتُ في أبْياتٍ له سَأذْكُرُها إن شاءَ الله تعالى في مَوْضِعِها . فَمَعْنَى : [أن يُؤْتَوْا في هذا المَذْهَبِ] أن لا يُؤْتَوْا ، وفي كِتابِ الله - عَزّ وجَلّ ﴿يُبَيّنُ الله لَكُمْ أن تَضِلّوا﴾ يُريدُ أن لا تَضِلّوا ﴿وَيُمْسِكُ السّماءَ أن تَقَعَ عَلى الأرْضِ﴾ [يُريدُ أن لا تَقَعَ عَلى الأرْضِ] وَقال ابنُ مُفَرِّغٍ الحِمْيَريّ :

لا ذَعَرْت السّوامَ في وضَحِ الصّبْحِ مُغيرًا ولا دُعيتُ يَزيـــدا

يوم أُعطَى مخافَــــةَ المَوْتِ ضَيْمًا والمَنايا يَرْصُدْنَني أن أحيـدا

يُرِيدُ أن لا أحيدَ وهذانِ البَيْتانِ في أبياتٍ له .

قال ابنُ إسحاق : قالتْ فَقال أبو بَكْرٍ بَلَى والله إنّي لأُحِبّ أن يَغْفِرَ الله لي ، فَرَجَعَ إلى مِسْطَحٍ نَفَقَتَه التي كان يُنْفِقُ عليه وقال والله لا أنْزِعُها مِنه أبَدًا .

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ إنّ صَفوانَ بنَ المُعَطّلِ اعْتَرَضَ حسّانَ بنَ ثابتٍ بالسّيفِ حينَ بَلَغَه ما كان يقول فيه وقد كان حسّانُ قال شِعْرًا مع ذلك يُعَرّضُ بابنِ المُعَطّلِ فيه وبِمَن أسْلَمَ من العَرَبِ من مُضَرَ ، فَقال :

أمسَى الجَلابيبُ قد عَزّوا وقد كَثُرُوا وابنُ الفُرَيْعَةَ أمسَى بَيْضَةَ البَلَـدِ

قد ثَكِلَتْ أُمّه مَن كُنتَ صـاحِبَه أوْ كان مُنْتَشِبًا في بُرْثُنِ الأسَدِ [٤٧/ب]

ما لِقَتيلي الذي أغْدُو فآخُــــذُه من ديَةٍ فيه يُعْطاها ولا قَــــوَدِ

ما البَحْرُ حينَ تَهُبّ الرّيحُ شاميـةً فَيَغْطَئِلُ ويَرْمي العِبْرَ بالزّبَــــدِ

يومًا بأغْلَبَ مِنّي حينَ تُبْصِـرُنـي مِلْغَيظِ أفْري كَفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ

أمّـــا قُرَيْشٌ فإنّي لـــن أسالِمَهـم حتى يُنيبوا من الغيّاتِ لِلرّشَـــدِ

وَيَتْرُكُـــوا اللاّتَ والعُزّى بِمَعْزِلَـةٍ وَيَسْجُدُوا كُلّهم لِلْواحِدِ الصّمَـــدِ

وَيَشْهَدُوا أنّ ما قال الرّسُولُ لهـــم حَقّ ويُوفُوا بِعَهْدِ الله والوُكُـــدِ

فاعْتَرَضَه [صَفوانُ] بنُ المُعَطّلِ ، فَضَرَبَه بالسّيفِ [ثُمّ] قال كَما حَدّثَني يَعْقُوبُ ابنُ عُتْبَةَ : تَلَقّ ذُبابَ السّيفِ عَنك فإنّني غُلامٌ إذا هُوجِيتُ لَستُ بِشاعِرِ

قال ابنُ إسحاق : وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ إبْراهيمَ بنِ الحارِثِ التّيْميّ : أنّ ثابتَ بنَ قَيْسِ بنِ الشّمّاسِ وثَبَ على صَفوانَ بنِ المُعَطّلِ ، حينَ ضَرَبَ حسّانَ فَجَمَعَ يَدَيْه إلى عُنُقِه بِحَبْلٍ ثُمّ انْطَلَقَ به إلى دارِ بني الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ؛ فَلَقِيَه عبدُ الله بنُ رَواحَةَ ، فَقال ما هذا ؟ قال أما أعْجَبَك ضَرْبُ حسّانَ بالسّيفِ والله ما أُراه إلاّ قد قَتَلَه قال له عبدُ الله بنُ رَواحَةَ : هَلْ عَلِمَ رسولُ الله ﷺ بِشيءٍ مِمّا صَنَعْت ؟ قال لا والله قال لَقد اجْتَرَأت ، أطْلِقِ الرّجُلَ فَأطْلَقَه .

ثُمّ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فَذَكَرُوا ذلك له فَدَعا حسّانَ وصَفوانَ بنَ المُعَطّلِ ، فَقال ابنُ المُعَطّلِ يا رسولَ الله آذاني وهَجاني ، فاحْتَمَلَني الغَضَبُ فَضَرَبْته ؛ فَقال رسولُ الله ﷺ لِحسّانَ أحْسِنْ يا

حسانُ أتشَوّهتَ على قومي أن هَداهم الله للإسلام ثُمّ قال أحسِن يا حسانُ في الذي أصابَك قال هيَ لَك [يا رسولَ الله] .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ [أبعد] أن هُداكُم الله [للإسلام] . قال ابنُ إسحاق : فحَدّثني مُحمّدُ بنُ إبراهيمَ : أنّ رسولَ الله ﷺ أعطاه عِوَضًا منها بَيْرُحاءَ ، وهيَ قَصْرُ بني حُدَيْلَةَ اليومَ بالمدينةِ وكانَتْ مالاً لأبي طَلْحَةَ بنِ سَهْلٍ تَصَدّقَ بها إلى رسولِ الله ﷺ ، فأعْطاها [رسولُ الله ﷺ] حسانَ في ضَرْبَتِه وأعطاه سيرينَ ، أمَةً قِبْطيّة فوَلَدَتْ لي عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ ، قالتْ وكانَتْ عائِشَةُ تَقولُ لَقد سُئِلَ عن ابنِ المُعَطّلِ فوَجَدُوه [رَجلاً] حَصُورًا ، ما يَأتي النّساءَ ثُمّ قُتِلَ بعد ذلك شَهيدًا . ثم قال حسانُ بنُ ثابتٍ يَعْتَذِرُ من الذي كان قال في شَأنِ عائِشَةَ - [رَضيَ الله عنها] -

حَصانٌ رَزانٌ مـــا تُزَنّ بِرِيبَــــةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَا من لُحُومِ الغَوافِلِ
عَقيلَةُ حَيّ مـــن لُؤَيّ بـــنِ غالِبٍ ... كِرامِ المَساعي مَجْدُهم غَيْرُ زائِلِ
مُهذّبَةٌ قـــد طَيّبَ الله خِيمَهـــا ... وَطَهّرَها من كُلّ سُوءٍ وباطِـــلِ
فإِن كُنْتُ قد قلت الذي قد زَعَمتُم ... فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إلَيّ أنامِـــلي
فَكَيْفَ ووُدّي ما حَييتُ ونُصْرَتـــي ... لآلِ رسولِ الله زَيْنُ المَحافِـــلِ
لَه رَتَبٌ عالٍ على النّاسِ كُلّهِـــم ... تَقاصَرَ عنه سُوْرَه المُتَطـــاوِلِ
فإنّ الذي قد قيـــلَ ليس بِلائِطٍ ... وَلَكِنّه قَوْلُ امرِئٍ بي ماحِـــلِ

قال ابنُ هشام : بَيْتُه «عَقيلَةُ حَيّ» والذي بعده وبَيْتُه «لَه رَتَبٌ عالٍ» عن أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ . قال ابنُ هشام : وحَدّثني أبو عُبَيْدَةَ أنّ امرأةً مَدَحَتْ بِنْتَ حسانَ بنِ ثابتٍ عند عائِشَةَ فَقالتْ :

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَا من لُحُومِ الغَوافِلِ

فَقالتْ عائِشَةُ لَكِن أبوها .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال قائِلٌ من المُسْلِمينَ في ضَرْبِ حسانَ وأصْحابه في فِرْيَتِهِم على عائِشَةَ .

قال ابنُ هشام : في ضَرْبِ حسانَ وصاحِبَيْه :

لَقد ذاقَ حسانُ الذي كان أهلَه ... وَحَمْنَةُ إذ قالُوا هَجيـــرًا ومِسْطَـــحُ
تَعاطَوْا بِرَجْمِ الغَيْبِ زَوْجَ نَبيّهِـــم ... وَسَخْطَةَ ذي العَرْشِ الكَريمِ فأُتْرِحُوا
وَآذَوْا رسولَ الله فيهـــا فَجُلّلُـــوا ... مَخازِيَ تَبْقَى عُمّمُوها وفُضّحُـــوا
وَصُبّتْ عليهِـــم مُحْصَداتٌ كأنّها ... شَآبيبُ قَطْرٍ من ذُرا المُزْنِ تُسْفَحُ

الحديبية وما جرى فيها

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينةِ [شَهرَ] رَمَضانَ وشَوّالاً [٤٨/أ] ، وخَرَجَ في ذي القَعْدَةِ مُعْتَمِرًا لا يُرِيدُ حَرْبًا .

قال ابنُ هشام : واستَعْمَلَ على المدينةِ نُمَيْلَةُ بنُ عبدِ الله اللَّيْثيّ.

قال ابنُ إسحاقَ : واستَنْفَرَ العَرَبَ ومَن حَوْلَه من أهلِ البَوادي من الأعْرابِ ليَخْرُجُوا مَعَه وهو يَخْشَى من قُرَيْشٍ الذي صَنَعُوا ، أن يَعْرِضُوا له بحَرْبٍ أوْ يَصُدّوه عن البَيْتِ فأبْطَأ عليه كَثيرٌ مِن الأعْرابِ ، وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ بمَن مَعَه من المهاجِرينَ والأنْصارِ ومَن لحِقَ به من العَرَبِ ، وساقَ مَعَه الهَدْيَ وأحْرَمَ بالعُمرَةِ ليأمَنَ النّاسُ من حَرْبه وليَعْلَمَ النّاسُ أنّه إنّما خَرَجَ زائرًا لِهذا البَيْتِ ومُعَظِّمًا له .

قال ابنُ إسحاقَ : حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ مُسلمِ بن شِهابٍ الزّهْريّ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ عن مِسْوَرِ ابنِ مَخْرَمَةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ أنّهما حَدّثاه قالا [١] : خَرَجَ رسولُ الله ﷺ عامَ الحُدَيْبيَةِ يُرِيدُ زِيارَةَ البَيْتِ لا يُرِيدُ قِتالاً ، وساقَ مَعَه الهَدْيَ سَبْعينَ بَدَنَةً وكان النّاسُ سَبْعَمِائَةِ رَجُلٍ فكانَتْ كُلّ بَدَنَةٍ عن عَشَرَةِ نَفَرٍ .

وكان جابرُ بنُ عبدِ الله ، فيما بَلَغَني ، يقول : كُنّا أصْحابَ الحُدَيْبيَةِ أرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً [٢] . قال الزّهْريّ : وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان بعُسْفانَ لَقِيَه بِشْرُ ابنُ سُفْيانَ الكَعْبيّ - قال ابنُ هشام : ويُقالُ بُسْرٌ - فَقال : «يا رسولَ الله هذه قُرَيْشٌ ، قد سَمِعَت بمَسيرِك ، فخَرَجُوا مَعَهم العُوذُ المَطافيلُ قد لَبِسُوا جُلُودَ النّمُورِ وقد نَزَلُوا بذي طُوًى ، يُعاهِدُونَ اللهَ لا تَدْخُلُها عليهم أبَدًا

(١) صحيح : رواه البخاري [٢٧٣١ ، ٢٧٣٢] وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) وأبو داود (٢٧٦٥ ، ٤٦٥٥) والنسائي في الكبرى (٨٨٤٠) وأحمد (٣٢٨/٤ - ٣٣٤) والطبري في التاريخ (١١٦/٢) والطبراني في الكبير [٩/٢٠/ح/١٣] والبيهقي دلائل (٩٩/٤) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري (٤١٥٥) ومسلم (١٧٥٧) . قلت : وقد اختلف في عدد من شهد الحديبية على أقوال كثيرة أغلبها في الصحيحين . فمنهم من قال : كانوا ألفًا وخمس مائة . رواه جابر أيضًا وهو في الصحيحين . ومنهم من قال : ألفًا وثلاثمائة قاله عبد الله بن أبي أوفى ، وهو في الصحيحين كذلك. ومنهم من قال : سبعمائة فقط قاله ابن إسحاق كما هنا . ومنهم من قال ألفًا وستمائة قاله موسى ابن عقبة في المغازي . قلت : وأخذ الحافظ بن حجر في الجمع بين هذه الأقوال ورد الشاذ منها . فقال في الفتح (٥٠٤/٧) : (والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال ألفًا وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألفًا وأربعمائة ألغاه ، ويؤيده قوله في الرواية من حديث البراء (ألفًا وأربعمائة أو أكثر) واعتمد على هذا الجمع على النووي ، وأما البيهقي فمال إلى الترجيح وقال : إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح ، ثم ساق من طريق أبي الزبير ومن طريق أبي سفيان كلاهما عن جابر كذلك ، ومن رواية معقل بن يسار وسلمة بن الأكوع والبراء بن عازب ....=

وهذا خالِدُ بنِ الوَليدِ في خَيْلِهِم قد قَدّمُوها إلى كُراعِ الغَميمِ . قال فَقال رسولُ الله ﷺ : «**يا ويْحَ قُرَيْشٍ لَقد أكَلَتْهم الحَرْبُ ، ماذا عليهِم لوْ خَلّوْا بيْني وبَيْنَ سائِرِ العَرَبِ ، فَإن هم أصابوني كان الذي أرادُوا ، وإن أظْهَرَني الله عليهِم دَخَلُوا في الإسلامِ وافِرينَ وإن لَم يَفْعَلُوا قاتَلُوا وبِهِم قُوّةٌ فَما تَظُنّ قُرَيْشٌ ، فَوالله لا أزالُ أُجاهِدُ على الذي بَعَثَني الله به حتى يُظْهِرَه الله أوْ تَنْفرِدَ هذه السّالِفَةُ**» ثُمّ قال : «**مَن رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنا على طَريقٍ غَيْرِ طَريقِهِم التي رواه هم بِها ؟**» .

[تَجنّبُ الرّسُولِ لِقاءَ قُرَيْشٍ]

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ [1] : أنّ رَجُلاً من أسْلَمَ قال أنا يا رسولَ الله قال فَسَلَكَ بِهِم طَرِيقًا وعْرًا أجْرَلَ بَيْنَ شِعابٍ فَلَمّا خَرَجُوا مِنْه وقد شَقّ ذلك على المُسْلِمينَ وأفْضَوْا إلى أرْضٍ سَهْلَةٍ عند مُنْقَطِعِ الوادي قال رسولُ الله ﷺ لِلنّاسِ : «**قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللهَ ونَتُوبُ إلَيْه**» فَقالُوا ذلك فَقال : «**والله إنّها لَلْحِطّةُ التي عُرِضَتْ على بني إسرائِيلَ . فَلَم يقولوها**» .

قال ابنُ شِهابٍ : فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ فَقال اسْلُكُوا ذاتَ اليَمينِ بَيْنَ ظَهْرَاَ الحَمْضِ ، في طَريقٍ تُخْرِجُهُ على ثَنِيّةِ المُرارِ مَهْبِطِ الحُدَيْبِيَةِ من أسْفَلِ مَكّةَ قال فَسَلَكَ الجَيْشُ ذلك الطّريقَ قال : فَلَمّا رَأتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتَرَةَ الجَيْشِ قد خالفُوا عن طَريقِهِم رَكَضُوا راجِعِينَ إلى قُرَيْشٍ ، وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا سَلَكَ في ثَنِيّةِ المُرارِ بَرَكَتْ ناقَتُه فَقال النّاسُ خَلأَتِ [النّاقَةُ] قال :

= ومن طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه . قلت: أي الحافظ - ومعظم هذه الطرق عند مسلم ، ووقع عند ابن سعد في حديث معقل بن يسار زهاء ألف وأربعمائة وهو ظاهر في عدم التحديد . وأما قول عبد الله بن أبي أوفى ألفًا وثلاثمائة ، فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه ، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ، والزيادة من الثقة مقبولة ، أو العدد الذي ذكره جملة من ابتداء الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك ، أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة ، والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم .

وأما قول ابن إسحاق إنهم كانوا سبعمائة فلم يوافق عليه ؛ لأنه قاله استنباطًا من قول جابر (نحرنا البدن عشرة) وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن ، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً ، وسيأتي في هذا الباب في حديث المسور ومروان أنهم خرجوا مع النبي ﷺ بضع عشر مائة ، فيجمع أيضًا بأن الذين بايعوا كانوا كما تقدم ، وما زاد على ذلك كانوا غائبين عنها كمن توجه مع عثمان إلى مكة ، وعلى أن لفظ البضع يصدق على الخمس والأربع فلا تخالف ، وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفًا وستمائة ، وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبة ألفًا وسبعمائة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة وخمسًا وعشرين ، وهذا إن ثبت تحرير بالغ . ثم وجدته موصولاً عن ابن عباس عند ابن مردويه ، وفيه رد على ابن دحية حيث زعم أن سبب الاختلاف في عددهم أن الذي ذكر عددهم لم يقصد التحديد وإنما ذكره بالحدس والتخمين ، والله أعلم . أ هـ .

(١) إسناد ابن إسحاق مرسل .

رواه الطبري في التاريخ (٢/١١٧) من طريق ابن إسحاق ، وله شاهد من حديث أبي سعيد نحوه : رواه البزار كشف الأستار (١٨١٢) قال الهيثمي في المجمع (٦/١٤٤) : رجاله ثقات .

«ما خَلأَتْ وما هُوَ لها بِخُلُقٍ ، ولكن حَبَسَها حابِسُ الفيلِ عن مَكَّةَ . لا تَدْعُوني قُرَيْشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ يَسْأَلُونَني فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلاّ أعْطَيْتُهم إيّاها» .

ثُمَّ قال لِلنّاسِ «انزِلُوا» قيلَ له : يا رسولَ الله ما بالوادي ماءٌ نَنْزِلُ عليه فأَخْرَجَ سَهْمًا من كِنانَتِه . فأَعْطاه رَجُلاً من أصحابه فَنَزَلَ به في قَليبٍ من تِلْكَ القُلُبِ . فَغَرَزَه في جَوْفِه فَجاشَ بالرَّوَاءِ حتى ضَرَبَ النّاسُ عنه بِعَطَنٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدَّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ عن رِجالٍ من أَسْلَمَ (١) : أنّ الذي نَزَلَ في القَليبِ بِسَهْمِ رسولِ الله ﷺ ناجيَةُ بنُ جُنْدُبِ بنِ عُمَيْرِ بنِ يَعْمُرَ [٤٨/ب] بنِ دارِمِ ابنِ عمرِو ابنِ وائِلَةَ بنِ سَهْمِ بنِ مازِنِ بنِ سَلامانَ بنِ أَسْلَمَ بنِ أَفْصَى بنِ أبي حارِثَةَ، وهو سائِقُ بُدْنِ رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ هشام : أَفْصَى بنُ حارِثَةَ . قال ابنُ إسحاقَ (٢) : وقد زَعَمَ لي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ البَراءَ بنَ عازِبٍ كان يقول أنا الذي نَزَلْت بِسَهْمِ رسولِ الله ﷺ فالله أعْلَمُ أيّ ذلك [كان] .

وَقد أَنْشَدَتْ أسلَمُ أبياتًا من شِعْرٍ قالها ناجيَةُ قد ظَنَنْتُ أنّه هُوَ الذي نَزَلَ بِالسَّهم فَزَعَمَتْ أسلَمُ أنّ جارِيَةً من الأنصارِ أَقْبَلَتْ بِدَلْوِها ، وناجيَةُ في القَليبِ يَميحُ على النّاسِ فقالتْ :

يا أيّها المائِحُ دَلْوِى دُونَكا إنّي رَأَيْتُ النّاسَ يَحْمَدُونَكا
يُثْنُونَ خَيْرًا ويُمَجِّدُونَكا

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى :

إنّي رَأَيْت النّاسَ يَمْدَحُونَكا

قال ابنُ إسحاق : فَقال ناجيَةُ وهو في القَليبِ يَميحُ على النّاسِ :

قد عَلِمَتْ جارِيَـــةٌ يَمانِيَهْ أنّي أنا المائِحُ واسْمي ناجيَهْ
وَطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهيَهْ طَعَنْتُها عند صُـدُورِ العادِيَهْ

فَقال الزّهْرِيّ في حَديثِه فَلَمّا اطْمَأَنَّ رسولُ الله ﷺ أتاه بُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ [الخُزاعيّ] ، في رِجالٍ من خُزاعَةَ ، فَكَلَّموه وسَأَلُوه ما الذي جاءَ به ؟ فأَخْبَرَهم أنّه لَم يَأْتِ يُرِيدُ حَرْبًا ، وإنّما جاءَ زائِرًا لِلْبَيْتِ ومُعَظِّمًا لِحُرْمَتِه ثُمّ قال لهم نَحْوًا مِمّا قال لِبِشْرِ بنِ سُفْيانَ فَرَجَعُوا إلى قُرَيْشٍ فَقالُوا : يا مَعْشَرَ

---

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ (١١٨/٢) والبيهقي في الدلائل (١١٣/٤) من طريق ابن إسحاق ، وهذا إسناد مرسل فيه جهالة شيوخ ابن إسحاق .

(٢) مرسل : انظر السابق ، وقد ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن الذي نزل في البئر خلاد بن عباد الغفاري ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قُرَيْش ، إنكُمْ تَعْجَلُونَ على مُحَمَّد إنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتالٍ وإنما جاءَ زائِرًا هذا البَيْتَ فاتّهَمُوهم وجَبَهُوهم وقالُوا قد كان جاءَ ولا يُرِيدُ قِتالاً ، فَوَ اللهِ لا يَدْخُلُها عَلَيْنا عَنْوَةً أبَدًا ، ولا تَحَدَّثُ بذلك عَنّا العَرَبُ . قال الزُّهْرِيّ : وكانَتْ خُزاعَةُ عَيْبَةَ [نُصْحِ] رسولِ الله ﷺ مُسْلِمُها ومُشْرِكُها ، لا يُخْفُونَ عنه شيئًا كان بمَكَّةَ .

قال : ثُمَّ بَعَثُوا إلَيْه مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأخْيَفِ ، أخا بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، فَلَمّا رَآه رسولُ الله ﷺ مُقْبِلاً قال هذا رَجُلٌ غادِرٌ فَلَمّا انْتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ وكَلَّمَه قال له رسولُ الله ﷺ نَحْوًا مما قال لِبُدَيْلٍ وأصحابه فَرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ فَأخْبَرَهم بما قال له رسولُ الله ﷺ .

ثُمَّ بَعَثُوا إلَيْه الحُلَيس بنَ عَلْقَمَةَ أوِ ابنَ زَبّانَ وكان يومَئِذٍ سَيِّدَ الأحابيشِ ، وهو أحَدُ بني الحارِثِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ ؛ فَلَمّا رَآه رسولُ الله ﷺ قال : «**إنّ هذا من قَوْمٍ يَتَألَّهُونَ فابْعَثُوا الهَدْيَ في وجْهِه حتى يَراه**» فَلَمّا رَأى الهَدْيَ يَسيلُ عليه من عُرْضِ الوادي في قَلائِدِه وقد أكَلَ أوْبارَه من طُولِ الحَبْسِ عن مَحِلِّه رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ ، ولَم يَصِلْ إلى رسولِ الله ﷺ إعْظامًا لما رَأى ، فقال لهم ذلك . قال فَقالُوا له اجْلِسْ فإنّما أنْتَ أعْرابِيّ لا عِلْمَ لَك .

قال ابنُ إسحاق : فحَدَّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ [1] : أنّ الحُلَيس غَضِبَ عند ذلك وقال يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ واللهِ ما على هذا حالَفْناكُم ، ولا على هذا عاقَدْناكُم . أيُصَدّ عن بَيْتِ اللهِ مَن جاءَ مُعَظِّمًا له والذي نَفْسُ الحُلَيْس بيَدِه لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وبَيْنَ ما جاءَ له أوْ لأنْفِرَنّ بالأحابيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ واحِدٍ . قال فَقالُوا له مَهْ كُفَّ عَنّا يا حُلَيْسُ حتى نَأخُذَ لأنْفُسِنا ما نَرْضَى به

[عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ رسولٌ من قُرَيْشٍ إلى الرَّسُول] :

قال الزُّهْرِيّ في حديثه : [2] ثُمَّ بَعَثُوا إلى رسولِ الله ﷺ عُرْوَةَ بنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيّ ، فَقال يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّي قد رَأيْت ما يَلْقَى مِنكُم مَن بَعَثْتُمُوه إلى مُحَمَّدٍ إذ جاءَكُم من التَّعْنيفِ وسُوءِ اللَّفْظِ وقد عَرَفْتُم أنّكُم والِدٌ وإنّي ولَدٌ – وكان عُرْوَةُ لِسُبَيْعَةَ بِنْتِ عبدِ شَمْسٍ – وقد سَمِعْت بالذي نابَكُم فَجَمَعْتُ مَن أطاعَني من قَوْمي ، ثُمَّ جِئْتُكُمْ حتى آسَيْتُكُمْ بِنَفْسي ؛ قالُوا : صَدَقْت ، ما أنتَ عندنا بمُتَّهَمٍ . فخَرَجَ حتى أتَى رسولَ الله ﷺ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْه ثُمَّ قال : يا مُحَمَّدُ أجَمَعْتَ أوْشابَ النّاسِ ثُمَّ جِئْتَ بِهِم إلى بَيْضَتِك لِتَفُضَّها بِهِم إنّها قُرَيْشٌ [٤٩/أ] قد خَرَجَتْ مَعَها العُوذُ المَطافيلُ . قد لَبِسُوا جُلُودَ النُّمُورِ يُعاهِدُونَ اللهَ لا تَدْخُلُها عليهِم عَنْوَةً أبَدًا . وايْمُ اللهِ لكَأنّي بِهَؤُلاءِ قد انْكَشَفُوا عَنْك غَدًا .

---

(١) مرسل : رواه الطبري عن ابن إسحاق في التاريخ (١١٩/٢) .

(٢) هو موصول بالإسناد السابق .

قال : وأبو بَكْرٍ الصّدّيقُ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ قاعِدٌ فقال امصُص بَظْرَ اللاّتِ ، أنحن نَنكَشِفُ عنه ؟ قال : مَن هذا يا مُحَمّدُ ؟ قال : «**هذا ابنُ أبي قُحافَةَ**» قال : أما والله لَوْلا يَدٌ كانَتْ لَكَ عِندي لَكافَأتُكَ بها ، ولكِن هذه بها ، قال : ثُمّ جَعَلَ يَتَناوَلُ لِحيَةَ رسولِ الله ﷺ وهو يُكَلِّمُه . قال والمُغيرَةُ بنُ شُعْبَةَ واقِفٌ على رَأسِ رسولِ الله ﷺ في الحَديدِ . قال فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَه إذا تَناوَلَ لِحيَةَ رسولِ الله ﷺ ويقول اكْفُف يَدَكَ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ قَبْلَ أن لا تَصِلَ إلَيكَ ، قال فَيقول عُرْوَةُ ويْحَكَ ما أفَظَّكَ وأغْلَظَكَ قال فَتَبَسّمَ رسولُ الله ﷺ فَقال له عُرْوَةُ مَن هذا يا مُحَمّدُ ؟ قال : «**هذا ابنُ أخيكَ المُغيرَةُ بنُ شُعْبَةَ**» قال : أيْ غُدَرُ وهَلْ غَسَلْتُ سَوْأتَكَ إلاّ بالأمسِ .

قال ابنُ هشام : أرادَ عُرْوَةُ بقَوْلِه هذا أنّ المُغيرَةَ بنَ شُعْبَةَ قَبْلَ إسلامِه قَتَلَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً من بني مالِكٍ . من ثَقيفٍ . فَتَهايَجَ الحَيّانِ من ثَقيفٍ : بنُو مالِكٍ رَهْطُ المَقْتُولينَ والأحْلافُ رَهْطُ المُغيرَةِ فَوَدَى عُرْوَةُ المَقْتُولينَ ثَلاثَ عَشْرَةَ دِيَةً وأصْلَحَ ذلك الأمرَ .

قال ابنُ إسحاقَ : [قال الزّهْرِيّ] : فَكَلّمَه رسولُ الله ﷺ بنَحْوٍ مِمّا كَلّمَ به أصحابَه وأخْبَرَه أنّه لَمْ يَأتِ يُريدُ حَرْبًا .

فَقامَ من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ وقد رَأى ما يَصْنَعُ به أصْحابُه لا يَتَوَضّأُ إلاّ ابْتَدَرُوا وُضُوءَه ولا يَبْصُقُ بُصاقًا إلاّ ابْتَدَرُوه . ولا يَسْقُطُ من شَعَرِه شيءٌ إلاّ أخَذُوه . فَرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ ، فَقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إنّي قد جِئْتُ كِسْرَى في مُلْكِه ، وقَيْصَرَ في مُلْكِه . والنّجاشِيّ في مُلْكِه . وإنّي والله ما رَأيتُ مَلِكًا في قَوْمٍ قَطّ في مِثْلِ مُحَمّدٍ في أصْحابه ولقد رَأيْتُ قَوْمًا لا يُسْلِمُونَه لِشيءٍ أبَدًا ، فَرَوْا رَأيَكُمْ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ [١] أنّ رسولَ الله ﷺ دَعا خِراشَ بنَ أُمَيّةَ الخُزاعِيّ ، فَبَعَثَه إلى قُرَيْشٍ بِمَكّةَ وحَمَلَه على بَعيرٍ له يُقالُ له الثّعْلَبُ لِيُبَلِّغَ أشْرافَهم عنه ما جاءَ له فَعَقَرُوا به جَمَلَ رسولِ الله ﷺ وأرادُوا قَتْلَه فَمَنَعَتْه الأحابيشُ ، فَخَلّوْا سَبيلَه حتى أتَى رسولَ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقد حَدّثَني بَعْضُ مَن لا أتّهِمُ عن عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابنِ عَبّاسٍ عن ابنِ عَبّاسٍ [٢] : أنّ قُرَيْشًا كانوا بَعَثُوا أرْبَعينَ رَجُلاً منهم أوْ خَمسينَ رَجُلاً ، وأمَرُوهم أن يُطيفُوا

---

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ من رواية ابن إسحاق (١٢١/٢) ، قلت : وقد وقع في مسند الإمام أحمد (٣٢٤/٤) من رواية ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان الحديث الطويل . قال : وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ... فذكره فوقع هكذا موصولاً وأظنه مدرجًا من قول ابن إسحاق .

(٢) حسن بشواهده : إسناد ابن إسحاق ضعيف لإبهامه شيخه . رواه عنه الطبري في التاريخ (١٢١/٢) ....=

بِعَسْكَرِ رسولِ الله ﷺ ليُصيبوا لهم من أصحابه أحَدًا ، فأُخِذُوا أخْذًا ، فأُتِيَ بِهِم رسولَ الله ﷺ فَعَفا عنهم وخَلّى سَبيلهم و قد كانوا رَمَوْا في عَسْكَرِ رسولِ الله ﷺ بالحِجارَةِ والنَّبْلِ .

[عُثْمانُ رسولُ مُحَمَّدٍ ﷺ إلى قُرَيْشٍ] :

ثُمّ دَعا عُمَرَ بنَ الخَطّابِ ليَبْعَثَه إلى مَكّةَ ، فيُبَلِّغَ عنه أشْرافَ قُرَيْشٍ ما جاءَ له فَقال يا رسولَ الله إنّي أخافُ قُرَيْشًا على نَفْسي ، وليس بمَكّةَ من بني عَديّ بنِ كَعْبٍ أحَدٌ يَمْنَعُني ، وقد عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَداوَتي إيّاها ، وغِلْظَتي عليها ، ولكنّي أدُلّكَ على رَجُلٍ أعَزّ بها مِنّي ، عُثْمانَ بنَ عَفّانَ . فَدَعا رسولُ الله ﷺ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ ، فبَعَثَه إلى أبي سُفيانَ وأشْرافِ قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهم أنّه لَم يَأْتِ لحَرْبٍ وإنّه إنّما جاءَ زائرًا لهذا البَيْتِ ومُعَظِّمًا لحُرْمَتِه

قال ابنُ إسحاقَ بخَرَجَ عُثْمانُ إلى مَكّةَ ، فَلَقِيَه أبانُ بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ حينَ دَخَلَ مَكّةَ ، أوْ قَبْلَ أن يَدْخُلَها [٤٩/ب]، فَحَمَلَه بَيْنَ يَدَيْه ثُمّ أجارَه حتى بَلّغَ رِسالةَ رسولِ الله ﷺ فانْطَلَقَ عُثْمانُ حتى أتَى أبا سُفيانَ وعُظَماءَ قُرَيْشٍ ، فَبَلّغَهم عن رسولِ الله ﷺ ما أرْسَلَه به فَقالُوا لعُثْمانَ حينَ فَرَغَ من رِسالةِ رسولِ الله ﷺ إليْهِم إن شِئْتَ أن تَطُوفَ بالبَيْتِ فَطُفْ فقال ما كُنْتُ لأفْعَلَ حتى يَطُوفَ به رسولُ الله ﷺ . واحْتَبَسَتْه قُرَيْشٌ عندها ، فَبَلَغَ رسولَ الله ﷺ والمُسْلِمينَ أنّ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ قد قُتِلَ [١] .

= وقد روي من حديث سلمة بن الأكوع نحوه وهو حديث غزوة ذي قرد .

قال سلمة في حديثه الطويل : (.. أتيت شجرة فكسحت شوكها واضطجعت في أصلها فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا ، فبينا هم كذلك ، إذ نادى مناد من أسفل الوادي : يا للمهاجرين ، قتل ابن زنيم قال : فاخترطت سيفي ثم شددت على هؤلاء الأربعة .

قال : وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز ، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال : (دعوهم ، يكن لهم بدء الفجور وثناه) فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ رواه مسلم وغيره وسبق تخريجه في غزوة ذي قرد .

ومن حديث أنس نحوه وقال كان عددهم ثمانين ، رواه مسلم (١٨٠٨) وأبو داود (٢٦٨٨) والترمذي (٣٢٦٤) وأحمد (٣/١٢٢) وغيرهم ، ومن حديث عبد الله بن مغفل ، وفيه كان عددهم ثلاثين شابًا . رواه أحمد (٤/٨٧) والحاكم (٢/٤٦١) والبيهقي في السنن (٦/٣١٩) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(١) هو بالإسناد السابق :كما رواه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/١٢١) عن ابن إسحاق ، وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق ، وله شاهد من مرسل عروة نحوه تقريبًا ، رواه البيهقي في الدلائل (٤/١٣٣) من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عنه .

بَيْعَةُ الرِّضوان وهي بيعة الشجرة

قال ابنُ إسحاق : فَحَدَّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ [(١)] : أنّ رسولَ الله قال حينَ بَلَغَه أنّ عُثْمَانَ قد قُتِلَ لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القَوْمَ ، فَدَعا رسولُ الله ﷺ النّاسَ إلى البَيْعَةِ فكانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوانِ تَحْتَ الشَّجَرةِ ، فكان النّاسُ يقولونَ بايَعَهم رسولُ الله ﷺ على المَوْتِ وكان جابِرُ بنُ عبدِ الله يقول [(٢)] : إنّ رسولَ الله ﷺ لَم يُبايِعْنا على المَوْتِ ولَكِن بايَعَنا على أن لا نَفِرّ . فَبايَعَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ ولَم يَتَخَلَّف عنه أحَدٌ من المُسْلِمينَ حَضَرَها ، إلاّ الجَدّ بنَ قَيْسٍ أخُو بني سَلِمَةَ ، فكان جابِرُ بنُ عبدِ الله يقول واللهِ لَكَأنّي أنْظُرُ إلَيْه لاصِقًا بإبْطِ ناقَتِه . قد صَبَا إلَيْها ، يَسْتَتِرُ بها من النّاسِ [(٣)] . ثُمّ أتَى رسولَ الله ﷺ أنّ الذي ذُكِرَ من أمرِ عُثْمَانَ باطِلٌ .

قال ابنُ هشام : فَذَكَرَ وكيعٌ عن إسماعيلَ بن أبي خالِدٍ عن الشَّعْبِيّ [(٤)] : أنّ أوّلَ مَن بايَعَ رسولَ الله ﷺ بَيْعَةَ الرِّضْوانِ أبو سِنانٍ الأسَديّ .

قال ابنُ هشام : وحَدّثني مَن أثِقُ به عمّن حَدّثَه بإسْنادٍ له عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ عن ابنِ أبي عُمَرَ : أنّ رسولَ الله ﷺ بايَعَ لِعُثْمانَ فَضَرَبَ بإحْدَى يَدَيْه على الأُخْرَى [(٥)] .

أمر الهدنة

قال ابنُ إسحاق : قال الزّهْرِيّ [(٦)] : ثُمّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو ، أخا بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، إلى رسولِ الله ﷺ وقالُوا له ائتِ مُحَمّدًا فَصالِحْه ولا يَكُن في صُلْحِه إلاّ أن يَرْجِعَ عَنّا عامَه هذا ، فَواللهِ لا تُحَدِّثُ العَرَبُ عَنّا أنّه دَخَلَها عَلَيْنا عَنْوَةً أبَدًا . فَأتاه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، فَلَمّا رَآه رسولُ الله ﷺ مُقْبِلاً قال : **«قد أرادَ القَوْمُ الصّلْحَ حينَ بَعَثُوا هذا الرّجُل»** فَلَمّا انْتَهَى سُهَيْلُ

---

(١) حسن بشواهده : رواه الطبري في التاريخ [١٢١/٢] ومن مرسل عروة السابق نحوه .

(٢) صحيح : رواه مسلم (١٨٥٦) والترمذي (١٥٩٤) والبيهقي في الدلائل (١٣٦/٤/١٣٧) .

(٣) صحيح : انظر الحديث السابق .

(٤) مرسل . وسنده صحيح إلى الشعبي : رواه ابن أبي شيبة في مصنفه [٣٢٩/٨] عن وكيع بسند أعلاه واللفظ كذلك ورواه البيهقي في الدلائل (١٣٧/٤) وسنده صحيح من رواية الحميدي عن إسماعيل بن أبي خالد عنه ، ولفظه قال : (لما دعا النبي ﷺ الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي فقال : ابسط يدك أبايعك ، فقال النبي ﷺ : على ما تبايعني ؟ فقال أبو سنان : على ما في نفسك) .

(٥) صحيح : رواه البخاري (٤٠٦٦) وأحمد (٥٩/١) والترمذي (٣٧٠٦) والحاكم (٩٨/٣) . من حديث ابن أبي مليكة عن ابن عمر في قصة طويلة . وفيها (وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمين : (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده فقال : (هذه لعثمان) .

(٦) هو موصول بالحديث الأول عن المسور ومروان .

ابنُ عمرٍو إلى رسولِ الله ﷺ تَكلّمَ فأطال الكَلامَ وتراجَعا ، ثُمّ جَرَى بَيْنَهما الصُّلحُ .

فَلَمّا التَأمَ الأمرُ ولَم يَبْقَ إلاّ الكِتابُ وثَبَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، فَأتَى أبا بَكْرٍ فقال يا أبا بَكْرٍ ، أليس برسولِ الله ؟ قال : بَلَى ، قال أوَ لَسنا بالمُسلِمينَ ؟ قال : بَلَى،قال : أوَ لَيْسُوا بالمُشْرِكينَ ؟ قال : بَلَى ؛ قال فَعَلامَ نُعْطَى الدّنيّةَ في دِينِنا ؟ قال أبو بَكْرٍ يا عُمَرُ الزَم غَرْزَه فَأنِّي أشْهَدُ أنّه رسولُ الله قال عُمَرُ وأنا أشْهَدُ أنّه رسولُ الله ثُمّ أتَى رسولَ الله ﷺ فقال يا رسولَ الله ألَسْتَ برسولِ الله ؟ قال : «**بَلَى**» قال أوَ لَسنا بالمُسْلِمينَ ؟ قال : «**بَلَى**» قال أوَ لَيْسُوا بالمُشْرِكينَ ؟ قال : «**بَلَى**» قال فَعَلامَ نُعْطَى الدّنيّةَ في دِينِنا ؟ قال : «**أنا عبدُ الله ورسولُه لَن أُخالِفَ أمرَه ولَن يُضَيّعَني**» قال فكان عُمَرُ يقول ما زِلتُ أتَصَدّقُ وأصُومُ وأُصَلّي وأُعْتِقُ من الذي صَنَعْتُ يومَئِذٍ مَخافَةَ كَلامي الذي تَكَلّمت به حتى رَجَوْتُ أن يَكُونَ خَيْرًا .

قال : ثُمّ دَعا رسولُ الله ﷺ عَليّ بنَ أبي طالِبٍ رِضوانُ الله عليه فقال : «**اكْتُبْ بِسْمِ الله الرّحمَنِ الرّحيم**» قال : فقال سُهَيْلٌ : لا أعرِفُ هذا ، ولَكِن اكتُبْ باسْمِك اللّهمّ فقال رسولُ الله ﷺ «**اكْتُبْ باسْمِك اللّهمّ**» فَكَتَبَها ، ثُمّ قال اكْتُبْ : «**هذا ما صالحَ عليه مُحَمّدٌ رسولُ الله سُهَيْلَ ابنَ عمرٍو**» قال : فقال سُهَيْلٌ : لَوْ شَهِدتُ أنّك رسولُ الله لَم أُقاتِلْك ، ولَكِن اكْتُبِ [٥٠/أ] اسْمَك واسْمَ أبيك ؛ قال : فقال رسولُ الله ﷺ: «**اكْتُبْ هذا ما صالحَ عليه مُحَمّدُ بنُ عبدِ الله سُهَيْلَ بنَ عمرٍو ، اصْطَلَحا على وضعِ الحَرْبِ عن النّاسِ عَشْرَ سِنينَ يَأمَنُ فيهِنّ النّاسُ ويَكُفّ بَعْضُهم عن بَعْضٍ على أنّه مَن أتَى مُحَمّدًا من قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إذْنِ وليّه رَدّه عليهم ، ومَن جاءَ قُرَيْشًا مِمّن مع مُحَمّدٍ لَم يَرُدّوه عليه ، وإنّ بَيْنَنا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً ، وأنّه لا إسلالَ ولا إغلالَ ، وأنّه مَن أحَبّ أن يَدْخُلَ في عَقْدِ مُحَمّدٍ وعَهْدِه دَخَلَ فيه ومَن أحَبّ أن يَدْخُلَ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِم دَخَلَ فيه**» . فَتَواثَبَتْ خُزاعةُ فقالُوا : نحن في عَقْدِ مُحَمّدٍ وعَهْدِه وتَواثَبَتْ بنُو بَكْرٍ فَقالُوا : نحن في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِم وأنّك تَرْجِعُ عَنّا عامَك هذا ، فَلا تَدْخُلُ عَلَيْنا مَكّةَ ، وأنّه إذا كان عامُ قابِلٍ خَرَجْنا عَنْك فَدَخَلْتَها بأصْحابِك ، فأقَمتَ بِها ثَلاثًا ، مَعَك سِلاحُ الرّاكِبِ السّيُوفُ في القُرُبِ لا تَدْخُلُها بِغَيْرِها .

فَبَيْنا رسولُ الله ﷺ يَكْتُبُ الكِتابَ هُوَ وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، إذْ جاءَ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَرْسُفُ في الحَديدِ قد انْفَلَتَ إلى رسولِ الله ﷺ وقد كان أصْحابُ رسولِ الله ﷺ خَرَجُوا وهم لا يَشُكّونَ في الفَتْحِ لِرُؤْيا رَآها رسولُ الله ﷺ فَلَمّا رَأوْا ما رَأوْا من الصّلْحِ والرّجُوعِ وما تَحَمّلَ عليه رسولُ الله ﷺ في نَفْسِه دَخَلَ [على] النّاسِ من ذلك أمرٌ عَظيمٌ حتى كادُوا يُهْلِكُونَ فَلَمّا رَأى سُهَيْلٌ أبا جَنْدَلٍ قامَ إلَيه فَضَرَبَ وجهَه وأخَذَ بِتَلْبِيبِه ثُمّ قال يا مُحَمّدُ قد لَجّتِ القَضيّةُ بَيْني وبَيْنَك قَبْلَ أن يَأتِيَك هذا ؛ قال : صَدَقْتَ ، فَجَعَلَ يَنْتُرُه بِتَلْبِيبِه ويَجُرّه لِيَرُدّه إلى قُرَيْشٍ ، وجَعَلَ

أبو جنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأعْلَى صَوْتِه يا مَعْشَرَ المُسْلمين أأُرَدّ إلى المُشْرِكينَ يَفْتِنُوني في ديني ؟ فَزادَ ذلك النّاسَ إلى ما بِهِم .

فقال رسولُ الله ﷺ : «**يا أبا جَنْدَلٍ اصْبِرْ واحْتَسِبْ ، فَإنّ اللهَ جاعِلٌ لك ولِمَن مَعَك من المُسْتَضْعَفين فَرَجًا ومَخْرَجًا ، إنّا قد عَقدنا بَيْنَنا وبَيْنَ القَوْمِ صُلْحًا ، فأعْطَيْناهم على ذلك وأعْطَوْنا عَهْدَ الله وإنّا لا نَغْدِرُ بِهِم**» قال فَوَثَبَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ مع أبي جَنْدَلٍ يَمْشي إلى جَنْبه وهو يقول : اصْبِرْ يا أبا جَنْدَلٍ فإنّما هم المُشْرِكُونَ وإنّما دَمُ أحَدِهِم دَمُ كَلْبٍ قال : ويُدْني قائِمَ السّيْفِ مِنْه . قال : يقول عُمَرُ : رَجَوْتُ أن يَأخُذَ السّيْفَ فَيَضْرِبُ به أباه قال فَضَنّ الرّجُلُ بِأبيه ونَفَذَتِ القَضيّةُ .

فلمّا فَرَغَ [رسولُ الله ﷺ] من الكِتابِ أشْهَدَ على الصّلْحِ رِجالاً من المُسْلِمينَ ورِجالاً من المُشْرِكينَ أبو بَكْرٍ الصّدّيق ، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، وعبدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ، وعبدُ الله بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو ، وسَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ ، ومَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ ، وهو [يومَئِذٍ] مُشْرِكٌ وعَليّ ابنُ أبي طالِبٍ [وكَتَبَ] وكان هُوَ كاتِبَ الصّحيفَةِ .

[نَحَرَ الرّسُولُ وحَلق فاقْتَدى به النّاسُ] :

[قال ابنُ إسْحاقَ :] وكان رسولُ الله ﷺ مُضْطَرِبًا في الحِلّ وكان يُصَلّي في الحُرُمِ ، فلمّا فَرَغَ من الصّلْحِ قَامَ إلى هَدْيِه فنحرَه ثُمّ جلَسَ فَحَلَقَ رَأسَه وكان الذي حَلَقَه فيما بَلَغَني ، في ذلك اليوم خِراشَ بنَ أُمَيّةَ بنِ الفَضْلِ الخُزاعيّ ؛ فلمّا رَأى النّاسُ أنّ رسولَ الله ﷺ قد نَحَرَ وحَلَقَ تَواثَبوا يَنْحَرُونَ ويَحْلِقُونَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهَدٍ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال [1] حَلَقَ رِجالٌ يومَ الحُدَيْبيَةِ ، وقَصّرَ آخَرُونَ . فقال رسولُ الله ﷺ يَرْحَمُ الله المُحَلّقينَ ،[٥٠/ب] قالُوا : والمُقَصّرينَ يا رسولَ الله ؟ قال : «**يَرْحَمُ الله المُحَلّقينَ**» ، قالُوا : والمُقَصّرينَ يا رسولَ الله ؟ قال : «**يَرْحَمُ الله المُحَلّقينَ**» ، قالُوا : والمُقَصّرينَ يا رسولَ الله ؟ قال : «**والمُقَصّرينَ**» فقالوا : يا رسولَ الله فَلِمَ ظاهَرْتَ التّرْحيمَ لِلْمُحَلّقينَ دُونَ المُقَصّرينَ ؟ قال : «**لَمْ يَشُكّوا**» .

حَدّثَني مُجاهِدٌ ، عن ابنِ عَبّاسٍ [2] : أنّ رسولَ الله ﷺ

---

(١)صحيح لغيره : رواه أحمد (١/٣٥٣) وابن أبي شيبة (٨/٥١٧) وابن ماجه (٣٠٤٥) والبيهقي في الدلائل (٤/١٥١) من طريق ابن إسحاق . وهذا سند حسن ، وشاهده في الصحيح من حديث المسور ومروان الذي ساقه ابن إسحاق .

(٢)حسن : رواه أحمد (١/٢٦١) وأبو داود (١٧٤٩) والطبراني الكبير (١١١٤٧ - ١١١٤٨) والطبري في تاريخه (٢/١٢٤) والبيهقي في الدلائل (٤/١٥٢) وغيرهم من طريق ابن إسحاق ، وهذا سند حسن . وقد صرح ابن ......=

أهدَى عامَ الحُدَيْبِيَةِ في هَداياه جَمَلاً لأبي جَهْلٍ في رَأسه بَرَةٌ من فِضَةٍ يَغيظُ بذلك المُشْرِكِينَ

[نُزُولُ سُورَة الفَتْح] :

قال الزّهْرِيّ في حَديثِه : ثُمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من وجْهِه ذلك قافِلاً ، حتى إذا كان بَيْنَ مَكّةَ والمَدينَة، نَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ ﴿إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبينًا لِيَغفِرَ لَكَ الله ما تَقَدّمَ من ذَنْبِكَ وما تَأخّرَ ويُتِمّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ ويَهْدِيَكَ صِراطًا مُسْتَقيمًا﴾

ثُمّ كانَتِ القِصّةُ فيه وفي أصْحابه حتى انْتَهَى إلى ذِكْرِ البَيْعَةِ ، فَقال [جَلّ ثَناؤُه] ﴿إنّ الذينَ يُبايِعُونَكَ إنّما يُبايِعُونَ اللّهَ يَدُ الله فَوْقَ أيْديهِم فَمَن نَكَثَ فَإنّما يَنْكُثُ على نَفْسِه ومَن أوْفَى بما عاهَدَ عليه اللّهَ فَسَيُؤْتيه أجْرًا عَظيمًا﴾

ثُمّ ذَكَرَ مَن تَخَلّفَ عنه من الأعْرابِ ، ثُمّ قال حينَ اسْتَنْفَرَهم لِلْخُرُوجِ مَعَه فَأبْطَئُوا عليه ﴿سَيقُولُ لَكَ المُخَلّفُونَ مِنَ الأعْرابِ شَغَلَتْنا أمْوالُنا وأهْلُونا﴾ ثُمّ القِصّةُ عن خَبَرِهِم حتى انْتَهَى إلى قَوْلِه ﴿سَيقُولُ المُخَلّفُونَ إذا انطَلَقْتُم إلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتّبِعْكُم يُريدُونَ أن يُبَدّلُوا كَلامَ الله قُل لَن تَتّبِعُونا كَذَلِكُمْ قال الله مِن قَبْلُ﴾ ثُمّ القِصّةُ عن خَبَرِهِم وما عَرَضَ عليهم من جِهادِ القَوْمِ أولي البَأسِ الشّديدِ .

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] :حَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ ، عن عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال فارِسٌ .

قال ابنُ إسحاقَ [(٢)] :وحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن الزّهْرِيّ أنه قال أُولُو البَأسِ الشّديدِ حَنيفَةُ مع الكَذّابِ

﴿لَقَد رَضِيَ الله عَنِ المُؤْمِنينَ إذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشّجَرَةِ فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِم فَأنْزَلَ السّكينَةَ عليهم وأثابَهُم فَتْحًا قَريبًا ومَغانِمَ كَثيرَةً يَأخُذُونَها وكانَ الله عَزيزًا حَكيمًا وعَدَكُمُ الله مَغانِمَ كَثيرَةً تَأخُذُونَها فَعَجّلَ لَكُمْ هذه وكَفّ أيْدِيَ النّاسِ عَنْكُم ولِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنينَ ويَهْدِيَكُمْ صِراطًا مُسْتَقيمًا وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عليها قد أحاطَ الله بها وكانَ الله على كُلّ شيءٍ قَديرًا﴾ .

= أبي نجيح بالسماع من مجاهد ، وصرح ابن إسحاق بالسماع من ابن أبي نجيح عند الإمام أحمد .

(١) حسن الإسناد :رواه ابن جرير في تفسيره (٨٢/٢٦/١٣) من نفس الطريق ، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم .

وله شاهد من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رواه البيهقي في الدلائل (١٦٦/٤) .

(٢) ضعيف إلى الزهري :فيه إبهام من حدث ابن إسحاق ، رواه الطبري في التفسير (٨٣/٢٦/١٣) .

وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة رواه ابن جرير بسند صحيح عنهما .

ثُمّ ذَكَرَ مَحْبِسَه وكَفّه إيّاه عن القِتال بعد الظّفَرِ مِنه بِهم يَعْني النّفَرَ الذين أصابَ منهم وكَفّهم عنه ثُمّ قال تَعالى : ﴿**وَهُوَ الذي كَفّ أيْدِيَهم عَنْكُم وأيْدِيَكُمْ عنهم بِبَطْنِ مَكّةَ من بَعْدِ أن أظْفَرَكُمْ عليهم وكان الله بِما تَعْمَلُونَ بَصيرًا**﴾ ثُمّ قال تَعالى : ﴿**هُمُ الذينَ كَفَرُوا وصَدّوكُم عَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ والهَدْيَ مَعْكُوفًا أن يَبْلُغَ مَحِلّهُ**﴾

قال ابنُ هشام : المَعْكُوفُ : المَحْبوسُ ، قال أعْشَى بني قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ :

وَكَأنّ السمُوطَ عَكّفَه السّلْكُ بعِطْفِي جَيْداءَ أُمّ غَزالِ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له [٥١/أ] .

قال ابنُ إسحاقَ : ﴿**وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ ونِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَم تَعْلَمُوهم أن تَطَئُوهم فَتُصيبَكُمْ منهم مَعَرّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ والمَعَرّةُ الغُرْمُ أيْ : أن تُصيبوا منهم (مَعَرّةً) بِغَيْرِ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوا دِيَتَه فَإمّا إثْمٌ فَلَم يُخْشَه عليهم .

قال ابنُ هشام : بَلَغَني عن مُجاهِدٍ أنه قال [1] نَزَلَتْ هذه الآيَةُ في الوَليدِ بنِ الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ ، وسَلَمَةَ بنِ هِشام ، وعَيّاشِ بنِ أبي رَبيعَةَ ، وأبي جَنْدَلِ بنِ سُهَيْلٍ وأشْباهِهِم .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ قال تَبارَكَ وتَعالى : ﴿**إذْ جَعَلَ الذينَ كَفَرُوا في قُلُوبِهِمُ الحَمِيّةَ حَمِيّةَ الجاهِلِيّةِ**﴾ يَعْني سُهَيْلَ بنَ عمرٍو حينَ حَمِيَ أن يَكْتُبَ بِسْمِ الله الرّحْمَنِ الرّحيمِ وأنّ مُحَمّدًا رسولُ الله ثُمّ قال تَعالى : ﴿**فَأنْزَلَ الله سَكينَتَه على رسولِه وعلى المُؤْمِنينَ وألْزَمَهم كَلِمَةَ التّقْوَى وكانوا أحَقّ بِها وأهْلَها**﴾ أي التّوْحيدُ شَهادَةُ أن لا إلَهَ إلاّ الله وأنّ مُحَمّدًا عبدُه ورسولُه .

﴿**لَقد صَدَقَ الله رسولَه الرّؤيا بالحَقّ لَتَدْخُلُنّ المَسْجِدَ الحَرامَ إن شاءَ الله آمِنينَ مُحَلّقينَ رُءُوسَكُم ومُقَصّرينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَم تَعْلَمُوا**﴾ أيْ لِرُؤْيا رسولِ الله ﷺ التي رَأى ، أنّه سَيَدْخُلُ مَكّةَ آمِنًا لا يَخافُ يقول ﴿**مُحَلّقينَ رُءُوسَكُمْ ومُقَصّرينَ**﴾ مَعَه ﴿**لا تَخافُونَ فَعَلِمَ**﴾ من ذلك ﴿**ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ من دُونِ ذلك فَتْحًا قَريبًا**﴾ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ .

فَما فُتِحَ في الإسلامِ فَتْحٌ قَبْلَه كان أعْظَمَ مِنه إنّما كان القِتالُ حَيْثُ التَقَى النّاسُ فَلَمّا كانَتِ الهُدْنَةُ ووُضِعَتِ الحَرْبُ وآمَنَ النّاسُ كَلّمَ بَعْضُهم بَعْضًا، والتَقَوْا فَتَفاوَضُوا في الحَديثِ والمُنازَعَةِ فَلَم يُكَلّم أحَدٌ بالإسلامِ يَعْقِلُ شيئًا إلاّ دَخَلَ فيه ولَقد دَخَلَ في تِيكَ السّنَتَيْنِ مِثْلُ مَن كان في الإسلامِ قَبْلَ ذلك أوْ أكْثَرَ .

قال ابنُ هشام : والدّليلُ على قَوْلِ الزّهْرِيّ أنّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ إلى الحُدَيْبِيَةِ في ألْفٍ وأرْبَعِ مِئَةٍ في قَوْلِ جابِرِ بنِ عبدِ الله ، ثُمّ خَرَجَ عامَ فَتْحِ مَكّةَ بعد ذلك بِسَنَتَيْنِ في عَشَرَةِ آلافٍ .

---

(١) معضل : ولم أقف عليه موصولاً .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

قال ابنُ إسحاق [(١)] : فلَمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ [المدينَةَ] أتاه أبو بَصيرٍ عُتْبَةُ ابنُ أَسِيْدِ بنِ جاريَةَ ، وكان ممن حُبِسَ بمَكَّةَ فلَمَّا قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ كَتَبَ فيه أزْهَرُ بنُ عبدِ عَوْفِ بنِ عبدِ بنِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ والأخنَسُ بنُ شَرِيقِ بنِ عمرو ابنِ وهبِ الثَّقَفيّ إلى رسولِ الله ﷺ وبَعَثا رَجُلاً من بني عامرِ بنِ لُؤَيّ ، ومَعَه مَوْلًى لهم فقَدِما على رسولِ الله ﷺ بكتابِ الأزهَرِ والأخنَسِ فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا بصَيْرٍ إنَّا قد أعطَيْنا هَؤُلاءِ القَوْمَ ما قد علِمتَ ولا يَصْلُحُ لنَا في دينِنا الغَدْرُ وإنّ اللهَ جاعِلٌ لكَ ولِمَن مَعَكَ مِن المُسْتَضْعَفينَ فَرَجًا ومَخْرَجًا ، فانطَلِقْ إلى قَوْمِك**» قال يا رسولَ الله أتَرُدّني إلى المشْرِكينَ يَفْتِنُونَني في ديني ؟ قال يا أبا بصَيْرٍ انطَلِقْ فإنّ اللهَ تَعالى سَيَجْعَلُ لَكَ ولِمَن مَعَك من المُسْتَضْعَفينَ فَرَجًا ومَخْرَجًا

فانطَلَقَ مَعَهما ، حتى إذا كان بذي الحُلَيْفَةِ جَلَسَ إلى جِدارٍ وجَلَسَ مَعَه صاحِباه فقال أبو بَصيرٍ : أصارِمٌ سَيفُك هذا يا أخا بني عامرٍ ؟ فقال : نَعم قال: أَنظُرُ إليه ؟ قال : انظُرْ إن شِئتَ . قال : فاستَلّه أبو بَصيرٍ ، ثُمّ عَلاه به حتى قَتَلَه وخَرَجَ [٥١/ب] المَوْلَى سَريعًا حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالِسٌ في المَسْجِدِ فلَمّا رَآه رسولُ الله ﷺ طالِعًا ، قال : «**إنّ هذا الرّجُلَ قد رَأى فَزَعًا**» فلَمّا انتَهى إلى رسولِ الله ﷺ قال : ويْحَكَ ما لَكَ ؟ قال قَتَلَ صاحِبُكُم صاحِبي . فوالله ما بَرِحَ حتى طَلَعَ أبو بَصيرٍ مُتَوَشّحًا بالسّيفِ حتى وقَفَ على رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله وفَتْ ذِمّتُك ، وأدّى الله عَنكَ ، أسلَمتني بيَدِ القَوْمِ وقد امتَنَعتُ بديني أن أُفْتَنَ فيه أَوْ يُعْبَثَ بي . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : «**ويْلُ أُمّه مِحَشّ حَرْبٍ لَوْ كان مَعَه رِجالٌ**» . ثُمّ خَرَجَ أبو بَصيرٍ حتى نَزَلَ العيصَ ، من ناحيَةِ ذي المَرْوَةِ ، على ساحِلِ البَحْرِ بطَريقِ قُرَيْشٍ التي كانوا يَأخُذُونَ [عليها] إلى الشّام ، وبَلَغَ المُسلِمينَ الذينَ كانوا احتُبِسُوا بمَكّةَ قَوْلُ رسولِ الله ﷺ لأبي بصَيْرٍ وَيْلُ أُمّه مِحَشّ حَرْبٍ لَوْ كان مَعَه رِجالٌ فخَرَجُوا إلى أبي بصَيْرٍ بالعيصِ فاجْتَمَعَ إلَيْه منهم قَريبٌ من سَبْعينَ رَجُلاً ، وكانوا قد ضَيّقُوا على قُرَيْشٍ ، لا يَظْفَرُونَ بأحَدٍ منهم إلاّ قَتَلُوه ولا تَمُرّ بهم عيرٌ إلاّ اقتَطَعُوها ، حتى كَتَبَتْ قُرَيْشٌ إلى رسولِ الله ﷺ تَسْأَلُ بأرْحامِها إلاّ آواهم فَلا حاجَةَ لهم بهم . فآواهم رسولُ الله ﷺ فَقَدِمُوا [عليه] المَدينَةَ .

قال ابنُ هشام : أبو بصَيْرٍ ثَقَفيّ .

قال ابنُ إسحاق : فلَمّا بَلَغَ سُهَيْلَ بنَ عمرو قَتْلُ أبي بَصيرٍ صاحِبَهم العامِريّ أسْنَدَ ظَهْرَه إلى الكَعْبَةِ ، ثُمّ قال والله لا أُؤَخّرُ ظَهْري عن الكَعْبَةِ حتى يُودِيَ هذا الرّجُلُ ؛ فقال أبو سُفيانَ بنُ

---

(١) صحيح : هو موصول من حديث المسور ومروان بن الحكم .

حَرْبٍ والله إنّ هذا لَهُوَ السَفِيه ، والله لا يُودَى ثَلاثًا فقال في ذلك مَوْهِبُ بنُ رياحٍ أبو أُنَيْسٍ حَليفُ بني زُهْرَةَ

قال ابنُ هشامٍ : أبو أُنَيْسٍ أشْعَرِيّ

أتاني عن سُهَيْلٍ ذَرْوُ قَوْلٍ ... فأيْقَظَني وما بي من رُقادِ

فإن تَكُنِ العِتابَ تُرِيدُ مِنّي ... فعاتِبني فما بِكَ من بِعادِ

أتُوعِدُني وعبدُ منافٍ حَوْلي ... بمَخْزُومٍ ألَهْفًا مَن تُعادَى

فإن تَغْمِزْ قَناتي لا تَجِدْني ... ضَعيفَ العُودِ في الكُرَبِ الشِّدادِ

أُسامي الأكْرَمِينَ أبًا بقَوْمي ... إذا وطِئَ الضَعيفُ بِهِم أُرادَى

هم مَنَعُوا الظَواهِرَ غَيْرَ شَكٍّ ... إلى حَيْثُ البَواطِنُ فالعَوادِ

بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وبِكُلِّ نَهْدٍ ... سَواهِمَ قد وطِينَ من الطِّرادِ

لهم بالخَيْفِ قد عَلِمَتْ مَعَدّ ... رِواقُ المَجْدِ رُفِّعَ بالعِمادِ

فأجابَه عبدُ الله بنُ الزِّبَعْرَى ، فقال :

أأمّا مَوْهِبٌ كَحِمارِ سَوْءٍ ... أجازَ بِبَلْدَةٍ فيها يُنادي

فإنّ العبدَ مِثْلَكَ لا يُناوي ... سُهَيْلاً ضَلّ سَعْيُك مَن تُعادي

فأقْصِرْ يا بنَ قَيْنِ التوءِ عنه ... وَعَدِّ عن المَقالةِ في البِلادِ

وَلا تَذْكُرْ عِتابَ أبي يَزِيدٍ ... فهَيْهاتَ البُحُورُ من الثِمادِ

[أمر المهاجرات بعد الهدنة]

[هجر أم كلثوم إلى الرسول وإباؤه ردها] :

[قال ابنُ إسحاقَ] [(١)]: وهاجَرَتْ [إلى رسولِ الله ﷺ] أُمّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَةَ ابنِ أبي مُعيطٍ في تِلْكَ المُدّةِ فَخَرَجَ أخَواها عِمارَةُ والوَلِيدُ ابنا عُقْبَةَ حتى قَدِما على رسولِ الله ﷺ يَسْألانِه أن يَرُدّها عليهما بالعَهْدِ الذي بينَه وبَيْنَ قُرَيْشٍ في الحُدَيْبِيَة ، فَلَم يَفْعَلْ أبَى الله ذلك .

[سُؤَالُ ابنِ هُنَيْدَةَ لِعُرْوَةِ عن آيَةِ المهاجراتِ وردّه عليه] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثني الزّهْرِيّ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ ، قال [(٢)] دَخَلْتُ عليه[٥٢/أ] وهو

---

(١)صحيح : وهو في حديث المسور ومروان بن الحكم ، رواه البخاري (٢٧١١) .

(٢)حسن إلى عروة .

يَكْتُبَ كِتابًا إلى ابنِ أبي هُنَيْدَةَ ، صاحِبِ الوَليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ وكَتَبَ إليه يَسْألُه عن قَوْلِ الله تعالى : ﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامتَحِنُوهُنَّ الله أعْلَمُ بِإيمانِهِنَّ فَإن عَلِمتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفّارِ لا هُنَّ حِلٌ لهم ولا هم يَحِلّونَ لَهُنَّ وآتُوهم ما أنفَقُوا ولا جُناحَ عَلَيْكُمْ أن تَنْكِحُوهُنَّ إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾ .

قال ابنُ هشامٍ : واحِدَةُ العِصَمِ عِصْمَةٌ وهِيَ الحَبْلُ والسَّبَبُ . قال أعْشَى بني قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ .

إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطيلُ السُرَى وَنَأخُذُ من كُلِّ حَيٍّ عِصَمْ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له :

﴿واسْألُوا ما أنفَقْتُم ولْيَسْألُوا ما أنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ والله عَليمٌ حَكيمٌ﴾ .

[عَوْدٌ إلى جَوابِ عُرْوَةَ] :

قال فَكَتَبَ إليه عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ : إنّ رسولَ الله ﷺ كان صالحَ قُرَيْشًا يومَ الحُدَيْبِيَةِ على أن يَرُدَّ عليهم مَن جاءَ بِغَيْرِ إذْنِ وليّه فَلَمّا هاجَرَ النّساءُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى الإسلام أَبَى الله أن يُرْدَدْنَ إلى المُشْرِكينَ إذا هُنّ امتُحِنّ بِمِحْنَةِ الإسلام فَعَرَفُوا أنّهنّ إنّما جِئْنَ رَغْبَةً في الإسلام وأمَرَ بِرَدِّ صَدُقاتِهِنّ إليهم إن احْتَبَسْنَ عنهم إن هم رَدّوا على المُسْلِمينَ صَداقَ مَن حُبِسُوا عنهم من نِسائِهم ذَلِكُمْ حُكْمُ الله يَحْكُمُ بَيْنَكُم والله عَليمٌ حَكيمٌ . فَأمسَكَ رسولُ الله ﷺ النّساءَ ورَدَّ الرّجالَ وسَأَلَ الذي أمَرَه الله به أن يَسْألَ من صَدُقاتِ نِساءِ مَن حُبِسُوا مِنْهُنّ وأن يَرُدّوا عليهم مِثْلَ الذي يَرُدّونَ عليهم إن هم فَعَلُوا ، ولَوْلا الذي حَكَمَ الله به من هذا الحُكْمِ لَرَدَّ رسولُ الله ﷺ النّساءَ كَما رَدَّ الرّجالَ ولَوْلا الهُدْنَةُ والعَهْدُ الذي كان بَيْنَه وبَيْنَ قُرَيْشٍ يومَ الحُدَيْبِيَةِ لأمسَكَ النّساءَ ولَمْ يَرْدُدْ لَهُنّ صَداقًا ، وكذلك كان يَصْنَعُ بِمَن جاءَه من المُسْلِماتِ قَبْلَ العَهْدِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وَسَألْتُ الزّهْرِيَّ عن هذه الآيَةِ وقَوْلِ الله عَزّ وجَلّ فيها : ﴿وَإن فاتَكُمْ شيءٌ من أزْواجِكُم إلى الكُفّارِ فَعاقَبْتُم فَآتُوا الذينَ ذَهَبَتْ أزْواجُهم مِثْلَ ما أنْفَقُوا واتّقُوا الله الذي أنتُم بِه مُؤْمِنُونَ﴾ فَقال : يقول إن فاتَ أحَدًا مِنكُم أهلُه إلى الكُفّارِ ولَم تَأتِكُم امرَأةٌ تَأخُذُونَ بِها مِثْلَ الذي يَأخُذُونَ مِنكُم فَعَوِّضُوهم من فَيْءٍ إن أصَبْتُمُوه . فَلَمّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ﴾ إلى قَوْلِ الله عَزّ وجَلّ ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾ كان مِمّن طَلّقَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، طَلّقَ امرأتَه قُرَيْبَةَ بِنْتَ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغيرَةِ فَتَزَوّجَها بعده مُعاويَةُ بنُ أبي سُفيانَ ، وهما على شِرْكِهما بِمَكّةَ وأُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ جَرْوَلٍ أُمَّ عُبَيْدِ الله بنِ عُمَرَ

(١) حسن إلى الزهري : رواه ابن جرير في التفسير (٧٦/٢٨/١٤) .

الخُزاعيّةُ فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفةَ بنِ غانمٍ ، رَجُلٌ من قَوْمِه وهما على شِرْكِهما

[بُشرى فتح مكّةَ وتعجّل بعض المسلمين] :

قال ابنُ هشام : حَدّثنا أبو عُبَيْدَةَ (١) أنّ بَعْضَ مَن كان مع رسولِ الله ﷺ قال له لمّا قَدِمَ المدينَةَ : ألَمْ تَقُلْ يا رسولَ الله إنّك تَدْخُلُ مَكّةَ آمنا ؟ قال : «**بَلَى،أَفَقُلْت لَكُم من عامي هذا ؟**» قالُوا : لا ، قال : «**فهو والله كما قال لي جبْريلُ عليه السّلامُ**» [٥٢/ب]

غزوة خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم : غزوة خيبر.

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الترد بن ريحويه قال : حدثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثُمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بالمَدينَةِ حينَ رَجَعَ من الحُدَيْبيَةِ ، ذا الحَجّةِ وبَعْضَ المُحَرّمِ ووَلِيَ تِلْكَ الحَجّةَ المُشْرِكُونَ ثُمّ خَرَجَ في بَقِيّةِ المُحَرّمِ إلى خَيْبَرَ (٢)

قال ابنُ هشامٍ : واسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ نُميلة بنَ عبدِ الله اللّيْثِيّ (٣) ، ودَفَعَ الرّايَةَ إلى عَليّ ابنِ أبي طالِبٍ رَضيَ الله عنه وكانَتْ بَيْضاءَ (٤) .

---

(١) صحيح من طريق آخر ، ورواية ابن هشام معضلة ، والمعنى ثابت في حديث المسور بن مخرمةومروان في قصة الحديبية الطويل ، وسبق تخريجه في البخاري وغيره ، وقائل هذا الكلام هو عمر رضي الله عنه ، وذلك بالحديبية وليس بالمدينة ، كما قال أبو عبيدة ، بلفظ في مراجعة عمر النبي ﷺ في الصحيح .
قال عمر : فقلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال قلت : لا . قال فإنك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر .... فذكر له مثل ما قال النبي ﷺ .

(٢) هذا ما عليه جمهور أهل السير ورجحه الحافظ في الفتح : وهناك قول آخر أنها كانت في السنة السادسة نقله الحافظ عن مالك وابن حزم . قال الحافظ في الفتح : [٥٣١/٧] : (وهذه الأقوال متقاربة ، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق .
ويمكن الجمع بينها بأن من أطلق سنة ستٌ بناه على أن ابتداء السنة من شهور الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول ثم أخذ يرد الأقوال الأُخَر .

(٣) قلت ثبت في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ استخلف على المدينة سباع بن عرفطة . رواه أحمد [٣٤٥/٢] والطيالسي [٢٣٦٣] والحاكم [٣٧٠٣٦/٣] والبيهقي دلائل (١٩٨/٤) وقال الساعاتي إسناده جيد من رواية الهيثم بن عراك عن أبيه أبي هريرة .

(٤) أخذ على الراية : متفق عليه : رواه البخاري [٤٢١٠] ومسلم [٢٤٠٦] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وليس فيه ذكر لون الراية .

قال ابنُ إسحاقَ :فَحَدّثني مُحَمَّدُ بنُ إبْراهيمَ بنِ الحارثِ التَيْميّ عن أبي الهَيْثَم ابنِ نَصْرِ بنِ دَهْرٍ الأسْلَميّ أنّ أباه حَدّثَه (١) أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول في مَسيرِه إلى خَيْبَرَ لِعامِرِ بنِ الأكْوَعِ وهو عمّ سَلَمَةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوَعِ ، وكان اسْمُ الأكْوَعِ سِنانًا : «**انْزِلْ يا بنَ الأكْوَعِ فَخُذْ لَنا من هَناتِك**» قال فَنَزَلَ يَرْتَجِزُ بِرسولِ الله ﷺ فقال

والله لَوْلا الله ما اهْتَدَيْنا　　وَلا تَصَدّقْنا ولا صَلّيْنا

إنّـــا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا　　وَإن أرادُوا فِتْنَـةً أبَيْنـــا

فَأنْزِلَـن سَكينَـةً عَلَيْنـا　　وَثَبّتِ الأقْدامَ إن لاقَيْنا

فَقال رسولُ الله ﷺ : «**يَرْحَمُك ربك**» فَقال عُمَرُ بنُ الخَطّابِ : وجَبَتْ والله يا رسولَ الله لَوْ أمتَعْتنا به فَقُتِلَ يومَ خَيْبَرَ شَهيدًا ، وكان قَتْلَه فيما بَلَغَني ، أنّ سَيْفَه رَجَعَ عليه وهو يُقاتِلُ فَكَلَمَه كَلْمًا شَديدًا ، فَماتَ مِنه فكان المُسْلِمُونَ قد شَكّوا فيه وقالُــوا : إنّما قَتَلَه سِلاحُه حتى سَألَ ابنُ أخيه سَلَمَةُ بنُ عمرِو بنِ الأكْوَعِ رسولَ الله ﷺ عن ذلك وأخْبَرَه بِقَوْلِ النّاسِ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**إنّه لَشَهيدٌ**» وصَلّى عليه فَصَلّى عليه المُسْلِمُونَ (٢)

---

(١) متفق عليه بمعناه : سند ابن إسحاق لا بأس به . فيه أبو الهيثم ، قال الحافظ : مقبول . والحديث رواه البخاري [٤١٩٦] ، ومسلم [١٨٠٢] من حديث سلمه بن الأكوع نحوه ... فرواه موسى بن عقبة عن عطاء عن أبيه عن كعب الأحبار عن صهيب ، رواه النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٤] وابن خزيمة [٢٥٦٥] والحاكم [٤٤٦/١] و [١٠٠/٢] والطبراني في الكبير [٧٢٩٩] وابن حبان [٢٧٠٩] كلهم من رواية حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة . وخالف حفص بن ميسرة عن موسى . ابن أبي الزناد ، فرواه عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن عبد الرحمن بن مغيث عن كعب عن صهيب . رواها النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٥] والطبراني في الكبير [٧٣٠٠] قال النسائي : حفص بن ميسرة لا بأس به . وعبد الرحمن ابن أبي الزناد ضعيف . قلت : ابن أبي الزناد اختلط ، ومما يدل على اختلاطه . أنه رواه على وفق رواية حفص بن ميسرة رواها الطبراني في الكبير [٧٢٩٨] من رواية إسماعيل بن أبي أويس عنه ، وقد تابع حفص بن ميسرة على روايته الفضيل بن سليمان ، ذكرها المزي في الأطراف وخالفهم إبراهيم بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبي مروان عن أبيه عن جده . رواه البيهقي في الدلائل [٢٠٣/٤] وإبراهيم ضعيف . قلت : هذا الإسناد فيه عطاء بن أبي مروان : ثقة . وأبوه مختلف في صحته وثقه العجلي وقال في التابعين . ووثقه ابن حبان . وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار .
وقلت : وللخديث شاهد من رواية صهيب بسند رجاله ثقات ، رواه النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٣] من رواية أبي بكر وهو عبد الحميد بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن أبي سهيل - نافع بن مالك عن أبيه عن كعب الأحبار عن صهيب ، وله شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة رواه ابن السني [٥٢٨] .
ومن حديث ابن عمر ذكره ابن أبي حاتم في العلل [٢٤١٢] . قال أبو حاتم في العلل باطل بهذا الإسناد .
ومن حديث ابن مسعود موقوفًا . رواه عبد الرازق [٢٠٩٩٥] . من رواية معمر عن قتادة أن ابن مسعود ، قال . قلت : وسنده منقطع بين قتادة وابن مسعود . فالحديث بهذه الطرق يحسن والله أعلم .

(٢) هذه الزيادة ليست في الصحيحين .

قال ابنُ إسحاقَ : حَدَّثني مَن لا أتَّهِمُ عن عَطاءِ بن أبي مَرْوانَ الأسْلَميّ عن أبيه عن أبي مُعَتّبِ بنِ عمرٍو [(١)] : أنّ رسولَ الله ﷺ لَمّا أشْرَفَ على خَيْبَرَ قال لأصْحابه وأنا فيهم : «قِفُوا» ثُمّ قال : «اللّهمّ رَبّ السّمواتِ وما أظْلَلْنَ ورَبّ الأرَضينَ وما أقْلَلْنَ ورَبّ الشّياطينِ وما أضْلَلْنَ ورَبّ الرّياحِ وما أذْرَيْنَ فإنّا نَسْألُكَ خَيْرَ هذه القَرْيَةِ وخَيْرَ أهلِها وخَيْرَ ما فيها ، ونَعُوذُ بك من شَرّها وشَرّ أهلِها وشَرّ ما فيها ، أقْدِمُوا بِسْمِ الله» . قال وكان يقولها عليه السّلامُ لِكُلّ قَرْيَةٍ دَخَلَها .

[فِرارُ أهلِ خَيْبَرَ لَمّا رَأوْا الرّسُولَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن أنَسِ بنِ مالِكٍ ، قال كان رسولُ الله ﷺ إذا غَزا قَوْمًا لَم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ فإن سَمِعَ أذانًا أمسَكَ وإن لَم يَسْمَعْ أذانًا أغارَ . فَنَزَلْنا خَيْبَرَ لَيْلاً ، فَباتَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا أصْبَحَ لَم يَسْمَعْ أذانًا ، فَرَكِبَ ورَكِبنا مَعَه فَرَكِبْتُ خَلْفَ أبي

---

(١) حسن بطرقه : رواه من طريق ابن إسحاق النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٦] والكبرى [١٠٣٨٠] والطبراني في الكبير [٣٥٩/٢٢ ح ٩٠٢] وقد اختلف على عطاء بن أبي مروان في إسناد هذا الحديث .

فرواه موسى بن عقبة عن عطاء عن أبيه عن كعب الأحبار عن صهيب ، ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٤] وابن خزيمة [٢٥٦٥] والحاكم [٤٤٦/١] و [١٠٠/٢] والطبراني في الكبير [٧٢٩٩] وابن حبان [٢٧٠٩] كلهم من رواية حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة .

وخالف حفص بن ميسرة عن موسى ابن أبي الزناد فرواه عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن عبد الرحمن بن مغيث عن كعب عن صهيب . رواها النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٥] والطبراني في الكبير [٧٣٠٠] . قال النسائي : حفص بن ميسرة لا بأس به ، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف .

قلت : ابن أبي الزناد اختلط ومما يدل على اختلاطه . أنه رواه على وفق رواية حفص بن ميسرة ، رواها الطبراني في الكبير [٧٢٩٨] من رواية إسماعيل بن أبي أويس عنه .

وقد تابع حفص بن ميسرة على روايته الفضيل بن سليمان ذكرها المزي في الأطراف . وخالفهم إبراهيم بن مجمع عن صالح بن كيسان عن أبي مروان عن أبيه عن جده . رواه البيهقي في الدلائل [٢٠٣/٤] وإبراهيم ضعيف .

قلت : هذا الإسناد فيه عطاء بن أبي مروان : ثقة . وأبوه : مختلف في صحبته . وثقه العجلي وقال : في التابعين ووثقه ابن حبان . وحسنه الحافظ في نتائج الأفكار . وقلت : وللحديث شاهد من رواية صهيب بسند رجاله ثقات . رواه النسائي في عمل اليوم والليلة [٥٤٣] ، من رواية أبي بكر وهو عبد الحميد بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن أبي سهيل - نافع بن مالك عن أبيه عن كعب الأحبار عن صهيب ، وله شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة رواه ابن السني [٥٢٨] . ومن حديث ابن عمر ذكره ابن أبي حاتم في العلل [٢٤١٢] قال أبو حاتم في العلل : باطل بهذا الإسناد ومن حديث ابن مسعود موقوفًا . رواه عبد الرزاق [٢٠٩٩٥] ، من رواية معمر عن قتادة أن ابن مسعود قال ...... ، وسنده منقطع بين قتادة وابن مسعود . فالحديث بهذه الطرق يحسن والله أعلم .

طَلْحَةَ وإنَّ قَدَمي لَتَمَسّ قَدَمَ رسولِ الله ﷺ واستَقْبلنا عُمّالَ خَيْبَرَ غادينَ قد خَرَجُوا بِمَساحِيهم ومَكاتِلِهم فَلَمّا رَأَوْا رسولَ الله ﷺ والجَيْش قالُوا : مُحَمَّدٌ والجَيْشُ مَعَه فَأَدْبَرُوا هُرّابًا ، فَقال رسولُ الله ﷺ الله أكْبَرُ [٥٣/أ]خَرِبَتْ خَيْبَرُ ، إنّا إذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ .

قال ابنُ إسحاقَ :حَدّثَنا هارُونَ عن حُمَيْدٍ عن أنَسٍ بِمِثْلِه [١] .

قال ابنُ إسحاقَ [٢] وكان رسولُ الله ﷺ حينَ خَرَجَ من المَدينَةِ إلى خَيْبَرَ سَلَكَ على عَصَرٍ ، فَبَنَى لَه فيها مَسْجِدٌ ثُمّ على الصَهْباءِ ، ثُمّ أقْبَلَ رسولُ الله ﷺ بِجَيْشِه حتى نَزَلَ به بِوادٍ يُقالُ له الرّجيعُ ، فَنَزَلَ بَيْنَهم وبَيْنَ غَطَفانَ ، ليَحُولَ بَيْنَهم وبَيْنَ أن يُمِدّوا أهلَ خَيْبَرَ ، وكانوا لهم مُظاهِرِينَ على رسولِ الله ﷺ.

[غَطفانُ ومُحاولتُهم معُونَةَ خَيْبَرَ ثُمّ انْخِذالُهم] :

فَبَلَغَني أنّ غَطَفانَ لَمّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رسولِ الله ﷺ من خَيْبَرَ جَمَعُوا [له] ثُمّ خَرَجُوا لِيُظاهِرُوا يَهُودَ عليه حتى إذا سارُوا مَنْقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهم في أموالِهِم وأهليهم حِسّا ، ظَنّوا أنّ القَوْمَ قد خالَفُوا إلَيْهم فَرَجَعُوا على أعْقابِهم فَأقامُوا في أهليهم وأموالِهِم وخَلَّوْا بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَ خَيْبَرَ .

[افْتِتاحُ رسولِ الله الحُصُونَ] :

وَتَدَنّى رسولُ الله ﷺ الأموال يَأْخُذُها مالاً مالاً ، ويَفْتَتِحُها حِصْنًا حِصْنًا ، فَكان أوّلُ حُصُونِهم افْتُتِحَ حِصْنُ ناعِمٍ ، وعنده قُتِلَ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ ، أُلْقِيَتْ عليه مِنه رَحًا فَقَتَلَتْه ثُمّ القَمُوصُ ، حِصْنُ ابن أبي الحُقَيْقِ وأصابَ رسولُ الله ﷺ منهم سَبايا ، مِنْهُنّ صَفِيّةُ بِنْتُ حُيَيّ ابنِ أخْطَبَ ، وكانَتْ عند كِنانَةَ بنِ الرّبيعِ بن أبي الحُقَيْقِ ، وبِنْتَيّ عمّ لها ؛ فاصْطَفَى رسولُ الله ﷺ صَفِيّةَ لِنَفْسِه .

وكان دِحْيَةُ ابنُ خَليفَةَ الكَلْبيّ قد سَأَلَ رسولَ الله ﷺ صَفِيّةَ فَلَمّا أصْفاها لِنَفْسِه أعْطاه ابْنَتَيّ عمّها ، وفَشَتِ السّبايا من خَيْبَرَ في المُسْلِمِينَ . وَأَكَلَ المُسْلِمُونَ لُحُومَ الحُمُرِ [الأهلية] من حُمُرِها ، فَقامَ رسولُ الله ﷺ فَنَهَى النّاسَ عن أُمُورٍ سَمّاها لهم .

قال ابنُ إسحاقَ [٣] فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ عمرِو بن ضَمْرَةَ الفَزاريّ عن عبدِ الله بنِ أبي سَليطٍ

---

(١) متفق عليه رواه البخاري [٤١٩٧] ومسلم [١٨٠٢] .

(٢) هذه حكاية ابن إسحاق عن الغزوة مجملة من قوله وسيأتي المسند منها .

(٣) متفق عليه بسند ابن إسحاق رواه ابن أبي شيبة [٢٤/٨] وأحمد [٤١٩/٣] والحديث من رواية عبد الله بن أبي أوفى .

رواه البخاري [٣١٥٥] ومسلم [١٩٤٠] وروى من حديث أنس وابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم .

عن أبيه قال أتانا نَهْيُ رسولِ الله ﷺ عن أكلِ لحُومِ الحُمُرِ الإنسيّةِ والقُدُورُ تَفُورُ يعني بها ، فَكَفَأْناها على وُجُوهِها

قال ابنُ إسحاقَ (١) : وحَدّثني عبدُ الله بنُ أبي نَجيح ، عن مَكْحُولٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ نَهاهم يومَئذٍ عن أربَعٍ عن إتْيانِ الحَبالى من السّبايا ، وعن أكْلِ الحِمارِ الأهليّ وعن أكْلِ كُلّ ذي نابٍ من السّباعِ وعن بَيْعِ المغَانِمِ حتى تُقْسَمَ .

قال ابنُ إسحاقَ (٢) :

وحَدّثني سَلاّمُ بنُ كِرْكِرَةَ عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله الأنصاريّ ولَم يَشْهَدْ جابرٌ خَيْبَرَ : أنّ رسولَ الله ﷺ حينَ نَهَى النّاسَ عن أكْلِ لحُومِ الحُمُرِ أذِنَ لهم في [أكْلِ]لحُومِ الخَيْلِ .

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : وحَدّثني يَزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ ، عن أبي مَرزُوقٍ مَوْلَى تُجيبَ ، عن حَنَشٍ الصّنعانيّ قال غَزَوْنا مع رُوَيْفِعِ بنِ ثابتٍ الأنصاريّ [المغْرِبَ] فافْتَتَحَ قَرْيَةً من قُرَى المغْرِبِ يُقالُ لها جِرْبَةٌ فَقامَ فينا خَطيبًا ، فَقال يَأيّها النّاسُ إنّي لا أقُولُ فيكُم إلاّ ما سَمِعْتُ من رسولِ الله ﷺ [يقوله فينا يومَ خَيْبَرَ ، قامَ فينا رسولُ الله ﷺ] فَقال لا يَحِلّ لامرئٍ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يَسْقِيَ ماؤُه زَرْعَ غَيْرِه يَعْني إتْيانَ الحَبالى من السّبايا ، ولا يَحِلّ لامرئٍ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن يُصيبَ امرأةً من السّبْيِ حتى يَسْتَبْرِئَها ، ولا يَحِلّ لامرئٍ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ أن

---

(١) حسن بشواهده : سند ابن إسحاق مرسل . والحديث وصله ابن أبي شيبة [٢٤/٨] من رواية أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم - يعني ابن محمد - ومكحول عن أبي أمامة . نحوه . وسنده صحيح . ورواه أيضًا الطبراني في الكبير [٧٥٩٣] من نفس الطريق .

(٢) متفق عليه : سند ابن أبي إسحاق فيه ابن كركره : ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ولم يذكر فيه شيئًا وأسقط من سنده محمد بن علي .

والحديث رواه البخاري [٤٢١٩] ومسلم [١٩٤١] من رواية عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر .

(٣) حسن : رواه أحمد [١٠٨/٤ ، ١٠٩] وابن أبي شيبة [٥٢٣/٨] وسعيد منصور [٢٧٢٢] وأبو داود [٢١٥٨ ، ٢١٥٩] والدارمي [٢٣٠/٢] والطبراني في الكبير [٤٤٨٢ ، ٤٤٨٥] . كلهم من طريق ابن إسحاق .

وهذا سند حسن : رواه الترمذي [١١٣١] وابن حبان [٤٨٥٠] والبيهقي [٦٢/٩] وغيرهم ، من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن أبي مرزوق - ربيعة بن سليم عن حنش وهو بسر بن عبيد الله عن رويفع ابن ثابت . قال الترمذي : حسن .

وروى من طريق ابن لهيعه عن الحارث بن يزيد عن حنش به . رواه أحمد [١٠٨/٤] والطبراني [٤٤٨٨] . وقد روى من طرق أخرى عن رويفع .

يَبيعَ مَغْنَمًا حتى يَقْسِمَ ولا يَحِلّ لامرئٍ يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ أن يَرْكَبَ دابّةً من فَيْءِ المُسْلِمينَ حتى إذا أعْجَفَها رَدّها فيه ولا يَحِلّ لامرئٍ يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ أن يَلْبَسَ ثَوْبًا من فَيْءِ المُسْلِمينَ حتى إذا أخْلَقَه رَدّه فيه [٥٣/ب] .

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : وحَدّثني يَزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ قُسَيْطٍ أنه حُدّثَ عن عُبادَةَ بنِ الصامِتِ ، قال نَهانا رسولُ الله ﷺ يومَ خَيْبَرَ عن أن نَبيعَ أو نَبْتاعَ تِبْرَ الذّهَبِ بالذّهَبِ العَيْنِ وتِبْرَ الفِضّةِ بالوَرِقِ العَيْنِ وقال : ابْتاعُوا تِبْرَ الذّهَبِ بالوَرِقِ العَيْنِ ، وتِبْرَ الفِضّةِ بالذّهَبِ العَيْنِ

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ جَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَتَدَنّى الحُصُونَ والأموالَ .

[شأنُ بني سَهْمٍ الأسلَمِيّينَ] :

فَحَدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنه حَدّثه بَعْضُ أسْلَمَ [(٢)] : أنّ بني سَهْمٍ من أسْلَمَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ فَقالُوا : والله يا رسولَ الله لَقد جَهَدْنا وما بأيْدينا من شيءٍ فَلَم يَجِدُوا عند رسولِ الله ﷺ شيئًا يُعْطيهم إيّاه فَقال : اللّهمّ إنّك قد عَرَفْتَ حالهم وأن ليستْ بِهم قُوّةٌ وأن ليس بيَدي شيءٌ أُعْطيهم إيّاه فافْتَحْ عليهم أعْظَمَ حُصُونِها عنهم غَناءً وأكْثَرَها طَعامًا ووَدَكًا ، فَغَدا النّاسُ فَفَتَحَ الله - عَزّ وجَلّ - عليهم حِصْنَ الصّعْبِ بنِ مُعاذٍ ، وما بخَيْبَرَ حِصْنٌ كان أكْثَرَ طَعامًا ووَدَكًا مِنه .

قال ابنُ إسحاقَ : ولَمّا افْتَتَحَ رسولُ الله ﷺ من حُصُونِهم ما افْتَتَحَ وحازَ من الأموالِ ما حازَ انْتَهَوْا إلى حِصْنَيْهِم الوَطيحِ والسّلالِمِ ، وكانَا آخِرَ حُصُونِ أهلِ خَيْبَرَ افْتِتاحًا ، فَحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قال ابنُ هشام : وكان شِعارُ أصحابِ الرّسُولِ ﷺ يومَ خَيْبَرَ : يا مَنْصُورُ ، أمِتْ أمِتْ [(٣)] .

قال ابنُ إسحاقَ [(٤)] : فَحَدّثني عبدُ الله بنُ سَهْلِ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ سَهْلٍ أخُو بني حارِثَةَ ،

---

(١) صحيح بمعناه : سند ابن إسحاق منقطع بين يزيد بن قسيط وعبادة بن الصامت فعبادة رضي الله عنه مات ويزيد بن قسيط عمره سنتان أو ثلاث . والحديث بمعناه في صحيح مسلم من حديث عبادة . مسلم [١٥٨٧] وأبو داود [٣٣٤٩] والترمذي [١٢٤٠] . ومن حديث فضاله بن عبيد وأن ذلك كان في خيبر . رواه مسلم [١٥٩١] وأبو داود [٣٣٥١] والترمذي [١٢٥٥] .

(٢) مرسل قوي : رواه الطبري في التاريخ [١٣٥/٢] والبيهقي في الدلائل [٢٢٣/٤] قلت : فيه جهالة من حدَّث ابن أبي بكر فإن كانوا صحابة فالحديث حسن ، وإلا فالحديث مرسل ، والراجح أنهم تابعيون .

(٣) سبق تخريجه ص (٢٤٢) .

(٤) حسن الإسناد : رواه أحمد [٣٨٥/٣] والطبراني في التاريخ [١٣٥/٢] والحاكم [٤٣٦/٣] والبيهقي دلائل [٢١٥/٤ - ٢١٦] وأبو يعلي [١٨٦١] كلهم من طريق ابن إسحاق ، وهذا إسناد حسن . وقد اختلف في قائل مرحب من هو ، ففي حديث جابر هذا أنه محمد بن مسلمة ، وفي صحيح مسلم من حديث سلمة ابن الأكوع أنه قاتل مرحب هو على بن أبي طالب ، وسبق تخريج الحديث ؛ ولذا قال الحاكم بعد إخراجه لحديث جابر : ....=

عن جابرِ بنِ عبدِ الله ، قال خَرَج مَرْحَبٌ اليَهُوديّ من حِصْنِهِم قد جَمَعَ سِلاحَه يَرْتَجِزُ وهو يقول :

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّي مَرْحَبُ شاكي السّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطْعَنُ أحيانًا وحينًا أضرِبُ إذا اللّيُوثُ أقْبَلَتْ تَحَـرَّبُ
إنّ حِمايَ لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ

وَهُوَ يقول : مَن يُبارِزُ ؟ فَأجابَه كَعْبُ بنُ مالكٍ ، فَقال

قـد عَلِمَـتْ خَيْبَرُ أنّي كَعْبُ مُفَرِّجُ الغَمّى جَـرِيءٌ صُلْبُ
إذْ شَبّتِ الحَرْبُ تَلَتْها الحَرْبُ مَعي حُسامٌ كالعَـقيقِ عَضْبُ
نَطَؤُكُم حتى يَـذِلّ الصَّـعْبُ نُعْطي الجَزاءَ أوْ يَفيءَ النّهْبُ
بِكَفّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابنُ هشام : أنْشَدَني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ :

قَـد عَلِمَـتْ خَـيْبَرُ أنّي كَعْبُ وَأنّني مَـتَى تُشَـبّ الحَـرْبُ
ماضٍ على الهَوْلِ جَريءٌ صُلْبُ مَعي حُسامٌ كالعَـقيقِ عَضْبُ
بِكَـفّ مـاضٍ ليس فيـه عَتْبُ نَدُكّكُمْ حتى يَـذِلّ الصَّـعْبُ

قال ابنُ هشام : ومَرْحَبٌ مِن حِمْيَرَ .

قال ابنُ إسحاقَ (١) : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ سَهْلٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله [الأنصاريّ] قال فَقال رسولُ الله ﷺ مَن لِهذا ؟ قال : مُحَمّدُ بنُ مَسْلَمَةَ أنا له يا رسولَ الله أنا والله المَوْتُورُ الثّائِرُ

= الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة ، أن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . قال النووي في شرح مسلم [١٢/٣٩١] في تعليقه على حديث سلمة قال : (هذا هو الأصح أن عليًا هو قاتل مرحب ، وقيل : إن قاتل مرحب هو محمد بن مسلمة ، قال ابن عبد البر في كتابه الدرر في مختصر السير : قال محمد بن إسحاق : إن محمد بن مسلمة هو قاتله ، قال : : وقال غيره : إنما كان قاتله علیا ، قال ابن عبد البر : هذا هو الصحيح عندنا ، ثم روى ذلك بإسناده عن سلمه وبريدة . قال ابن الأثير الصحيح الذي عليه أكثر أهل الحديث وأهل السير ، أن عليًا هو قاتله والله أعلم أ هـ .

قلت : وحديث بريدة أن عليا هو قاتل مرحب . رواه ابن أبي شيبة [٨/٥٢١] والحاكم [٣/٣٧] من رواية عوف وهو الأعرابي عن ميمون أبي عبد الله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه . وهذا سند حسن . ورواه الطبري في التاريخ [٢/١٣٦] بنفس السند وفي [٢/١٣٧] من طريق آخر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه .

(١) مثل سابقه .

قُتِلَ أخي بالأمسِ فقال فَقُم إليْه اللهمّ أعِنه عليه .

قال فَلَمّا دَنا أحَدُهما من صاحِبه دَخَلَتْ بَيْنَهما شَجَرَةٌ عُمْرِيّةٌ من شَجَرِ العُشَرِ فَجَعَلَ أحَدُهما يَلُوذُ بِها من صاحِبه كَلّما لاذَ بِها مِنه اقْتَطَعَ صاحِبُه بِسَيْفِه ما دُونَه منها ، حتى بَرَزَ كُلّ واحِدٍ منهما لِصاحِبه وصارَتْ بَيْنَهما كالرّجُلِ القائم ما فيها فَنَنٌ ثُمّ حَمَلَ مَرْحَبٌ على مُحَمّدِ بنِ مَسْلَمَةَ فَضَرَبَه فاتّقاه بالدّرَقَةِ فَوَقَعَ سَيْفُه فيها ، فَعَضّتْ به فأمسَكَتْه وضَرَبَه مُحَمّدُ بنُ مَسْلَمَةَ حتى قَتَلَه .

[مَقْتَلُ ياسرٍ أخي مَرْحَبٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ [1] : ثُمّ خَرَجَ بعد مَرْحَبٍ [٥٤/أ] أخُوه ياسِرٌ وهو يقول مَن يُبارِزُ ؟ فَزَعَمَ هشامُ بنُ عُرْوَةَ أنّ الزّبَيْرَ بنَ العَوّامِ خَرَجَ إلى ياسِرٍ فقالتْ أُمّه صَفيّةُ بِنْتُ عبدِ المُطّلِبِ : يَقْتُلُ ابني يا رسولَ الله قال : «**بَلِ ابنُكِ يَقْتُلُه إن شاءَ الله**» فخَرَجَ الزّبَيْرُ فالتَقَيا ، فَقَتَلَه الزّبَيْرُ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني هشامُ بنُ عُرْوَةَ : أنّ الزّبَيْرَ كان إذا قِيلَ له والله إن كان سَيْفُك يومَئِذٍ لَصارِمًا عَضْبًا ، قال والله ما كان صارِمًا ، ولَكِنّي أكْرَهْتُه .

[شَأنُ عَليّ يومَ خَيْبَرَ]

قال ابنُ إسحاقَ [2] : وحَدّثَني بُرَيْدَةُ بنُ سُفيانَ بنِ فَرْوَةَ الأسْلَميّ ، عن أبيه سُفيانَ عن سَلَمَةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوَعِ ، قال بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أبا بَكْرٍ الصّدّيقَ - رَضيَ الله عنه - برايَتِه [وكانَتْ بَيْضاءَ فيما قال ابنُ هشام] إلى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ ، فَقاتَلَ فَرَجَعَ ولَم يَكُ فَتْحٌ وقد جَهَدَ ثُمّ بَعَثَ الغَدَ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ ، فَقاتَلَ ثُمّ رَجَعَ ولَم يَكُ فَتْحٌ وقد جَهَدَ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**لأُعْطِيَن الرّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبّ اللهَ ورسولَه يَفْتَحُ الله على يَدَيْه ليس بِفَرّارٍ**»

قال : يقول سَلَمَةُ فَدَعا رسولُ الله ﷺ عَليّا - رِضْوانُ الله عليه - وهو أرْمَدُ فتَفَلَ في عَيْنِه ثُمّ قال : «**خُذْ هذه الرّايَةَ فامضِ بِها حتى يَفْتَحَ الله عَلَيْك**» قال : يقول سَلَمَةُ : فخَرَجَ والله بِها

---

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٣٦/٢] والبيهقي دلائل [٢١٧/٤] عن ابن إسحاق . وهشام لا يدرك القصة وهو أعلم بحديث جده وسيرته .

(٢) حسن بشواهده : رواه البيهقي [٢٠٩/٤] والطبراني في الكبير [٦٣٠٣] من طريق ابن إسحاق ، وهذا سند ضعيف ، بريدة بن سفيان : ضعيف ، وأبوه لم يذكر فيه شيء . وللحديث شاهد من حديث بريدة . رواه ابن أبي شيبة [٥٢١/٨] والحاكم [٣٧/٣] والطبري في التاريخ [١٣٦/٢ - ١٣٧] والبيهقي في الدلائل [٢١٠/٤ - ٢١١] من طريقين إلى عبد الله بن بريدة عن أبيه ، وسنده صحيح . وله شاهد من حديث علي ، رواه أحمد [١٣٣/٩٩/١] وابن أبي شيبة [٥٢٢/٨] والبيهقي في الدلائل [٢١٣/٤] والبزار في كشف الأستار [١٩٢/٣] من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو ، والحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي ، وسنده ضعيف لضعف ابن أبي ليلى الأصغر . ورواه الطبراني في الأوسط كما عزاه إليه الهيثمي ، وهو في مجمع البحرين [٣٧٠٣] من طريق أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . قال الهيثمي : إسناده حسن . المجمع [١٢٢/٩] .

يأَخُ يُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً وإنا لَخَلْفَه نَتْبعُ أثرَه حتى رَكَزَ رايَتَه في رَضْمٍ من حِجارةٍ تَحتَ الحِصْنِ فاطَّلعَ إليْه يَهوديّ من رأسِ الحِصْنِ فقال مَن أنتَ ؟ قال أنا عليّ بنُ أبي طالبٍ . قال يقول اليَهوديّ : عَلَوْتُم وما أُنزِلَ على مُوسَى ، أوْ كما قال . قال فما رَجَعَ حتى فَتَحَ الله على يَدَيْه .

قال ابنُ إسحاقَ [١] : حدثني عبد الله بنُ الحَسَنِ عن بَعْضِ أهلِه عن أبي رافعٍ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ قال خَرَجْنا مع عليّ [بنِ أبي طالبٍ - رَضيَ الله تَعالى عنه -] حينَ بَعَثَه رسولُ الله ﷺ برايَتِه فلَمّا دَنا من الحِصْنِ خَرَجَ إليْه أهلُه فقاتَلهم فضَرَبَه رَجُلٌ من يَهودَ فَطاحَ تُرسُه من يَدِه فتَناوَلَ عليّ - عليه السلامُ - بابًا كان عند الحِصْنِ فتَتَرّسَ به عن نَفْسِه فلَم يَزَلْ في يَدِه وهو يُقاتِلُ حتى فَتَحَ الله عليه ثُمَّ ألقاه من يَدِه حينَ فَرَغَ فلَقد رَأيْتني في نَفَرٍ سَبْعَةٍ مَعي ، أنا ثامِنُهم نَجْهَدُ على أن نَقْلِبَ ذلك البابَ فما نُقَلّبُه .

[أمرُ أبي اليَسَرِ كَعْبَ بنَ عمرٍو] :

قال ابنُ إسحاقَ [٢] : وحَدّثني بُرَيْدَةُ بنُ سُفْيانَ الأسْلَميّ ، عن بَعْضِ رِجالِ بني سَلِمَةَ عن أبي اليَسَرِ كَعْبِ بنِ عمرٍو ، قال والله إنّا لَمَعَ رسولِ الله ﷺ بخَيْبَرَ ذات عَشيّةٍ إذْ أقْبَلَتْ غَنَمٌ لرَجُلٍ من يَهودَ تُريدُ حِصْنَهم ونحن مُحاصِرُوهم .

فقال رسولُ الله ﷺ : مَن رَجُلٌ يُطْعِمُنا من هذه الغَنَم ؟ قال أبو اليَسَرِ فقُلْت : أنا يا رسولَ الله قال فافْعَلْ قال فخَرَجْت أشْتَدّ مِثْلَ الظّليمِ فلَمّا نَظَرَ إليّ رسولُ الله ﷺ مُوَلّيًا قال اللّهمّ أمتِعْنا به قال : فأدْرَكْتُ الغَنَمَ وقد دَخَلَتْ أُولاها الحِصْنَ فأخَذْت شاتَيْنِ من أُخْراها ، فاحْتَضَنْتهما تَحتَ يَدَيّ ثُمّ أقْبَلْت بِهِما أشْتَدّ،كأنّه ليس مَعي شيءٌ حتى ألْقَيْتهما عند رسولِ الله ﷺ فذَبَحُوهما فأكَلُوهما ، فكان أبو اليَسَرِ من آخِرِ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ هلاكًا فكان إذا حَدّثَ هذا الحَديثَ بَكَى ، ثُمّ قال أُمتِعُوا بي ، لَعمري ، حتى كُنت من آخِرِهم [هُلْكًا] .

[أمرُ صَفيّةَ أُمّ المؤْمِنينَ]

قال ابنُ إسحاقَ [٣] : ولَمّا افْتُتِحَ رسولُ الله ﷺ القَمُوصَ ، حِصْنُ بني أبي الحُقَيْقِ أُتيَ

---

(١) ضعيف : رواه الطبري في التاريخ [١٣٧/٢] والبيهقي في الدلائل [٢١٢/٤] من طريق ابن إسحاق وفي سنده جهالة . وهم بعض أهل عبد الله بن الحسن . وله شاهد من حديث جابر . رواه البيهقي في الدلائل [٢١٢/٤] وفي سنده ليث بن أبي سليم .

(٢) ضعيف : رواه أحمد [٤٢٧/٣] والطبراني في الأوسط ، كما عزاه الهيثمي في المجمع [١٤٩/٦] من طريق ابن إسحاق ، وهذا سند ضعيف لضعف بريدة بن سفيان وجهالة شيوخه .

(٣) رواه ابن إسحاق بلاغا ، والحديث بشواهده حسن : رواه الطبري في التاريخ [١٣٧/٢ - ١٣٨] هكذا عن ابن إسحاق بغير سند . قلت : وهذا روي من حديث ابن عمر ، رواه أبو داود في السنن [٣٠٠٦] ....=

رسولُ الله ﷺ بِصَفيّةَ بِنْتِ حُيَيّ بن أخطَب ، وبأُخرَى معَها ، فَمَرّ بِهِما بلالٌ وهو الذي جاءَ بِهما على قَتْلَى من قَتْلَى يَهُودَ فَلَمّا رَأَتْهم التي مع صَفيّةَ صاحَتْ . وصَكّتْ وجْهَها وحَثَتِ التّرابَ على رَأسِها ، فَلَمّا رَآها رسولُ الله ﷺ قال : «**أعْزِبوا عَنّي هذه الشّيْطانَةَ**» وَأمَرَ بِصَفيّةَ فَحِيزَتْ خَلْفَه . وألقَى عليها رِداءَه فَعَرَفَ [٥٤/ب]المُسْلِمُونَ أنّ رسولَ الله ﷺ قد اصْطَفاها لِنَفْسِه .

فَقال رسولُ الله ﷺ لِبِلالٍ فيما بَلَغَني ، حينَ رَأى بِتِلْكَ اليَهُوديّةِ ما رَأى : «**أنُزِعَتْ مِنك الرّحْمَةُ يا بلالُ ، حينَ تَمُرّ بامرأتَيْنِ على قَتْلَى رِجالِهِما ؟**» وكانَتْ صَفيّةُ قد رَأَتْ في المَنامِ وهِيَ عَرُوسٌ بِكِنانَةَ بنِ الرّبيع بن أبي الحُقَيْقِ أنّ قَمَرًا وقَع في حِجْرِها . فَعَرَضَتْ رُؤْياها على زَوْجِها ؟ فَقال ما هذا إلاّ أنّك تَمَنّيْنَ مُلْكَ الحِجازِ مُحَمّدًا ، فَلَطَمَ وجْهَها لَطْمَةً خَضَرَ عَيْنَها منها . فَأُتِيَ بِها رسولُ الله ﷺ وبِها أثَرٌ مِنه فَسَألَها ما هُوَ ؟ فَأخْبَرَتْه هذا الخَبَرَ .

[بقية أمر خيبر]

وَأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بِكِنانَةَ بنِ الرّبيعِ وكان عنده كَنْزُ بني النّضيرِ فَسَألَه عنه . فَجَحَدَ أن يَكُونَ يَعْرِفُ مَكانَه فَأتَى رسولَ الله ﷺ رَجُلٌ من يَهُودَ فَقال لِرسولِ الله ﷺ : إنّي رَأيتُ كِنانَةَ يُطِيفُ بِهذه الخَرِبَةِ كُلّ غَداةٍ فَقال رسولُ الله ﷺ لِكِنانَةَ : «**أرأيْتَ إن وجَدْناه عندك ، أأقْتُلُكَ ؟**» قال : نَعم .

فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالخَرِبَةِ فَحُفِرَتْ فَأخْرَجَ منها بَعْضَ كَنْزِهِم ثُمّ سَألَه عمّا بَقِيَ فَأبَى أن يُؤَدّيَه فَأمَرَ به رسولُ الله ﷺ الزّبَيْرَ بنَ العَوّام ، فَقال عَذّبْه حتى تَسْتَأصِل ما عنده فكان الزّبَيْرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ في صَدْرِه حتى أشْرَفَ على نَفْسِه ثُمّ دَفَعَه رسولُ الله ﷺ إلى مُحَمّد بن مَسْلَمَةَ فَضَرَبَ عُنُقَه بِأخيه مَحْمُودِ بن مَسْلَمَةَ .

وَحاصَرَ رسولُ الله ﷺ أهلَ خَيْبَرَ في حِصْنَيْهِم الوَطيحِ والسّلالِمِ ، حتى إذا أيْقَنُوا بالهَلَكَةِ سَألُوه أن يُسَيّرَهم وأن يَحْقِنَ لهم دِماءَهم فَفَعَلَ . وكان رسولُ الله ﷺ قد حازَ الأموالَ كُلّها : الشّقّ ونَطاةَ والكَتيبَةَ وجَميعَ حُصُونِهِم إلاّ ما كان من ذَيْنِك الحِصْنَيْنِ .

= والبيهقي في الدلائل [٤/٢٢٩ - ٢٣١] ، وأشار إليه البخاري في صحيحه قال : رواه حماد بن سلمة وروى جزءًا منه من طريق مالك في الشروط . حديث [٢٧٣٠] ورواه مطولا ابن حبان في الموارد [١٦٩٧] كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، وهذا إسناد حسن . وله شواهد في الصحيح لمقاطع منه . البخاري [٣٢٨] ومسلم [١٥٥١] .

ورواه موسى بن عقبة في المغازي [ص ٢٥٠] من مرسل عروة ، ورواه من طريقه البيهقي في الدلائل [٤/٢٣١ - ٢٣٤] .

فَلَمّا سَمِعَ بِهِم أهلُ فَدَكَ قد صَنَعُوا ما صَنَعُوا ، بَعَثُوا إلى رسولِ الله ﷺ يَسْأَلُونَه أن يُسَيِّرَهم وأنْ يَحْقِنَ دِماءَهم ويُخَلُّوا له الأموال فَفَعَلَ . وكان فِيمَن مَشَى بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَهم في ذلك مُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودٍ ، أخُو بني حارِثَةَ فَلَمّا نَزَلَ أهلُ خَيْبَرَ على ذلك سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أن يُعامِلَهم في الأموالِ على النّصْفِ وقالُوا : نحن أعْلَمُ بِها مِنكُم وأعْمَرُ لها ؛ فَصالَحَهم رسولُ الله ﷺ على النّصْفِ على أنّا إذا شِئْنا أن نُخْرِجَكُم أخْرَجْناكُم فَصالَحَه أهلُ فَدَكَ على مِثْلِ ذلك فَكانَتْ خَيْبَرُ فَيْئًا بَيْنَ المُسْلِمِينَ وكانَتْ فَدَكُ خالِصةً لِرسولِ الله ﷺ ، لأنّهم لَم يَجْلِبُوا عليها بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ .

[أمرُ الشّاةِ المَسْمُومَةِ] :

فَلَمّا اطْمَأَنّ رسولُ الله ﷺ أهدَتْ له زَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ ، امرَأةُ سَلاّمِ بنِ مِشْكَمٍ ، شاةً مَصْلِيّةً (*) وقد سَأَلَتْ أيَّ عُضْوٍ مِن الشّاةِ أحَبّ إلى رسولِ الله ﷺ ؟ فَقِيلَ لها : الذّراعُ فأكْثَرَتْ فيها من السّمّ ثُمّ سَمّتْ سائِرَ الشّاةِ ثُمّ جاءَتْ بها ؛ فَلَمّا وضَعَتْها بَيْنَ يَدَيْ رسولِ الله ﷺ تَناوَلَ الذّراعَ فَلاكَ منها مُضْغَةً فَلَم يُسِغْها ، ومَعَه بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورٍ ، قد أخَذَ منها كَما أخَذَ رسولُ الله ﷺ .

فأمّا بِشْرٌ فأساغَها ؛ وأمّا رسولُ الله ﷺ فَلَفَظَها ، ثُمّ قال : **«إنّ هذا العَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أنّه مَسْمُومٌ»** ثُمّ دَعا بِها ، فاعْتَرَفَتْ [٥٥/أ] فَقال : **«ما حَمَلَكِ على ذَلِكِ ؟»** قال بَلَغْتَ من قَوْمِي ما لَم يَخْفَ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : **«إن كان مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنه وإن كان نَبِيّا فَسَيُخْبَرُ»** قال : فَتَجاوَزَ عنها رسولُ الله ﷺ وماتَ بِشْرٌ من أكْلَتِه التي أكَلَ (٢) .

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : وحَدّثَنِي مَرْوانُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي سَعِيدِ بنِ المُعَلّى ، قال كان

(*) مصلية : مشوية .

(٢) قصة الشاة المسمومة متفق عليه : رواها البخاري [٢٦١٧] ومسلم [٢١٩٠] من حديث أنس ، ومن حديث أبي هريرة رواه البخاري [٥٧٧٧] .

(٣) مرسل : سند ابن إسحاق مرسل ضعيف ، مروان بن عثمان ضعيف ، والحديث صح من رواية أم المؤمنين عائشة علقه البخاري في صحيحه [٤٤٢٨] وأحمد [١٨/٦] .

قال الحافظ في الفتح : وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبسة بن سعيد عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة . وقال البزار : تفرد به عنبسة عن يونس أي بوصله ، وإلا فقد رواه موسى ابن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله ، وله شاهدان مرسلان أيضًا أخرجهما إبراهيم الحربي . قال في تغليق التعليق [١٦٣/٤] :

قال إبراهيم الحربي في غريب الحديث : ثنا شريح بن النعمان ثنا عبد العزيز ابن محمد أنا عمرو بن أبي عمرو عن أبي رومان عن النبي نحوه . ورواه أيضًا عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن العلاء ، عن محمد بن علي عن ....=

رسولُ الله ﷺ قد قال في مَرَضِه الذي تُوُفِّيَ فيه ودَخَلَتْ أُمّ بِشْرٍ بِنْتُ البَرَاءِ بن مَعْرُورٍ تَعُودُه : «يا أُمَّ بِشْرٍ إنّ هذا الأوانَ وجَدْتُ فيه انقِطاعَ أَبْهَرِي من الأَكْلَةِ التي أَكَلْتُ مع أخيك بِخَيْبَرَ» قال : فإن كان المُسلِمُونَ لَيَرَوْنَ أنّ رسولَ الله ﷺ ماتَ شَهِيدًا ، مع ما أَكْرَمَه الله به من النُّبوّةِ.

[رُجوعُ الرّسُولِ إلى المَدِينَةِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : فلَمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من خَيْبَرَ انصَرَفَ إلى وادي القُرَى، فحاصَرَ أهلَها لَيالِيَ ثُمّ انصَرَفَ راجعًا إلى المَدِينَةِ.

[مَقْتَلُ غُلامِ رِفاعَةَ الذي أهداه لِلرّسُولِ] :

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : فحَدّثني ثُورُ بنُ زَيْدٍ عن سالِمٍ مَوْلَى عبدِ الله بنِ مُطيعٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال فلَمّا انصَرَفْنا مع رسولِ الله ﷺ عن خَيْبَرَ إلى وادي القُرَى نَزَلْنا بها أصيلاً مع مَغْرِبِ الشّمسِ ومَعَ رسولِ الله ﷺ غُلامٌ له أهداه له رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ الجُذاميّ ، ثُمّ الضّبَيْ .

قال ابنُ هشام : جُذامٌ ، أخُو لَخْمٍ . قال فوالله إنّه لَيَضَعُ رَحْلَ رسولِ الله ﷺ إذْ أتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فأصابَه فقَتَلَه فقُلْنا : هَنِيئًا له الجَنّةُ فقال رسولُ الله ﷺ : كَلاّ ، والذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِه إنّ شَمْلَتَه الآنَ لَتَحْتَرِقُ عليه في النّارِ كان غَلّها من فَيْءِ المُسْلِمِينَ يومَ خَيْبَرَ قال فسَمِعَها رَجُلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فأتاه فقال يا رسولَ الله أصَبْتُ شِراكَيْنِ لِنَعْلَيْنِ لي ؛ قال فقال يُقَدّ لك مِثْلُهما من النّارِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني مَن لا أَتّهِمُ عن عبدِ الله بنِ مُغَفّلٍ المُزَنِيّ ، قال أصَبْتُ من فَيْءِ خَيْبَرَ جِرابَ شَحْمٍ فاحتَمَلْتُه على عاتِقِي إلى رَحْلِي وأصحابِي . قال فلَقِيَني صاحِبُ المَغانِمِ الذي جُعِلَ عليها ، فأَخَذَ بناحيَتِه وقال هَلُمّ هذا حتى نَقْسِمُه بَيْنَ المُسْلِمِينَ قال قلت : لا والله لا أُعْطِيكَه قال فجَعَلَ يُجابِذُني الجِرابَ .

قال : فرآنا رسولُ الله ﷺ ونحن نَصْنَعُ ذلك . قال فتَبَسّمَ رسولُ الله ﷺ ضاحِكًا ، ثُمّ قال لِصاحِبِ المَغانِمِ : «لا أبا لَك ، خَلِّ بَيْنَه وبَيْنَه» قال فأرسَلَه فانطَلَقْتُ به إلى رَحْلِي وأصحابِي ،

= النبي ﷺ نحوه . قلت : وله شاهد من حديث أم بشر بن البراء . رواه الحاكم [٢٠٩/٣] نحوه وقال : صحيح على شرط الشيخين . ووافقه الذهبي .

(١) متفق عليه وسند ابن إسحاق حسن : ورواه البخاري [٦٧٠٧] ومسلم [١١٥] بلفظ قريب ، وفيه تسمية الغلام : مدعم .

فأَكَلْناه [١] .

[بناءُ الرّسول بصفيّة وحراسةُ أبي أيّوب للقُبّة]

قال ابنُ إسحاق [٢] : ولَمّا أعْرَسَ رسولُ الله ﷺ بصَفيّةَ . بخَيْبَرَ أوْ ببَعْضِ الطّريقِ وكانَتِ التي جَمّلَتْها لِرسولِ الله ﷺ ومَشّطَتْها وأصْلَحَتْ من أمرِها أُمّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحانَ أُمّ أنَسِ بنِ مالِكٍ . فَباتَ بِها رسولُ الله ﷺ في قُبّةٍ له .

وباتَ أبو أيّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدٍ ، أخُو بني النّجّارِ مُتَوَشّحًا سَيْفَه يَحْرس رسولَ الله ﷺ ويُطيفُ بِالقُبّةِ حتى أصْبَحَ رسولُ الله ﷺ فَلَمّا رَأى مَكانَه قال : «**ما لَكَ يا أبا أيّوبَ ؟**» قال : يا رسولَ الله خِفْت عَلَيْك من هذه المَرْأةِ وكانَتِ امرَأةً قد قَتَلْتَ أباها وزَوْجَها وقَوْمَها ، وكانَتْ حَديثَةَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ فَخِفْتها عَلَيْك . فَزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ ، قال : اللّهمّ **احْفَظْ أبا أيّوبَ كَما باتَ يَحْفَظُني**»

[تطَوّعُ بِلالٍ لِلحِراسَةِ وغَلَبةُ النّوْمُ عليه] :

قال ابنُ إسحاق : وحَدّثَني الزّهْريّ ، عن سَعيدِ بنِ المُسَيّبِ ، قال [٣] : لَمّا انْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ من خَيْبَرَ وَكان ببَعْضِ الطّريقِ قال من آخِرِ اللّيْلِ مَن «**رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنا الفَجْرَ لَعَلّنا نَنام**» قال بِلالٌ : أنا يا رسولَ الله أحْفَظُه عَلَيْك . فَنَزَلَ رسولُ الله ﷺ ونَزَلَ النّاسُ فَنامُوا ، وقامَ بِلالٌ يُصَلّي ، فَصَلّى ما شاءَ الله - عَزّ وجَلّ - أن يُصَلّيَ . ثُمّ اسْتَنَدَ إلى بَعيرِهِ .

---

(١) متفق عليه بمعناه : سند ابن إسحاق ضعيف لجهالة شيخه ، ورواه البخاري [٤٢١٤] ومسلم [١٧٧٢] بلفظ «أصبت جرابًا من شحم يوم خيبر قال : فالتزمته . فقلت : لا أعطي اليوم أحدًا من هذا شيئًا . قال : فالتفت فإذا رسول الله ﷺ متبسمًا» .

(٢) حسن بشواهده : لم يسنده ابن إسحاق ، وفي حديث أنس أن النبي ﷺ دفعها إلى أم سليم تمشطها . رواه مسلم في صحيحه [١٣٦٥] وابن سعد في الطبقات [٩٧/٨] أما قصة حراسة أبي أيوب النبي ﷺ ليلة بنائه بها فقد رويت من حديث أبي هريرة . رواها ابن سعد في الطبقات [٩٩/٨] والحاكم [٢٨/٤ - ٢٩] من رواية كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة . وكثير متكلم فيه . قال ابن عدي في الكامل . لا بأس به وقال الحافظ صدوق يخطئ . ومن حديث ابن عباس : رواه ابن سعد في الطبقات [٨٩/٢] من رواية ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عنه . وابن أبي ليلى ضعيف ، ورواية الحكم عن مقسم متكلم فيها . ومن مرسل عروة : رواه موسى بن عقبة في مغازيه [٢٥١] والبيهقي [٢٣٣/٤] . قلت : فالحديث بهذه الشواهد يحسن والله أعلم .

(٣) صحيح : سند ابن إسحاق مرسل . رواه عبد الرزاق في المصنف [٢٢٣٧] والطبري في التاريخ [١٣٩/٢] ومالك في الموطأ باب النوم عن الصلاة مرسلاً [١٣/١] ووصله من رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة : مسلم [٦٨٠] وأبو داود [٤٣٥] وابن ماجه [٦٩٦] والترمذي [٣١٦٣] رواه مسلم [٦٨١] والنسائي [٢٩٨/١] من طريق أبي حازم عن أبي هريرة ، ومتفق عليه من حديث عمران بن حصين نحوه . رواه البخاري [٣٥٧١] ومسلم [٦٨٣] .

واستَقْبَلَ الفَجْرَ يَرْمُقُه فَغَلَبَتْه عَيْنُه فَنامَ فَلَم يُوقِظْهم إلاّ مَسّ الشمسِ .

وَكان رسولُ الله ﷺ أوّلَ أصحابه هَبّ فَقال : «**ماذا صَنَعتَ بِنا يا بِلالُ ؟**» قال يا رسولَ الله أخَذَ بِنَفْسي الذي أخَذَ بِنَفْسِك ، قال : «**صَدَقْتَ**» ثُمّ اقْتادَ رسولُ الله ﷺ بَعيرَه غَيْرَ كَثيرٍ ثُمّ أناخَ فَتَوَضّأ وتَوَضّأ [٥٥/ب] النّاسُ ثُمّ أمَرَ بِلالاً فَأقامَ الصَلاةَ فَصَلّى [رسولُ الله ﷺ] بِالنّاسِ فَلَمّا سَلّمَ أقْبَلَ على النّاسِ فَقال : «**إذا نَسيتُم الصَلاةَ فَصَلّوها إذا ذَكَرْتُمُوها ، فَإنّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى يقول : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾**»

شعرُ ابن لُقَيم في فَتح خَيْبَرَ :

قال حدثنا ابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق قال [1] :- وكان رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني ، قد أعْطَى ابنَ لُقَيمٍ العَبْسيّ حينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ ، ما بِها من دَجاجَةٍ أوْ داجِنٍ وكان فَتْحُ خَيْبَرَ في صَفَرٍ فَقال ابنُ لُقَيمٍ العَبْسيّ في خَيْبَرَ :

رُمِيَتْ نَطاةُ مِنَ الرّسُولِ بِفَيْلَقٍ ... شَهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقارِ
واسْتَيْقَنَتْ بِالذّلّ لَمّا شُيّعَتْ ... وَرِجالُ أسْلَمَ وسْطَها وغِفارِ
صَبَحَتْ بني عَمرِو بنِ زُرْعَةَ غُدْوَةً ... والشّقّ أظْلَمَ أهلُه بِنَهارِ
جَرّتْ بِأبْطَحِها الذُيُولُ فَلَمْ تَدَعْ ... إلاّ الدّجاجَ تَصيحُ بالأسْحارِ
وَلِكُلّ حِصْنٍ شاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِم ... من عبدِ أشْهَلَ أوْ بني النّجّارِ
وَمُهاجِرينَ قَد اعْلَمُوا سِيماهُم ... فَوْقَ المَغافِرِ [2] لَمْ يَنُوا لِفِرارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَيَغْلِبَن مُحَمّدٌ ... وَلَيَثْوِيَن [3] بِها إلى أصْفارِ
فَرّتْ يَهُودٌ يَومَ ذلك في الوَغَى ... تَحْتَ العَجاجِ غَمائِمَ الأبْصارِ

قال ابنُ هشام : فَرّتْ كَشَفَتْ كَما تُفَرّ الدّابّةُ بِالكَشْفِ عن أسنانِها ، يُرِيدُ كَشَفَتْ عن جُفُونِ العُيُونِ غَمائِمَ الأبْصارِ يُرِيدُ الأنْصارَ .

[شُهُودُ النّساءِ خَيْبَرَ وحديثُ المَرْأةِ الغِفارِيّةِ] :

قال ابنُ إسحاق : وشَهِدَ خَيْبَرَ مع رسولِ الله ﷺ نِساءٌ من نِساءِ المُسْلِمينَ فَرَضَخَ (*) لَهُنّ

---

(١) ضعيف : لم يذكر ابن إسحاق إسناده .
(٢) المغافر : جمع مغفر وهو ما يكون على الرأس وقاية لها في الحرب .
(٣) ليثوين : ليقيمن . أصفار جمع صفر وهو أحد الشهور العربية .
(*) رضخ لهن : أعطاهن عطاءً يسيرًا لم يصل إلى نصيب السهم .

رسولُ الله ﷺ من الفَيْءِ ولمَ يَضرِبْ لهُنّ بسَهم .

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : حَدّثني سُلَيْمانُ بنُ سُحَيم عن أُمَيّةَ بنت أبي الصّلتِ ، عن امرأةٍ من بني غِفارٍ ، قد سَمّاها لي ، قالتْ أتَيْت رسولَ الله ﷺ في نِسْوَةٍ من بني غِفارٍ ، فَقُلْنا : يا رسولَ الله قد أرَدْنا أن نَخْرُجَ مَعَكَ إلى وجهِك هذا ، وهو يَسيرُ إلى خَيْبَرَ ، فنُداوي الجَرْحَى ، ونُعينُ المُسلِمينَ بما استَطَعْنا ؛ فقال على بَرَكَةِ الله . قالتْ فخَرَجنا مَعَه وكُنت جاريةً حَدَثَةً فأَرْدَفَني رسولُ الله ﷺ على حَقيبةِ رَحْلِه . قالتْ فواللهِ لنَزَلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصّبْحِ وأناخَ ونَزَلْت عن حَقيبَةِ رَحْلِه وإذا بها دَمٌ مِنّي ، وكانَتْ أولَ حَيْضَةٍ حِضْتَها ، قالتْ فَتَقَبّضتُ إلى النّاقَةِ واسْتَحْيَيْت ؛ فَلَمّا رَأى رسولُ الله ﷺ ما بي ورَأى الدّمَ قال : «**ما لكِ ؟ لَعَلّكِ نُفِسْتِ**» قالتْ : قلت : نَعم قال : «**فأَصْلِحي من نَفْسِك ، ثُمّ خُذي إناءً من ماءٍ فاطْرَحي فيه مِلْحًا ، ثُمّ اغسِلي به ما أصابَ الحَقيبَةَ من الدّمِ ثُمّ عُودي لمِرْكَبِك**» . قالتْ : فَلَمّا فَتَحَ رسولُ الله ﷺ خَيْبَرَ ، رَضَخَ لَنا من الفَيْءِ وأخَذَ هذه القِلادَةَ التي تَرَيْنَ في عُنُقي فأَعْطانيها ، وعَلّقَها بيَدِه في عُنُقي ، فَواللهِ لا تُفارِقُني أبَدًا . قالتْ : فكانَتْ في عُنُقِها حتى ماتَتْ ثُمّ أوْصَتْ أن تُدفَنَ مَعَها . قالتْ : وكانَتْ لا تَطَهّرَ من حَيْضَةٍ إلاّ جَعَلَتْ في طَهُورِها مِلْحًا ، وأوْصَتْ به أن يُجْعَلَ في غُسْلِها حينَ ماتَتْ .

[شُهداءُ خَيْبَرَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وهذه تَسميةُ مَن استُشْهِدَ بخَيْبَرَ من المُسلِمينَ من قُرَيْشٍ ، ثُمّ من بني أُمَيّةَ ابن عبدِ شَمسٍ ، ثُمّ من حُلَفائِهم رَبيعَةُ بنُ أكْثَمَ بنِ سَخْبَرَةَ بنِ عمرِو بنِ بُكَيْرِ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أسَدٍ ; وثَقيفُ بنُ عمرٍو ، ورِفاعَةُ ابنُ مَسْرُوحٍ .

وَمِن بني أسَدِ بنِ عبدِ العُزّى : عبدُ الله بنُ الهُبَيْبِ ، ويُقالُ ابنُ الهَبيبِ فيما قال ابنُ هشامٍ ، ابنُ أُهَيْبِ بنِ سُحَيْمِ بنِ غيرَةَ من بني سَعْدِ بنِ لَيْثٍ حَليفٌ لِبني أسَدٍ ، وابنُ أُخْتِهِم .

وَمِن الأنصارِ ثُمّ من بني سَلِمَةَ بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ ، ماتَ من الشّاةِ التي سُمّ فيها رسولُ الله ﷺ : وفُضَيْلُ بنُ النّعمانِ . رَجُلانِ .

وَمِن بني زُرَيْقٍ : مَسْعُودُ بنُ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ خَالَدَةَ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ .

ومِن الأوْسِ ثُمّ من بني عبدِ الأشْهَلِ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ بنِ خالِدِ بنِ عَديّ بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الحارِثِ ، حَليفٌ لهم من بني حارِثَةَ .

---

(١) ضعيف : رواه أحمد [٣٨٠/٦] وأبو داود [٣١٣] والبيهقي في سننه [٤٠٧/٢] رواه من طريق ابن إسحاق . وعلة هذا الحديث أمية بنت أبي الصلت . قال الحافظ : لا يعرف حالها .

ومن بني عمرو بن عَوْفٍ : أبو ضَيَّاحٍ حارثة بنُ ثابتٍ بنِ النعْمانِ بنِ أُمَيَّةَ ابنِ امرئِ القَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بن عمرو بنِ عَوْفٍ والحارثُ بنُ حاطِبٍ ؛ وعُرْوَةُ بنُ مُرَّةَ بنِ سُراقَةَ ؛ وأوْسُ بنُ القائدِ وأُنَيْفُ [٥٦/أ] بنُ حَبيبٍ وثابتُ بنُ أثْلَةَ ؛ وطَلْحَةُ .

ومن بني غفارٍ : عِمارَةُ بنُ عُقْبَةَ ، رُمِيَ بِسَهْمٍ

ومن أسلمَ : عامِرُ بنُ الأكْوَعِ ؛ والأسْوَدُ الراعي ، وكان اسْمُه أسْلَمَ .

قال ابنُ هشامٍ : الأسْوَدُ الراعي من أهلِ خَيْبَرَ .

وممن اسْتُشْهِدَ بِخَيْبَرَ فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزهْريّ ، من بني زُهْرَةَ مَسْعُودُ بنُ رَبيعَةَ ، حَليفٌ لهم من القارَةِ .

ومن الأنصارِ ثم من بني عمرِو بن عَوْفٍ أوْسُ بنُ قَتادَةَ .

[أمرُ الأسْوَد الراعي في حديث خَيْبَرَ]

قال ابنُ إسحاقَ : وكان من حَديثِ الأسْوَدِ الراعي ، فيما بَلَغَني [١] : أنه أتَى رسولَ الله ﷺ وهو مُحاصِرٌ لِبَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ ، ومَعَه غَنَمٌ له كان فيها أجيرًا لِرَجُلٍ من يَهُودَ فقال يا رسولَ الله : اعْرِضْ عَلَيَّ الإسلامَ فعَرَضَه عليه فأسْلَمَ - وكان رسولُ الله ﷺ لا يَحْقِرُ أحَدًا أن يَدْعُوَه إلى الإسلام ويَعْرِضَه عليه - فَلَمّا أسْلَمَ قال : يا رسولَ الله إني كُنْتُ أجيرًا لِصاحِبِ هذه الغَنَمِ وهيَ أمانَةٌ عِنْدي ، فكَيْفَ أصْنَعُ بها ؟ قال : «**اضْرِبْ في وُجُوهِها ، فإنها سَتَرْجِعُ إلى رَبِّها**» - أو كما قال - فقال الأسْوَدُ فأخَذَ حَفْنَةً من الحَصَى ، فرَمَى بها في وُجُوهِها ، وقال ارْجِعي إلى صاحِبِك ، فواللهِ لا أصْحَبُك أبدًا ، فخَرَجَتْ مُجْتَمِعَةً كأنّ سائقًا يَسُوقُها حتى دَخَلَتِ الحِصْنَ .

ثم تَقَدَّمَ إلى ذلك الحِصْنِ لِيُقاتِلَ مع المُسْلِمينَ فأصابَه حَجَرٌ فقَتَلَه وما صَلّى لله صَلاةً قَطّ ؛ فأُتِيَ به رسولُ الله ﷺ ، فوُضِعَ خَلْفَه وسُجِّيَ بِشَمْلَةٍ كانَتْ عليه . فالتَفَتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومَعَه نَفَرٌ من أصْحابه ثم أعْرَضَ عنه فقالُوا : يا رسولَ الله لِمَ أعْرَضْتَ عنه ؟ قال : «**إنّ مَعَه الآنَ زَوْجَتَيْه من الحُورِ العينِ**» .

---

(١) حسن بطرقه : لم يسنده ابن إسحاق . وروى من حديث جابر رواه الحاكم [١٣٦/٢] والبيهقي في الدلائل [٢٢١/٤] من رواية ابن وهب عن حيوة بن شريح عن ابن الهاد عن شرحبيل بن سعد عن جابر ابن عبد الله . قلت : في سنده شرحبيل بن سعد متكلم فيه . قال الدارقطني : ضعيف يكتب حديثه . وله شاهد من حديث أنس ، رواه البيهقي في الدلائل [٢٢١/٤] من رواية أبي الأزهر عن مؤمل بن إسماعيل عن حماد عن ثابت عن أنس وهذا سند ضعيف فيه مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ وله شاهد من مرسل عروة رواه البيهقي [٢١٩/٤] دلائل ، وموسى بن عقبة في مغازيه .

قال ابنُ إسحاقَ (١) : وأخبَرَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ أنه ذُكِرَ له أنّ الشّهيدَ إذا ما أُصيبَ نَزَلَتْ لَهُ زَوْجَتاه من الحُورِ العينِ عليه تَنْفُضانِ التّراب عن وجْهِه وتَقُولانِ تَرّبَ الله وجهَ مَن تَرّبَكَ ، وقَتَلَ مَن قَتَلَكَ .

[أمر الحجّاج بن علاط السلمي]

قال ابنُ إسحاقَ (٢) : ولَمّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ ، كَلّمَ رسولَ الله ﷺ الحَجّاجُ بنُ عِلاطٍ السّلَميّ ثُمّ البَهْزيّ ، فَقال يا رسولَ الله إنّ لي بِمَكّةَ مالاً عند صاحِبَتي أُمّ شيبَةَ بِنْتِ أبي طَلْحَةَ - وكانَتْ عنده له منها مُعْرِضُ بنِ الحَجّاجِ ومالاً مُتَفَرّقًا في تُجّارِ أهلِ مَكّةَ ، فَأْذَن لي يا رسولَ الله ، فَأَذِنَ له ، قال : إنّه لا بُدّ لي يا رسولَ الله من أن أَقُولَ قال : «قُلْ» .

قال الحجّاجُ : فَخَرَجْتُ حتى إذا قَدِمت مَكّةَ وجدت بِثَنِيّةِ البَيْضاءِ رِجالاً من قُرَيْشٍ يَتَسَمّعُونَ الأخبارَ ويَسْأَلُونَ عن أمرِ رسولِ الله ﷺ وقد بَلَغَهم أنّه قد سارَ إلى خَيْبَرَ ، وقد عَرَفُوا أنّها قَرْيَةُ الحِجازِ ، رِيفًا ومَنَعَةً ورِجالاً ، فَهم يَتَحَسّسُونَ الأخْبارَ ويَسْأَلُونَ الرّكْبانَ فَلَمّا رَأَوْني قالُوا : الحَجّاجُ بنُ عِلاطٍ - قال ولَمْ يَكُونُوا عَلِمُوا بِإسلامي عنده والله الخَبَرُ - أخبِرْنا يا أبا مُحمّدٍ . فإنّه قد بَلَغنا أنّ القاطِعَ قد سارَ إلى خَيْبَرَ ، وهِيَ بَلَدُ يَهُودَ ورِيفُ الحِجازِ .

قال قلت : قد بَلَغَني ذلك وعِندي من الخَبَرِ ما يَسُرّكُم قال فالتَبَطُوا بِجَنْبَيْ ناقَتي يقولونَ إيه يا حَجّاجُ قال قلت : هُزِمَ هَزِيمَةً لَمْ تَسمَعُوا بِمِثلِها قَطّ ، وقُتِلَوا أصحابُه قَتْلاً لَم تَسْمَعُوا بِمِثْلِه قَطّ ، وأُسِرَ مُحَمّدٌ أَسْرًا ، وقالُوا : لا نَقْتُلُه حتى نَبْعَثَ به إلى [أهلِ] مَكّةَ ، فَيَقْتُلُوه بَيْنَ أظْهُرِهِم بِمَن كان أصابَ من رِجالِهِم .

قال : فَقامُوا وصاحُوا بِمَكّةَ وقالُوا : قد جاءَكُم الخَبَرُ وقالوا : وهذا مُحَمّدٌ إنّما تَنْتَظِرُونَ أن يُقْدَمَ به عَلَيْكُمْ فَيُقْتَلُ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ . قال قلت : أعِينُوني على جَمعِ مالي بِمَكّةَ وعلى غُرَمائِي ، فإنّي أُريدُ أن أَقْدَمَ خَيْبَرَ ، فَأُصيبُ من فَلّ مُحَمّدٍ وأصحابه قَبْلَ أن يَسْبِقَني التّجّارُ إلى ما هُنالِكَ .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ من فَيْءِ مُحَمّدٍ .

---

(١) مرسل .

(٢) ضعيف : لم يسنده ابن إسحاق ورواه أحمد [١٣٨/٣ - ١٣٩] ، وعبد الرزاق [٩٧٧١] ، وأبو يعلي [٣٤٧٩] والنسائي في الكبرى [٨٦٤٦] ، والبزاركشف الأستار [١٨١٦] وابن حبان في صحيحه [٤٥٣٠] وموارد [١٦٩٨] والطبراني في الكبير [٣١٩٦] ، والبيهقي دلائل [٢٦٦/٤] كلهم من حديث معمر عن ثابت عن أنس ، ومعمر ضعيف في ثابت والبصريين خاصة قاله يحيى بن معين.. راجع التهذيب .

[العَبّاس يَستَوثِقُ من خبر الحجّاج ويُفاجئ قُريشًا] :

قال ابنُ إسحاقَ : قال فقامُوا فَجَمَعُوا لي مَا كَانَ لي كَأَحَثّ [٥٦/ب] جَمع سَمِعْت به . قال وجئت صاحِبَتِي فَقُلْت : مالي ، و[قد] كان لي عندها مالٌ مَوْضُوعٌ لعَلّي أَلْحَقُ بخَيْبَرَ فأُصِيبَ من فُرَصِ البَيْعِ قَبْلَ أن يَسْبِقَني التّجارُ قال فَلَمّا سَمِعَ العَبّاس بنُ عبدِ المطّلِبِ الخَبَرَ ، وجاءَه عَنّي ، أَقْبَلَ حتى وَقَفَ إلى جَنْبي وأنا في خَيْمَةٍ من خيام التّجارِ فَقال يا حَجّاجُ ما هذا الخَبَرُ الذي جِئْت به ؟ قال فَقُلْت : وهَلْ عندك حِفْظٌ لِما وضَعْتُ عندك ؟ قال نَعم قال قلت : فاسْتَأْخِرْ عَنّي حتى أَلْقاك على خَلاءٍ فَإِنّي في جَمعِ مالي كَما تَرَى ، فانْصَرِفْ عَنّي حتى أَفْرُغَ .

قال حتى إذا فَرَغْت من جَمعِ كُلّ شيءٍ كان لي بمَكّةَ وأَجْمَعْت الخُرُوجَ لَقيت العَبّاسَ فَقُلْت : احفَظْ عَلَيّ حَديثي يا أبا الفَضْلِ ، فَإِنّي أَخشَى الطّلَبَ ثَلاثًا ، ثُمّ قُلْ ما شِئْت ، قال أَفْعَلُ ؟ قال : قلت : فَإِنّي والله لَقد تَرَكْت ابنَ أخيك عَرُوسًا على بِنْتِ مَلِكِهِم يَعْني صَفيّةَ بِنْتَ حُيَيّ ولَقد افْتَتَحَ خيبر ، وانْتَثَلَ ما فيها ، وصارَتْ له ولأَصْحابه فَقال : ما تَقُولُ يا حَجّاجُ ؟ قال قلت : إي والله فاكتُم عَنّي ، ولَقد أَسلَمتُ وما جِئت إلاّ لآخُذَ مالي ، فَرَقًا من أن أُغْلَبَ عليه فَإذا مَضَتْ ثَلاثٌ فَأَظْهِرْ أمرَك ، فهو والله على ما تُحِبّ ، قال حتى إذا كان اليومُ الثّالِثُ لَبِسَ العَبّاسُ حُلّةً له وتَخَلّقَ وأَخَذَ عَصاه ثُمّ خَرَجَ حتى أَتَى الكَعْبَةَ ، فَطافَ بها ، فَلَمّا رَأَوْه قالُوا : يا أبا الفَضْلِ هذا والله التّجَلّدُ لِحَرّ المُصيبَةِ ؛ قال كَلاّ ، والله الذي حَلَفْتُم به لَقد افْتَتَحَ مُحَمّدٌ خيبر ونزلَ عَرُوسًا على بِنْتِ مَلِكِهِم وأَحْرَزَ أموالهم [وما] فيها فَأَصْبَحَتْ له ولأَصْحابه قالُوا : مَن جاءَك بهذا الخَبَرِ ؟ قال الذي جاءَكُم بما جاءَكُم به ولقد دَخَلَ عَلَيكُمْ مُسلِمًا ، وَأَخَذَ ماله وانطَلَقَ ليَلْحَقَ بمُحَمّدٍ وأَصْحابه فَيَكُونَ مَعَه ، قالُوا : يا لِعِبادِ الله انْفَلَتَ عَدُوّ الله أما والله لَوْ عَلِمنا لَكان لَنا وله شَأْنٌ قال : ولَمْ يَنْشَبوا حتى جاءَهم الخَبَرُ بذلك .

[قال ابنُ إسحاقَ] : وكان مِمّا قيلَ من الشّعْرِ في يوم خَيْبَرَ قَوْلُ حسّانَ بنِ ثابتٍ :

بِئْسَ ما قاتَلَتْ خَيابِرُ عَمّا ... جَمَعُوا مِن مَزارِعَ ونَخيلِ
كَرِهُوا المَوْتَ فاسْتُبِيحَ حِماهم ... وَأَقَرّوا فِعْلَ اللّئيمِ الذّليلِ
أَمِنَ المَوْتِ يَهْرَبونَ فَإِنّ الـ ... ـمَوْتَ مَوْتُ الهُزالِ غَيْرُ جَميلِ

، وهو يَعْذِرُ أَيْمَنَ بنِ أُمّ أَيْمَنَ بنِ عُبَيْدٍ ، وكان قد تَخَلّفَ عن خَيْبَرَ ، وهو من بني عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ ، وكانَتْ أُمّه أُمّ أَيْمَنَ مَوْلاةَ رسولِ الله ﷺ وهيَ أُمّ أُسامَةَ ابنِ زَيْدٍ ، فكان أخا أُسامَةَ لأُمّه :

على حينِ أن قالَتْ لأَيْمَنَ أُمّه ... جَبُنْتَ ولَم تَشْهَدْ فَوارِسَ خَيْبَرِ

وَأَيْمَنُ لَمْ يَجْبُنْ ولَكِنَّ مُهْرَه أَضَرَّ بهِ شُرْبُ المَزِيدِ المُخَمَّرِ
وَلَوْلا الذي قد كان من شَأْنِ مُهْرِه لَقَاتَلَ فيهم فارِسًا غَيْرَ أَعْسَرَ
وَلَكِنَّه قد صَدّه فِعْلُ مُهْرِه وَما لَوْلا ذاكُم بِمُقَصِّرِ

قال ابنُ هشامٍ : قال أبو زَيْدٍ هذه الأبياتَ لِكَعْبِ بنِ مالِكٍ وأنْشَدَني :

وَلَكِنّه قد صَدّه شَأْنُ مُهْرِه وَما كان لَوْلا ذاكُمْ بِمُقَصِّرِ

قال ابنُ إسحاقَ : وقال ناجيَةُ بنُ جُنْدُبٍ الأسلَمِيّ :

يا لِعِبادِ لله فيمَ يُرْغَبُ ما هُوَ إلاّ مَأكَلٌ ومَشْرَبُ
وَجَنّةٌ فيها نَعيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجيَةُ بنُ جُنْدُبٍ الأسْلَمِيّ أيضًا:

أني لِمَ أنْكَرَني ابنُ جُنْدُبِ يا رُبّ قِرْنٍ في مَكَرّي أزْكَبِ
طاحَ بِمَغْدَى أنْسُرٍ وثَعْلَبِ

قال ابنُ هشام : وأنْشَدَني بَعْضُ الرّواةِ لِلشّعْرِ قَوْلَه «في مَكَرّي» و «طاح بِمَغْدَى» .

وقال كَعْبُ بنُ مالكٍ في يوم خَيْبَرَ ، فيما ذَكَرَ ابنُ هشام ، عن أبي زَيْدٍ لأنْصاريّ

وَنَحنُ وَرَدْنا خَيْبَرًا وفُرُوضَه بِكُلّ فَتًى عاري الأشاجِعِ مِذْوَدِ
جَوادٍ لَدَى الغاياتِ لا واهِنِ القُوَى جَرِيءٍ على الأعداءِ في كُلِّ مَشْهَدِ
عَظِيمِ رَمادِ القِدْرِ في كُلِّ شَتْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ المَشْرَفِيّ المُهَنّدِ
يَرَى القَتْلَ مَدْحًا إن أصابَ شَهادَةً مِنَ الله يَرْجُوها وفَوْزًا بأحْمَدِ
يَذُودُ ويَحْمي عن ذِمارِ مُحَمّدٍ وَيَدْفَعُ عنه باللّسانِ وباليَدِ
وَيَنْصُرُه مِن كُلِّ أمرٍ يَرِيبُه
يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمّدٍ [٥٧/أ]
يُصَدّقُ بالأنْباءِ بالغَيْبِ مُخْلِصًا يُريدُ بِذاكَ العِزّ والفَوْزَ في غَدِ

ذِكْرُ مَقاسِمِ خَيْبَرَ وأموالِها

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : وكانَتِ المَقَاسِمُ عَلى أموالِ خَيْبَرَ على الشقّ ونَطاةَ والكَتيبَةِ فكانَتِ الشّقّ ونَطاةُ في سُهْمانِ المُسْلِمينَ وكانَتِ الكَتيبَةُ خُمُسَ لله وسَهْمَ النّبيّ ﷺ وسَهْمَ ذَوي القُرْبَى

(١) ما أرسله ابن إسحاق له شواهد حسنة : رواه البيهقي في الدلائل [٢٣٦/٤] والطبراني في التاريخ [١٤٠/٢] ورواه أبو داود [٣٠١٦] مختصرًا ، من رواية ابن محمد بن مسلمة عن بعض أهله ، وعبد الله بن أبي بكر ....=

واليتامى والمساكينِ وطُعمَ أزواجِ النبيِّ ﷺ وطُعمَ رجالٍ مَشَوْا بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَ أهلِ فَدَكَ بالصلح منهم مُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودٍ ، أعطاه رسولُ الله ﷺ ثلاثينَ وسقًا من شَعيرٍ وثلاثين وسقًا من تمرٍ .

وَقُسِمَتْ خيبر على أهلِ الحُدَيْبِيَةِ ، مَن شَهِدَ خَيْبَرَ ، ومَن غابَ عنها ، ولَم يَغِبْ عنها إلاّ جابِرُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ حَرامٍ فَقَسَمَ له رسولُ الله ﷺ كَسَهْمِ مَن حَضَرَها ، وكان وادياها ، وادي السُّرَيْرَةِ ، ووادي خاصٍ ، وهما اللّذانِ قُسِمَتْ عليهما خَيْبَرُ ، وكانَتْ نَطاةُ والشّق ثمانيةَ عَشَرَ سَهْمًا ، نَطاةُ من ذلك خَمسَةُ أسهمٍ والشّق ثلاثةَ عشَرَ سَهْمًا ، وقُسِمَتِ الشق ونطاةُ على ألفِ سَهْمٍ وثمانِ مِئَةِ سَهْمٍ (١) .

وكانَتْ عِدّةُ الذينَ قُسِمَتْ عليهم خَيْبَرُ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ألفَ سَهْمٍ وثمانَ مِئَةِ سَهْمٍ بِرجالِهِم وخَيْلِهِم الرّجالُ أربَعَ عَشَرَةَ مِئَةٍ والخَيْلُ مِئتا فارسٍ ؛ [فكان لِكُلِّ فَرَسٍ سَهْمانِ ولِفارِسِهِ سَهْمٌ] (٢) وكان لِكُلِّ راجلٍ سَهْمٌ فكان لِكُلِّ سَهْمٍ رَأْسٌ جُمِعَ إلَيْه مِئَةُ رَجُلٍ فكانَتْ ثمانيةَ عَشَرَ سَهْمًا جُمِعَ [illegible]

قال ابنُ هشام : وفي يوم خَيْبَرَ عَرّبَ رسولُ الله ﷺ العَرَبِيَّ من الخَيْلِ وهَجّنَ الهَجينَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فكان عَليّ بنُ أبي طالبٍ رَأْسًا ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ ، وطَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ ، وعبدُ الرّحمَنِ بنُ عَوْفٍ ، وعاصِمُ بنُ عَديّ ، أخُو بني العَجْلانِ وأُسَيْدُ [بنُ حُضَيْرٍ] وسَهْمُ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، وسَهْمُ ناعِمٍ وسَهْمُ بني بَياضَةَ وسَهْمُ بني عُبَيْدٍ ، وسَهْمُ بني حَرامٍ من بني سَلِمَةَ وعُبَيْدِ السّهامِ .

قال ابنُ هشام : وإنّما قيلَ له عُبَيْدُ السّهامِ لِما اشْتَرَى من السّهامِ يومَ خَيْبَرَ ، وهو عُبَيْدُ بنُ أوْسٍ ، أحَدُ بني حارِثَةَ بنِ الحارِثِ من الخَزْرَجِ بنِ عمرِو بنِ مالِكِ ابنِ الأوْسِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وسَهْمُ ساعِدَةَ وسَهْمُ غِفارٍ وأسْلَمَ ، وسَهْمُ النّجّارِ وسَهْمُ حارِثَةَ وسَهْمُ أوْسٍ . فكان أوّلُ سَهْمٍ خَرَجَ من خيبر بِنَطاةَ سَهْمَ الزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ . وهو يعني سهم الخَوْعُ ،

= وبعضه عن ابن شهاب ، وهذه أسانيد مرسلة ، ولكن لهذا الكلام شواهد في الصحيحين وفي السنن وسأذكر بعضًا منها في مواضعها ، ولذا عقب ابن كثير على كلام ابن إسحاق بقوله : ذكر ابن إسحاق الإقطاعات منها فأجاد وأفاد رحمه الله . بداية [٤/٢٠٢] .

(١) روى أبو داود نحو هذا من حديث بشير بن يسار عن رجال من أصحاب النبي [٣٠١٠ - ٣٠١١ - ٣٠١٢ - ٣٠١٣ - ٣٠١٤] .

(٢) روى البخاري [٤٢٢٨] ومسلم [١٧٦٢] من حديث ابن عمر قال : (قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمان وللراجل سهم ، قال : فسّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإن لم يكن له فرس فله سهم .

وتابعَه السّرَيْرُ : ثُمّ كان الثاني سَهْمَ بَياضَةَ ثُمّ كان الثالِثُ سَهْمَ أُسَيْدٍ ثُمّ كان الرّابِعُ سَهْمَ بني الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ، ومُزَيْنَةَ وشُرَكائِهِم وفيه قُتِلَ مَحْمُودُ بنُ مَسْلَمَةَ ، ثُمّ كان الخامِسُ سَهْمَ ناعِمٍ لِبني عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ فَهذه نَطاةُ . ثُمّ هَبَطُوا إلى الشّقّ ، فَكان أوّلُ سَهْمٍ خَرَجَ مِنه سَهْمَ عاصِمِ ابنِ عَديّ ، أخي بني العَجْلانِ ومَعَه كان سَهْمُ رسولِ الله ﷺ ثُمّ سَهْمُ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ ، ثُمّ سَهْمُ ساعِدَةَ ثُمّ سَهْمُ النّجّارِ . ثُمّ سَهْمُ عَليّ بنِ أبي طالِبٍ - رِضْوانُ الله عليه - ثُمّ سَهْمُ طَلْحَةَ ابنِ عُبَيْدِ الله ، ثُمّ سَهْمُ غِفارٍ وأسْلَمَ ، ثُمّ سَهْمُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، ثُمّ سَهْمُ سَلَمَةَ بنِ عُبَيْدٍ وبني حَرامٍ ثُمّ سَهْمُ حارِثَةَ ثُمّ سَهْمُ عُبَيْدِ السّهامِ ، ثُمّ سَهْمُ أوْسٍ وهو سَهْمُ اللّفيفِ جَمَعَتْ إلَيْه جُهَيْنَةُ ومَن حَضَرَ خَيْبَرَ من سائِرِ العَرَبِ ؛ وكان حَذْوه سَهْمَ رسولِ الله ﷺ الذي كان أصابَه في سَهْمِ عاصِمِ بنِ عَديّ .

ثُمّ قَسَمَ رسولُ الله ﷺ الكَتيبَةَ ، وهيَ وادي خاصٍ ، بَيْنَ قَرابَتِه وبَيْنَ نِسائِه وبَيْنَ رِجالِ المُسْلِمينَ ونِساءٍ أعْطاهم منها ، فَقَسَمَ رسولُ الله [٥٧/ب] ﷺ لِفاطِمَةَ ابنَتِه مِائَتَيْ وسْقٍ ، ولِعَليّ ابنِ أبي طالِبٍ مِائَةَ وسْقٍ ، ولِأُسامَةَ بنِ زَيْدٍ مِائَتَيْ وسْقٍ وخَمسينَ وسْقًا من نَوًى ، ولِعائِشَةَ أُمّ المُؤْمِنينَ مِائَتَيْ وسْقٍ ، ولِأبي بَكْرٍ [بنِ أبي قُحافَةَ] مِائَةَ وسْقٍ ، ولِعَقيلِ بنِ أبي طالِبٍ مِائَةَ وسْقٍ وأرْبَعينَ وسْقًا ، ولِبني جَعْفَرٍ خَمسينَ وسْقًا ، ولِرَبيعَةَ بنِ الحارِثِ مِئَةَ وسْقٍ ولِلصّلْتِ بنِ مَخْرَمَةَ وابنَيْه مِئَةَ وسْقٍ لِلصّلْتِ منها أرْبَعُونَ وسْقًا ، ولِأبي ربيعة خَمسينَ وسْقًا ، ولِرُكانَةَ بنِ عبدِ يَزِيدَ خَمسينَ وسْقًا ، ولِقَيْسِ بنِ مَخْرَمَةَ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولابن القيس بنِ مَخْرَمَةَ أرْبَعينَ وسْقًا ، ولِبناتِ عُبَيْدَةَ بنِ الحارِثِ وابنَةِ الحُصَيْنِ بنِ الحارِثِ مِئَةَ وسْقٍ ، ولِبني عُبَيْدِ بنِ عبدِ يَزِيدَ سِتّينَ وسْقًا ، وللأوس بنِ مَخْرَمَةَ ثَلاثينَ وسْقًا .

وَلِمسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ وابنِ إلْياسَ خَمسينَ وسْقًا ، ولِأُمّ رُمَيْثَةَ أرْبَعينَ وسْقًا . ولِنُعَيْمٍ وهِنْدٍ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِبُحَيْنَةَ بِنْتِ الحارِثِ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِعُجَيْرِ بنِ [عبدِ] يَزِيدَ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِأُمّ حَكيمٍ [بنتِ الزّبَيْرِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ] ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِجُمانَةَ بِنْتِ أبي طالِبٍ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولابنِ الأرْقَمِ خَمسينَ وسْقًا ، ولِعبدِ الرّحْمَنِ ابنِ أبي بَكْرٍ أرْبَعينَ وسْقًا ، ولِحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِأُمّ الزّبَيْرِ أرْبَعينَ وسْقًا ، ولِضُباعَةَ بِنْتِ الزّبَيْرِ أرْبَعينَ وسْقًا ، ولابنِ أبي خُنَيْسٍ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِأُمّ طالِبٍ أرْبَعينَ وسْقًا ، ولِأبي بَصْرَةَ عِشْرينَ وسْقًا ، ولِنُمَيْلَةَ الكَلْبيّ خَمسينَ وسْقًا ، ولِعبدِ الله بنِ وهْبٍ وابنَتَه تِسْعينَ وسْقًا ، لابنَتَيْه منها أرْبَعينَ وسْقًا ، ولِأُمّ حَبيبٍ بِنْتِ جَحْشٍ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِمَلْكُو بنِ عَبَدَةَ ثَلاثينَ وسْقًا ، ولِنِسائِه ﷺ سَبْعَ مِئَةِ وسْقٍ .

[قال ابنُ هشام : قَمحٌ وشَعيرٌ وتَمرٌ ونَوًى وغَيْرُ ذلك قَسَمَه على قدرِ حاجَتِهِم وكانَتِ الحاجَةُ في بني عبدِ المُطّلِبِ أكْثَرَ ولِهذا أعْطاهم أكْثَرَ] .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر

قَسَمَ لهُنّ مِئَةَ وسْقٍ وثَمانينَ وسْقًا ، ولِفاطِمَةَ بِنْتِ رسولِ الله ﷺ خَمسَةً وثَمانينَ وسْقًا ، ولِأسامَةَ بنِ زَيْدٍ أربَعينَ وسْقًا ، ولِلمِقْدادِ بنِ الأَسْوَدِ خَمسَةَ عَشَرَ وسْقًا ، ولِأُمّ رُمَيْثَةَ خَمسَةَ أوْسُقٍ . شَهِدَ عُثْمانُ بنُ عَفّانَ وعَبّاسٌ . وكَتَبَ .

قال ابنُ إسحاق [١] : وحَدّثَني صالِحُ بنُ كَيْسانَ ، عن ابنِ شِهابٍ الزّهْرِيّ ، عن عُبَيْدِ الله ابنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، قال لَم يُوصِ رسولُ الله ﷺ عند مَوْتِه إلاّ بِثَلاثٍ أوْصَى لِلرّهاوِيّينَ بِجادّ مِئَةِ وسْقٍ من خيبر ، ولِلدّارِيّينَ بِجادّ مِئَةِ وسْقٍ من خيبر ، ولِلسّبائِيّينَ [وللأشعريين] بجادّ مِئَةِ وسْقٍ من خيبر وللأشعرين بجاد مائة وسق من خيبر وأوْصَى بِتَنْفيذِ بَعْثِ أُسامَةَ بنِ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ : وألاّ يُتْرَكَ بِجَزيرَةِ العَرَبِ دينانِ .

أمر فدك في خبر خيبر

قال ابنُ إسحاق : فلَمّا فرَغَ رسولُ الله ﷺ من خيبر قَذَفَ الله الرّعْبَ في قُلُوبِ أهلِ فَدَك ، حينَ بَلَغَهم ما أوْقَعَ الله تَعالى بأهلِ خَيْبَرَ ، فَبَعَثُوا إلى رسولِ الله ﷺ يُصالِحُونَه على النّصْفِ من فَدَك ، فقَدِمَتْ عليه رُسُلُهم بِخَيْبَرَ أوْ بِالطّرِيقِ أوْ بعد ما قَدِمَ المَدِينَةَ ، فَقَبِلَ ذلك منهم فكانَتْ فَدَكُ لرسول الله ﷺ خالِصَةً لأنّه لَم يُوجَف عليها بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ [٢] .

تسمية النفر [الداريين]

الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خيبر

وَهم بنُو الدّارِ بن هانِئِ بنِ حَبيبِ بنِ نُمارَةَ بنِ لَخْمٍ الذينَ سارُوا إلى رسولِ الله ﷺ من الشّامِ : تَميمُ بنُ أوْسٍ ، ونُعَيْمُ بنُ أوْسٍ أخُوه ويَزيدُ بنُ قَيْسٍ ، وعَرَفَةُ ابنُ مالِكٍ ؟ سَمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الرّحْمَنِ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ : عَزّةُ بنُ مالِكٍ : وأخُوه مُرّانُ بنُ مالِكٍ .

---

(١) مرسل .

(٢) أمر فدك صحيح : رواه البخاري [٢٩٠٤] وأبو داود [٢٩٦٦] من حديث عمر في قصة طلب العباس فقال عمر : (وما أفاء الله على رسوله منهم مما أوجفتم عليه من خيل وركاب : هذه لرسول الله خاصة قرى عرينه وفدك وكذا وكذا ......) .

قال ابنُ هشام : مَرْوانُ بنُ مالكٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وفاكِهه بنُ نُعْمانَ ، وجَبَلَةُ بنُ مالكٍ [٥٨/أ] وأبو هِندِ بنُ بَرّ ، وأخُوه الطَّيِّبُ بنُ بَرّ فسَمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله .

فكان رسولُ الله ﷺ كما حَدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكرٍ [١] ، يَبْعَثُ إلى أهلِ خَيْبَرَ عبدَ الله ابنَ رَواحَةَ خارِصًا بَيْنَ المُسْلِمِينَ ويَهُودَ فَيَخْرُصُ عليهم فإذا قالُوا : تَعَدَّيْتَ عَلَيْنا ، قال : «إن شِئْتُم فَلَكُمْ وإن شِئْتُم فَلَنا» ، فَتَقُولُ يَهُودُ بهذا قامَتِ السمَوَاتُ والأرْضُ .

وإنّما خَرَصَ عليهم عبدُ الله بنُ رَواحَةَ عامًا واحِدًا ، ثُمّ أُصيبَ بمُؤْتَةَ يَرْحَمُه الله فكان جَبّارُ ابنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خَنْساءَ أخُو بني سَلِمَةَ هُوَ الذي يَخْرُصُ عليهم بعد عبدِ الله بنِ رَواحَةَ

[مَقْتَلُ ابنِ سَهْلٍ ودِيَةُ الرّسُولِ إلى أهلِهِ] :

فأقامَتْ يَهُودُ على ذلك لا يَرَى بِهِم المُسْلِمُونَ بَأْسًا في مُعامَلَتِهِم حتى عَدَوْا في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ على عبدِ الله بنِ سَهْلٍ ، أخي بني حارِثَةَ فَقَتَلُوه فاتّهَمَهم رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ عليه .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني الزّهْرِيّ عن سَهْلِ بنِ أبي حَثْمَةَ وحَدّثَني أيضًا بُشَيرُ بنُ يَسارٍ ، مَوْلَى بني حارِثَةَ عن سَهْلِ بنِ أبي حَثْمَةَ قال : أُصيبَ عبدُ الله ابنُ سَهْلٍ بخَيْبَرَ وكان خَرَجَ إلَيْها في أصْحابٍ له يَمْتارُ منها تَمْرًا ، فَوُجِدَ في عَيْنٍ قد كُسِرَتْ عُنُقُه ثمّ طُرِحَ فيها .

قال فأخَذُوه فغَيّبُوه ثُمّ قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ فَذَكَرُوا له شَأْنَه فَتَقَدّمَ إلَيْه أخُوه عبدُ الرّحْمَنِ [بنُ سَهْلٍ] ، ومَعَه ابنا عمّ له حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ ابنا مَسْعُودٍ وكان عبدُ الرّحْمَنِ من أحْدَثِهِم سِنًّا ، وكان صاحِبَ الدّمِ وكان ذا قَدَمٍ [في] القَوْمِ فلَمّا تَكَلّمَ قَبْلَ ابنَيْ عمّه قال رسولُ الله ﷺ الكُبْرَ الكُبْرَ .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ كَبّرْ كَبّرْ - فيما ذَكَرَ مالِكُ بنُ أنسٍ - فَسَكَتَ فَتَكَلّمَ حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَةُ ثُمّ تَكَلّمَ هُوَ بَعْدُ فَذَكَرُوا لِرسولِ الله ﷺ قَتْلَ صاحِبِهم فقال رسولُ الله ﷺ : «أتُسَمّونَ قاتِلَكُمْ ثُمّ تَحْلِفُونَ عليه خَمسينَ يَمينًا فَنُسْلِمُه إلَيْكُمْ ؟» قالُوا : يا رسولَ الله ما كُنّا لِنَحْلِفَ على ما لا نَعْلَمُ قال أفَيَحْلِفُونَ باللهِ خَمسينَ يَمينًا ما قَتَلُوه ولا يَعْلَمُونَ له قاتِلاً ثُمّ يَبْرَءُونَ مِن دَمِه ؟ قالُوا : يا رسولَ الله ما كُنّا لِنَقْبَلَ أيْمانَ يَهُودَ ما فيهم من الكُفْرِ أعْظَمُ من أن يَحْلِفُوا على إثْمٍ قال فَوَداه رسولُ الله ﷺ من عِنْدِه مِئَةَ ناقَةٍ .

---

(١) حسن من وجه آخر : سند ابن إسحاق مرسل . وقد ثبت هذا في حديث ابن عمر الطويل في ذكر خيبر وسبق تخريجه وإسناده حسن .

قال سَهْلٌ : فَواللهِ ما أنسَى بَكْرَةً منها حَمراءَ ضَرَبَتْني وأنا أحُوزُها .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) وحَدثَني مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التيْميِّ ، عن عبدِ الرحْمَنِ بنِ بُجَيْدِ بنِ قَيْظِيٍّ أخي بني حارِثَةَ قال مُحَمَّدُ بنُ إبْراهيمَ وايمُ اللهِ ما كان سَهْلٌ بأكْثَرَ عِلْمًا مِنه ولكِنَّه كان أسَنَّ - مِنه إنّه قال له واللهِ ما هَكَذا كان الشّأنُ ولكِنّ سَهْلاً أوْهَمَ ما قال رسولُ اللهِ ﷺ احْلِفُوا على ما لا عِلْمَ لَكُم به ولكِنّه كَتَبَ إلى يَهُودَ خَيْبَرَ حينَ كَلّمَتْه الأنصارُ : إنّه قد وُجِدَ قَتيلٌ بَيْنَ أبْياتِكُمْ فَدُوه فَكَتَبوا إلَيْه يَحْلِفُونَ باللهِ ما قَتَلُوه ولا يَعْلَمُونَ له قاتِلاً . فَوَداه رسولُ اللهِ ﷺ من عِنْدِه

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدثَني عمرُو بنُ شُعَيْبٍ مِثْلَ حَديثِ عبدِ الرحْمَنِ بنِ بُجَيْدٍ إلاّ أنّه قال في حَديثِه دُوه أوِ ائْذَنُوا بِحَرْبٍ . فَكَتَبوا إليه يَحْلِفُونَ باللهِ ما قَتَلُوه ولا يَعْلَمُونَ له قاتِلاً ، فَوَداه رسولُ اللهِ ﷺ من عِنْدِه (٢) .

[إجْلاءُ اليَهُودِ عن خَيْبَرَ أيّامَ عُمَرَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٣) وسَألْت ابنَ شِهابٍ [الزهْرِيَّ] : كَيْفَ كان إعْطاءُ رسولِ اللهِ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ نَخْلَهم حينَ أعطاهم النّخْلَ على خَرْجِها ، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِضَ أم أعطاهم إيّاها لِلضّرُورَةِ من غَيْرِ ذلك ؟ [٥٨/ب]فَأخْبَرَني ابنُ شِهابٍ : أنّ رسولَ اللهِ ﷺ افْتَتَحَ خَيْبَرَ عَنْوَةً بعد القِتالِ وكانَتْ خَيْبَرُ مِمّا أفاءَ اللهُ عَزّ وجَلّ على رسولِه [ﷺ] خَمّسَها رسولُ اللهِ ﷺ وقَسَمَها بَيْنَ المُسْلِمينَ ونَزَلَ مَن نَزَلَ من أهلِها على الجَلاءِ بعد القِتالِ فَدَعاهم رسولُ اللهِ ﷺ فَقال : «**إن شِئْتُم دَفَعْت إلَيْكُمْ هذه الأموال على أن تُعْمِلُوها ، وتَكُونَ ثِمارُها بَيْنَنا وبَيْنَكُم وأُقِرّكُمْ ما أقَرّكُمُ اللهُ**» فَقَبِلُوا ، فَكانُوا على ذلك يُعْمِلُونَها . وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَبْعَثُ عبدَ اللهِ بنَ رَواحَةَ ، فَيَقْسِمُ ثَمَرَها ، ويَعْدِلُ عليهم في الخَرْصِ فَلَمّا تَوَفّى اللهُ نَبِيّه ﷺ أقَرّها أبو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ تَعالى عنه - بعد رسولِ اللهِ ﷺ بِأيْدِيهِم على المُعامَلَةِ التي عامَلَهم عليها رسولُ اللهِ ﷺ حتى تُوُفّيَ ثُمّ أقَرّها عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عنه - صَدْرًا من إمارَتِه . ثُمّ بَلَغَ عُمَرَ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في وجَعِه الذي قَبَضَه اللهُ فيه لا يَجْتَمِعَنّ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ دينانِ فَفَحَصَ عُمَرُ من ذلك حتى بَلَغَه الثّبْتُ فَأرْسَلَ إلى يَهُودَ فَقال إنّ اللهَ - عَزّ وجَلّ - قد أذِنَ في إجْلائِكُم قد بَلَغَني أنّ

---

(١) مرسل :رواه أبو داود [٤٥٢٥] من طريق ابن إسحاق ، وعبد الرحمن بن بجيد مختلف في صحبته ، وعده أهل العلم في التابعين ، وقال الحافظ له رؤية لحديثه مرسل . ومسألة القسامة التي أنكرها ابن بجيد ثابتة في الصحيحين كما سبق . وانظر كلام الحافظ فيها .

(٢) مثل سابقه . أما موداة النبي ﷺ للقتيل فهي صحيحة من حديث سهل ابن أبي حثمة ورافع بن خديج .

(٣) متفق عليه بمعناه وإسناد ابن إسحق مرسل والحديث رواه البخاري [٢٧٣٠] ومسلم [١٥٥١] .

رسولَ الله ﷺ قال : **لا يَجْتَمِعَنَ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ دينانِ** فَمَن كان عنده عَهدٌ من رسولِ الله ﷺ من اليَهُودِ فَلْيَأتِني به أُنفِذُه له ومَن لَم يَكُن عنده عَهدٌ من رسولِ الله ﷺ من اليَهُودِ ، فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلاءِ فَأَجلَى عُمَرُ مَن لَم يَكُن عنده عَهدٌ من رسولِ الله ﷺ منهم .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدَّثَني نافعٌ مَوْلَى عبدِ الله بنِ عُمَرَ [عن عبدِ الله ابنِ عُمَرَ] قال : خَرَجْت أنا والزُبَيْرُ والمِقدادُ بنُ الأسْوَدِ إلى أموالِنا بِخَيْبَرَ نَتَعاهَدُها ، فَلَمّا قَدِمنا تَفَرَّقنا في أموالِنا ، قال فعُديَ عَلَيّ تَحْتَ اللَّيلِ وأنا نائمٌ على فِراشي ، فَفُدِعَتْ يَدايَ من مِرْفَقَيَّ فَلَمّا أصْبَحت استَصْرَخَ عَلَيّ صاحِبايَ فَأتَياني فَسَألاني : مَن صَنَعَ هذا بِك ؟ فَقُلْت : لا أدري ، قال فَأصْلَحا من يَدَيّ ثُمّ قَدِما بي على عُمَرَ - رَضِيَ الله عنه - ؟ فَقال هذا عَمَلُ يَهودَ ثُمّ قامَ في النّاسِ خَطيبًا فَقال أيها النّاسُ إنّ رسولَ الله ﷺ كان عامَلَ يَهودَ خَيْبَرَ على أنّا نُخْرِجُهم إذا شِئْنا ، وقد عَدَوْا على عبدِ الله بنِ عُمَرَ ، فَفَدَعُوا يَدَيْه كَما قد بَلَغَكُم مع عَدْوِهِم على الأنْصاريّ قَبْلَه لا نَشُكّ أنّهم أصْحابُه ليس لَنا هُناكَ عَدُوّ غَيْرُهم فَمَن كان له مالٌ بِخَيْبَرَ فَلْيَلْحَق به فَإنّي مُخْرِجٌ يَهودَ فَأخْرَجَهم .

[قِسمةُ عُمَرَ لِوادي القُرى بَيْنَ المُسلِمينَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [2] فَحَدَّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، عن عبدِ الله بنِ مَكْنَفٍ ، أخي بني حارِثَةَ قال : لَمّا أخْرَجَ عُمَرُ يَهودَ من خَيْبَرَ رَكِبَ في المُهاجِرينَ والأنْصارِ وخَرَجَ مَعَه جَبّارُ بنُ صَخْرِ ابنِ أُمَيّةَ بنِ خَنْساءَ أخُو بني سَلِمَةَ وكان جبار خارِصَ أهلِ المَدينَةِ وحاسِبَهم - وبَزِيدُ بنُ ثابتٍ فهما قَسَما خيبر بَيْنَ أهلِها ، على أصْلِ جَماعَةِ التسهمانِ التي كانَتْ عليها .

وَكان مما قَسَمَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ من وادي القُرَى ، لِعُثْمانَ بنِ عَفّانَ خَطَرٌ ولِعبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ خَطَرٌ قال ابن هشام : الخطر : النصيب ولِعُمَرَ بنِ أبي سَلَمَةَ خَطَرٌ ، ولِعامِرِ بنِ أبي رَبيعَةَ خَطَرٌ ، ولِعمرِو بنِ سُراقَةَ خَطَرٌ ولِأُشيم خَطَرٌ [٥٩/أ] .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ [و] لِأسْلَمَ ولِبني جَعْفَرٍ خَطَرٌ ، ولِمُعَيْقيبٍ خَطَرٌ ، ولِعبدِ الله ابنِ الأرْقَمِ خَطَرٌ ، ولِعبدِ الله وعُبَيْدِ الله خَطَرانِ ، ولابنِ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ خَطَرٌ ولابنِ البُكَيْرِ خَطَرٌ ، ولِمُعْتَمِرٍ خَطَرٌ ، ولِزَيْدِ بنِ ثابتٍ خَطَرٌ ، ولِأُبَيّ ابنِ كَعْبٍ خَطَرٌ ، ولِمُعاذِ بنِ عَفْراءَ خَطَرٌ ولِأبي طَلْحَةَ وحَسَنٍ خَطَرٌ ، ولِجَبّارِ بنِ صَخْرٍ خَطَرٌ ، ولِجابِرِ بنِ عبدِ الله بنِ رِئابٍ خَطَرٌ ، ولِمالِكِ ابنِ صَعْصَعَةَ خَطَرٌ ، وجابِرِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرٍو خَطَرٌ ، ولابنِ حُضَيْنٍ خَطَرٌ ولابنِ سَعْدِ بنِ

---

(١) مثل السابق .

(٢) ضعيف : فيه عبد الله بن مكنف ؛ قال الذهبي : مجهول . وقال ابن حبان : لا يحتج به . وقال البخاري : في حديثه نظر . [ميزان الاعتدال (٥٠٧/٢)] .

مُعاذٍ خَطَرٌ ولِسَليمَةَ بنِ سَلامَةَ خَطَرٌ ، ولِعبدِ الرّحمَنِ بنِ ثابتٍ وأبي شَريكٍ خَطَرٌ .

قال ابن هشام : الخطر النصيب . يقال : أَخطَرَ لي فَلانٌ خَطَرًا .ولأبي عَبْسِ ابنِ جَبْرٍ خَطَرٌ ، ولِمُحَمّدِ بنِ مَسلَمَةَ خَطَرٌ ، ولِعُبادَةَ بنِ طارِقٍ خَطَرٌ .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ لِقَتادَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : ولِجَبْرِ بنِ عَتيكٍ نِصْفُ خَطَرٍ ، ولابنَي الحارِثِ بنِ قَيْسٍ نِصْفُ خَطَرٍ ، ولابنِ حَزَمَةَ والضَحاكِ خَطَرٌ فَهذا ما بَلَغَنا من أمرِ خَيْبَرَ ووادي القُرَى ومَقاسِمِها .

قال ابنُ هشام : وذَكَرَ سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ عن الأَجلَحِ عن الشَعْبيّ : أنّ جَعْفَرَ ابنَ أبي طالِبٍ رَضيَ الله عنه قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ يومَ فَتْحِ خَيْبَرَ فَقَبّلَ رسولُ الله ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْه والْتَزَمَه وقال : «**ما أدْري بأيّهما أنا أُسَرّ : بِفَتْحِ خَيْبَرَ . أم بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟**» (١)

ذكر الهجرة

قال ابنُ إسحاقَ : وكان مَن أقامَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ حتى بَعَثَ فيهم رسولُ الله ﷺ إلى النّجاشيّ عمرو بنِ أُمَيّةَ الضَمريّ فَحَمَلهم في سَفينَتَيْنِ فَقَدِمَ بِهم عليه وهو بِخَيْبَرَ بعد الحُدَيْبيَةِ .

من بني هاشم بن عبدِ مَنافٍ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ ، مَعَه امرَأتُه أسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ الخَثْعميّةُ ، وابنُه عبدُ الله بنُ جَعْفَرٍ ، وكانَتْ ولَدَتْه بِأرْضِ الحَبَشَةِ . قُتِلَ جَعْفَرٌ بِمُؤْتَةِ من أَرْضِ الشّامِ أميرًا لِرسولِ الله ﷺ رَجُلٌ .

---

(١) مرسل : رواه ابن أبي شيبة في مصنفه [٧/٥١٦ - ٧٣٢] ، [٨/٤٦٦] والطبراني في الكبير [١٤٦٩] عن علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي مرسلاً ، ورواه البيهقي في الدلائل [٤/٢٤٦] من رواية الحسين ابن الحسين العرني عن الأجلح فوصله عن جابر . فقال البيهقي رواه الثوري عنه مرسلاً . قلت : المرسل أصح . ثم رواه البيهقي من طريق مكي بن إبراهيم عن الثوري عن أبي الزبير عن جابر . ثم قال البيهقي : في إسناده إلى الثوري من لا يعرف . وقد روى من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه . رواه الطبراني في الكبير [١٤٧٠] ، [٢٢/١٠٠ح ٢٤٤] من رواية أحمد بن خالد بن مسرح وأنس بن سالم عن الوليد بن عبد الملك عن مخلد بن يزيد عن معسر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه . وهذا سند ضعيف : فيه خالد بن أحمد ، قال الدارقطني ليس بشيء ، وأنس بن سالم ، قال الهيثمي في المجمع [٩/٢٧٢] لم أعرفه . مخلد بن يزيد متكلم فيه وله أوهام . فهذا الطريق ضعيف وله شاهد من حديث علي . رواه ابن عدي في الكامل [٥/٢٤٣] من رواية عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب . قال حدثني أبي عن أبيه عن جده علي رضي الله عنه فذكره . قال ابن عدي : وبهذا الإسناد تسعة أحاديث حدثناه ابن هلال مناكير ، وقال أيضًا لعيسى بن عبد الله غير ما ذكرت وعامة ما يرويه لا يتابع عليه . قلت : فهذه الطرق كلها ضعيفة وأصحها المرسل . والله أعلم .

وَمن بني عبدِ شَمسِ بن عبدِ مَنافٍ خالِدُ بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ بن عبدِ شَمسٍ مَعَه امرَأتُه أمينَةُ بِنتُ خَلَفِ بن أسْعَد .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ همَيْنَةُ بِنْتُ خَلَفٍ وابناه سَعيدُ بنُ خالِدٍ وأُمّه بِنْتُ خالِدٍ ولَدَتهما بأرضِ الحَبَشَةِ . قُتِلَ خالِدٌ بمَرْجِ الصّفرِ في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ بِأرضِ الشّامِ ، وأخُوه عمرُو بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ مَعَه امرَأتُه فاطِمَةُ بِنْتُ صَفْوانَ ابنِ أُمَيّةَ بنِ محرّث الكِنانيّ هَلَكَتْ بِأرضِ الحَبَشَةِ . قُتِلَ عمرٌو بأجْنادينَ من أرْضِ الشّامِ في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ رَضِيَ الله عنه .

وَلِعمرِو بن سَعيدٍ يقول أبوه سَعيدُ بنُ العاصِ [بن أُمَيّةَ أبو أُحَيْحَةَ :]

ألا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ يا عمرُو سائِلاً ... إذا شَبّ واشْتَدّتْ يَداه وسُلّما

أتَتْرُكُ أمرَ القَومِ فيه بَلابِلُ ... تُكَشّفُ غَيْظًا كان في الصّدرِ مُوجَحا

وَلِعمرِو بن خالِدٍ يقول أخُوهما أبانُ بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ ، حينَ أسْلَما ، وكان أبوهم سَعيدُ ابنُ العاصِ هَلَكَ بالظّرَيْبَةِ من ناحيَةِ الطّائِفِ ، هَلَكَ في مالٍ له بِها :

ألا لَيْتَ مَيْتًا بالظّرَيْبَةِ شاهِدٌ ... لِما يَفْتَري في الدّينِ عمرٌو وخالِدُ

أطاعا بِنا أمرَ النّساءِ فأصْبَحا ... يُعينانِ مِن أعْدائِنا مَن نُكايِدُ

فأجابَه خالِدُ بنُ سَعيدِ بن العاصِ فَقال :

أخي ما أخي لا شاتِمٌ أنا عِرْضَه ... وَلا هُوَ مِن سُوءِ المَقالَةِ مُقْصِرُ

يقولُ إذا اشْتَدّتْ عليه أُمُورُه ... ألا لَيْتَ مَيْتًا بِالضّرَيْبَةِ يُنْشَرُ

فَدَعْ عَنْكَ مَيْتًا قد مَضَى لِسَبيلِه ... وَأقْبِلْ على الأدْنَى الذي هُوَ أفْقَرُ [٥٩/ب]

وَمُعَيْقيبُ بنُ أبي فاطِمَةَ خازِنُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ على بَيْتِ مالِ المُسْلِمينَ وكان إلى آلِ سَعيدِ بنِ العاصِ وأبو مُوسَى الأشْعَرِيّ عبدُ الله بنُ قَيْسٍ [1] ، حَليفُ آلِ عُتْبَةَ ابنِ رَبيعَةَ بنِ عبدِ شَمسٍ ، أرْبَعَةُ نَفَرٍ .

ومِن بني أسَدِ بن عبدِ العُزّى بنِ قُصَيّ : الأسْوَدُ بنُ نَوْفَلِ بنِ خُوَيْلِدٍ . رَجُلٌ .

وَمِن بني عبدِ الدّارِ بنِ قُصَيّ : جَهْمُ بنُ قَيْسِ بنِ عبدِ شُرَحْبيلَ مَعَه ابناه عمرُو بنُ جَهْمٍ وخُزَيْمَةُ بنُ جَهْمٍ وكانَتْ مَعَه امرَأتُه أُمّ حَرْمَلَةَ بِنْتُ عبدِ الأسْوَدِ هَلَكَتْ بِأرضِ الحَبَشَةِ ، وابناه

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق من كان مع أبي موسى من أخوته . وهم أبو بردة ، وأبو رهم ، وعم أبي موسى أبو عامر ، وبعض الأشعريين . قال ابن كثير في البداية [٢٠٨/٤] : لم يذكر ابن إسحاق أسماء الأشعريين الذين كانوا مع أبي موسى الأشعري ، وأخويه أبا برده وأبا رهم وعمه أبا عامر . بل لم يذكر من الأشعريين غير أبي موسى ولم يتعرض لذكر أخويه وهما أسن منه كما تقدم في صحيح البخاري . رواه البخاري [٣١٣٦] .

لها رَجُلٌ .

وَمِن بني زُهْرَةَ بن كِلابٍ :عامِرُ بنُ أبي وقّاصٍ وعُتْبَةُ بنُ مَسْعُودٍ حَليفٌ لهم من هُذَيْلٍ . رَجُلانِ .

وَمِن بني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ :الحارِثُ بنُ خالِدِ بنِ صَخْرٍ وقد كانَتْ مَعَه امرأتُه رَيْطَةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ جُبَيْلَةَ هَلَكَتْ بأرْضِ الحَبَشَةِ . رَجُلٌ .

وَمِن بني جُمَحَ بنِ عمرِوبنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ [عُثْمانُ بنُ رَبيعَةَ بنِ أُهْبانَ . رَجُلٌ .

وَمِن بني سَهْمِ بنِ عمرِوبنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ] مَحْمِيَةُ بنُ الجَزْءِ حَليفٌ لهم من بني زُبَيْدٍ ، كان رسولُ الله ﷺ جَعَلَه على خُمُسِ المُسْلِمينَ . رَجُلٌ .

وَمِن بني عَديّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ :مَعْمَرُ بنُ عبدِ الله بنِ نَضْلَةَ رَجُلٌ .

وَمِن بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ بنِ غالِبٍ :أبو حاطِبِ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمسٍ ، ومالِكُ بنُ رَبيعَةَ ابنِ قَيْسِ بنِ عبدِ شَمسٍ ، مَعَه امرأتُه عَمرَةُ بِنْتُ السّعْديّ بنِ وقْدانَ بنِ عبدِ شَمسٍ . رَجُلانِ .

وَمِن بني الحارِثِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكٍ :الحارِثُ بنُ عبدِ قَيْسِ بنِ لَقيطٍ . رَجُلٌ وقد كان حُمِلَ مَعَهم في السّفينَتَيْنِ نِساءٌ من نِساءِ مَن هَلَكَ هنالك من المسلمين .

فَهؤُلاءِ الذينَ حَمَلَ النّجاشيّ مع عمرِو بنِ أُمَيّةَ [الضَمريّ في السّفينَتَيْنِ] في البعثتين فَجَميعُ مَن قَدِمَ في السّفينَتَيْنِ إلى رسولِ الله ﷺ سِتّةَ عَشَرَ رَجُلاً .

[سائِرُ مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ] :

وَكان ممّن هاجَرَ إلى أرْضِ الحَبَشَةِ ، ولَمْ يَقْدَم إلاّ بعد بَدْرٍ ولَمْ يَحْمِلِ النّجاشيّ في السّفينَتَيْنِ إلى رسولِ الله ﷺ ومن قَدِمَ بعد ذلك ومَن هَلَكَ بأرْضِ الحَبَشَةِ ، من مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ :

من بني أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسِ بنِ عبدِ منافٍ عُبَيْدُ الله بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ الأسَديّ ، أسَدَ خُزَيْمَةَ ، حَليفُ بني أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمسٍ ، مَعَه امرأتُه أُمّ حَبيبَةَ بِنْتُ أبي سُفْيانَ وابنَتُه حَبيبَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ الله وبها كانَتْ تُكْنَى أُمّ حَبيبَةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ وكان اسْمُها رَمْلَةَ .

خَرَجَ مع المُسْلِمينَ مُهاجِرًا ، فَلَمّا قَدِمَ أرْضَ الحَبَشَةِ تنصر بها وفارَقَ الإسلامَ وماتَ هُنالِكَ نَصْرانيًا ، فخَلَفَ رسولُ الله ﷺ على امرأتِه من بَعْدِه أُمّ حَبيبَةَ بِنْتِ أبي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ .

قال ابنُ إسحاقَ :[1] حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ قال : خَرَجَ عُبَيْدُ الله [بنُ جَحْشٍ] مع المُسْلِمينَ مُسْلِمًا - فَلَمّا قَدِمَ أرْضَ الحَبَشَةِ تنصر قال : فَكان إذا مَرّ بِالمُسْلِمينَ من

(١) سبق تخريجه في قصة هجرة الحبشة .

أصحابِ رسولِ الله ﷺ . قال فَتَحْنا وصَأصَأتُم . أيَ أنا قد أبصَرنا وأنتُم تَلْتَمِسُونَ البَصَرَ ولَمْ تُبْصِرُوا بَعْدُ .

وَذلك أنَ ولَدَ الكَلْبِ إذا أرادَ أن يَفْتَحَ عَيْنَيه لِلنظَرِ صَأصَأ قَبْلَ ذلك فضَرَبَ ذلك له ولهم مَثَلاً : أيْ أنّا قد فَتَحْنا أعيُنَنا فَأبصَرنا ، ؛ ولَمْ تَفْتَحُوا أعيُنَكُمْ فَتُبْصِرُوا . وأنتُم تَلْتَمِسُونَ ذلك .

قال ابنُ إسحاق : وقَيْسُ بنُ عبدِ الله . رَجُلٌ من بني أُسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ وهو أبو أُمَيّةَ بِنْتِ قَيْسٍ التي كانَتْ مع أُمّ حَبيبَةَ - وامرَأتُه بَرَكَةُ بِنْتُ يَسارٍ مَوْلاةُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ كانَتا ظِئْرَى عُبَيْدِ الله بنِ جَحْشٍ وأُمّ حَبيبَةَ بِنْتِ أبي سُفيانَ - فَخَرَجا بِهِما ، مَعَهما حينَ هاجَرا إلى أرْضِ الحَبَشَةِ . رَجُلانِ .

وَمن بني أسدِ بنِ عبدِ العُزّى بنِ قُصَيّ : يَزِيدُ بنُ زَمَعَةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ المُطّلَبِ ابنِ أسَدٍ ، قُتِلَ[٦٠/أ] يومَ حُنَيْنٍ مع رسولِ الله ﷺ . شَهِيدًا ، وعَمرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ - هَلَكَ بِأرْضِ الحَبَشَةِ . رَجُلانِ .

ومن بني عبدِ الدّارِ بنِ قُصَيّ : أبو الرّومِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ ابنِ عبدِ الدّارِ وفِراسُ بنُ النّضْرِ بنِ الحارِثِ بنِ كَلَدَةَ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ . رَجُلانِ.

ومن بني زُهرةَ بنِ كلابِ بنِ مُرّةَ : المُطّلِبُ بنُ أزْهَرَ بنِ عبدِ عَوْفِ بنِ عبدِ (بنِ) الحارِثِ ابنِ زُهرَةَ ، مَعَه امرَأتُه رَمْلَةُ بِنْتُ أبي عَوْفِ بنِ ضُبَيْرَةَ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ هَلَكَ بِأرْضِ الحَبَشَةِ ، ولَدَتْ له هُنالِكَ عبدَ الله بنَ المُطّلِبِ . فَكان يُقالُ إن كان لأوّلَ رَجُلٍ وَرِثَ أباه في الإسلامِ . رَجُلٌ .

ومن بني تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ عَمرُو بنُ عُثْمَانَ بنِ عمرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ قُتِلَ بِالقادِسيّةِ مع سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ . رَجُلٌ .

ومن بني مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبٍ : هَبّارُ بنُ سُفيانَ بنِ عبدِ الأسَدِ قُتِلَ بِأجْنادِينَ من أرْضِ الشّامِ ، في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ - رَضِيَ الله عنه - وأخُوه عبدُ الله بنُ سُفيانَ ، قُتِلَ عامَ اليَرْمُوكِ بِالشّامِ في خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ - رَضِيَ الله عنه - يُشَكّ فيه أقُتِلَ ثَمّ أم لا ، وهشامُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ بنِ المُغِيرَةِ . ثَلاثَةُ نَفَرٍ .

ومن بني جُمَحِ بنِ عمرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ : حاطِبُ بنُ الحارِثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبيبِ ابنِ وهْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحٍ . ابناه مُحَمّدٌ والحارِثُ مَعَه امرَأتُه [فاطِمَةُ] بِنْتُ المُجَلّلِ . هَلَكَ حاطِبٌ هُنالِكَ مُسلِمًا ، فَقَدِمَتِ امرَأتُه وابناه وهيَ أُمّهما في إحْدَى السّفِينَتَيْنِ ؟ وأخُوه حَطّابُ ابنُ الحارِثِ مَعَه امرَأتُه فُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسارٍ هَلَكَ هُنالِكَ مُسلِمًا ، فَقَدِمَتِ امرَأتُه فُكَيْهَةُ في إحْدَى

السَّفِينَتَيْنِ ، وسُفْيانُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حَبيبِ بن حينه وابناه جُنادَةُ وجابِرٌ . وأُمّهما مَعَه حَسَنَةُ وأخُوهما لأمّهما شُرَحْبيلُ بنُ حَسَنَةَ وهَلَكَ سُفيانُ وهَلَكَ ابناه جُنادَةُ وجابِرٌ في خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ - رَضِيَ الله عنه - سِتّةُ نَفَرٍ .

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعْب :عبدُ الله بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ بنِ سَعْيدِ بنِ سَهْمٍ الشّاعِرُ هَلَكَ بأرْضِ الحَبَشَةِ ، وقَيْسُ بنُ حُذافَةَ ابنِ قَيْسِ بنِ عَديّ بنِ سَعْيدِ بنِ سَهْمٍ .

وأبو قَيْسِ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ بنِ سَعْيدِ بنِ سَهْم . قُتِلَ يومَ اليَمامَةِ في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ - رَضِيَ الله عنه - وعبدُ الله بنُ حُذافَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ بنِ سَعْيدِ بنِ سَهْم وهو رسولُ رسولِ الله ﷺ إلى كِسْرَى ، والحارِثُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ ؛ ومَعْمَرُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ وبِشْرُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ ؛ وأخٌ له من أُمّه من بني تَميم يُقالُ له سَعيدُ بنُ عمرٍو، قُتِلَ بأجْنادينَ في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ - رَضِيَ الله عنه - وسَعيدُ بنُ الحارِثِ ابنِ قَيْسٍ ، قُتِلَ عامَ اليَرْمُوكِ في خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ - رَضِيَ الله عنه - .

والسّائِبُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسٍ ، جُرِحَ بالطّائِفِ مع رسولِ الله ﷺ وقُتِلَ يومَ فِحْلٍ في خِلافَةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ - رَضِيَ الله عنه - ويُقالُ : قُتِلَ يومَ خَيْبَرَ يُشَكُّ فيه وعُمَيْرُ بنُ رِئابِ بنِ حُذَيْفَةَ ابنِ مُهَشَّمِ بنِ سَعْيدِ بنِ سَهْم . قُتِلَ بعَيْنِ التّمرِ مع خالِدِ بنِ الوَليدِ ، مُنْصَرَفَه من اليَمامَةِ ، في خِلافَةِ أبي بَكْرٍ - رَضِيَ الله عنه - أحَدَ عَشَرَ رَجُلاً .

ومن بني عَديّ بن كَعْبِ بن لُؤَيّ :عُرْوَةُ بنُ عبدِ العُزّى [٦٠/ب]ابنِ حُرْثانَ بنِ عَوْفِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُوَيْجِ بنِ عَديّ بنِ كَعْبِ بن مالك هَلَكَ بأرْضِ الحَبَشَةِ : وعَديّ بنُ نَضْلَةَ بنِ عبدِ العُزّى بنِ حُرْثانَ هَلَكَ بأرْضِ الحَبَشَةِ . رَجُلان.

وقد كان مع عَديّ ابنُه النّعْمانُ بنُ عَديّ فَقَدِمَ النّعْمانُ مع مَن قَدِمَ من المُسْلِمينَ من أرْضِ الحَبَشَةِ فبقي حتى كانَتْ خِلافَةُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ فاسْتَعْمَلَه على مَيْسانَ من أرْضِ البَصْرَةِ . فَقال أبياتًا من شِعْرِه . [وهيَ]

ألا هَلْ أتَى الحَسْناءَ أنّ حَليلَها ... بمَيْسانَ يُسْقَى في زُجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شِئْتُ غَنّتني دَهاقينُ قَرْيَةٍ ... ورَقّاصَةٌ تَجْذُو على كُلّ مَنْسِمِ
فإن كُنْتَ نَدْماني فَبالأكْبَرِ اسْقِني ... ولا تَسْقِني بالأصْغَرِ المُتَثَلّمِ
لَعَلّ أميرَ المُؤْمِنينَ يَسُوءُه ... تنادُمُنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدّمِ

فَلَمّا بَلَغَتْ أبياتُه عُمَرَ قال : نَعم والله إنّ ذلك لَيَسُوءني فَمَن لَقِيَه فَلْيُخْبِرْه أنّي قد عَزَلْته ،

وعزَلَه . فلَمّا قدِمَ عليه اعتَذَرَ إليه وقال والله يا أميرَ المؤمنينَ ما صَنَعت شيئًا مما بَلَغَك أنّي قُلته قطّ . ولكني كُنت امرأً شاعرًا وجَدت فَضلاً من قَولٍ فقُلت فيما تقُولُ الشعَراء - فقال له عُمَرُ وايمُ الله . لا تَعْمَلُ لي على عمَلٍ ما بَقيت ، وقد قُلتَ ما قُلتَ .

ومن بني عامرِ بن لُؤَيّ بن غالبِ بن فِهْرٍ : سَليطُ بنُ عمرِو بن عبدِ شَمسِ ابن عبدِ ودّ بن نَصرِ بن مالكِ بنِ حِسْلِ [بنِ عامرٍ] وهو كان بعثه رسولُ الله ﷺ إلى هَوذَةَ بن عَليّ الحَنَفيّ باليَمامَةِ . رَجُلٌ .

ومن بني الحارثِ بن فِهرِ بن مالكٍ : عُثمانُ بنُ عبدِ غَنْمِ بنِ زُهَيْرِ بن أبي شَدّادٍ وسَعْدُ بنُ عبدِ قَيْسِ بنِ لَقيطِ بن عامرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ ظَرِبِ بن الحارثِ بنِ فِهرٍ ، وعياضُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادٍ . ثَلاثةُ نفَرٍ .

فجَميعُ مَن تخَلَّفَ عن بَدرٍ ولَمْ يَقْدَم على رسولِ الله ﷺ : مَكّةَ ، ومَن قَدِمَ بعد ذلك ومَن لَمْ يَحْمِلِ النجاشيّ يعني في السفينَتَيْنِ أَرْبَعَةٌ وثَلاثُونَ رَجُلاً .

وهذه تَسميَةُ جُملَةِ مَن هَلَكَ منهم ومِن أبنائِهم بأرضِ الحَبَشَةِ :

من بني عبدِ شَمسِ بن عبدِ مَنافٍ : عبدُ الله بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ . حَليفُ بني أُمَيّةَ بن عبد شَمس ماتَ بها نَصرانيًا.

ومن بني أَسَدِ بن عبدِ العُزّى بنِ قُصَيّ : عمرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ الحارثِ بنِ أَسَدٍ .

ومن بني جُمَحٍ : حاطِبُ بنُ الحارثِ ، وأخُوه حَطّابُ بنُ الحارثِ .

ومن بني سَهْمِ بن عمرِو بنِ هُصَيصِ بن كَعبٍ : عبدُ الله بنُ الحارثِ بنِ قَيسٍ .

ومن بني عَديّ بن كَعبِ بنِ لُؤَيّ : عُروَةُ بنُ عبدِ العُزّى بن حُرثانَ بن عَوفٍ وعَديّ بنُ نَضلَةَ سَبعَةُ نفَرٍ .

ومن أبنائِهم : من بني تَيْمِ بنِ مُرّةَ : مُوسَى بنُ الحارثِ بنِ خالِدِ بنِ صَخرِ بن عامرٍ رَجُلٌ .

[مُهاجِراتُ الحَبَشَةِ] :

وَجَميعُ مَن هاجَرَ إلى أرضِ الحَبَشَةِ من النِّساءِ مَن قَدِمَ مِنهُنّ ومَن هَلَكَ هُنالِكَ سِتَّ عَشْرَةَ امرَأةً سِوَى بناتِهِنّ اللاّتي وُلِدْنَ هُنالِكَ . مَن قَدِمَ مِنهُنّ ومَن هَلَكَ هُنالِكَ ومَن خَرَجَ به مَعَهُنّ حينَ خَرَجْنَ

من قُرَيْشٍ ، من بني هاشِمٍ : رُقَيّةُ بِنْتُ رسولِ الله ﷺ .

ومن بني أُمَيّةَ : أُمّ حَبيبَةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ ، مَعَها ابنَتُها حَبيبَةُ خَرَجَتْ بها من مَكّةَ ،

ورَجَعَتْ بِها مَعَها .

وَمِن بني مَخْزُوم :أُمّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ ، قَدِمَتْ مَعَها بِزَيْنَبِ ابنَتِها من أبي سَلَمَةَ ولَدَتْها هُنالكَ .

وَمِن بني تَيْم بن مُرّةَ :رَيْطَةُ بِنْتُ الحارِثِ بن جُبَيْلَةَ . هَلَكَتْ بِالطّريقِ وبِنْتانِ لها كانَتْ ولَدَتْهما هُنالكَ عائِشَةُ بِنْتُ الحارِثِ وزَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ ، هَلَكْنَ جَميعًا ، وأَخُوهُنّ مُوسَى بنُ الحارِثِ من ماءٍ شَرِبوه في الطّريقِ وقَدِمَتْ بِنْتٌ لها ولَدَتْها هُنالكَ فَلَم يَبْقَ من ولَدِها غَيْرُها ، يُقالُ لها فاطِمَةُ .

ومن بني سَهْم بن عمرٍو :رَمْلَةُ بِنْتُ أبي [٦١/أ]عَوْفِ بنِ صُبَيْرَةَ .

وَمِن بني عَديّ بن كَعْبٍ :لَيْلَى بِنْتُ أبي حَثْمَةَ بن غانِم

وَمِن بني عامِر بن لُؤَيّ :سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بن قَيْسٍ ، وسَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو . وابنَةُ المُجَلِّلِ . وعمرَةُ بِنْتُ السّعْديّ بن وقْدانَ . وأُمّ كُلْثُوم بِنْتُ سُهَيْلِ بن عمرٍو .

وَمِن غَرائِبِ العَرَبِ :أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسِ بنِ النّعْمانِ الخَثْعَميّةُ وفاطِمَةُ بِنْتُ صَفوانَ بنِ أُمَيّةَ ابنِ مُحرّث الكِنانيّةُ - وفُكَيْهَةُ بِنْتُ يَسارٍ ، وبَرَكَةُ بِنْتُ يَسارٍ وحَسَنَةُ . أُمّ شُرَحْبيلَ بن حَسَنَةَ .

وهذه تَسْميَةُ مَن وُلِدَ من أبنائِهم بِأَرْضِ الحَبَشَةِ :

ومِن بني هاشِم :عبدُ الله بنُ جَعْفَرِ بن أبي طالِبٍ .

وَمِن بني عبدِ شَمس :مُحَمّدُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ وسَعيدُ بنُ خالِدِ بنِ سَعيدٍ ، وأُخْتُه أَمَةُ بِنْتُ خالِدٍ .

وَمِن بني مَخْزُوم :زَيْنَبُ بِنْتُ أبي سَلَمَةَ بن عبد الأَسَدِ .

وَمِن بني زُهْرَةَ :عبدُ الله بنُ المُطّلِبِ بنِ أَزْهَرَ .

وَمِن بني تَميم :مُوسَى بنُ الحارِثِ [بنِ خالِدٍ] . وأَخَواتُه عائِشَةُ بِنْتُ الحارِثِ وفاطِمَةُ بِنْتُ الحارِثِ وزَيْنَبُ بِنْتُ الحارِثِ .

الرّجالُ منهم خَمسَةٌ :عبدُ الله بنُ جَعْفَرٍ ومُحَمّدُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ وسَعيدُ بنُ خالِدٍ وعبدُ الله بنُ المُطّلِبِ ، ومُوسَى بنُ الحارِثِ .

وَمِن النّساءِ خَمسٌ :أَمَةُ بِنْتُ خالِدٍ وزَيْنَبُ بِنْتُ أبي سَلَمَةَ ، وعائِشَةُ وزَيْنَبُ وفاطِمَةُ بناتُ الحارِثِ بنِ خالِدٍ [بنِ صَخْرٍ] .

* * *

عُمرَةُ القَضاء

في ذي القَعْدَةِ سَنَةَ سَبْع

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا رَجَعَ رسولُ الله ﷺ إلى المَدينَةِ من خَيْبَرَ ، أقامَ بها شَهرَيْ رَبيعٍ وجُمادَيَيْنِ ورَجَبًا وشَعْبانَ ورَمَضانَ وشَوّالاً ، يَبْعَثُ سراياه فيما بَيْنَ ذلك من غَزْوِه وسَراياه ﷺ . ثُمَّ خَرَجَ في ذي القَعْدَةِ في الشَّهرِ الذي صَدّه فيه المُشْرِكونَ مُعْتَمِرًا عُمرَةَ القَضاءِ مَكان عُمرَتِه التي صَدّوه عنها .

قال ابنُ هشام : واستَعْمَلَ على المَدينَةِ عُوَيْفَ بنَ الأضْبَطِ الدّيليَّ

[سَبَبُ تَسْميَتِها بعُمرَةِ القِصاص] :

وَيُقالُ لها عُمرَةُ القِصاصِ لأنّهم صَدّوا رسولَ الله ﷺ في ذي القَعْدَةِ في الشّهرِ الحَرامِ من سَنَةِ سِتٍّ فاقْتَصَّ رسولُ الله ﷺ منهم فَدَخَلَ مَكّةَ في ذي القَعْدَةِ في الشّهرِ الحَرامِ الذي صَدّوه فيه من سَنَةِ سَبْعٍ . وبَلَغَنا عن ابنِ عَبّاسٍ أنّه قال فَأنْزَلَ الله في ذلك ﴿**والحُرُماتُ قِصاصٌ**﴾ (١) .

قال ابنُ إسحاقَ : وخَرَجَ مَعَه المُسْلِمونَ مِمّن كان صُدّ مَعَه في عُمرَتِه تِلْكَ وهيَ سَنَةَ سَبْعٍ فَلَمّا سَمِعَ به أهلُ مَكّةَ خَرَجوا عنه وتَحَدّثَتْ قُرَيْشٌ بَيْنَها أنّ مُحَمّدًا وأصْحابَه في عُسْرَةٍ وجَهْدٍ وشِدّةٍ .

[سَبَبُ الهَرْوَلَةِ بَيْنَ الصَفا والمَرْوَةِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) فَحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال : صَفّوا له عند دارِ النّدْوَةِ لِيَنْظُروا إلَيْه وإلى أصْحابه فَلَمّا دَخَلَ رسولُ الله ﷺ المَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدائِه وأخْرَجَ يَدَه اليُمنَى ، ثُمّ قال : «**رَحِمَ الله امرأً أراهم اليومَ من نَفْسِه قُوّةً**» ثُمّ اسْتَلَمَ الرّكْنَ ، وخَرَجَ يُهَرْوِلُ ويُهَرْوِلُ أصْحابُه مَعَه حتى إذا واراه البَيْتُ منهم واسْتَلَمَ الرّكْنَ اليَمانِيَ ، مَشَى حتى يَسْتَلِمَ الرّكْنَ الأسْوَدَ ثُمّ هَرْوَلَ كَذَلِك ثَلاثَةَ أطْوافٍ ومَشَى سائِرَها .

فَكان ابنُ عَبّاسٍ يَقُول : كان النّاسُ يَظُنّونَ أنّها ليسَتْ عليهم . وذَلِك أنّ رسولَ الله ﷺ

---

(١) واهٍ : رواه ابن جرير في تفسيره [٢/٢/١٩٦ - ١٩٧] من رواية يوسف بن خالد عن نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس . قلت : فيه يوسف بن خالد كذبوه . قلت : وهذا التفسير وهو قول جماهير المفسرين إن لم يكن اتفاقهم عليه قول مجاهد وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي وعطاء . رواها ابن جرير عنهم .

(٢) متفق عليه من وجه آخر : سند ابن إسحاق ضعيف فيه مبهم ، وقد بينه ابن جرير الطبري في تاريخه [٢/١٤٢] عن ابن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس . وهذا سند ضعيف فالحسن ابن عمارة متروك ، ورواية الحكم عن مقسم متكلم فيها لكن الحديث في الصحيحين . البخاري [١٦٠٢ ، ٤٢٥٦] ومسلم [١٢٦٦] وفي الصحيح أيضًا من حديث عمر وابن عمر .

إنّما صَنَعَها لِهذا الحَيّ من قُرَيْشٍ لِلّذي بَلَغَه عنهم حتى إذا حَجّ حَجّةَ الوَداعِ فَلَزِمَها ، فَمَضَتِ السّنةُ بِها

قال ابنُ إسحاقَ :[١] وحَدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ حينَ دَخَلَ مَكّةَ في تِلْكَ العُمرَةِ دَخَلَها وعبدُ الله بنُ رَواحَةَ آخِذٌ بِخِطامِ ناقَتِه يقول :

خَلّوا بني الكُفّارِ عن سَبيلِه   خَلّوا فَكُلّ الخَيْرِ في رسولِهِ

يـا رَبِّ إنّي مُـؤْمِـنٌ بِقيلِـه   أعْرِفُ حَـقّ الله في قَبـولِهِ

نحن قَتَلْناكُمْ عـلى تَـأويلِـه   كَمـا قَتَلْنـاكُمْ عـلى تَنْزِيـلِهِ [٦١/ب]

ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقيلِه   وَيُذْهِلُ الخَليلَ عـن خَليلِهِ

قال ابنُ هشـامٍ :«نحن قَتَلْناكُمْ على تَأويلِهِ» إلى آخِرِ الأبياتِ لِعمّارِ بنِ ياسِرٍ في غَيْرِ هذا اليوم .

والدّليلُ على ذلك أنّ ابنَ رَواحَةَ إنّما أرادَ المُشْرِكِينَ ، والمُشْرِكُونَ لَم يُقِرّوا بِالتّنْزِيلِ وإنّما يُقْتَلُ على التّأويلِ مَن أقَرّ بِالتّنْزِيلِ [٢] .

---

(١) صحيح : سند ابن إسحاق مرسل رواه من طريقه الطبري تاريخه [١٤٢/٢] والبيهقي دلائل [٣٢٣/٤] . والحديث من ورواية أنس بسند صحيح .

رواه عبد الرزاق من وجهين : الوجه الأول : عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . رواه عنه من هذا الوجه . الترمذي [٢٨٥١] والنسائي [٢٠٢/٥ - ٢١١ - ٢١٢] وأبو يعلي [٣٣٩٤ - ٣٤٤٠] وابن حبان في صحيحه [٥٧٨٨] والبيهقي في السنن [٢٢٨/١٠] . قال الترمذي : (هذا إسناد حسن صحيح غريب من هذا الوجه)

وقد روى هذا الحديث عبد الرزاق أيضًا عن معمر عن الزهري عن أنس .

قلت : رواه أبو يعلي [٣٥٧١ ، ٣٥٧٩] وابن حبان في صحيحه [٤٥٢١] والبزار كشف الأستار [٢٠٩٩] والبيهقي دلائل [٣٢٢/٤ - ٣٢٣] والسنن [٢٨٨/١٠] والبغوي [٣٤٠٥] .

قلت : وقد تابع عبد الرزاق لروايته عن جعفر عن ثابت كل من قطن بن نسير ، رواه البيهقي في السنن [١٠/ ٢٨٨] ، ويحيى بن عبد الحميد عند أبي نعيم في الحلية [٢٩٢/٦] .

قلت : ورواه موسى بن عقبة في مغارية عن الزهري مرسلاً . ومن مرسل زيد بن أسلم رواه البيهقي في الدلائل [٣٢٥/٤] .

(٢) قال الحافظ في الفتح [٥٧٣/٧] : زعم ابن هشام أن قوله : (نحن ضربناكم على تأويله) إلى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين ، قال : ويؤيده أن المشركين لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، انتهى . وإذا ثبتت الرواية فلا مانع من إطلاق ذلك فإن التقدير على رأي ابن هشام : نحن ضربناكم على تأويله . أي حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل . ويجوز أن يكون التقدير : نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه وإذا كان كذلك محتملاً وثبتت الرواية سقط الاعتراض . نعم الرواية التي جاء فيها : فاليوم نضربكم على تأويله ، يظهر أنها قول عمار ، ويبعد أن تكون قول ابن رواحة لأنه لم يقع في عمرة القضاء ....=

[زَواجُ الرّسُولِ بِمَيْمُونَةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [١] وحَدّثني أبانُ بنُ صالحٍ وعبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ . عن عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ ومُجاهِدٍ أبي الحَجّاجِ عن ابنِ عَبّاسٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ تَزَوّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحارِثِ في سَفَرِه ذلكَ وهو حَرامٌ وكان الذي زَوّجَه إيّاها العَبّاسُ بنُ عبدِ المُطّلِبِ

قال ابنُ هشام : [٢] وكانَتْ جَعَلَتْ أمرَها إلى أُختِها أُمّ الفَضلِ وكانَتْ أُمّ الفَضلِ تَحْتَ العَبّاسِ ، فَجَعَلَتْ أُمّ الفَضلِ أمرَها إلى العَبّاسِ ، فَزَوّجَها رسولَ الله ﷺ بمَكّةَ وأصدقَها عن رسولِ الله ﷺ أرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ .

[إرسالُ قُرَيْشٍ حُوَيْطِبًا إلى الرّسُولِ يَطْلُبُ مِنه الخُرُوجَ من مَكّةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [٣] فأقامَ رسولُ الله ﷺ بمَكّةَ ثَلاثًا فأتاه حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عبدِ ودّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلٍ ، في نَفَرٍ من قُرَيْشٍ في اليومِ الثّالِثِ وكانَتْ قُرَيْشٌ قد وكّلَتْه بإخراجِ رسولِ الله ﷺ من مَكّةَ ، فقالُوا له إنّه قد انْقَضَى أجَلُكَ ، فاخْرُجْ عَنّا ؛ فقال النّبيّ ﷺ : **«وَما عَلَيْكُم لَوْ تَرَكْتُمُوني فأعْرستُ بَيْنَ أظْهُرِكُم ، وصَنَعْنا لَكُمْ طعامًا فَحَضَرْتُمُوه»** قالُوا : لا حاجَةَ لَنا في طَعامِك فاخْرُجْ عَنّا

فَخَرَجَ رسولُ الله ﷺ وخَلّفَ أبا رافِعٍ مَوْلاه على مَيْمُونَةَ ، حتى أتاه بِها بِسَرِفَ . فَبَنَى بِها رسولُ الله ﷺ هُنالِكَ ثُمّ انْصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى المَدِينَةِ في ذي الحِجّةِ .

= ضرب ولا قتال ، وصحيح الرواية

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله

يشير بكل منها إلى ما مضى ، ولا مانع أن يتمثل عمار بن ياسر بهذا الرجز ويقول هذه اللفظة . ومعنى قوله : (نحن ضربناكم على تنزيله) أي في عهد الرسول فيما مضى ، وقوله : (واليوم نضربكم على تأويله) أي الآن ، وجاز تسكين الباء لضرورة الشعر أ هـ .

(١) متفق عليه : علقه البخاري في صحيحه [٤٢٥٩] عن ابن إسحاق ورواه موصولاً من طريق عكرمة عن ابن عباس [٤٢٥٨] ومسلم [١٤١٠] .

(٢) عزاه الحافظ لأبي الأسود في مغازيه رواه عن عروة مرسلاً ويشهد له السابق .

(٣) حسن : رواه الطبري في التاريخ [١٤٣/٢] والبيهقي في الدلائل [٣٣٠/٤] والحاكم في المستدرك [٣١/٤] موصولاً بالسنن أعلاه من حديث ابن عباس . وله شاهد من حديث ميمونة رواه الحاكم في المستدرك من مرسل عروة ، عزاه الحافظ ابن حجر في الفتح [٥٧٦/٧] لأبي الأسود في مغازيه . قلت : وقد جاء في الصحيح من حديث البراء أنهم كلموا عليا ليكلم النبي ﷺ ليخرج ، فكلمه علي فخرج ﷺ . قال الحافظ : وكأنه كان دخل في أوائل النهار فلم يكمل الثلاث إلا في مثل ذلك الوقت من النهار الرابع الذي دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم في أول النهار قرب مجيء ذلك الوقت . ا هـ

[ما نزَلَ من القُرآنِ في عُمرةِ القَضاءِ] :

قال ابنُ هشام :(١) فأنزَلَ الله عَزّ وجَلّ عليه فيما حَدّثني أبو عُبَيْدَةَ : ﴿**لَقد صَدَقَ الله رسولَه الرّؤيا بالحَق لَتَدخُلُنّ المَسجِدَ الحَرامَ إن شاءَ الله آمِنينَ مُحَلّقِينَ رُءُوسَكُم ومُقَصّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعلَمُوا فَجَعَلَ من دُونِ ذلك فَتحًا قَرِيبًا**﴾ يَعْني فتح خَيْبَرَ .

ذِكرُ غَزوةِ مُؤتَة

[في جُمادَى الأُولَى سَنَةَ ثَمانٍ ومَقتَلُ جَعفَرٍ وزَيْدٍ وعبدِ الله بنِ رَواحَة]

قال ابنُ إسحاقَ : فأقامَ بها بَقِيّةَ ذي الحِجّةِ ووَلِيَ تِلْكَ الحَجّةَ المُشرِكُونَ والمُحَرّمَ وصَفَرًا وشَهرَيْ رَبيع ثمت . وبَعَثَ في جُمادَى الأُولَى بَعْثَه إلى الشامِ الذينَ أُصيبوا بمُؤْتَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ :(٢) حَدّثني مُحمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ قال : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ بَعْثَهُ إلى مُؤْتَةَ في جُمادَى الأُولَى سَنَةَ ثَمانٍ واستَعْمَلَ عليهم زَيْدَ بنَ حارِثَةَ وقال : **إن أُصيبَ زَيْدٌ فجَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ على النّاسِ . فإن أُصيبَ جَعْفَرٌ فعبدُ الله بنُ رَواحَةَ على النّاسِ .**

بُكاءُ ابنِ رَواحَةَ مَخافَةَ النّارِ وشِعرُه للرّسولِ :

فتَجَهّزَ النّاسُ ثُمّ تَهَيّئُوا لِلْخُرُوجِ . وهم ثَلاثَةُ آلافٍ فلَمّا حَضَرَ خُرُوجُهم ودّعَ النّاسُ أُمَراءَ رسولِ الله ﷺ وسَلّمُوا عليهم . فلَمّا ودّعَ عبدُ الله بنُ رَواحَةَ مَن ودّعَ من أُمَراءِ رسولِ الله ﷺ بَكَى ، فقالُوا : ما يُبْكيك يا بنَ رَواحَةَ ؟ فقال . أما والله ما بي حُبّ الدّنيا ولا صَبابَةٌ بِكُمْ ولكِنّي سَمِعْتُ من رسولَ الله ﷺ يَقرأُ آيَةً من كِتابِ الله عَزّ وجَلّ . يَذكُرُ فيها يعني النّارَ ﴿**وإن مِنكُمْ إلاّ وارِدُها كان على رَبّكَ حَتْمًا مَقضِيًا**﴾ فَلَستُ أدري كَيْفَ لي بالصّدَرِ بعدَ الوُرُودِ فقال المُسلِمُونَ صَحِبَكُمُ الله ودَفَعَ عَنكُمْ ورَدّكُمْ إلَيْنا صالِحِينَ فقال عبدُ الله بنُ رَواحَةَ :

لَكِنّني أسأَلُ الرّحمَنَ مَغفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزّبَدا

أوْ طَعْنَةً بيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنفِذُ الأحْشاءَ والكَبِدا

حتى يُقالَ إذا مَرّوا على جَدَثي ... أرْشَدَه الله مِن غازٍ وقد رَشَدا [٦٢/أ]

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ إنّ القَوْمَ تَهَيّئُوا لِلْخُرُوجِ فأتَى عبدُ الله بنُ رَواحَةَ رسولَ الله ﷺ فوَدّعَه

---

(١) معضل .

(٢) صحيح لسند ابن إسحاق مرسل . رواه من طريقه الطبري في تاريخه [١٤٩/٢] والبيهقي في الدلائل [٣٥٨/٤ - ٣٥٩] ورواه البخاري [٤٢٦١] وأحمد [٢٥٦/١ - ٢٥٧] والبيهقي دلائل [٣٦٠/٤] والبغوي في السنة [٣٨٠٩] من حديث ابن عمر .

ثُمّ قال :

فَثَبّتَ الله ما آتاك من حَسَنٍ تثْبيتَ مُوسَى ونَصْرًا كالذي نُصِرُوا
إنّي تَفَرّسْتُ فيكَ الخَيْرَ نافِلَةً الله يَعْــلَمُ أنّي ثـابــتُ البَـصَــرِ
أنتَ الرّسُولُ فَمَن يُحْرَم نَوافِلَه والوَجْهَ مِنه . فقد أزْرَى به القَدَرُ

قال ابنُ هشام : **أنشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ هذه الأبياتَ :**

أنتَ الرّسُولُ فَمَن يُحْرَم نَوافِلَه والوَجْهَ مِنه فقد أزْرَى بهِ القَدَرُ
فَثَبّتَ الله ما آتاك من حَسَنٍ في المُرْسَلينَ ونَصْرًا كالـذي نُصِرُوا
إنّي تفَرّسْت فيك الخَيْرَ نافِلَـةً فِراسَةً خالفَتْ فيكَ الذي نَظَرُوا

[يَعْني المُشْرِكينَ] وهذه الأبياتُ في قَصيـدَةٍ لـه . قال ابنُ إسحاق : ثُمّ خَرَجَ القَوْمُ وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودّعَهم وانْصَرَفَ عنهم قال عبدُ الله ابنُ رَواحَةَ :

خَلَفَ السّلامُ على امرئٍ ودّعْته في النّخْلِ خَيْرَ مُودّعٍ وخَليلِ

[تَخَوّفُ النّاس من لِقاء هِرَقْلَ وشِعْرُ ابن رَواحَةَ يُشجّعُهم] :

ثُمّ مَضَوْا حتى نَزَلُوا مَعانَ ، من أرْضِ الشّامِ ، فَبَلَغَ النّاسَ أنّ هِرَقْلَ قد نَزَلَ مَآبَ ، من أرْضِ البَلْقاءِ ، في مِئَةِ ألفٍ من الرّوم ، وانْضَمّ إلَيْهم من لَخْم وجُذامٍ والقَيْنِ وبَهْراءَ وبَلِيٍ مِئَةُ ألفٍ منهم عليهم رَجُلٌ من بَلِيّ ثُمّ أحَدُ إراشَةَ يُقالُ له مالِكُ بنُ زافِلَةَ .

فَلَمّا بَلَغَ ذلك المُسْلِمِينَ أقامُوا على مَعانَ ليلتين يَنْظُرُونَ في أمرِهِم وقالُوا : نَكْتُبُ إلى رسولِ الله ﷺ فَنُخْبِرُه بِعَدَدِ عَدُوّنا ، فإمّا أن يُمِدّنا بالرّجالِ وإمّا أن يَأْمُرَنا بِأمرِه فَنَمضيَ له .

قال : فَشَجّعَ النّاسَ عبدُ الله بنُ رَواحَةَ ، وقال يا قَوْمِ والله إنّ التي تَكْرَهُونَ لَلّتي خَرَجْتُم تَطْلُبونَ الشّهادَةُ وما نُقاتِلُ النّاسَ بِعَدَدٍ ولا قُوّةٍ ولا كَثْرَةٍ ما نُقاتِلُهم إلاّ بِهـذا الدّينِ الذي أكْرَمَنا الله تعالى به فانْطَلِقُوا فإنّما هِيَ إحْدَى الحُسْنَيَيْنِ إمّا ظُهُورٌ وإمّا شَهادَةٌ . قال : فَقالَ النّاسُ : قد والله صَدَقَ ابنُ رَواحَةَ . فَمَضَى النّاسُ فَقال عبدُ الله بنُ رَواحَةَ في مَجْلِسِهِم ذلك

جَلَبنا الخَيْلَ مِــن أجَإٍ وفَرْعٍ تُغَرّ من الحَشيشِ لها العُكُومُ
حَذَوْناها مِــن الصّوّانِ سِبْتًا أزَلّ كَـأنّ صَفحَتَــه أديــمُ
أقـامَتْ لَيْلَتَيْنِ عـلى مَعـانٍ فَأعْقَبَ بعــد فَتْرَتِها جُمُــومُ
فَرُحْنــا والجيــادُ مُسَوّمــاتٌ تَنَفّسُ في مَناخِرِها السّمُومُ
فَـلا وأبـي مَــآبَ لَنَــأتِيَنْهـا وإن كانَتْ بها عَرَبٌ ورُومُ

فَعَبـأنـا أعِـنتَهـا فـجـاءَتْ عَوابِسَ والغُبارُ لهـا بَريـمُ
بذي لَجَبٍ كَأنّ البَيْضَ فيـه إذا بَرَزَتْ قَوانِسُهـا النجُـومُ
فَـراضيَـةُ المَعيشَـةِ طَلَّقَتْهـا أسِنَّتُهـا فَتَنْكِـحُ أوْ تَئِيـمُ

قال ابنُ هشام : «ويُرْوَى : جَلَبنا الخَيْلَ من آجام قُرْحٍ» ، وقَوْلُه «فَعَبّأنا أعِنّتَها» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاق :(١) ثُمَّ مَضَى النّاس فَحَدّثني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنّه حُدّثَ عن زَيْدِ بنِ أرْقَمَ قال كُنْت يَتِيمًا لِعبدِ الله بنِ رَواحَةَ في حَجْرِه فَخَرَجَ بِي في سَفَرِه ذَلِك مُرْدِفِي على حَقيبَةِ رَحْلِه فَوالله إنّه لَيَسيرُ لَيْلَةً إذْ سَمِعْته وهو يُنْشِدُ أبْياتَه هذه .

إذا أدْنَيْتِـني وحَمَـلْتِ رَحْـلي مَسيرَةَ أرْبَـعٍ بعـدَ الحِساءِ
فَشَأنُـك أنْعُـمٌ وخَـلاّكِ ذَمّ وَلا أرْجِعْ إلى أهْـلي ورائي
وَجـاءَ المُسْلِمُـونَ وغـادَرُوني بأرْضِ الشّامِ مُشْتَهَيَ الثّواءِ
وَرَدّك كُلّ ذي نَسَبٍ قَريـبٍ إلى الرّحْمَـنِ مُنْقَطِعَ الإخـاءِ
هُنالِكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْـلٍ وَلا نَخْـلٍ أسافِـلُهـا رِواءُ

فَلَمّا سَمِعْتُهُنّ مِنه بَكَيْت قال فَخَفَقَنِي بِالدِّرّةِ وقال ما عَلَيْك يا لُكَعُ أن يَرْزُقَنِي الله شَهادَةً وتَرْجِعَ بَيْنَ شُعْبَتَي الرّحْلِ [قال] ثُمّ قال عبدُ الله بنُ رَواحَةَ في بَعْضِ سَفَرِه ذلك وهو يَرْتَجِزُ :

يا زَيْدُ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذّبّلِ تَطاوَلَ اللّيْلُ هُديتَ فانزِلِ

[لقاء الرّوم] :

قال ابنُ إسحاق : ثم مَضَى النّاسُ [حتى] إذا كانوا بِتُخُوم البَلْقاءِ لَقِيَتْهم جُمُوعُ هِرَقْلَ من الرّوم والعَرَبِ ، بِقَرْيَةٍ من قُرى البَلْقاءِ يُقالُ لها مَشارِفُ ، ثُمّ دَنا العَدُوّ ، وانْحازَ المُسْلِمُونَ إلى قَرْيَةٍ يُقالُ لها مُؤْتَةُ . فالتَقَى النّاسُ عندها فَتَعَبّأ لهم المُسْلِمُونَ فَجَعَلُوا [٦٢/ب] على مَيْمَنَتِهم رَجُلاً من بني عُذْرَةَ يُقالُ له قُطْبَةُ بنُ قَتادَةَ وعلى مَيْسَرَتِهم رَجُلاً من الأنْصارِ يُقالُ له عُبايَةُ بنُ مالِكٍ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ عُبادَةُ بنُ مالِكٍ .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ التَقَى النّاسُ واقْتَتَلُوا ، فَقاتَلَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بِرايَةِ رسولِ الله ﷺ حتى شاطَ في رِماحِ القَوْمِ .

---

(١) ضعيف : رواه الطبري في تاريخه [١٥٠/٢] من طريق ابن إسحاق وهذا سند ضعيف فيه جهالة من حدث عبد الله بن أبي بكر .

ثُمَّ أخَذَها جَعفَرٌ فقاتَلَ بِها ، حتى إذا ألْجَمَه القِتالُ اقْتَحَمَ عن فَرسٍ له شَقْراءَ،فعَقَرَها ، ثُمَّ قاتَلَ القَوْمَ حتى قُتِلَ . فكان جَعفَرٌ أوَّلَ رَجُلٍ من المُسلِمينَ عَقَرَ في الإسلامِ .

قال ابن إسحاق : [(١)] وَحَدَّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ قال : حَدَّثَني أبي الذي أرْضَعَني ، وكان أحَدَ بني مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ ، وكان في تِلْكَ الغَزْوَةِ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ قال : والله لَكَأنّي أنظُرُ إلى جَعفَرٍ حينَ اقْتَحَمَ عن فَرسٍ له شَقْراءَ ثُمَّ عَقَرَها ثُمَّ قاتَلَ القوم حتى قُتِلَ وهو يقول :-

يـا حَبّـذا الجَنّةُ واقترابُها ... طَيِّبَةً وبـارِدًا شَرابُها
والرّومُ رُومٌ قد دَنا عَذابُها ... كافِرَةٌ بَعيدَةٌ أنسابُها
عَلَيَّ إذْ لاقَيْتُها ضِرابُها

قال ابنُ هشام : [(٢)] وحَدّثَني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ أنّ جَعفَرَ بنَ أبي طالِبٍ أخَذَ اللّواءَ بيَمينِه فَقُطِعَتْ ثم بِشِمالِه فَقُطِعَتْ فاحْتَضَنَه بعَضُدَيْه حتى قُتِلَ - رَضيَ الله عنه - وهو ابنُ ثَلاثٍ وثَلاثينَ سَنَةً فأثابَه الله بذلك جَناحَيْنِ في الجَنّةِ يَطيرُ بِهما حَيثُ شاءَ . وَيُقالُ إنّ رَجُلاً من الرّومِ ضَرَبَه يومَئِذٍ ضَرْبَةً فَقَطَعَه نِصْفَيْنِ .

[إمارَةُ ابن رَواحَةَ ومَقْتَلُهُ] :

قال ابنُ إسحاق : [(٣)] وحَدّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ قال حَدّثَني أبي الّذي أرْضَعَني ، وكان أحَدَ بني مُرّةَ بنِ عَوْفٍ ، قال فَلَمّا قُتِلَ جَعفَرٌ أخَذَ عبدُ الله بنُ رَواحَةَ الرّايَةَ ثُمَّ تَقَدَّمَ بها ، وهو على فَرسِه فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَه ويَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ ثُمَّ قال :

أقْسَمْـتُ يـا نَـفْسُ لَتَنْزِلِنّـهْ ... لَتَنْزِلِـنّ أوْ لَتُكْـرَهِنّـهْ
إن أجْلَبَ النّاسُ وشَدّوا الرّنّهْ ... مـالي أراكِ تَكْرَهينَ الجَنّـهْ
قد طـال ما قد كُنْتِ مُطْمَئِنّهْ ... هَلْ أنْتِ إلاّ نُطْفَةٌ في شَنّهْ

وَقال أيضًا رحمه الله :

يا نَفْسُ إلاّ تُقْتَلي تَمُوتي ... هذا حِمامُ المَوْتِ قد صَلِيَتِ

---

(١) حسن : رواه ابن سعد في الطبقات [٤/٢٨] ورواه أبو داود [٢٥٧٣] والطبراني في الكبير [١٤٦٢] والحاكم [٣/٢٠٩] والبيهقي دلائل [٤/٣٦٣] والطبري في التاريخ [٢/١٥١] وأبو نعيم في الحلية [١/١١٨] كلهم من طريق ابن إسحاق وهذا سند حسن .

(٢) معضل .

(٣) حسن .

وَما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ إن تَفْعَلِي فِعْلَهما هُدِيتِ

يريد صاحِبَيْه زَيْدًا وجَعْفَرًا ، ثُمَّ نَزَلَ فَلَمّا نَزَلَ أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ من لَحْمٍ فقال : شُدَّ بهذا صُلْبَك ، فإنّك قد لَقِيت في أيّامِك هذه ما لَقِيت ، فَأَخَذَه من يَدِه ثُمَّ انْتَهَسَ مِنْه نَهْسَةً ثُمّ سَمِعَ الحَطْمَةَ في ناحيَةِ النّاسِ فَقال : وأنتَ في الدّنيا ثُمّ ألْقاه من يَدِه ثُمّ أخَذَ سَيْفَه فَتَقَدَّمَ فَقاتَلَ حتى قُتِلَ .

ثمّ أخَذَ الرّايَةَ ثابتُ بنُ أَقْرَمَ أخُو بني العَجْلانِ فَقال يا مَعْشَرَ المُسْلِمِين اصْطَلِحُوا على رَجُلٍ مِنْكُم قالُوا : أنْتَ ، قال : ما أنا بِفاعِلٍ . فاصْطَلَحَ النّاسُ على خالِدِ بنِ الوَلِيدِ ، فَلَمّا أخَذَ الرّايَةَ دافَعَ القَوْمَ . وحاشَى بِهِم ثُمّ انْحازَ وانْحِيزَ عنه حتى انْصَرَفَ بالنّاسِ .

[تَنَبُّؤ الرّسُول بما حَدَثَ لِلْمُسْلِمِينَ مع الرّوم] :

قال ابنُ إسحاقَ : [1] ولَمّا أُصِيبَ القَوْمُ قال رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني : «أَخَذَ الرّايَةَ زَيْدُ ابنُ حارِثَةَ فَقاتَلَ بها حتى قُتِلَ شَهِيدًا ، ثُمّ أخَذَها جَعْفَرٌ فَقاتَلَ بها حتى قُتِلَ شَهِيدًا» قال ثُمّ صَمَتَ رسولُ الله ﷺ حتى تَغَيّرَتْ وُجُوه الأنْصارِ وظَنّوا أنّه قد كان في عبدِ الله بنِ رَواحَةَ بَعْضُ ما يَكْرَهُونَ ثُمّ قال : «ثُمّ أخَذَها عبدُ الله بنُ رَواحَةَ فَقاتَلَ بها حتى قُتِلَ شَهِيدًا ثُمّ قال : لَقد رُفِعُوا إلَيَّ في الجَنّةِ فيما يَرَى النّائِمُ على سُرُرٍ من ذَهَبٍ فَرَأيْت في سَرِيرِ عبدِ الله بنِ رَواحَةَ ازْوِرارًا عن سَرِيرَيْ صاحِبَيْه فَقُلْت : عمّ هذا ؟ فَقِيلَ لي : مَضَيا وتَرَدّدَ عبدُ الله بَعْضَ التّرَدّدِ ثُمّ مَضَى .

قال ابنُ إسحاقَ : [2] فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ عن أُمّ عيسَى الخُزاعِيّةِ عن أُمّ جَعْفَرٍ بِنْتِ مُحَمّدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ أبي طالِبٍ ، عن جَدّتِها أسْماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، قالتْ لَمّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وأصْحابُه دَخَلَ عَلَيّ رسولُ الله ﷺ وقد دَبَغْت أرْبَعِينَ مَنًا . قال ابنُ هشامٍ : [ويُرْوَى] أرْبَعِينَ مَنِيئَةً .

(١) الأثر بطوله ضعيف : لم يسنده ابن إسحاق ، ورواه عنه البيهقي في الدلائل [٣٦٨/٤] وصح الشطر الأول منه وهو نعي النبي ﷺ لهم . رواه البخاري [٤٢٦٢] وأحمد [١١٣/٣ ، ١١٨] والبيهقي في الدلائل [٣٦٦/٤] من حديث أنس . بلفظ «أن النبي ﷺ نعى . زيدًا أو جعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال : «أخذ الراية زيد فأصيب ثم جعفر فأصيب ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» .

(٢) حسن بشواهده : رواه أحمد [٣٧٠/٦] والبيهقي في الدلائل [٣٧٠/٤] من طريق ابن إسحاق هذا . وعلته : أم عيسى الخزاعية قال الحافظ في التقريب : لا يعرف حالها . وأم جعفر ويقال أم عون ، قال الحافظ : مقبولة . والحديث روى بمعناه مختصرًا من طرق عن أسماء رضي الله عنها . رواه ابن سعد في الطبقات [٣٠/٤] من طريق محمد بن طلحة عن الحكم عن عبد الله ابن شداد بن الهاد عنها بلفظ قالت : قال لرسول الله (تسلى ثلاثًا ثم اصنعي ما شئت) ومن طريق عبد الله بن أبي بكر ابنها عنها . رواه عبد الرزاق في مصنفه [٦٦٦٦] مطولاً شيئًا ما وفيه آخر الحديث ولكن في سنده رجل مبهم . قال عبد الرزاق عن رجل من أهل المدينة عن عبد الله بن أبي بكر وللحديث شاهد .من حديث عبد الله بن جعفر رواه عبد الرزاق في المصنف [٦٦٦٥] ورواه أحمد [٢٠٥/١] ....=

قَالَ ابنُ هِشَامٍ : الميتة المُدْبَغَةُ ويُقَالُ : الدِّبَاغُ ويُقَالُ : الجِلْدُ فِي حَالِ مَا يُدْبَغُ وعَجَنْت عَجِيني ، وغَسَلْت بنيّ ودَهَنْتهم ونَظَّفْتهم. قالتْ فقال لي رسولُ الله ﷺ : **«ائْتيني بِبني جَعْفَرٍ ؟»** قالتْ : فَأَتَيْته بِهِم فَتَشَمّهم وذَرَفَتْ عَيْناه فَقُلْت : يا رسولَ الله . بِأبي أنت وأُمّي ما يُبْكيك ؟ أبَلَغَك عن [٦٣/أ] جَعْفَرٍ وأصْحابه شيءٌ ؟ قال : **«نَعم أُصيبوا هذا اليومَ»** قالتْ فَقُمت أصيحُ واجْتَمَعَ [إلَيّ النّساءُ] وخَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه . فَقال : **«لا تُغْفِلُوا عن آلَ جَعْفَرٍ من أن تَصْنَعُوا لهم طَعامًا ، فإنّهم قد شُغِلُوا بِأمرِ صاحِبِهِم»**

وَحَدّثَني عبدُ الرّحْمَنِ بنُ القاسِمِ بنِ مُحَمّدٍ ، عن أبيه عن عائِشَةَ زَوْجِ النّبيّ ﷺ قالتْ لَمّا أتَى نَعْيُ جَعْفَرٍ عَرَفْنا في وجه رسولِ الله ﷺ الحُزْنَ قالتْ فَدَخَلَ عليه رَجُلٌ فَقال يا رسولَ الله إنّ النّساءَ عَنَيْنَنا وفَتَنّنا ؟ قال : **«فارْجِعْ إليهِنّ فَأَسْكِتْهُنّ»** قالتْ : فَذَهَبَ ثُمّ رَجَعَ فَقال له مِثْلَ ذلك . قال : تَقُولُ ورُبّما ضَرّ التّكَلّفُ أهلَه . قالتْ : قال : **«فاذْهَبْ فَأَسْكِتْهُنّ فَإن أبَيْنَ فاحْثُ في أفْواهِهِنّ التّرابَ»** قالتْ : وقُلْت في نَفْسي : أبْعَدَك الله فَوالله ما تَرَكْتَ نَفْسَك وما أنْتَ بِمُطيعٍ رسولَ الله ﷺ . قالتْ وعَرَفْت أنه لا يَقْدِرُ على أن يَحْثيَ في أفْواهِهِنّ التّرابَ (١) .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وقد كان قُطْبَةُ بنُ قَتادَةَ العُذْريّ الذي كان على مَيْمَنَةِ المُسْلِمينَ فَدَخَلَ على مالِكِ بنِ زافِلَةَ فَقَتَلَه فَقال قُطْبَةُ بنُ قَتادَةَ :

طَعَنْتُ ابنَ زافِلَةَ بنِ الإرا … شِ بِرُمْحٍ مَضَى فيه ثُمّ انْحَطَم
ضَرَبْتُ على جيدِه [ضَرْبَةً] … فَمَال كَما مال غُصْنُ السّلَم
وَسُقْنا نِساءَ بني عَمّه … غَداةَ رقوقين سَوْقَ الغنم

قال ابنُ هشام : قَوْلُه «ابنِ الإراشِ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ . والبَيْتُ الثّالِثُ عن خَلّادِ بنِ قُرّةَ ؛ ويُقالُ مالِكُ بنُ رافِلَةَ .

* * *

= وأبو داود [٣١٣٢] والترمذي [٩٩٨] وابن ماجه [١٦١٠] والحاكم [٣٧٢/١] والبيهقي في السنن [٦١/٤] .

قال الترمذي : حسن صحيح . من رواية جعفر بن خالد المخزومي عن أبيه خالد بن عبد الله بن جعفر . قال أبو عيسى : جعفر بن خالد هو ابن سارة وهو ثقة روى عنه ابن جريج وروي من طريق آخر عن عبد الله بن جعفر. رواه ابن سعد في الطبقات [٢٧/٤] من رواية محمد بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر . وذكر قصة دخول النبي ﷺ عليهم حين وفاة جعفر ودعا بحلاق لحلق لهم رءوسهم .

(١) متفق عليه بنحوه : سند ابن إسحاق حسن ورواه ابن سعد [٣٠/٤] من طريق ابن إسحاق ، ورواه البخاري [٤٢٦٣] ومسلم [٩٣٥] من رواية عمرة عن عائشة .

(٢) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٥٢/٢] . من رواية ابن إسحاق .

[كاهنةُ حَدَس وإنذارُها قومَها] :

قال ابنُ إسحاق : (١) وقد كانَتْ كاهِنَةٌ من حَدَس (٢) حينَ سَمِعَتْ بِجَيْشِ رسولِ الله ﷺ مُقبِلاً ، قد قالتْ لِقَوْمِها من حَدَسٍ وقَوْمُها بَطْنٌ يُقالُ لهم بنُو غَنْم أُنْذِرُكُم قَوْمًا خُزْرًا ، يَنظُرُونَ شَزْرًا ، ويَقُودُونَ الخَيْلَ تَتْرَى ، ويُهرِيقُونَ دَمًا عَكِرًا . فَأَخَذُوا بِقَوْلِها ، واعْتَزَلُوا من بَيْنِ لَخْمٍ ؟ فَلَم تَزَلْ بَعْدُ أَثْرَى حَدَسٍ .

وَكان الذينَ صَلَوُا الحَرْبَ يومَئِذٍ بنُو ثَعْلَبَةَ بَطْنٌ من حَدَسٍ فَلَم يَزالُوا قَليلاً بَعْدُ . فَلَمَّا انْصَرَفَ خالِدٌ بِالنّاسِ أَقْبَلَ بِهِم قافِلاً .

[رُجوعُ الجيْش وتلقّي الرّسُول له وغضَبُ المسْلمين] :

قال ابنُ إسحاق : (٣) فَحَدَثَني مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ . قال فَلَمّا دَنَوْا من حَوْلِ المَدينَةِ تلقاهم رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ . قال ولَقِيَهم الصِّبْيانُ يَشْتَدّونَ ورسولُ الله ﷺ مُقْبِلٌ مع القَوْمِ على دابَّةٍ فَقال خُذُوا الصِّبْيانَ فاحْمِلُوهم ، وأعْطُوني ابنَ جَعْفَرٍ . فَأُتِيَ بعبدِ الله بن جعفر فَأَخَذَه فَحَمَلَه بَيْنَ يَدَيْه. قال وجَعَلَ النّاسُ يَحْثُونَ على الجَيْشِ التّرابَ ويقولونَ يا فُرّارُ فَرَرْتُم في سَبيلِ الله قال فَيقول رسولُ الله ﷺ لَيْسُوا بِالفُرّارِ ولَكِنّهم الكُرّارُ إن شاءَ الله تَعالى

[قال ابنُ إسحاق :] (٤) وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، عن عامِرِ بنِ عبدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ ، عن بَعْضِ آلِ الحارِثِ بنِ هشام : وهم أَخْوالُه عن أُمّ سَلَمَةَ زَوْجِ النّبيّ ﷺ قال : قالتْ أُمّ سَلَمَةَ لامرَأةِ سَلَمَةَ بنِ هشامِ بنِ العاصِ بنِ المُغيرَةِ مالي لا أرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصّلاةَ مع رسولِ الله ﷺ ومَعَ المسْلِمينَ ؟ قالتْ والله ما يَسْتَطيعُ أن يَخْرُجَ كُلّما خَرَجَ صاحَ به النّاسُ يا فُرّارُ فَرَرْتُم في

---

(١) مثل سابقه .

(٢) في المخطوط (خدش) وحدس : قبيلة من لخم ، ولخم قبيلة من اليمن .

(٣) مرسل : رواه ابن جرير الطبري في تاريخه [١٥٢/٢] والبيهقي في الدلائل [٣٧٤/٤] وابن سعد في الطبقات [٩٨/٢] من روايته عن شيوخه الذين ذكرهم في بداية المغازي وسبق الكلام على هذه الأسانيد وأغلبها مرسل . وقد انتقد الحافظ ابن كثير هذه الرواية فقال البداية [٢٤٨/٤] ما ملخصه : (إن هذه الرواية مرسلة وفيها غرابة . وعندي أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق فظن أن الجمهور هم الجيش ، وإنما كان الذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نصروا كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين وهو على المنبر في قوله (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه) . ثم ذكر من حديث ابن عمر أنه كان في سرية ففر مع فئة فأتوا النبي ﷺ فقال لهم لستم الفرارون ولكنكم الكرارون . رواه أحمد ، ثم أخذ يستدل على أن بعض المسلمين غنم في مؤتة سلب من قتله كما حدث لعوف بن مالك وحديثه في مسلم إلى آخر ما قال .

(٤) ضعيف : رواه الطبري في التاريخ [١٥٢/٢] والبيهقي دلائل (٣٧٤/٤ - ٣٧٥) من طريق ابن إسحاق ، وفي سنده جهالة شيوخ عامر بن عبد الله بن الزبير .

سَبيلِ الله حتى قَعَدَ في بَيْتِه فَما يَخْرُجُ

قال ابنُ إسحاقَ : وقد قال فيما كان من أمرِ النّاسِ وأمرِ خالِدٍ ومُحاشاتِه بالنّاسِ وانصرافِه بِهم قَيْسُ بنُ المُسَحرِ اليَعْمَريّ ، يَعْتَذِرُ بمَا صَنَعَ يومَئِذٍ وصَنَعَ النّاسُ فقال :

فَـوالله لا تَنْفَـكّ نَفْسي تَـلُـومُني ... عـلى مَوْقِفِي والخَيْـلُ قابِعَـةٌ قُبُـلُ

وَقَفْـتُ بِهـا لا مُسْتَـجيرًا فَـنافِذًا ... وَلا مانِعًا مَن كان حُمَّ لـه القَتْـلُ

عـلى أنّني آسَيْتُ نَـفْـسي بخـالِـدِ ... ألا خـالِدٌ في القَوْمِ ليس له مِثْلُ

وَجاشَتْ إليَّ النّفْسُ من نَحْوِ جَعْفَرٍ ... بِمُؤْتَـةَ إذْ لا يَنْفَعُ النّـابِـلَ النّبْـلُ

وَضَـمّ إلَيْنـا حَـجْـزَتَيْهِـم كِلَـيْهِمـا ... مُهـاجِـرَةٌ لا مُشْرِكُونَ ولا عُـزْلُ

فَبَيّنَ قَيْسٌ ما اختَلَفَ فيه النّاسُ من ذلك في شِعْرِه أنّ القَوْمَ حاجَزُوا وكَرِهُوا المَوْتَ وحَقّقَ انْحيازَ خالِدٍ بِمَن مَعَه .

قال ابنُ هشام : [1] فَأمّا الزّهْريّ فَقال فيما بَلَغَنا عنه أمَّرَ المُسْلِمُونَ عليهم خالِدَ بنَ الوَليدِ ، فَفَتَحَ الله عليهم وكان عليهم حتى قَفَلَ إلى [٦٣/ب] النّبيّ ﷺ .

قـال ابنُ إسحاقَ : **وكـان مِمّا بُكِيَ به [أصْحابُ مُؤْتَةَ من] أصحابِ رسولِ الله ﷺ قَوْلُ حسّانَ بن ثابتٍ :**

تَـأوّبَني لَيْـلٌ بيَثْـرِبَ أعسَـرُ ... وَهَمّ إذا ما نَوّمَ النّاسُ مُسْهِـرُ

لِذِكْرِ حَبيبٍ هَيّجَتْ لي عَبْرَةً ... سَفُوحًا وأسبابُ البُكاءِ التّذَكّرُ

بَلَى ، إنّ فِقْدانَ الحَبيبِ بَليّةٌ ... وَكَم مِـن كَـريمٍ يُبْتَلَى ثُمّ يَصْبِرُ

رَأيْتُ خيارَ المُـومِنـينَ تَوارَدُوا ... شَعُـوبَ وخَلْفًا بعدهم يَتَأخّـرُ

فَـلا يُبْعِـدَنّ الله قَتْلَى تَتابَعُوا ... بِمُؤْتَةِ منهم ذُو الجَناحَيْنِ جَعْفَرُ

وَزَيْـدٌ وعبدُ الله حينَ تَتابَعُـو ... جَميعًـا وأسبابُ المَنيّةِ تَخْطِـرُ [2]

غَـداةَ مَضَوْا بالمُؤْمِنينَ يَقُودُهم ... إلى المَـوْتِ مَيْمُونُ النّقيبةِ أزْهَرُ

أغَرّ كَضَوْءِ البَدْرِ من آلِ هاشِمٍ ... أبِيٌّ إذا سِيمَ [3] الظّلامَةَ مِجْسَرُ

---

(١) مرسل : ذكره ابن كثير في البداية [٢٤٨/٤] وفي حديث النبي المرفوع نحوه في رواية البخاري [٤٢٦٢] من حديث أنس قال ﷺ : (فأخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم) .

(٢) تخطر : تختال وتهتز .

(٣) سيم : كلف وحمل

فَطاعَنَ حتى مـال غَيْرَ مُوَسّدِ ... لِمُعْتَـرَكٍ فيـه قَنًـا مُتَـكَسّـرُ
فَصارَ مـع المُسْتَشْهَدِينَ ثَوابُـه ... جِنـانٌ ومُلْتَفُّ الحَـدائِقِ أخْضَرُ
وَكُنّـا نَـرَى في جَعْفَـرٍ من مُحَمّدٍ ... وَفاءً وأمـرًا حازمًا حيـنَ يَـأمُرُ
فَمَا زال في الإسلامِ من آلِ هاشِمٍ ... دَعـائِمُ عِـزّ لا يَزُلْنَ ومَفْـخَـرُ
هم جَبَلُ الإسلامِ والنّاسُ حَوْلَهم ... رِضـامٌ إلى طَـوْدٍ يَـرُوقُ ويُقْهَـرُ
بَهـالِيـلُ منهم جَعْفَـرٌ وابنُ أُمّه ... عَـلِيّ ومنهـم أحْمَـدُ المُتَخَيّـرُ
وَحَمْـزَةُ والعَبّـاسُ منهـم ومنهـم ... عَقيلٌ وماءُ العُودِ من حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِـم تُفْـرَجُ اللأْواءُ في كُلّ مَأزِقٍ ... عَماسٍ إذا ما ضاقَ بِالنّاسِ مَصْدَرُ [١]
هـم أوْلِيـاءُ الله أنْـزَلَ حُكْمَـه ... عليـهم وفيهـم ذا الكِتـابُ المُطَهّـرُ

قال ابن هشام : يريد هذا الكتاب .

وقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ :

نـامَ العُيُـونُ ودَمعُ عَيْنِكَ يَهْمُلُ ... سَحًا كَما وكَفَ الطّبابُ المُخْضَلُ [٢]
في لَيْـلَةٍ وَرَدَتْ عَـلَيّ هُمُـومُهـا ... طَـوْرًا أحِـنّ وتـارَةً أتَمَـلْمَـلُ
واعْتادَني حُزْنٌ فَبِتّ كأنّني بِبَناتِ ... نَـعْـشٍ والسّمـاكِ مُـوَكّـلُ
وَكَأنّمـا بَيْـنَ الجَـوانِحِ والحَشَى ... مِمّـا تَـأوّبَني شِهـابٌ مُـدْخَـلُ [٣]
وَجْدًا عـلى النّفَرِ الذيـنَ تَتابَعُوا ... يومًـا بِمُؤْتَـةَ أُسْنِدُوا لَـم يُنْقَلُوا
صَـلّى الإلَـه عليـهم من فِتْيَةٍ ... وَسَقَى عِظامَهم الغَمامُ المُسْبِلُ [٤]
صَبَـرُوا بِمُؤْتَـةَ لِلإلَـه نُـفُوسَهـم ... حَـذَرَ الـرّدَى ومَخافَةً أن يَنْكُلُوا
فَمَضَـوْا أمـامَ المُسْلِمِـينَ كَـأنّهـم ... فُنُـقٌ [٥] عليهِنّ الحَديدُ المُرْفَلُ
إذْ يَـهْتَـدُونَ بِجَعْفَـرٍ ولِـوائِـه ... قُـــدّامَ أوّلِهـم فَـنِعْـمَ الأوّلُ
حتى تَفَـرّجَتِ الصّفُـوفُ وجَعْفَرٌ ... حَيْثُ التَقَى وعْثُ الصّفُوفِ مُجَدّلُ [٦]

---

(١) اللأواء : الشدة . العماس : المظلم .
(٢) المخضل : السائل الندى .
(٣) المدخل : النافذ إلى الداخل .
(٤) المسبل : الممطر .
(٥) الفنق : الفحول .
(٦) وعث الصفوف : التحامها حتى يصعب الخلاص من بينها .

فَتَغَيّرَ القَمَرُ المُنيرُ لِفَقْدِه ... والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادَتْ تَأفِلُ
قَرْمٌ عَلا بُنْيانُه من هاشِمٍ ... فَرْعًا أشَمَّ وسُؤْدُدًا ما يُنْقَلُ
قَوْمٌ بِهِم عَصَمَ الإلهُ عِبادَه ... وعليهِم نَزَلَ الكِتابُ المُنْزَلُ
فَضَلُوا المَعاشِرَ عِزَّةً وتَكَرُّمًا ... وتَغَمَّدَتْ أحْلامُهم مَن يَجْهَلُ
لا يُطْلِقُونَ إلى السّفاهِ حُباهُم ... وَيُرى خَطيبُهم بِحَقٍّ يَفْصِلُ
بيضُ الوُجوهِ تُرى بُطونُ أكُفِّهِم ... تَنْدَى إذا اعْتَذَرَ الزّمانُ المُمْحِلُ [1]
وَبِهَدْيِهِم رَضِيَ الإلهُ لِخَلْقِه ... وَبِجَدِّهِم نُصِرَ النّبيُّ المُرْسَلُ

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكي جَعْفَرَ بنَ أبي طالِبٍ رَضِيَ الله عنه :

وَلَقد بَكَيْتُ وعَزَّ مُهْلَكُ جَعْفَرٍ ... حِبِّ النّبيِّ على البَرِيّةِ كُلِّها
وَلَقد جَزِعْت وقُلْت حينَ نُعيتَ لي ... مَن لِلْجِلادِ لَدى العُقابِ [2] وظِلِّها
بِالبيضِ حينَ تُسَلُّ من أغْمادِها ... ضَرْبًا وإنْهالِ الرِّماحِ وعَلِّها
بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارَكِ جَعْفَرٍ ... خَيْرِ البَرِيّةِ كُلِّها وأجَلِّها
رُزْءًا وأكْرَمِها جَميعًا مَحْتِدًا [3] ... وَأعَزِّها مُتَظَلَّمًا وأذَلِّها
لِلْحَقِّ حينَ يَنُوبُ غَيْرَ تَنَحُّلٍ [4] ... كَذِبًا ، وأنْداها يَدًا وأقَلِّها
فُحْشًا وأكْثَرِها إذا ما يُجْتَدَى ... فَضْلاً ، وأبْذَلِها يَدًا ، وأبَلِّها
بِالعُرْفِ غَيْرَ مُحَمّدٍ لا مِثْلُه ... حَيٌّ من أحْياءِ البَرِيّةِ كُلِّها

وَقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في [يوم] مُؤْتَةَ يَبْكي زَيْدَ بنَ حارِثَةَ وعبدَ الله بنَ رَواحَةَ :

عَيْنِ جُودي بِدَمْعِكِ المَنْزُورِ ... واذْكُري في الرَّخاءِ أهلَ القُبورِ
واذْكُري مُؤْتَةَ وما كانَ فيها ... يومَ راحُوا في وقْعَةِ التّغْويرِ [5]
حينَ راحُوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْدًا ... نِعْمَ مَأْوى الضَّريكِ [6] والمَأْسُورِ [٦٤/أ]
حِبَّ خَيْرِ الأنامِ طُرًّا جَميعًا ... سَيِّدَ النّاسِ حُبُّه في الصُّدُورِ

---

(١) المحل : شديد القحط .
(٢) العقاب : اسم لراية الرسول ﷺ .
(٣) المحتد : الأصل .
(٤) التنحل : الكذب .
(٥) التغوير : الإسراع إلى الفرار .
(٦) الضريك : الفقير .

ذاكُم أحْمَدُ الذي لا سِواه | [ذاكَ] حُزْني لهم مَعًا وسُروري
إنّ زَيْدًا قد كان مِنّا بأمرٍ | ليس أمرَ المكَذّبِ المغْرُورِ
ثُمّ جُودي لِلْخَزْرَجِيّ بدمعٍ | سَيّدًا كان ثَمّ غَيْرَ نَزُورِ (١)
قد أتانا من قَتْلِهِم ما كَفانا | فبِحُزنٍ نَبيتُ غَيْرَ سُرُورِ

وَقال شاعِرٌ من المسْلِمينَ | مِمّن رَجَعَ من غَزْوَةِ مُؤْتَةَ :

كَفَى حَزَنًا أنّي رَجَعْتُ وجَعْفَرٌ | وَزَيْدٌ وعبدُ الله في رَمْسِ أقْبُرِ
قَضَوْا نَحْبَهم لَمّا مَضَوْا لِسَبيلِهِم | وَخُلّفْتُ لِلْبَلْوَى مع المتَغَبّرِ (٢)
ثَلاثَةُ رَهْطٍ قُدّمُوا فَتَقَدّمُوا | إلى وِرْدِ مَكْرُوهٍ من الموْتِ أحْمَرِ

وهذه تَسْمِيةُ مَن اسْتُشْهِدَ يومَ مُؤْتَة :

من قُرَيْش : ثُمّ من بني هاشِمٍ جَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ - رَضِيَ الله عنه - وزَيْدُ ابنُ حارِثَةَ رَضِيَ الله عنه .

ومن بني عديّ بن كعْب : مَسْعُودُ بنُ الأسْوَدِ بنِ حارِثَةَ بنِ نَضْلَةَ .

ومن بني مالك : بنِ حِسْلٍ وهْبُ بنُ سَعْدِ بنِ أبي سَرْحٍ .

ومن الأنصار ثُمّ من بني الحارث بن الخزرج : عبدُ الله بنُ رَواحَةَ ، وعَبّادُ ابنُ قَيْسٍ .

ومن بني غَنْم بن مالكِ بن النّجّار : الحارثُ بنُ النعْمانِ بنِ أَساف بنِ نَضْلَةَ بنِ عبدِ بنِ عَوْفِ بنِ غَنْمٍ .

ومن بني مازن بن النّجّار : سُراقَةُ بنُ عمرِو بنِ عَطيّةَ بنِ خَنْساءَ .

قال ابنُ هشام : ومِمّن اسْتُشْهِدَ في يومِ مُؤْتَةَ ، فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ : من بني مازِنِ بنِ النّجّارِ أبو كُلَيْبٍ وجابِرٌ ابنا عمرِو بنِ زَيْدِ بنِ عَوْفِ [بنِ مَبْذُولٍ وهما لأبٍ وأُمّ.

ومن بني مالكٍ] بن أَفْصَى : عمرٌو وعامِرٌ ابنا سَعْدِ بنِ الحارِثِ بنِ عَبّادِ بنِ سَعْدِ بنِ عامِرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ أَفْصَى .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ أبو كِلابٍ وجابِرٌ ابنا عمرٍو .

* * *

(١) النزور : قليل العطاء .
(٢) المتغبر : الباقي .

بسم الله الرحمن الرحيم

مبتدأ فتح مكة وحرب خزاعة وبني بكر

قال ابنُ إسحاق : (١) حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد ابن رغويه البغدادي قال حدثنا أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن إسحاق المطلبي قال : ثُمّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بعد بَعْثِه إلى مُؤْتَةَ جُمادَى الآخِرَةَ ورَجَبًا . ثُمّ إنّ بني بَكْرِ بن عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ عَدَتْ على خُزاعَةَ ، وهم على ماءٍ لهم بأسفَلِ مَكّةَ يُقالُ له الوَتيرُ ، وكان الذي هاجَ ما بَيْنَ بني بَكْرٍ وخُزاعَةَ أنّ رَجُلاً من بني الحَضْرَميّ واسْمُه مالِكُ بنُ عَبّادٍ وحِلْفُ الحَضْرَميّ يومَئِذٍ إلى الأَسْوَدِ بنِ رَزْنٍ خَرَجَ تاجِرًا ، فَلَمّا تَوَسّطَ أرْضَ خُزاعَةَ ، عَدَوْا عليه فَقَتَلُوه وأخَذُوا ماله فَعَدَتْ بنُو بَكْرٍ على رَجُلٍ من خُزاعَةَ فَقَتَلُوه فَعَدَتْ خُزاعَةُ قُبَيْلَ الإسلام على بني الأَسْوَدِ بنِ رَزْنٍ الدّيليّ وهم مَفْخَرُ بني كِنانَةَ وأشْرافُهم سَلْمَى وكُلْثُومٌ وذُؤَيْبٌ فَقَتَلُوهم بِعَرَفَةَ عند أنْصابِ الحَرَمِ (٢) .

قال ابنُ إسحاقَ : (٣) وحَدّثَني رَجُلٌ من بني الدّيلِ ، قال كان بنُو الأَسْوَدِ ابنِ رَزْنٍ يُودَوْنَ في الجاهِليّةِ دِيَتَيْنِ دِيَتَيْنِ ونُودَى دِيَةً دِيَةً لِفَضْلِهِم فينا

قال ابنُ إسحاقَ : (٤) فَبَيْنا بنُو بَكْرٍ وخُزاعَةُ على ذلك حَجَزَ بَيْنَهم الإسلامُ وتَشاغَلَ النّاسُ به فَلَمّا كان صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ رسول الله ﷺ وبَيْنَ قُرَيْشٍ كان فيما شَرَطُوا لِرسولِ الله ﷺ وشَرَطَ لهم كَما حَدّثَني الزّهْريّ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ وغَيْرِهِم من عُلَمائِنا : أنّه مَن أحَبّ أن يَدْخُلَ في عَقْدِ رسولِ الله ﷺ وعَهْدِه فَلْيَدْخُلْ فيه ، ومَن أحَبّ أن يَدْخُلَ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِم فَلْيَدْخُلْ فيه فَدَخَلَتْ بنُو بَكْرٍ في عَقْدِ قُرَيْشٍ [وعَهْدِهِم] ودَخَلَتْ خُزاعَةُ في عَقْدِ رسولِ الله ﷺ [وعَهْدِه] .

قال ابنُ إسحاقَ : (٥) فَلَمّا كانَتِ الهُدْنَةُ اغْتَنَمَها بنُو الدّيلِ من بني بَكْرٍ من خُزاعَةَ ، وأرادُوا أن يُصيبوا منهم ثَأْرًا بِأُولَئِكَ النّفَرِ الذينَ أصابوا منهم بني الأَسْوَدِ ابنِ رَزْنٍ فَخَرَجَ نَوْفَلُ بنُ مُعاوِيَةَ الدّيليّ في بني الدّيلِ ، وهو يومَئِذٍ قائِدُهم وليس كُلّ بني بَكْرٍ تابَعَه حتى بَيّتَ خُزاعَةَ وهم على

(١) رواه عنه الطبري في التاريخ [١٥٢/٢] .

(٢) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

(٣) مرسل : وفيه جهالة هذا الرجل .

(٤) صحيح : وسبق تخريجه في صلح الحديبية .

(٥) رواه البيهقي دلائل [٥/٥] عن ابن إسحاق بسنده السابق وكذلك الطبري في تاريخه [١٥٣/٢] .

الوَتيرِ ، ماءٌ لهم فأصابوا منهم رَجُلاً ، وتَحاوَزُوا واقْتَتَلُوا ، ورَفَدَتْ قُرَيْشٌ بني بَكْرٍ بالسّلاحِ وقاتَلَ مَعَهم من قُرَيْشٍ مَن قاتَلَ باللّيْلِ مُستخفيًا [٦٤/ب] حتى جازُوا خُزاعَةَ إلى الحَرَمِ ، فلَمّا انْتَهَوْا إلَيْه قالتْ بنُو بَكْرٍ يا نَوْفَلُ إنّا قد دَخَلْنا الحَرَمَ ، إلَهَكَ إلَهَكَ فقال كَلِمَةً عَظيمَةً لا إلَهَ له اليومَ يا بني بَكْرٍ أصيبوا ثَأْرَكُم فلَعمري إنّكُمْ لَتَسْرِقُونَ في الحَرَمِ ، أفَلا تُصيبونَ ثَأْرَكُم فيه وقد أصابوا منهم لَيْلَةَ بَيَّتُوهم بالوَتيرِ رَجُلاً يُقالُ له مُنَبِّهٌ وكان مُنَبِّهٌ : رَجُلاً مفْئُودًا خَرَجَ هُوَ ورَجُلٌ من قَوْمِهِ يُقالُ له تَميمُ بنُ أسَدٍ وقال لـه مُنَبِّهٌ يا تَميـمُ انجُ بِنَفْسِك ، فأمّا أنا فَواللهِ إنّي لَمَيّتٌ قَتَلُوني أوْ تَرَكُوني ، لَقد انْبَتّ فُؤَادي ، وانطَلَقَ تَميمٌ فأفْلَتَ وأدْرَكُوا مُنَبِّهًا فَقَتَلُوه فلَمّا دَخَلَتْ خُزاعَةُ مَكّةَ ،لجَئُوا إلى دارِ بُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ ودارِ مَوْلَى له يُقالُ له رافِعٌ فَقال تَميمُ بنُ أسَدٍ يَعْتَذِرُ من فِرارِه عن مُنَبِّهٍ

لَمّا رَأَيْتُ بني نُفاثَةَ أقْبَلُوا ... يَغْشَوْنَ كُلَّ وتيرَةٍ وحِجابِ [1]

صَخْرًا ورَزْنًا لا عَريبَ سِواهم ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلّصٍ خَنّابِ [2]

وَذَكَرْتُ ذَحْلاً عندنا مُتَقادِمًا ... فيما مَضَى من سالِفِ الأحْقابِ

ونَشيتُ ريحَ المَوْتِ من تِلْقائِهم ... وَرَهِبْتُ وقْعَ مُهَنّدٍ قَضّابِ

وعَرَفْتُ أن مَن يَثْقَفُوه يَتْرُكُوا ... لَحْمًا لِمُجْرِيَةٍ وشِلْوَ غُرابِ

قَوّمتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها ... وَطَرَحْت بالمَتْنِ العَراءِ ثِيابي

وَنَجَوْتُ لا يَنْجُو نَجائي أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أقَبّ مُشَمّرُ الأقْرابِ [3]

تَلْحَى ولَوْ شَهِدَتْ لَكان نَكيرُها ... بَوْلاً يَبُلّ مَشافِرَ القَبْقابِ [4]

القَوْمُ أعْلَمُ ما تَرَكْتُ مُنَبِّهًا ... عن طيبِ نَفْسٍ فاسْألي أصحابي

قال ابنُ هشام : وتُرْوَى لِحَبيبِ بنِ عبدِ الله (الأعْلَم) الهُذَليّ وبَيْتُه «وذَكَرْت ذَحْلاً عندنا مُتَقادِمًا» عن أبي عُبَيْدَةَ وقَوْلُه «خَنّابِ» و «عِلْجٌ أقَبّ مُشَمّرُ الأقْرابِ» [عنه أيضا] .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال الأخْزَرُ بنُ لُعْطٍ الدّيلِيّ فيما كان بَيْنَ كِنانَةَ وخُزاعَةَ في تِلْكَ الحَرْبِ

ألا هَلْ أتَى قُصْوَى الأحابيشِ أنّنا ... رَدَدْنا بني كَعْبٍ بِأفْوَقَ ناصِلِ [5]

حَبَسْناهم في دارَةِ العبدِ رافِعٍ ... وَعندَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غَيْرَ طائِلِ

---

(١) الحجاب هنا : ما اطمأن من الأرض وخفي .

(٢) لا عريب : أي لا أحد . يزجون : يسوقون . المقلص : الفرس المشمر .

(٣) نجوت : أسرعت . علج : غليظ . أقب : ضامر البطن . مشمر الأقراب : منقبض الخواصر وما يليها .

(٤) تلحى : تلوم . المشافر : النواحي والجوانب . القبقاب : من أسماء الفرج .

(٥) قصوى : أبعد . الأحابيش : كل من حالف قريشًا ، والمراد بأفوق ناصل : أنها ردت خائبة .

بِدارِ الذّليلِ الآخِذِ الضّيْمِ بعدما ... شَفَيْنا النفُوسَ منهم بِالمَناصِلِ
حَبَسْناهم حتى إذا طالَ يومُهم ... نَفَحنا لهم من كُلّ شِعْبٍ بِوابِلِ
نُذَبّحُهمْ ذَبْحَ التيُوسِ كَأَنّنا ... أسُودٌ تَبارَى فيهم بِالقَواصِلِ
هم ظَلَمُونا واعتَدَوْا في مَسيرِهم ... وَكانوا لَدَى الأنْصابِ أوّلَ قاتِلِ
كَأَنّهم بالجِزْعِ إذ يَطرُدُونهم ... تفاثُورَ حُفّانُ النعامِ الجَوافِلِ [1]

فَأَجابَه بُدَيْلُ بنُ عبدِ مَناةَ بنِ سَلَمَةَ بنِ عمرِو بنِ الأَجَبّ وكان يُقالُ له بُدَيْلُ بنُ أُمّ أَصْرَم ، فقال :

تَفاقَدَ قَوْمٌ يَفْخَرُونَ ولَمْ نَدَعْ ... لهم سَيّدًا يَنْدُوهمُ غَيْرَ نافِلِ [2]
أمِن خيفَةِ القَوْمِ الأُلَى تَزْدَريهم ... تُجيزُ الوَتيرَ خائِفًا غيْرَ آئِلِ
وَفي كُلّ يومٍ نحن نَحْبو حِباءَنا ... لِعَقْلٍ ولا يُحْبَى لَنا في المَعاقِلِ
وَنحن صَبَحْنا بِالتلاعَةِ دارَكُمْ ... بِأَسْيافِنا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَواذِلِ
وَنحن مَنَعْنا بَيْنَ بَيْضٍ وعِتْوَدٍ ... إلى خَيْفِ رَضْوَى من مَجَرّ القَنابِلِ
وَيومَ الغَميمِ قد تَكَفّتَ ساعِيًا ... عُبَيْسٌ فَجَعْناه بِجَلْدٍ حُلاحِلِ [3]
أأن أجْمَرَتْ في بَيْتِها أمّ بَعْضِكُمْ ... بِجُعْمُوسِها [4] تَنْزُونَ أن لَمْ نُقاتِلِ
كَذَبْتُم وبَيْتِ الله ما إن قَتَلْتُم ... وَلَكِن تَرَكْنا أمرَكُمْ في بَلابِلِ [5]

قال ابنُ هشام : قَوْلُه «غَيْرَ نافِلٍ» ، وقَوْلُه «إلى خَيْفِ رَضْوَى» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ هشام : وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ في ذلك

لَحا الله قَوْمًا لَم نَدَعْ من سَراتِهِم ... [لهم] أحَدًا يَنْدُوهمُ غَيْرَ ناقِبِ
خصَيّ حِمارٍ ماتَ بالأمس نَوْفَلاً ... مَتَى كُنْتَ مِفتاحًا عَدُوّ الحَقائِبِ

قال ابنُ إسحاق : [6] فَلَمّا تَظاهَرَتْ بنُو بَكْرٍ وقُرَيْشٌ على خُزاعَةَ ، وأصابوا منهم ما أصابوا،

---

(١) حفان النعام : صغارها . الجوافل : المولية المسرعة .

(٢) يندوهم : يجمعهم في الندى ، وهو المجلس .

(٣) تكفت : حاد عن طريقه . عبيس : رجل . الجلد : القوي . الحلاحل : السيد .

(٤) الجعموس : العذرة .

(٥) البلابل : اختلاط الهم ووساوسه .

(٦) سياق ابن إسحاق لفتح مكة روي من أوجه كثيرة موصولة ومرسلة نحو ما قال ، وسأذكر هنا طرق هذه المرويات مجتمعة فإن بعضها يشهد لبعض ، مع خلاف يسير في اللفظ ومن مرسل عروة . رواه ابن إسحاق كما سيأتي ص ٣٩٨ ، ورواه البخاري في صحيحه [٤٢٨٠] والبيهقي في الدلائل [٥/٣٦] والطبراني في الكبير [٧٢٦٣] ....=

ونَقَضُوا ما كان بَيْنَهم وبَيْنَ رسولِ الله ﷺ من العَهْدِ والميثاقِ بِما استَحَلّوا من خُزاعَةَ ، وكان في عَقْدِه وعَهْدِه خَرَجَ عمرُو بنُ سالِمِ الخُزاعيّ [٦٥/أ]ثُمّ أحَدُ بني كَعْبٍ حتى قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ ، وكان ذلك مِمّا هاجَ فَتْحَ مَكّةَ ، فَوَقَفَ عليه وهو جالِسٌ في المَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرانَيِ النّاسِ فقال :

يـا رَبِّ إنّـي نـاشِدٌ مُحَـمّـدًا	حِلْفَ أبينا وأبيه الأتْلَـدا
قد كُنْتُم وُلْـدًا وكُنّـا والِـدا	ثُمّتَ أسْلَمنا فَلَمْ نَنْزِعْ يَـدا
فانْصُرْ هَداكَ الله نَصْرًا أعْتَدا	وادْعُ عِبادَ الله يَأتُوا مَـدَدا
فيهـم رسولُ الله قـد تَجَرّدا	إن سيمَ خَسْفًا وجْهُه تَرَبّدا
في فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يَجْري مُـزْبِدًا	إنّ قُرَيْشًا أخْلَفُوك المَوْعِدا
وَنَقَضُـوا ميثاقَـك المـوَكّـدا	وَجَعَلُوا لي في كَـداءٍ رُصّدا
هم بَيّتُونـا بِـالـوَتيرِ هُجّـدًا	وَقَتَلُـونـا رُكّعًـا وسُجّـدا
وَزَعمُوا أن لَسْتُ أدْعُو أحَدا	وَهـم أذَلّ وأقَـلّ عَـدَدا

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى أيضًا :

فانْصُرْ هَداك الله نَصْرًا أيّدا

[يقول : قُتِلْنا وقد أسْلَمنا]

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى أيضًا :

نحن ولَدْناك فَكُنْت ولَدًا

= ومن حديث ابن عباس مطولاً رواه ابن إسحاق كما سيأتي ص ٣٩٩ . رواه أحمد [٢٦٦/١] والبيهقي في الدلائل من طريقه [٣١/٥ - ٣٥] من طريقين عنه ، من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنه ورواه الطبراني أيضًا في الكبير [٧٢٦٤] . قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، ورواه أيضًا أبو اداود مختصرًا [٣٠٢١] وابن أبي شيبة [٥٣٨/٨] وغيرهم ، من رواية ابن إسحاق عن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عنه . وسنده الأول صحيح ، والثاني لا بأس به . ومن حديث ميمونة رضي الله عنها . رواه الطبراني في الكبير [٤٣٣/٢٣ح ١٠٥٢] . قال الهيثمي في المجمع [١٦٤/٦] وفيه يحي بن سليمان بن نضلة وهو ضعيف ومن مرسل مقسم مولى ابن عباس . رواه عبد الرزاق في المصنف [٩٧٣٩] من رواية معمر عن عثمان الجزري عنه . وسياقه مقارب لسياق ابن إسحاق . ومن مرسل عكرمة . رواه ابن أبي شيبة [٥٣١/٨] ، ومن مرسل أبي سلمة [٥٢٧/٨] . ومن مرسل الزهري رواه موسى بن عقبة في مغازيه [٢٦١] ولسياق الغزوة شواهد في الصحيحين والسنن من روايات أخرى مختصرة . من رواية أبي هريرة . رواه مسلم [١٧٨٠] وأحمد [٢٩٢/٢ - ٥٣٨] وأبو داود [٣٠٢٤] وغيرهم .

قال ابنُ إسحاق : فَقال رسولُ الله ﷺ نُصِرْتَ يا عمرَو بنُ سالمٍ . ثُمّ عَرَضَ لرسولِ الله ﷺ عَنانٌ من السّماءِ فَقال إنّ هذه السّحابَةَ لَتَسْتَهِلّ بِنَصْرِ بني كَعْبٍ

[ذهابُ ابنِ ورقاءَ إلى الرّسُولِ بالمدينَةِ شاكيًا وتعرُّفُ أبي سُفيانَ أمرَهُ] :

ثُمّ خَرَجَ بُدَيْلُ بنُ ورقاءَ في نَفَرٍ من خُزاعَةَ حتى قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ ، فَأَخْبَرُوه بِمن أُصيبَ منهم وبِمُظاهَرَةِ قُرَيْشٍ بني بَكْرٍ عليهم . ثُمّ انصَرَفُوا راجِعينَ إلى مَكّةَ وقد قال رسولُ الله ﷺ لِلنّاسِ كَأَنّكُم بأبي سُفيانَ قد جاءَكُم لِيَشُدّ العَقْدَ ويَزِيدَ في المُدّةِ . ومَضَى بُدَيْلُ بنُ وَرقاءَ وأصْحابُه حتى لَقُوا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ بِعُسفانَ قد بَعَثَتْه قُرَيْشٌ إلى رسولِ الله ﷺ لِيَشُدّ العَقْدَ ويَزِيدَ في المُدّةِ وقد رَهِبوا الذي صَنَعُوا . فَلَمّا لَقِيَ أبو سُفيانَ بُدَيْلَ بنَ ورقاءَ قال من أينَ أَقْبَلْت يا بُدَيْلُ وظَنّ أنّه قد أتَى رسولَ الله ﷺ قال : سِرْت في خُزاعَةَ في هذا السّاحِلِ ، وفي بَطْنِ هذا الوادي قال : أوَ ما جِئْت مُحَمّدًا ؟ قال لا ، فَلَمّا راحَ بُدَيْلٌ إلى مَكّةَ، قال أبو سُفيانَ لَئِن كان جاءَ [بُدَيْلٌ] المَدينَةَ لَقد عَلَفَ بِها النّوَى فَأَتَى مَبْرَكَ راحِلَتِه فَأَخَذَ من بَعْرِها فَفَتّه فَرَأَى فيه النّوَى . فَقال أحْلِفُ باللهِ لَقد جاءَ بُدَيْلٌ مُحَمّدًا .

[خُرُوجُ أبي سُفيانَ إلى المدينَةِ لِلصّلحِ وإخفاقُه] :

ثُمّ خَرَجَ أبو سُفيانَ حتى قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ ، فَدَخَلَ على ابنَتِه أُمّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أبي سُفيانَ فَلَمّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ على فِراشِ رسولِ الله ﷺ طَوَتْه عنه فَقال يا بُنَيّةُ ؟ ما أدْرِي أرَغِبْت بي عن هذا الفِراشِ أم رَغِبْت به عَنّي ؟ قالتْ بَلْ هُوَ فِراشُ رسولِ الله ﷺ وأنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ ولَم أُحِبّ أن تَجْلِسَ على فِراشِ رسولِ الله ﷺ قال واللهِ لَقد أصابَكِ يا بُنَيّةُ بَعْدِي شَرّ . ثُمّ خَرَجَ حتى أتَى رسولَ الله ﷺ فَكَلّمَه فَلَمْ يَرُدّ عليه شيئًا ، ثُمّ ذَهَبَ إلى أبي بَكْرٍ فَكَلّمَه أن يُكَلّمَ له رسولَ الله ﷺ فَقال ما أنا بِفاعِلٍ ثُمّ أتَى عُمَرَ بنَ الخَطّابِ فَكَلّمَه فَقال أأنا أشْفَعُ لَكُمْ إلى رسولِ الله ﷺ ؟ فَواللهِ لَوْ لَم أجِدْ إلاّ الذّرّ لَجاهَدْتُكُم به . ثُمّ خَرَجَ فَدَخَلَ على عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ - رِضْوانُ اللهِ عليه - وعنده فاطِمَةُ بِنْتُ رسولِ الله ﷺ ورَضِيَ عنها ، وعندها حَسَنُ بنُ عَلِيّ غُلامٌ يَدِبّ بَيْنَ يَدَيْها ، فَقال يا عَلِيّ إنّك أمَسّ القَوْمِ بي رَحِمًا ، وإنّي قد جِئْت في حاجَةٍ فَلا أرْجِعَنّ كَما جِئْت خائِبًا ، فاشْفَعْ لي إلى رسولِ الله ﷺ فَقال ويْحَك يا أبا سُفيانَ واللهِ لَقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نَسْتَطِيعُ أن نُكَلّمَه فيه . فالتَفَتَ إلى فاطِمَةَ فَقال يا بِنْتَ مُحَمّدٍ ؟ هَلْ لَكِ أن تَأْمُرِي بُنَيّكِ هذا فَيُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ فَيَكُونَ سَيّدَ العَرَبِ إلى آخِرِ الدّهْرِ ؟ قالتْ واللهِ ما بَلَغ بُنَيّ ذاكَ أن يُجِيرَ بَيْنَ النّاسِ وما يُجِيرُ أحَدٌ على رسولِ الله [٦٥/ب] ﷺ . قال : يا أبا الحَسَنِ إنّي أرَى الأُمُورَ قد اشْتَدّتْ عَلَيّ فانْصَحْني ، قال واللهِ ما أعْلَمُ [لَك] شيئًا يُغْني عَنْك شيئًا ،

ولكنك سيدُ بني كِنانَةَ فقُم فأجِرْ بَيْنَ النّاسِ ثُمّ الحق بأرضِك ، قال أوَ ترى ذلك مُغنيًا عَنّي شيئًا؟ قال لا والله ما أظُنّه ولكِنّي لا أجِدُ لك غَيْرَ ذلك . فقامَ أبو سُفيانَ في المَسْجِدِ فقال أيها النّاسُ إنّي قد أجَرْتُ بَيْنَ النّاسِ . ثُمّ رَكِبَ بَعيرَه فانطَلَقَ فلَمّا قَدِمَ على قُرَيْشٍ ، قالُوا : ما وراءَك؟ قال : جِئتُ مُحَمّدًا فكلّمته ، فوالله ما رَدّ عَلَيّ شيئًا ، ثُمّ جِئت ابنَ أبي قُحافَةَ فلَم أجِدْ فيه خَيْرًا ، ثُمّ جِئت ابنَ الخَطّابِ فوَجَدْته أدْنَى العَدُوّ .

قال ابنُ هشام : أعْدَى العَدُوّ .

قال ابنُ إسحاق : ثُمّ جِئت عَلِيًا فوَجَدْته ألْيَنَ القَوْمِ وقد أشارَ عَلَيّ بشيءٍ صَنَعْتُه فوالله ما أدْرِي هَلْ يُغْني ذَلِك شيئًا أم لا ؟ قالُوا : وبِمَ أمَرَك ؟ قال أمَرَنِي أن أُجيرَ بَيْنَ النّاسِ فَفَعَلْت ، قالُوا : فَهَلْ أجازَ ذلك مُحَمّدٌ ؟ قال : لا ، قالُوا : ويلَك والله إن زادَ الرّجُلُ على أن لَعِبَ بك ، فما يُغْني عَنْك ما قلت . قال : لا والله ما وجَدْت غَيْرَ ذلك .

[تَجهيزُ الرّسُول لِفَتْح مَكّةَ] :

وَأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجَهاز وأمَرَ أهلَه أن يُجَهّزُوه فدَخَلَ أبو بَكْرٍ على ابنَتِه عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها ، وهيَ تُحَرّكُ بَعْضَ جَهازِ رسولِ الله ﷺ فقال : أيْ بُنَيّةُ أأمَرَكُم رسولُ الله ﷺ أن تُجَهّزُوه؟ قالتْ : نَعم [فَتَجَهّز] قال : فَأيْنَ تَرَيْنَه يُرِيدُ ؟ قالتْ : [لا] والله ما أدْري . ثُمّ إنّ رسولَ الله ﷺ أعْلَمَ النّاسَ أنّه سائِرٌ إلى مَكّةَ ، وأمَرَهم بالجِدّ والتّهَيّؤ وقال : «**اللّهمّ خُذِ العُيُونَ والأخْبارَ عن قُرَيْشٍ حتى نَبْغَتَها في بِلادِها**» فَتَجَهّزَ النّاسُ

فقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يُحَرّضُ النّاسَ ويذْكُرُ مُصابَ رِجالِ خُزاعَةَ :

عَناني ولَم أشْهَدْ بِبَطْحاءِ مَكّةٍ ... رِجالُ بني كَعْبٍ تُحَزّ رِقابُها
بأيْدي رِجالٍ لَم يَسُلّوا سُيُوفَهم ... وَقَتْلَى كَثيرٌ لَم تُجَنّ ثِيابُها
ألا لَيْتَ شِعْري هَلْ تَنالَنّ نُصْرَتي ... سُهَيْلُ بنُ عمرو وحَرُّها وعُقابُها
وَصَفْوانُ عَوْدٌ حَنّ من شُفْرِ اسْتِه ... فَهذا أوانُ الحَرْبِ شُدّ عِصابُها
فَلا تأمَنَنّا يا ابنَ أُمّ مُجالِدٍ ... إذا احْتُلِبَتْ صَرْفًا وأعْصَلَ [1] نابُها
ولا تَجْزَعُوا مِنها فإنّ سُيُوفَنا ... لها وقْعَةٌ بالمَوْتِ يُفْتَحُ بابُها

قال ابنُ هشام : قَوْلُ حسّانَ «بأيدي رِجالٍ لَم يَسُلّوا سُيُوفَهم» يَعْني قُرَيْشًا ، وابنُ أُمّ مُجالِدٍ «يَعْني عِكْرِمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ .

---

(١) الصرف : اللبن الخاص . أعصل : أعوج والعصل : اعوجاج الأسنان .

[كتابُ حاطِبٍ إلى قُريْش وعِلْمُ الرَّسُول بأمره] :

قال ابنُ إسحاق : [١] وحَدّثني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ وغَيْرِه من عُلَمائِنا ، قالَ : لَمّا أجْمَعَ رسولُ الله ﷺ المَسيرَ إلى مَكّةَ ، كَتَبَ حاطِبُ ابنُ أبي بَلْتَعَةَ كِتابًا إلى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهم بِالذي أجْمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ من الأمرِ في السّيْرِ إلَيْهِم ثُمّ أعْطاه امرأةً زَعمَ مُحَمّدُ ابنُ جَعْفَرٍ أنّها من مُزَيْنَةَ وزَعمَ لي غَيْرُه أنّها سارَةُ مَوْلاةٌ . لِبَعْضِ بني عبدِ المُطّلِبِ ، وجَعَلَ لها جُعْلاً على أن تُبَلّغَه قُرَيْشًا ، فَجَعَلَتْه في رَأسِها ، ثُمّ فَتَلَتْ عليه قُرُونَها ، ثُمّ خَرَجَتْ به وأتَى رسولَ الله ﷺ الخَبَرُ من السّماءِ بِما صَنَعَ حاطِبٌ فَبَعَثَ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ والزّبَيْرَ بنَ العَوّامِ رَضِيَ الله عنهما . فَقالَ : «**أدْرِكا امرأةً قد كَتَبَ مَعَها حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ بِكِتابٍ إلى قُرَيْشٍ ، يُحَذّرُهم ما قد أجْمَعْنا له من أمرِهِم**» فَخَرَجا حتى أدْرَكاها بِالخَليقَةِ . خَليقَةِ [٦٦/أ] بني أبي أحْمَدَ . فاسْتَنْزَلاها بالخليفة . فالتَمَساه في رَحْلِها فَلَم يَجِدا شيئًا ، فَقال لها عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ : إنّي أحْلِفُ بِالله ما كَذَبَ رسولُ الله ﷺ ولا كَذَبنا ، ولَتُخْرِجِنّ لَنا هذا الكِتابَ أوْ لَنَكْشِفَنّك ، فلَمّا رَأتِ الجِدّ مِنْه قالتْ أعْرِضْ فَأعْرَضَ فَحَلّتْ قُرُونَ رَأسِها ، فاسْتَخْرَجَتِ الكِتابَ منها ، فَدَفعَتْه إلَيْه فَأتَى [به] رسولَ الله ﷺ . فَدَعا رسولُ الله ﷺ حاطِبًا فَقال : «**يا حاطِبُ ما حَمَلَك على هذا ؟**» فَقال يا رسولَ الله أما والله إنّي لَمُؤْمِنٌ بِالله ورسولِه ما غَيّرْت ولا بَدّلْت ، ولَكِنّي كُنْت امرأً ليس لي في القَوْمِ من أصْلٍ ولا عَشيرَةٍ ، وكان لي بَيْنَ أظْهُرِهِم ولَدٌ وأهلٌ فَصانَعْتهم عليهِم . فَقال عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ يا رسولَ الله دَعْني فَلأضْرِبْ عُنُقَه فَإنّ الرّجُلَ قد نافَقَ فَقال رسولُ الله ﷺ : «**وما يُدْرِيك يا عُمَرُ لَعَلّ اللهَ قد اطّلَعَ إلى أصْحابِ بَدْرٍ يومَ بَدْرٍ فَقال اعْمَلُوا ما شِئْتُم ، فقد غَفَرْت لَكُم**» . فَأنْزَلَ الله تَعالى في حاطِبٍ ﴿**يا أيها الذينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوّي وعَدُوّكُم أوْلياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِم بِالمَوَدّةِ**﴾ إلى قَوْلِه ﴿**قد كانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبْراهيمَ والذينَ مَعَه إذْ قالُوا لِقَوْمِهِم إنّا بُرَآءُ مِنْكُم ومِمّا تَعْبُدُونَ من دُونِ الله كَفَرْنا بِكُم وبَدا بَيْنَنا وبَيْنَكُمُ العَداوَةُ والبَغْضاءُ أبَدًا حتى تُؤْمِنُوا بِالله وحْدَه . . .**﴾ إلى آخِرِ القِصّةِ .

[خُرُوجُ الرّسُولِ في رَمَضانَ واسْتِخْلافُه أبا رُهْمٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [٢] وحَدّثني مُحَمّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزّهْرِيّ ، عن عُبَيْدِ الله بن عبدِ الله ابنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ عبدِ الله بنِ عَبّاسٍ ، قال ثُمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ لِسَفَرِه واسْتَخْلَفَ على المَدينَةِ أبا رُهْمٍ كُلْثُومَ بنَ حُصَيْنِ بنِ عُتْبَةَ بنِ خَلَفٍ الغِفارِيّ وخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ من رَمَضانَ

---

(١) مرسل والقصة متفق عليها : من حديث علي : رواه البخاري [٣٠٠٧] ومسلم [٢٤٩٤] .

(٢) صحيح : وسبق تخريجه ص ٢٩٤ .

فَصامَ رسولُ الله ﷺ . وصامَ النّاسُ مَعَه حتى إذا كان بالكُدَيْدِ ، بَيْنَ عُسْفانَ وَأَمَج أفْطَرَ .

قال [ابنُ إسحاق] : ثُمّ مَضَى حتى نَزَلَ مَن الظَهْرانِ في عَشَرَةِ آلافٍ من المُسْلِمينَ فَسَبَعَتْ سُلَيْمٌ وبَعْضُهم يقول أَلَفَتْ سُلَيْمٌ وأَلَفَتْ مُزَيْنَةُ . وفي كُلّ القَبائِلِ عَدَدٌ وإسلامٌ وأوْعَبَ مع رسولِ الله ﷺ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ ، فَلَم يَتَخَلَّفْ عنه منهم أحَدٌ ، فلَمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَن الظَهْرانِ ، وقد عُمّيَتِ الأَخْبارُ عن قُرَيْشٍ فَلا يَأْتِيهم خَبَرٌ عن رسولِ الله ﷺ ولا يَدْرُونَ ما هُوَ فاعِلٌ وخَرَجَ في تِلْكَ اللّيالي أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ وحَكيمُ بنُ حِزام ، وبُدَيْلُ بنُ ورْقاءَ يَتَحَسّسُونَ الأخْبارَ ويَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أوْ يَسْمَعُونَ بِه وقد كان العَبّاسُ بنُ عبدِ المُطّلِبِ لَقِيَ رسولَ الله ﷺ بِبَعْضِ الطّريق .

قال ابنُ هشام : لَقِيَه بِالجُحْفَةِ مُهاجِرًا بعيالِه وقد كان قَبْلَ ذَلِك مُقيمًا بِمَكّةَ على سِقايَتِه ورسولُ الله ﷺ عنه راضٍ فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزّهْرِيّ .

[إسلامُ أبي سُفيان بن الحارثِ وعبدِ الله بن أُميّة]

قال ابنُ إسحاق : وقد كان أبو سُفْيانَ بنُ الحارثِ بن عبدِ المُطّلِبِ وعبدُ الله ابنُ أبي أُمَيّةَ ابنِ المُغيرَةِ قد لَقِيا رسولَ الله ﷺ أيضًا بنِيقِ العُقاب فيما بَيْنَ مَكّةَ والمَدينَةِ ، فالتَمَسا الدّخُولَ عليه فَكَلّمَتْه أُمّ سَلَمَةَ فيهما ، فَقالَتْ : يا رسولَ الله ابنُ عمّك وابنُ عمّتِك وصِهْرُك ، قال : «**لا حاجَةَ لي بِهِما ، أمّا ابنُ عمّي فَهَتَكَ عِرْضي ، وأمّا ابنُ عمّتي وصِهْري فهو الذي قال لي بِمَكّةَ بما قال**» . قال فَلَمّا خَرَجَ الخَبَرُ إلَيْهِم بِذلك ومَعَ أبي سُفْيان بُنَيّ له . فَقال والله لَيَأْذَنَنّ لي أوْ لآخُذَنّ بيَدَيْ بُنَيّ هذا ، ثُمّ لَنَذْهَبَنّ في الأرْضِ حتى نَمُوتَ عَطَشًا وجُوعًا ، فَلَمّا بَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقّ [٦٦/ب] لهما ، ثُمّ أذِنَ لهما ، فَدَخَلا عليه فَأسْلَما .

وَأنْشَدَه أبو سُفيانَ [ابنُ الحارثِ] قَوْلَه في إسلامِه واعْتَذَرَ إلَيْه عمّا كان مَضَى مِنْه فَقال :

لَعَمْـرُك إنّي يَـومَ أحْمِـلُ رايَـةً	لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاّتِ [1] خَيْلَ مُحَمّدِ
لَكـالمُدْلِجِ [2] الحَيْرانِ أظْـلَمَ لَيْلُهُ	فَهذا أواني حينَ أُهْـدَى وأهْتَدي
هَـداني هـادٍ غَيْرُ نَفْسي ونـالَني	مع الله مَـن طَرّدْتُ كُـلّ مُطَرّدِ
أصُـدّ وأنْـأى جـاهِدًا عـن مُحَمّدٍ	وَأُدْعَى [وإن لَمْ أنْتَسِبْ] من مُحَمّدِ
هم مـا هم مَـن لَمْ يَقُـلْ بِهَـواهم	وَإن كـان ذا رَأْيٍ يُـلَـم ويُفَنّـدِ

(١) خيل اللات : جيوش الكفر .

(٢) المدلج : الذي يسير بالليل .

أُرِيدُ لِأَرْضِيَهم ولستُ بِلائِطٍ مَعَ القَوْمِ ما لَمْ أُهْدَ في كُلِّ مَقْعَدِ
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لا أُرِيدُ قِتالَها وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ غَيْرِي أَوْعِدِي
فَما كُنْت في الجَيْشِ الذي نال عامِرًا وَما كان عن جَرّا لِساني ولا يَدي
قَبائِلَ جاءَتْ مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ نَزائِعَ جاءَتْ مِن سِهامٍ وسُرْدَدِ

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى

وَدَلَّنِي على الحَقِّ مَن طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

قال ابنُ إسحاق : فَزَعَمُوا أنه حينَ أَنْشَدَ رسولَ الله ﷺ قَوْلَه :

وَنالَني مع الله مَن طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ في صَدْرِه وقال : «أَنتَ طَرَدْتَني كُلَّ مُطَرَّدِ» .

قِصَّةُ إسلام أبي سُفيانَ على يَدِ العَبّاس

فَلَمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ مَن الظَّهْرانِ قال العَبّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِب : [فَقُلْت] : واصَباحَ قُرَيْش ، والله لَئِن دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكَّةَ عنوة قَبْلَ أن يَأْتُوه فَيَسْتَأْمِنُوه إنه لَهَلاكُ قُرَيْشٍ إلى آخِرِ الدَّهْرِ قال فَجَلَسْت على بَغْلَةِ رسول الله ﷺ البَيْضاءِ فَخَرَجْتُ عليها . [قال] حتى جِئْت الأَراكَ ، فَقُلْت لَعَلّي أَجِدُ بَعْضَ الحَطّابَةِ أَوْ صاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذا حاجَةٍ يَأْتي مَكَّةَ ، فَيُخْبِرَهم بِمَكانِ رسولِ الله ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيه فَيَسْتَأْمِنُوه قَبْلَ أن يَدْخُلَها عليهم عَنْوَةً . قال : فَوالله إنّي لَأَسِيرُ عليها وأَلْتَمِسُ ما خَرَجْت له إذ سَمِعْت كَلامَ أبي سُفيانَ وبُدَيْلِ بنِ ورْقاءَ وهما يَتَراجَعانِ وأبو سُفيانَ يقول ما رَأَيت كاللَّيْلَةِ نيرانًا قَطّ ولا عَسْكَرًا ، قال يقول بُدَيْل هذه والله خُزاعَةُ حَمَشَتْها [1] الحَرْبُ قال يقول أبو سُفيانَ خُزاعَةُ أَذَلّ وأَقَلّ من أن تَكُونَ هذه نيرانَها وعَسْكَرَها . قال فَعَرَفْت صَوْتَه . فَقُلْت : يا أبا حَنْظَلَةَ فَعَرَفَ صَوْتي ، فقال أبو الفَضْلِ ؟ قال قلت : نَعَم قال مالَك ؟ فِداك أبي وأُمّي ، قال قلت : وَيْحَك يا أبا سُفيانَ هذا رسولُ الله ﷺ في النّاسِ واصَباحَ قُرَيْشٍ والله . قال فَما الحيلَةُ ؟ فِداك أبي وأُمّي ؟ قال قلت : والله لَئِن ظَفِرَ بِك لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَك، فارْكَبْ في عَجُزِ هذه البَغْلَةِ حتى آتِيَ بِك رسولَ الله ﷺ فَأَسْتَأْمِنَه لَك ، قال فَرَكِبَ خَلْفي ورَجَعَ صاحِباه قال فَجِئْت به كُلَّما مَرَرْت بِنارٍ من نيرانِ المُسْلِمينَ قالُوا : مَن هذا ؟ فَإِذا رَأَوْا بَغْلَةَ رسولِ الله ﷺ وأنا عليها ، قالُوا عمّ رسولِ الله ﷺ على بَغْلَتِه . حتى مَرَرْت بِنارِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ - رَضِيَ الله عنه - فَقال مَن هذا ؟ وقامَ إِلَيَّ فَلَمّا رَأَى أبا سُفيانَ على عَجُزِ الدّابَّةِ قال أبو سُفيانَ عَدُوّ الله الحَمْدُ لِلّه الذي أَمْكَنَ مِنك بِغَيْرِ عَقْدٍ ولا عَهْدٍ ثُمّ خَرَجَ يَشْتَدّ نَحْوَ رسولِ الله

---

(١) حمشتها : أحرقتها .

ﷺ . وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء .

قال : فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عُمَرُ فقال يا رسولَ الله هذا أبو سُفيانَ قد أمكنَ الله منه بغيرِ عَقدٍ ولا عَهدٍ فدَعني **فلأضرب عُنُقَه** قال قلت : يا رسولَ الله إنّي قد أجَرْتُه ثُمّ جَلَست إلى رسول الله ﷺ . **فأخذت برأسه فقُلت : والله لا** يُناجيه [٦٧/أ] الليلةَ دُوني رَجُلٌ فلمّا أكثَرَ عُمَرُ في شأنه قال قلت : **مَهلاً يا عُمَرُ فوالله أن لَوْ كانَ** من رجال بني عديّ بن كَعْبٍ ما قلت هكذا ، ولكنك قد عَرَفت أنّه من رجال بني عبدِ مَنافٍ فقال مَهلاً يا عبّاسُ فوالله لإسلامُك يومَ أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام **الخطّاب لَوْ أسلَمَ** ، وما بي إلاّ أنّي قد عرَفت أنّ إسلامَك كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام **الخطّاب لَوْ أسلَمَ** ، فقال رسولُ الله ﷺ : «**اذهَبْ به يا عبّاسُ إلى رَحلِك ، فإذا أصبَحتَ فأتِني به**» قال : فذهَبت به إلى [رَحلي فباتَ عِندي ، فلمّا أصبَحَ غدَوْت به إلى] رسولِ الله ﷺ فلمّا رَآه رسولُ الله ﷺ قال : «**ويحَك يا أبا سُفيانَ ألَم يأنِ لكَ أن تعْلَمَ أنّه لا إلَهَ إلاّ الله ؟**» قال : بأبي أنتَ وأُمّي ما أحلَمَك وأكرَمَك وأوْصَلَك ، والله لقد ظَنَنت أن لَوْ كان مع الله إلَهٌ غَيْرُه لقد أغنَى [عَنّي] شيئًا بعْدُ قال : «**ويحَك يا أبا سُفيانَ ألَم يأنِ لكَ أن تعْلَمَ أنّي رسولُ الله؟**» قال : بأبي أنتَ وأُمّي ، ما أحلَمَك وأكرَمَك وأوْصَلَك أمّا هذه والله فإنّ في النّفسِ منها حتى الآنَ شيئًا . فقال له العبّاسُ ويحَك أسلِم واشهَدْ أن لا إلَهَ إلاّ الله وأنّ مُحمّدًا رسولُ الله قبْلَ أن تُضرَبَ عُنُقُك . قال فشَهِدَ شَهادَةَ الحقّ فأسلَمَ قال العبّاسُ قلت : يا رسولَ الله إنّ أبا سُفيانَ رَجُلٌ يُحِبّ هذا الفَخرَ فاجعَلْ له شيئًا قال : «**نعم ، مَن دخَلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ ، ومَن أغلَقَ عليه بابَه فهو آمِنٌ**» ومَن دَخَلَ المَسجِدَ فهو آمِنٌ فلمّا ذهَبَ ليَنصَرِفَ قال رسولُ الله ﷺ : «**يا عبّاسُ احبِسه بمَضيقِ الوادي عند خَطْمِ الجبَلِ حتى تمُرّ به جُنُودُ الله فيَراها**» . قال فخَرَجْتُ حتى حَبَسْتُه بمَضيقِ الوادي ، حَيْثُ أمَرَني رسولُ الله ﷺ أن أحبِسَه .

قال : ومَرّتِ القَبائلُ على راياتِها ، كُلّما مَرّتْ قَبيلَةٌ قال يا عبّاسُ مَن هذه ؟ فأقُولُ سُلَيْمٌ فيَقُول : مالي ولسُلَيم ثُمّ تمُرّ القَبيلَةُ فيَقول يا عبّاسُ مَن هَؤُلاءِ ؟ فأقُول: مُزَيْنَةُ ، فيَقول مالي ولمُزَيْنَةَ حتى نَفِدَتِ القَبائلُ ما تمُرّ به قَبيلَةٌ إلاّ يَسألُني عنها ، فإذا أخبَرْته بهم قال مالي ولبني فُلانٍ حتى مَرّ رسولُ الله ﷺ في كَتيبَتِه الخَضراءِ .

قال ابنُ هشام : وإنّما قيلَ لها الخَضراءُ لكَثْرَةِ الحَديدِ وظُهُورِه فيها .

قال الحارثُ بنُ حلِّزَةَ اليَشكُريّ :

ثُمّ حُجْرًا أعني ابن أُمّ قَطامٍ وَلَه فارِسيّةٌ خَضراءُ

يَعْني الكَتيبَةَ ، وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له وقال حسانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريّ :

لَمّا رَأى بَدْرًا تَسيلُ جِلاهُه بِكَتيبَةٍ خَضراءَ من بَلْخَزرَجِ

وَهذا البَيْتُ في أبياتٍ له قد كَتَبناها في أشعارِ يوم بَدْرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فيها المُهاجِرُونَ والأنصارُ ، رَضيَ اللهُ عنهم لا يُرَى منهم إلاّ الحَدَقُ من الحَديدِ فَقال سُبحانَ الله يا عَبّاسُ مَن هَؤُلاءِ ؟ قال قلت : هذا رسولُ اللهِ ﷺ في المُهاجِرينَ والأنصارِ قال ما لأحَدٍ بِهَؤُلاءِ قِبَلٌ ولا طاقَةٌ واللهِ يا أبا الفَضلِ لَقد أصْبَحَ مُلْكُ ابنِ أخيك الغَداةَ عَظيمًا ، قال قلت : [يا أبا سُفيانَ] . إنها النُبوّةُ . قال فَنَعم إذَن . قال قلت : النَجاءَ (*) إلى قَومِك ، حتى إذا جاءَهم صَرَخَ بِأعلَى صَوتِه يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هذا مُحَمّدٌ قد جاءَكُم فيا لا قِبَلَ لَكُم به فَمَن دَخَلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ فَقامَتْ إلَيه هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِشاربِه فَقالتِ : اقْتُلُوا الحَميتَ الدَسِمَ الأحْمَسَ قُبّحَ من طَليعَةِ قَوْمٍ قال وَيلَكُمْ لا تَغُرّنّكُمْ هذه من أنفُسِكُم فإنّه قد جاءَكُم ما لا قِبَلَ لَكُم به فَمَن دَخَلَ دارَ أبي سُفيانَ فهو آمِنٌ قالُوا : قاتَلَكَ اللهُ وما تُغْني عَنّا دارُك ، قال وَمَن أغْلَقَ عليه بابَه فهو آمِنٌ ومَن دَخَلَ المَسْجِدَ فهو آمِنٌ فَتَفَرّقَ النّاسُ إلى دُورِهِم[٦٧/ب] وإلى المَسْجِدِ .

قال ابنُ إسحاقَ (٢) : فَحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكرٍ : أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمّا انتَهَى إلى ذي طُوًى وقف على راحِلَتِه مُعْتَجِرًا بِشُقّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ حَمراءَ ، وإنّ رسولَ اللهِ ﷺ لَيَضَعَ رَأسَه تَواضُعًا لِلهِ حينَ رَأى ما أكْرَمَه اللهُ به من الفَتْحِ حتى إنّ عُثْنُونَه لَيَكادُ يَمَسّ واسِطَةَ الرّحْلِ .

إسلامُ أبي قُحافَةَ :

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : وحَدّثَني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عن جَدّتِه أسْماءَ بِنْتِ أبي بَكْرٍ ، قالتْ لَمّا وقَفَ رسولُ اللهِ ﷺ بذي طُوًى قال أبو قُحافَةَ لابنَة لـه من أصْغَرِ ولَدِه أيْ بُنَيّةُ اظْهَري بي على أبي قُبَيْسٍ قالتْ : وقد كُفّ بَصَرُه . قالتْ : فَأشْرَفَتْ به عليه . فَقال : أيْ بُنَيّةُ ماذا تَرَيْنَ ؟ قالتْ أرَى سَوادًا مُجْتَمِعًا ، قال تِلْكَ الخَيْلُ قالتْ وأرَى رَجُلاً يَسْعَى بَيْنَ [يَدَيْ] ذلكَ مُقْبِلاً ومُدْبِرًا ، قال أيْ بُنَيّةُ ذلك الوازِعُ يَعْني الذي يَأمُرُ الخَيْلَ ويَتَقَدّمُ إلَيْها ،

(*) النجاء : السرعة .

(٢) مرسل : إسناد ابن إسحاق مرسل . رواه من طريقه البيهقي في الدلائل [٥/٦٨] وله شاهد من حديث أنس . رواه الحاكم [٣/٤٧] [٤/٣١٧] والبيهقي في الدلائل [٥/٦٨] وسنده ضعيف من رواية جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . ورواية جعفر عن ثابت ضعيفة . .

(٣) حسن : رواه أحمد [١/٣٤٩] وابن سعد في الطبقات [٥/٤٥١] وابن حبان [٧٢٠٨] والطبراني في الكبير [٢٤/ح ٢٣٦ - ٥٣٧] والحاكم [٣/٤٦] والبيهقي دلائل [٥/٩٥] كلهم من طريق ابن إسحاق .

ثُمَّ قالتْ قد والله انْتَشَرَ السّوادُ قالتْ : فَقَال : قد والله إذًا دُفِعَتِ الخَيْلُ فَأسْرِعي بي إلى بَيْتي ، فانْحطَّتْ به وتَلَقّاه الخَيْلُ قَبْلَ أن يَصِلَ إلى بَيْتِه . قالتْ : وفي عُنُقِ الجارِيَةِ طَوْقٌ من ورِقٍ فتَلَقّاها رَجُلٌ فَيَقْتَطِعُه من عُنُقِها . قالتْ : فَلَما دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكّةَ ودخل المَسْجِدَ أتَى أبو بَكْرٍ بِأبيه يَقُودُه ، فَلَمّا رَآه رسولُ الله ﷺ قال : «هَلاّ تَرَكْت الشّيْخَ في بَيْتِه حتى أكُونَ أنا آتيَه فيه ؟» قال أبو بَكْرٍ : يا رسولَ الله هُوَ أحَقّ أن يَمشيَ إليْك من أن تَمْشيَ إلَيْه أنْتَ قال قالتْ : فَأجْلَسَه بَيْنَ يَدَيْه ثُمّ مَسَحَ صَدْرَه ثُمّ قال له : «أسْلِمْ» ، فَأسْلَمَ . قالتْ : فَدَخَلَ به أبو بَكْرٍ وكَأنّ رَأسَه ثَغامَةٌ فَقال رسولُ الله ﷺ : «غَيّرُوا هذا من شَعَرِه» ثُمّ قامَ أبو بَكْرٍ فَأخَذَ بيَدِ أُخْتِه وقال أُنْشِدُ اللهَ والإسلامَ طَوْقَ أُخْتي ، فَلَم يُجِبْه أحَدٌ . قالتْ: فَقال : أيْ أُخَيّةُ احْتَسِبي طَوْقَك فَوالله إنّ الأمانَةَ في النّاسِ اليومَ لَقَليلٌ .

[دُخول جيوش المسلمين مكّةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ [1] :

وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ أنّ رسولَ الله ﷺ حينَ فَرّقَ جَيْشَه من ذي طُوَى ، أمَرَ الزّبَيْرَ بنَ العَوّامِ أن يَدْخُلَ في بَعْضِ النّاسِ من كُدَى ، وكان الزّبَيْرُ على المُجَنّبَةِ اليُسْرَى وأمَرَ سَعْدَ بنَ عُبادَةَ أن يَدْخُلَ في بَعْضِ النّاسِ من كَداءٍ .

قال ابنُ إسحاقَ [2] :

فَزَعمَ بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ سَعْدًا حينَ وُجّهَ داخِلاً ، قال اليومُ يومُ المَلْحَمَةِ اليومُ تُسْتَحَلّ الحُرْمَةُ فَسَمِعَها رَجُلٌ من المُهاجِرينَ قال ابنُ هشامٍ : هُوَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ [3] فَقال يا رسولَ الله اسْمَعْ ما قال سَعْدُ بنُ عُبادَةَ ، ما نَأمَنُ أن يَكُونَ له في قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فَقال رسولُ الله ﷺ لِعَليّ بنِ أبي طالِبٍ : «**أدْرِكْه فَخُذِ الرّايَةَ مِنه فكُن أنتَ [الذي] تَدْخُلُ بِها**» .

قال ابنُ إسحاقَ وقد حَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ في حَديثِه أنّ رسولَ الله ﷺ أمَرَ

---

(١) مرسل وله شواهد سبق ذكرها .

(٢) رواه البخاري [٤٢٨٠] من مرسل عروة . وفي مرسل الزهري من رواية موسى بن عقبة ، أمر بها أن تدفع إلى الزبير ، وقيل دفعت إلى قيس بن سعد بن عبادة .

(٣) في مرسل عروة أن سعدًا قال ذلك لأبي سفيان عندما عرض عليه الرسول الكتائب فقالها أبو سفيان للنبي ﷺ وهذه الأقوال المختلفة فيمن دفعت إليه الراية حاول الحافظ في الفتح أن يجمع بينهما فقال الفتح [٦٠١/٧] : (والمذكور أن رسول الله ﷺ أخذ الراية من سعد بن عبادة وأمر عليًا نزعها منه ، ثم ردها من علي بن أبي طالب إلى قيس ابن سعد بن عبادة خشية تغير خاطر سعد ، فأمر بدفعها لابنه ، ثم إن سعد بن عبادة خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه ، فحينئذ أخذها الزبير) أ هـ .

خالِدَ بنَ الوَليدِ ، فَدَخَلَ من اللّيطِ ، أسفَلَ مَكّةَ ، في بَعْضِ النّاسِ وكان خالِدٌ على المُجَنّبَةِ اليُمنَى ، وفيها أسلَمُ وسُلَيمٌ وغِفارٌ ومُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وقَبائِلُ من قَبائِلِ العَرَبِ . وأقْبَلَ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ بِالصّفّ من المُسْلِمينَ يَنْصَبّ لِمَكّةَ بَيْنَ يَدَيْ رسولِ الله ﷺ ودَخَلَ رسولُ الله ﷺ من أذاخِرَ ، حتى نَزَلَ بأعْلَى مَكّةَ[٦٨/أ] وضُرِبَتْ له هُنالِكَ قُبّتُه [١] .

تَعَرّض صَفوانَ في نَفَرٍ مَعَه للمُسلِمينَ

قال ابنُ إسحاقَ [٢] : وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ وعبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ : أنّ صَفوانَ ابنَ أُمَيّةَ وعِكْرِمَةَ بنَ أبي جَهْلٍ وسُهَيْلَ بنَ عمرٍو كانوا قد جَمَعُوا ناسًا بِالخَنْدَمَةِ لِيُقاتِلُوا ، و[قد] كان حِماسُ بنُ قَيْسِ بنِ خالِدٍ ، أخُو بني بَكْرٍ يُعِدّ سِلاحًا قَبْلَ دُخُولِ رسولِ الله ﷺ ويُصْلِحُ مِنه فَقالَتْ له امرَأتُه لِماذا تُعِدّ ما أرَى؟ فقال لِمُحَمّدٍ وأصْحابه قالَتْ والله ما أراه يَقُومُ لِمُحَمّدٍ وأصْحابه شيءٌ قال والله إنّي لأرْجُو أن أُخْدِمَكِ بَعْضَهم ثُمّ قال :

إن يُقْبِلُوا اليومَ فَما لي عِلّهْ هذا سِلاحٌ كامِلٌ وألّهْ

وَذُو غِرارَيْنِ سَريعُ السّلّهْ

ثُمّ شَهِدَ الخَنْدَمَةَ مع صَفوانَ وسُهَيْلٍ وعِكْرِمَةَ ، فَلَمّا لَقِيَهم المُسْلِمُونَ من أصْحابِ خالِدِ بنِ الوَليدِ ، ناوَشُوهم شيئًا من قِتالٍ فَقُتِلَ كُرْزُ بنُ جابِرٍ ، أحَدُ بني مُحارِبِ ابنِ فِهْرٍ ، وحُنَيْشُ بنُ خالِدِ بنِ رَبيعَةَ بنِ أصْرَمَ ، حَليفُ بني مُنْقِذٍ وكانا في خَيْلِ خالِدِ بنِ الوَليدِ فَشَذّا عنه فَسَلَكا طَريقًا غَيْرَ طَريقِه فَقُتِلا جَميعًا ، قُتِلَ حُنَيْشُ بنُ خالِدٍ قَبْلَ كُرْزِ بنِ جابِرٍ ، فَجَعَلَه كُرْزُ بنُ جابِرٍ بَيْنَ رِجْلَيْه ثُمّ قاتَلَ عنه حتى قُتِلَ وهو يَرْتَجِزُ ويقول

قد عَلِمَتْ صَفراءُ من بني فِهرْ نَقيّةُ الوَجْه نَقيّةُ الصّدرْ

لأضْرِبَنّ اليومَ عن أبي صَخرْ

قال ابنُ هشام : وكان حُنَيْشٌ يُكْنَى أبا صَخْرٍ .

قال ابنُ هشام : حُنَيْشُ بنُ خالِدٍ من خُزاعَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ [٣] : حَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ وعبدُ الله بنُ بَكْرٍ قالا : وأُصيبَ من جُهَيْنَةَ سَلَمَةُ بنُ المَيْلاءِ من خَيْلِ خالِدِ [بنِ الوَليدِ] وأُصيبَ من المُشْرِكينَ ناسٌ قَريبٌ من اثْنَيْ عَشَرَ

---

(١) مرسل : وله شاهد من حديث عائشة في الصحيحين البخاري [٤٢٩٠] ومسلم [١٢٥٨] وفيه (أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة) .

(٢) مرسل : وفي مرسل عروة أيضًا نحوه .

(٣) مثل سابقه .

رَجُلاً أَوْ ثَلاثَةَ عَشَرَ [رَجُلاً] ثُمّ انهَزَمُوا ، فَخَرَجَ حِماسُ مُنهَزِمًا حتى دَخَلَ بَيْتَه ثُمّ قال لامرأتِه أغْلِقِي عَلَيّ بابي ، قالتْ فَأَيْنَ ما كُنت تَقُولُ ؟ فَقَال :

إنّكِ لَوْ شَهِدت يومَ الخَنْدَمَهْ ... إذْ فَرّ صَفوانُ و[فَرّ] عِكرِمَهْ

وَأبــو يَـزِيدَ قـــائمٌ كـالمُوتَمَـهْ ... واسْتَقْبَلَتْهم بِالسّيُوفِ المُسْلِمَهْ

يَقْطَعْنَ كُلّ ساعِدٍ وجُمجُمَـهْ ... ضَرْبًا فَـلا يُسْمَعُ إلاّ غَمغَمَهْ

لهــم نَهِيتٌ خَـلْفَنَـا وهَمْهَمَـهْ ... لَم تَنْطِقِي في اللّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ

قال ابنُ هشام :أنْشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ قَوْلَه «كالمُوتَمَهْ» ، وتُرْوَى للرعاش الهُذَلِيّ يعني هذه الأبيات .

وَكان شِعارُ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ يومَ فَتْحِ مَكّةَ وحُنَيْنٍ والطّائِفِ ، شِعارُ المُهاجِرينَ يا بني عبدِ الرّحْمَنِ وشِعارُ الخَزْرَجِ : يا بني عبدِ الله وشِعارُ الأوْسِ : يا بني عُبَيْدِ الله [1] .

[عَهْدُ الرّسُولِ إلى أُمَرائه وأمرُه بِقَتْلِ نَفَرٍ سَمّاهم] :

قال ابنُ إسحاقَ [2]: وكان رسولُ الله ﷺ قد عَهِدَ إلى أُمَرائِه من المُسْلِمِينَ حينَ أمَرَهم أن يَدْخُلوا مَكّةَ ، ألا يُقاتِلُوا إلا مَن قاتَلَهم إلاّ أنّه قد عَهِدَ في نَفَرٍ سَمّاهم أمَرَ بِقَتْلِهم وإن وُجِدُوا تَحْتَ أسْتارِ الكَعْبَةِ ، منهم عبدُ الله بنُ سَعْدٍ أخُو بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ .

وَإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِه لأنّه قد كان أسْلَمَ ، وكان يَكْتُبُ لِرسولِ الله ﷺ الوَحْيَ فارْتَدّ مُشْرِكًا راجِعًا إلى قُرَيْشٍ ، فَفَرّ إلى عُثْمانَ بنِ عَفّانَ ، وكان أخاه لِلرّضاعَةِ فَغَيّبَه حتى أتَى به

---

(١) ضعيف :لم يسنده ابن إسحاق . ورواه موصلاً من حديث سمرة بن جندب ابن أبي شيبة [٧/٧١٧] وأبو داود [٢٥٩٥] : من رواية حجاج عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : كان شعار المهاجرين يا عبد الرحمن وشعار الأنصار يا عبد الله . قلت هذا سند ضعيف : فيه حجاج وهو ابن أرطأة ضعيف : وعنعه الحسن وهو مدلس . ووقع خلاف على حجاج فرواه يزيد بن هارون هكذا وخالفه أبو معاوية فقال عن الحسن عن عبد الله بن عمرو . قلت الوهم من حجاج والله أعلم .

(٢) صحيح بطرقه :قصة الذين أهدر رسول الله ﷺ دماءهم صحيحة . من حديث سعد بن أبي وقاص . رواها النسائي [٧/١٠٥ - ١٠٦] وأبو داود [٢٦٨٣ ، ٤٣٥٩] وأبو يعلي [٧٥٧] والبزار [١٨٢١] كشف الأستار ، والطحاوي شرح معاني الأثار [٣/٣٣٠] والحاكم [٣/٤٥] والبيهقي في السنن [٧/٤٠] . من رواية : أسباط بن نصر عن السدى عن مصعب بن سعد عن أبيه . فذكر الحديث على نحو ما قال ابن إسحاق فيهم . وهذا إسناد حسن . أسباط بن نصر وثقه جماعة وهو عندي حسن الحديث وقد توسعت في ترجمته في تحقيقي لقصص الأنبياء . ومن حديث سعيد بن يربوع رواه أبو داود [٢٦٨٤] والطبراني في الكبير [٥٥٢٩] قال الهيثمي : رجاله ثقات ، المجمع [٦/١٧٣] . قلت : هو من رواية عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن جده عن أبيه ، فيه عمرو بن عثمان لم يوثقه إلا ابن حبان . قال أبو داود : لم أفهم إسناده من عمرو بن عثمان كما أحب . قلت وله شاهد من حديث أنس في الصحيحين فيه ذكر ابن خطل فقط . رواه البخاري [٤٢٨٦] ومسلم [١٣٥٧] .

رسولَ الله ﷺ بعد أن اطْمَأنّ الناسُ وأهلُ مَكّةَ ، فاستَأمَنَ له فزَعمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ صَمَتَ طَويلاً ، ثُمّ قال نَعم ؟ فَلَمّا انصَرَفَ عنه عُثمانُ قال رسولُ الله ﷺ لِمَن حَوْلَه من أصْحابه لَقد صَمَتَ ليَقُومَ إلَيه بَعضُكُم فَيَضرِبَ عُنُقَه . فقال رَجُلٌ من الأنصارِ : فَهلاّ أوْمَأتَ إليّ يا رسولَ الله؟ قال إنّ النّبيّ لا يَقتُلُ بالإشارَةِ [(١)] .

قال ابنُ هشام : ثُمّ أسلَمَ بَعْدُ فَوَلاّه عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بَعْضَ أعماله ثُمّ ولاّه عُثمانُ بنُ عَفّانَ بعد عُمَرَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وعبدُ الله بنُ خَطَلٍ ، رَجُلٌ من بني تَيْمِ بنِ غالِبٍ إنّما أمَرَ بِقَتْلِه أنّه كان مُسلِمًا ، فَبَعَثَه رسولُ الله ﷺ مُصَدِّقًا ، وبَعَثَ مَعَه رَجُلاً من الأنصارِ ، وكان [٦٨/ب] مَعَه مَوْلَى له يَخْدُمُه وكان مُسلِمًا ، فَنَزَلَ مَنْزِلاً ، وأمَرَ المَوْلَى أن يَذْبَحَ له تَيْسًا ، فَيَصْنَعَ له طَعامًا ؟ فَنامَ فاسْتَيْقَظَ ولَمْ يَصْنَعْ له شيئًا ، فَعَدا عليه فَقَتَلَه ثُمّ ارْتَدّ مُشرِكًا .

وَكانَتْ له قَيْنَتانِ فَرْتَنَى وصاحِبَتُها ، وكانَتا تُغَنّيانِ بِهجاءِ رسولِ الله ﷺ فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِهما مَعَه . والحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذِ بنِ وهْبِ بنِ عبدِ بنِ قُصَيّ ، وكان مِمّن يُؤذيه بِمَكّةَ .

قال ابنُ هشام : وكان العَبّاسُ بنُ عبدِ المُطّلِبِ حَمَلَ فاطِمَةَ وأُمّ كُلثُوم ، ابنَتَي رسولِ الله ﷺ من مَكّةَ يريد بِهِما المَدينَةَ ، فَنَخَسَ بِهِما الحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذٍ فَرَمَى بِهِما إلى الأرْضِ .

قال ابنُ إسحاق : ومِقْيَسُ بنُ حُبابَةَ : [وإنّما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بِقَتْلِه لِقَتْلِ الأنصاريّ] الذي كان قَتَلَ أخاه خَطأً ورُجُوعُه إلى قُرَيْشٍ مُشرِكًا . وسارَةُ مَوْلاةٌ لِبَعْضِ بني عبدِ المُطّلِبِ . وعِكْرِمَةُ بنُ أبي جَهْلٍ .

وَكانَتْ سارَةُ مِمّن يُؤذيه بِمَكّةَ فَأمّا عِكْرِمَةُ فَهَرَبَ إلى اليَمَنِ ، وأسلَمَت امرَأتُه أُمّ حَكيم بِنتُ الحارِثِ بنِ هشام فاستَأمَنَتْ له من رسولِ الله ﷺ فَأمّنَه فَخَرَجَتْ في طَلَبِه إلى اليَمَنِ ، حتى أتَتْ به رسولَ الله ﷺ فَأسلَمَ . وأمّا عبدُ الله بنُ خَطَلٍ فَقَتَلَه سَعيدُ بنُ حُرَيْثٍ المَخْزُوميّ وأبو بَرْزَةَ الأسلَميّ يعني اشتَرَكا في دَمِه ؟ وأمّا مِقْيَسُ بنُ صُبابَةَ فَقَتَلَه نُمَيْلَةُ بنُ عبدِ الله رَجُلٌ من قَوْمِه فَقالَتْ أُختُ مِقْيَسٍ في قَتْلِه :

لَعمري لَقد أخْزَى نُمَيْلَةُ رَهطَه وَفَجّعَ أضيافَ الشّتاءِ بِمِقْيَسِ

فَلِله عَيْنا مَن رَأى مِثْلَ مِقْيَسٍ إذا النّفَساءُ أصْبَحَتْ لَمْ تُخَرّسِ

وَأمّا قَيْنَتا ابنِ خَطَلٍ فَقُتِلَتْ إحْداهما ، وهَرَبَتِ الأُخْرَى ، حتى استُؤْمِنَ لها رسولُ الله ﷺ بَعْدُ فَأمّنَها . وأمّا سارَةُ فاستُؤْمِنَ لها فَأمّنَها ، ثُمّ بَقِيَتْ حتى أوْطَأها رَجُلٌ من النّاسِ فَرَسًا في زَمَنِ

(١) لفظ حديث سعد السابق تخريجه قال ﷺ : «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين» .

عُمَرَ بنِ الخَطّابِ بِالأَبْطَحِ فقتلها . وأمّا الحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذٍ فَقَتَلَه عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ .

[حديثُ الرّجُلَيْنِ اللّذَيْنِ أمّنتْهما أُمّ هانِئٍ]

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحَدّثَني سَعيدُ بنُ أبي هِنْدَ ، عن أبي مُرّةَ مَوْلَى عَقيلِ ابنِ أبي طالِبٍ، أنّ أُمّ هانِئٍ بنةَ أبي طالِبٍ قالتْ لمّا نَزَلَ رسولُ الله ﷺ بِأعْلَى مَكّةَ ؛ فَرّ إليّ رَجُلانِ من أحْمائي ، من بني مَخْزُومٍ ، وكانَتْ عند هُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبٍ المَخْزُوميّ ، قالتْ فَدَخَلَ عَلَيّ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ أخي ، فقال والله لأَقْتُلَنّهما،فأَغْلَقْت عليهما بابَ بَيْتِي ، ثُمّ جِئْت رسولَ الله ﷺ وهو بِأعْلَى مَكّةَ ، فَوَجَدْته يَغْتَسِلُ من جَفْنَةٍ إنّ فيها لأَثَرَ العَجينِ وفاطِمَةُ ابنَته تَسْتُرُه بِثَوْبه فلَمّا اغْتَسَلَ أخَذَ ثَوْبَه فَتَوَشّحَ به فصَلّى ثَمانيَ رَكَعاتٍ من الضّحَى ثُمّ انصَرَفَ إليّ فقال : «**مَرْحَبًا وأهلاً يا أُمّ هانِئٍ ما جاءَ بِك ؟**» فَأَخْبَرْته خَبَرَ الرّجُلَيْنِ وخَبَرَ عَلِيّ فقال : «**قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ ، وأمّنّا مَن أمّنْت ، فَلا يَقْتُلْهما**» .

قال ابنُ هشامٍ : هما الحارِثُ بنُ هشامٍ ، وزُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغيرَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُبَيْدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ أبي ثَوْرٍ عن صَفيّةَ بِنْتِ شيبَةَ أنّ رسولَ الله ﷺ لمّا نَزَلَ مَكّةَ ، واطْمَأَنّ النّاسُ خَرَجَ حتى جاءَ البَيْتَ فَطافَ بِهِ سَبْعًا على راحِلَتِه يَسْتَلِمُ الرّكْنَ بِمِحْجَنٍ في يَدِه فلَمّا قَضَى طَوافَه دَعا عُثْمانَ بنَ طَلْحَةَ ، فَأَخَذَ مِنه مِفْتاحَ الكَعْبَةِ ، فَفُتِحَتْ له فَدَخَلَها ، فَوَجَدَ فيها حَمامَةً من عيدانٍ فَكَسَرَها بِيَدِه ثُمّ طَرَحَها ، ثُمّ وقَفَ على بابِ الكَعْبَةِ وقد استُكِفّ له النّاسُ جعلوا أكفهم على أعينهم لينظروا إليه في المَسْجِدِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فَحَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ رسولَ الله ﷺ قامَ على بابِ الكَعْبَةِ ،

---

(١) متفق عليه نحوه : وسند ابن إسحاق حسن : رواه البخاري [٣٥٧ - ٣١٧١] ومسلم [٣٣٦] .

(٢) حسن الإسناد : رواه أبو داود [١٨٦١] وابن ماجه [٢٩٤٧] والبيهقي في الدلائل [٧٤/٥] والطبراني في الكبير [٣٢٢/٢٤ ح ٨١٠ ، ٨١٢] .

(٣) حسن من وجه آخر : رواه الطبري في تاريخه [١٦١/٢] من طريق ابن إسحاق عن عمر بن موسى بن الوجيه عن قتادة مرسلاً . وفيه عمر بن موسى بن الوجيه منكر الحديث ، قاله البخاري في التاريخ [١٩٧/٣/٢] . وروى موصولاً من حديث عبد الله بن عمرو . رواه أبو داود [٤٥٤٧] وابن ماجه [٢٦٢٧] والنسائي [٤١/٨] وابن حبان [٦٠١١] والبيهقي [٦٨/٨] السنن ، وابن الجارود في المنتقى [٧٧٣] من طرق عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو ، وهذا إسناد حسن من أجل عقبة بن أوس . قال الحافظ : صدوق . وقد خالف خالد الحذاء أيوبُ السختياني ، فرواه عن القاسم بن ربيعة عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر فيه عقبة بن أوس . رواه أحمد [١٦٤/٢ ، ١٦٦] والنسائي [٤٠/٨] وابن ماجه [٢٦٢٧] والدارقطني [١٠٤/٣] والبيهقي في السنن [٤٤/٨] . ورواه علي بن زيد بن جدعان عن القاسم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب نحوه . رواه الشافعي [٣٦١] وعبد الرزاق [١٧٢١٢] وأحمد [١١/٢] وأبو داود [٤٥٤٩] والنسائي [٤٢/٨] وابن ماجه [٢٦٢٨] ....=

فَقال : «لا إلَهَ إلاّ الله وحْدَه لا شَريكَ له صَدَقَ وعْدَه ونَصَرَ عبدَه وهَزَمَ الأحْزابَ وحْدَه ألا كُلّ مَأثُرَةٍ أوْ دَمٍ أوْ مالٍ يُدّعَى فهو تَحْتَ قَدَمَيّ هاتَيْنِ إلاّ سَدانَةَ البَيْتِ وسِقايَةَ الحاجّ ألا وقَتيلُ الخَطَأ شِبْه العمدِ بِالسَوْطِ والعَصا ، فَفيه الدّيَةُ مُغَلّظَةٌ مِئَةٌ من الإبِلِ أرْبَعُونَ منها في بُطُونِها أوْلادُها» (١) . «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ اللهَ قد أذْهَبَ عَنْكُم نَخْوَةَ الجاهِلِيّةِ وتَعَظّمَها بِالآباءِ النّاسُ من آدَمَ[٦٩/أ] وآدَمُ من تُرابٍ» ثُمّ تَلا هذه الآيَةَ ﴿يا أيها النّاسُ إنّا خَلَقْناكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْناكُم شُعُوبًا وقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكْرَمَكُم عند الله أتْقاكُم﴾ الآيَةَ كُلّها . ثُمّ قال : «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ما تُرَوْنَ أنّي فاعِلٌ بكُم ؟» قالُوا : خَيْرًا ، أخٌ كَريمٌ وابنُ أخٍ كَريمٍ . قال : «اذْهَبوا فَأنْتُم الطّلَقاءُ» .

إقْرارُ الرّسُولِ ابنَ طَلْحَةَ على السّدانَةِ :

ثُمّ جَلَسَ رسولُ الله ﷺ في المَسْجِدِ فَقامَ إلَيْه عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ومِفْتاحُ الكَعْبَةِ في يَدِه فَقال يا رسولَ الله اجْمَعْ لَنا الحِجابَةَ مع السّقايَةِ صَلّى الله عَلَيْك ، فَقال رسولُ الله ﷺ : «أيْنَ عُثْمانُ بنُ طَلْحَةَ ؟» فَدُعِيَ له فَقال هاكَ مِفْتاحَك يا عُثْمانُ ، اليومُ يومُ بِرّ ووَفاءٍ (٢) .

قال ابنُ هشامٍ (٣) : وذَكَرَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَةَ أنّ رسولَ الله ﷺ قال لِعَلِيّ : «إنّما أُعْطيكُم ما تُرْزَءُونَ لا ما تَرْزَءُونَ» .

= والبيهقي [٤٤/٨] . من طرق عن علي بن زيد . وعلي بن زيد ضعيف ومن رواية عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحوه ، رواه موسى ابن عقبة في مغازيه [٢٧٦] وابن أبي شيبة [٥٣٧/٨] . وروى من طريق خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن يعقوب بن أوس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ رواه الشافعي [٣٦٢] وعبد الرزاق [١٧٢١٣] وأحمد [٤١١/٥] والدارقطني [١٠٣/٣ - ١٠٤] والبيهقي [٤٥/٨] من طرق عن خالد به . قلت : لا خلاف بين هذا والسند الأول عن خالد فيعقوب بن أوس هو عقبة بن أوس ، قاله ابن معين فيما نقله عنه البيهقي . وقد روي مرسلاً عن طريق القاسم بن ربيعة رواه النسائي [٤٠/٨ - ٤١] قلت : الراجح أنه حديث خالد عن القاسم عن عقبةأو يعقوب بن أوس عن عبد الله بن عمرو قاله ابن معين . ونقله البيهقي وابن أبي حاتم كما في الجرح ترجمة عقبة ابن أوس ، وصحح الحديث ابن القطان كما في تلخيص الحبير [٣٠/٤] قال الحافظ : (صححه ابن حبان وقال ابن القطان : هو صحيح ولا يضره الاختلاف) .

(١) تنبيه : حديث عبد الله بن عمرو ينتهي هنا ، والباقي مرسل ومنكر ، كما صدرت بأنه من رواية عمر بن موسى ابن الوجيه ، متهم .

(٢) مرسل : رواه عبد الرزاق في مصنفه [٩٠٧٣] من مرسل الزهري والطبراني في الكبير [٨٣٩٥] من طريق عبد الرزاق . ومن مرسل أبي السفر ، رواه ابن أبي شيبة [٥٤١/٨] .

(٣) مرسل من قول ابن أبي مليكة : رواه عبد الرزاق المصدر السابق وكذلك الطبراني . قال عبد الرزاق فحدثت ابن عيينة به - يعني الحديث السابق فقال ابن عيينة حدثني ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة فذكره .

[أمرُ الرّسُولِ بِطَمسِ ما بِالبَيْتِ من صُوَرٍ] :

قال ابنُ هشام [(١)] :وحَدّثني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ البَيْتَ يومَ الفَتْحِ فَرَأى فيه صُوَرَ المَلَائِكَةِ وغَيْرِهِم فَرَأى إبْراهيمَ عليه السّلامُ مُصَوّرًا في يَدِه الأزْلامُ يَسْتَقْسِمُ بها ، فقال : «**قاتَلهم الله جَعَلُوا شيخَنا يَستَقسِمُ بِالأزْلامِ ما شَأنُ إبْراهيمَ والأزْلامِ ﴿ما كان إبْراهيمُ يَهُوديًا ولا نَصْرانيًا ولَكِن كان حَنيفًا مُسْلِمًا وما كان مِنَ المُشْرِكينَ﴾**» ثُمّ أمَرَ بِتِلْكَ الصّوَرِ كُلّها فَطُمِسَتْ .

[صَلاةُ الرّسُولِ بِالبَيْتِ وتَوَخّي ابنِ عُمَرَ مَكانَه] :

قال ابنُ هشام [(٢)] :وحَدّثني أنّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ ومَعَه بِلالٌ ، ثُمّ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ وتَخَلّفَ بِلالٌ فَدَخَلَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ على بِلالٍ فَسَألَه أيْنَ صَلّى رسولُ الله ﷺ ولَمْ يَسْألْه كَمْ صَلّى ، فَكان ابنُ عُمَرَ إذا دَخَلَ البَيْتَ مَشَى قِبَلَ وجْهِه وجَعَلَ البابَ قِبَلَ ظَهْرِه حتى يَكُونَ بَيْنَه وبَيْنَ الجِدارِ [قدرُ] ثَلاثِ أذْرُعٍ ، ثُمّ يُصَلّي ، يَتَوَخّى [بِذلك] المَوْضِعَ الذي قال له بِلالٌ .

[قال ابنُ هشام] [(٣)] وحَدّثَني : أنّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ عامَ الفَتْحِ ومَعَه بِلالٌ وأسامه بن زيد فَأمَرَه أن يُؤَذّنَ وأبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ وعَتّابُ بنُ أسيدٍ والحارِثُ بنُ هشامٍ جُلُوسٌ بِفِناءِ الكَعْبَةِ ، فَقال عَتّابُ بنُ أسيدٍ لَقَد أكْرَمَ الله أسيدًا ألاّ يَكُونَ سَمِعَ هذا ، فَيَسْمَعَ مِنْه ما يَغيظُه . فَقال الحارِثُ بنُ هشامٍ : أما والله لَوْ أعْلَمُ أنّه مُحِق لاتّبَعْته ، فَقال أبو سُفْيانَ : لا أقُولُ شيئًا ، لَوْ تَكَلّمت لأَخْبَرَتْ عَنّي هذه الحَصَى ، فَخَرَجَ عليهِم النّبيّ ، فَقال : «**قد عَلِمتُ الذي قُلْتُم**» ثُمّ ذَكَرَ ذلك لهم فَقال الحارِثُ وعَتّابٌ : نَشْهَدُ أنّك رسولُ الله ، والله ما اطّلَعَ على هذا

---

(١) صحيح بمعناه :سند ابن هشام معضل مع جهالة من حدثه ، والحديث رواه البخاري [٤٢٨٨] وعبد الرزاق [١٩٤٨٥] في المصنف ، وأحمد [٣٦٥/١] وأبو داود [٢٠٢٧] والبيهقي دلائل [٧٣/٥] وغيرهم من حديث ابن عباس .

(٢) متفق عليه :رواه البخاري [٢٩٨٨] ومسلم [١٣٢٩] من حديث ابن عمر .

(٣) مرسل :لم يذكر ابن هشام سنده ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه [٢٥٣/١] والبيهقي في الدلائل [٧٨/٥] من مرسل عروة مختصرًا . ومن مرسل بعض آل جبير بن مطعم . رواه البيهقي في الدلائل [٧٨/٥] من رواية محمد بن إسحاق عن أبيه عن بعض آل جبير بن مطعم ، وسنده حسن إليهم . ومن مرسل ابن أبي مليكة ، رواه البيهقي من طريق عبد الرزاق في الدلائل [٧٩/٥] من رواية معمر عن أيوب عن ابن أبي مليكة . وهكذا وقع في رواية أحمد ابن منصور الرمادي - وهي إحدى روايات المصنف - ووقع في المصنف المطبوع برقم [١٩٤٦٤] موصولة من رواية معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن سلمان في حديث وفيه : أمر رسول الله بلالاً فأذن يوم الفتح . وذكره نحوه قال المحقق في الحاشية في نسخة الرمادي قال أيوب قال ابن أبي مليكة فذكره وعلى كلٍّ فهذه ثلاثة مراسيل يقوى بعضها بعضًا . والله أعلم .

أحَدٌ كان مَعَنا ، فَنَقُولَ أخبَرَك .

قال ابنُ إسحاق [١] : حَدثني ، سَعيدُ بنُ أبي سَندَر الأسلمِيّ ، عن رَجُلٍ من قَومِه قال كان مَعَنا رَجُلٌ يُقال له أحْمَرُ بَأسًا ، وكان رَجُلاً شُجاعًا ، وكان إذا نامَ غَطّ غَطيطًا مُنكَرًا لا يَخفَى مَكانُه فكان إذا باتَ في حَيّه باتَ مُعتَنِزًا ، فإذا بُيّتَ الحَيّ صَرَخُوا يا أحمَرُ فَيَثُورُ مِثلَ الأسَدِ لا يَقُومُ لِسَبيلِه شيءٌ . فأقبَلَ غَزِيّ ، من هُذَيل يُريدُونَ حاضِرَه حتى إذا دَنَوا من الحاضِرِ قال ابنُ الأثْوَعِ الهُذَليّ : لا تَعجَلُوا عَلَيّ حتى أنظُرَ فإن كان في الحاضِرِ أحمَرُ فَلا سَبيلَ إلَيهم فإنّ له غَطيطًا لا يَخفَى ، قال فاستَمَعَ فَلَمّا سَمِعَ غَطيطَه مَشَى إلَيه حتى وضَعَ السّيفَ في صَدرِه ثُمّ تَحامَلَ عليه حتى قَتَلَه ثُمّ أغارُوا على الحاضِرِ فَصَرَخُوا يا أحمَرُ ولا أحمَرَ لهم فَلَمّا كان عامُ الفَتحِ وكان الغَدُ من يوم الفَتحِ أتَى ابنُ الأثْوَعِ الهُذَليّ حتى دَخَلَ مَكّةَ ينظر ويَسألُ عن أمرِ النّاسِ وهو على شِركِه فَرَأتْه خُزاعَةُ ، فَعَرَفُوه فأحاطُوا به وهو إلى جَنبِ جِدارٍ من جُدُرِ مَكّةَ ، يقولونَ أأنتَ قاتِلُ أحمَرَ ؟ قال نَعم أنا قاتِلُ أحمَرَ فَمَهْ ؟ قال إذ أقبَلَ خِراشُ بنُ أُمَيّةَ مُشتَمِلاً على السّيفِ . فقال هَكَذا عن الرّجُلِ واللهِ ما نَظُنّ إلاّ أنّه يُريدُ أن يُفرِجَ النّاسَ عنه . فَلَمّا انفَرَجنا عنه حَمَلَ عليه فَطَعَنَه بالسّيفِ في بَطنِه . فَواللهِ لِكَأنّي أنظُرُ إلَيه وحِشوَتَه تَسيلُ من بَطنِه وإنّ عَينَيه لَتُرَنّقانِ في رَأسِه وهو يقول أقد فَعَلْتُمُوها يا مَعشَرَ خُزاعَةَ ؟ حتى [٦٩/ب] انجَعَفَ فَوَقَعَ فَقال رسولُ اللهِ ﷺ : **«يا مَعشَرَ خُزاعَةَ ارفَعُوا أيديَكُم عن القَتلِ فقد كَثُرَ القَتلُ إن يقعَ لَقد قَتَلتُم رجلاً لأدِيَنّه»** .

قال ابنُ إسحاق [٢] : وحَدثني عبدُ الرّحمَنِ بنُ حَرمَلَةَ الأسلَمِيّ ، عن سَعيدِ ابنِ المُسَيّبِ ، قال لَمّا بَلَغَ رسولَ اللهِ ما صَنَعَ خِراشُ بنُ أُمَيّةَ ، قال إنّ خِراشًا لَقَتّالٌ يَعيبُه بِذلك .

[ما كان بَينَ أبي شُرَيحٍ وابنِ سَعدٍ حينَ ذَكَرَه بِحُرمَةِ مَكّةَ]

قال ابنُ إسحاق [٣] : وحَدثني سَعيدُ بنُ أبي سَعيدٍ المَقبُرِيّ ، عن أبي شُرَيحٍ الخُزاعِيّ قال لَمّا قَدِمَ عَمرُو بنُ الزّبَيرِ [٤] مَكّةَ لِقِتالِ أخيه عبدِ اللهِ بنِ الزّبَيرِ ، جِئتُه ، فَقُلتُ له يا هذا ، إنّا كُنّا مع رسولِ اللهِ ﷺ حينَ افتَتَحَ مَكّةَ ، فَلَمّا كان الغَدُ من يومِ الفَتحِ عَدَتْ خُزاعَةُ على رَجُلٍ من هُذَيلٍ فَقَتَلُوه وهو مُشرِكٌ فَقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فينا خَطيبًا ، فَقال : **«يَأيها النّاسُ إنّ اللهَ حَرّمَ مَكّةَ يومَ خَلَقَ السّمَواتِ والأرضَ فَهيَ حَرامٌ من حَرامٍ إلى يومِ القيامَةِ فَلا يَحِلّ لامرِئٍ يُؤمِنُ**

---

(١) حسن بشواهده : فيه سعيد بن أبي سندر الأسلمي لم أقف على ترجمته ويشهد للحديث الروايات الآتية .

(٢) مرسل .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري [٤٢٩٥] مسلم [١٣٥٤] .

(٤) رواية الصحيح عمرو بن سعيد بن العاص . وأشار إلى ذلك السهيلي في الروض وقال هذا وهم من ابن هشام أو من زياد البكائي .

بالله واليوم الآخر أن يَسفِكَ فيها دمًا ، ولا يَعضِدَ فيها شَجَرًا ، لم تَحْلِلْ لأحدٍ كان قَبلي ، ولا تَحِلّ لأحدٍ يَكُونُ بَعْدي ، ولَم تَحْلِلْ لي إلاّ هذه الساعَةَ غَضَبًا على أهلِها . ألا ، ثُمّ قد رَجَعَتْ كحُرمَتِها بالأمس فَلْيُبَلِّغِ الشاهِدُ مِنكُم الغائِبَ فَمَن قال لكُم إنّ رسولَ الله ﷺ قد قاتَلَ فيها ، فقُولُوا : إنّ اللهَ قد أحَلّها لِرسولِه ولَم يُحْلِلْها لَكُم يا مَعْشَرَ خُزاعَةَ ارفَعُوا أيدِيَكُم من القَتْلِ فلَقد كَثُرَ القَتْلُ إن يَقَعَ لَقد قَتَلْتُم قَتيلاً لأَدِيَنّه فَمَن قُتِلَ بعد مَقامي هذا فأهلُه بخَيْرِ النّظَرَيْنِ إن شاءُوا فَدَمُ قاتِلِه وإن شاءُوا فَعَقْلُه» .

ثُمّ ودَى رسولُ الله ﷺ ذلك الرّجُلَ الذي قَتَلَتْه خُزاعَةُ ، فقال عمرٌو لأبي شُرَيْح : انصَرِفْ أيها الشّيْخُ فَنحن أعلَمُ بحُرمَتِها مِنك ، إنها لا تَمنَعُ سافِكَ دَمٍ ولا خالِعَ طاعَةٍ ولا مانِعَ جِزْيَةٍ ؟ فقال أبو شُرَيْح : إنّي كُنتُ شاهِدًا وكُنتَ غائِبًا ، ولَقد أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن يُبَلِّغَ شاهِدُنا غائِبَنا ، وقد أبلَغْتُكَ فأنتَ وشأنُك .

قال ابنُ هشام[1] : وبَلَغَني أنّ أوّلَ قَتيلٍ وداه رسولُ الله ﷺ يومَ الفَتْحِ جُنَيْدَبُ بنُ الأكْوَعِ قَتَلَتْه بنو كَعْبٍ ، فَوَداه بمِائَةِ ناقَةٍ .

[تخَوّفُ الأنصارِ من بَقاءِ الرّسُولِ في مكّةَ وطَمأنَةُ الرّسُولِ لهم] :

قال ابنُ هشام :وبَلَغَني عن يَحْيَى بنِ سَعيدٍ أنّ النّبِيّ ﷺ حينَ افتَتَحَ مَكّةَ ودَخَلَها ، قامَ على الصّفا يَدْعُو اللهَ ، وقد أحدَقَتْ به الأنصارُ ، فقالُوا فيما بَيْنَهم أتُرَوْنَ رسولَ الله ﷺ إذ فَتَحَ الله عليه أرضَه وبَلَدَه يُقيمُ بها ؟ فَلَمّا فَرَغَ من دُعائِه قال ماذا قُلْتُم ؟ قالُوا : لا شيءَ يا رسولَ الله فَلَم يَزَلْ بِهِم حتى أخبَرُوه فقال النّبِيّ ﷺ مَعاذَ الله المَحْيا مَحْياكُم ، والمَماتُ مَماتُكُم[2] .

[سُقُوطُ أصنامِ الكعْبةِ بإشارةٍ من الرّسُولِ] :

قال ابنُ هشام[3] : وحَدّثَني مَن أثِقُ به من أهلِ الرّوايَةِ في إسنادٍ له عن ابنِ شِهابٍ [الزّهْرِيّ] . عن عُبَيْدِ الله بنِ عبدِ الله . عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال دَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكّةَ يومَ الفَتحِ على راحِلَتِه . فَطافَ عليها وحَوْلَ الكعبةِ أصنامٌ مَشْدُودَةٌ بالرّصاصِ فجَعَلَ النّبِيّ ﷺ يُشيرُ

---

(١) معضل ضعيف لم يذكر ابن هشام إسناده في ذلك .

(٢) صحيح ، سند ابن هشام ضعيف مع إرساله والحديث موصول من حديث أبي هريرة مطولاً ، رواه مسلم [١٧٨٠] وأبو داود [٣٠٢٤] مختصرًا ، رواه أحمد [٥٣٨/٣] والنسائي [١١٢٩٨] الكبرى ، وابن أبي شيبة [٥٤٣/٧] وغيرهم .

(٣) حسن بشواهده سند ابن هشام فيه مبهم . وقد رواه ابن إسحاق قال حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن علي ابن عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس ، وهذا سند حسن ، رواه البيهقي في الدلائل [٧١/٥ - ٧٢] . والحديث متفق عليه نحوه من حديث ابن مسعود رواه البخاري [٢٤٧٨] ومسلم [٨٧] .

بقضيبٍ في يَدِه إلى الأصنام ويقول : «جاءَ الحقُ وزَهَقَ الباطِلُ ، إنَ الباطِلَ كان زَهُوقًا» فما أشارَ إلى صَنَمٍ منها في وجْهِه إلاّ وقَعَ لِقَفاه . ولا أشارَ إلى قَفاه إلاّ وقَعَ لِوَجْهِه حتى ما بَقِيَ منها صَنَمٌ إلاّ وقَعَ فَقال تَميمُ بنُ أسَدٍ الخُزاعيّ في ذلك

وَفي الأصْنامِ مُعْتَبَرٌ وعِلْمٌ   لِمَن يَرْجو الثَوابَ أو العِقابا

قال ابنُ هشام : [١] وحَدّثني : أنّ فَضالةَ بن عُمَيْرِ بنِ المُلَوّحِ يعني اللّيْثيّ أرادَ قَتْلَ النّبيّ ﷺ وهو يَطُوفُ بالبَيْتِ عامَ الفَتْحِ فَلَمّا دَنا مِنه . قال رسولُ الله ﷺ أفَضالةُ ؟ قال نَعم فَضالةُ يا رسولَ الله ﷺ قال ماذا كُنتَ تُحَدِّثُ به نَفْسَك ؟ قال لا شيءَ كُنت أذْكُرُ اللهَ قال فَضَحِكَ النّبيّ ﷺ . ثُمّ قال اسْتَغْفِرِ اللهَ . ثُمّ وضَعَ يَدَه على صَدْرِه فَسَكَنَ قَلْبُه فكان فَضالةُ يقول واللهِ [٧٠/أ] ما رَفَعَ يَدَه عن صَدْري حتى ما من خَلْقِ الله شيءٌ أحَبّ إليّ مِنه ، قال فَضالةُ : فَرَجَعْت إلى أهلي فَمَرَرْت بامرأةٍ كُنْت أتَحَدّثُ إلَيْها فَقالتْ هَلُمّ إلى الحَديثِ فَقُلْت : لا ، وانْبَعَثَ فَضالةُ يقول :-

قالتْ هَلُمّ إلى الحَديثِ فَقُلْت لا   يَأبَى عَلَيْكِ اللهُ والإسلامُ
لَوْما رَأيْتِ مُحَمّدًا وقَبيلَهُ   بالفَتْحِ يومَ تَكَسّرَ الأصْنامُ
لَرَأيْتِ دينَ الله أضْحَى بَيّنًا   والشّرْكُ يَغْشَى وجْهَه الإظْلامُ

[أمانُ الرّسُول لِصَفْوانَ بن أُمَيّةَ]

قال ابنُ إسحاقَ : [٢] فَحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بن الزبير عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ ، قال :خَرَجَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ يُريدُ جُدّةَ لِيَرْكَبَ منها إلى اليَمَنِ ، فَقالَ عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ يا نَبيّ الله إنّ صَفْوانَ بنَ أمَيّةَ سَيّدُ قَوْمِي وقد خَرَجَ هارِبًا مِنك ، لِيَقْذِفَ نَفْسَه في البَحْرِ فَأمّنه صَلّى الله عَلَيْك قال : هُوَ آمِنٌ ، قال يا رسولَ الله فَأعْطِني آيَةً يَعْرِفُ بها أمانَك ، فَأعْطاه رسولُ الله ﷺ عِمامَتَه التي دَخَلَ فيها مَكّةَفَخرج بها عُمَيْرٌ حتى أدْرَكَه وهو يُريدُ أن يَرْكَبَ في البَحْرِ . فَقال يا صَفْوانُ فِداكَ أبي وأُمّي ،اللهَ اللهَ في نَفْسِك أن تُهْلِكَها . فَهذا أمانٌ مِن رسولِ الله ﷺ قد جِئْتُك به قال وَيْحَك اغْرُبْ عَنّي فَلا تُكَلّمْني ، قال أيْ صَفْوانُ فِداك أبي وأُمّي أفْضَلُ النّاسِ وأبَرّ النّاسِ وأحْلَمُ النّاسِ وخَيْرُ النّاسِ ابنُ عمّك ، عِزّه عِزّك . وشَرَفُه شَرَفُك ومُلْكُه مُلْكُك ؟ قال إنّي أخافُه على نَفْسي ، قال هُوَ أحْلَمُ من ذاكَ وأكْرَمُ . فَرَجَعَ مَعَه حتى وقَفَ به على رسولِ الله ﷺ . فَقال صَفْوانُ :

---

(١) معضل : وفيه جهالة من حدثه ، ونقله ابن عبد البر في الدرر .

(٢) مرسل : رواه ابن جرير في تاريخه [١٦٢/٢] من طريق ابن إسحاق ، ورواه أيضًا مختصرًا من مرسل الزهري من رواية ابن إسحاق ، ورواه موسى بن عقبة في مغازيه من مرسل الزهري . وهو في مغازيه [٢٧٦] .

إنّ هذا يَزْعُمُ أنّك قد أمّنْتني؟ قال : «صَدَقَ» قال : فاجْعَلْني فيه بالخيارِ شَهرَيْنِ ؟ قال : أنتَ بالخيارِ فيه أرْبَعَةَ أشْهُرٍ .

قال ابنُ هشام :[1] وحَدثني رَجُلٌ من قُرَيْشٍ من أهلِ العِلْمِ أنّ صَفوانَ قال، لِعُمَيْرٍ : ويْحَك اغْرُبْ عَنّي ، فَلا تُكَلّمني ، فإنّك كَذّابٌ لِما كان صَنَعَ به وقد ذَكَرْناه في آخِرِ حَديثِ يوم بَدْرٍ .

قال ابنُ إسحاق :وحَدّثني الزّهْريّ : [2] أنّ أُمّ حَكيمٍ بِنْتَ الحارِثِ بنِ هشام، وفاخِتَةَ بِنْتَ الوَليدِ - وكانَتْ فاخِتَةُ عند صَفوانَ بنِ أُمَيّةَ وأُمّ حَكيم عند عِكْرِمَةَ بنِ أبي جَهْلٍ بالشام أسْلَمَتا . فأمّا أُمّ حَكيمٍ فاسْتَأمَنَتْ رسولَ الله ﷺ لِعِكْرِمَةَ فأمّنَهُ فَلَحِقَتْ به باليَمَنِ فَجاءَتْ به ؟ فَلَمّا أسْلَمَ عِكْرِمةُ وصَفْوانُ أقَرّهما رسولُ الله ﷺ عندهما على النّكاحِ الأوّلِ .

قال ابنُ إسحاق :وحَدّثني سَعيدُ بنُ عبدِ الرّحْمَنِ بنِ حسّانَ بنِ ثابتٍ قال رَمَى حسّانُ ابنَ [3] الزّبَعْرَى وهو بِنَجْرانَ ببيت واحدٍ ما زادَه عليه

لا تَعْدَمَن رَجُلاً أحَلّك بُغْضُهُ ... نَجْرانَ في عَيْشٍ أحَذّ لَئِيمِ

فَلَمّا بَلَغَ ذلك ابنَ الزّبَعْرَى خَرَجَ إلى رسولِ الله ﷺ فأسْلَمَ فقال حينَ أسْلَمَ :

يـا رسـولَ المَليـكِ إنّ لِسـاني ... راتِقٌ ما فَتَقْت إذْ أنـا بـورُا

إذْ أُباري الشّيْطانَ في سُنَنِ الغَيّ ... وَمَن مـال مَيْلَـه مَثْبـورُ [4]

آمَنَ اللّحْـمُ والعِظـامُ لِــرَبّي ... ثُمّ قَلْبي الشّهيدُ أنْتَ النّذيرُ

إنّني عَنْـكَ زاجِـرٌ ثَـمّ حَيّـا ... مِـن لُـؤَيّ وكُلّهـم مَغْرُورُ

قال ابنُ إسحاق :وقال عبدُ الله بنُ الزّبَعْرَى أيضًا حينَ أسْلَمَ :

مَنَـعَ الـرّقادَ بَـلابِـلٌ وهُمُومُ ... واللّيْـلُ مُعْتَلِجُ الـرّواقِ بَهِيـمُ

مِمّـا أتـاني أنّ أحْمَـدَ لامَـني ... فيـه فَبِتّ كَـأنّني مَحْمُـومُ

يا خَيْرَ مَن حَمَلَتْ على أوْصالِها ... عَيْرانَةٌ سُرُحُ اليَـدَيْنِ غَشُـومُ

إنّي لَمُعْتَذِرٌ إلَيْـكَ مِـن الـذي ... أسْدَيْتُ إذْ أنا في الظّلامِ أهيمُ

---

(١) معضل :وفيه جهالة من حدثه .

(٢) مرسل :رواه الطبري في تاريخه [٢/١٦٢] من طريق ابن إسحاق مرسلاً .

(٣) في الأصل :روى حسانُ بنُ الزبعري . والصواب الذي يقتضيه السياق ما أُثبت .

(٤) أباري : أجاري وأعارض . مثبور : هالك .

أيـامَ تأمُـرُني بـأغـوَى خُطَةٍ ... سَهْـمٌ وتـأمُـرُني بهـا مَخزُومُ
وَأمُدّ أسبـابَ الـرّدَى ويَـقُودُني ... أمـرُ الغُـواةِ وأمـرُهم مَشئُومُ
فـاليـومَ آمَـنَ بـالنّبيّ مُحَمّدٍ ... قَـلْبي ومُخْطِئُ هـذه مَـحْـرُومُ
مَضَتِ العَداوَةُ وانقَضَتْ أسبابُها ... وَدَعَـتْ أواصِرُ بَيْنَنا وحُـلُومُ
فاغْفِرْ فِـدًى لَك والِـدايَ كِلاهما ... زَلَلـي فَـإنّك راحِـمٌ مَرْحُـومُ
وَعَلَيْكَ مِـن عِـلْمِ المَليكِ عَـلامَةٌ ... نُـورٌ أغَـرّ وخـاتَـمٌ مَـخْتُـومُ
أعْطـاكَ بعـد مَحَبّـةٍ بُـرْهـانَـهُ ... شَرَفًا وبُرْهـانُ الإلَـه عَـظِيمُ
وَلَقد شَهِدْت بأنّ دينَكَ صادِقٌ ... حَـقٌ وأنّـك في العِبـادِ جَسيمُ
والله يَشْهَدُ أنّ أحْمَـدَ مُصْطَفًى ... مُستَقْبَلٌ في الصّـالِحِينَ كَرِيـمُ [٧٠/ب]
قَـرْمٌ عَـلا بُنْيانُه مِـن هاشِمٍ ... فَـرْعٌ تَمَكّنَ في الـذّرا وأُرُومُ (١)

قال ابنُ هشام : وبَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها له .

قال ابنُ إسحاق : وأمّا هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهْبٍ المَخْزُوميّ فأقامَ بِها حتى ماتَ كافِرًا، وكانَتْ عنده أُمّ هانِئٍ بِنْتُ أبي طالِبٍ واسْمُها هِنْدٌ . وقد قال حينَ بَلَغَه إسلامُ أُمّ هانِئٍ :

أشاقَتْكَ هِنْدٌ أم أتـاكَ سُؤَالُهـا ... كَذاكَ النّوَى أسبابُها وانفِتالُهـا (٢)
وَقد أرّقَتْ في رَأسِ حِصْنٍ مُمَنّعٍ ... بنَجْرانَ يُسْري بعد لَيْلٍ خَيالُها
وَعـاذِلَـةٍ هَـبّتْ بِلَيْـلٍ تَلُومُني ... وَتَعْذِلُني بِاللّيْلِ ضَـلّ ضَـلالُهـا
وَتَـزْعُمُ أنّي إن أطَعْـتُ عَشيرَتي ... سَـأُرْدَى وهَلْ يُرْدِينِ إلاّ زِيالُها (٣)
فَإنّي لَمِن قَوْمٍ إذا جَـدّ جِـدّهم ... على أيّ حالٍ أصْبَحَ اليومَ حالُها
وَإنّي لَحَـامٍ مِـن وراءِ عَشيرَتي ... إذا كان من تَحْتِ العَوالي مَجالُهـا
وَصارَتْ بِأيْديها السّيُوفُ كأنّها ... مَخـاريـقُ وِلْـدانٍ ومنهـا ظِلالُهـا
وَإنّي لأقْلَى الحاسِدينَ وفِعْلَـهم ... عـلى الله رِزْقي نَفْسُهـا وعيـالُهـا
وَإنّ كَـلامَ المـرْءِ في غَيْرِ كُنْهِـه (٤) ... لَكالنّبْلِ تَهْوي لـيس فيها نِصالُها

---

(١) قرم : سيد . الذرا : الأعالي . الآروم : الأصول .
(٢) انفتالها : أي تقلبها من حال إلى حال
(٣) زيالها : ذهابها .
(٤) كنهه : حقيقته .

فَإن كُنتِ قد تابَعت دينَ مُحمّدٍ وَعَطَفتِ الأرحامَ مِنكِ جبالُها

فَكُوني على أعْلَى سَحيقٍ بِهَضْبَةٍ مُلَملَمَةٍ غَبْراءَ يَبْسٍ بِلالُها (١)

وَقَطَعْتِ الأرحامَ مِنك جبالُها

قال ابنُ إسحاق ويُرْوَى :

قال ابنُ إسحاق وكان جَميعُ مَن شَهِدَ فَتْحَ مَكّةَ من المُسْلِمِينَ عَشَرَةَ آلافٍ . من بني سُلَيْمٍ سَبْعُ مِئَةٍ ، ويقول بَعْضُهم ألفٌ ومِن بني غِفار أرْبَعُ مِئَةٍ ، ومِن أسْلَمَ أرْبَعُ مِئَةٍ ومِن مُزَيْنَةَ ألفٌ وثَلاثَةُ نَفَرٍ ، وسائِرُهم من قُرَيْشٍ والأنْصارِ وحُلَفائِهم وطَوائِفُ العَرَبِ من تَميمٍ وقَيْسٍ وأسَدٍ .

وَكان مِمّا قيلَ من الشِّعْرِ في يومِ الفَتْحِ قَوْلُ حسّانَ بن ثابتٍ [الأنصاريّ] :

عَفَتْ ذاتُ الأصابِعِ فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ

ديارٌ من بني الحَسْحاسِ قَفْرٌ تُعَفّيها الرّوامِسُ والسّماءُ

وَكانَتْ لا يَزالُ بِها أنيسٌ خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ

فَدَعْ هذا ، ولَكِن مَن لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُني إذا ذَهَبَ العِشاءُ

لِشَعْثاءَ التي قد تَيَّمَتْهُ فَلَيْسَ لِقَلْبِه منها شِفاءُ

كَأنّ خَبيئَةً (٢) مِن بَيْتِ رَأسٍ يَكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يومًا فَهُنّ لِطَيِّبِ الرّاحِ الفِداءُ

نُوَلّيها المَلامَةَ إن ألَمْنا إذا ما كانَ مَغْثٌ أو لِحاءُ (٣)

وَنَشْرَبُها فَتَتْرُكُنا مُلُوكًا وَأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا اللّقاءُ

عَدِمنا خَيْلَنا إن لَم تَرَوْها تُثيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُها كَداءُ

يُنازِعْنَ الأعِنّةَ مُصْغِياتٍ على أكْتافِها الأسَلُ الظِّماءُ

تَظَلّ ، جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ يُلَطِّمُهُنّ بالخُمُرِ النِّساءُ

فإمّا تُعْرِضُوا عَنّا اعْتَمَرْنا وَكانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطاءُ

وَإلاّ فاصْبِرُوا لِجِلادِ يَومٍ يُعِينُ اللهُ فيهِ مَن يَشاءُ

وَجِبْرِيلُ رسولُ اللهِ فينا رُوحُ القُدْسِ لَيسَ لَه كِفاءُ

---

(١) الململمة : المستديرة .

(٢) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها . بيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر .

(٣) باليد . اللحاء السباب . إن ألمنا : إن تعلنا ما نستحق عليه اللوم . المغث : الضرب .

وَقال الله قـد أرسَلْتُ عبدًا ... رسولاً يقول الحق إن نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدْتُ به فَقُومُـوا صَدِّقُـوهُ ... فـقُلْتُـم لا نَقُـومُ ولا نَشـاءُ
وَقال الله قـد سَيّرْتُ جُنْـدًا ... هـم الأنصـارُ عُرْضَتُهـا اللِّقاءُ
لَنـا في كُلِّ يـومٍ مـن مَعَـدّ ... سِبـابٌ أوْ قِتـالٌ أوْ هِجـاءُ
فَنُحْـكِمُ بـالقَوافي مَـن هَجانـا ... وَنَضـرِبُ حيـنَ تَخْتَلِطُ الدّمـاءُ
ألا أبْـلِغْ أبـا سُفيـانَ عَـنّي ... مُغَلْغَلَةً فقـد بَرِحَ الخَفـاءُ
بأنّ سُيُـوفَنا تَـرَكَتْكَ عبـدًا ... وَعبدُ الـدّارِ سادَتُها الإمـاءُ
هَـجَـوْتَ مُـحَـمّدًا وأجَـبْتُ ... عنه وعند الله في ذاكَ الجَزاءُ
أتَهْجُـوه ولَـسْتَ لـه بِكُفْءٍ ... فَشَرّكُمـا لِـخَيْرِكُمـا الفِـداءُ
هَجَوْتَ مُبـارَكًا بَـرًا حَـنيفًـا ... أمِـيـنَ الله شيمَتُـه الـوَفاءُ
أمَـن يَهْجُو رسـولَ الله مِنكُمْ ... وَيَـمدَحُـه وينْصُـرُه سَـواءُ ؟
فَـإنّ أبي ووالِـدَه وعِـرْضي ... لِعِرْضِ مُـحَـمّدٍ مِنكُم وِقـاءُ
لِسـاني صارِمٌ لا عَيْبَ فيـهِ ... وَبَحْـرِي لا تُكَـدّرُه الدّلاءُ [١]

قال ابنُ هشام : قالها حسّانُ يومَ الفَتْحِ . ويُرْوَى : «لِساني صارِمٌ لا عَتْبَ فيهِ» وبَلَغَني عن الزّهْريّ أنّه قال : لَمّا رَأى رسولُ الله ﷺ النّساءَ يَلْطِمنَ الخَيْلَ بِالخُمُرِ تَبَسّمَ إلى أبي بَكْرٍ [الصّدّيقِ رَضيَ الله عنه] [٢] .

قال ابنُ إسحاقَ : وقال أنَسُ بنُ زُنَيْمٍ الدّيليّ يَعْتَذِرُ إلى رسولِ الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرُو بنُ سالِمٍ الخُزاعيّ :

أأنتَ الذي تُهْدَى مَعَـدّ بِأمـرِهِ ... بَلِ الله يَهْديهم وقال لَكَ اشْهَدِ[٧١/أ]
وَما حَمَلَتْ من ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أبَـرّ وأوْفَى ذِمّـةً مِـنْ مُحَـمّدِ
أحَثّ على خَيْرٍ وأسْبَغَ نائِلاً إذا ... راحَ كـالسّيفِ الصّقيـلِ المُهَنّدِ
وَأكْسَى لِبُرْدِ الخـالِ قَبْلَ ابْتِذالِهِ ... وَأعْطَى لِرَأسِ السّابِـقِ المُتَجَـرّدِ
تَعَلّمْ رسـولَ الله أنّـكَ مُدْرِكِي ... وَأنّ وعيدًا مِنك كالأخْذِ باليَـدِ

(١) بعض أبيات هذا الشعر في صحيح مسلم [٢٤٩٠] من قوله
هجوت محمدًا وأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء .
(٢) مرسل : وفي سنده جهالة من أبلغوه عن الزهري .

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنَّكَ قادِرٌ ... على كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمينَ ومُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بأنَّ الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ ... هُم الكاذِبونَ المُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
ونَبَّوْا رسولَ الله أنِّي هَجَوْتُهُ ... فلا حَمَلَتْ سَوْطي إليَّ إذًا يَدي
سِوَى أنَّني قد قُلْتُ ويلُ امِّ فِتْيَةٍ ... أُصيبوا بِنَحْسٍ لا بِطَلْقٍ وأسْعُدِ
أصابَهم مَن لم يَكُن لِدِمائِهِم ... كِفاءً فَعَزَّتْ عَبْرَتي وتَبَلُّدي [1]
فإنَّكَ قد أخْفَرْتَ إن كُنتَ ساعيًا ... بعبدِ بنِ عبدِ الله وابنةِ مَهْوَدِ
ذُوَيْبٌ وكُلْثُومٌ وسَلْمَى تَتابَعُوا جَميعًا ... فإلاَّ تَدْمَعِ العينُ اكْمَدِ [2]
وَسَلْمَى وسَلْمَى ليس حَيٌّ كَمِثْلِهِ ... وَإخْوَتِه وهَلْ مُلوكٌ كأعْبُدِ ؟
فإنِّي لا دينًا فَتَقْتُ ولا دَمًا ... هَرَقْتُ تَبَيَّن عالِمَ الحَقِّ واقْصِدِ

فأجابَه بُدَيْلُ بنُ عبدِ مَنافِ بنِ أُمِّ أصْرَمَ ، فقال :

بَكَى أنَسٌ رَزْنًا فأعْوَلَه البُكا ... فألاَّ عَدِيًّا إذْ تُطَلُّ وتُبْعَدُ
بَكَيْتَ أبا عَبْسٍ لِقُرْبِ دِمائِها ... فَتُعْذِرَ إذْ لا يُوقِدُ الحَرْبَ مُوقِدُ
أصابَهم يومَ الخَنادِمِ فِتْيَةٌ ... كِرامٌ فَسَلْ منهم نُفَيْلٌ ومَعْبَدُ
هُنالِكَ إن تُسْفَحْ دُمُوعُكَ لا تُلَمْ ... عليهم وإن لَمْ تَدْمَعِ العَيْنُ فاكْمَدُوا

قال ابنُ هشام :وهذه الأبياتُ في قَصيدةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ :وقال بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى [في] يومِ الفَتْح :

نَفَى أهلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ ... مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنُو خُفافِ
ضَرَبْناهم بِمَكَّةَ يومَ فَتْحِ ... النَّبِيِّ الخَيْرِ بالبِيضِ الخِفافِ
صَبَحْناهم بِسَبْعٍ من سُلَيْمٍ ... وألفٍ من بني عُثْمانَ وافِ
نَطا أكْتافَهم ضَرْبًا وطَعْنًا ... وَرَشْقًا بالمُرَيَّشَةِ اللِّطافِ
تَرَى بَيْنَ الصُّفوفِ لها حَفيفًا ... كما انصاعَ الفُواقُ من الرِّصافِ
فَرُحْنا والجِيادُ تَجُولُ فيهم ... بأرْماحٍ مُقَوَّمَةِ الثِّقافِ
فأُبْنا غانِمينَ بما اشْتَهَيْنا ... وآبوا نادِمينَ على الخِلافِ

---

(١) تبلدي : تحيري .

(٢) أكمد : من الكمد وهو الحزن .

وَأعطَيْنـا رسـولَ الله مِنـا   مَواثِقَنـا عـلى حُسْنِ التصافي
وَقـد سَـمِعُوا مَقالتَنا فَهَمـوا   غَداةَ الـرَوْعِ مِنـا بـانصِرافِ

قال ابنُ هشام : **وقال عَبّاسُ بنُ مِرداسٍ السُلَمِيّ في فَتحِ مَكّةَ :**

مِنـا بِـمَكّةَ يـومَ فَتحِ مُـحَمّدٍ   ألـفٌ تَسيلُ به البِطاحُ مُسَوّمُ
نَصَرُوا الرّسُولَ وشاهَدُوا أيّامَهُ   وَشِعارُهم يـومَ اللّقاءِ مُقَـدّمُ
في مَـنْزِلٍ ثَبَتَتْ بـه أقْدامُهـم   ضَنْكٍ كأنّ الهـامَ فيه الحَنْتَمُ
جَرّتْ سَنابِكَها بِنَجْـدٍ قَبْلَهـا   حتى استَقادَ لها الحِجازُ الأدْهَمُ
اللّـه مَـكّنَـه لـه وأذَلّـهُ   حُكْمُ السّيُوفِ لَنـا وجَـدٌ مِزْحَمُ
عَـوْدُ الرّياسَةِ شامِخٌ عِرْنِينُهُ   مُتَطَلّـعٌ ثُغَرَ المكَـارِمِ خِـضْرِمُ

[إسلام عباس بن مرداس]

قال ابنُ هشام :(١) وكان إسلامُ عَبّاسٍ [ابنِ مِرْداس] فيما حَدّثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ وحَديثُه أنّه كان لأبِيه مِرْداسٍ وثَنٌ يَعْبُدُه وهو حَجَرٌ كان يُقالُ له ضِمارِ،فَلَمّا حَضَرَ مِرْداسٌ قال لِعَبّاسٍ : أيْ بُنَيّ اعْبُدْ ضِمارِ فإنّه يَنْفَعُكَ ويَضُرّك ، فَبَيْنا عَبّاسٌ يومًا عند ضِمارِ ، إذْ سَمِعَ من جَوْفِ ضِمارِ مُناديًا يقول

قُلْ لِلْقَبائِـلِ مـن سُلَيْمٍ كُلّهـا   أوْدَى ضِمارِ وعاشَ أهلُ المَسْجِدِ
إنّ الذي ورِثَ النّبوّةَ والهُدَى   بعد ابنِ مَرْيَمَ من قُرَيْشٍ مُهْتَدي
أوْدَى ضِمـارِ وكـان يُعْبَدُ مَرّةً   قَبْلَ الكِتـابِ إلى النّبيّ مُـحَمّدِ [٧١/ب]

فَحَرَقَ عَبّاسٌ ضِمارِ ، ثم لَحِقَ بِالنّبيّ ﷺ فأسْلَمَ.

قال ابنُ هشام : **وقال جَعْدَةُ بنُ عبدِ الله الخُزاعِيّ يومَ فَتْحِ مَكّةَ :**

أكَعْبَ بنُ عمرٍو دَعْوَةً غَيْرَ باطِلٍ   لِحَيْنٍ لـه يومَ الحَـديدِ مُتـاحِ
أُتيحَتْ لـه مـن أرْضِـه وسَمائِـهِ   لِـتَقْتُلَـه لَـيْلاً بِـغَيْرِ سِـلاحِ
وَنحن الأُلَى سَدّتْ غَزال خُيُولُنا   وَلِفْتـا سَدَدْناه وفَـجّ طِـلاحِ
خَـطَرْنا وراءَ المُسْلِمِـينَ بِـجَحْفَلٍ   ذَوي عَضُدٍ من خَيْلِنا ورِماحِ

(١) ضعيف : عزاه الهيثمي في المجمع [٢٤٧/٨] للطبراني وقال : «فيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ضعفه الجمهور ووثقه سعيد بن منصور وقال كان مالك يرضاه . وبقية رجاله» وثقوا .

وهذه الأبياتُ في أبياتٍ له .

وقال بُجَيْدُ بنُ عمرانَ الخزاعيّ :

وَقد أنشَأ الله السّحابَ بِنَصْرِنا ... رُكامَ سِحابِ الهَيْـدَبِ المُتَراكِبِ
وَهِجْرَتُنا في أرْضِنا عندنا بهـا ... كِتابٌ أتَى من خَيْرِ مُمْلٍ وكاتِبِ
وَمِن أجلِنا حَلّتْ بمَكّةَ حُرْمَةٌ ... لِنُدْرِكَ ثأرًا بالسّيُـوفِ القَواضِبِ

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة

قال ابنُ إسحاقَ : وقد بَعَثَ رسولُ الله ﷺ فيما حَوْلَ مَكّةَ السّرايا تَدْعُو إلى الله عَزّ وجَلّ ولَم يَأمُرْهم بِقِتالٍ وكان مِمن بَعَثَ خالِدُ بنُ الوَليدِ ، وأمَرَه أن يَسيرَ بِأسْفَلِ تِهامَةَ داعيًا ، ولَمْ يَبْعَثْه مُقاتِلاً فَوَطِئَ بني جَذيمَةَ . فَأصابَ منهم .

قال ابنُ هشام : وقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السّلَميّ في ذلك

فَإن تَكُ قد أمّرْت في القَوْمِ خالِدًا ... وَقَدّمتـه فَـإنّه قـد تَقَـدّمـا
بِـجُنْدٍ هَـداه الله أنْـتَ أمـيرُهُ ... نُصيبُ به في الحَقّ مَن كان أظْلَما

قال ابنُ هشام : وهذانِ البَيْتانِ في قَصيدَةٍ له في حَديثِ يوم حُنَيْنٍ سأذْكُرُها إن شاءَ الله في مَوْضِعِها .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] فَحَدّثَني حَكيمُ بنُ حَكيمِ بنِ عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ عن أبي جَعْفَرٍ مُحَمّدِ بنِ عَليّ ، قال : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَليدِ حينَ افْتَتَحَ مَكّةَ داعيًا ، ولَم يَبْعَثْه مُقاتِلاً ، ومَعَه قَبائِلُ من العَرَبِ : سُلَيْمُ بنُ مَنْصُورٍ ومُدْلِجُ بنُ مُرّةَ فَوَطِئُوا بني جَذيمَةَ بنِ عامِرِ بنِ عبدِ مَناةِ بنِ كِنانَةَ فَلَمّا رَآه القَوْمُ أخَذُوا السّلاحَ فَقال خالِدٌ : ضَعُوا السّلاحَ فَإنّ النّاسَ قد أسلَمُوا .

قال ابنُ إسحاقَ : [2] حَدّثَني بَعْضُ أصْحابِنا من أهلِ العِلْمِ من بني جَذيمَةَ قال لَمّا أمَرَنا خالِدٌ أن نَضَعَ السّلاحَ قال رَجُلٌ مِنّا يُقالُ له جَحْدَمٌ ويْلَكُم يا بني جَذيمَةَ إنّه خالِدٌ والله ما بعد وضعِ السّلاحِ إلاّ الإسارُ وما بعـد الإسـارِ إلاّ ضَرْبُ الأعنـاقِ والله لا أضَعُ سِـلاحي أبَـدًا . قـال فَأخَذَه رِجالٌ من قَوْمِه فَقالُوا : يا جَحْدَمُ أتُريدُ أن تَسْفِكَ دِماءَنا ؟ إنّ النّاسَ قد أسلَمُوا ووَضَعُوا السّلاحَ ووُضِعَتِ الحَرْبُ وأمِنَ النّاسُ. فَلَم يَزالُوا به حتى نَزَعُوا سِلاحَه ووَضَعَ القَوْمُ السّلاحَ لِقَوْلِ خالِدٍ .

---

(١) مرسل . رواه الطبري [٢/١٦٤] والبيهقي في الدلائل [٥/١١٤] عن ابن إسحاق .

(٢) مرسل . وفيه جهالة القائل ، رواه الطبري في التاريخ [٢/١٦٤] .

قال ابنُ إسحاق : (١) حَدَّثَني حَكيمُ بنُ حَكيم عن أبي جَعْفَرٍ [مُحَمّدِ بنِ عَليّ]،قال : فَلَمّا وضَعُوا [السّلاحَ] أمَرَ بِهِم خالِدٌ عند ذلك فَكُتِفُوا ، ثُمّ عَرَضَهم على السّيفِ فَقَتَلَ مَن قَتَلَ منهم فَلَمّا انتَهَى الخَبَرُ إلى رسولِ الله ﷺ رَفَعَ يَدَيه إلى السّماءِ ثُمّ قال : «**اللّهمّ إنّي أبرَأُ إلَيك ممّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَليد**» .

قال ابنُ هشامٍ : (٢) حَدثَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنه حُدِّثَ عن إبراهيمَ بنِ جَعْفَرٍ المَحْمُوديّ قال : قال رسولُ الله ﷺ : «رَأيتُ كَأنّي لَقِمت لُقْمَةً من حَيْسٍ فالتَذَذْتُ طَعْمَها ، فاعْتَرَضَ في حَلْقي منها شيءٌ حينَ ابتَلَعْتها ، فَأدْخَلَ عَليّ يَدَه فنَزَعَها» فَقال أبو بَكْرٍ الصّدّيقُ رَضيَ الله عنه يا رسولَ الله ﷺ هذه سَرِيّةٌ من سَراياك تَبعَثُها ، فَيأتيك منها بَعْضُ ما تُحِبّ ، ويَكُونُ في بَعْضِها اعْتِراضٌ فَتَبْعَثُ عَليّا فَيُسَهِّلُه

قال ابنُ هشامٍ : وحَدثَني أنه انفَلَتَ رَجُلٌ من القَوْمِ فَأتَى رسولَ الله ﷺ فَأخْبَرَه الخَبَرَ ، فَقال رسولُ الله ﷺ : «هَلْ أنْكَرَ عليه أحَدٌ ؟» فَقال : نَعم قد أنْكَرَ عليه رَجُلٌ أبيَضُ رَبْعَةٌ فَنَهَمَه خالِدٌ فَسَكَتَ عنه ، وأنْكَرَ عليه رَجُلٌ آخَرُ طَويلٌ مُضطَرِبٌ [فَراجَعَه] فاشْتَدّتْ مُراجَعَتُهما؛ فَقال عُمَرُ بنُ الخَطّابِ : أمّا الأوّلُ يا رسولَ الله ﷺ فابني عبدُ الله ، وأمّا الآخَرُ فَسالِمٌ مَوْلَى أبي حُذَيْفَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (٣) فَحَدثَني حَكيمُ بنُ حَكيمٍ عن أبي جَعْفَرٍ مُحَمّدِ بنِ عَليّ [٧٢/أ] قال ثُمّ دَعا رسولُ الله ﷺ عَليّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عليه فَقال يا عَليّ ، اخْرُجْ إلى هَؤُلاءِ القَوْمِ فانْظُرْ في أمرِهِم واجْعَلْ أمرَ الجاهِلِيّةِ تَحْتَ قَدَمَيْك . فَخَرَجَ عَليّ حتى جاءَهم ومَعَه مالٌ قد بَعَثَ به رسولُ الله ﷺ فَوَدَى لهم الدّماءَ وما أُصيبَ لهم من الأموالِ حتى إنّه لَيَدي لهم ميلَغَةَ الكَلْبِ حتى إذا لَمْ يَبْقَ شيءٌ من دَمٍ ولا مالٍ إلاّ وداه بَقِيَتْ مَعَه بَقِيّةٌ من المالِ فَقال لهم عَليّ رِضْوانُ الله عليه حينَ فَرَغَ منهم هَلْ بَقِيَ لَكُمْ بَقِيّةٌ من دَمٍ أوْ مالٍ لَمْ يُودَ لَكُمْ ؟ قالُوا : لا قال فَإنّي أُعْطيكُمْ هذه البَقِيّةَ من هذا المالِ احتياطًا لِرسولِ الله ﷺ ممّا لا يَعْلَمُ ولا تَعْلَمُونَ فَفَعَلَ . ثُمّ رَجَعَ إلى رسولِ الله ﷺ فَأخْبَرَه الخَبَرَ : فَقال أصَبْتَ وأحْسَنْتَ قال ثُمّ قامَ رسولُ الله ﷺ فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ قائمًا شاهِرًا يَدَيْه حتى إنّه لَيُرَى ما تَحْتَ مَنْكِبَيْه يقول : «**اللّهمّ إنّي أبرَأُ إلَيك ممّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَليدِ**» ثَلاثَ مَرّات .

---

(١)صحيح : سند ابن إسحاق مرسل ، والحديث في الصحيح رواه البخاري [٤٣٣٩] وأحمد [١٥٠/٢] والنسائي [٢٣٦/٨] والبيهقي في الدلائل [١١٣/٥ - ١١٤] . من حديث ابن عمر .

(٢)مرسل : وفيه إبهام شيوخ ابن هشام .

(٣)مرسل : رواه الطبري والبيهقي عن ابن إسحاق كما في المصادر السابقة ، وآخر فقرة فيه صحيحة كما سبق .

قال ابنُ إسحاقَ : وقد قال بَعْضُ مَن يَعْذِرُ خالِدًا إنّه قال ما قاتَلْت حتى أمَرَني بذَلِك عبدُ الله بنُ حُذافَةَ السّهميّ ، وقال إن رسولَ الله ﷺ قد أمَرَك أن تُقاتِلهم لامتناعِهم من الإسلام .

قال ابنُ هشام : وقال أبو عمرو المَدَنِيّ : لَمّا أتاهم خالدٌ قالُوا : صَبَأْنا صَبَأْنا [1] .

[ما كان بَيْنَ خالِدٍ وبَيْنَ عبدِ الرّحْمَن وزَجْرُ الرّسُولِ لِخالِدٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حينَ وضَعُوا السّلاحَ ورأى ما يَصْنَعُ خالِدٌ ببني جَذِيمَةَ يا بني جَذِيمَةَ ضاعَ الضّرْبُ ، قد كُنْت حَذّرْتُكم ما وقَعْتُم فيه قد كان بَيْنَ خالِدٍ وبَيْنَ عبدِ الرّحْمَن بن عَوْفٍ ، فيما بَلَغَني ، كَلامٌ في ذلك فقال له عبدُ الرّحْمَن [بنُ عَوْفٍ] : عَمِلْت بأمرِ الجاهليّةِ في الإسلام . فقال إنّما ثَأَرْت بأبيك. فقال عبدُ الرّحْمَن كَذَبْت ، قد قَتَلْتُ قاتِلَ أبي ، ولكِنّك ثَأَرْتَ بعمّك الفاكِهِ بنِ المُغيرَةِ ، حتى كان بَيْنَهما شَرّ . فَبَلَغَ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : «مَهْلاً يا خالِدُ دَعْ عَنْك أصْحابي ، فوالله لَوْ كان لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمّ أنْفَقْته في سَبيلِ الله ما أدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ من أصْحابي ولا رَوْحَتَه»

[ما كان بَيْنَ قُرَيْشٍ وبني جَذيمَةَ من اسْتِعْدادٍ لِلْحَرْبِ ثُمّ صُلْحٍ] :

وكان الفاكِهُ بنُ المُغيرَةِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوم ، وعَوْفُ بنُ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الحارِثِ بنِ زُهْرَةَ وعَفّانُ بنُ أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ قد خَرَجُوا تُجّارًا إلى اليَمَنِ ، ومَعَ عَفّانَ ابنُه عُثْمانُ ومَعَ عَوْفٍ ابنُه عبدُ الرّحْمَن فَلَمّا أقْبَلُوا حَمَلُوا مالَ رَجُلٍ من بني جَذيمَةَ بنِ عامِرٍ كان هَلَكَ باليَمَنِ ، إلى ورَثَتِه فادّعاه رَجُلٌ منهم يُقالُ له خالِدُ بنُ هشامٍ ولَقِيَهم بأرْضِ بني جَذيمَةَ قَبْلَ أن يَصِلُوا إلى أهلِ المَيّتِ فأبَوْا عليه فقاتَلهم بمَن مَعَه من قَوْمِه على المالِ ليأخُذُوه وقاتَلُوه فَقُتِلَ عَوْفُ بنُ عبدِ عَوْفٍ والفاكِهُ بنُ المُغيرَةِ ، ونَجا عَفّانُ بنُ أبي العاصِ وابنُه عُثْمانُ وأصابوا مالَ الفاكِهِ بنِ المُغيرَةِ ، ومالَ عَوْفِ بنِ عبدِ عَوْفٍ فانْطَلَقُوا به وقَتَلَ عبدُ الرّحْمَن بنُ عَوْفٍ خالِدَ ابنَ هشامٍ قاتِلَ أبيه فَهَمّتْ قُرَيْشٌ بغَزْوِ بني جَذيمَةَ فقالتْ بنُو جَذيمَةَ : ما كان مُصابُ أصْحابِكُم عن مَلأٍ مِنّا ، إنّما عَدا عليهم قَوْمٌ بجَهالةٍ فأصابوهم ولَمْ نَعْلَمْ فنحن نَعْقِلُ لَكُمْ ما كان لَكُمْ قِبَلَنا من دَمٍ أوْ مالٍ فَقَبِلَتْ قُرَيْشٌ ذلك ووَضَعُوا الحَرْبَ .

وقال قائلٌ من بني جَذيمَةَ وبَعْضُهم يقول امرأةٌ يُقالُ لها سَلْمَى :

وَلَوْلا مَقالُ القَوْمِ لِلْقَوْمِ أسْلِمُوا ... لَلاقَتْ سُلَيْمٌ يومَ ذلك ناطِحا

---

(١) صحيح : سند ابن هشام معضل . واللفظ صحيح رواه البخاري وسبق تخريجه من حديث ابن عمر .

لَماصَعَهم بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ وَمُرَّةُ حتى يَتْرُكوا المَبْرَكَ ضابِحًا [(١)]

فكائِن تَرَى يومَ الغُمَيْصاءِ من فتًى أُصيبَ ولَم يُجْرَحْ وقد كان جارِحا

أَلَظّتْ [(٢)] بِخُطّابِ الأيامَى وطَلّقَتْ غَداة إذٍ مِنهُنّ مَن كان ناكِحا

قال ابنُ هشامٍ : قَوْلُه : «بُسْرٌ» ، «وأَلَظّتْ بِخُطّابِ» عن غيْرِ ابنِ إسحاق .

قال ابنُ إسحاقَ : فأجابَها عبّاسُ بنُ مِرداسٍ [ويُقالُ بَلِ الجَحّافُ بنُ حَكيمٍ السّلَميّ]

دَعي عَنْك تِقْوالَ الضّلالِ كَفَى بِنا لِكَبْشِ [(٣)] الوَغَى في اليومِ والأمسِ ناطِحا

فَخالِدُ أَوْلَى بِالتّعَذّرِ مِنكُم غَداةَ عَلا نَهْجًا مِن الأمرِ واضِحا

مُعانًا بِأَمرِ اللهِ يُزْجي إلَيكُم سَوانِحَ لا تَكْبو لَه وبَوارِحا

نَعَوْا مالِكًا بِالسّهْلِ لَمّا هَبَطْنَهُ عَوابِسَ في كابي الغُبارِ كَوالِحا [(٤)] [٧٢/ب]

فَإن نَكُ أَثْكَلْناكِ سَلْمَى فَمالِكٌ تَرَكْتُم عَلَيه نائِحاتٍ ونائِحا

وَقال الجَحّافُ بنُ حَكيمٍ السّلَميّ :

شَهِدْنَ مع النّبيّ مُسَوّماتٍ حُنَيْنًا وهْيَ دامِيَةُ الكِلامِ

وَغَزْوَةَ خالِدٍ شَهِدَتْ وجَرّتْ سَنابِكَهُنّ بِالبَلَدِ الحَرامِ

نُعَرّضُ لِلطّعانِ إذا التَقَيْنا وُجوهًا لا تُعَرّضُ لِلّطامِ

[وَلَسْتُ بِخالِعٍ عَنّي ثيابي إذا هَزّ الكُماةُ ولا أُرامي

وَلَكِنّي يَجولُ المُهْرُ تَحْتي إلى العَلَواتِ بِالعَضْبِ الحُسامِ]

قال ابنُ إسحاقَ : [(٥)] وحَدّثَني يَعْقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغيرَةِ بنِ الأخْنَسِ عن الزّهْريّ ، عن ابنِ [(٦)] أبي حَدْرَدٍ الأسْلَميّ قال كُنْت يومَئِذٍ في خَيْلِ خالِدِ بنِ الوَليدِ ، فَقال لي فَتًى من بني

---

(١) ضابحًا : صائحًا .

(٢) ألظت : لزمت وألحت .

(٣) الكبش : الرجل السيد .

(٤) الكوالح : العوابس التي انقبضت شفاهها فظهرت أسنانها .

(٥) حسن بطرقه : إسناد ابن إسحاق لا بأس به ، رواه ابن سعد في الطبقات [١١٢/٢] ورواه البيهقي في الدلائل [١١٥/٥] والطبري في التاريخ [١٦٥/٢] من طريق ابن إسحاق .

(٦) قلت : في رواية ابن سعد والبيهقي والطبري ابن أبي حدرد عن أبيه وله شاهد من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقي في الدلائل [١١٨/٥] من طريق النسائي ، وقد عزاه المزي في الأطراف للنسائي في الكبرى والسير ولم أجده والحديث من رواية علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس .

قلت : هذا سند لا بأس به في الشواهد على أن الحسين بن واقد صدوق يهم . وباقي رجاله ثقات ، ....=

جَذيمَةَ وهو في سِنّي ، وقد جُمِعَتْ يَداه إلى عُنُقِه برُمّةٍ ونِسْوَةٌ مُجْتَمِعاتٌ غيرَ بَعيدٍ مِنه يا فَتَى ، فَقُلْت : ما تَشاءُ ؟ قال هَلْ أنتَ آخِذٌ بهذه الرّمّةِ فقائِدي إلى هَؤُلاءِ النّسْوَةِ حتى أقْضيَ إلَيْهِنّ حاجَةً ثمّ تَرُدّني بَعْدُ فَتَصْنَعُوا بي ما بَدا لَكُمْ ؟ قال قلت : والله لَيَسيرٌ ما طَلَبْت . فأخَذْت برُمّتِه فَقُدْته بها ، حتى وقَفَ عليهنّ فَقال اسْلَمي حُبَيْش على نَفَدِ [من] العَيْش :

أرَيْتُكِ إذْ طالبْتُكم فَوَجَدْتُكم ... بِحَلْيَةَ أوْ ألْفَيْتُكُمْ بالخَوانِقِ

ألَم يَكُ أهلاً أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاجَ السّرَى والوَدائقِ

فَلا ذَنْبَ لي قد قلت إذْ أهلُنا مَعًا ... أثيبي بِوُدّ قَبْلَ إحْدَى الصّفائِقِ

أثيبي بِوُدّ قَبْلَ أن تَشْحَطَ النّوَى ... وَيَنْأى الأميرُ بالحَبيبِ المُفارِقِ

فَإنّي لا ضَيّعْتُ سِرّ أمانَةٍ ... وَلا راقَ عَيْني عَنْك بعدك رائِقُ

سِوَى أنّ ما نال العَشيرَةَ شاغِلٌ ... عن الوُدّ إلاّ أن يَكُونَ التوامُقُ

قال ابنُ هشام : وأكْثَرُ أهلِ العِلْمِ بِالشّعْرِ يُنْكِرُ البَيْتَيْنِ الآخِرَيْنِ منها له .

قال ابنُ إسحاق :(١) وحَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ [بنِ المُغيرَةِ بنِ الأخْنَسِ] عن الزّهْريّ عن ابنِ أبي حَدْرَدٍ الأسْلَميّ قال : قالتْ : وأنْتَ فَحُيّيت سَبْعًا وعَشْرا ، وِتْرًا وثَمانيًا تَتْرَى . قال ثُمّ انْصَرَفْتُ به . فَضُرِبَتْ عُنُقُه .

قال ابنُ إسحاق :(٢) فَحَدّثَني أبو فِراسٍ بنُ أبي سُنْبُلَةَ الأسْلَميّ ، عن أشْياخٍ منهم عمّن كان حَضَرَها منهم قالُوا : فَقامَتْ إلَيْه حينَ ضُرِبَتْ عُنُقُه فأكَبّتْ عليه فَما زالت تُقَبّلُه حتى ماتَتْ عنده

قال ابنُ إسحاق : وقال رَجُلٌ من بني جَذيمَةَ :

جَزَى الله عَنّا مُدْلِجًا حَيْثُ أصْبَحَتْ ... جَزاءَةَ بوسَى حَيْثُ سارَتْ وحَلّتْ

أقامُوا على أقْضاضِنا يَقْسِمُونَها ... وَقَدْ نُهِلَتْ فينا الرّماحُ وعَلّتْ

فَوالله لَوْلا دينُ آلِ مُحَمّدٍ ... لَقَدْ هَرَبَتْ منهم خُيُولُ فَشَلّتْ

= وقد صحح الحافظ في الفتح هذا الإسناد [٥٨/٨] . وله شاهد آخر من حديث ابن عصام عن أبيه ، رواه ابن سعد في الطبقات [١١٣/٢] والنسائي في الكبرى [٨٨٣٨] والبيهقي في الدلائل [١١٦/٥ - ١١٧] . من رواية بن عينة عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله بن عصام المزني عن أبيه . وذكر نحوه وفيه الشعر .

قلت : في سنده من لا يعرف ، عبد الملك بن نوفل : قال الذهبي في الكاشف : ثقة ، وقال الحافظ . مقبول . وعبد الله بن عصام : قال الحافظ لا يعرف حاله . قلت : فالحديث بهذه الطرق يتقوى لدرجة الحسن .

(١) هو جزء من السابق .

(٢) حسن بما قبله ، وهذا السند فيه مجاهيل ولكن نصه نحوه في الطرق الأخرى .

وَمـا ضَـرّهم أن لا يُعينُـوا كَتيبَـةً ... كَـرجْـلِ جَرادٍ أُرْسِـلَتْ فاشْعَلّتِ

فإمّا أن يتوبوا أو يَنبوا أوْ يَئُوبوا لأمرِهِم ... فَـلا نـحن نَجزيهم بما قد أضلّتْ

فأجابَه وهْبٌ رَجُلٌ من بني لَيْثٍ فقال :

دَعَوْنا إلى الإسلامِ والحقّ عامِرًا ... فَما ذَنْبُنا في عـامِرٍ إذْ تَـوَلّتْ

وَما ذَنْبُنا في عـامِرٍ لا أبـا لهم ... لأن سَفِهَتْ أحلامُهم ثُمّ ضَلّتْ

وَقال رَجُلٌ من بني جَذيمَةَ :

ليَهْنِئْ بني كَعْبٍ مُقَدَمُ خـالِدٍ ... وَأصحابه إذْ صَبّحَتْنـا الكَتـائِبُ

فَلا تِرَةٌ يَسْعَى بها ابنُ خُوَيْلِدٍ ... وَقد كُنتَ مَكْفيًا لَوَ اتـكَ غـائِبُ

فَلا قَوْمُنا يَنْهَوْنَ عَنّا غُواتَهم ... وَلا الداءُ من يوم الغُمَيْصاءِ ذاهِبُ

وَقال غُلامٌ من بني جَذيمَةَ وهو يَسُوقُ بأُمّه وأُخْتَيْنِ له وهو هارِبٌ بِهِنّ من جَيْشِ خالِدٍ :

رَخّينَ أذْيالَ المُرُوطِ وارْبَعَن ... مَشْيَ حَيِيّاتٍ كأن لَمْ يُفْزَعَن

إن تُمْنَع اليومَ نِساءٌ تُمْنَعن

وَقال غِلْمَةٌ من بني جَذيمَةَ يُقالُ لهم بنُو مُساحِقٍ يَرْتَجِزُونَ حينَ سَمِعُوا بخالِدٍ فَقال أحَدُهم :

قد عَلِمَتْ صَفراءُ بَيْضاءُ الإطِلْ ... يَحُوزُها ذُو ثَلّةٍ وذُو إبِلْ

لأُغْنيَنّ اليومَ ما أغْنَى رَجُلْ

وقال الآخَرُ :

قد عَلِمَتْ صَفراءُ تُلْهي العِرْسا ... لا تَملأُ الحَيْزُومَ منها نَهْسا

لأَضْرِبنّ اليومَ ضَرْبًـا وعَسـا ... ضَرْبَ المُحِلّينَ مَخاضًا قُعْسا

وَقال الآخَرُ :

أقْسَمتُ ما إن خادِرٌ ذُو لِبَدَهْ ... شَثْنُ البنانِ في غَداةٍ بَرَدَهْ

جَـهْمُ المُحَيّا ذُو سِبـالٍ وَرَدَهْ ... يُـرْزِمُ بَيْنَ أيْكَةٍ وجَـحْدَهْ

ضـارٍ بتأكالِ الـرّجالِ وحْدَهْ ... بأصْدَقَ الغَداةَ مَنّي نَجْدَهْ [٧٣/أ]

* * *

مَسيرُ خالدِ بنِ الوَليدِ لِهَدْمِ العُزّى

ثُمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَليدِ **إلى العُزّى** ، وكانَتْ بِنَخْلَةَ وكانَتْ بَيْتًا يُعَظِّمُه هذا الحَيّ من قُرَيْشٍ وكِنانَةَ ومُضَرَ كُلّها ، وكانَتْ سَدَنَتُها وحُجّابُها بني شيبانَ من بني سُلَيْمٍ حُلَفاءِ بني هاشِمٍ فَلَمّا سَمِعَ صاحِبُها السّلَميّ بِمَسيرِ خالِدٍ إلَيْها ، عَلّقَ عليها سَيْفَه وأَسْنَدَ في الجَبَلِ الذي هيَ فيه وهو يقول :

يا عُزّ شُدّي شِدّةً لا شَوَى لَهَا ... على خالِدٍ أَلْقي القِناعَ وشَمّري

يا عُزّ إن لَمْ تَقْتُلي المَرْءَ خالِدًا ... فَبوئي بِإثْمٍ عاجِلٍ أوْ تَنَصّري

فَلَمّا انْتَهَى إلَيْها خالِدٌ هَدَمَها ، ثُمّ رَجَعَ إلى رسولِ الله ﷺ[1] .

قال ابنُ إسحاقَ : [2] وحَدّثَني ابنُ شِهابٍ **الزّهْريّ** ، عن عُبَيْدِ الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ ابنِ مَسْعُودٍ ، قال أقامَ رسولُ الله ﷺ بمكة بعد فَتْحِها خَمسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً يَقْصُرُ الصّلاةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان فَتْحُ مَكّةَ لِعَشْرِ لَيالٍ بَقِينَ من شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ ثَمانٍ .

* * *

---

(١) إرسال خالد رضي الله عنه لهدم العزى ثابت في الصحيحين ، وقد سبق تخريجه في بداية السيرة . ولم يذكر ابن إسحاق سنده هنا .

(٢) **مرسل** : رواه ابن سعد في الطبقات [١٠٩/٢] والطبري [١٦٥/٢] والبيهقي دلائل [١٠٥/٥] كلهم من طريق ابن إسحاق هذا مرسلاً . ووصله أبو داود [١٢٣١] والنسائي [١٢١/٣] وابن ماجه [١٠٧٦] من نفس الطريق إلى ابن عباس ، والصحيح عن ابن عباس ما رواه البخاري [٤٢٩٨] أنه قال : «أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يصلي ركعتين» . قلت : وهناك روايات أخرى في مدة إقامة النبي ﷺ بمكة يوم الفتح منها عشرة أيام . قاله أنس . رواه ابن سعد في الطبقات [١٠٩/٢] وسنده صحيح إليه ، ومنها ثمانية عشر يومًا قاله عمران بن حصين . رواه ابن سعد أيضًا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ضعيف وأرجح الأقوال في ذلك ما في الصحيح والله أعلم .

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمانٍ بعدَ الفَتْحِ

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلى على محمد وآله ، عونك اللهم

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال أخبرنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي . قال ابنُ إسحاقَ : (١) ولَمَّا سَمِعَتْ هَوازِنُ بِرسولِ الله ﷺ وما فَتَحَ الله عليه من مَكَّةَ ، جَمَعَها مالِكُ بنُ عَوْفٍ النَّصْرِيّ فاجْتَمَعَ إلَيْه مع هَوازِنَ ثَقيفٌ كُلّها ، واجْتَمَعَتْ نَصْرٌ وجُشَمٌ كُلّها ، وسَعْدُ بنُ بَكْرٍ ، وناسٌ من بني هِلالٍ وهم قَليلٌ ولَم يَشْهَدْها من قَيْسِ عَيْلانَ إلاّ هَؤُلاءِ وغابَت عنها فَلَم يَحْضُرْها من هَوازِنَ كَعْبٌ وكِلابٌ ولَم يَشْهَدْها منهم أحَدٌ له اسْمٌ وفي بني جُشَمٍ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ شيخٌ كَبيرٌ ليس فيه شيْءٌ إلاّ التَيَمّنَ بِرَأْيِه ومُعْرِفَته بِالحَرْبِ وكان شيخًا مُجَرّبًا ، وفي ثَقيفٍ سَيِّدانِ لهم ، وفي الأحْلافِ قارِبُ بنُ الأسْوَدِ بنِ مَسْعُودِ بنِ مُعَتِّبٍ ،وفي بني مالِكٍ ذُو الخِمارِ سُبَيْعُ بنُ الحارِثِ بنِ مالِكٍ وأخُوه أحْمَرُ بنُ الحارِثِ وجِماعُ أمرِ النّاسِ إلى مالِكِ بنِ عَوْفٍ النّصْرِيّ فَلَمّا أجْمَعَ السَيْرَ إلى رسولِ الله ﷺ حَطّ مع النّاسِ أموالهم ونِساءَهم وأبناءَهم فَلَمّا نَزَلَ بِأوْطاسٍ اجْتَمَعَ إلَيْه النّاسُ وفيهم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ في شِجارٍ له يُقادُ به فَلَمّا نَزَلَ قال بِأيِّ وادٍ أنْتُم ؟ قالُوا : بِأوْطاسٍ قال نِعْمَ مَجالُ الخَيْلِ لا حَزْنٌ ضِرْسٌ ولا سَهْلٌ دَهْسٌ ما لي أسْمَعُ رُغاءَ البَعيرِ . ونُهاقَ الحَميرِ وبُكاءَ الصَّغيرِ ويُعارَ الشّاءِ ؟ قالُوا : ساقَ مالِكُ بنُ عَوْفٍ مع النّاسِ أموالهم ونِساءَهم وأبناءَهم . قال : أيْنَ مالِكٌ ؟ قيلَ : هذا مالِكٌ . ودُعيَ له ، فَقال : يا مالِكُ إنّك قد أصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِك ، وإنّ هذا يومٌ كائِنٌ له ما بعده من الأيّامِ مالي أسْمَعُ رُغاءَ البَعيرِ ونُهاقَ الحَميرِ وبُكاءَ الصّغيرِ ويُعارَ الشّاءِ ؟ قال سُقْت مع النّاسِ أموالهم وأبناءَهم ونِساءَهم قال ولِمَ ذاكَ ؟ قال أرَدْت أن أجْعَلَ خَلْفَ كُلّ رَجُلٍ منهم أهلَه وماله لِيُقاتِلَ عنهم قال فَأنْقَضَ به . ثُمّ قال راعي ضَأنٍ والله وهَلْ يَرُدّ المُنْهَزِمَ شيءٌ ؟ إنّها إن كانَتْ لَك لَم يَنْفَعْك إلاّ رَجُلٌ بِسَيْفِه ورُمْحِه وإن كانَتْ عَلَيْك فُضِحْت في أهلِك ومالِك ، ثُمّ قال ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ ؟ قالُوا : لَم يَشْهَدْها منهم

---

(١) روي موصولا من حديث جابر نحوه : رواه الحاكم في المستدرك [٣/٤٨ - ٤٩] ومن طريقه البيهقي في الدلائل [٥/١٢٠] من رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر عن أبيه ، وعمرو بن شعيب والزهري وعبد الله بن أبي بكر وعبد الله بن المكدَّم بن عبد الرحمن الثقفي . قلت : وهذا الإسناد سيأتي قريبًا في بداية الأحداث ، وقد روى جمع من أصحاب المسانيد والصحاح غزوة حنين عن ابن إسحاق ولكن من الموضع الذي أسند فيه وأظن ما وقع للحاكم وهم . لعله من يونس بن بكير ، وإلا كان أسنده ابن هشام هنا ، ورواه أصحاب المصنفات كذلك . والله أعلم . وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية [٣/٢٣٢] : لنحو ما قلت . فقال : هكذا رواه ابن إسحاق من غير إسناد . وقد روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق فذكر السند نحو ما تقدم . كأنه يشير إلى تفرد يونس بن بكير بهذا .

أحَدٌ ، قال غابَ الحَدّ والجِدّ ، ولَوْ كان يومَ عَلاءٍ ورِفْعَةٍ لَم تَغِب عنه كَعْبٌ ولا كِلابٌ ولَوَدِدْتُ أنكُمْ فَعَلْتُم ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ فَمَن شَهِدَها مِنْكُمْ ؟ قالُوا : عمرُو بنُ عامِرٍ ، وعَوْفُ بنُ عامِرٍ ، قالَ ذلكَ الجَذَعانِ من عامِرٍ لا يَنْفَعانِ ولا يَضُرّانِ يا مالِكُ إنَكَ لَم تَصْنَعْ بِتَقْديمِ البَيْضَةِ بَيْضَةِ هَوازِنَ إلى نُحُورِ الخَيْلِ شيئًا ، ارْفَعْهُم إلى مُتَمَنَّعِ بِلادِهِم وعُلْيا قَوْمِهِم [٧٣/ب] ثُمَّ الْقَ الصّباءَ على مُتُونِ الخَيْلِ فإن كانَتْ لَكَ لَحِقَ بِكَ مَن وراءَكَ ، وإن كانَتْ عَلَيْكَ أَلْفاكَ ذلكَ قد أحْرَزْتَ أهلَكَ ومالَكَ . قال واللهِ لا أفْعَلُ ذلكَ إنكَ قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عَقْلُكَ . واللهِ لَتُطيعُنّني يا مَعْشَرَ هَوازِنَ أوْ لأتَّكِئَنّ على هذا السّيفِ حتى يَخْرُجَ من ظَهْري . وكَرِهَ أن يَكُونَ لِدُرَيْدِ بنِ الصّمّةِ فيها ذِكْرٌ أوْ رَأيٌ ؟ فَقالُوا : أطَعْناكَ ، فقال دُرَيْدُ بنُ الصّمّةِ : هذا يومٌ لَمْ أشْهَدْه ولَمْ يَفُتْني :

يا لَيْتَني فيها جَذَعْ أخُبّ فيها وأضَعْ

أقُودُ وطْفاءَ الزّمَعْ كأنّها شاةٌ صَدَعْ

قال ابن إسحاق : قوله شاة يريد فرس فشبهها بالأنثى من الوعل وهو قول شاذ .

قال ابنُ هشام : أنْشَدَني غَيْرُ واحِدٍ من أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ قَوْلَه :

يا لَيْتَني فيها جَذَعْ

[الملائكةُ وعُيُونُ مالكِ بن عَوْف] :

قال ابنُ إسحاق : [1] ثُمّ قال مالِكٌ لِلنّاسِ إذا رَأيْتُمُوهم فاكْسِرُوا جُفُونَ سُيُوفِكُم ثُمّ شُدّوا شَدّةَ رَجُلٍ واحِدٍ . قال . وحَدّثَني أُمَيّةُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ عُثْمانَ أنّه حَدّثَ أنّ مالِكَ بنَ عَوْفٍ بَعَثَ عُيُونًا من رِجالِه ، فأتَوْه وقد تَفَرّقَتْ أوْصالُهم فَقال ويْلَكُمْ ما شَأنُكُمْ ؟ فَقالُوا رَأيْنا رِجالاً بيضًا على خَيْلٍ بُلْقٍ فَواللهِ ما تَماسَكْنا أن . أصابنا ما تَرَى ، فَواللهِ ما رَدّه ذلك عن وجْهِه أن مَضَى على ما يُريد .

[بعثُ ابن أبي حدْردٍ عَيْنًا على هَوازن] :

قال ابنُ إسحاق : [2] ولَمّا سَمِعَ بِهِم نَبِيّ اللهِ ﷺ بَعَثَ إليْهِم عبدَ اللهِ بنَ أبي حَدْرَدٍ الأسْلَمِيّ وأمَرَه أن يَدْخُلَ في النّاسِ فَيُقيمَ فيهم حتى يَعْلَمَ عِلْمَهم ثُمّ يَأتيَه بِخَبَرِهِم . فانطَلَقَ ابنُ أبي حَدْرَدٍ فَدَخَلَ فيهم فأقامَ فيهم حتى سَمِعَ وعَلِمَ ما قد أجْمَعُوا له من حَرْبِ رسولِ اللهِ ﷺ وسَمِعَ من مالِكٍ وأمرِ هَوازِنَ ما هم عليه ثُمّ أقْبَلَ حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ فأخْبَرَه الخَبَرَ ، [فَدَعا رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٦٧/٢] كما هنا في السيرة مرسلاً ، ورواه البيهقي في الدلائل بسند المذكور سابقًا . موصولاً من حديث جابر .

(٢) انظر قبل السابق .

عُمَرَ بنَ الخَطّاب ،فَأخبَرَه الخَبَرَ] فقال عُمَرُ : كَذَبَ ابنُ أبي حَدْرَدٍ . فقال ابنُ أبي حَدْرَدٍ إن [كَذّبتني] فرُبّما كَذّبت بالحق يا عُمَرُ فقد كَذّبتَ مَن هُوَ خَيْرٌ مِني . فَقال عُمَرُ يا رسولَ الله ألا تَسمَعُ ما يقوله ابنُ أبي حَدْرَدٍ ؟ فَقال رسولُ الله ﷺ «**ماله قد كُنت ضالا فَهَداك الله يا عُمَرُ**»

[سَألَ الرّسُولُ صَفوانَ أدراعَه وسِلاحَه فَقَبِلَ] :

فَلَمّا أجْمَعَ رسولُ الله ﷺ السّيْرَ إلى هَوازِنَ يعني لِيَلْقاهم ذُكِرَ له أنّ عند صَفوانَ ابنِ أُمَيّةَ أدراعًا [له] وسلاحًا فأرْسَلَ إليه وهو يومَئِذٍ مُشْرِكٌ . فقال يا أبا أُمَيّةَ أعِرْنا سِلاحَك هذا نَلْقَ به عَدُوّنا غَدًا ، فقال صَفوانُ أغَصْبًا يا مُحَمّدُ ؟ قال بَلْ عاريَةٌ ومَضْمُونَةٌ حتى نُؤَدّيَها إلَيْك ، قال ليس بِهذا بَأسٌ فَأعْطاه مِئَةَ دِرْعٍ بِما يَكْفيها من السّلاحِ فَزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ سَألَه أن يَكْفيَهم حَمْلَها ، [فَفَعَلَ] (١) .

---

(١) حسن بطرقه : رواه ابن إسحاق مرسلاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين . رواه الطبري في التاريخ [٢/ ١٦٧] عنه . وقد تابع ابن إسحاق على روايته هذه . جعفر بن محمد عن أبيه . رواها البيهقي في السنن [٨٩/٦] من رواية ابن وهب عن أنس بن عياض عنه . قلت : وهذا الحديث روي من طرق موصولة أقواها : طريق يعلي بن أمية رضي الله عنه . رواه أحمد [٤/ ٢٢٢] والنسائي في الكبرى [٥٧٧٧] وأبو داود [٣٥٦٦] وابن حبان في صحيحه [٤٧٢٠] كلهم من رواية همام عن قتادة عن عطاء عن صفوان بن يعلي بن أمية عن أبيه وهذا سند صحيح رجاله ثقات ، وقد وقع خلاف على عطاء فيه فروى عنه مرسلاً ، رواه عنه حجاج بن أرطأة . قلت : وحجاج ضعيف فترجح رواية قتادة . أخرجه النسائي في الكبرى [٥٧٧٨] . وله شاهد من حديث صفوان بن أمية ، رواه أحمد [٤٦٥/٦] والنسائي في الكبرى [٥٧٧٩] وأبو داود [٣٥٦٢] والحاكم [٤٧/٢] ، والبيهقي في السنن [٨٩/٦] ، والطبراني في الكبير [٧٣٣٩] كلهم من طرق به عن يزيد ابن هارون عن شريك عن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان عن أبيه صفوان بن أمية ، وفيه شريك سيء الحفظ ، وأمية قال الحافظ : مقبول . وقد وقع خلاف كبير على عبد العزيز ابن رفيع في إسناد هذا الحديث ، فخالف شريكًا إسرائيلُ فرواه عن عبد العزيز عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن صفوان عن أبيه فزاد في الإسناد ابن أبي مليكة وبدل بأمية بن صفوان عبد الرحمن بن أمية ، رواه النسائي في الكبرى [٥٧٨٠] . ووافق إسرائيل بزيادة ابن أبي مليكة ولكن قال أمية بن صفوان ، قيس بن الربيع علقه البيهقي في السنن [٨٩/٦] . وقد خالف الجميع جرير بن عبد الحميد فرواه عن عبد العزيز ابن رفيع عن أناس من آل عبد الله ابن صفوان مرسلاً . رواه أبو داود [٣٥٦٣] ومن طريقه البيهقي في السنن [٨٩/٦] . وقد خالفه أبو الأحوص - سلام بن سليم - فرواه عن عبد العزيز ابن رفيع عن عطاء عن أناس من آل صفوان مرسلاً أيضًا . رواه أبو داود [٣٥٦٤] ، والبيهقي من طريقه [٨٩/٦] . قلت : وللحديث شاهد آخر من رواية عباس رواه الحاكم [٤٧/٢] والبيهقي من طريقه في السنن [٨٨/٦] من رواية إسحاق بن عبد الواحد عن خالد بن عبد الله عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس . قلت فيه إسحاق متكلم فيه بشدة . قال أبو علي الحافظ : متروك . وقال الخطيب لا بأس به . قال الذهبي : بل واهٍ . ميزان الاعتدال [١/ ١٩٤] .

تنبيه : وقع الحديث في رواية الحاكم والبيهقي المطولة عن ابن إسحاق موصولاً إلى جابر من رواية يونس بن بكير وقد استشهد بها الشيخ ناصر عليه رحمه الله في الصحيحة . وهذا وهم من يونس بن بكير كما سبق فالحديث عن ابن إسحاق مرسلاً كما رواه الطبري .

[خُرُوجُ الرّسُولِ بِجَيْشِه إلى هَوازِن] :

[قال] [1] ثُمّ خَـرَجَ رسولُ الله ﷺ مَعَه ألفانِ من أهلِ مَكّةَ مع عَشَرَةِ آلافٍ من أصْحابه الذينَ خَرَجُوا مَعَه فَفَتَحَ الله بِهم مَكّةَ ، فَكانوا اثْنَيْ عَشَرَ ألفًا ، واسْتَعْمَلَ رسـولُ الله ﷺ عَتّابَ ابنَ أسيدِ بنِ أبي العيصِ بنِ أُمَيّةَ بن عبدِ شَمسٍ على مَكّةَ ، أميرًا على مَن تَخَلّفَ عنه من النّاسِ ثُمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ على وجْهِه يُرِيدُ [لِقاءَ] هَوازِنَ .

فقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السّلَمِيّ :

أصابَتِ العـــامَ رِعْلاً غُولُ قَوْمِهِم ... وَسْطَ البُيُوتِ ولَوْنُ الغُولِ ألوانُ

يا لَهْـــفَ أُمّ كِلابٍ إذْ تُبَيّتُهُـــم ... خَيْلُ ابنِ هَوْذَةَ لا تُنْهَى وإنْسانُ[2]

لا تَلْفِظُوها وشُدّوا عَقْـــدَ ذِمّتِكُمْ ... أنّ ابنَ عمّكُمْ سَعْـــدٌ ودُهْمـــانُ

لَن تَرْجِعُوها وإن كانَـتْ مُجَـلّلَةً ... ما دامَ في النّعمِ المَـأْخُوذِ ألْبانُ

شَنْعاءُ جُلّلَ من سَوْآتِها حَضَنٌ ... وَسال ذُو شَوْغَرٍ منها وسُلْـوانُ[3]

ليسَـتْ بأطْيَبَ مِمّا يَشْتَوِي حَذَفٌ ... إذْ قال كُلّ شِواءِ العَيْرِ جُوفانُ[4]

وَفي هَـوازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أنّ بِهِـــم ... داءَ اليَمانِيْ فإن لَمْ يَغْدِرُوا خانُـوا

فيهم أخٌ لَـوْ وفَوْا أوْ بَرّ عَهْـدُهم ... وَلَوْ نَهَكْناهم بالطّعْنِ قد لانُــوا

أبْلِغْ هَوازِنَ أعْـلاها وأسْفَلَهـــا ... مِنّي رِســـالةَ نُصْحٍ فيه تِبْيـــانُ

أنّي أظُنّ رسـولَ اللّـــه صابِحَكُمْ ... جَيْشًا لـه في فَضاءِ الأرْضِ أرْكانُ

فيهم أخُوكُمْ سُلَيـمٌ غَيْـــرَ تارِكِكُمْ ... والمُسْلِمُـــونَ عِبادَ اللّـه غَسّانُ

وَفي عِضادَتِه اليُمـنَى بـنُو أسَـدٍ ... والأجْرَبانِ بنُـو عَبْسٍ وذُبْيــانُ

تَكادُ تَرْجُفُ مِنْــه الأرْضُ رَهْبَتَهُ ... وَفي مُقَدّمِه أوْسٌ وعُثْمــــانُ [٧٤/أ]

قال ابنُ إسحاقَ : أوْسٌ وعُثْمانُ قَبيلا مُزَيْنَةَ .

---

(١) مرسل : رواه ابن جرير الطبري [١٦٦/٢] عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً ويشهد له ما في حديث أنس نحوه رواه ابن أبي شيبة [٥٥١/٨] وسنده صحيح .

(٢) قال ابن هشام : إنسان قبيلة من هوازن يقال لها عزة إنسان بن عواره بن خريه بن جشم بن معونه بن بكر بن هوازن .

(٣) ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٤) جوفان : دك الجحار .

قال ابنُ هشام : من قَوْلِه «أبلِغْ هَوازِنَ أعلاها وأسفَلَها» إلى آخِرِها ، في هذا اليوم وما قَبْلَ ذلك في غَيْرِ هذا اليومِ وهما مَفْصُولَتانِ ولكِنَ ابنَ إسحاقَ جَعَلهما واحِدَةً .

[أمرُ ذاتِ أنواط] :

قال ابنُ إسحاقَ : (١) وحَدّثَني ابنُ شِهابِ الزّهريّ ، عن سِنانِ بنِ أبي سِنانٍ الدّؤَلِيّ عن أبي واقِدٍ اللّيْثِيّ [أنّ] (٢) الحارِثَ بنَ مالِكٍ قال خَرَجْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنَيْنٍ ونحن حَديثُو عَهْدٍ بالجاهِليّةِ قال : فَسِرْنا مَعَه إلى حُنَيْنٍ ،قال : وكانَتِ الكُفّارُ قُرَيْشٌ ومَن سِواهم من العَرَبِ [لهم] شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضراءُ يُقالُ لها ذاتُ أنواطٍ ، يأتُونَها كُلّ سَنَةٍ فَيُعَلِّقُونَ أسلِحَتَهم عليها ، ويَذْبَحُونَ عندها ، ويَعْكُفُونَ عليها يومًا . قال فَرَأَيْنا ونحن نَسِيرُ مع رسولِ الله ﷺ سِدْرَةً خَضراءَ عَظِيمَةً قال فَتَنادَيْنا من جَنَباتِ الطّريقِ يا رسولَ الله اجْعَلْ لَنا ذاتَ أنواطٍ كَما لهم ذاتُ أنواطٍ . قال رسولُ الله ﷺ : «الله أكبَرُ قُلْتُم والذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِه كَما قال قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : «اجْعَل لَنا إلَهًا كَمَا لهم آلِهَةٌ قال إنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» . إنّها السّنَنُ لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ مَن كان قَبْلَكُم» .

[لقاءُ هوازن وثباتُ الرّسول ﷺ] :

قال ابنُ إسحاق : (٣) فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن عبدِ الرّحْمَنِ بن جابرٍ ، عن أبيه جابرِ بنِ عبدِ الله ، قال لَمّا استَقْبَلْنا واديَ حُنَيْنٍ انْحَدَرْنا في وادٍ من أوْدِيَةِ تِهامَةَ أجْوَفَ حَطُوطٍ إنّما نَنْحَدِرُ فيه انْحِدارًا ، قال وفي عمايَةِ الصّبْحِ وكان القَوْمُ . قد سَبَقُونا إلى الوادي ، فَكَمَنُوا لَنا في شِعابه وأحنائِه ومَضايِقِه وقد أجْمَعُوا وتَهَيّئُوا وأعَدّوا ، فَوالله ما راعَنا ونحن مُنْحَطّونَ إلاّ الكَتائِبُ قد شَدّوا عَلَيْنا شَدّةَ رَجُلٍ واحِدٍ وانْشَمَرَ النّاسُ راجِعِينَ لا يَلْوِي أحَدٌ على أحَدٍ . وانْحازَ رسولُ الله ذاتَ اليَمينِ ثُمّ قال «أيْنَ أيّها النّاسُ ؟ هَلُمّوا إلَيّ ، أنا رسولُ الله أنا مُحَمّدُ بنُ عبدِ الله» . قال فَلا شيءَ حَمَلَتِ الإبِلُ بَعْضُها على بَعْضٍ فانطَلَقَ النّاسُ إلاّ أنّه قد بَقِيَ مع رسولِ الله ﷺ نَفَرٌ من المُهاجِرينَ والأنْصارِ وأهلِ بَيْتِه .

---

(١) صحيح : رواه عبد الرزاق في المصنف [٤٠٧٦٣] ، وأحمد [٢١٨/٥] الحميدي في مسنده [٨٤٨] وابن أبي شيبة [٦٣٤/٨] والطيالسي (١٣٤٦)] والترمذي [٢١٨٠] والنسائي في الكبرى [١١١٨٥] وأبو يعلي [١٤٤١] وابن حبان [٦٧٠٢] والطبراني في الكبير [٣٢٩٠ إلى ٣٢٩٤] وغيرهم من رواية الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي ، وهذا سند صحيح .

(٢) وقعت هكذا في النسخ ولا يستقيم المعنى بها ، فأبو واقد الليثي هو الحارث بن مالك وأراد ابن إسحاق أن يسميه .

(٣) حسن : رواه أحمد في المسند [٣٧٦/٣] وأبو يعلي [١٨٦٢] والبزار [١٨٣٤] وابن حبان في صحيحه [٤٧٧٤] والطبري في التاريخ [١٦٧/٢ - ١٦٨] والحاكم [٤٨/٣ ، ٤٩] والبيهقي دلائل [١٢٣/٥]كلهم من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد وهو حسن من أجل ابن إسحاق .

وَمَن ثَبَتَ مَعَه من المهاجرينَ والأنصار أبو بَكْرٍ وعُمَرُ ، ومن أهلِ بَيْتِه عَليّ بنُ أبي طالِبٍ والعَبّاسُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ ، وأبو سُفيانَ بنُ الحارثِ ، وابنُه والفَضلُ بنُ العَبّاس ورَبيعَةُ بنُ الحارثِ ، وأُسامَةُ بنُ زَيْدٍ . وأيْمَنُ بنُ عُبَيْدٍ ، قُتِلَ يومَئِذٍ قال ابنُ هشام : اسْمُ ابنِ أبي سُفيانَ بنِ الحارثِ جَعْفَرٌ واسْمُ أبي سُفيانَ المُغيرَةُ وبَعْضُ النّاسِ يَعُدّ فيهم قُثَمَ بنَ العَبّاسِ ، ولا يَعُدّ ابنَ أبي سُفيانَ .

قال ابنُ إسحاق : [1] وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن عبدِ الرّحمنِ ابنِ جابرٍ ، عن أبيه جابرٍ [بنِ عبدِ الله] ، قال ورَجُلٌ من هَوازِنَ على جَمَلٍ له أحْمَرَ بيَدِه رايَةٌ سَوْداءُ في رَأسِ رُمحٍ له طَويلٍ أمامَ هَوازِنَ ، وهَوازِنُ خَلْفَه إذا أدْرَكَ طَعَنَ بِرُمحِه وإذا فاتَه النّاسُ رَفَعَ رُمحَه لِمَن وراءَه فاتّبَعُوه .

[شَماتَةُ أبي سُفيان وغيرِه بالمسلمين] :

قال ابنُ إسحاق : [2] فَلَمّا انْهَزَمَ النّاسُ ورأى مَن كان مع رسولِ الله ﷺ من جُفاةِ أهلِ مَكّةَ الهَزيمَةَ تَكَلّمَ رِجالٌ منهم بما في أنفُسِهِم من الضّغْنِ فقال أبو سُفيانَ ابنُ حَرْبٍ : لا تَنْتَهي هَزيمَتُهم دُونَ البَحْرِ وإنّ الأزْلامَ لَمَعَه في كِنانَتِه . وصَرَخَ جَبَلَةُ ابنُ الحَنْبَلِ قال ابنُ هشام : كَلَدَةُ بنُ الحَنْبَلِ وهو مع أخيه صَفوانَ بنِ أُمَيّةَ مُشْرِكٌ في المُدّةِ التي جَعَلَ له رسولُ الله ﷺ ألا بَطَلَ السّحْرُ اليومَ فَقال له صَفوانُ : اسْكُتْ فَضّ الله فاكَ قال : فَوالله لأن يَرُبّني رَجُلٌ من قُرَيْشٍ أحَبّ إلَيّ مِن أن يَرُبّني رَجُلٌ من هَوازِنَ .

قال ابنُ هشام : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ يَهْجُو كَلَدَةَ :**

رَأيْتُ سَوادًا من بَعيدٍ فَراعَني	أبو حَنْبَلٍ يَنْزُو عـلى أُمّ حَـنْبَلِ
كَأنّ الذي يَنْزُو به فَوْقَ بَطْنِها	ذِراعُ قَلُوصٍ من نِتاجِ ابنِ عِزْهِلِ

أنْشَدَنا أبو زَيْدٍ هذَيْنِ البَيْتَيْنِ وذَكَرَ لَنا أنّه هَجا بِهِما صَفوانَ بنَ أُمَيّةَ ، وكان أخا كَلَدَةَ لأمّه .

[عَجْزُ شيبةَ عن قَتْلِ الرّسُولِ وقد هَمّ به] :

قال ابنُ إسحاق [3] : وقال شَيبَةُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي طَلْحَةَ ، أخُو بني عبدِ الدّارِ قلت :

---

(١) مثل سابقه .

(٢) موصل بسابقه .

(٣) مرسل : وقع عند الطبري بالإسناد الموصول إلى جابر من رواية ابن إسحاق ولم أجده عند غيره ، وقد روى من وجهين عن شيبة . الوجه الأول : من طريق الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبد الله بن المبارك عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن شيبة . وسنده ضعيف جدًا ، فيه أبو بكر الهذلي متروك الحديث . البيهقي ....=

[٧٤/ب] اليومَ أُدْرِكُ ثَأري من مُحمدٍ ، وكان أبوه قُتِلَ يومَ أُحُدٍ ، اليومَ أقْتُلُ مُحمَّدًا . قال فَأَرَدتُ برسولِ الله لأقْتُلَه فأَقْبَلَ شيءٌ حتى تَغَشّى فُؤادي ، فَلَم أُطِقْ ذاكَ وعَلِمت أنّه مَمْنُوعٌ مِنّي .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثني بَعْضُ أهلِ مَكَّةَ ، أنّ رسولَ الله ﷺ قال حينَ فَصَلَ من مَكّةَ الى حُنَيْنٍ ، ورأى كَثْرَةَ مَن مَعَه من جُنُودِ الله : «لَن نُغْلَبَ اليومَ من قِلّة» (1) .

قال ابنُ إسحاقَ : وزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أنّ رَجُلاً من بني بَكْرٍ قالها .

[رُجُوعُ النّاسِ بِنداءِ العَبّاسِ والانْتِصارُ بعد الهَزِيمَةِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (2) وحَدّثني الزّهْريّ ، عن كَثيرِ بنِ العَبّاسِ عن أبيه العَبّاسِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ قال إنّي لَمَعَ رسولِ الله ﷺ آخِذٌ بِحَكَمَةِ بَغْلَتِه البَيْضاءِ قد شَجَرْتُها بها ، قال وكُنْتُ امرأً جَسيما شَديدَ الصّوْتِ قال : وَرسولُ الله ﷺ يقول حينَ رَأى ما رَأى من النّاسِ : «أينَ أيها النّاسُ؟» فَلَم أرَ النّاسَ يَلْوُونَ على شيءٍ فَقال : «يا عَبّاسُ اصْرُخْ يا مَعْشَرَ الأنصارِ : يا مَعْشَرَ أصْحابِ السّمُرَةِ» قال فَأَجابوا : لَبّيْكَ لَبّيْكَ . قال : فَيَذْهَبُ الرّجُلُ ليُثْنيَ بَعيرَه فَلا يَقْدِرُ على ذلكَ فَيَأخُذُ دِرْعَه فَيَقْذِفُها في عُنُقِه ويَأخُذُ سَيْفَه وتُرْسَه ويَقْتَحِمُ عن بَعيرِه ويُخَلّي سَبيلَه فَيَؤُمَّ

= في الدلائل [١٤٥/٥] . من طريق محمد بن بكير عن أيوب بن جابر عن صدقه بن سعيد عن مصعب بن شيبة عن أبيه ، وسنده ضعيف فيه أيوب بن جابر ضعيف ، وصدقة بن سعيد مقبول .

(1) مرسل : لم يذكر ابن إسحاق شيوخه ومع هذا فهو مرسل . وروى نحو هذا بلفظ : (ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة) رواه أحمد [٢٩٤/١] وأبو داود [٢٦١١] والترمذي [١٥٥٥] وابن خزيمة [٢٥٣٨] وابن حبان [٤٧١٧] والحاكم [٤٤٣/١] [١٠١/٢] والبيهقي [١٥٦/٩] .

كلهم من رواية جرير بن حازم عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ، وعلته الإرسال ، فقد خالف جريرًا على وصله . عثمان بن عمر ، فرواه عن يونس عن عقيل عن الزهري مرسلاً ، رواه أبو داود في المراسيل [٣١٤] . وروي من طريق عقيل عن ابن شهاب مرسلاً من غير طريق يونس رواه أبو داود [٣١٣] والطحاوي [٣٣٩/١] وسعيد بن منصور [٢٣٨٧] من طريق حيوه عن عقيل عن الزهري مرسلاً ، ومن طريق الليث عن عقيل ، كذلك قاله ابن أبي حاتم والترمذي ومن طريق معمر عن الزهري مرسلاً : رواه عبد الرزاق في المصنف [٩٦٩٩] . قال أبو داود : قد أسند هذا ، ولا يصح ، أسنده جرير بن حازم وهو خطأ قال أبو حاتم : [علل ابن أبي حاتم] [٣٤٧/١ ح ١٠٢٤] عندما سأله ابنه عنه وذكر الخلاف : المرسل أشبه ، ولا يحتمل هذا الكلام أن يكون كلام النبي ﷺ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا يسنده كبير أحد غير جرير بن حازم ، وإنما روي هذا الحديث عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً . وقد رواه حبان بن علي عن عقيل عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، ورواه الليث ابن سعد عن عقيل عن الزهري مرسلاً . قلت : الصواب فيه الإرسال . وقد روى أن قائل هذا رجل من الأنصار ، قاله أنس بن مالك . رواه البزار كما عزاه إليه الهيثمي وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب ضعيف .

(2) صحيح : سند ابن إسحاق حسن : ورواه مسلم [١٧٧٥] وأحمد [٢٠٧/١] وعبد الرزاق [٩٧٤١] وابن سعد [١١٧/٢ ، ١١٨] وغيرهم .

الصَوتَ حتى يَنْتَهيَ إلى رسول الله ﷺ حتى إذا اجْتَمَعَ إلَيْه منهم مِائَة رجل اسْتَقْبَلُوا النّاسَ فاقْتَتَلُوا ، وكانَتِ الدّعْوَى أوّلَ ما كانَتْ يا لَلأنْصارِ . ثُمَ خَلَصَتْ أخيْرًا : يا لَلخَزْرَجِ .

وكانوا صُبُرًا عند الحَرْبِ فَأشْرَفَ رسولُ الله ﷺ في رَكائبه . فَنَظَرَ إلى مُجْتَلَدِ القَوْمِ وهم يَجْتَلِدُونَ فقال : «**الآنَ حَميَ الوَطِيسُ**»[1].

قال ابنُ إسحاقَ :[2] وحَدّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن عبدِ الرّحْمَنِ بنِ جابِرٍ عن أبيه جابِرِ بنِ عبدِ الله ، قال بَيْنا ذلك الرّجُلُ من هَوازِنَ صاحِبُ الرّايَةِ على جَمَلِه يَصْنَعُ ما يَصْنَعُ إذْ هَوَى له عَليّ بنُ أبي طالِبٍ ورَجُلٌ من الأنصارِ يُريدانِه قال : فَيَأتيه عَليّ بنُ أبي طالِبٍ من خَلْفِه فَضَرَبَ عُرْقُوبَيِ الجَمَلِ فَوَقَعَ على عَجُزِه ووَثَبَ الأنصاريّ على الرّجُلِ فَضَرَبَه ضَرْبَةً أطَنّ قَدَمَه بِنِصْفِ ساقِه فانْجَعَفَ عن رَحْلِه قال واجْتَلَدَ النّاسُ فَوالله ما رَجَعَتْ راجِعَةُ النّاسِ من هَزِيمَتِهِم حتى وجَدُوا الأُسارَى مُكَتّفِينَ عند رسولِ الله ﷺ .

قال : والتَفَتَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي سُفْيانَ بنِ الحارِثِ بنِ عبدِ المُطّلِبِ ، وكان مِمّن صَبَرَ يومَئِذٍ مع رسولِ الله ﷺ وكان حَسَنَ الإسلامِ حينَ أسْلَمَ ، وهو آخِذٌ بِثَفَرِ بَغْلَتِه فَقال : «**مَن هذا ؟**» قال أنا ابنُ أُمّك يا رسولَ الله .

[شَأنُ أُمّ سُلَيْم] :

قال ابنُ إسحاقَ :[3] وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ التَفَتَ فَرَأى أُمّ سُلَيْم بِنَةَ مِلْحانَ وكانَتْ مع زَوْجِها أبي طَلْحَةَ وهيَ حازِمَةٌ وَسَطَها بِبُرْدٍ لها ، وإنّها لَحامِلٌ بِعبدِ الله ابنِ أبي طَلْحَةَ ومَعَها جَمَلُ أبي طَلْحَةَ وقد خَشِيَتْ أن يَعُزّها الجَمَلُ فأدْنَتْ رأسَه منها ، فَأدْخَلَتْ يَدَها في خِزامَتِه مع الخِطامِ فَقال [لها] رسولُ الله ﷺ «**أُمّ سُلَيْم؟**» قلت : نَعم بِأبي أنْتَ وأُمّي يا رسولَ الله اقْتُلْ هَؤُلاءِ الذينَ يَنْهَزِمُونَ عَنك كَما تَقْتُلُ الذينَ يُقاتِلُونَك ، فإنّهم لِذلك أهلٌ . فَقال رسولُ الله ﷺ : «**أوَ يَكْفي الله يا أُمّ سُلَيْم ؟**» قال : ومَعَها خِنْجَرٌ ، فَقال لها أبو طَلْحَةَ ما هذا الخِنْجَرُ مَعَكِ يا أُمّ سُلَيْم ؟ قالتْ خِنْجَرٌ أخَذْته ، إن دَنا مِنّي أحَدٌ من المُشْرِكينَ بَعَجْته [به] قال : يقول أبو طَلْحَةَ : ألا تَسْمَعُ يا رسولَ الله ما تَقُولُ أُمّ سُلَيْم الرّمَيْصاءُ .

قال ابنُ إسحاقَ :وقد كان رسولُ الله ﷺ حينَ وجّهَ إلى حُنَيْنٍ [٧٥/أ]قد ضَمّ بَني سُلَيْم

---

(١) الوطيس : صخرة توقد العرب تحتها النار وتطبخ وتشوي فيها اللحم ، وقال بعضهم التنور .

(٢) صحيح :وسبق تخريجه ص ٣٨٣ رقم (٣) .

(٣) صحيح بمعناه :بسند ابن إسحاق مرسل ، وروي بمعناه من حديث أنس . رواه مسلم [١٨٠٩] وأحمد [١٩٠/٣] وابن أبي شيبة [٥٥١/٨] وابن سعد في الطبقات [٣١٢/٨] والبيهقي في الدلائل [١٥٠/٥] وغيرهم .

الضحاكَ بنَ سُفيانَ الكِلابيّ ، فكانوا إليه ومَعَه ولمّا انهزَمَ النّاسُ قال مالِكُ بنُ عَوفٍ يَرتَجِزُ بِفَرسِه :

أَقْدِم مُحاجُ إنّــــه يــــومٌ نُكُرْ مِثْلي عــــلى مِثْلِكَ يَحْمي ويَكُرّ

إذا أُضيعَ الصَّفُ يومًــــا والدّبُرْ ثُــــمّ احزَألّتْ زُمَرٌ بعــــد زُمَرْ[1]

كَتائِبٌ يَكِلّ فــــيهِنّ البَــــصَرْ قــــد أطعَنُ الطّعْنَةَ تَقذي بالسّبُرْ[2]

حــينَ يُذَمّ المُستَكينُ المُنْــجَحِرْ[3] وأطْعَــنُ النّجْلاءَ تَعْــوي وتَهِرْ

لَها مــن الجَــوفِ رَشاشٌ مُنهَمِرْ تَفْهَقُ تــاراتٍ وحينًا تَنفَــــجِرْ

وثَعْلَبُ العامِلِ[4] فيهــا مُنكَسِرْ يــــا زَيْدُ يــا بنَ هَمَهَمٍ أينَ تَفِرّ

قد نَفِدَ الضِّرْسُ وقد طالَ العُمُرْ قــــد عَلِمَ البيضُ الطّويلاتُ الخُمُرْ

أنّي فـي أمثــالِها غَيْرُ غَمِــــرْ إذْ تُخْرَجُ الحاصِنُ من تحتِ السّتُرْ[5]

وقال مالكُ بن عَوفٍ أيضًا :

أَقْدِم مُحاجُ إنّها الأساوِرَة ولا تَغُرّنْكَ رِجلٌ نادِرَة

قال ابنُ هشام : وهذانِ البَيْتانِ لِغَيْرِ مالكِ بنِ عَوفٍ في غَيْرِ هذا اليوم .

[شأن أبي قتادةَ وسلَبُه] :

قال ابن إسحاقَ : [6] وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، أنّه حُدِّثَ عن أبي قَتادَةَ الأنصاريّ [قال] وحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ من أصْحابِنا ، عن نافعٍ مَوْلَى بني غِفارٍ أبي مُحَمّدٍ عن أبي قَتادَةَ ، [قالا] : قال أبو قَتادَةَ : رَأيتُ يومَ حُنَيْنٍ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ مُسلِمًا ومُشرِكًا ، قال وإذا رَجُلٌ من المُشْرِكينَ يُريدُ أن يُعينَ صاحِبَه المُشْرِكَ على المُسلِمِ . قال فَأتَيْته ، فَضَرَبْتُ يَدَه فَقَطَعْتُها ، واعْتَنَقَني بيَدِه الأُخرَى ، فوالله ما أرْسَلَني حتى وجَدْتُ ريحَ الدّمِ ويُرْوَى : ريحَ المَوْتِ فيما قال ابنُ هشام ،

---

(١) احزألت : ارتفعت ، وزمر : جماعات .

(٢) السبر جمع سبار وهو الفتيل يسبر به الجرح ومعنى تغتذي بالسبر : تقذف بها لكثرة ما يندق منها من دم ونحوه .

(٣) المنجحر : المستتر في حجره : والمراد من اعتصم بمكان . النجلاء : الطعنة المتسعة .تعوى وتهر : أي التي يسمع لخروج الدم منها صوت كالعواء والهدير .

(٤) العامل : أعلى الرمح .

(٥) الغمر : الذي لم يجرب الأمور . الحاصن العفيفة .

(٦) متفق عليه : سند ابن إسحاق ضعيف فيه بينهم والحديث بنحوه رواه البخاري [٢١٠٠ مختصرًا ، ٣١٤٢ ، ٤٣٢١ بطوله] ومسلم [١٧٥١] .

وكادَ يَقْتُلُني ، فَلَوْلا أنّ الدّمَ نَزَفَه لَقَتَلَني ، فَسَقَطَ فَضَرَبْته فَقَتَلْته ، وأجْهَضَني عنه القِتالُ ومَرّ به رَجُلٌ من أهلِ مَكّةَ فَسَلَبَه فَلَمّا وضَعَتِ الحَرْبُ أوْزارَها وفَرَغنا من القَوْمِ ، قال رسولُ الله ﷺ «مَن قَتَلَ قَتيلاً فَلَه سَلَبُه» فَقُلْت : يا رسولَ الله ، والله لَقد قَتَلْت قَتيلاً ذا سَلَبٍ ، فأجْهَضَني عنه القِتالُ ، فما أدْري مَن استَلَبَه ؟ فَقال رَجُلٌ من أهلِ مَكّةَ : صَدَقَ يا رسولَ الله [وسَلَبُ ذلك القَتيلِ عِندي] ، فأرْضِه عَنّي من سَلَبِه فقال أبو بَكْرٍ الصّدّيقُ - رَضيَ الله عنه - لا والله لا يُرْضيه مِنه تَعْمِدُ إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله يُقاتِلُ عن دينِ الله تُقاسِمُه سَلَبَه ارْدُدْ عليه سَلَبَ قَتيلِه فَقال رسولُ الله ﷺ : «صَدَقَ ارْدُدْ عليه سَلَبَه» فَقال أبو قَتادَةَ : فَأخَذْته مِنه فَبِعْته ، فاشْتَرَيْت بِثَمَنِه مَخْرَفًا ، فإنّه لأوّلُ مالٍ اعْتَقَدتُه في الإسلام .

قال ابنُ إسحاقَ :[1] وحَدّثَني مَن لا أتّهِمُ [عن أبي سَلَمَةَ] [2] عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بنِ أبي طَلْحَةَ ، عن أنَسِ بنِ مالِكٍ ، قال لَقد استَلَبَ أبو طَلْحَةَ يومَ حُنَيْنٍ وحْدَه عِشْرينَ رَجُلاً .

قال ابنُ إسحاقَ :[3] وحَدّثَني أبي إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، [أنّه حُدّثَ] عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قال لَقد رَأيْتُ قَبْلَ هَزيمَةِ القَوْمِ والنّاسُ يَقْتَتِلونَ مِثْلَ البِجادِ الأسْوَدِ أقْبَلَ من السّماءِ حتى سَقَطَ بَيْنَنا وبَيْنَ القَوْمِ فَنَظَرْت ، فإذا نَمْلٌ أسْوَدُ مَبْثوثٌ قد مَلأَ الواديَ لَم أشُكّ أنّها الملائِكَةُ ثُمّ لَم يَكُن إلاّ هَزيمَةُ القَوْمِ .

[هزيمة المشركين] :

قال ابنُ إسحاقَ :ولَمّا هَزَمَ الله المُشْرِكينَ من أهلِ حُنَيْنٍ ، وأمكَنَ رسولَه ﷺ منهم قالتِ امرَأةٌ من المُسْلِمينَ :

---

(١) حسن :سند ابن إسحاق فيه مبهم ، وقد صرح به في رواية الطبري وهو حماد بن سلمة ، رواه ابن أبي شيبة [٥٥١/٨] وأحمد [١١٤/٣ - ١٩٠ - ٢٧٩] وأبو داود [٢٧١٨] والطبري في تاريخه [١٦٩/٢] . والطيالسي [٢٠٧٩ذ] وابن سعد [٣٨٤/٣] والدارمي [٢٢٩/٢] والحاكم [٣٥٣/٣] والبيهقي [١٥٠/٥] دلائل .

(٢) قلت : ذكر أبي سلمة في الإسناد هنا خطأ ، فربما أراد ابن إسحاق أن يسمي من أبهم وهو ابن سلمة فصحفت إلى أبي سلمة ، فالروايات كلها حتى عن ابن إسحاق نفسه عن حماد بن سلمة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن إسحاق عند ابن أبي شيبة وأحمد وغيرهما كذلك والله أعلم .

(٣) ضعيف :رواه الطبري في التاريخ [١٦٩/٢] والبيهقي في الدلائل [١٤٦/٥] من طريق ابن إسحاق عن أبيه أنه حدّث عن جبير بن مطعم وعلته هذا المبهم الذي حدث إسحاق بن يسار .

قلت : أما نزول الملائكة فله شواهد حسنة ، منها حديث عبد الرحمن بن آدم مولى أم برثن عن رجل ممن شهد حنينًا كافرًا ثم أسلم . رواه البيهقي في الدلائل [١٤٣/٥] من رواية مسدد عن جعفر بن سليمان عن عوف وهو الأعرابي عن عبد الرحمن ، وهذا سند حسن ، والحديث في مسند مسدد ، ومن مرسل يعلي بن عطاء قال : أخبرنا أبناؤهم عن آبائهم ، يعني الذين شهدوا القتال ، فذكروا الملائكة ويشهد لذلك قول المولى تعالى : ﴿وأنزل جنودًا لم تروها﴾ .

قد غَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ ... اللآتِ والله أحَق بِالقَباتِ

قال ابنُ هشام : أَنْشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بِالرِّوايَةِ لِلشِّعْرِ :

غَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ ... اللآتِ وَخَيْلُه أحَق بِالقَباتِ

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا انهَزَمَتْ هَوازِنُ اسْتَحَرَّ القَتْلُ من ثَقيفٍ في بني مالِكٍ فَقُتِلَ منهم سَبْعُونَ رَجُلاً تَحْتَ رايَتِهم فيهم عُثْمانُ بنُ عبدِ الله بنِ رَبيعَةَ بنِ الحارِثِ ابنِ حَبيبٍ وكانَتْ رايَتُهم مع ذي الخِمارِ فَلَمّا قُتِلَ أَخَذَها عُثْمانُ بنُ عبدِ الله ، فَقاتَلَ بِها حتى قُتِلَ .

قال [ابنُ إسحاقَ] : (١) وأَخْبَرَني عامِرُ بنُ وهْبِ بنِ الأَسْوَدِ قال[٧٥/ب] لَمّا بَلَغَ رسولَ الله ﷺ قَتْلُه قال أَبْعَدَه الله فإنّه كان يُبْغِضُ قُرَيْشًا .

[الغُلامُ النَّصْرانيّ الأَغْرَلُ وما كادَ يَلْحَقُ ثَقيفًا بِسَبَبِه] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وحَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ أنه قُتِلَ مع عُثْمانَ بنِ عبدِ الله غُلامٌ له نَصْرانيّ أَغْرَلُ قال : فَبَيْنا رَجُلٌ من الأَنْصارِ يَسْلُبُ قَتْلَى ثَقيفٍ ، إذْ كَشَفَ العبدَ يَسْلُبُه فَوَجَدَه أَغْرَلَ . قال فَصاحَ بِأَعْلَى صَوْتِه يا مَعْشَرَ العَرَبِ يَعْلَمُ الله أنّ ثَقيفًا غُرْلٌ . قال المُغيرَةُ بنُ شُعْبَةَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِه وخَشيت أن تَذْهَبَ عَنّا في العَرَبِ ، فَقُلْتُ لا تَقُلْ ذاكَ فَداكَ أبي وأُمّي ، إنّما هُوَ غُلامٌ لَنا نَصْرانيّ . قال : ثُمّ جَعَلْت أَكْشِفُ له [عن] القَتْلَى ، وأَقُولُ [له] ألا تَراهم مُخْتَتَنينَ كَما تَرَى .

قال ابنُ أبي إسحاقَ : (٣) وكانَتْ رايَةُ الأَحْلافِ مع قارِبِ بنِ الأَسْوَدِ ، فَلَمّا انهَزَمَ النّاسُ

---

(١)مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٦٩/٢] من طريق ابن إسحاق ، ومن مرسل الزهري ، رواه عبد الرزاق في المصنف [١٩٩٠٤] من رواية معمر عنه وقد وصله جبير بن أبي صالح عن الزهري عن سعد بن أبي وقاص فذكره . رواه ابن أبي شيبة [٥٤٧/٧] وابن أبي عاصم من طريقه في السنة [١٥٢٥] من رواية ابن أبي ذئب عن جبير عن الزهري . وهذا السند ضعيف ، وجبير ابن أبي صالح ، قال الهيثمي مجمع [٢٧/١٠] : لم أعرفه .. وقد خالف معمرًا ، وله علة أخرى وهي الانقطاع بين الزهري وسعد بن أبي وقاص . وقد روى من حديث االلغيرة ، رواه الطبراني في الكبير [٢٨٢/٢٠ ح ٨٩٥] من رواية يعقوب بن محمد الزهري عن نوفل بن عمارة عن عبد الله بن الأسود بن أبي عاصم عن أبيه عن المغيرة . قلت : فيه يعقوب بن محمد الزهري . قال أحمد وأبو زرعة : ليس بشيء ، وقال غيرهما منكر الحديث . وروى أيضًا من حديث جابر . رواه العقيلي في الضعفاء [٣٥٠/٤] من رواية هلال بن عبد الرحمن الحنفي عن محمد بن المنكدر عن جابر ، وعلته هلال . قال العقيلي : منكر الحديث . وذكر له أحاديث ، ثم قال : كل هذا مناكير لا أصول لها ولا يتابع عليها .

(٢)معضل : رواه الطبري في التاريخ [١٦٩/٢] من طريق ابن إسحاق . ويعقوب بن عتبة ثقة من السادسة روايته عن التابعين .

(٣) رواه ابن جرير موصولاً بما قبله .

أسنَدَ رايَتَه إلى شَجَرَةٍ وهَرَبَ هُوَ وبنُو عمّه وقَوْمُه من الأحْلافِ ، فَلَم يُقتَلْ من الأحْلافِ غَيْرُ رَجُلَيْنِ رَجُلٍ من بنى غيْرَةَ يُقالُ له وهْبٌ وآخَرُ من بني كُنَةَ يُقال له الجُلاحُ فقال رسولُ الله ﷺ [حينَ بَلَغَه قَتْلُ الجُلاحِ] قُتِلَ اليومَ سَيّدُ شَبابِ ثَقيفٍ إلاّ ما كان من ابنِ هُنَيْدَةَ يَعْني بابنِ هُنَيْدَةَ الحارِثَ بنَ أُوَيْسٍ .

• فقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُلَمِيّ يَذْكُرُ قارِبَ بنَ الأسْوَدِ وفِرارَه من بني أبيه وذا الخِمارِ وحَبْسَه قَوْمَه لِلْمَوْتِ :

ألا من مُبلّغٌ غَيْلانَ عَنّي ... وَسَوْفَ إخالُ يَأتيه الخَبيرُ
وَعُرْوَةَ إنّما أُهْدي جَوابًا ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُما يَسيرُ
بِأنّ مُحَمّدًا عبدٌ رسولٌ ... لِرَبٍ لا يَضِلّ ولا يَجُورُ
وَجَدْناه نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى ... فَكُلّ فَتًى يُخايِرُه[1] مُخَيرُ
وَبِئْسَ الأمرُ أمرُ بني قَسِيّ[2] ... بِوَجّ إذْ تُقُسّمَتِ الأُمُورُ
أضاعُوا أمرَهم ولِكُلّ قَوْم ... أميرٌ والدّوائِرُ قد تَدُورُ
جِئْنَا أُسْدَ غاباتٍ إلَيْهِم ... جُنُودُ الله ضاحيَةً تَسيرُ
يَؤُمّ الجَمْعَ جَمْعَ بني قَسِيّ ... على حَنَقٍ نَكادُ له نَطيرُ
وَأُقْسِمُ لَوْ هم مَكَثُوا لَسِرْنا ... إلَيْهم بِالجُنُودِ ولَمْ يَغُورُوا
فَكُنّا أُسْدَ لِيّةَ ثَمّ حتى ... أبَحْناها وأُسْلِمَتِ النّصُورُ
وَيومٌ كان قَبْلُ لَدى حُنَيْنٍ ... فَأقْلَعَ والدِماءُ به تَمُورُ[3]
من الأيّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوم ... وَلَمْ يَسْمَعْ به قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنا في الغُبارِ بني حُطَيْطٍ ... على راياتِها والخَيْلُ زُورُ
وَلَمْ يَكُ ذُو الخِمارِ رَئِيسَ قَوْم ... لهم عَقْلٌ يُعاتِبُ أوْ نَكيرُ
أقامَ بِهِم على سَنَنِ المَنايا[4] ... وَقد بانَتْ لِمُبْصِرِها الأُمُورُ
فَأفْلَتَ مَن نَجا منهم حَريضًا ... قُتّلَ منهم بَشَرٌ كَثيرُ

---

(١) يخايره : يقول له : أنا خير منك .

(٢) قسي : اسم ثقيف

(٣) تمور : تسيل

(٤) سنن المنايا : طريقها .

وَلا يُغْني الأُمُورَ أخُو التَواني ... وَلا الغَلِقُ[١] الصَرَيَرَةُ الحَصُورُ
أحانَهمُ[٢] وحانَ ومَلَّكُـوهُ ... أُمُورَهم وأفْلَتَتِ الصُقُـورُ
بنُو عَوْفٍ تَميحُ[٣] بِهِم جيادٌ ... أُهينَ لها الفَصافِصُ والشَعيرُ
فَلَوْلا قارِبٌ وبنُو أبيـهِ ... تُقُسمتَ المَزارِعُ والقُصُـورُ
وَلَكِنّ الرّياسَةَ عُمّمُوهـا[٤] ... على يُمنٍ أشارَ بـه المُشـيرُ
أطاعُوا قارِبًا ولهم جُـدُودٌ ... وَأحْلامٌ إلى عِـزّ تَصـيرُ
فَإِن يُهْدَوْا إلى الإسلامِ يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النّاسِ[٥] ما سَمَرَ السّميرُ
وَإن لَمْ يُسْلِمُوا فَهُـم أذانٌ ... بِحَرْبِ الله ليس لهم نَصـيرُ
كَما حَكّتْ بني سَعْدٍ وحَرْبٌ ... بِرَهْطِ بني غَزِيّةَ عَنْقَفـيرُ[٦]
كَأنّ بني مُعاويَةَ بن بَكْـرٍ ... إلى الإسلامِ ضائِنَةٌ تَخُـورُ
فَقُلْنا أسْلِمُوا إنّـا أخُوكُمْ ... وَقد بَرأَتْ من الترِه الصّدُورُ
كَأنّ القَوْمَ إذْ جاءُوا إلَيْنـا ... من البَغْضاءِ بَعْدَ السّلْمِ عُـورُ

قال ابنُ هشام: غَيْلانُ غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ الثّقَفِيّ، وعُرْوَةُ عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثّقَفِيّ.

[مَقْتَلُ دُرَيْد بن الصّمّة]:

قال ابنُ إسحاق: [٧] ولَمّا انْهَزَمَ المُشْرِكُونَ أتَوْا الطّائِفَ ومَعَهم مالِكُ بنُ عَوْفٍ، وعَسْكَرَ بَعْضُهم بِأوْطاسٍ، وتَوَجّهَ بَعْضُهم نَحْوَ نَخْلَةَ، ولَم يَكُن فيمَن تَوَجّهَ نَحْوَ نَخْلَةَ إلاّ بنُو غيرَةَ من ثَقيفٍ، وتَبِعَتْ خَيْلُ رسولِ الله ﷺ مَن سَلَكَ نحو نَخْلَةَ من النّاسِ ولَمْ تَتْبَعْ مَن سَلَكَ الثّنايا.

---

(١) الغلق: الكثير الجروح.
(٢) أحانهم: أهلكهم.
(٣) تميح: تمشي مشيًا حسنًا.
(٤) عموها: أسندت إليهم وقدموا لها.
(٥) أنوف الناس: أشرافهم.
(٦) العنقفير: الداهية.
(٧) معضل: رواه الطبري في التاريخ [٢/١٧٠] عن ابن إسحاق. قلت: وهذا يخالف ما في الصحيحين، أن الذي قتل دريد بن الصمة أبو عامر الأشعري. رواه البخاري [٤٣٢٣] ومسلم [٢٤٩٨] من حديث أبي موسى الأشعري قال: (لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس فلقى دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه ... الحديث).

فَأَدْرَكَ رَبيعَةُ بنُ رُبَيْعِ بنِ أُهْبانَ بن ثَعْلَبَةَ بن رَبيعَةَ [٧٦/أ]بن يَرْبوعِ بن سَماك بن عَوْفِ بن امرئِ القَيْسِ وكان يُقالُ له ابنُ الدَّغُنَةِ وهيَ أُمّه فَغَلَبَتْ على اسْمِه ويُقالُ ابنُ الدَّعله فيما قال ابنُ هشام دُرَيْدَ بنَ الصِّمّةِ فَأَخَذَ بِخِطامِ جَمَلِه وهو يَظُنّ أنّه امرأةٌ وذلك أنّه في شِجارٍ له فَإذا بِرَجُلٍ فَأناخَ به فَإذا شيخٌ كَبيرٌ وإذا هُوَ دُرَيْدُ ابنُ الصِّمّةِ ولا يَعْرِفُه الغُلامُ فَقال له دُرَيْدٌ : ماذا تُريدُ بي قال : أَقْتُلُك .

قال : ومَن أنْتَ قال : أنا رَبيعَةُ بنُ رُفَيْعٍ السُّلَمِيّ ثُمّ ضَرَبَه بِسَيْفِه فَلَم يُغْنِ شيئًا ، فقال : بِئْسَ ما سَلّحَتْكَ أُمّكَ خُذْ سَيْفي هذا من مُؤَخّرِ الرّحْلِ [وكان الرّحْلُ] في الشّجارِ ثُمّ اضْرِبْ به وارْفَعْ عن العِظامِ واخْفِض عن الدّماغِ فَإنّي كُنْت كذلك أضْرِبُ الرّجالَ ثُمّ إذا أتَيْتَ أُمّكَ فَأخْبِرْها أنّك قَتَلْتَ دُرَيْدَ بنَ الصِّمّةِ ، فَرُبّ والله يوم قد مَنَعْتُ فيه نِساءَك فَزَعَمَ بنُو سُلَيْمٍ أنّ رَبيعَةَ قال : لَمّا ضَرَبَه فَوَقَعَ تَكَشّفَ فَإذا عِجانُه وبُطُونُ فَخِذَيْه مِثْلُ القِرْطاسِ من رُكُوبِ الخَيْلِ أَعْراءً فَلَمّا رَجَعَ رَبيعَةُ إلى أُمّه أخْبَرَها بِقَتْلِه إيّاه فَقالتْ : أما والله لَقد أعْتَقَ أُمّهاتٍ لَك ثَلاثًا . فَقالتْ عمرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ في قَتْلِ رَبيعَةَ دُرَيْدًا :

لَعمرُكَ ما خَشيت على دُرَيْدٍ ... بِبَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ العَناقِ
جَزَى عنا الإلَه بني سُلَيْمٍ ... وَعَقّتهم بِما فَعَلُوا عَقاقِ
وَأسقانا إذا قُدْنا إلَيْهِم ... دِماءَ خيارِهِم عند التّلاق
فَرُبّ عَظيمَةٍ دافَعْتَ عنهم ... وَقد بَلَغَتْ نُفُوسُهم التّراق
وَرُبّ كَريمَةٍ أعْتَقْتَ منهم ... وَأُخْرَى قد فَكَكْتَ من الوَثاقِ
وَرُبّ مُنَوّهٍ بِكَ مِن سُلَيْمٍ ... أجَبْتَ وقد دَعاكَ بِلا رَماقِ
فَكان جَزاؤُنا منهم عُقُوقًا ... وَهَمًّا ماعَ مِنه مُخّ ساقي
عَفَتْ آثارُ خَيْلِك بعد أيْنٍ ... بِذي بَقَرٍ إلى فَيْفِ النّهاقِ

وَقالتْ عمرَةُ بِنْتُ دُرَيْدٍ أيضًا :

قالُوا قَتَلْنا دُرَيْدًا قُلْتُ قد صَدَقُوا فَظَلّ دَمعي على السّرْبالِ يَنْحَدِرُ :

لَوْلا الذي قَهَرَ الأقْوامَ كُلّهم ... رَأتْ سُلَيْمٌ وكَعْبٌ كَيفَ تَأْتَمِرُ
إذَن لَصَبّحَهم غِبًا وظاهِرَةً ... حَيْثُ اسْتَقَرّتْ نَواهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابنُ هشام :ويُقالُ اسمُ الذي قَتَلَ دُرَيْدًا : عبدُ الله بنُ قُنَيْعِ بنِ أُهْبانَ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ رَبيعَةَ .

[مَقتَلُ أبي عامرٍ الأشعَريّ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [(١)] وبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثارِ مَن تَوَجّهَ قِبَلَ أوْطاسٍ أبا عامرٍ الأشْعَريّ فأدْرَكَ من النّاسِ بَعْضَ مَن انهَزَمَ فناوَشُوه القِتال فرُمِيَ أبو عامرٍ بِسَهمٍ فقُتِلَ فأخَذَ الرّايَةَ أبو موسَى الأشْعَريّ ، وهو ابنُ عمّه فقاتَلَهم ففَتَحَ الله عليه وهَزَمَهم الله فيَزْعُمُونَ أنّ سَلَمَةَ بنَ دُرَيْدٍ هُوَ الذي رَمَى أبا عامرٍ الأشْعَريّ بِسَهمٍ فأصابَ رُكْبَتَه فقَتَلَه فقال :

إن تَسْألُوا عَنّي فإنّي سَلَمَهْ ... ابنُ سَمَاديرَ لِمَن تَوَسّمَهْ

أضرِبُ بالسّيفِ رُءُوسَ المُسْلِمَهْ

وَسَماديرُ : أُمّه . واستَحَرّ القَتْلُ من بني نَصْر في بني رِئَابٍ فزَعَمُوا أنّ عبدَ الله بنَ قَيْسٍ وهو الذي يُقالُ له ابنُ العَوْراءِ وهو أحَدُ بني وهْبِ بنِ رِئَاب قال يا رسولَ الله هَلَكَتْ بنُو رِئَابٍ فزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال : اللّهمّ اجْبُرْ مُصيبَتَهم [(٢)] .

وَخَرَجَ مالِكُ بنُ عَوْف عند الهَزيمَةِ فَوَقَفَ في فَوارِسَ من قَوْمِه على ثَنيّةٍ من الطّريقِ وقال لأصْحابه قِفُوا حتى تَمضيَ ضُعَفاؤُكم وتَلْحَقَ أُخراكُم . فَوَقَفَ هُناكَ حتى مَضَى [٧٦/ب] مَن كان لَحِقَ بِهم من مُنهَزِمَةِ النّاسِ فقال مالِكُ بنُ عَوْف في ذلك .

وَلَوْلا كَرّتانِ على مُحاجٍ ... لَضاقَ على العَضاريطِ الطّريقُ

وَلَوْلا كَرّ دُهْمانَ بنِ نَصْرٍ ... لَدَى النّخَلاتِ مُنْدَفَعَ السويقِ

لآبَتْ جَعْفَرٌ وبنُو هِلالٍ ... خَزايا مُحْقِبِينَ على شُقُوقِ

قال ابنُ هشام : هذه الأبْياتُ لِمالِكِ بنِ عَوْفٍ في غَيْرِ هذا اليوم . ومِمّا يَدُلّك على ذلك قَوْلُ دُرَيْدِ بنِ الصّمّةِ في صَدْرِ هذا الحَديثِ ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلابٌ فقالُوا [له] لَم يَشْهَدْها منهم أحَدٌ . وجَعْفَرٌ بنُ كِلابٍ . وقال مالِكُ [بنُ عَوْف] في هذه الأبياتِ «لآبَتْ جَعْفَرٌ وبنُو هِلالٍ» .

قال ابنُ هشامٍ : [(٣)] وبَلَغَني أنّ خَيْلاً طَلَعَتْ ومالِكٌ وأصْحابُه على الثّنيّةِ ،فقال لأصْحابه ماذا

---

(١) متفق عليه : رواه ابن إسحاق بدون سند وهو في الصحيحين من رواية أبي موسى السابقة .

(٢) ليس له إسناد : ذكره ابن إسحاق هكذا. ورواه ابن سعد في الطبقات [١١٥/٢] في رواية لغزوة حنين. وقد سبق أن ابن سعد روى المغازي مجملة بكل أسانيد وصلت إليه من رواية ابن إسحاق والواقدي وموسى بن عقبة مراسيل وغيرهم قال: دخل حديث بعضهم في بعض . ثم سرد المغازي . فلا نستطيع تحديد إسناد هذه الرواية لذلك ، وفي الغالب أنها من رواية ابن إسحاق .

(٣) ضعيف : أورده ابن هشام بلاغًا [أي لم يذكر له إسنادًا] .وحكم هذه البلاغات أنها ضعيفة .

تَرَوْنَ ؟ فقالُوا : نَرَى قَوْمًا واضِعِي رِماحِهِم بَيْنَ آذانِ خَيْلِهِم طَوِيلَةً بَوادِهِم فقال هَؤُلاءِ بنُو سُلَيْم ، ولا بَأسَ عَلَيْكُم منهم فَلَمّا أقْبَلُوا سَلَكُوا بَطْنَ الوادي . ثُمّ طَلَعَتْ خَيْلٌ أُخرَى تَتْبَعُها ، فَقالَ لأصْحابه ماذا تَرَوْنَ ؟ قالُوا : نَرَى قَوْمًا عارِضِي رِماحِهِم أغْفالاً على خَيْلِهِمْ فَقال : هَؤُلاءِ الأوْسُ والخَزْرَجُ ، ولا بَأسَ عَلَيْكُم منهم . فَلَمّا انْتَهَوْا إلى أصْلِ الثَّنِيَّةِ سَلَكُوا طَرِيقَ بني سُلَيْم . ثُمّ طَلَعَ فارِسٌ ، فَقال لأصْحابه ماذا تَرَوْنَ ؟ قالُوا : نَرَى فارِسًا طَوِيلَ البادِ واضِعًا رُمْحَه على عاتِقِه عاصِبًا رَأسَه بِمُلاءَةٍ حَمراءَ فَقال : هذا الزّبَيْرُ بنُ العَوّامِ وأحْلِفُ باللاّتِ لَيُخالِطَنَّكُمْ فاثْبُتُوا له . فَلَمّا انْتَهَى الزّبَيْرُ إلى أصْلِ الثَّنِيَّةِ أبصَرَ القَوْمَ فَصَمَدَ لهم فَلَمْ يَزَلْ يُطاعِنُهم حتى أزاحَهم عنها .

قال ابنُ إسحاقَ :وقال سَلَمَةُ بنُ دُرَيْدٍ وهو يَسُوقُ بامرأتِه حتى أعْجَزَهم :

نَسَيْتِنِي ما كُنتِ غيْرَ مُصابَةٍ ... وَلَقد عَرَفْتِ غَداةَ نَعْفِ الأظْــرُبِ

أنّي مَنَعْتُكِ والرّكُوبُ مُحَبّبٌ ... وَمَشْيُتُ خَلْفَكِ مِثْلَ مَشْيِ الأنْكَبِ

إذْ فَرّ كُلّ مُهَذّبٍ ذي لِمّــةٍ ... عن أمّه وخَلِيلِــــه لَمْ يَعْقِــــبِ

[بقيّةُ حَديثِ مَقْتَلِ أبي عامِرٍ] :

قال ابنُ هشام :[1] وحَدّثَني مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ وحَديثُه أنّ أبا عامِرٍ الأشْعَرِيّ لَقِيَ يومَ أوْطاسٍ عشَرَةَ إخْوَةٍ من المُشْرِكينَ فَحَمَلَ عليه أحَدُهم فَحَمَلَ عليه أبو عامِرٍ وهو يَدْعُوه إلى الإسلام ويقول اللّهمّ اشْهَدْ عليه فَقَتَلَه أبو عامِرٍ ثُمّ حَمَلَ عليه آخَرُ فَحَمَلَ عليه أبو عامِرٍ وهو يَدْعُوه إلى الإسلام ويقول اللّهمّ اشْهَدْ عليه فَقَتَلَه أبو عامِرٍ ثُمّ جَعَلُوا يَحْمِلُونَ عليه رَجُلاً رَجُلاً ، ويَحْمِلُ أبو عامِرٍ ويقول ذلك حتى قَتَلَ تِسْعَةً وبَقِيَ العاشِرُ فَحَمَلَ على أبي عامِرٍ وحَمَلَ عليه أبو عامِرٍ وهو يَدْعُوه إلى الإسلام ويقول اللّهمّ اشْهَدْ عليه فَقال الرّجُلُ اللّهمّ لا تَشْهَدْ عَلَيّ فَكَفّ عنه أبو عامِرٍ فَأفْلَتَ ثُمّ أسْلَمَ بَعْدُ فَحَسُنَ إسلامُه . فَكان رسولُ الله ﷺ إذا رَآه قال هذا شَرِيدُ أبي عامِرٍ .

وَرَمَى أبا عامِرٍ أخَوانِ العَلاءُ وأوْفَى ابنا الحارِثِ من بني جُشَمِ بنِ مُعاوِيَةَ ، فأصابَ أحَدُهما قَلْبَه والآخَرُ رُكْبَتَه فَقَتَلاه . ووَلِيَ النّاسَ أبو مُوسَى الأشْعَرِيّ فَحَمَلَ عليهما فَقَتَلَهما ، فَقال رَجُلٌ من بني جُشَمِ بنِ مُعاوِيَةَ يَرْثِيهما .

إنّ الرّزِيّةَ قَتْلُ العَــــلاءِ ... وَأوْفَى جَمِيعًا ولَمْ يُسْنَدا

هما القاتِلانِ أبــا عامِرٍ ... وَقد كان ذا هَبّةٍ أرْبَدا

---

(١) مثل سابقه .

هما تَرَكاه لَـــدَى مَعْرَكٍ   كَأَنّ على عِطْفِهِ مُجْسَدا

فَلَم تَرَ في النّاسِ مِثْلَيْهِما   أقَلّ عِثارًا وأرْمَى يَـــدا

[نَهْيُ الرّسُولِ عن قتْلِ الضّعفاءِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدّثَني بَعْضُ أصْحابِنا : أنّ رسولَ الله ﷺ مَرّ يومَئِذٍ بامرأةٍ وقد قَتَلَها خالِدُ بنُ الوَليدِ والنّاسُ مُتَقَصّفُونَ عليها فَقال : «ما هذا ؟» فَقالُوا : امرأةٌ قَتَلَها خالِدُ بنُ الوَليدِ ؟ فَقال رسولُ الله ﷺ لِبَعْضِ مَن مَعَه «أَدْرِكْ خالِدًا ، فَقُلْ له : إنّ رسولَ الله ﷺ يَنْهاك أن تَقْتُلَ وليدًا أو امرأةً أوْ عَسيفًا» .

[شأنُ بِجادٍ والشّيماءِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [2] وحَدّثَني [٧٧/أ] بَعْضُ بني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال : يومَئِذٍ إن قَدَرْتُم على بِجادٍ - رَجُلٍ من بني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ - فَلا يُفْلِتَنّكُمْ ، وكان قد أحْدَثَ حَدَثًا فَلَمّا ظَفِرَ به المُسْلِمُونَ ساقُوه وأهلَه وساقُوا مَعَه الشّيْماءَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ عبدِ العُزّى أُخْتَ رسولِ الله ﷺ من الرّضاعَةِ فَعَنُفُوا عليها في السّياقِ فَقالتْ لِلْمُسْلِمينَ تَعَلَمُوا واللهِ أنّي لأُخْتُ صاحِبِكُمْ من الرّضاعَةِ فَلَم يُصَدّقُوها حتى أتَوْا بها إلى رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ : [3] فَحَدّثَني يَزِيدُ بنُ عُبَيْدٍ السّعْديّ ، قال فَلَمّا انْتُهِيَ بِها إلى رسولِ الله ﷺ قالتْ : يا رسولَ الله إنّي أُخْتُك من الرّضاعَةِ قال وما عَلامَةُ ذلك؟ قالتْ عَضّةٌ عَضَضْتَنيها في ظَهْري وأنا مُتَوَرّكَتُك ، قال فَعَرَفَ رسولُ الله ﷺ العَلامَةَ فَبَسَطَ لها رِداءَه فَأَجْلَسَها عليه وخَيّرَها ، وقال إن أحْبَبْتِ فَعِنْدي مُحَبّةٌ مُكْرَمَةٌ وإن أحْبَبْتِ أن أُمَتّعَك وتَرْجِعي إلى قَوْمِك فَعَلْتُ قِلتْ : بَلْ تُمَتّعُني وتَرُدّني إلى قَوْمي . فَمَتّعَها رسولُ الله ﷺ ورَدّها إلى قَوْمِها . فَزَعَمَتْ بنُو سَعْدٍ أنّه أعْطاها غُلامًا له يُقالُ له مَكْحُولٌ ، وجارِيَةً فَزَوّجَتْ أحَدَهما الأُخْرَى ، فَلَم يَزَلْ فيهم من نَسْلِهِما

---

(١) صحيح لغيره : سند ابن إسحاق ضعيف فيه جهالة من حدثه مع الإرسال ، وقد وصله كل من : عبد الرزاق في المصنف [١٠٢٤٢] وأحمد [١٧٨/٤] والنسائي في الكبرى [٨٦٢٧]وأبو داود [٢٦٦٩] وابن ماجه [٢٨٤٢] وابن حبان [٤٧٩١] وغيرهم من رواية أبي الزناد عن المرقع ابن صيفي عن جده رباح ، وهذا سند حسن ، وقد روي من طريق الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صيفي عن حنظلة الكاتب . وهذا خطأ من الثوري . قال ابن ماجه : قال أبو بكر بن أبي شيبة : [يخطئ الثوري فيه] وكذا قال أبو زرعة وأبو حاتم ، والصواب الإسناد الأول وللحديث شاهد من حديث ابن عمر ، رواه مسلم [١٧٤٤] وأحمد [٧٥،٢٣،٢٢/٢] وأبو عوانة [٦٥٨١-٦٥٨٤] والترمذى [١٥٦٩] وابن ماجه [٢٨٤١] وغيرهم .

(٢) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٧١/٢] من طريق ابن إسحاق وهذا إسناد مرسل وفيه جهالة من حدث ابن إسحاق .

(٣) مثل سابقه .

بَقيةٌ . قال ابنُ هشام :وأنزَلَ الله عزّ وجَلّ في يوم حُنَيْنٍ : **﴿لقد نَصَرَكُمُ الله في مَواطِنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ إذْ أعجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾** . . . إلى قَوْله **﴿وذلك جَزاءُ الكافرين﴾** .

قال ابنُ إسحاق :وهذه تَسميةُ مَن استُشْهِدَ يومَ حُنَيْنٍ من المُسلِمين . من قُرَيْشٍ ثُمّ من بني هاشِمٍ : أيْمَنُ بنُ عُبَيْدٍ . ومِن بني أسَدِ بنِ عبدِ العُزّى : يَزيدُ بنُ زَمْعَةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ ، جَمَحَ به فَرَسٌ له يُقالُ له الجَناحُ فَقُتِلَ . ومِن الأنصارِ : سُراقَةُ بنُ الحارثِ بنِ عَديّ من بني العَجْلانِ . ومِن الأشْعَرِيّين أبو عامِرٍ الأشْعَرِيّ .

ثُمّ جُمِعَتْ إلى رسولِ الله ﷺ سَبايا حُنَيْنٍ وأموالُها ، وكانَ على المَغانِمِ مَسعُودُ ابنُ عمرٍو الغِفاريّ ، وأمَرَ رسولُ الله ﷺ بالسَبايا والأموالِ إلى الجِعْرانَةِ ، فحُبِسَتْ بها .

وقالَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بن أبي سُلْمَى في يوم حُنَيْن :

لَوْلا الإلَـــه وعبدُه ولّيتُم ... حينَ اسْتَخَفَّ الرّعْبُ كُلّ جَبانِ

بالجِزْعِ يومَ حَبـا لَنا أقرانُنا ... وَسَـــوابحٌ يَكْبُــونَ لِلأذْقــــانِ[1]

من بَيْنِ ساعٍ ثَوْبُه في كَفّهِ ... وَمُقَـــطّرٍ بِسَنابِـــكٍ ولَبـــانِ

واللّـه أكْرَمَنـا وأظْهَرَ دينَنا ... وَأعَزّنا بِعِبـــادَةِ الرّحْمَــــنِ

واللّـه أهلَكَهم وفَرّقَ جَمْعَهم ... وَأذَلّهـــم بِعِبادَةِ الشّيْطانِ

قال ابنُ هشام :ويَرْوي فيها بَعْضُ الرّواةِ :

إذْ قـــامَ عَمّ نَبيّكُمْ وَوَليّهُ ... يَدْعُونَ يـــا لَكَتيبَةِ الإيمانِ

أيْنَ الذينَ هم أجابوا رَبّهم ... يومَ العُرَيْضِ وبَيْعَةِ الرّضْوانِ

قال ابنُ إسحاق : وقال عبّاسُ بنُ مِرداس في يوم حُنَيْن :

إنّي والسَوابِحَ يـــومَ جَمْعٍ ... وَمـــا يَتْلُو الرّسُولُ من الكِتابِ

لَقد أحْبَبْتُ ما لَقِيَتْ ثَقيفٌ ... بِجَنْبِ الشّعْبِ أمسِ من العَذابِ

هم رَأسُ العَدُوّ من اهْلِ نَجْدٍ ... فَقَتْلُهم ألَـــذّ مِــــنَ الشّرابِ

هَزَمنـــا الجَمْعَ جَمْعَ بني قَسِيّ ... وَحَـــكّتْ بَرْكَــها بِبَني رِئابِ[2]

وَصِرْمًا مِـــن هِلالٍ غادَرَتْهم ... بِأوطــــاسٍ تُعَفّرُ بالتّــرابِ

وَلَـــوْ لاقَيْنَ جَمْعَ بنـــي كِلابٍ ... لَقـــامَ نِساؤُهـــم والنّقْعُ كابي

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادي . حبا : اعترض . يكبون : يسقطن .

(٢) جمع : مزدلفة . البرك : الصدر . ويريد بحك الحرب بركها : شدة وطأتها .

رَكَضْنا الخَيْلَ فيهـــم بَيْنَ بُس — إلـــى الأوْرالِ[١] تَنحطُ بالنهابِ

بذي لَجَبٍ[٢] رسولُ الله فيهم — كَتيبتُه تَعَـــــرَّضُ للضِّـرابِ

قال ابنُ هشام : قَوْلُه «تُعَفِّرُ بالتّرابِ» : عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

فَأجابَه عَطيّةُ بنُ عُفَيْفٍ النّصْريّ فيما حدّثنا ابنُ هشامٍ ، فقال :

أفاخِرَةٌ رِفاعَـــةُ فــــي حُنَيْنٍ — وَعَبّاسُ بنُ راضِعَةِ اللّجابِ[٣]

فانّكَ والفِجارَ[٤] كَذاتِ مِرْطٍ — لِرَبّتِها وتَرْفُلُ [في] الإهـــابِ

قال ابنُ إسحاقَ : قال عَطيّةُ بنُ عُفَيْفٍ هذَيْنِ البَيْتَيْنِ لَمّا أكْثَرَ عَبّاسٌ على هَوازِنَ في يومِ حُنَيْنٍ [٧٧/ب] ورفاعةُ من جُهَيْنَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ :

يــــا خاتَمَ النّبآءِ إنّكَ مُرْسَلٌ — بالحَقّ كُلّ ، هُدَى السّبيلِ هُداكا

إنّ الإلـــــهَ بنَى عَلَيْك مَحَبّةً — فـــي خَــلْقِه ومُحَمّدًا سَمّـــاكا

ثُمّ الذينَ وفَوْا بمـــا عاهَدْتَهم — جُنْدٌ بَعَثْتَ عليهـــم الضّحّاكا

رَجُلاً بـــه ذَرَبُ السّلاحِ كأنّهُ — لَمّـــا تَكَنّفَه العَـــدُوّ يَراكا

يَغْشَى ذَوي النّسَبِ القَريبِ وإنّما — يَبْغِي رِضا الرّحْمَـــنِ ثُمّ رِضـــاكا

أُنْبيكَ أنّي قـــد رَأيْتُ مَكَرّهُ — تَحْتَ العَجاجَـــةِ يَدْمَغُ الإشْراكا

طَوْرًا يُعانِقُ باليَدَيْنِ وتـــارَةً — يَفْري الجَماجِمَ صــــارِمًا بَتّاكا

يَغْشَى به هامَ الكُماةِ ولَـــوْ تَرَى — مِنْه الذي عايَنْتُ كـــان شِفاكا

وَبنُـــو سُلَيْم مُعْنِقُونَ أمــامَهُ — ضَرْبًا وطَعْنًا فـــي العَدُوّ دِراكا[٥]

يَمْشُونَ تَحْـــتَ لِوائِه وكأنّهـــم — أُسْدُ العَرينِ أرَدْنَ ثَـــمّ عِراكا

ما يَرْتَجُونَ مـــن القَريبِ قَرابَةً — إلاّ لِطاعَةِ رَبّهـــم وهَـــواكا

هذي مَشاهِدُنا التـــي كانَـــتْ — لَنـــا مَعْرُوفَةً ووَلِيّنا مَـــوْلاكا

---

(١) الأورال : أجبل ثلاثة سود .

(٢) بذي لجب : بجيش كثير الأصوات .

(٣) اللجاب : الشاة القليلة اللبن .

(٤) الفجار : المفاخرة .

(٥) معنقون : مسرعون . ودراك :متتابع .

وَقال عبّاسُ بنُ مِرداسٍ أيضًا :

إمّــا تَرَيْ يا أُمّ فَرْوَةَ خَيلَنــا ... منها مُعَطَّلَةٌ تُقــادُ وظُلَّــعُ
أوْهَى مُقارَعَةُ الأعــادي دَمّها ... فيها نَوافِذُ مــن جِراحٍ تَنْبَعُ
فَلَرُبّ قائِلَةٍ كَفاهــا وقْعُنــا ... أزَمَ الحُرُوبِ فَسِرْبُهــا لا يُفْزَعُ
لا وفْدَ كالوَفْدِ الأُلَى عَقَدُوا لَنـا ... سَبَبًا بِحَبْـلِ مُحَـمّدٍ لا يُقْطَعُ
وَفْدٌ أبــو قَطَنٍ حُزابَةُ منهــم ... وَأبــو الغُيُوثِ وواسِعٌ والمِقْنَعُ
والقائِدُ المِئَةُ التي وفّــى بِهــا ... تِسْــعَ المِئِينَ فَتَمّ ألْفٌ أقْرَعُ[1]
جَمَعَتْ بنُو عَوْفٍ ورَهْطُ مُخاشِنٍ ... سِتًّا وأَجْلُبُ من خُفافٍ[2] أرْبَعُ
فَهُنــاكَ إذْ نُصِرَ النّبيّ بِأَلْفِنا ... عَقَدَ النّبيّ لَنــا لِــواءً يَلْمَعُ
فُزْنــا بِرايَتِهِ وأوْرَثَ عَقْدُهُ ... مَجْدَ الحَيــاةِ وسُودَدًا لا يُنْزَعُ
وَغَداةَ نحن مــع النّبيّ جَناحُهُ ... بِبِطاحِ مَكّــةَ والقَنــا يَتَهَزّعُ
كانَتْ إجابَتُنا لِداعــي رَبِّنــا ... بِــالحَقّ مِنّــا حاسِرٌ ومُقَنّعُ
فــي كُلّ سابِغَةٍ تَخَيّرَ سَرْدَها ... داوُدُ نَسْجَ الحَديــدَ وتُبّعُ
وَكنا عــلى بِئْرَيْ حُنَيْنٍ مَوْكِبٌ ... دَمَغَ النّفاقَ وهَضْبَةٌ مــا تُقْلَعُ
نُصِرَ النّبيّ بِنــا وكُنّــا ... مَعْشَرًا في كُلّ نائِبَةٍ نَضُرّ ونَنْفَــعُ
ذُدْنــا غَداةَ إذْ هَوازِنَ بِالقَنا ... والخَيْلُ يَغْمُرُها عَجاجٌ يَسْطَــعُ
إذْ خــافَ حَدّهم النّبيّ وأسْنَدُوا ... جَمْعًا تَكادُ الشّمسُ مِنْــه تَخَشّعُ
تُدْعَى بنُو جُشَمٍ وتُدْعَى وسْطَهُ ... أفْناءُ نَصْرٍ والأسِنّــةُ شُــرّعُ
حتى إذا قــالَ الرّسُولُ مُحَمّدٌ ... أبَنِي سُلَيْمٍ قد وفَيْتُم فارْفَعُــوا
رُحْنا ولَوْلا نحن أجْحَفَ بَأْسُهــم ... بِالمُؤْمِنِينَ وأحْرَزُوا ما جَمّعُــوا

وقال عبّاسُ بنُ مِرداسٍ أيضًا في يوم حُنَيْنٍ :

عَفا مِجْدَلٌ مــن أهلِهِ فَمُتالِعُ ... فَمِطْلا أرِيكٍ قــد خَلا فالمَصانِعُ
ديارٌ لَنا يــا جُمْلُ إذْ جُلّ عَيْشِنا ... رَخِيّ وصَرْفُ الدّارِ لِلْحَيّ جامِعُ[3]

---

(١) ألف أقرع : أي تام لا ينتقص منه شئ .
(٢) خفاف : اسم رجل تنسب إليه القبيلة .
(٣) جمل : اسم امرأة . عيش رخي : ناعم . صرف الدار : الخطب النازل بها .

حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بِهـا غُرْبَةُ النَّوَابِيْن ... فَهَلْ ماضٍ مـــن العَيْشِ راجعُ
فَإن تَبْتَغِي الكُفّارَ غَيْرَ مَـــلُومَةٍ ... فَإِنّي وزيرٌ لِلنّـــــبيّ وتـــابعُ
دَعانا إلَيْهِم خَيْرُ وفْـــدٍ عَلِمتُهم ... خُزَيْمَةُ والمَرّارُ منهـــــم وواسعُ
فَجِئْنا بألفٍ من سُلَيْم عليهِـــم ... لَبوسٌ لهم مـــن نَسْجِ داوُدَ رائعُ
نُبايعُـــه بالأخْشَبَيْنِ وإنّمـــا ... يَدَ اللّـــه بَيْنَ الأخْشَبَيْنِ نُبايعُ
فَجُسْنا مـــع المَهْديِّ مَكّةَ عَنْوَةً ... بأسيافِنا والنَّقْعُ كابٍ وسـاطعُ[1]
عَلانيَةً والخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهـــا ... حَميمٌ وآنٍ مـن دَمِ الجَوْفِ ناقعُ
وَيومَ حُنَيْنٍ حيـنَ سارَتْ هَوازِنُ ... إلَيْنا وضاقَتْ بِالنُّفُوسِ الأضالعُ
صَبَرْنا مـــع الضَّحّاكِ لا يَسْتَفِزُّنا ... قِراعُ الأعادي منهـــم والوَقائعُ
أمامَ رسولِ اللّـــه يَخْفِقُ فَوْقَنا ... لِواءٌ كَخُذْرُوفِ السحـابَةِ لامِعُ
عَشيّةَ ضَحّاكُ بنُ سُفيانَ مُعْتَصٍ ... بِسَيْفِ رسولِ الله والمَوْتُ كانِعُ[2]
نَذُودُ أخانا عـن أخينا ولَوْ نَرَى ... مَصالاً لَكُنّا الأقْرَبِينَ نُتـــابِعُ
وَلكِنّ دينَ اللّـه ديــــنُ مُحَمّدٍ ... رضينا به فيه الهُدَى والشّرائعُ [٧٨/أ]
أقامَ به بعــــد الضَّلالَةِ أمرَنا ... وَليس لأمرٍ حَمّهُ اللّـــــه دافِعُ

وقال عبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيضًا في يوم حُنَيْنٍ:

تَقَطّعَ باقي وصْـــلِ أُمّ مُؤَمّـــلِ ... بعاقِبَةٍ واسْتَبْدَلَتْ نيّةً خُلْفــــا
وَقد حَلَفَتْ باللّــــه لا تَقْطَعُ القُوَى ... فَما صَدَقَتْ فيــــه ولا بَرّتِ الحَلْف
خُفـــافيّةٌ بَطْنُ العَقيقِ مَصيفُهـــا ... وَتَحْتَلّ فـــي البادينَ وجْرَةَ فالعُرْفا
فَإن تَتْبَعِ الكُفّـــارَ أُمّ مُؤَمّــــلِ ... فقد زَوّدَتْ قَلْبي علـــى نَأْيِها شَغْفا
وَسَوْفَ يُنَبّيهـــا الخَبيرُ بأنّنــــا ... أبَيْنا ولمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبّنـــا حِلْفا
وَأنّا مـــع الهـــادي النّبيّ مُحَمّدٍ ... وَفَيْنا ولـــم يَسْتَوْفِها مَعْشَرٌ ألْفـــا
بِفِتْيـــانِ صِدْقٍ مـــن سُلَيْمٍ أعِزّةٍ ... أطاعُوا فَما يَعْصُونَ مـــن أمرِه حَرْفا
خُفـــافٌ وذَكْوانٌ وعَوْفٌ تَخالُهُـــم ... مَصاعِبَ زافَتْ فـــي طَرُوقَتِها كُلْفا

---

(١) فجسنا: وطئنا. المهدي: النبي ﷺ. النقع: العبار. كاب: مرتفع. ساطع: متفرق.
(٢) معتص: ضارب. كانع: دان.

كأنَّ النَّسيجَ الشُّهبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أُسودًا تلاقَتْ في مَراصِدِها غُضُفا(١)
بنا عَزَّ دينُ اللّهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... وَزِدْنا على الحَيِّ الذي مَعَه ضِعْفا
بمَكَّةَ إذْ جِئْنا كأنَّ لِواءَنا ... عُقابٌ أرادَتْ بعدَ تَحْليقِها خَطْفا
على شُخَّصِ الأبصارِ تَحسِبُ بَيْنَها ... إذا هِيَ جالتْ في مَراوِدِها عَزْفا
غَداةَ وطِئْنا المُشْركينَ ولَمْ نَجِدْ ... لأمرِ رسولِ اللّهِ عَدْلاً ولا صَرْفا
بمُعْتَرَكٍ لا يَسْمَعُ القَوْمُ وسْطَهُ ... لَنا زَجْمَةٌ إلاّ التَّذامُرَ والنَّقْفا(٢)
بِبيضٍ نُطيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ... وَنَقْطِفُ أعْناقَ الكُماةِ بِها قَطْفا
فَكائِنْ تَرَكْنا مِن قَتيلٍ مُلَحَّبٍ ... وأَرْمَلَةٍ تَدْعُو على بَعْلِها لَهْفا
رِضا اللهِ نَنْوي لا رِضا النّاسِ نَبْتَغي ... وَلِلّهِ ما يَبْدُو جَميعًا وما يَخْفَى

وقال عبّاس بن مرداس أيضًا:

ما بالُ عَيْنِكَ فيها عائِرٌ سَهِرٌ ... مِثْلُ الحَماطَةِ أغْضَى فَوْقَها الشُّفُرُ(٣)
عَيْنٌ تَأَوَّبَها مِن شَجْوِها أَرَقٌ ... فالماءُ يَغْمُرُها طَوْرًا ويَنْحَدِرُ(٤)
كأنّه نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ ناظِمَةٍ ... تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْه فهو مُنْتَثِرُ
يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَن تَرْجُو مَوَدَّتَهُ ... وَمَن أَتَى دُونَه الصَّمّانُ فالحَفَرُ
دَعْ ما تَقَدَّمَ من عَهْدِ الشَّبابِ فقد ... وَلّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ(٥)
واذْكُرْ بَلاءَ سُلَيْمٍ في مَواطِنِها ... وَفي سُلَيْمٍ لأهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ هم نَصَرُوا الرَّحْمَنَ واتَّبَعُوا ... دينَ الرَّسُولِ وأَمْرُ النّاسِ مُشْتَجِرُ
لا يَغْرِسُونَ فَسيلَ النَّخْلِ وسْطَهم ... وَلا تَخاوَرُ في مَشْتاهم البَقَرُ
إلاّ سَوابِحَ كالعِقْبانِ مَقْرَبَةً ... في دارَةٍ حَوْلَها الأَخْطارُ والعَكَرُ

---

(١) النسيج: الدروع. الشهب: جمع شهباء وهي التي يخالط بياضها حمره. غضف: مسترخية الآذان.

(٢) المعترك: موضع الحرب. زجمة: أي صوت. التذامر: أن يحض بعضهم بعضًا على القتال. النقف: كسر الرءوس.

(٣) العائر: كل ما أعل العين من رمد أو قذى. أغضى فوقها: أغمض جفن عليها. الشفر: أصل منبت الشعر في الجفن.

(٤) تأوبها: جاءها من الليل. الشجو: الحزن. الماء: الدمع: يغمرها: يغطيها.

(٥) الزعر: قلة الشعر.

تُدعَى خُفافٌ وعوْفٌ في جَوانِبِها ... وَحَيِّ ذَكْوانَ لا ميــلٌ ولا ضُجُرُ[١]

الضاربونَ جُنُودَ الشِّركِ ضــاحيَةً ... ببطنِ مَكــــةَ والأرواحُ تَبْتَدِرُ

حتـــى دَفَعْنا وقتلاهم كأنّهــــم ... نَخْلٌ بظاهِرَةِ البَطْحـــاءِ مُنقَعِرُ

وَنحن يومَ حُنَيْنٍ كــان مَشْهَدُنا ... لِلدِّينِ عِزًا وعند اللّـــه مُدّخَرُ

إذ نَرْكَبُ المَوْتَ مُخْضَرًا بطائنُـــهُ ... والخَيْلُ ينجابُ عنهـا ساطِعٌ كَدِرُ

تَحتَ اللِّواءِ مع الضحّاكِ يَقْدُمُنـا ... كَمامَشَى اللَّيثُ في غاباتِه الخَدِرُ

في مَأزِقٍ من مَجَرِّ الحَرْبِ كَلْكَلُها ... تكادُ تأفِلُ مِنــه الشمسُ والقَمَرُ

وَقـــد صَبَرْنا بأَوْطاسٍ أسِنّتَنا ... لله نَنصُرُ مَــــن شِئْنا ونَنْتَصِرُ

حتـــــى تأوّبَ أقوامٌ مَنازِلَهم ... لَوْلا المَليكُ ولَوْلا نحن ما صَدَرُوا

فَـــا تَرَى مَعْشَرًا قَلّوا ولا كَثُرُوا ... إلاّ قَدَ اضبَحَ مِنّا فيهـــم أثَرُ

وقال عَبّاسُ بنُ مِرداسٍ أيضًا :

يأيها الرَّجُلُ الـــــذي تَهْوي بِهِ ... وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَنـاسِمِ عِرْمِسُ

إمّا أتَيْتَ عـــلى النبيّ فَقُلْ لَـــهُ ... حَقًا عَلَيْكَ إذا اطْمَـأنّ المَجْلِسُ

يا خَيْرَ مَن رَكِبَ المَطيّ ومَن مَشَى ... فَوْقَ الترابِ إذا تُعَـــدّ الأنْفُسُ

إنّا وفَيْنا بِالـــــذي عاهَدْتَنا ... والخَيْلُ تُقْــدَعُ بالكُماةِ وتُضْرَس [٧٨/ب]

إذا سال مــــن أفناءِ بُهْثَةَ كُلّها ... جَمعٌ تَظَلّ بــه المَخارِمُ تَرْجُسُ[٢]

حتى صَبَحْنا أهلَ مَكَــــةَ فَيلَقًا ... شَهباءَ يَقْدُمُها الهمـــامُ الأشْوَسُ

من كُلّ أغْلَبَ مـــن سُلَيْمٍ فَوْقَهُ ... بَيْضاءُ مُحْكَمَةُ الدّخـالِ وقَوْنَسُ

يُرْوي القَناةَ إذا تَجاسَرَ فـي الوَغَى ... وَتَخالُه أسَدًا إذا مــــا يَعْبِسُ

يَغشَى الكَتيبَةَ مُعْلِمًا وبِكَفِّــــهِ ... عَضْبٌ يَقُدّ به ولَدْنٌ مِدعَسُ[٣]

وَعلى حُنَيْنٍ قد وفَى مـــن جَمعِنا ... ألْفٌ أُمِدّ بـه الرّسُولُ عَرَنْدَسُ[٤]

(١) خفاف وعوف وزكوان : قبائل .

(٢) سال : ارتفع . بهثة : حي من سليم . المخارم : الطرق في الجبال . ترجس : تهتز وتتحرك .

(٣) عضب : سيف قاطع . لدن : لين يقصد به الرمح . مدعس : طعان .

(٤) عرندس : شديد .

كانوا أمـــــامَ المُؤْمِنينَ دَرِيئَةً ... والشَمسُ يومَئِذٍ عليهِـم أَشْمُسُ[1]

نَمضي ويَحْرُسُنا الإلَـــه بحِفظِهِ ... واللهِ ليس بضائعٍ مَـــن يَحْرُسُ

وَلَقد حُبِسنا بالمَناقِبِ مَحْبِسًـــا ... رَضِيَ الإلَه بــــه فَنِعْمَ المَحْبِسُ

وَغَداةَ أَوْطــاسٍ شَدَدْنا شَدّةً ... كَفَتِ العَدُوّ وقيلَ منها : يحْبِسُوا

تَدْعُو هَوازِنُ بالإخـــاوَةِ بَيْنَنا ... ثَدْيٌ تَمُدّ بـــه هَوازِنُ أَيْبَسُ

حتى تَرَكْنا جَمعَهم وكأنّــــهُ ... عَـــيْرٌ تَعاقَبَه السّبــاعُ مُفَرّسُ

قال ابنُ هشام :أنْشَدَني خَلَفٌ الأحْمَرُ قَوْلَه «وقيلَ منها يحْبِسُوا» .

قال ابنُ إسحاقَ :

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ لَهُ ... بألْفِ كَمِيّ لا تُعَـــدّ حَواسِرُهْ

حَمَلْنا له في عامِـــلِ الرّمحِ رايَةً ... نزودُ بها في حَوْمَةِ المَوْتِ ناصِرُهْ

وَنحن خَضَبْناها دَمًـــا فَهْوَ لَوْنُها ... غَداةَ حُنَيْنٍ يومَ صَفوانُ شاجِرُهْ

وَكُنّا على الإسلامِ مَيْمَنَةً لَـــهُ ... وَكان لَنـــا عَقْدُ اللّواءِ وشاهِرُهْ

وَكُنّا لَـــه دُونَ الجُنُودِ بِطانَةً ... يُشاوِرُنا فـــي أمرِه ونُشاوِرُهْ

دَعانـا فَسَمّانا الشّعارَ[2] مُقَدّمًا ... وَكُنّا له عَوْنًا عـــلى مَن يُناكِرُهْ

جَزَى اللّـــه خيْرًا من نَبيّ مُحَمّدًا ... وَأيّدَه بالنّصرِ واللّـــه ناصِرُهْ

قال ابنُ هشام :أنشَدَني من قَوْلِه «وكُنّا على الإسلام» إلى آخِرِها ، بَعْضُ أهـلِ العِلْمِ بالشّعْرِ ولَمْ يَعْرِفِ البَيْتَ الذي أَوّلُه«حَمَلْنا له في عامِلِ الرّمحِ رايَةً «وأنْشَدَني بعد قَوْلِه«وكان لَنا عَقْدُ اللّواءِ وشاهِرُهْ «ونحن خَضَبْناه دَمًا فهو لَوْنُهُ» .

قال ابنُ إسحاقَ :وقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ أيضًا :

مَـــــن مُبْلِغُ الأقْوامِ أنّ مُحَمّدًا ... رسولَ الإلَـــه راشِدٌ حَيْثُ يَمّما

دَعا رَبّه واسْتَنْصَرَ اللّــــهَ وحْدَهُ ... فَأصْبَحَ قـــد وفّى إلَيْــــه وأنْعما

سَرَيْنا وواعَدْنــــا قُدَيْدًا مُحَمّـدًا ... يَؤُمّ بنا أمرًا مــــن اللّــه مُحْكَمَا

تَمارَوْا بنا فـــي الفَجْرِ حتى تَبَيّنُوا ... مَعَ الفَجْرِ فِتيانًا وغابًا مُقَوّمًـــا[3]

---

(١) دريئة : مدافعه . أشمس : جمع شمس .

(٢) الشعار : ما ولي جسد الإنسان من الثياب فاستعاره هنا لبطانته وخاصته .

(٣) تماروا بنا : سكوا فينا . والغاب هنا : الرماح .

على الخَيْلِ مَشْدُودًا عَلَيْنا دُرُوعُنـا وَجيشا كَدُفَاعِ الأتِيِّ عَرَمْرَمـــا[1]
فإنّ سَراةَ الحَيِّ إن كُنْتَ سـائِلاً سُلَيْمٌ وفيهم منهم مَـــن تَسَلّما
وَجُنْدٌ مـــن الأنصارِ لا يَخْذُلُونَهُ أطاعُوا فَما يَعْصُونَه مـــا تَكَلّما
فإن تَكُ قد أمّرْتَ في القَوْمِ خالِدًا وَقَدّمتَه فإنّـــه قـــد تَقَدّما
بِجُنْدٍ هَداه اللّـــه أنتَ أميرُهُ تُصيبُ به في الحَقِّ مَن كان أظْلَمـا
حَلَفْتُ يَمينـا بَرّةً لِمُحَمّـــدٍ فأكْمَلْتُها ألفًا من الخَيْلِ مُلْجَمـا
وَقـــال نَبِيُّ المُؤْمِنينَ تَقَدّمُوا وَحُبّ إلَيْنا أن نَكُونَ المُقَدّمـا
وَبِتْنا بِنَهْيِ المُسْتَديرِ ولَـــم يَكُن بِنا الخَوْفُ إلاّ رَغْبَةً و تَحَزّمـــا
أطَعْناكَ حتى أسْلَمَ النّاسُ كُلّهُـــم وَحتى صَبَحْنا الجَمْعَ أهلَ يَلَمْلَمـــا[2]
يَضِلّ الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وسْطَهُ وَلا يَطْمَئِنّ الشّيْخُ حتى يُسَوّمـــا [٧٩/أ]
سَمَوْنا لهـــم وِرْدَ القَطـــا زَفّهُ ضُحًى وكُلّ تَراه عن أخيه قَدَ احْجَما[3]
لَدُن غُدْوَةً حـــتى تَرَكْنا عَشِيّةً حُنَيْنًا وقـــد سالتْ دَوافِعُه دَما[4]
إذا شِئْتَ مـــن كُلّ رَأيْتَ طِمِرّةً وَفارِسَها يَهْوِي ورُمحًا مُحَطّمـــا
وَقد أحْرَزَتْ مِنّا هَوازِنُ سَرْبَهـــا وحُبّ إلَيْها أن نَخيبَ ونُحْرَمـــا[5]

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال ضَمْضَمُ بنُ الحارثِ بن جُشَمِ بن عبدِ بن حَبيبِ بن مالِكِ بن** عَوْفِ بنِ يَقَظَةَ بنِ عُصَيّةَ السُلَمِيّ في يوم حُنَيْنٍ ، وكانَتْ ثَقيفُ أصابَتْ كِنانَةَ بنَ الحَكَمِ بنِ خالِدِ ابنِ الشّريدِ ، فَقَتَلَ به مِحْجَنًا وابنَ عمّ له وهما من ثَقيفٍ :

نحن جَلَبنا الخَيْلَ مـن غَيْرِ مَجْلَبٍ إلى جُرَشٍ من أهلِ زَيّانَ والفَمِ
نُقَتّلُ أشْبالَ الأُسُـــودِ ونَبْتَغي طَواغِيَ كـــانَتْ قَبْلَنا لَمْ تُهَدّمِ
فَإن تَفْخَرُوا بابنِ الشّريـــدِ فإنّني تَرَكْتُ بِوَجّ مَأتمًا بعـــدَ مَأتَمِ

---

(١) رجلا : مشاة . الآتي : السيل يأتي من بلد إلى بلد . دفاعه : ما يدفعه أمامه . العرمرم : الكثير الشديد .
(٢) يلملم : تقال الحاج القادم من جهة اليمين وهو جبل .
(٣) سمونا لهم : نهضنا لقتالهم . القطا : طائر معروف . أحجم عن أخيه : شُغل عنه .
(٤) دوافعه : مجاري السيول فيه .
(٥) السرب : المال الراعي .

أبَأْتُهما بابنِ المثريـــــدِ وغَرَّهُ جِوارُكُم وكـــان غَيْرَ مُـذَمَّمِ
تُصيبُ رِجالاً من ثقيفٍ رِماحُنا وَأَسيافُنا يَكْلِمْنَــهم كُلَّ مَكْلَمِ

وَقال ضَمضَمُ بنُ الحارثِ أيضًا :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ ذَوي الحَلائِلِ آيَةً لا تَأمَنَنَّ الدَّهْرَ ذاتَ خِمارِ
بعد التي قالتْ لِجارَةِ بَيْتِها قد كُنْتُ لَوْ لَبِثَ الغَزِيّ بِدارِ
لَمَّا رَأَتْ رَجُلاً تَسَفَّعَ لَوْنَهُ وَغْرُ المَصيفَةِ والعِظامُ عَواري[1]
مُشُطَ العِظامِ تَراه آخِرَ لَيْلِهِ مُتَسَرْبِلاً فـي دِرْعِه لِغِـوارِ
إذْ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ جَوداءَ تُلْحِقُ بالنِّجـادِ إزاري
يومًا على أثَرِ النِّهابِ وتـارَةً كُتِبَتْ مُجاهِدَةً مـع الأنصارِ
وَزُهاءَ كُلِّ خَميلَةٍ أزْهَقْتُها مَهلاً تَمَهَّلُه وكُلِّ خَبـارِ
كَيْا أُغَيِّرَ ما بِها من حـاجَةٍ وَتَوَدَّ أنِّي لا أَؤُوبُ لِجـارِ

قال ابنُ هشام :حَدَّثني أبو عُبَيْدَةَ قال أُسِرَ زُهَيْرُ بنُ العَجْوَةِ الهُذَلِيّ يومَ حُنَيْنٍ فَكُتِّفَ فَرَآه جَميلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِيّ ، فَقال له أأنتَ الماشي لَنا بالمَغايظِ ؟ فَضَرَبَ عُنُقَه ؟ فَقال أبو خِراشٍ الهُذَلِيّ يَرْثيه وكان ابنَ عمه

عَجَفَ أضيافي جَميلُ بـنُ مَعْمَرٍ بِذي فَجَرٍ تَأوي إلَيْـه الأرامِلُ[2]
طَويلِ نِجادِ[3] السَّيفِ ليس بِجَيْدَرٍ إذا اهْتَزَّ واسْتَرْخَتْ عليه الحَمائِلُ
تَكادُ يَـداه تُسْلِمانِ إزارَهُ من الجُودِ لَمَّـا أذْلَقَتْه الشَّمائِلُ
إلى بَيْتِه يَأوي الضَّريكُ[4] إذا شَتا وَمُسْتَنْبِحٌ بـالي الدَّريسَيْنِ عائِلُ
تَرَوَّحَ مَقْرُورًا وهَبَّتْ عَشيَّـةً لَهـا حَدَبٌ تَحْتَثُّه فَيُوائِلُ
فَما بالُ أهلِ الدّارِ لَـم يَتَصَدَّعُوا وَقد بانَ منها اللَّوْذَعيّ الحُلاحِلُ
فَأُشهِدُ لَـوْ لاقَيْتَه غَيْرَ مُوثَقٍ لآبَكَ بالنَّعْفِ الضِّباعُ الجَيائِلُ
وَإِنَّكَ لَوْ واجَهْتَـه أو لَقيته فَنازَلْته أوْ كُنْتَ مِمَّـن يُنازِلُ

---

(١) تسفع لونه : أي غيّره سواد بحمرة . الوغر : شدة الحر . المصيفة: الأرض اشتد حرها .
(٢) الفجر : الجود والكرم . الأرامل : المحتاجون .
(٣) النجاد : حمائل السيوف .
(٤) الضريك : الفقير .

لَظَلّ جَميلُ أفْحَشَ القَـوْمِ صِرْعَةً وَلَكِن قِرْنَ الظَهْرِ لِلْمَرْءِ شاغِـــلُ
فَليس كَعَهْدِ الدّارِ يـــا أُمّ ثابتٍ وَلَكِن أحاطَتْ بِالرِّقابِ السّلاسِلُ
وَعادَ الفَتَى كالشّيْخِ ليس بِفاعِـلٍ سِوَى الحَقّ شيئًا واسْتَرَاحَ العَواذِلُ
وَأَصْبَحَ إخْوانُ الصّفاءِ كَأنّمـــا أمال عليهم جانِبَ التّرْبِ هائِـلُ
فَلا تَحْسَبي أنّي نَسيتُ لَيالِيـــا بِمَكّةَ إذْ لَـــــم نَعْدُ عنا نُحاوِلُ
إذِ النّاسُ ناسٌ والبِـــلادُ بِغِرّةٍ وَإِذْنحن لا تُثْني عَلَيْنـــا المَداخِلُ [٧٩/ب]

قال ابنُ إسحاق :

مَنَعَ الرُّقادَ فَمـا أُغَمِّضُ ســاعَةً نَعَمٌ بِأجْزاعِ الطّرِيقِ مُخَضْـرَمُ
سائِلْ هَوازِنَ هَلْ أضُرّ عَدُوّها وَأُعِينُ غارِمَهـــا إذا ما يَغْرَمُ
وَكَتيبَةٍ لَبّسْتُهــــــا بِكَتيبَةٍ فِئَتَيْنِ منهـــا حاسِرٌ ومُـلأَّمُ
وَمُقَدّمٍ تَعْيـــا النّفُوسُ لِضيقِهِ قَدّمته وشُهُودُ قَوْمي أعْـــلَمُ
فَوَرَدْته وتَرَكْـتُ إخْوانًا لَـــهُ يَرِدُونَ غَمْرَتَه وغَمْرَتُـــه الدّمُ
فإذا انْجَلَتْ غَمَراتُه أوْرَثْنَــــني مَجْدَ الحَياةِ ومَجْدَ غُنْمٍ يُقْسَـمُ
كَلّفْتُمُوني ذَنْبَ آلِ مُحَمّـــــدٍ والله أعْلَمُ مَن أعَقّ وأظْـــلَمُ
وَخَذَلْتُمُوني إذْ أُقاتِلُ واحِــدًا وَخَذَلْتُمُوني إذْ تُقاتِلُ خَثْعَـمُ
وَإذا بَنَيْتُ المَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لا يَسْتَوي بانٍ وآخَــرُ يَهْدِمُ
وَأقَبّ مِخْماصِ الشّتاءِ مُسارِعٍ في المَجْدِ يَنْمي لِلْعُلَى مُتَكَرّمُ(١)
أكْرَهْتُ فيــــه ألّــةً يَزَنِيّةً سَحْماءَ يَقْدُمُها سِنانٌ سَلْجَمُ(٢)
وَتَرَكْتَ حَنّتَـــه تَرُدّ وليّـهُ وَتَقُولُ ليس على فُلانَةَ مَقْدَمُ
وَنَصَبْتُ نَفْسي لِلرّماحِ مُدَجّجًا مِثْلَ الدّريّةِ تُسْتَحَـلّ وتُشْرَمُ

قال ابنُ إسحاق : **وقال قائِلٌ في هَوازِنَ أيضًا ، يَذْكُرُ مَسيرَهم إلى رسولِ الله ﷺ مع مالكِ بن عَوْفٍ بعد إسلامِه .**

---

(١) الأقب : الضامر الخصر . المخماص : الضامر البطن .
(٢) الألة : الحربة . سحماء : سوداء العصا . سنان سلجم : أي طويل .

[أذكرْ مَسيرَهم لِلناسِ إذ جَمَعُـــوا ... وَمالكٌ فَوْقَه الرَّايــاتُ تَخْتَفِقُ]

وَمالِكُ مالكٌ مـــــا فَوْقَه أحَدٌ ... يومَ حُنَيْنٍ عـــليه التّاجُ يَأْتَلِقُ

حتى لَقُوا البأسَ حينَ البأسُ يَقْدُمُهم ... عليهم البيضُ والأبْدانُ والدَّرَقُ

فَضارَبوا النّاسَ حتى لَــم يَرَوْا أحَدًا ... حَوْلَ النَّبيِّ وحتى جَنّه الغَسَقُ

ثُمّتَ نُزِّلَ جبْرِيلُ بِنَصْرِهِـــم ... مـــن السّماءِ فَمَهْزُومٌ ومُعْتَنَقُ

مِنّا ولَـــوْ غَيْرُ جِبْرِيلٍ يُقاتِلُنا ... لَمَنَعَتْنـــا إذَن أسيافُنا العُتُقُ

وَفاتَنا عُمَرُ الفارُوقُ إذ هُزِمُـــوا ... بِطَعْنَةٍ بَلّ منهـا سَرْجَه العَلَقُ

وقالت امرأةٌ من بني جُشَم تَرْثي أخَوَيْنِ لها أُصيبا يومَ حُنَيْنٍ :

أعَيْنَيّ جُودا على مالكٍ ... مَعًا والعَلاءِ ولا تَجْمُـدا[1]

هما القاتِلانِ أبا عــامِرٍ ... وَقد كــان ذا هَبّةٍ أرْبَدا

هما تَرَكاه لَدَى مُجْسَـدٍ ... يَنُوءُ نَزِيفًا ومـــا وُسّدا

وقال أبو ثَوابٍ زَيْدُ بنُ صُحارٍ ، أحَدُ بني سَعْدِ بن بَكْرٍ :

ألا هَـلْ أتاكَ أن غَلَبَتْ قُرَيْشٌ ... هَوازِنَ والخُطُوبُ لهـــا شُرُوطُ

وَكُنّا يـا قُرَيْشُ إذا غَضِبنـــا ... يَجيءُ من الغِضابِ دَمٌ عَبيطُ[2]

وَكُنّا يـا قُرَيْشُ إذا غَضِبنـــا ... كأنّ أُنُوفَنا فيهـــا سَعُوطُ

فَأصْبَحْنـــا تَسَوّقُنا قُرَيْشٌ ... سِياقَ العيرِ يَحْدُوهـــا النّبيطُ

فَلا أنا إن سُئِلْتُ الخَسْفَ آتٍ ... وَلا أنا أن أَلينَ لهـــم نَشيطُ

[سَيُنْقَلُ لَحْمُها فـــي كُلّ فَجٍّ ... وَتُكْتَبُ في مَسامِعِهـا القُطُوطُ

وَيُرْوَى «الخُطُوطُ» ، وهذا البَيْتُ في رِوايَةِ أبي سَعْدٍ] .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ أبو ثَوابٍ زِيادُ بنُ ثَوابٍ . وأنشَدَني خَلَفٌ الأحْمَرُ قَوْلَه «يَجيءُ من الغِضابِ دَمٌ عَبيطُ» ، وآخِرَها بَيْتًا عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَأجابَه عبدُ الله بنُ وهْبٍ رَجُلٌ من بني تَميمٍ ، [ثُمّ] من بني أُسَيْدٍ فَقال :

---

(١) لا تجمدا : لا تبخلا بالدموع .

(٢) الدم العبيط : الطري .

بِشَرْطِ الله نَضْرِبُ مَن لَقِينا ... كَأَفْضَلِ ما رَأَيْتَ من الشُّرُوطِ
وَكُنّا يا هَوازِنُ حينَ لَهـا نَلْقى ... نَبَلّ الهامَ من عَلَقٍ عَبِيـطِ
بِجَمعِكُمْ وجَمعِ بنـي قَسِيِّ ... نَحُكّ البَرْكَ كالوَرَقِ الخَبِيطِ
[أَصَبنا من سَراتِكُمْ ومِلْنـا ... بِقَتْلٍ فـي المُبايِنِ والخَليطِ]
به المُلتاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْـهِ ... يَمُجّ المَـوْتَ كالبَكْرِ النّحيطِ
فَإِن تَكُ قَيْسُ عَيْلانٍ غِضابًا ... فَلا يَنفَـكّ يُرْغِمُهم سَعُوطي [٨٠/أ]

وَقال خَديجُ بنُ العَوْجاءِ النّصْرِيّ :

لَمّا دَنَوْنا من حُنَيْنٍ ومـائِهِ ... رَأَيْنـا سَوادًا مُنْكَرَ اللّوْنِ أَخْصَفـا
بِمَلْمُومَةٍ شَهْباءَ لَوْ قَذَفُوا بِهـا ... شَماريخَ من عُزْوَى إذَن عادَ صَفْصَفا[1]
وَلَوْ أَنّ قَوْمي طاوَعَتْني سَراتُهم ... إذًا مـا لَقِينا العارِضَ المُتَكَشِّفـا
إذًا مـا لَقينا جُنْدَ آلِ مُحَمّدٍ ... ثَمانينَ أَلْفـا واسْتَمَدّوا بِخِنْدِفـا

ذِكرُ غَزْوَةِ الطّائِفِ بعد حُنَيْنٍ في سَنَةِ ثَمانٍ

غزوة الطائف

وَلَمّا قَدِمَ فَلّ ثَقيفٍ الطّائِفَ أَغْلَقُوا عليهم أبواب مَدينَتِها ، وصَنَعُوا الصنائعَ لِلْقِتالِ . وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا ولا حِصارَ الطّائِفِ عروَةُ بنُ مَسْعُودٍ ولا غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ كانا بِجُرَش يَتَعَلّمانِ صَنْعَةَ الدّبّاباتِ والمجانيقِ والضّبورِ شيء يشبه روس الإسقاط تبقى بها عند الانحراف .

قال ابن هشام ثُمّ سارَ رسولُ الله ﷺ إلى الطّائِفِ حينَ فَرَغَ من حُنَيْنٍ ؛ فَقال كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، حينَ أَجْمَعَ رسولُ الله ﷺ المَسيرَ إلى الطّائِفِ :

قَضَيْنا من تِهامَـةَ كُلّ رَيْبٍ ... وَخَيْبَرَ ثُمّ أَجْمَعْنـا السّيُوفا
نُخَيّرُها ولَوْ نَطَقَتْ لَقـالَتْ ... قَـواطِعُهُنّ دَوْسًا أَوْ ثَقيفًا
فَلَسْتُ لِحاضِنٍ إن لَمْ تَرَوْها ... بِساحَةِ دارِكُمْ مِنّكُمْ أُلُوفـا

(١) ملمومة : أي كتيبة مجتمعة . شهباء : عظيمة كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالي الجبال . وواحدها : شمراخ . الصفصف : المستوي من الأرض .

وَنَنْتزِعُ العُـروشَ بِبَطْنِ وجّ وتُصبحُ دُورُكُم مِنْكُمْ خُلُوفـا[1]
وَيأتيكُمْ لنا سَرَعــانُ خَيْلٍ يُغادِرُ خَلْفَـه جَمْعًا كَثيفـا
إذا نَزَلُوا بِساحَتِـكُمْ سَمِعْتُم لَها ممّا أناخَ بِهـا رَجيفـا
بأَيْديهم قَواضِبُ مُرْهَفاتٌ يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بِها الحُتُوفـا
كَأمثالِ العَقائقِ أخْلَصَتْها قُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتيفـا
تَخالُ جَدِيّةَ الأبْطالِ فيها غَداةَ الزَحْفِ جاديًا مَدُوفـا
أجِدّهم أليس لهم نَصيحٌ من الأقْوامِ كان بِنا عَريفـا
يُخَبِّرُهم بِأنّا قد جَمَعْنـا عِتاقَ الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا
وأنّا قد أتَيْنــاهم بِزَحْفٍ يُحيطُ بِسُورِ حِصْنِهم صُفُوفا
رَئيسُهم النّبيّ وكان صُلْبًا نَقِيّ القَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفـا
رَشيدُ الأمرِ ذُو حُكْمٍ وعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُن نَزِقًا خَفيفـا
نُطيعُ نَبِيّنا ونُطيعُ رَبّـا هُوَ الرَّحْمَنُ كان بِنا رَءُوفـا
فإن تُلْقُوا إلَيْنا السّلْمَ نَقْبَلْ وَنَجْعَلْكُمْ لَنا عَضُدًا وريفـا
وإن تأبَوا نُجاهِدْكُم ونَصْبِرْ ولا يَكُ أمْرُنا رَعِشًا ضَعيفا
نُجالِدُ ما بَقِينا أوْ تُنيبـوا إلى الإسلامِ إذْعانًا مُضيفـا
نُجاهِدُ لا نُبالي مَن لَقِينـا أأهلَكْنا التّلادَ أم الطّريفا[2]
وَكَمْ من مَعْشَرٍ ألَبُوا عَلَيْنا صَميمَ الجِذْمِ منهم والحَليفا
أتَوْنا لا يَرَوْنَ لهم كِفـاء فَجَدّعنا المَسامِعَ والأُنُوفـا
بِكُلّ مُهَنّدٍ لَيْنٍ صَقيـلٍ يَسُوقُهم بِها سَوْقًا عَنيفـا
لأمرِ الله والإسلامِ حتى يَقُومَ الدّينُ مُعْتَدِلاً حَنيفا
وَتُنْسَى اللاّتُ والعُزّى وَوَدّ وَنَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنُوفا[3]
فأمسَوْا قد أقَرّوا واطْمَأنّوا وَمَن لا يَمْتَنِعْ يَقْبَلْ خُسُوفا

---

(١) العروس : المراد بها سقوف البيوت . ووج : موضع . خلوف : المراد دورًا تغيب عنها أهلها .
(٢) التلاد : المال القديم . الطريف : المال المستحدث .
(٣) الشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الذي يكون في أعلى الأذن .

فأجابه كِنانَةُ بنُ عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْرٍ ، فقال

مَـــن كان يَبْغينا يُرِيدُ قِتالنـــا فإنّا بِدارٍ مَعْـــلَمٍ لا نَرِيمُها
وَجَدْنا بها الآباءَ من قَبْلِ ما تَرَى وَكانَتْ لَنـــا أطْواؤُها وكُرُومُها
[وَقد جَرَبَتْنا قَبْلُ عمرُو بنُ عامرٍ فأَخْبَرَها ذُو رَأْيِهـــا وحَليمُها]
وَقـد عَلِمَتْ إن قالتِ الحَقَ أنّنا إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدُودِ نُقيمُها
نُقَوِّمُها حتـــــى يَلِينَ شَرِيسُها وَيُعْرَفُ لِلْحَقِّ المُبينِ ظَلُومُهـــا
عَلَيْنا دِلاصٌ مـــن تُراثِ مُحَرِّقٍ كَلَوْنِ السّماءِ زَيَّنَتْها نُجُومُهـــا
نُرَفِّهُها عَنّـــا بِبِيضٍ صَوارِمٍ إذا جُرِّدَتْ في غَمْرَةٍ لا نَشيمُهـا

قال ابنُ إسحاقَ : **وقـال شَـدّادُ بنُ عـارِضٍ الجُشَـميّ في مَسِـيرِ رسـولِ الله ﷺ إلى الطّائِفِ :**

لا تَنْصُرُوا اللاّتَ إنّ اللهَ مُهْلِكُها كَيفَ يُنْصَرُ مَن هُوَ ليس يَنْتَصِرُ[٨٠/ب]
إنّ التي حُرِّقَتْ بِالسّدّ فاشْتَعَلَتْ وَلَمْ يُقاتَلْ لَدَى أحْجارِهـــا هَدَرُ
إنّ الرّسُولَ مَتـــــى يَنْزِلْ بِلادَكُمُ يَظْعَن وليس بها من أهلِها بَشَرُ

[الطّريقُ إلى الطّائِفِ] :

قال ابنُ إسحاقَ :

فَسَلَكَ رسولُ الله ﷺ على نَخْلَةَ اليَمانيَةِ ، ثُمّ على قَرْنٍ ، ثُمّ على المُلَيْحِ ، ثُمّ على بُحْرَةِ الرّغاءِ من لِيَةَ ، فابْتَنَى بها مَسْجِدًا فَصَلّى فيه .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثني عمرُو بنُ شُعَيْبٍ : أنّه أقادَ يومَئِذٍ بِبُحْرَةِ الرّغاءِ حينَ نَزَلَها بِدَمٍ وهو أوّلُ دَمٍ أُقيدَ به في الإسلامِ رَجُلٌ من بني لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلاً من هُذَيْلٍ ، فَقَتَلَه به وأمَرَ رسولُ الله ﷺ وهو بِلِيَةَ بِحِصْنِ مالِكِ بنِ عَوْفٍ فَهُدِمَ ثُمّ سَلَكَ في طَريقٍ يُقـالُ لها الضّيِّقَةُ ، فَلَمّا تَوَجّهَ فيها رسولُ الله ﷺ سَأَلَ عن اسْمِها فَقال ما اسْمُ هذه الطّريقِ ؟ فَقيـلَ له الضّيِّقَةُ ، فَقال : «**بَلْ هيَ اليُسْرَى**» ، ثُمّ خَرَجَ منها على نَخْبٍ حتى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقالُ لها الصّادِرَةُ ، قَرِيبًا [من مالِ رَجُـلٍ] مـن ثَقيفٍ فَأَرْسَـلَ إلَيْـه رسـولُ الله ﷺ : «**إمّـا أن تَخْرُجَ وإمّـا أن نُخْـرِبَ عَلَيْـك حائطَك**» ، فَأبَى أن يَخْرُجَ فَأمَرَ رسولُ الله بإخرابه . ثُمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلَ قَرِيبًا من الطّائِفِ ، فَضَرَبَ به عَسْكَرَه فَقُتِلَ به ناسٌ من أصحابه بالنّبْلِ وذلك أنّ العَسْكَرَ اقْتَرَبَ من

حائطِ الطائفِ ، فكانتِ النّبلُ تنالُهم ولَم يَقدِرِ المُسلِمُونَ على أن يَدخُلُوا حائِطَهم أغلَقُوه دُونَهم فلَمّا أُصيبَ أُولَئكَ النَّفَرُ من أصحابه بالنّبلِ وضَعَ عَسْكَرَه عند مَسجِدِه الذي بالطّائِفِ اليومَ فحاصَرَهم بِضعًا وعِشرينَ لَيلَةً . (١)

قال ابنُ هشام : ويُقالُ سَبعَ عَشرَةَ لَيلَةً (٢) .

قال ابنُ إسحاق : (٣) ومَعَه امرأتانِ من نِسائِه إحداهما أُمّ سَلَمَةَ بِنتُ أبي أُمَيّةَ فضَرَبَ لهما قُبّتَيْنِ ثُمّ صَلّى بَيْنَ القُبّتَيْنِ . ثُمّ أقامَ فلَمّا أسلَمَتْ ثَقيفٌ بَنَى على مُصَلّى رسولِ الله ﷺ عمرُو بنُ أُمَيّةَ بنِ وهْبِ بنِ مُعَتّبِ بنِ مالِكٍ مَسجِدًا ، وكانَتْ في ذلك المَسجِدِ ساريَةٌ فيما يَزعُمُونَ لا تَطْلُعُ الشّمسُ عليها يومًا من الدّهرِ إلاّ سُمِعَ لها نَقيضٌ فحاصَرَهم رسولُ الله ﷺ وقاتَلَهم قِتالاً شَديدًا ، وتَرامَوْا بالنّبلِ .

[الرّسولُ أوّلُ مَن رَمى بالمَنجَنيقِ] :

قال ابنُ هشام : ورَماهم رسولُ الله ﷺ بالمَنجَنيقِ . حَدّثَني مَن أثِقُ به أن رسولَ الله ﷺ أوّلُ مَن رَمَى في الإسلامِ بالمَنجَنيقِ رَمَى أهلَ الطّائِفِ .

[يومُ الشّدخَةِ] :

قال ابنُ إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشّدْخَةِ عند جِدارِ الطّائِفِ ، دَخَلَ نَفَرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ تَحتَ دَبّابَةٍ ثُمّ زَحَفُوا بها إلى جِدارِ الطّائِفِ ليَخرِقُوه فأرسَلَتْ عليهم ثَقيفٌ سِكَكَ الحديدِ مُحماةً بالنّارِ فخَرَجُوا من تحتِها ، فرَمَتْهم ثَقيفٌ بالنّبلِ فقَتَلُوا منهم رِجالاً ، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَطعِ أعنابِ ثَقيفٍ ، فوَقَعَ النّاسُ فيها يَقطَعُونَ . وتَقَدّمَ أبو سُفيانَ بنُ حَربٍ والمُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ إلى الطّائِفِ ، فنادَى يا ثَقيفًا : أن أمّنُونا حتى نُكَلّمَكُم فأمّنُوهما ، فدَعَوا نِساءً من نِساءِ من قُرَيشٍ وبني كِنانَةَ ليَخرُجنَ إليهما ، وهما يخافانِ عليهِنّ السّباءَ فأبَيْنَ مِنهُنّ آمِنَةُ بِنتُ أبي سُفيانَ كانَتْ عند عُروَةَ بنِ مَسعُودٍ له منها داوُدُ بنُ عُروَةَ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ إنّ أُمّ داوُدَ مَيمُونَةُ بِنتُ أبي سُفيانَ ، وكانَتْ عند أبي مُرّةَ بنِ عُروَةَ

---

(١) مرسل : رواه موسى بن عقبة في مغازيه نحوه ، وكذلك مرسل عروة رواه البيهقي [١٥٦/٥، ١٥٧] ومن مرسل الزهري كذلك رواه موسى بن عقبة ، وفيه ذكر القتيل الذي أقيد به .

(٢) اختلف في مدة حصار الطائف . وصح في صحيح مسلم [١٠٥٩] من حديث أنس . قال : (ثم انطلقنا إلى الطائف فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة) .

(٣) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٧٢/٢ - ١٧٣] والبيهقي في الدلائل [١٥٨/٥] .

(*) تنبيه : رواية ابن إسحاق لحصار الطائف عن عمرو بن شعيب مرسلاً . رواه عنه الطبري والبيهقي كما سبق والآتي مثله إلا ما ذكر له سندًا .

ابنِ مَسْعُودٍ فَوَلَدَتْ له داوُدَ بنَ أبي مُرّةَ .

قال ابنُ إسحاق : والفِراسيّةُ بِنْتُ سُوَيْدِ بنِ عمرِو بنِ ثَعْلَبَةَ ، لها عبدُ الرّحمَنِ ابنُ قاربٍ ، والفُقَيْمِيّةُ أُمَيْمَةُ بِنْتُ النّاسي أُمَيّةَ بنِ قَلَع فلمّا أبَيْنَ عليهما ، قال لهما [ابنُ] الأسْوَدِ بنِ مَسْعُودٍ يا أبا سُفيانَ ويا مُغيرَةُ ألا أدُلّكُما على خَيْرٍ ممّا جِئْتُما له إنّ مالَ بني الأسْوَدِ [بنِ مَسْعُودٍ] حَيْثُ قد [٨١/أ] عَلِمْتُما ، وكان رسولُ الله ﷺ بَيْنَه وبَيْنَ الطّائفِ ، نازِلاً بوادٍ يُقالُ له العَقيقُ ، إنّه ليس بالطّائفِ مالٌ أبْعَدُ رِشاءً ولا أشَدّ مُؤْنَةً ولا أبْعَدُ عِمارَةً من مالِ بني الأسْوَدِ وإنّ مُحَمّدًا إن قَطَعَه لَمْ يُعْمَرْ أبَدًا ، فَكَلّماه فَلْيَأْخُذْ لِنَفْسِه أو لِيَدَعْه لله والرّحِمِ فإنّ بَيْنَنا وبَيْنَه من القَرابَةِ ما لا يُجْهَلُ فَزَعَموا أنّ رسولَ الله ﷺ تَرَكَه لهم .

[رُؤْيا الرّسُولِ وتَفْسيرُ أبي بَكْرٍ لها] :

وقد بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بَكْرٍ الصّدّيقِ وهو مُحاصِرٌ : **«ثَقيفًا يا أبا بَكْرٍ إنّي رَأيتُ أنّي أُهْدِيَتْ لي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زُبْدًا ، فَنَقَرَها ديكٌ فَهَراقَ ما فيها»** . فقال أبو بَكْرٍ : ما أظُنّ أن تُدْرِكَ منهم يومَكَ هذا ما تُريدُ . فقال رسولُ الله ﷺ : **«وأنا لا أرَى ذلك»** .

[ارْتِحالُ المُسْلِمِينَ وسَبَبُ ذلك] :

ثُمّ إنّ خُوَيْلَةَ بِنْتَ حَكيمِ بنِ أُمَيّةَ بنِ حارِثَةَ بنِ الأوْقَصِ السّلَمِيّةَ وهيَ امرأةُ عُثْمانَ قالت : يا رسولَ الله أعْطِني إن فَتَحَ الله عَلَيْكَ الطّائفَ حلْيَ باديةَ بِنْتِ غَيْلانَ [بنِ مَظْعُونٍ] بنِ سَلَمَةَ أوْ حُلِيّ الفارِعَةِ بِنْتِ عُقَيْلٍ وكانَتا من أحْلَى نِساءِ ثَقيفٍ .

فَذُكِرَ لي أنّ رسولَ الله ﷺ قال لها : وإن كان لَم يُؤْذَن لي في ثَقيفٍ يا خُوَيْلَةُ ؟ فَخَرَجَتْ خُوَيْلَةُ فَذَكَرَتْ ذلك لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ فَدَخَلَ على رسولِ الله ﷺ فقال (يا رسولَ الله) : ما حَديثٌ حَدّثَتْنيه خُوَيْلَةُ زَعَمَتْ أنّكَ قُلْتَه ؟ قال قد قُلْتُه ؟ قال أوَما أُذِنَ [لَكَ] فيهم يا رسولَ الله ؟ قال لا . قال أفَلا أُؤذّنُ بالرّحيلِ ؟ قال : بَلَى قال : فأذّنَ عُمَرُ بالرّحيلِ فلمّا اسْتَقَلّ النّاسُ نادَى سَعيدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ أُسَيْدِ بنِ أبي عمرِو بنِ عِلاجٍ ألا إنّ الحَيّ مُقيمٌ . قال : يقولُ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ أجَلْ والله مَجَدَةً كِرامًا ؛ فقال له رَجُلٌ من المُسْلِمينَ : قاتَلَكَ الله يا عُيَيْنَةُ أتَمْدَحُ المُشْرِكينَ بالامتناعِ من رسولِ الله ﷺ وقد جِئْتَ تَنْصُرُ رسولَ الله ﷺ فقال إنّي والله ما جِئْتُ لأُقاتِلَ ثَقيفًا مَعَكُم ولَكِنّي أرَدْتُ أن يَفْتَحَ مُحَمّدٌ الطّائفَ فأُصيبَ من ثَقيفٍ جاريَةً أتّطِيها لَعَلّها تَلِدُ لي رَجُلاً ، فإنّ ثَقيفًا قَوْمٌ مَناكيرُ[1] . ونَزَلَ على رسولِ الله ﷺ في إقامَتِه ممّن كان مُحاصَرًا بالطّائفِ عَبيدٌ ، فأسْلَمُوا ، فأعْتَقَهم رسولُ الله .

---

(١) مناكر : ذو دهاء وفطنة .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) وقد حَدَّثني مَن لا أتَّهِمُ عن عبدِ الله بنِ مُكَدَّم عن رِجالٍ من ثَقيف ، قالُوا : لَمّا أسلَمَ أهلُ الطّائفِ تَكَلَّمَ نَفَرٌ منهم في أُولَئِكَ العَبيدِ فقال رسولُ الله ﷺ ، أُولَئِكَ عُتَقاءُ الله . وكان مِمّن تَكَلَّمَ فيهم الحارثُ بنُ كَلَدَة .

قال ابنُ هشام : وقد سَمّى ابنُ إسحاقَ مَن نَزَلَ من أُولَئِكَ العَبيدِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وقد كانَتْ ثَقيفٌ أصابَتْ أهلاً لِمَرْوانَ بنِ قَيْسٍ الدَّوْسيّ وكان قد أسلَمَ ، وظاهَرَ رسولَ الله ﷺ على ثَقيفٍ ، فَزَعَمَتْ ثَقيفٌ ، وهو الذي تَزْعُمُ به ثَقيفٌ أنّها من قَيْسٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ قال لِمَرْوانَ بنِ قَيْس : «**خُذْ يا مَرْوانُ بأهلِكَ أوّلَ رَجُلٍ من قَيْسٍ تَلْقاه**» فَلَقِيَ أُبَيَّ بنَ مالكٍ القُشيريّ ، فأخَذَه حتى يُؤدّوا إلَيه أهلَه فقامَ في ذلك الضّحّاكُ بنُ سُفيانَ الكِلابيّ ، فكَلَّمَ ثَقيفًا حتى أرْسَلُوا إلى مَرْوانَ أهله وأطْلَقَ لهم أُبَيَّ بنَ مالكٍ فقال الضّحّاكُ بنُ سُفْيانَ في شيءٍ كان بَيْنَه وبَيْنَ أُبَيّ بنِ مالكٍ :

أتَنْسَى بَلائي يا أُبَيّ بنَ مــــالِـكٍ ... غَداةَ الرّسُولُ مُعْرِضٌ عَنْك أشْوَسُ

يَقُودُكَ مَرْوانُ بنُ قَيْسٍ بِحَبْلِــهِ ... ذَلولاً كَما قِيدَ الـــــذّلُولُ المُخَيَّسُ

فَعادَتْ عَلَيْكَ من ثَقيفٍ عِصابَةٌ ... مَتَى يَأْتِهِم مُسْتَقْبِسُ الشّــرّ تقْبِسُ

فَكانوا هم المَوْلَى فَعادَتْ حُلُومُهم ... عَلَيْكَ وقد كادَتْ بِكَ النّفْسُ تَيْأَسُ [٨١/ب]

قال ابنُ هشام : «تقْبِس» عن غيْرِ ابنِ إسحاقَ .

[شُهَداءُ المُسلِمينَ يومَ الطّائفِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : وهذه تَسميَةُ مَن اسْتُشْهِدَ من المُسلِمينَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ الطّائفِ . **من قُرَيْش** ، ثُمّ من بني أُمَيّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ : سَعيدُ بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ ، وعُرْفُطَةُ بنُ جَنّابٍ [حَليفٌ لهم من الأسْدِ بنِ الغَوْث] . [قال ابنُ هشام] : ويُقالُ ابنُ حُبابٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : ومِن بني تَيْمِ بنِ مُرّةَ : عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ الصّدّيقِ ، رُمِيَ بِسَهْمٍ فَماتَ منه بالمدينةِ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ . ومِن بني مَخْزُوم : عبدُ الله بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغيرَةِ من رَمْيَةٍ رُمِيَها يومَئِذٍ . ومِن بني عَديّ بنِ كَعْبٍ : عبدُ الله بنُ عامرِ بنِ رَبيعَةَ ، حَليفٌ لهم . ومِن بني سَهْمِ بنِ عمرٍو : السّائبُ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَديّ ، وأخُوه عبدُ الله بنُ الحارثِ . ومِن بني سَعْدِ بنِ لَيْثٍ : جُلَيْحَةُ بنُ عبدِ الله .

---

(١) مرسل ضعيف : رواه البيهقي [١٥٩/٥] وفي رواية البيهقي عن عبد الله بن أبي بكر وعبد الله ابن مُكَدَّم ، وهذا مرسل وفيه جهالة من حدثهم . فإن كانوا صحابة فيكون الحديث حسن .

واستُشْهِدَ من الأنصارِ : من بني سَلِمَةَ ثابتُ بنُ الجِذْعِ . ومِن بني مازِنِ بنِ النجّارِ : الحارثُ بنُ سَهْلِ بنِ أبي صَعْصَعَةَ . وَمِن بني ساعِدَةَ : المُنْذِرُ بنُ عبدِ الله . وَمِن الأوسِ : رُقَيْمُ ابنُ ثابتِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ زَيْدِ بنِ لَوْذانَ بنِ مُعاوِيَةَ .

فَجَميعُ مَن استُشْهِدَ بالطّائِفِ من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ اثْنا عَشَرَ رَجُلاً ، سَبْعَةٌ من قُرَيْشٍ ، وأرْبَعَةٌ من الأنصارِ ، ورَجُلٌ من بني لَيْثٍ .

فَلَمّا انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ عن الطّائِفِ بعد القِتالِ والحِصارِ قالَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى يَذْكُرُ حُنَيْنًا والطّائِفَ :

كانَتْ عُلالةَ يَـــومَ بَطْنِ حُنَيْنِ ... وَغَداةَ أَوْطاسٍ ويومَ الأبْرَقِ

جَمَعَتْ بِإغْـــواءٍ هَوازِنُ جَمْعَهـــا ... فَتَبَدَّدُوا كالطّائِـــرِ المُتَمَزِّقِ

لَمْ يَمْنَعُوا مِنّا مَقـــامًا واحِـــدًا ... إلاّ جِدارَهم وبَطْنَ الخَنْدَقِ

وَلَقد تَعَرَّضْنـــا لِكَيْمـــا يَخْرُجُوا ... فَاسْتَحْصَنُوا مِنّا بِبابٍ مُغْلَقِ

تَرْتَدّ حَسْرانًـــا إلى رَجْراجَـــةٍ ... شَهْبـــاءَ تَلْمَعُ بِـــالمَنايا فَيْلَقِ

مَلْمُومَةٍ خَضْراءَ لَوْ قَذَفُوا بِهـــا ... حَضَنًا لَظَلّ كأنّه لَمْ يُخْـــلَقِ

مَشْيَ الضِّراءِ على الهَراشِ كَأنّنـــا ... قُدُرٌ تَفَرّقُ في القِيـادِ وتَلْتَقي

في كُلّ سابِغَةٍ إذا ما استَحْصَنَتْ ... كالنِّهْيِ هَبّتْ رِيحُـه المُتَرَقْرِقِ

جُدُلٌ تَمَسّ ، فُضُولُهُنّ نِعالنـــا ... من نَسْجِ داوُدٍ وآلِ مُحَـــرِّقِ

أمرُ أموالِ هَوازِنَ وسَباياها وعَطايا المُؤلّفَةِ قُلُوبُهم منها وإنعامُ رسولِ الله ﷺ وسَلّمَ فيها

ثُمّ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ حينَ انصَرَفَ عن الطّائِفِ على دَحْنا حتى نَزَلَ الجِعْرانَةَ فيمَن مَعَه من النّاسِ ومَعَه من هَوازِنَ سَبْيٌ كَثيرٌ وقد قال له رَجُلٌ من أصْحابه . يومَ ظَعَنَ عن ثَقِيفٍ : يا رسولَ الله ادْعُ عليهم ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللّهمّ اهْدِ ثَقِيفًا وأتِ بِهِم**» (١) .

---

(١) حسن بطرقه : رواه أحمد [٣٤٣/٣] والترمذي [٣٩٤٢] وابن أبي شيبة [٥٦٠/٧] من رواية أبي الزبير عن جابر بالعنعنة ، وأبو الزبير مدلس . وتابعه ابن سابط أيضًا عند أحمد المصدر السابق وابن عدي [٣١٨/١] . وروى من مرسل عروة ، رواه البيهقي [١٦٩/٥] دلائل . قلت : فالحديث حسن بطرقه .

ثمّ أتاه وفدُ هَوازنَ بِالجِعْرانَةِ وكان مع رسولِ الله ﷺ من سَبْيِ هَوازِنَ سِتّةُ آلافٍ من الذّراريّ والنّساءِ ومِن الإبِلِ والشّاءِ ما لا يُدْرَى ما عِدّده .

قال [ابنُ إسحاقَ] : (١) فَحَدّثَني عمرُو بنُ شُعَيْبٍ ، عن أبيه عن جَدّه عبدِ الله بن عمرٍو : أنّ وفْدَ هَوازنَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وقد أسلَمُوا ، فقالُوا : يا رسولَ الله إنّا أَهْلٌ عَشيرَةٌ ، وقد أصابنا من البَلاءِ ما لَم يَخْفَ عَلَيك ، فامنُن عَلَينا ، مَنّ الله عَلَيك . قال وقامَ رَجُلٌ من هَوازنَ ، ثمّ أحَدُ بني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ، يُقالُ له زُهَيْرٌ يُكْنَى أبا صُرَدٍ فقال : يا رسولَ الله إنّما في الحَظائِرِ عمّاتُك وخالاتُك وحَواضِنُك اللاتي كُنّ يَكْفُلْنَك ، ولَوْ أنّا مَلَحْنا لِلْحارثِ بنِ أبي شِمرٍ ، أوْ لِلنّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ ثمّ نَزَلَ مِنّا بِمِثْلِ الذي نَزَلْت به رَجَوْنا عَطْفَه وعائِدَتَه عَلَيْنا ، وأنْتَ خَيْرُ المَكْفُولِينَ . قال ابن هشام : ويُرْوَى ولَوْ أنّا مالَحْنا الحارثَ بنَ أبي شِمرٍ ، أوِ النّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) حَدّثَني عمرُو بنُ شُعَيْبٍ ، عن أبيه عن جَدّه عبدِ الله ابنِ عمرٍو ، قال فَقال رسولُ الله ﷺ : «**أبناؤُكم ونساؤُكم أحَبّ إلَيْكُمْ** [٨٢/أ] **أم أموالُكُمْ ؟**» فَقالُوا : يا رسولَ الله خَيّرْتَنا بَيْنَ أموالِنا وأحْسابِنا ، بَلْ تَرُدّ إلَيْنا نِساءَنا وأبناءَنا ، فهو أحَبّ إلَيْنا ، فَقال لهم : «**أمّا ما كان لي ولِبني عبدِ المُطّلِبِ فهو لَكُمْ وإذا ما أنا صَلّيْت الظّهْرَ بِالنّاسِ فَقُومُوا فَقُولُوا : إنّا نَسْتَشْفِعُ بِرسولِ الله إلى المُسْلِمينَ وبالمُسْلِمينَ إلى رسولِ الله في أبنائِنا ونسائِنا ، فَسأُعْطِيكُمْ عند ذلك وأسْألُ لَكُمْ**» فَلَمّا صَلّى رسولُ الله ﷺ بالنّاسِ الظّهْرَ قامُوا فَتَكَلّمُوا بِالذي أمَرَهم به فَقال رسولُ الله ﷺ : «**وأمّا ما كان لي ولِبني عبدِ المُطّلِبِ فهو لَكُمْ**» . فَقال المُهاجِرُونَ : وما كان لَنا فهو لِرسولِ الله ﷺ . وقالتِ الأنْصارُ : وما كان لَنا فهو لِرسولِ الله ﷺ . فَقال الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ : أمّا أنا وبنُو تَميمٍ فَلا . وقال عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ أما أنا وبنُو فَزارَةَ فَلا . وقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ : أمّا أنا وبنُو سُلَيْمٍ فَلا . فَقالتْ بنُو سُلَيْمٍ : [بَلَى] ، ما كان لَنا فهو لِرسولِ الله ﷺ . قال : يقول عَبّاسُ ابنُ مِرْداسٍ لِبني سُلَيْمٍ وهّنْتُمُوني . فَقال رسولُ الله ﷺ أمّا مَن تَمَسّكَ مِنكُم بِحَقّه من هذا السّبْيِ فَلَه بِكُلّ إنسانٍ سِتّ فَرائِضَ من أوّلِ سَبْيٍ أُصيبُه فَرُدّوا إلى النّاسِ أبناءَهم ونساءَهم .

قال ابنُ إسحاقَ : (٣) وحَدّثَني أبو وجْزَةَ يَزِيدُ بنُ عُبَيْدٍ السّعْديّ : أنّ رسولَ الله ﷺ

---

(١) حسن : رواه أحمد [١٨٤/٢ - ٢١٨] والنسائي [٢٦٣/٦] والطبري في تاريخه [١٧٣/٢] والبيهقي دلائل [١٩٥/٥] والطبراني في الكبير [٥٣٠٤] كلهم من نفس الطريق . وهذا إسناد حسن ، وله شاهد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، رواه البخاري [٤٣١٨ ، ٤٣١٩] وأحمد [٣٢٦/٤٥ ، ٣٢٧] وأبو داود [٢٦٩٣] وغيرهم وقد سبق تخريجه .

(٢) مثل سابقه .

(٣) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٧٤/٢] والبيهقي دلائل [١٩٦/٥] عن ابن إسحاق مرسلاً . قلت : ....=

أعطى عليَ بنَ أبي طالبٍ رَضيَ الله عنه جاريَةً يُقالُ لها رَيْطَةُ بِنْتُ هِلالِ بنِ حيّانَ بنِ عُمَيْرَةَ بنِ هِلالِ بنِ ناصِرَةَ بنِ قُصَيّةَ بنِ نَصْرِ بنِ سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ، وأعْطَى عُثْمَانَ بنَ عَفّانَ جاريَةً يُقالُ لها زَيْنَبُ بِنْتُ حَيّانَ بنِ عمرو بنِ حَيّانَ ، وأعْطَى عُمَرَ بنَ الخَطّابِ جاريَةً فَوَهَبَها لِعبدِ الله بنِ عُمَرَ ابنه . قال ابنُ إسحاقَ : (١) فَحَدَّثَني نافِعٌ مَوْلَى عبدِ الله بنِ عُمَرَ ، عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ ، قال بَعَثْتُ بها إلى أخْوالي من بني جُمَحٍ ليُصْلِحُوا لِي منها ، ويُهَيّئُوها ، حتى أطُوفَ بالبَيْتِ ثُمَّ آتِيَهم وأنا أُريدُ أن أُصيبَها إذا رَجَعتُ إلَيها . قال فَخَرَجْتُ من المَسجِدِ حينَ فَرَغْتُ فإذا النّاسُ يَشْتَدّونَ فَقُلْتُ : ما شَأْنُكُم ؟ قالُوا : رَدّ عَلَيْنا رسولُ الله ﷺ نساءَنا وأبناءَنا ، فَقُلْتُ : تِلْكُمْ صاحِبَتُكُم في بني جُمحٍ فاذْهَبوا فَخُذُوها ، فَذَهَبوا إليَها ، فَأَخَذُوها .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وأمّا عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ فَأخَذَ عَجُوزًا من عَجائزِ هَوازِنَ ، وقال حينَ أَخَذَها : أرَى عَجُوزًا إنّي لأَحسِبُ لها في الحَيّ نَسَبًا ، وعَسَى أن يَعْظُمَ فِداؤُها . فَلَمّا رَدّ رسولُ الله ﷺ السّبايا بِسِتّ فَرائِضَ أبَى أن يَرُدّها ، فَقال له زُهَيْرٌ أبو صُرَدٍ : خُذْها عَنكَ ، فَوالله ما فُوها ببارِدٍ ولا ثَدْيُها بِناهِدٍ ولا بَطْنُها بِوالِدٍ ولا زَوْجُها بِواجِدٍ ولا دَرّها بماكِدٍ فَرَدّها بِسِتّ فَرائِضَ حينَ قال له زُهَيْرٌ ما قال فَزَعَمُوا أنّ عُيَيْنَةَ لَقِيَ الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ فَشَكا إلَيْه ذلك فَقال : إنّكَ والله ما أخَذْتَها بَيْضاءَ غَريرَةً ولا نَصَفًا وثيرَةً .

[إسلامُ مالِكِ بنِ عَوْفٍ النّصْريّ] :

وقال : (٣) رسولُ الله ﷺ لِوَفْدِ هَوازِنَ ، وسَألَهم عن مالِكِ بنِ عَوْفٍ ما فَعَلَ ؟ فَقالُوا : هُوَ بالطّائفِ مع ثَقيفٍ ، فَقال رسولُ الله ﷺ أخبِرُوا مالِكًا أنّه إن أتاني مُسلِمًا رَدَدْت عليه أهلَه ومالَه وأعْطَيْتُه مِئَةً من الإبِلِ فَأُتِيَ مالِكٌ بذلك فَخَرَجَ إلَيْه من الطّائِفِ . وقد كان مالِكٌ خافَ ثَقيفًا على نَفْسِه أن يَعْلَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال له ما قال فَيَحْبِسُوه فَأَمَرَ براحِلَتِه فَهُيّئَتْ له وأمَرَ بِفَرَسٍ له فَأُتِيَ به إلى الطّائِفِ ، فَخَرَجَ لَيْلاً ، فَجَلَسَ على فَرَسِه فَرَكَضَه حتى أتَى راحِلَتَه حَيْثُ أمَرَ بها أن تُحْبَسَ فَرَكِبَها ، فَلَحِقَ برسولِ الله ﷺ فَأدْرَكَه بالجِعْرانَةِ أو بِمَكّةَ فَرَدّ عليه أهلَه ومالَه [٨٢/ب] وأعْطاه مِئَةً من الإبِلِ وأسْلَمَ فَحَسُنَ إسلامُه فَقال مالِكُ بنُ عَوْفٍ حينَ أسْلَمَ :

مـــا إن رَأيْتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِه ... فـــي النّاسِ كُلّهِم بِمِثْلِ مُحَمّدِ

= ويشهد له الحديث الآتي .

(١) متفق عليه نحوه مختصرا : رواه البخاري [٤٣٢٠] ومسلم [١٦٥٦] وسند ابن إسحاق حسن .

(٢) مرسل : رواه الطبري موصولاً بما قبله وأظنه وهمًا .

(٣) مرسل : رواه البيهقي في الدلائل [١٩٨/٥] من رواية ابن إسحاق عن أبي وجزة يزيد بن عبيد .

أوْفَى وأعْطَى لِلْجَزيلِ إذا اجْتُديَ ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عمّا فـي غَدِ
وَإذا الكَتيبَةُ عَرَدَتْ أنيابُهـــــا ... بالسَّمهَريِّ وضَرْبِ كُـلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأنَّه لَيْثٌ علــــــى أشْبالِه ... وَسْطَ الهَباءَةِ خادِرٌ في مَرْصَدِ

فاستَعْمَلَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسْلَمَ من قَوْمِه وتِلْكَ القَبائِلُ ثُمالةُ وسَلِمَةُ وفَهْمٌ فَكان يُقاتِلُ بِهِم ثَقيفًا ، لا يَخْرُجُ لهم سَرْحٌ إلاّ أغارَ عليه حتى ضَيَّقَ عليهم فقال أبو مِحْجَنِ بنُ حَبيبِ بنِ عمرو ابنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفي :

هابَتِ الأعْداءُ جانِبَنــــــا ... ثُــــمَّ تَغْزُونا بنُو سَلِمَهْ
وَأتانا مالِكٌ بِهِـــــــــم ... ناقِضًا لِلْعَهْـــــدِ والحُرْمَهْ
وَأتَوْنا فــــــــي مَنازِلِنا ... وَلَقَــــــد كُنّا أُولي نَقِمَهْ
[كانَتْ نِهابُــــــا تَلافَيْتُها ... بِكَرّي على المُهْرِ في الأجْرَعِ
وَإيقاظــــي القَوْمَ أن يَرْقُدُوا ... إذا هَجَعَ النّاسُ لَـــم أهْجَعَ
فَأصْبَحَ نَهْبي ونَهْبُ العَبيــــدِ ... بَيْـــــنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ
وَقد كُنْتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَإ ... فَلَم أُعْطَ شيئًا ولَــــم أمنَعْ
إلاّ أفائِلَ أُعْطيتُهــــــــا ... عَديدَ قَوائِمِها الأرْبَــــــعِ
وَمــا كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يَفُوقانِ شيخي فــــي المَجْمَعِ
وَمــا كُنْتُ دُونَ امرِئٍ منهما ... وَمَــــن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعْ]

قال ابنُ إسحاقَ :(١) ولمَّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من رَدِّ سَبايا حُنَيْنٍ إلى أهلِها ، رَكِبَ واتَّبَعَه النّاسُ يقولونَ يا رسولَ الله اقْسِم عَلَيْنا فَيْئًا من الإبِلِ والغَنَمِ حتى ألْجَئُوه إلى شَجَرَةٍ فاختَطَفَتْ عنه رداءَه فَقال : «**أدّوا عَلَيَّ ردائي أيها النّاسُ فَوالله أن لَوْ كانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهامَةَ نعمًا لَقَسَمته عَلَيْكُم ثُمّ ما ألْفَيْتُموني بَخيلاً ولا جَبانًا ولا كَذّوبًا**» ، ثُمَّ قامَ إلى جَنْبِ بَعيرٍ فَأخَذَ وبَرَةً من سَنامِه فَجَعَلَها بَيْنَ أُصْبُعَيْه ثُمّ رَفَعَها ، ثُمّ قال : «**أيها النّاسُ والله مالي من فَيْئِكُمْ ولا هـذه الوَبَرَةُ إلاّ الخُمُسُ والخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُم . فَأدّوا الخياطَ والمخِيَطَ فَإنّ الغُلُولَ يَكُونُ على أهلِه عارًا ونارًا وشَنارًا يومَ القيامَةِ**» . قال فَجاءَ رَجُلٌ من الأنصارِ بِكُبَّةٍ من خُيُوطِ شَعَرٍ فَقال يا رسولَ الله أخَذْتُ هذه الكُبَّةَ أعْمَلُ بها بَرْذَعَةَ بَعيرٍ لي دَبِرَ فَقال : «**أمّا نَصيبي منها فَلَكَ**» قال :

---

(١) صحيح رواه ابن إسحاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده السابق . ورواه البخاري [٢٨٢١] وعبد الرزاق [٩٤٩٧] وغيرهما من حديث جبير بن مطعم .

أمّا إذْ بَلَغَتْ هذا فَلا حاجَةَ لي بِها ، ثُمّ طَرَحَها من يَدِه .

قال ابنُ هشام : (١) وذَكَرَ زَيْدُ بنُ أسْلَمَ ، عن أبيه أنّ عَقيلَ بنَ أبي طالِبٍ دَخَلَ يومَ حُنَيْنٍ على امرأتِه فاطِمَةَ بِنْتِ شيبَةَ بنِ رَبيعَةَ ، وسَيْفُه مُتَلَطِّخٌ دَمًا ، فقالتْ إنّي قد عَرَفْت أنّك قد قاتَلْت ، فَماذا أصَبْت من غَنائِمِ المُشْركينَ ؟ فَقال دُونَكِ هذه الإبْرَةَ تَخيطينَ بِها ثيابَك ، فَدَفَعَها إلَيْها ، فَسَمِعَ مُناديَ رسولِ الله ﷺ يقول مَن أخَذَ شيئًا فَلْيَرُدّه حتى الخِياطَ والمِخْيَطَ . فَرَجَعَ عَقيلٌ فَقال ما أرَى إبْرَتَكِ إلاّ قد ذَهَبَتْ فَأخَذَها ، فألْقاها في الغَنائِمِ .

قال ابنُ إسحاق : وأعْطَى رسولُ الله ﷺ المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهم وكانوا أشْرافًا من أشْرافِ النّاسِ يَتَألّفُهم ويَتَألّفُ بِهِم قَوْمَهم فَأعْطَى أبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ مِائَةَ بَعيرٍ وأعْطَى ابنَه مُعاويَةَ مِائَةَ بَعيرٍ وأعْطَى حَكيمَ بنَ حِزامٍ مِائَةَ بَعيرٍ وأعْطَى الحارِثَ بنَ الحارِثِ بنِ كَلَدَةَ ، أخا بني عبدِ الدّارِ مِائَةَ بَعيرٍ . قال ابنُ هشام : نُصَيرُ بنُ الحارِثِ بنِ كَلَدَةَ ويَجُوزُ أن يَكُونَ اسْمُه الحارِثَ أيضًا .

قال ابنُ إسحاق : وأعْطَى الحارِثَ بنَ هشام مِائَةَ بَعيرٍ وأعْطَى سُهَيْلَ بنَ عمرٍو مِائَةَ بَعيرٍ وأعْطَى حُوَيْطِبَ بنَ عبدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسٍ مِئَةَ بَعيرٍ وأعْطَى العَلاءَ بنَ جارِيَةَ الثّقَفيّ حَليفَ بني زُهْرَةَ مِئَةَ بَعيرٍ وأعْطَى عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ مِئَةَ بَعيرٍ وأعْطَى الأقْرَعَ بنَ حابِسٍ التّميميّ مِئَةَ بَعيرٍ . وأعْطَى مالِكَ بنَ عَوْفٍ النّصْريّ مِئَةَ بَعيرٍ وأعْطَى صَفْوانَ بنَ أُمَيّةَ مِئَةَ بَعيرٍ [٨٣/أ] فَهَؤُلاءِ أصْحابُ المِئِينَ وأعْطَى دُونَ المِئَةِ رِجالاً من قُرَيْشٍ ، منهم مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفَلٍ الزّهْريّ ، وعُمَيْرُ ابنُ وهْبٍ الجُمَحيّ ، وهشامُ بنُ عمرٍو أخُو بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، لا أحْفَظُ ما أعْطاهم وقد عَرَفْت أنّها دُونَ المِئَةِ وأعْطَى سَعيدَ بنَ يَرْبوعِ بنَ عَنْكَثَةَ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ خَمسينَ من الإبِلِ وأعْطَى السّهْميّ خَمسينَ من الإبِلِ .

قال ابنُ هشام : واسْمُه عَديّ بنُ قَيْسٍ .

قال ابنُ إسحاق : (٢) وأعْطَى عَبّاسَ بنَ مِرْداسٍ أباعِرَ فَسَخِطَها ، فَعاتَبَ فيها رسولَ الله ﷺ فَقال عَبّاسُ بنُ مِرْداسٍ يُعاتِبُ رسولَ الله ﷺ :

كانَتْ نِهـابًا تَلافَيْتُهـا ... بِكَرّي على المُهْرِ في الأجْرَعِ

وَإيقاظي القَوْمَ أن يَرْقُـدُوا ... إذا هَجَعَ النّاسُ لَمْ أهْجَـعِ

---

(١) منقطع : لم يذكر ابن هشام سنده إلى زيد.

(٢) صحيح : لم يذكر ابن إسحاق إسناده ، ورواه عن الطبري في التاريخ [١٧٥/٢] والبيهقي دلائل [١٨٣/٥] عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً . ورواه مسلم [١٠٦٠] والبيهقي دلائل [١٧٨/٥ ، ١٨٩] من رواية رافع بن خديج رضي الله عنه .

فَأَصْبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العَبيـــدِ بَيْنَ عُيَيْنَـــةَ والأَقْـــرَعِ
وَقد كُنتُ في الحَرْبِ ذا تُدْرَإٍ فَلَمْ أُعْـــطَ شيئًا ولَمْ أُمنَعْ
إلاّ أفـــــائِلَ أُعطيتُهـــــا عَديدَ قَوائِمِهـــــا الأَرْبَعِ
وَما كان حِصْنٌ ولا حـابِسٌ يَفُوقانِ شيخي في المَجْمَـــعِ

قال ابنُ هشام :

أنشَدَني يُونُسُ النَحويّ : المجمع : الموضع الذى يجمع فيه وهو المجمعة وكل مجمعة لواء .

وَما كُنتُ دُونَ امرئٍ منهمـــا وَمَن تَضَع اليومَ لا يُرْفَعْ
فَـــا كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ في المَجْمَعِ

قال ابنُ إسحاق :(١) فَقال رسولُ الله ﷺ: «**اذْهَبوا به فاقْطَعُوا عَنّي لِسانَه**»، **فأعطَوْه** حتى رَضِيَ فَكان ذَلِك قَطْعَ لِسانِه الذي أمَرَ به رسولُ الله ﷺ.

قال ابنُ هشام :(٢)

وحَدّثني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ أنّ عَبّاسَ [بنَ مِرْداسٍ] أتَى رسولَ الله ﷺفَقال له رسولُ الله ﷺأنْتَ القائِلُ « فَأَصْبَحَ نَهْبِي ونَهْبُ العَبيدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وعُيَيْنَةَ ؟ فَقال أبو بَكْرٍ الصّدّيقُ : بَيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ فَقال رسولُ الله ﷺ: هما واحِدٌ فَقال أبو بَكْرٍ أشْهَدُ أنك كما قال الله ﴿وَما عَلّمناه الشّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ﴾ .

[تَوزيعُ غَنائمِ حُنَيْنٍ على المُبايِعينَ] :

قال ابنُ هشام :(٣) وحَدّثني ، مَن أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ في إسنادٍ له عن ابنِ شِهابٍ الزّهْريّ ، عن عُبَيْدِ الله بن عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال بايَعَ رسولُ الله ﷺمن قُرَيْشٍ وغَيْرِهِم فَأعْطاهم يومَ الجِعْرانَةِ من غَنائمِ حُنَيْنٍ .

من بني أُمَيّةَ بن عبدِ شَمسٍ : أبو سُفيانَ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ ، وطَليقُ بنُ سُفيانَ بنِ أُمَيّةَ ، وخالِدُ بنُ أَسَيْدِ بنِ أبي العيصِ بنِ أُمَيّةَ . **ومِن بني عبدِ الدّارِ ابنِ قُصَيّ :** شيبَةُ بنُ عُثْمانَ بنِ أبي طَلْحَةَ بنِ عبدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عبدِ الدّارِ وأبو السّنابِلِ بنِ بَعْكَكِ بنِ الحارِثِ بنِ عُمَيْلَةَ

---

(١) مرسل زواه الطبري والبيهقي المصدر السابق . رواه ابن سند فى الطبقات [٢٠٦/٤] من مرسل عروة وسنده حسن إلى عروة وروي من مرسل عروة والزهري وهو في مغازي موسى بن عقبة ورواه البيهقي دلائل .

(٢) معضل عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن سعد من رواية عبد الرحمن بن أبي الزناد معضلاً . وهذا فى الطبقات [٢٠٥/٤،٢٠٦] من رواية الواقدى عنه .

(٣) إسناده ضعيف فيه جهالة من حدثه ابن هشام .

ابن السَّبَّاقِ بنِ عبدِ الدّارِ وعِكْرِمَةُ بنُ عامِرِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدّارِ . **وَمِن بني مخزوم بن يَقَظَةَ** زُهَيْرُ بنُ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغيرَةِ ، والحارِثُ بنُ هشامِ بنِ المُغيرَةِ ، وخالِدُ بنُ هشامِ ابنِ المُغيرَةِ وهشامُ بنُ الوَليدِ بنِ المُغيرَةِ ، وسُفيانُ بنُ عبدِ الأَسَدِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوم ، والسّائِبُ بنُ أبي السّائِبِ بنِ عائِذِ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوم . **وَمِن بني عَديّ بن كَعْبٍ :** مُطيعُ بنُ الأَسْوَدِ بنِ حارِثَةَ بنِ نَضْلَةَ وأبو جَهْمِ بنُ حُذَيْفَةَ ابنِ غانِمٍ .

وَمِن بني جُمَح بن عمرٍو : صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ، وأُحَيْحَةُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ، وعُمَيْرُ ابنُ وهْبِ بنِ خَلَفٍ . **وَمِن بني سَهْم :** عَديّ بنُ قَيْس بنِ حُذافَةَ. **وَمِن بني عامِرِ بن لُؤَيّ :** حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عبدِ وُدّ وهشامُ بنُ عمرِو بنِ رَبيعَةَ بنِ الحارِثِ بنِ حَبيبٍ . **وَمِن أفْناءِ القَبائِل** من بني بَكْرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ نَوْفَلُ بنُ مُعاوِيَةَ بنِ عُرْوَةَ بنِ صَخْرِ بنِ رَزْنِ بنِ يَعْمَرَ بنِ نُفاثَةَ بنِ عَديّ بنِ الدّيلِ . **وَمِن بني قَيْسٍ ،** ثُمّ من بني عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ ثُمّ من بني كِلابِ بنِ رَبيعَةَ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ عَلْقَمَةُ بنُ عُلاثَةَ بنِ عَوْفِ بنِ الأَحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ [ولَبيدُ بنُ رَبيعَةَ بنِ مالِكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابٍ] . **وَمِن بني عامِرِ بنِ ربيعَة :** خالِدُ بنُ هَوْذَةَ بنِ رَبيعَةَ بنِ عمرِو بنِ عامِرِ بنِ رَبيعَةَ بنِ عامِرِ ابنِ صَعْصَعَةَ [٨٣/ب] وحَرْمَلَةُ بنُ هَوْذَةَ بنِ رَبيعَةَ بنِ عمرٍو . **وَمِن بني نَصْرِ بنِ مُعاوِيَةَ** مالِكُ بنُ عَوْفِ بنِ سَعيدِ بنِ يَرْبوعٍ . **وَمِن بني سُلَيْمِ بنِ مَنْصُورٍ :** عَبّاسُ بنُ مِرْداسِ بنِ أبي عامِرٍ : أخُو بني الحارِثِ بنِ بُهْثَةَ بنِ سُلَيْمٍ . **وَمِن بني غَطَفانَ ،** ثُمّ من بني فَزارَةَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ . **وَمِن بني تَميم :** ثُمّ من بني حَنْظَلَةَ الأَقْرَعُ بنُ حابِسِ بنِ عِقالٍ من بني مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ .

قال ابنُ إسحاقَ :

وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ إبْراهيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْميّ (١) : أنّ قائِلاً قال لِرسولِ الله ﷺ من أصحابه يا رسولَ الله أعْطَيْتَ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ والأَقْرَعَ بنَ حابِسٍ مِئَةً مِئَةً وتَرَكْتَ جُعَيْلَ بنَ سُراقَةَ الضَّمْريّ فقال رسولُ الله ﷺ : «**أما والذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِه لَجُعَيْلُ بنُ سُراقَةَ خَيْرٌ من طِلاعِ الأرضِ كُلِّهم مِثْلُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والأَقْرَعِ بنِ حابِسٍ ولكِنّي تَأَلَّفْتُهما لِيُسْلِما ، ووَكَلْتُ جُعَيْلَ بنَ**

---

(١) **مرسل :** سند ابن إسحاق مرسل .
رواه الطبري في التاريخ [١٧٥/٢] والبيهقي في الدلائل [١٨٣/٥] من طريق ابن إسحاق .
قال الحافظ في الإصابة [٨٩/٢ ترجمة جعيل] : هذا مرسل حسن . لكن له شاهد موصول رواه الروياني في مسنده وابن عبد الحكم في فتوح مصر . من طريق بكر بن سوادة عن أبي سالم الجيشاني عن أبي ذر «أن رسول ﷺ قال له : كيف ترى جعيلا ؟ قلت : مسكينًا كشكله من الناس ، قال كيف ترى فلانًا ؟ قلت : سيدًا من السادات : قال : لجعيل خير من ملء الأرض من مثل هذا ، قال : قلت : يا رسول الله ففلان هكذا وتصنع به ما تصنع ؟ قال : إنه رأس قومه ، فأتألفهم . وإسناده صحيح .

سُراقَةَ إلى إسلامِه» .

قال ابنُ إسحاقَ (١) : وحَدَّثَني أبو عُبَيْدَةَ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عمارِ بنِ ياسِرٍ ، عن مِقْسَمٍ أبي القاسِمِ مَوْلَى عبدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ نَوْفَلٍ ، قال خَرَجْت أنا وتَليدُ بنُ كِلابٍ اللَّيْثِيّ ، حتى أتَيْنا عبدَ الله ابنَ عمرِو بنِ العاصِ ، وهو يَطُوفُ بالبَيْتِ مُعَلِّقًا نَعْلَه بيَدِه فقُلْنا له هَل حَضَرْتَ رسولَ الله ﷺ حينَ كَلَّمَه التميميّ يومَ حُنَيْنٍ ؟ قال نَعم جاءَ رَجُلٌ من بني تَميمٍ يُقالُ له ذُو الخُوَيْصِرَةِ فَوَقَفَ عليه وهو يُعْطي النَّاسَ فَقال يا مُحَمَّدُ قد رَأَيْتُ ما صَنَعْتَ في هذا اليومِ . فقال ، رسولُ الله ﷺ : «أجَلْ فَكَيْفَ رَأَيت ؟» فقال لَم أرَاكَ عَدَلْت ؟ قال فَغَضِبَ النّبِيّ ﷺ ثُمّ قال : «وَيْحَك إذا لَم يَكُنِ العَدْلُ عِنْدي ، فعند مَن يَكُونُ» فَقال عُمَرُ بنُ الخَطّابِ : يا رسولَ الله ألا نَقْتُلُه ؟ فَقال : «لا ، دَعُوه فَإنّه سَيَكُونُ له شيعَةٌ يَتَعَمّقُونَ في الدّينِ حتى يَخْرُجُوا مِنْه كما يَخْرُجُ السّهْمُ من الرَّميّةِ يُنْظَرُ في النّصْلِ فَلا يُوجَدُ شيءٌ ثُمّ في القِدْحِ فَلا يُوجَدُ شيءٌ ثُمّ في الفُوقِ فَلا يُوجَدُ شيءٌ سَبَقَ الفَرْثَ والدّم» .

[قال ابنُ إسحاقَ] : وحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ عَلِيّ بنِ حسَيْنٍ أبو جَعْفَرٍ بمِثْلِ حَديثِ أبي عُبَيْدَةَ وسَمّاه ذا الخُوَيْصِرَةِ (٢) .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدَّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ ، عن أبيه بمِثْلِ ذلك .

قال ابنُ هشامٍ : ولمّا أعطَى رسولُ الله ﷺ ما أَعْطَى في قُرَيْشٍ وقَبائِلِ العَرَبِ ، ولَم يُعْطِ الأنْصارَ شيئًا ، قال حسّانُ بنُ ثابتٍ يُعاتِبُه في ذلك .

زادَتْ الهمُومُ فَمــاءُ العَيْنِ مُنْحَدِرُ ... سَحّا إذا حَفَلَتْــه عَبْرَةٌ دَرِرُ

وَجْدًا بشَمّاءَ إذْ شَمّاءُ بَهْكَنَــةٌ ... هَيْفاءُ لا دَنَسٌ فيهــا ولا خَوَرُ

---

(١) إسناده لا بأس به والحديث متفق عليه بنحوه .

رواه من طريق ابن إسحاق الطبري في التاريخ [١٧٦/٢] والبيهقي في الدلائل [١٨٦/٥] قلت : وفي سنده : أبو عبيدة وثقه ابن معين وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : منكر الحديث . وقال في موضع آخر : صحيح الحديث . قال عبد الله بن أحمد ابن حنبل : أبو عبيدة هذا ثقة . وأخوه مسلمة لم يرو عنه إلا علي ابن زيد ولا يعرف حاله .

قلت : لعل لقول أبي حاتم : منكر الحديث يريد أخاه مسلمة هذا فإنه سماه في موضع آخر سلمة . وكأن الحافظ أشار إلى ذلك . راجع التهذيب .

قلت : وشاهده في الصحيحين من رواية أبي سعيد .

رواه البخاري [٣٦١٠ ، ٥٠٥٨ ، ٦١٦٣] ومسلم [١٠٦٤] .

(٢) هذا إسناد مرسل ، والحديث صحيح كما سبق .

دَعْ عَنْك شَمَاءَ إذْ كانَتْ مَوَدّتُهَـــا ... نَزْرًا وشَرّ وِصـالِ الواصِلِ النّزِرُ
وَأْتِ الرّسُولَ فَقُلْ يــا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ ... لِلْمُؤْمِنينَ إذا مــا عُدّدَ البَشَرُ
عَلامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وهْــي نازِحَةٌ ... قُدّامَ قَوْمٍ هــم آوَوْا وهم نَصَرُوا
سَمّاهم اللّـــه أنْصارًا بِنَصْرِهِم ... دينَ الهُدَى وعَوانُ الحَرْبِ تَسْتَعِرُ
وَسارَعُوا فــي سَبيلِ الله واعْتَرَضُوا ... لِلنّائِباتِ ومــا خامُوا وما ضَجِرُوا
والنّاسُ ألْبٌ عَلَيْنا فيك ليس لَنـا ... إلاّ السّيُـوفَ وأطْرافَ القَنا وزَرُ
نُجالِدُ النّاسَ لا نُبْقي عـلى أحَدٍ ... وَلا نُضَيّعُ مـا تُوحي به السّوَرُ
وَلا تَهِرّ جُناةُ الحَرْبِ نادِيَنــا ... وَنحن حيـنَ تَلَظّى نارُها سُعُرُ
كَما رَدَدْنا بِبَدْرٍ دُونَ مـا طَلَبوا ... أهلَ النّفاقِ وفينـا يُنْزَلُ الظّفَرُ
وَنحن جُنْدُك يومَ النّعْفِ من أُحُدٍ ... إذْ حَزّبَتْ بَطَرًا أحْزابَهـا مُضَرُ
فَما ونَيْنا وما خِمْنا ومــا خَبَرُوا ... مِنّا عِثارًا وكُلّ النّاسِ قـد عَثَرُوا

[وجَدَ الأنْصارُ لِحِرْمانِهم فاسْتَرْضاهم الرّسُولُ ﷺ]

[قال ابنُ هشام : [(١)] حَدّثَني زِيادُ بنُ عبدِ الله قال حَدّثَنا ابنُ إسحاقَ] :

وحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن مَحْمُودِ بنِ لَبيدٍ ، . عن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ . قال لَمّا أعْطَى رسولُ الله ﷺ ما أعْطَى من تِلْكَ العَطايا ، في قُرَيْشٍ وفي قَبائِلِ العَرَبِ ولَم يَكُن في الأنْصارِ منها شيءٌ وجَدَ هذا الحَيّ من الأنْصارِ في أنْفُسِهِم ؟ حتى كَثُرَتْ منهم القالةُ حتى قال قائِلُهم لَقد لَقيَ والله رسولُ الله قَوْمَه فَدَخَلَ عليه سَعْدُ بنُ عُبادَةَ ، فَقال يا رسولَ الله إنّ هذا الحَيّ من الأنْصارِ قد وجَدُوا عَلَيْك في أنْفُسِهِم لِما صَنَعْت في هذا الفَيْءِ الذي أصَبْتَ قَسَمت في قَوْمِك ، وأعْطَيْت عَطايا عِظامًا في قَبائِلِ العَرَبِ ، ولَم [٨٤/أ] يَكُ في هذا الحَيّ من الأنْصارِ منها شيءٌ .

قال : «**فَأيْنَ أنْتَ من ذلك يا سَعْدُ؟**» قال يا رسولَ الله ما أنا إلاّ من قَوْمي . قال : «**فاجْمَعْ لي قَوْمَك في هذه الحَظيرَة**» . قال فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ الأنْصارَ في تِلْكَ الحَظيرَةِ . قال فَجاءَ

(١) حسن والحديث متفق عليه : رواه أحمد [٣/٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩] والطبري في التاريخ [٢/١٧٦] وابن أبي شيبة [٨/٥٥٣] كلهم من طريق ابن إسحاق وإسناده حسن وعبد الرزاق [١٩٩١٨] . من طريق أخر عن أبي سعيد . والحديث متفق عليه بألفاظ قريبة ، من حديث عبد الله بن زيد ، رواه البخاري [٤٣٣٠] ومسلم [١٠٦١] ، ومن حديث أنس ، رواه البخاري [٤٣٣١] ومسلم [١٠٥٩] .

رِجالٌ من المهاجِرينَ فتَرَكَهم فدَخَلُوا ، وجاءَ آخَرُونَ فرَدَّهم . فلَمّا اجْتَمَعُوا [له] أتاه سَعْدٌ فقال يا رسول الله قد اجْتَمَعَ لَكَ هذا الحيّ من الأنصارِ . فأتاهم رسولُ الله ﷺ فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه بما هُوَ أهلُه ثمّ قال : **يا مَعْشَرَ الأنصارِ : ما قالةٌ بَلَغَتْني عَنْكُمْ وجِدَةٌ وجَدْتُمُوها عَلَيَّ في أنفُسِكُم ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلاّلاً فَهَداكُمُ الله وعالةً فأغناكُمُ الله وأعداءً فألّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكُم»** قالُوا : بَلَى ، الله ورسولُه أمَنّ وأفْضَلُ . ثمّ قال : «**ألا تُجيبونَني يا مَعْشَرَ الأنصارِ؟**» قالُوا : بماذا نُجيبُك يا رسولَ الله ؟ لله ولرسولِه المَنّ والفَضْلُ . فقال ﷺ : «**أما والله لَوْ شِئْتُم لَقُلْتُم فَلَصَدَقْتُم ولَصُدِّقْتُم أتَيْتَنا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْناك ، ومَخْذُولاً فَنَصَرْناك ، وطَريدًا فآوَيْناك ، وعائِلاً فَواسَيْناك . أوَجَدْتُم يا مَعْشَرَ الأنصارِ في أنفُسِكُم في لُعاعَةٍ من الدنيا تَألّفت بها قَوْمًا لِيُسْلِمُوا . ووَكَلْتُكُم إلى إسلامِكُمْ ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأنصارِ أن يَذْهَبَ النّاسُ بالشّاةِ والبَعيرِ وتَرْجِعُوا بِرسولِ الله إلى رِحالِكُمْ ؟ فَوالذي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِه لَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرأً من الأنصارِ ، ولَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وسَلَكَتِ الأنصارُ شِعْبًا ، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأنصارِ . اللّهمّ ارْحَمِ الأنصارَ ، وأبناءَ الأنصارِ . وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ**» قال فَبَكَى القَوْمُ حتى أخْضَلُوا لِحاهم وقالُوا : رَضِينا بِرسولِ الله قَسْمًا ، وحَظًّا . ثمّ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ وتَفَرّقُوا .

* * *

عُمرةُ الرسولِ من الجِعْرانَةِ واستخلافُه عَتّابَ بنَ أُسيدٍ على مَكّةَ وحَجّ عَتّابٍ بالمسلمين سَنَةَ ثَماني

قال ابنُ إسحاقَ : (١) ثُمّ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من الجِعْرانَة مُعْتَمِرًا ، وأَمَرَ بِبَقايا الفَيْءِ فَحُبِسَ بِمَجَنّةَ ، بِناحيةِ مَرّ الظَّهْرانِ ، فَلَمّا فَرَغَ رسولُ الله ﷺ من عُمرَتِه انصَرَفَ راجِعًا إلى المَدينةِ ، واستَخْلَفَ عَتّابَ بنَ أسيدٍ على مَكّةَ ، وخَلّفَ مَعَه مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ، يُفَقِّه النّاسَ في الدِّينِ ويُعَلِّمُهم القُرْآنَ واتّبعَ رسولُ الله ﷺ بِبَقايا الفَيْءِ .

قال ابنُ هشام : (٢) وبَلَغَني عن زَيْدِ بنِ أَسلَمَ أنّه قال لَمّا استَعْمَلَ النّبيّ ﷺ عَتّابَ بنَ أسيدٍ على مَكّةَ رَزَقَه كُلّ يوم دِرْهَمًا ، فَقامَ فَخَطَبَ النّاسَ فَقال أيّها النّاسُ أجاعَ الله كَبِدَ مَن جاعَ على دِرْهَمٍ ، فقد رَزَقَني رسولُ الله ﷺ دِرْهَمًا كُلّ يوم فَليستْ بي حاجَةٌ إلى أحَدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : وكانَتْ عُمرَةُ رسولِ الله ﷺ في ذي القَعْدَةِ فَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ في بَقيّةِ ذي القَعْدَةِ أوْ في أول ذي الحِجّةِ .

قال ابنُ هشام : وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ لِستّ لَيالٍ بَقينَ من ذي القَعْدَةِ فيما زَعَمَ أبو عمرٍو المَدَنيّ .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَجّ النّاسُ تِلْكَ السّنَةَ على ما كانَتِ العَرَبُ تَحُجّ عليه وحَجّ بالمُسلمينَ تِلْكَ السّنَةَ عَتّابُ بنُ أسيدٍ ، وهيَ سَنَةَ ثَمانٍ وأقامَ أهلُ الطّائِفِ على شِرْكِهِم وامتِناعِهِم في طائِفِهِم ما بَيْنَ ذي القَعْدَةِ إذِ انصَرَفَ رسولُ الله ﷺ إلى شَهْرِ رَمَضانَ من سَنَةِ تِسْعٍ .

أمرُ كَعْبِ بن زُهَيْرٍ بعد الانْصِرافِ عن الطّائِفِ

وَلَمّا (٣) قَدِمَ رسولُ الله ﷺ من مُنْصَرَفِه عن الطّائِفِ كَتَبَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى إلى أخيه كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُه أنّ رسولَ الله ﷺ قَتَلَ رِجالاً بِمَكّةَ ، مِمّن كان يَهْجُوه ويُؤْذيه وأنّ مَن بَقِيَ من شُعَراءِ قُرَيْشٍ ، ابنَ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَةَ بنَ أبي وهْبٍ ، قد هَرَبوا في كُلّ وجْهٍ فَإن كانَتْ لَك

---

(١) اعتمار النبي ﷺ ذكره أصحاب السير مثل عروة بن الزبير وموسى بن عقبة والواقدي وغيرهم .
وقد نفى ابن عمر رضي الله عنهما هذه العمرة . وقال لم يعتمر منها ، كما هو ثابت عنه في الصحيحين . قلت : وقد ثبت عن غيره من الصحابة أن النبي ﷺ اعتمر من الجعرانة من حديث أنس رواه البخاري [١٧٨٠] ومسلم [١٢٥٣] وكذلك من حديث يعلي بن منبه رضي الله عنه ، رواه البخاري [٤٩٨٥] ومسلم [١١٨٠] .

(٢) **مرسل** : إسناده ضعيف فيه جهالة من بلغ ابن هشام عن زيد .

(٣) **مرسل** : رواه الحاكم [٥٨٣/٣] والطبراني [١٧٦/١٩ - ١٧٨] والبيهقي في الدلائل [٢١١/٥] . ومن مرسل علي بن زيد بن جدعان ، رواه البيهقي [٢١١/٥] والحاكم [٥٨٢/٣] وقد روى موصلاً من حديث الحجاج بن ذي الرقيبة ....=

في نَفسِك حاجَةٌ فَطِرْ إلى رسولِ الله ﷺ فإنَّه لا يَقْتُلُ أحَدًا جاءَه تائبًا ، فإنه أنتَ لَمْ تَفْعَلْ فانجُ إلى نَجائِك من الأرْضِ وكان كَعْبُ [ابنُ زُهَيْرٍ] قد قال

ألا أبْلِغــــا عَنّي بُجَيْرًا رِسالةً ... فَهَلَكَ فيما قُلْتُ ويحَكَ هَلْكا ؟

فَبَيّن لَنــا إن كُنتَ لَسْتَ بفاعِلٍ ... على أيّ شيءٍ غَيْرَ ذلك دَلّكا

على خُلُقٍ لَــم أُلْفِ يومًا أبا له ... عليه وما تُلْفي عليه أبــا لَكا

فَإن أنتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ ... وَلا قائِلٌ إمّــا عَثَرْتَ لَعًا لَكا

سَقاكَ بِهــا المأمونُ كَأسًا رَوِيّةً ... وَأَهَلَكَ المأمونُ منهــا وعَلّكا

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى «المأمورُ» [٨٤/ب] وقَوْلُه «فَبَيّن لَنا» : عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ ، وأنْشَدَني بَعْضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ وحَديثِه

مَــــن مُبْلِغٌ عَنّي بُجَيْرًا رِسالةً ... فَهَلْ لَكَ فيما قلت بالخَيْفِ هَلْكا

شَرِبْتَ مــع المأمونِ كَأسًا رَوِيّةً ... فَأنْهَلَكَ المأمونُ منهـــا وعَلّكا

وَخالفتَ أسْبابَ الهُدَى واتّبَعْتَه ... على أيّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِك دَلّكا

على خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّــا ولا أبًا ... عليه ولَــم تُدْرِكْ عليه أخًا لَكا

فَإن أنتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بآسِفٍ ... وَلا قائِلٍ إمّــا عَثَرْتَ لَعًا لَكا

قال : وبَعَثَ بِها إلى بُجَيْرٍ ، فَلَمّا أتَتْ بُجَيْرًا كَرِهَ أن يَكْتُمَها رسولَ الله ﷺ فَأنْشَدَه إيّاها ، فقال رسولُ الله ﷺ لَمّا سَمِعَ «سَقاك بِها المأمونُ كأسًا» صَدَقَ وإنّه لَكَذُوبٌ ، أنا المأمونُ . ولَمّا سَمِعَ «على خُلُقٍ لَمْ تُلْفِ أُمّا ولا أبًا عليهِ» قال أجَلْ لَمْ يُلْفِ عليه أباه ولا أُمّه . ثُمّ قال بُجَيْرٌ لِكَعْبٍ :

مَن مُبْلِغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فــي التي ... تَلُومُ عليهــا باطِلاً وهِيَ أحْزَمُ

إلى الله (لا العُزّى ولا اللاّتِ) وحْدَه ... فَتَنْجُو إذا كــان النّجاءُ وتَسْلَمُ

لَدَى يــوم لا يَنْجُو وليس بِمُفْلِتٍ ... من النّاسِ إلاّ طاهِرُ القَلْبِ مُسْلِمُ

فَدِينُ زُهَيْرٍ وهــو لا شيءَ دِينُهُ وَدِينُ أبــي سُلْمَى على مُحَرّمِ

قال ابنُ إسحاق : وإنّما يقول كَعْبٌ «المأمونُ» ، [ويُقالُ «المأمورُ» في قَوْلِ ابنِ هشامٍ] لِقَوْلِ قُرَيْشٍ الذي كانَتْ تَقُولُه لِرسولِ الله ﷺ

* * *

= بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير عن أبيه عن جده ، رواه الحاكم [٥٧٩/٣] والبيهقي من طريقه [٢٠٧/٥] دلائل وصححه الحاكم . قلت ولم أقف على تراجم الرجال هذا الإسناد .

[قُدُومُ كَعْبٍ على الرّسُولِ وقَصِيدَتُه اللاّمِيّةُ] :

[قال ابنُ إسحاقَ] : فَلَمّا بَلَغَ كَعْبًا الكِتابُ ضاقَتْ به الأرْضُ وأشْفَقَ على نَفْسِه وأرْجَفَ به مَن كان في حاضِرِه من عَدُوّه فقالُوا : هُوَ مَقْتُولٌ . فَلَمّا لَم يَجِدْ من شيءٍ بُدًا قال قَصِيدَتَه التي يَمدَحُ فيها رسولَ الله ﷺ وذَكَرَ فيها خَوْفَه وإرْجافَ الوُشاةِ به من عَدُوّه ثُمّ خَرَجَ حتى قَدِمَ المَدِينَةَ ، فَنَزَلَ على رَجُلٍ كانَتْ بَيْنَه وبَيْنَه مَعْرِفَةٌ . من جُهَيْنَةَ ، كَما ذُكِرَ لي ، فَغَدا به إلى رسولِ الله ﷺ حينَ صَلّى الصّبحَ فَصَلّى مع رسولِ الله ﷺ ثُمّ أشارَ له إلى رسولِ الله ﷺ فَقال هذا رسولُ الله فَقُم إلَيْه فاستَأمِنه . فَذُكِرَ لي أنّه قامَ إلى رسولِ الله ﷺ حتى جَلَسَ إلَيْه فَوَضَعَ يَدَه في يَدِه وكان رسولُ الله ﷺ لا يَعْرِفُه فَقال يا رسولَ الله إنّ كَعْبَ بنَ زُهَيْرٍ قد جاءَ لِيَسْتَأمِنَ مِنك تائِبًا مُسْلِمًا ، فَهَلْ أنتَ قابِلٌ مِنه إن أنا جِئتُكَ به ؟ قال رسولُ الله ﷺ نَعم ؟ قال : أنا يا رسولَ الله كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ[1] : أنّه وثَبَ عليه رَجُلٌ من الأنْصارِ ، فَقال : يا رسولَ الله ، دَعْني وعَدُوّ الله أضرِبْ عُنُقَه فَقال رسولُ الله ﷺ دَعْه عَنكَ فإنّه قد جاءَ تائِبًا ، نازِعًا [عمّا كان عليه] قال فَغَضِبَ كَعْبٌ على هذا الحَيّ من الأنْصارِ ، لِما صَنَعَ به صاحِبُهم وذلك أنّه لَمْ يَتَكَلّم فيه رَجُلٌ من المُهاجِرينَ إلاّ بِخَيْرٍ فَقال في قَصِيدَتِه التي قال حينَ قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ :

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مُتَبُــــولُ ... مُتَيّمٌ عندها لَمْ يجن مَكْبُــــــولُ

وَما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ بــــرزت ... إلاّ أغَنّ غَضِيضُ الطّرْفِ مَكْحُولُ

هَيْفاءُ مُقْبِلَةً عَجْزاءُ مُــــــدْبِرَةً لا ... يُشْتَكَى قِصَرٌ منهـا ولا طُــولُ[2] [٨٥/أ]

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كَأنّه مُنْهَلٌ بِـــالرّاحِ مَعْلُـــولُ[3]

شُجّتْ بِذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَــةٍ ... صافٍ بِأبْطَحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ

تَنْفي الرّياحُ القَذَى عنه وأفْرَطَـــه ... من صَوْبِ غادِيَةٍ بيضٌ يَعالِيـلُ

ويلامنها خُلّةً لَــــوْ أنّها صَدَقَتْ ... بِوَعْدِها ولو انّ النّصْحَ مَقْبُــولُ

(١) مرسل وسبق تخريجه .

(٢) هيفاء : ضامرة البطن دقيقة الخاصرة . عجزاء : كبيرة العجز وهو الردف . ولا يشتكي قصر : أي لا يشتكي الرائي عند رؤيتها قصرًا فيها .

(٣) العوارض : المراد بها الأسنان كلها . الظلم : ماء الأسنان وبريقها . المنهل : المسقى . الراح : الخمر .

لكِنّها خُلّةٌ قـــد شيطَ من دَمِهـــا ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخـــلافٌ وتَبديـــلُ
فَما تَقومُ على حالٍ تَكُـــونُ بِهـــا ... كَما تَلَوّنُ في أثوابِهـــا الغُـــولُ
وَما تَمَسّكُ بالوصـــلِ الذي زَعَمَتْ ... إلاّ كَما يُمسِكُ المـاءَ الغَرابيـــلُ
كانَتْ مَواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَـــلاً ... وَما مَواعيدُه إلاّ الأباطيـــلُ(١)
أرْجُو وآمُلُ أن تَدْنُو مَوَدّتُهـــا ... وَما إخالُ لَدَيْنـــا مِنْكِ تَنْويـــلُ
فَلا يَغُرّنْكَ ما مَنّتْ وما وعَـــدَتْ ... إنّ الأمانيّ والأحلامَ تَضْليـــلُ
وأمسَتْ سُعادُ بأرْضٍ لا يُبَلّغُهـــا ... إلاّ العِتاقُ النّجيباتُ المَراسيـــلُ
وَلَن يُبَلّغَهـــا إلاّ عُـــذافِرَةٌ ... فيها على الأيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيـــلُ
من كُلّ نَضّاخَةِ الذّفْرى إذا عَرِقَتْ ... عُرضَتُها طامِسُ الأعْلامِ مَجْهُـــولُ
تَرْمي النِجادَ بِعَيْنَيْ مُفرِدٍ لَهَـــقٍ ... إذا تَوَقّدَتِ الحِزّانُ والميـــلُ
ضَخْمٌ مُقَلّدُها فَعْـــمٌ مُقَيّدُهـــا ... في خَلْقِها عن بناتِ الفَحْلِ تَفْضيلُ
[غَلْباءُ وجْناءُ عُلْكُـــومٌ مُـــذَكّرَةٌ ... في دَفّها سَعَةٌ قُدّامُها ميـــلُ(٢)
وَجِلْدُها من أُطُومٍ مـــا يُؤَيّسُـــه ... طِلْحٌ بِضاحيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْـــزُولُ]
حَرْفٌ أخُوها أبوها من مُهَجّنَـــةٍ ... وَعمّها خالُها قَوْداءُ شِمْليـــلُ(٣)
يَمشي القُرادُ عليهـــا ثُمّ يُزْلِقُـــه ... منها لَبانٌ وأقْرابٌ زَهاليـــلُ
عَيْرانَةٌ قُذِفَتْ بالنّحضِ عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عن بناتِ الزّوْرِ مَفْتُـــولُ
كأنّما فاتَ عَيْنَيْهـــا ومَذْبَحَهـــا ... من خَطْمِها ومِنَ اللّحْيَيْنِ بِرْطيلُ
تُمِرّ مِثْلَ عَسيبِ النّخْلِ ذا خُصَلٍ ... في غارِزٍ لَمْ تَخَوّنْه الأحاليـــلُ
[قَنْواءُ في حُرّتَيْها لِلْبَصيرِ بِهـــا ... عِتْقٌ مُبينٌ وفي الخَدّيْنِ تَسْهيلُ]
تَهوي على يَسَراتٍ وهْيَ لاهيَـــةٌ ... ذَوابِلٍ وقعهن الأرْضَ تَحْليـــلُ
سُمرِ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا ... لَمْ يَقِهِنّ سَواءَ الأُكْمِ تَنْعيـــلُ
[كأنّ أوْبَ ذِراعَيْها وقد عَـــرِقَتْ ... وَقد تَلَفّعَ بِالقُورِ العَساقيـــلُ]

---

(١) كانت : صارت . عرقوب : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد .

(٢) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين . علكوم : شديدة . مذكرة : عظيمة الخلقة . قدامها ميل : كناية عن طول عنقها أو سعة خطوتها .

(٣) المهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، القوداء : الطويلة الظهر والعنق . الش مليل : الخفيفة السريعة .

يومًا يَظَلّ بــه الحِرْباءُ مُرتبـــا ... كأنّ ضاحيَه فى النار مَملُــولُ

وما جــداب الأرض يرفعهـــا ... من اللوامع تخليط وتزييل [٨٥/ب]

وَقال لِلْقَوْمِ حاديهم وقد جَعَلَتْ ... بقُع الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصا قيلُ

وا شَدّ النهارِ ذِراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... قامَت لِجَاوَبَها نُكْدٌ مَثاكيـــلُ

نَوّاحَةٍ رِخْوَةِ الضَبْعَيْنِ ليس لهـا ... لَمّا نَعَى ذكْرَها النّاعُونَ مَعْقُـولُ[1]

تَفْرِى اللَّبانَ بِكَفَيْهـا ومِدْرَعُهـا ... مُشَقّقٌ عن تَراقيها رَعابيـــلُ[2]

تَسعَى الغُواةُ بجَنبَيْها وقَــــوْلُهم ... إنَك يا بنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتُـــولُ

وَقال كُلّ صَديقٍ كُنْتُ آمُلُــــه ... لا أُلْهِيَنَكَ إنّي عَنْكَ مَشغُـــولُ

فَقُلْتُ خَلّوا طريقِي لا أبـــا لَكُمُ ... فَكُلّما قَدّرَ الرّحْمَنُ مَفعُـــولُ

كُلّ ابنِ أُنْثَى وإن طالتْ سَلامَتُه ... يومًا على آلةٍ حَدْباءَ[3] محْمُولُ

نُبّئْتُ أنّ رسولَ اللّـــه أوْعَدَني ... والعَفْوُ عند رسولِ الله مَأمُولُ

مَهْلاً هَداك الذي أعْطاك نافِلَةَ ال ... فرقانِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيـــلُ

لا تَأخُذَنّي بِأقْـــوالِ الوُشاةِ ولَمْ ... أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرَتْ فيّ الأقاويـــلُ

لَقد أقُومُ مَقـــامًا لَوْ يَقُومُ بــــه ... يرا ويسمَعُ ما قدْ يَسْمَعُ الفيـلُ

لَظَلّ يَرْعَدُ من جرف بـــوادره ... إن لم يكن من الرّسُولِ تَنْويـلُ

حتى وضَعْتُ يَميني مـــا أُنازِعُها ... في كَفّ ذي نَقِماتٍ قولُه القيلُ

فَلَهْوَ أخْوَفُ عِنـدي إذْ أُكَلّمُــه ... وَقيلَ إنّكَ مَنْسُوبٌ ومَسئُـــولُ

من ضَيْغَمٍ بِضَراءِ الأرضِ مُخْـدَرُه ... في بَطْنِ عَثّرَ غيلٌ دُونَه غيـلُ[4]

يَغْدُو فَيُلْحِمُ ضِرْغامَيْنِ عَيْشُهمـا ... لَحْمُ من النّاسِ مَعْفُورٌ خَراديلُ

إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يَحِلّ لــــه ... أن يَتْرُكَ القِرْنَ إلاّ وهو مَفلُولُ

---

(١) النواحة : الكثيرة النواح على ميتها . رخوة الضبعين : مسترخية العضدين . بكرها في أول أولادها . المعقول : العقل .

(٢) تفري : تقطع . اللبان : الصدر . المدرع : القميص . رعابيل : قطع متفرقة .

(٣) الآلة الحدباء : النعش الذي يحمل عليه الميت .

(٤) ضيغم : أسد . ضراء الأرض : الأرض التي فيها شجر . المخدر : غابة الأسد . عثر : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . الغيل : الشجر الكثير الملتف . الخادر : الأسد الداخل في خدره .

مِنه تَظَلّ حمير الجَـــوّ نافِــــرَةً ... وَلا تَمَشّى بِواديه الأراجيـــلُ

وَلا يَزالُ بِواديه أخُـــو ثِقَــــةٍ ... مُضَرّجُ البَزّ والدّرْسين مَأكُولُ

إنّ الرّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضاءُ بِـــــه ... مُهَنّدٌ من سُيُوفِ الله مَسْلُـــولُ

في عُصْبَةٍ من قُرَيْشٍ قال قائلُهـــم ... بِبَطْنِ مَكّةَ لَمّا أسْلَمُوا زُولُـــوا

زالُوا فَما زال أنكـــاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللّقاءِ ولا ميلٌ مَعازيـــلُ

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزّهْرِ يَعْصِمُهم ... ضَرْبٌ إذا عَرّدَ السّودُ التّنابيـــلُ

شُمّ العَرانينِ أبطـــالٌ لَبُـــوسُهم ... من نَسْجِ داوُدَ في الهَيْجا سَرابيلُ [٨٦/أ]

بيضٌ سَوابِغُ قـد شُكّتْ لها حَلَقٌ ... كأنّها حَلَقُ القَفْعـــاءِ مَجْــــدُولُ

لَيْسُوا مَفاريحَ إن نالت رِمـــاحُهم ... قَوْمًا ولَيْسُـــوا مجَازيعًا إذا نيلُـــوا

يَملا يَقَعُ الطّعْنُ إلاّ في نُحُـــورِهم ... وَما لهم عن حياض المَوْتِ تَهليلُ

قال ابنُ هشام : قال كَعْبٌ هذه القَصيدَةُ بعد قُدُومِه على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ . وبَيْتُه «حَرْفٌ أخُوها أبوها» وبَيْتُه «يَمشي القُرادُ» ، وبَيْتُه «عَيْرانَةٌ قُذِفَتْ» ، وبَيْتُه «تُمِرّ مِثْلَ عَسيبِ النّخْلِ» ، وبَيْتُه «تَفْري اللّبان» ، وبَيْتُه «إذا يُساوِرُ قِرْنا» ، وبَيْتُه «ولا يَزالُ بِواديه» : عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

استِرْضاءُ كَعْبٍ الأنصارَ بِمَدْحِه إيّاهم :

قال ابنُ إسحاقَ : وقال عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ (١) : فَلَمّا قال كَعْبٌ «إذا عَرّدَ السّودُ التّنابيلُ» ، وإنّما يُريدُ[نا] مَعْشَرَ الأنصارِ ، لِما كان صاحِبُنا صَنَعَ بَهْ [ما صَنَعَ] وخَصّ المُهاجِرينَ من قُرَيْشٍ من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ بِمِدْحَتِه غَضِبَتْ عليه الأنْصارُ ؛ فَقال بعد أن أسْلَمَ يَمدَحُ الأنْصارَ ، ويَذْكُرُ بَلاءَهم مع رسولِ الله ﷺ ومَوْضِعَهم من اليَمَنِ :

مَن سَرّه كَرَمُ الحَياةِ فَـــلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ من صالحِي الأنْصارِ

وَرِثُوا المَكارِمَ كابِرًا عـــن كابِرٍ ... إنّ الخيارَ هم بنُو الأخيـــارِ

المُكْرِهينَ السّمهَـــرِيّ بِأذْرُعٍ ... كَسَوالِفِ الهِنديّ غَيْرَ قِصـــارِ

والنّاظِرينَ بِأعْيُنٍ مُحْمَـــرّةٍ ... كالجَمرِ غَيْرَ كَلِيلَةِ الأبْصـــارِ

والبائِعينَ نُفُوسَهم لِنَبيّهِـــم ... لِلمَوْتِ يَـــومَ تَعانُقٍ وكِرارِ

(١) سبق تخريجه والحكم عليه .

[والقائدينَ النّاسَ عــن أديانِهم بالمَشْرَفي وبالقنـــا الخطّارِ]
يتَطهّرُونَ يَرَوْنَه نُسكًا لهـــم بدِماءِ مَن عَلِقُوا مــن الكُفّارِ
دَرِبوا كمـــا دَرِبَتْ بِبَطْنِ خَفيّةٍ غُلْبُ الرّقابِ من الأسْوَدِ ضَواري
وَإذا حَلَلْتَ ليَمنعُوكَ إليْهِـــم أصْبحْتَ عنـــد مَعاقِلِ الأغفارِ
[ضَرَبوا عَليـــا يومَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دانَتْ لِوَقْعَتِهـــا جَميعُ نِزارِ]
لَوْ يَعْلَمُ الأقوامُ عِلْمي كُلّـــه فيهم لَصَدّقني الذيـــنَ أُماري
قَوْمٌ إذا خَوَتِ النّجُومُ فإنّهـــم لِلطّارِقينَ النّازِلينَ مَقـــاري
[في الغُرِّ من غَسّانَ من جُرْثُومَةٍ أعْيَتْ مَحافِرُها علـــى المِنْقارِ

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال له حَينَ أنشَدَه «بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبولُ» .

لَوْلا ذَكَرْتَ الأنصارَ بخَيْرٍ ، فإنّهم لِذلك أهلٌ فَقال كَعْبٌ هذه الأبياتَ وهيَ في قَصيدَةٍ له .

قال ابنُ هشامٍ[١] : «وذَكَرَ لي عن عَليّ بنِ زَيْدِ بنِ جُدْعانَ أنّه قال أنْشَدَ كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ رسولَ اللهِ ﷺ في المَسْجِدِ» .

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليومَ مَتْبولُ]

غَزْوَةُ تَبُوكَ في رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ

قال : [حَدّثَنا] أبو مُحمّدٍ عبدُ المَلِكِ بنِ هِشامٍ قال حدثنا زِيادُ بنُ عبدِ اللهِ البَكّائِيّ ، عن مُحمّدِ بنِ إسحاقَ المُطّلِبيّ قال : ثُمّ أقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بالمَدينَةِ ما بَيْن ذي الحِجّةِ إلى رَجَبٍ ثُمّ أمَرَ النّاسَ بالتّهَيّؤِ لِغَزْوِ الرّومِ وَقد ذَكَرَ لَنا الزّهْريّ ويَزيدُ بنُ رُومانَ وعبدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ وعاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، وغَيْرُهم من عُلَمائِنا ، كُلّ يحَدّثُ في غَزْوَةِ تَبوكَ ما بَلَغَه عنها ، وبَعْضُ القَوْمِ يُحَدّثُ ما لا يُحَدّثُ بَعْضٌ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ أمَرَ أصْحابَه بالتّهَيّؤِ لِغَزْوِ الرّومِ ، وذلك في زَمانِ [من] عُسْرَةِ النّاسِ وشِدّةٍ من الحَرّ وجَدْبٍ من البِلادِ وحينَ طابَتِ الثِّمارُ والنّاسُ يُحِبّونَ المُقامَ في ثِمارِهِم وظِلالِهِم ويَكْرَهُونَ الشّخُوصَ على الحالِ من الزّمانِ الذي هم عليه وكان رسولُ اللهِ ﷺ قَلّما يَخْرُجُ في غَزْوَةٍ إلاّ كَنّى عنها ، وأخْبَرَ أنّه يُريدُ غَيْرَ الوَجْه الذي يَصْمُدُ له إلاّ ما كان من غَزْوَةِ تَبوكَ ، فإنّه بَيّنَها لِلنّاسِ لِبُعْدِ الشّقّةِ وشِدّةِ الزّمانِ وكَثْرَةِ العَدُوّ الذي يَصْمُدُ له لِيَتَأهّبَ النّاسُ

(١) أسنده إليه الحاكم والبيهقي كما سبق .

لذلك أُهبَته فأمَرَ النَّاسَ بالجهازِ وأخبَرَهم أنه يُريدُ الرّومَ [١] . فقال رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم وهو في جهازِه ذَلِكَ لِلْجَدّ بنِ قيسٍ أحَدِ بني سَلِمَةَ «يا جَدّ ، هَلْ لَكَ العامَ في جِلادِ بني الأصْفَرِ؟» فقال يا رسولَ الله أوَ تَأذَنُ لي ولا تَفْتِنّي ؟ فوالله لقد عَرَفَ قَوْمي أنه ما من رَجُلٍ بأشَدّ عُجْبًا بالنّساءِ مِنّي ، وإنّي أخشَى إن رَأيتَ نِساءَ بني الأصْفَرِ أن لا أصْبِرَ فأعْرَضَ عنه رسولُ الله ﷺ وقال قد أذِنْتُ لَكَ .

ففي الجَدّ بنِ قيسٍ نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿ومنهم مَن يقول ائذَن لي ولا تَفْتِنّي ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وإنّ جَهَنّمَ لَمُحيطَةٌ بالكافِرينَ﴾ أيْ إن كان إنّما خَشَى الفِتْنَةَ من نِساءِ بني الأصْفَرِ وليس ذَلِك به فَما سَقَطَ فيه من الفِتْنَةِ أكبَر بتَخَلّفِه عن رسولِ الله ﷺ [٨٦/ب] والرّغبَة بنَفْسِه عن نَفْسِه يقول تَعالى : وإنّ جَهَنّمَ لَمِن ورائِه [٢] .

وَقال قَوْمٌ من المُنافِقينَ بَعْضُهم لِبَعْضٍ لا تَنْفِروا في الحَرّ زَهادَةً في الجِهادِ وشَكًّا في الحَقّ وإرْجافًا لرسولِ الله ﷺ فأنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالى فيهم ﴿وقالُوا لا تَنفِرُوا في الحَرّ قُلْ نارُ جَهَنّمَ أشَدّ حَرًا لَوْ كانوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً ولْيَبْكُوا كَثيرًا جَزاءً بِما كانوا يَكْسِبونَ﴾ .

قال ابنُ هشام : [٣] وحَدّثَني الثّقَةُ عمّن حَدّثَه عن مُحَمّدِ بنِ طَلْحَةَ بنِ عبدِ الرّحْمَنِ عن إسحاقَ بنِ إبْراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ حارِثَةَ عن أبيه عن جَدّه قال بَلَغَ رسولَ الله ﷺ أنّ ناسًا من المُنافِقينَ يَجْتَمِعُونَ في بَيْتِ سُوَيْلِمٍ اليَهُوديّ ، وكان بَيْتُه عند جاسُومَ ، يُثَبّطُونَ النّاسَ عن رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ ، فَبَعَثَ إلَيْهِم النّبيّ ﷺ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ الله في نَفَرٍ من أصْحابه وأمَرَه أن يُحَرّقَ عليهم بَيْتَ سُوَيْلِمٍ فَفَعَلَ طَلْحَةُ . فاقْتَحَمَ الضّحّاكُ بنُ خَليفَةَ من ظَهْرِ البَيْتِ فانْكَسَرَتْ رِجْلُه واقْتَحَمَ أصْحابُه فَأفْلَتُوا . فقال الضّحّاكُ في ذلكَ :

كادَتْ وبَيْتِ الله نـــــارُ مُحَمّدٍ ... يَشيطُ بِهـا الضّحّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ
وَظَلْتُ وقد طَبّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أنُوءُ علـى رِجْلي كَسيرًا ومِرْفَقي
سَلامٌ عَلَيْكُم لا أعُودُ لِمِثْلِهـا ... أخافُ ومَن تَشْمَلْ به النّارُ يُحْرَقِ

* * *

(١) أسانيد ابن إسحاق مرسلة يقوي بعضها بعضًا وهذا الكلام ثابت في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري [٢٩٥٠] وابن أبي شيبة [٨/٥٥٩ - ٥٦٠] .

(٢) سبق تخريجه في ذكر المنافقين .

(٣) ضعيف : فيه جهالة شيخ ابن هشام وشيخ شيخه . ومحمد بن طلحة يخطئ وقال أبو حاتم : محله الصدق ، ولا يحتج به ، وإسحاق بن إبراهيم ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه شيئًا ، وأبوه لا يعرف .

[حَثّ الرَسُول على النَفَقَةِ وشَأنُ عُثْمَانَ في ذلك] :

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ إنّ رسولَ الله ﷺ جَدّ في سَفَرِه وأمَرَ النّاسَ بالجِهازِ والانكماشِ وحَضّ أهلَ الغِنَى على النَفَقَةِ والحُملانِ في سَبيلِ الله فَحَمَلَ رجالٌ من أهلِ الغِنَى واحْتَسَبوا ، وأنْفَقَ عُثْمَانُ بنُ عَفّانَ في ذلك نَفَقَةً عَظِيمَةً لَمْ يُنْفِقْ أحَدٌ مِثْلَها [١] .

قال ابنُ هشام : وحَدّثني مَن أثِقُ به أنّ عُثْمَانَ بنَ عَفّانَ أنفَقَ في جَيْشِ العُسْرَةِ في غَزْوَةِ تَبوكَ ألْفَ دينارٍ ، فقَالَ رسولُ الله ﷺ اللّهمّ ارْضَ عن عُثْمَانَ ، فإنّي عنه راضٍ [٢] .

[شَأنُ البَكّائِينَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ إنّ رجالاً من المُسْلِمِينَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وهم البَكّاءُونَ ، وهم سَبْعَةُ نفرٍ من الأنْصارِ وغَيْرِهِم من بني عمرو بنِ عَوْفٍ سالِمُ بنُ عُمَيْرٍ ، وعُلْبَةُ بنُ زَيْدٍ ، أخُو بني حارِثَةَ وأبو لَيْلَى عبدُ الرّحْمَنِ بنُ كَعْبٍ أخُو بني مازِنِ بنِ النّجّارِ وعمرُو بنُ حُمامِ بنِ الجَمُوحِ أخُو بني سلمَةَ وعبدُ الله بنُ المُغَفّلِ المُزَنِيّ - وبَعْضُ النّاسِ يقول بَلْ هُوَ عبدُ الله بنُ عمرو المُزَنِيّ - وهَرَمِيّ ابنُ عبدِ الله أخُو بني واقِفٍ وعِرْباضُ بنُ سارِيَةَ الفَزارِيّ . فاسْتَحْمَلُوا رسولَ الله ﷺ وكانوا أهلَ حاجَةٍ فَقال : «**لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عليه**» ، فَتَوَلّوْا وأعْيُنُهُم تَفيضُ من الدّمعِ حَزَنًا ألاّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَبَلَغَني أنّ ابنَ يامينَ بنِ عُمَيْرِ بنِ كَعْبٍ النّضْرِيّ لَقِيَ أبا لَيْلَى عبدَ الرّحْمَنِ ابنَ كَعْبٍ وعبدَ الله بنَ مُغَفّلٍ وهما يَبْكيانِ فَقال ما يُبْكيكُما ؟ قالا : جِئْنا رسولَ الله ﷺ ليَحْمِلَنا ، فَلَمْ نَجِدْ عنده ما يَحْمِلُنا عليه وليس عندنا ما نَتَقَوّى به على الخُرُوجِ مَعَه فَأعْطاهما ناضِحًا له فارْتَحَلاه وزَوّدَهما شيئًا من تَمرٍ فَخَرَجا مع رسولِ الله ﷺ .

قال [ابنُ إسحاقَ] [٣] : وجاءَه المُعَذِّرُونَ من الأعْرابِ ، فاعْتَذَرُوا إلَيْه فَلَم يَعْذِرْهم الله تَعالى . وقد كان ذُكِرَ لي أنّهم نَفَرٌ من بني غِفارٍ .

ثُمّ استَتَبّ برسول الله ﷺ سَفَرُه وأجْمَعَ السّيْرَ وقد كان نَفَرٌ من المُسْلِمِينَ أبطَأتْ بِهِم النّيّةُ عن

---

(١) **حسن** : لم يذكر ابن إسحاق سنده ، وكذلك ابن هشام ، وقد روي موصولاً من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه . رواه أحمد [٥/٦٣] والترمذي [٣٧٠١] والحاكم [٣/١٠٢] وحسنه الترمذي . ومن حديث عبد الرحمن بن خباب السلمي . رواه أحمد [٤/٢٧٥] والترمذي [٣٧٠١] وفيه فرقد : مجهول . ومن حديث الأحنف بن قيس ، رواه النسائي [٦/٢٣٤] وله شاهد في البخاري من رواية أبي عبد الرحمن السلمي ، وذكر قصة الثوار الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه [٢٧٧٨] .

(٢) **مرسل** : رواه الطبري في التاريخ [٢/١٨٢] والبيهقي في الدلائل [٥/٢١٨] .

(٣) **مرسل** : رواه الطبرى فى التاريخ [٢/١٨٢] والبيهقى دلائل [٥/٢١٨] .

رسولِ الله ﷺ حتى تَخَلَّفُوا عنه عن غَيْرِ شَكٍّ ولا ارْتِيابٍ منهم كَعْبُ بنُ مالكِ بنِ أبي كَعْبٍ ، أخُو بني سَلِمَةَ ومُرارَةُ بنُ الرّبيع أخُو بني عمرو بنِ عَوْفٍ وهِلالُ بنُ أُمَيّةَ ، أخُو بني واقِفٍ وأبو خَيْثَمَةَ أخُو بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ . وكانوا نَفَرَ صِدْقٍ لا يُتَّهَمُونَ في إسلامِهِم .

فَلَمّا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ ضَرَبَ عَسْكَرَه على ثَنِيّةِ الوَداعِ .[٨٧/أ] **قال ابنُ هشامٍ :** واستَعْمَلَ على المَدينَةِ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ الأنصاريّ .

وَذَكَرَ عبدُ العَزيزِ الاندراوزدي [بنُ مُحَمّدٍ الدَراوَرْديّ عن أبيه] أنّ رسولَ الله ﷺ اسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ ، مَخْرَجَه إلى تَبوكَ ، سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ (١) .

[تَخَلّفُ المُنافِقِينَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وضَرَبَ عبدُ الله بنُ أُبَيّ مَعَه على حِدَةٍ عَسْكَرَه أسْفَلَ مِنْه نَحْوَ ذُبابٍ ، وكان فيما يَزْعُمُونَ ليس بأقَلّ العَسْكَرَيْنِ . فَلَمّا سارَ رسولُ الله ﷺ تَخَلّفَ عنه عبدُ الله بنُ أُبَيّ ، فيمَن تَخَلّفَ من المُنافِقِينَ وأهلِ الرّيَبِ .

[شَأنُ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ] :

وَخَلّفَ رسولُ الله ﷺ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ ، رِضْوانُ الله عليه على أهلِه وأمَرَه بالإقامَةِ فيهم فأرْجَفَ به المُنافِقُونَ وقالُوا : ما خَلّفَه إلاّ اسْتِثْقالاً له وتَخَفّفًا مِنه . فَلَمّا قال ذلك المُنافِقُونَ أخَذَ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ ، رِضْوانُ الله عليه سِلاحَه ثُمّ خَرَجَ حتى أتَى رسولَ الله ﷺ وهو نازِلٌ بالجُرْفِ فقال يا نَبِيّ الله زَعَمَ المُنافِقُونَ أنّكَ إنّما خَلّفْتَني أنّكَ اسْتَثْقَلْتَني وتَخَفّفْتَ مِنّي ، فقال : **«كَذَبوا ، ولكِنّني خَلّفْتُكَ لِما تَرَكْتُ ورائي ، فارْجِعْ فاخْلُفْني في أهلي وأهلِكَ ، أفَلا تَرْضَى يا عَلِيّ أن تَكُونَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ من مُوسَى ؟ إلاّ أنّه لا نَبِيّ بَعْدي»** ، فَرَجَعَ عَلِيّ إلى المَدينَةِ : ومَضَى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه .

قال ابنُ إسحاقَ : وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ طَلْحَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ رُكانَةَ عن إبراهيمَ بنِ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ عن أبيه سَعْدٍ أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول لِعَلِيّ هذه المَقالَةَ (٣) .

[شَأنُ أبي خَيْثَمَةَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٤) ثُمّ رَجَعَ عَلِيّ إلى المَدينَةِ ، ومَضَى رسولُ الله ﷺ على سَفَرِه ثُمّ إنّ أبا

---

(١) مرسل .

(٢) حديث النبي ﷺ لعلي متفق عليه رواه البخاري [٣٧٠٦] ، ومسلم [٣٤٠٤] .

(٣) سند ابن إسحاق حسن ، والحديث متفق عليه كما سبق .

(٤) صحيح بمعناه : سند ابن إسحاق مرسل ، ورواه عنه الطبري والبيهقي في الدلائل . والمعنى صحيح في حديث كعب بن مالك ، رواه عبد الرزاق [٩٧٤٤] ومسلم [٢٧٦٩] وابن أبي شيبة [٦٥٩/٨] وغيرهم .

خَيْثَمَةَ رَجَعَ بعد أن سارَ رسولُ الله ﷺ أيامًا إلى أهلِه في يومٍ حارّ فَوَجَدَ امرأتَينِ له في عَرِيشَينِ لهما في حائِطِه قد رَشّتْ كُلّ واحِدَةٍ منهما عَرِيشَها ، وبَرّدَتْ له فيه ماءً وهَيّأتْ له فيه طَعامًا . فلَمّا دَخَلَ قامَ على بابِ العَرِيشِ فَنظَرَ إلى امرأتَيه وما صَنَعَتا له فقال رسولُ الله ﷺ في الضّحّ والرّيحِ والحَرّ وأبو خَيْثَمَةَ في ظِلّ باردٍ وشراب بارد وطَعام مُهَيّأٍ وامرأةٍ حَسْناءَ في مالِه مُقيمٌ ما هذا بِالنّصَفِ ثُمّ قال : والله لا أدْخُلُ عَرِيشَ واحِدَةٍ مِنْكُما حتى ألْحَقَ بِرسولِ الله ﷺ فَهَيّئا ؛ لي زادًا ، ففَعَلَتا . ثُمّ قَدّمَ ناضِحَه فارْتَحَلَه ثُمّ خَرَجَ في طَلَبِ رسولِ الله ﷺ حتى أدْرَكَه حينَ نَزَلَ تَبوكَ . وقد كان أدْرَكَ أبا خَيْثَمَةَ عُمَيْرَ بنَ وهْبٍ الجُمَحيّ في الطّريقِ يَطْلُبُ رسولَ الله ﷺ فتَرافَقا ، حتى إذا دَنَوا من تَبوك . قال أبو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بنِ وهْبٍ إنّ لي ذَنْبًا ، فَلا عَلَيْك أن تتخَلّفَ عَنّي حتى آتِيَ رسولَ الله ﷺ : ففَعَلَ حتى إذا دَنا . من رسولِ الله ﷺ وهو نازِلٌ بِتَبوكَ قال النّاسُ هذا راكِبٌ على الطّريقِ مُقْبِلٌ فقال رسولُ الله ﷺ : «**كُن أبا خَيْثَمَةَ**» ؛فقالُوا : يا رسولَ الله هُوَ والله أبو خَيْثَمَةَ . فلَمّا أناخَ أقْبَلَ فَسَلّمَ على رسولِ الله ﷺ فقال له رسولُ الله ﷺ : «**أوْلَى لَكَ يا أبا خَيْثَمَةَ**» . ثُمّ أخْبَرَ رسولَ الله ﷺ الخَبَرَ ؛ فقال له رسولُ الله ﷺ خيْرًا ، ودَعا له بِخَيْرٍ .

قال ابنُ هشامٍ : **وقال أبو خَيْثَمَةَ في ذلك شِعْرًا ، واسْمُه مالِكُ بنُ قَيْسٍ رحمة الله عليه :**

لَمّا رَأيْتُ النّاسَ في الدّينِ نافَقُوا ... أتَيْتُ التي كانَتْ أعَفّ وأكْرَما

وَبايَعْتُ بِاليُمنَى يَدي لِمُحَمّدٍ ... فَلَم أكْتَسِبْ إثْمًا ولَمْ أغْشَ مُحَرّمًا

تَرَكْتُ خَضيبًا في العَريشِ وصِرْمَةً ... صفايا كِرامًا بُسْرُها قد تَحَمّما

وَكُنْتُ إذا شَكّ المُنافِقُ أسْمَحَتْ ... إلى الدّينِ نَفْسي شَطْرَه حَيْثُ يَمّما

[النّبيّ والمُسْلِمُونَ بِالحِجْرِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وقد كان رسولُ الله ﷺ حينَ مَرّ بِالحِجْرِ نَزَلَها ، واسْتَقَى للنّاسُ من بِئْرِها . فَلَمّا راحُوا قال رسولُ الله ﷺ : «**لا تَشْرَبوا من مائِها شيئًا ،ولا تَتَوَضّئُوا مِنه لِلصّلاةِ وما كان من عَجِينٍ عَجَنْتُمُوه فاعْلِفُوه الإبِلَ ولا تَأكُلوا مِنه شيئًا ، ولا يَخْرُجَنّ أحَدٌ مِنكُمُ اللّيْلَةَ إلاّ ومَعَه** [٨٧/ب] **صاحِبٌ له**» [2] . فَفَعَلَ النّاسُ ما أمَرَهم به رسولُ الله ﷺ إلاّ أنّ رَجُلَيْنِ من بني ساعِدَةَ خَرَجَ أحَدُهما لِحاجَتِه وخَرَجَ الآخَرُ في طَلَبِ بَعيرٍ له فَأمّا الذي ذَهَبَ لِحاجَتِه

---

(١) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٨٣/٢] والبيهقي دلائل [٢٤٠/٥] .

(٢) اللفظ إلى هنا متفق عليه بمعناه . رواه البخاري [٣٣٧٩] ومسلم [٢٩٨١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : «إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر ، أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة» .

فإنه خُنِقَ على مَذْهَبه ، وأمّا الذي ذَهَبَ في طَلَبِ بَعيرِه فاحْتَمَلَتْه الرِّيحُ حتى طَرَحَتْه بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ . فأُخْبِرَ بذلك رسولُ الله ﷺ فقال ألم أنْهَكُم أن يَخْرُجَ مِنكُم أحدٌ إلاّ ومَعَه صاحِبُه ثُمّ دَعا رسولُ الله ﷺ لِلّذي أُصيبَ على مَذْهَبه فَشُفِيَ ، وأمّا الآخَرُ الذي وقَعَ بِجَبَلَيْ طَيِّئٍ فإنّ طَيِّئًا أهدَته لِرسولِ الله ﷺ حينَ قَدِمَ المَدينَةَ .

والحَديثُ عن الرّجُلَيْنِ عن عبدِ الله بنِ أبي بَكْرٍ ، عن عَبّاسِ بنِ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السّاعِديّ ؛ وقد حَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أن قد سَمّى له العَبّاسُ الرّجُلَيْنِ ولَكِنّه استَوْدَعَه إيّاهما ، فَأَبَى عبدُ الله أن يُسَمّيَهما لي .

قال ابنُ هشامٍ : وبَلَغَني عن الزّهريّ ، أنّه قال : [1] لَمّا مَرّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْرِ سَجّى ثَوْبَه على وجْهِه واستَحَثّ راحِلَتَه ثُمّ قال : لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ الذينَ ظَلَمُوا أنفسهم إلاّ وأنتُم باكُونَ خَوْفًا أن يُصيبَكُم مِثْلُ ما أصابَهم .

قال ابنُ إسحاقَ : [2] فَلَمّا أصْبَحَ النّاسُ ولا ماءَ مَعَهم شَكَوْا ذلك إلى رسولِ الله ﷺ فَدَعا رسولُ الله ﷺ فأَرْسَلَ الله [سُبحانَه] سَحابَةً فأمطَرَتْ حتى ارْتَوَى النّاسُ واحتَمَلُوا حاجَتَهم من الماءِ .

قال ابنُ إسحاقَ : [3] فَحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن مَحْمُودِ بنِ لَبِيدٍ ، عن رِجالٍ من بني عبدِ الأشْهَلِ قال : قلت لِمَحْمُودٍ هَلْ كان النّاسُ يَعْرِفُونَ النّفاقَ فيهم ؟ قال نَعم والله إن كان الرّجُلُ لَيَعْرِفُه من أخيه ومِن أبيه ومِن عمّه وفي عَشيرَتِه ثُمّ يَلْبَسُ بَعْضُهم بَعْضًا على ذلك . ثُمّ قال مَحْمُودٌ لَقَد أخْبَرَني رِجالٌ من قَوْمي عن رَجُلٍ من المُنافِقينَ مَعْرُوفٍ نِفاقُه كان يَسيرُ مع رسولِ الله

---

(1) متفق عليه : سند ابن هشام مرسل ومعضل . وثبت الحديث من رواية ابن عمر في الصحيحين رواه البخاري [٣٣٨٠] ومسلم [٢٩٨٠] .

(2) حديث حسن : سند ابن إسحاق مرسل . وروي من حديث ابن عباس عن عمر رواه البزار [١٨٤١] وابن حبان [١٣٨٣] والحاكم [١/١٥٩] والطبراني في الأوسط [٣٣١٦] والبيهقي دلائل [٥/٢٣١] من رواية عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال : قيل لعمر ابن الخطاب : حدثنا من شأن العسرة .

قال : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً ، أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الماء ، فلا يرجع حتى نظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله قد عودك الله في الدعاء خيرًا ، فادع لنا ، فقال : (أتحب ذلك) ؟ قال نعم . قال : فرفع يديه ﷺ ، فلم يرجعهما حتى أظلت سحابة فسكبت ، فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجدها جاوزت العسكر . قلت : سنده حسن ، ويشهد له الحديث الآتي .

(3) حسن : رواه الطبري في تاريخه [٢/١٨٤] والبيهقي في الدلائل [٥/٢٣٢] من طريق ابن إسحاق ، وسنده حسن ، ومحمود بن لبيد صحابي صغير ولا يضر جهالة من حدثه فهم صحابة .

ﷺ [حَيثُ سارَ] فَلَمّا كان من أمرِ النّاسِ بالحِجْرِ ما كان ودَعا رسولُ الله ﷺ حينَ دَعا ، فأَرْسَلَ الله السّحابَةَ فأمطَرَتْ حتى ارْتَوَى النّاسُ قالُ : أقْبَلْنا عليه نَقُولُ ويْحَكَ ، هَلْ بعد هذا شيءٌ قال سَحابَةٌ مارّةٌ .

[ناقَةُ الرّسُولِ ضَلّتْ وحديثُ ابنِ اللّصَيتِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ إنّ رسولَ الله ﷺ سارَ حتى إذا كان ببعْضِ الطّرِيقِ ضَلّتْ ناقَتُه فخَرَجَ أصْحابُه في طَلَبِها ، وعند رسولِ الله ﷺ رَجُلٌ من أصْحابه يُقالُ له عُمارَةُ بنُ حَزْمٍ ، وكان عَقَبيّا بَدْريّا ؟ وهو عمّ بني عمرِو بنِ حَزْمٍ ، وكان في رَحْلِه زَيْدُ بنُ اللّصَيْتِ القَيْنُقاعيّ وكان مُنافِقًا .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ ابنُ لُصَيْبٍ [بالباءِ] .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] فحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن محْمُودِ بنِ لَبِيَدٍ ، عن رِجالٍ من بني عبدِ الأشْهَلِ وكان منافقاً قالُوا : فقال زَيْدُ بنُ لَصَيْتٍ وهو في رَحْلِ عُمارَةَ وعُمارَةُ عند رسولِ الله ﷺ أليس محَمّدٌ يَزْعُمُ أنه نَبيّ ، ويُخْبِرُكُم عن خَبَرِ السّماءِ وهو لا يَدْري أيْنَ ناقَتُه ؟ فقال رسولُ الله ﷺ وعُمارَةُ عنده : «**إنّ رَجُلاً قال هذا محَمّدٌ يُخبِرُكُم أنّه نَبيّ ، ويَزْعُمُ أنه يُخبِرُكُم بأمرِ السّماءِ وهو لا يَدْري أيْنَ ناقَتُه وإنّي والله ما أعْلَمُ إلاّ ما عَلّمَني الله وقد دَلّني الله عليها ، وهيَ في هذا الوادي ، في شِعْبِ كَذا وكَذا ، قد حَبَسَتْها شَجَرَةٌ بزِمامِها ، فانطَلِقُوا حتى تَأتُوني بها**» ، فذَهَبوا ، فجاءُوا بها . فرَجَعَ عُمارَةُ بنُ حَزْمٍ إلى رَحْلِه فقال والله لَعَجَبٌ من شيءٍ حَدّثَناه رسولُ الله ﷺ آنِفًا ، عن مَقالةِ قائِلٍ أخْبَرَه الله عنه بكَذا وكَذا ، لِلّذي قال زَيْدُ بنُ لُصَيْتٍ فقال رَجُلٌ ممّن كان في رَحْلِ عُمارَةَ ولَمْ يحْضُرْ رسولَ الله ﷺ زَيْدٌ والله قال هذه المَقالَةَ قَبلَ أن تأْتِيَ . فأقْبَلَ عُمارَةُ على زَيْدٍ يجَأُ في عُنُقِه ويقول إلَيّ عِبادَ الله إنّ في رَحْلي لَداهيَةً وما أشْعُرُ اخْرُجْ أيْ عَدُوّ الله من رَحْلي ، فلا تَصْحَبني .

شَأنُ أبي ذَرّ :

قال ابنُ إسحاقَ : فزَعَمَ بَعْضُ النّاسِ أنّ زَيْدًا تابَ بعد ذلك وقال بَعْضُ النّاسِ لَمْ يَزَلْ مُتّهَمًا بشَرّ حتى هَلَكَ . قال : ثُمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ سائِرًا ، فجَعَلَ يَتَخَلّفُ عنه الرّجُلُ يقولونَ يا رسولَ الله تخَلّفَ فُلانٌ فيقول دَعُوه فإن يَكُ فيه خَيْرٌ فسَيَلْحَقُه.الله تَعالى بكم وإن يَكُ غَيْرَ ذلك فقد أراحَكُم الله مِنه حتى قيلَ يا رسولَ الله قد تخَلّفَ أبو ذَرّ وأبطأ به بَعيرُه فقال دَعُوه فإن يَكُ فيه خَيْرٌ فسَيَلْحَقُه الله بكم ، وإن يَكُ غَيْرَ ذلك فقد أراحَكُم الله مِنه وتَلَوّمَ أبو ذَرّ على بَعيرِه فلَمّا أبطَأ عليه أخَذَ مَتاعَه فحَمَلَه على ظَهْرِه ثُمّ خَرَجَ يَتْبَعُ أثَرَ رسولِ الله ﷺ ماشِيًا . ونزَلَ رسولُ الله

---

(١) مثل سابقه .

في بَعضِ مَنازِله فَنَظَرَ ناظِرٌ من المُسلِمينَ فَقال يا رسولَ الله إنّ هـذا الرّجُلَ يَمشي على الطّريقِ وحْدَه فَقال رسولُ الله ﷺ كُن أبا ذَرّ . فَلَمّا تَأمّلَه القَوْمُ قالُوا : يا رسولَ الله هُوَ والله أبو ذَرّ فَقال رسولُ الله ﷺ رَحِمَ الله أبا ذَرّ ، يَمشي وحْدَه ويَمُوتُ وحْدَه ويحشر وحده ويُبْعَثُ وحْدَه .

وَقال ابنُ إسحاقَ : [1] فَحَدّثَني بُرَيْدَةُ بنُ سُفيانَ الأسلَميّ ، عن [مُحمّد ابنِ] كَعْبٍ القُرَظيّ ، عن عبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ ، قال : لَمّا نَفَى عُثمانُ أبا ذَرّ إلى الرّبَذَةِ ، وأصابَه بِها قَدَرُه لَم يَكُن مَعَه أحَدٌ إلاّ امرأتُه وغُلامُه فأوْصاهما أن اغْسِلاني وكَفّناني ، ثُمّ ضَعاني على قارِعَةِ الطّريقِ فأوّلُ رَكْبٍ يَمُرّ بِكَم فَقُولُوا : هذا أبو ذَرّ صاحِبُ رسولِ الله ﷺ فأعينُونا على دَفْنِه . فَلَمّا ماتَ فَعَلا ذلك [به] . ثُمّ وضَعاه على قارِعَةِ الطّريقِ فأقْبَلَ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ في رَهْطٍ من أهلِ العِراقِ عُمّارٍ فَلَم يَرُعْهم إلاّ بالجِنازَةِ على ظَهْرِ الطّريقِ قد كادَتِ الإبِلُ تَطَؤُها ، وقامَ إلَيْهم الغُلامُ . فَقال : هذا أبو ذَرّ صاحِبُ رسولِ الله ﷺ فأعينُونا على دَفْنِه . قال فاسْتَهَلّ عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ يَبْكي ويقول صَدَقَ رسولُ الله ﷺ تَمشي وحْدَك وتَمُوتُ وحْدَك ، وتُبْعَثُ وحْدَك . ثُمّ نَزَلَ هُوَ وأصحابُه نوارَوْه ثُمّ حَدّثَهم عبدُ الله بنُ مَسْعُودٍ حَديثَه وما قال له رسولُ الله ﷺ في مَسيرِه إلى تَبوكَ .

[تَخْذيلُ المُنافِقينَ لِلمُسلِمينَ وما نَزَلَ فيهم] :

قال ابنُ إسحاقَ : [2] وقد كان رَهْطٌ من المُنافِقينَ منهم وديعَةُ بنُ ثابتٍ ، أخُو بني عمرِو بنِ عَوْفٍ ومنهم رَجُلٌ من أشْجَعَ حَليفٌ لِبني سَلِمَةَ يُقالُ له مُخَشّنُ ابنُ حُمَيّرٍ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ مَخْشيّ - يُشيرُونَ إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُنطَلِقٌ إلى تَبوكَ ، فَقال بَعْضُهم لِبَعْضٍ أتَحْسِبونَ جَلاّدَ بني الأصْفَرِ كَقِتالِ العَرَبِ بَعْضُهم بَعْضًا والله لَكأنّا بِكَم غَدًا مُقَرّنينَ في الحِبالِ إرْجافًا وتَرْهيبًا لِلمُؤْمِنينَ فَقال مُخَشّنُ بنُ حُمَيّرٍ : والله لَوَدِدت أنّي أُقاضي على أن يُضرَبُ كُلّ (رَجُل) مِنّا مِئَةَ جَلْدَةٍ وإنّا نَنْفَلِتُ أن يَنْزِلَ فينا قُرْآنٌ لِمَقالتِكُمْ هذه . وقال رسولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - لِعمّارِ بنِ ياسِرٍ أدْرِكِ القَوْمَ فَإنّهم قد احْتَرَقُوا ، فَسَلْهم عمّا قالُوا ، فَإن أنْكَرُوا فَقُلْ : بَلَى قُلْتُم كَذا وكَذا . فانْطَلَقَ إلَيْهم عمّارٌ فَقال ذلك لهم فَأتَوْا رسولَ الله ﷺ يَعْتَذِرُونَ إلَيْه فَقال وديعَةُ بنُ ثابتٍ ، ورسولُ الله ﷺ واقِفٌ على ناقَتِه فَجَعَلَ يقول وهو آخِذٌ بِحَقَبِها : يا رسولَ الله إنّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ فَأنْزَلَ الله عَزّ وجَلّ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وَقال مُخَشّنُ بنُ حُمَيّرٍ : يا رسولَ الله قَعَدَ بي اسْمي واسْمُ أبي ؛ وكَأنّ الذي عُفِيَ عنه في هذه الآيَةِ

---

(١) ضعيف : رواه الطبري في تاريخه [١٨٤/٢] والحاكم [٥٠/٣] والبيهقي دلائل [٢٢١/٥] كلهم من طريق ابن إسحاق هذا . وهذا سند ضعيف فيه بريده بن سفيان : ضعيف . وانقطاع بين محمد بن كعب وابن مسعود .

(٢) حسن : وصله ابن أبي حاتم في تفسيره [١٠٤٠٢] من طريق ابن إسحاق قال : حدثني الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده ، وهذا سند حسن .

مُخَشّنُ بنُ حُمَيّرٍ ، فتَسمّى عبدَ الرّحمَنِ [٨٨/ب] وسأَلَ اللهَ تَعالى أن يَقتُلَه شَهيدًا لا يُعلَمُ بمَكانِه فقُتِلَ يومَ اليَمامَةِ ، فلَم يُوجَدْ له أثَرٌ .

[الصّلحُ بَيْنَ الرّسُولِ ويُحَنّةَ] :

ولَمّا انتَهَى رسولُ الله ﷺ إلى تَبوكَ ، أتاه يُحَنّةُ بنُ رُؤْبَةَ ، صاحِبُ أيْلَةَ ، فصالحَ رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجِزْيَةَ ، (1) وأتاه أهلَ جَرْباءَ وأَذْرُحَ ، فأَعطَوْه الجِزْيَةَ فكَتَبَ رسولُ الله ﷺ لهم كِتابًا ، فهو عندهم .

[كِتابُ الرّسُولِ ليُحَنّةَ] :

فكَتَبَ ليُحَنّةَ بنِ رُؤْبَةَ : وأهل أيلة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمَنَةٌ من الله ، ومُحمّدٍ النّبيّ رسولِ الله ليُحَنّةَ بنِ رُؤْبَةَ وأهلِ أيْلَةَ ، سُفُنُهم وسَيّارَتُهم في البَرّ والبَحْرِ لهم ذِمّةُ الله وذِمّةُ مُحمّدٍ النّبيّ ومَن كان مَعَهم من أهلِ الشّامِ ، وأهلِ اليَمَنِ ، وأهلِ البَحْرِ فمَن أحدَثَ منهم حَدَثًا ، فإنّه لا يَحُولُ مالُه دُونَ نَفسِه . وإنّه طَيّبَةٌ لِمَن أخَذَه من النّاسِ وإنّه لا يَحِلّ أن يمنَعُوا ماءً يَرِدُونَه ولا طَرِيقًا يُرِيدُونَه من بَرّ أوْ بَحْرٍ .

[حَديثُ أسرِ أُكَيْدِرٍ ثُمّ مُصالحَتُه] :

ثُمّ إنّ رسـولَ الله ﷺ دَعـا خالِدَ بنَ الوَليـدِ ، فبَعَثَـه إلى أُكَيْدِرِ دَوْمَـةَ ، وهو أُكَيْدِرُ بنُ عبدِ المَلِكِ رَجُلٌ من كِنْدَةَ كان مَلِكًا عليها ، وكان نَصْرانيًا ؛ فقال رسولُ الله ﷺ لخالِدٍ إنّك سَتَجِدُه يَصيدُ البَقَرَ ، فخَرَجَ خالِدٌ حتى إذا كان من حِصْنِه بمَنظَرِ العَيْنِ وفي لَيْلَةٍ مُقمِرَةٍ صائفَةٍ وهو على سَطحٍ له ومَعَه امرَأتُه فباتَتِ البَقَرُ تَحُكّ بقُرُونِها بابَ القَصْرِ فقالت له امرَأتُه هَلْ رَأيتَ مِثلَ هذا قَطّ ؟ قال لا والله قالتْ فَمَن يَترُكُ هذه ؟ قال لا أحَدَ .

فنَزَلَ فأمَرَ بفَرَسِه فأُسْرِجَ له ورَكِبَ مَعَه نَفَرٌ من أهلِ بَيْتِه فيهم أخٌ يُقالُ له حسّانُ . فرَكِبَ وخَرَجُوا مَعَه بمُطارِدِهم . فلَمّا خَرَجُوا تَلَقّتهم خَيْلُ رسولِ الله ﷺ فأخَذَتْه ؟ وقتَلُوا أخاه وقد كان عليه قَباءٌ من ديباجٍ مُخَوّصٍ بالذّهَبِ فاستَلَبَه خالِدٌ فبَعَثَ به إلى رسولِ الله ﷺ قَبْلَ قُدُومِه به عليه (2) .

---

(1) روى البخاري [١٤٨١-١٨٧٢-٣١٦١] ، ومسلم [١٣٩٢] من حديث أبي حميد الساعدي رواية قال ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة فأهدى الرسول ﷺ بغلة بيضاء وكساه رسول الله ﷺ بردًا وكتب له بحيرهم.

(2) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٨٥/٢] والبيهقي دلائل [٢٥٠/٥] من رواية ابن إسحاق ويشهد له الحديث الآتي .

قال ابنَ إسحاقَ : (١) فحَدثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ ، عن أنسِ بنِ مالِكٍ ، قال رَأيتُ قَباءَ أُكَيدِرٍ حينَ قَدِمَ به على رسولِ اللهِ ﷺ فجَعَلَ المُسلِمُونَ يَلمِسُونَه بأيْديهِم ويَتَعَجَّبونَ مِنه فَقال رسولُ اللهِ ﷺ : «**أتَعْجَبونَ من هذا ؟ فَوالذي نَفْسي بيَدِه لَمَناديلُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ في الجَنّةِ أحسَنُ من هذا**»

قال ابنُ إسحاقَ : (٢)

ثُمّ إنّ خالِدًا قَدِمَ بأُكَيدِرٍ على رسولِ اللهِ ﷺ فحَقَنَ له دَمَه وصالحَه على الجِزيَـةِ ثُمّ خَلّى سَبيلَه فَرَجَعَ إلى قَرْيَتِه فَقال رَجُلٌ من طَيّئٍ : يُقالُ له بُجَيْرُ بنُ بُجْرَةَ يَذْكُرُ قَوْلَ رسولِ اللهِ ﷺ لِخالِدٍ إنّك سَتَجِدُه يَصيدُ البَقَرَ وَما صَنَعَتِ البَقَرُ تِلْكَ اللّيْلَةَ حتى استَخْرَجَتْه لِتَصْديقِ قَوْلِ رسولِ اللهِ ﷺ .

تَبارَكَ سائِقُ البَقَراتِ إنّـي ... رَأيتُ اللهَ يَهدي كُلّ هادِ
فَمَن يَكُ حائِدًا عن ذي تَبوكٍ ... فإنّا قَـد أُمِرْنا بالجِهادِ

فأقامَ رسولُ اللهِ ﷺ بِتَبوكَ بِضعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَمْ يُجاوِزْها ، ثُمّ انصَرَفَ قافِلاً إلى المَدينَةِ (٣) .

[حَديثُ وادي المُشَقّق ومائِه] :

وَكان في الطّريقِ ماءٌ يَخْرُجُ من وشَلٍ ، ما يَرْوي الرّاكِبَ والرّاكِبَيْنِ والثّلاثَةَ بِوادٍ يُقالُ له وادي المُشَقّقِ ؛ فَقال رسولُ اللهِ ﷺ مَن سَبَقَنا إلى ذلك الوادي فَلا يَسْتَقِيَنّ مِنه شيئًا حتى نَأتيَه . قال فَسَبَقَه إلَيْه نَفَرٌ من المُنافِقينَ فاستَقَوْا ما فيه فَلَمّا أتاه رسولُ اللهِ ﷺ وقَفَ عليه فَلَم يَرَ فيه شيئًا . فَقال مَن[٨٩/أ] سَبَقَنا إلى هذا الماءِ ؟ فَقيلَ له يا رسولَ اللهِ فُلانٌ وفُلانٌ فَقال أوَ لَم أنهَهم أن يَسْتَقُوا مِنه شيئًا حتى آتيَه ثُمّ لَعَنَهم رسولُ اللهِ ﷺ ودَعا عليهِم . ثُمّ نَزَلَ فَوَضَعَ يَدَه تَحْتَ الوَشَلِ فَجَعَلَ يَصُبّ في يَدِه ما شاءَ اللهُ أن يَصُبّ ثُمّ نَضَحَه به ومَسَحَه بيَدِه ودَعا رسولُ اللهِ ﷺ بِما شاءَ اللهُ أن يَدْعُوَ به فانْخَرَقَ من الماءِ - كَما يقولُ مَن سَمِعَه - ما إنّ له حِسًا كَحِسّ الصّواعِقِ فَشَرِبَ النّاسُ واستَقَوْا حاجَتَهم مِنه . فَقال رسولُ اللهِ ﷺ لَئِن بَقيتُم أو مَن بَقِيَ مِنكُم لَتَسْمَعُنّ بِهذا الوادي ، وهو أخْصَبُ ما بَيْنَ يَدَيْه وما خَلْفَه (٤) .

---

(١)متفق عليه : وسند ابن إسحاق حسن رواه البخاري [٢٦١٥ - ٢٦١٦] ، ومسلم [٢٢٦٨] .

(٢)مرسل : مثل رقم (١) .

(٣)مرسل : وقد ثبت في حديث جابر قال : «أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة» . رواه عبد الرزاق في المصنف [٤٣٣٥] وأحمد [٣/٢٩٥] وأبو داود [١٢٣٥] وابن حبان [٢٧٣٨] . من رواية يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن جابر .

(٤)صحيح : وصله ابن أبي حاتم في العلل [٢٧١٥] من طريق ابن إسحاق عن محمد بن مسلم عن ابن المسيب ....=

[وفاةُ ذي البِجادَيْنِ وقيامُ الرَسُولِ على دَفْنِه] :

قال ابن إسحاق : (١)

وحَدّثني مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَيْميّ ، أنّ عبدَ الله بنَ مَسْعُودٍ كان يُحَدِّثُ قال : قُمت من جَوْفِ اللَيْلِ وأنا مع رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ ، قال فَرَأَيْت شُعْلَةً من نارٍ في ناحيَةِ العَسْكَرِ قال فاتّبَعْتها أنْظُرُ إليَها ، فإذا رسولُ الله ﷺ في حفرته وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ ، وإذا عبدُ الله ذُو البِجادَيْنِ المُزَنيّ قد ماتَ وإذا هم قد حَفَرُوا لـه ورسولُ الله ﷺ في حُفْرَتِه وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ يُدَلِّيانِه إلَيـه وهو يقول : «**أدْنيا إليّ أخاكُما**» ، فَدَلّياه إلَيه فَلَمّا هَيّأه لِشِقّه قال : «**اللّهمّ إنّي أمسَيْت راضيًا عنه فارْضَ عنه**» . قال : يقول عبدُ الله ابنُ مَسْعُودٍ : يا لَيْتَني كُنْتُ صاحِبَ الحُفْرَةِ .

قال ابنُ هشام :

وإنّما سُمّيَ ذا البِجادَيْنِ لأنّه كـان يُسارِعُ إلى الإسلام فَيَمنَعُه قَوْمُه من ذلك ويُضَيّقُونَ عليه حتى تَـرَكُوه في بِجـادٍ ليس عليـه غَيْرُه ، والبِجـادُ : الكِسـاءُ الغَـليظُ الجـافي ، فَهَـرَبَ منهـم إلى رسولِ الله ﷺ فَلَمّا كان قَريبًا مِنه شَقّ بِجادَه باثْنَيْنِ فاتّزَرَ بواحِدٍ واشْتَمَلَ بالآخَرِ ثُمّ أتَى رسولَ الله ﷺ فَقيلَ له ذُو البِجادَيْنِ لِذلك والبِجادُ أيضًا : المِسْحُ [قال ابنُ هشام] : قال امرُؤُ القَيْسِ :

كَأنّ أبانًا في عَرانينِ ودْقِه كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمّلِ

والبحار المسح قال زومة : إذا أتانا الجادى ائتزار المضارع .

[سُؤَالُ الرَسُولِ لأِبي رُهْمٍ عمّن تَخَلّفَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزّهْريّ ، عن ابنِ أُكَيْمَةَ اللّيْثيّ عن ابنِ أخي أبي رُهْمٍ الغِفاريّ أنّه سَمِعَ أبا رُهْمٍ كُلْثُومَ بنَ الحُصَيْنِ وكان من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ الذينَ بايَعُوا تَحْتَ الشّجَرَةِ ، يقول : غَزَوْتُ مع رسولِ الله ﷺ غَزْوَةَ تَبوكَ ، فَسِرْت ذاتَ لَيْلَةٍ مَعَه ونحن بِالأَخْضَرِ قَريبًا من رسولِ الله ﷺ وألْقَى [الله] عَلَيْنا النعاسَ فَطَفِقْتُ أسْتَيْقِظُ وقد دَنَتْ راحِلَتي من راحِلَةِ رسولِ الله ﷺ فَيُفْزِعُني دُنُوّها مِنه مَخافَةَ أن أُصيبَ رِجْلَه في الغَرْزِ فَطَفِقت أحُوزُ راحِلَتي عنه

= عن معاذ . قال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : هذا حديث مالك عن أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ ، مرفوعًا وهو الصحيح عندي ، ومحمد بن مسلم هو أبو الزبير . قلت : الحديث رواه مالك في الموطأ [١٤٣/١] ومسلم [٧٠٦] وعبد الرزاق [٤٣٩٩] وأحمد [٢٣٨/٥] وغيرهم من حديث أبي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ .

(١) منقطع : محمد بن إبراهيم لا يدرك ابن مسعود . وانظر الفوائد بتحقيقي .

(٢) ضعيف : رواه عبد الرزاق [١٩٨٨٢] وأحمد [٣٤٩/٤] والبخاري في الأدب المفرد [٧٥٤] وغيرهم من طرق عن الزهري به . وعلته ابن أخي رهم ، مجهول . ترجمه البخاري في التاريخ [٤٣٠/٢/٤] ولم يذكر فيه شيئًا . قال الذهبي : لا يعرف .

حتى غَلَبَتْني عَيْنَيَ في بَعْضِ الطّريقِ ونحن في بَعْضِ اللّيْلِ فَزاحَمَتْ راحِلَتي راحِلَةَ رسولِ الله ﷺ ورِجْلُه في الغَرْزِ فَما اسْتَيْقَظْت إلاّ بِقَوْلِه حَس فَقُلْتُ يا رسولَ الله استغفِرْ لي . فقال سِرْ فَجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يَسْألُني عمّن تَخَلّفَ عن بني غِفارٍ ، فأُخْبِرَه به فقال وهو يَسْألُني : ما فَعَلَ النَفَرُ الحُمرُ الطِّوالُ الثِّطاطُ . الذين لا شعر فى وجوههم قال : فَحَدّثته بتَخَلّفِهم . قال فَما فَعَلَ النّفَرُ السّودُ الجِعادُ القِصارُ ؟ قال قلت : والله ما أعرِفُ هَؤُلاءِ مِنّا . قال : بَلَى ، الذينَ لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَاخٍ فَتَذَكّرتهم في بني غِفارٍ ، ولَم أذْكُرْهم حتى ذَكَرْتُ أنهم رَهْطٌ من أسْلَمَ كانوا حُلَفاءَ في بني غفار ، فَقُلْت : يا رسولَ الله أُولَئِكَ رَهْطٌ من أسْلَمَ ، حلَفاءُ فينا ؛ فقال رسولُ الله ﷺ ما مَنَعَ أحَدٌ أُولَئِكَ حينَ تَخَلّفَ أن يَحْمِلَ على بَعيرٍ من إبِلِه امرأً نَشيطًا في سَبيلِ الله إنَ أعَزّ أهلي عَلَيّ أن يَتَخَلّفَ عَنّي المُهاجِرُونَ من قُرَيْشٍ والأنْصارُ وغِفارٌ وأسْلَمُ .

أمرُ مَسْجِدِ الضِّرارِ عندَ القُفولِ من غَزْوَةِ تَبوكَ

قال ابنُ إسحاقَ : [٨٩/ب] [(١)] ثُمّ أقْبَلَ رسولُ الله ﷺ حتى نَزَلَ بِذي أوانَ بَلَدٍ بَيْنَه وبَيْنَ المَدينَةِ ساعَةٌ من نَهارٍ وكان أصْحابُ مَسْجِدِ الضِّرارِ قد كانوا أتَوْه وهو يَتَجَهّزُ إلى تَبوكَ ، فَقالُوا : يا رسولَ الله إنّا قد بنَيْنا مَسْجِدًا لِذي العِلّةِ والحاجَةِ واللّيْلَةِ المَطيرَةِ واللّيْلَةِ الشّاتِيَةِ وإنّا نُحِبّ أن تَأْتيَنا ، فَتُصَلّي لَنا فيه فقال إنّي على جَناحِ سَفَرٍ وحالِ شُغْلٍ ، أوْ كَما قال ﷺ ولَوْ [قد] قَدِمنا إن شاءَ الله لأَتَيْناكُم فَصَلّينا لَكُم فيه .

فَلَمّا نَزَلَ بِذي أوانَ ، أتاه خَبَرُ المَسْجِدِ فَدَعا رسولُ الله ﷺ مالِكَ بنَ الدّخْشُمِ ، أخا بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ ومَعْنِ بنِ عَديّ أوْ أخاه عاصِمُ بنُ عَديّ ، أخا بني العَجْلانِ فَقال انْطَلِقا إلى هذا المَسْجِدِ الظّالِمِ أهلُه فاهْدِماه وحَرّقاه . فَخَرَجا سَريعَيْنِ حتى أتَيا بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ وهم رَهْطُ مالِكِ ابنِ الدّخْشُمِ ، فَقال مالِكٌ لِمَعْنٍ أنْظِرْني حتى أخْرُجَ إلَيْك بنارٍ من أهلي . فَدَخَلَ إلى أهلِه فَأَخَذَ سَعَفًا من النّخْلِ فَأشْعَلَ فيه نارًا ، ثُمّ خَرَجا يَشْتَدّانِ حتى دَخَلاه وفيه أهلُه فَحَرّقاه وهَدّماه وتَفَرّقُوا عنه ونَزَلَ فيهم من القُرآنِ ما نَزَلَ ﴿**والذينَ اتّخَذُوا مَسجِدًا ضِرارًا وكُفْرًا وتَفريقًا بَيْنَ المُؤْمنينَ**﴾ . . . إلى آخِرِ القِصّةِ .

وَكان الذينَ بنَوه اثْنا عَشَرَ رَجُلاً : خِذامُ بنُ خالِدٍ من بني عُبَيْدِ بنِ زَيْدٍ أحَدِ بني عمرِو بنِ عَوْفٍ ومِن دارِه أُخْرِجَ مَسْجِدُ الشّقاقِ ، وثَعْلَبَةُ بنُ حاطِبٍ من بني أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ ومُعَتّبُ بنُ قُشيرٍ من بني ضُبَيْعَةَ بنِ زَيْدٍ وأبو حَبيبَةَ بنِ الأزْعَرِ من بني ضُبَيْعَةَ بنِ زَيْدٍ وعَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ أخُو سَهْلِ ابنِ حُنَيْفٍ ، من بني عمرِو بنِ عَوْفٍ وجارِيَةُ بنُ عامِرٍ وابناه مُجَمّعُ بنُ جارِيَةَ ، وزَيْدُ بنُ جارِيَةَ

(١) سبق تخريجه في ذكر المنافقين .

ونَبْتَلُ بنُ الحارثِ من بني ضُبَيْعَةَ وبَحْزَجُ من بني ضُبَيْعَةَ وبِجادُ بنُ عُثمانَ من بني ضُبَيْعَةَ ووَديعَةُ ابنُ ثابتٍ ، [وهو] من بني أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ رَهْطُ أبي لُبابَةَ بنِ عبدِ المُنْذِرِ .

وَكانَتْ مَساجِدُ رسولِ الله ﷺ فيما بَيْنَ المَدينَةِ إلى تَبوكَ مَعْلُومَةً مُسَمّاةً مَسْجِدٌ رسول الله ﷺ بِتَبوكَ ومَسْجِدٌ بِثَنِيَّةِ مِدْرانَ ، ومَسْجِدٌ بِذاتِ الزِّرابِ ومَسْجِدٌ بالأَخْضَرِ ومَسْجِدٌ بِذاتِ الخِطْمِيِّ ومَسْجِدٌ بِأَلاءَ ومَسْجِدٌ بِطَرَفِ البَتْراءِ من ذَنَبِ كَواكِبَ ، ومَسْجِدٌ بالشِّقِّ شِقِّ تارا ، ومَسْجِدٌ بِذي الجِيفَةِ ، ومَسْجِدٌ بِصَدْرِ حَوْضَى ، ومَسْجِدٌ بالحِجْرِ ومَسْجِدٌ بالصَّعيدِ ومَسْجِدٌ بالوادي ، اليومَ وادي القُرى ، ومَسْجِدٌ بالرُّقْعَةِ مِنَ الشُّقَّةِ شُقَّةِ بني عُذْرَةَ ، ومَسْجِدٌ بِذي المَرْوَةِ ، ومَسْجِدٌ بالفَيْفاءِ ، ومَسْجِدٌ بِذي خُشُبٍ .

أمرُ الثلاثةِ الذينَ خُلِّفُوا وأمرُ المُعَذِّرينَ في غَزْوَةِ تَبوكَ

وَقَدِمَ رسولُ الله المَدينَةَ ، وقد كان تَخَلَّفَ عنه رَهْطٌ من المُنافِقينَ وتَخَلَّفَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ الثَّلاثَةُ من المُسْلِمينَ من غَيْرِ شَكٍّ ولا نِفاقٍ كَعْبُ بنُ مالِكٍ ، ومُرارَةُ ابنُ الرَّبيعِ وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ ، فَقال رسولُ الله ﷺ لأَصْحابه : **«لا تُكَلِّمُنَّ أحَدًا من هَؤُلاءِ الثَّلاثَةِ»** ، وأتاه مَن تَخَلَّفَ عنه من المُنافِقينَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ له ويَعْتَذِرُونَ فَصَفَحَ عنهم رسولُ الله ﷺ ولَمْ يَعْذِرْهم الله ولا رسولُه . واعْتَزَلَ المُسْلِمُونَ كَلامَ أُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ .

قال ابنُ إسحاق : [1] فَذَكَرَ الزُّهْرِيّ مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عبدِ الله ابنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ : أنَّ أباه عبدَ الله وكان قائِدَ أبيه حينَ أُصيبَ بَصَرُه قال : سَمِعْتُ أبي كَعْبَ ابنَ مالِكٍ يُحَدِّثُ حَديثَه حينَ تَخَلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ ، وحَديثَ صاحِبَيْه قال ما تَخَلَّفْت عن رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةٍ غَزاها قَطّ ، غَيْرَ أنّي كُنْت قد تَخَلَّفْت عنه في غَزْوَةِ بَدْرٍ وكانَتْ غَزْوَةً لَمْ يُعاتِبِ الله ولا رسولُه أحَدًا تَخَلَّفَ عنها ، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ إنَّما خَرَجَ يُريدُ عيرَ قُرَيْشٍ ، حتى جَمَعَ الله بَيْنَه وبَيْنَ عَدُوِّه على غَيْرِ ميعادٍ ولَقَد شَهِدْت مع رسولِ الله ﷺ العَقَبَةَ ، وحينَ تَواثَقْنا على الإسلامِ وما أُحِبّ أنّ لي بها مَشْهَدَ بَدْرٍ وإن كانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ هِيَ أَذْكَرُ في النّاسِ منها .

قال كان من خَبَري حينَ تَخَلَّفْت عن رسولِ الله ﷺ في غَزْوَةِ تَبوكَ أنّي لَمْ أكُن قَطّ أقْوَى ولا أيْسَرَ مِنّي حينَ تَخَلَّفْت عنه [٩٠/أ] في تِلْكَ الغَزْوَةِ وواللّه ما اجْتَمَعَتْ لي راحِلَتانِ قَطّ حتى اجْتَمَعَتا لي في تِلْكَ الغَزْوَةِ وكان رسولُ الله ﷺ قَلَّما يُريدُ غَزْوَةً يَغْزُوها إلاّ وَرّى بِغَيْرِها ، حتى

(١) سند ابن اسحاق حسن والحديث متفق عليه :رواه البخاري [٤٤١٨] ، ومسلم [٢٧٦٩] .

كانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ فغَزاها رسولُ الله ﷺ في حَرّ شَديدٍ واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعيدًا ، واسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوّ كثيرٍ فَجَلّى لِلناسِ أمرَهم ليَتأهّبوا لِذلك أُهْبَتَه وأَخْبَرَهم خَبَرَه بِوَجْهِه الذي يُرِيدُ والمُسْلِمُونَ مَن تَبِعَ رسولَ الله ﷺ كثيرٌ لا يَجْمَعُهم كِتابٌ حافِظٌ يَعْني بِذلك الدّيوانَ يقول لا يَجْمَعُهم ديوانٌ مَكْتُوبٌ .

قال كَعْبٌ فَقَلّ رَجُلٌ يُرِيدُ أن يَتَغَيّبَ إلاّ ظَنّ أنّه سَيَخْفَى له ذلك ما لَمْ يَنْزِلْ فيه وَحْيٌ من الله وغَزا رسولُ الله ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةِ حينَ طابَتِ الثّمارُ وأُحِبّتِ الظّلالُ فالنّاسُ إليها صُعْرٌ فَتَجَهّزَ رسولُ الله ﷺ وتَجَهّزَ المُسْلِمُونَ مَعَه وجَعَلْت أغْدُو لأَتَجَهّزَ مَعَهم فَأَرْجِعُ ولَمْ أَقْضِ حاجَةً فَأَقُولُ في نَفْسِي ، أنا قادِرٌ على ذلك إذا أَرَدْت ، فَلَم يَزَلْ ذلك يَتَمادَى بِي حتى شَمّرَ النّاسُ بِالجَدّ فَأَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غاديًا ، والمُسْلِمُونَ مَعَه ولَمْ أَقْضِ من جَهازِي شيئًا ، فَقُلْت : أتَجَهّزُ بعده بيوم أَوْ يومَيْنِ ثُمّ أَلْحَقُ بِهِم فَغَدَوْت بعد أن فَصَلُوا لأَتَجَهّزَ فَرَجَعْت ولَم أَقْضِ شيئًا ثم غدوت ولم أقض شيئاً ، ثُمّ غَدَوْت فَرَجَعْت ولَم أَقْضِ شيئًا ، فَلَم يَزَلْ ذلك يَتَمادَى بِي حتى أَسْرَعُوا ، وتَفَرّطَ الغَزْوُ فَهَمَمْتُ أن أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهم ولَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَم أَفْعَلْ وجَعَلْت إذا خَرَجْت في النّاسِ بعد خُرُوجِ رسولِ الله ، فَطُفْتُ فيهم يَحْزُنُنِي أنّي لا أَرَى إلاّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عليه في النّفاقِ أَوْ رَجُلاً مِمّن عَذَرَ الله من الضّعَفاءِ ولَم يَذْكُرْنِي رسولُ الله ﷺ حتى بَلَغَ تَبوكَ ، فَقال وهو جالِسٌ في القَوْمِ بِتَبوكَ : «**ما فَعَلَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ ؟**» فَقال رَجُلٌ من بني سَلِمَةَ .

يا رسولَ الله حَبَسَه بُرْداه والنّظَرُ في عِطْفَيْه فَقال له مُعاذُ بنُ جَبَلٍ : بِئْسَ ما قلت والله يا رسولَ الله ما عَلِمنا مِنه إلاّ خَيْرًا ، فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ . فَلَمّا بَلَغَنِي أنّ رسولَ الله ﷺ قد تَوَجّهَ قافِلاً من تَبوكَ ، حَضَرَنِي هَمّي ، فَجَعَلْت أَتَذَكّرُ الكَذِبَ وأَقُولُ بِماذا أَخْرُجُ من سَخْطَةِ رسولِ الله ﷺ غَدًا وأَسْتَعِينُ على ذلك كُلّ ذي رَأْيٍ من أهلي ؛ فَلَمّا قيلَ إنّ رسولَ الله ﷺ قد أَظَلّ قادِمًا زاحَ عَنّي الباطِلُ وعَرَفْت أنّي لا أَنْجُو مِنه إلاّ بِالصّدْقِ فَأَجْمَعْت أن أَصْدُقَه وصَبّحَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ ، وكان إذا قَدِمَ من سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ ، فَرَكَعَ فيه رَكْعَتَيْنِ ثُمّ جَلَسَ لِلنّاسِ فَلَمّا فَعَلَ ذلك جاءَه المُخَلّفُونَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ له ويَعْتَذِرُونَ وكانوا بِضْعَةً وثَمانينَ رَجُلاً ، فَيَقْبَلُ منهم رسولُ الله ﷺ عَلانِيَتَهم وأَيْمانَهم ويَسْتَغْفِرُ لهم ويَكِلُ سَرائِرَهم إلى الله تعالى ، حتى جِئْت رسولَ الله ﷺ فَسَلّمت عليه فَتَبَسّمَ تَبَسّمَ المُغْضَبِ ثُمّ قال لي : «**تَعالَهْ**» فَجِئْت أمشي ، حتى جَلَسْت بَيْنَ يَدَيْه فَقال لي : «**ما خَلّفَك ؟ أَلَم تَكُن ابْتَعْت ظَهْرَك ؟**» قال قلت : إنّي يا رسولَ الله والله لَوْ جَلَسْت عند غَيْرِك من أهلِ الدّنيا ، لَرَأَيْت أنّي سَأَخْرُجُ من سَخَطِه بِعُذْرٍ ولَقَد أُعْطِيت جَدَلاً ، ولَكِن والله لَقَد عَلِمت لَئِن حَدّثْتُك اليومَ حَديثًا كَذِبًا لَتَرْضَيَنّ عَنّي ،

ولَيُوشِكَنّ الله أن يُسخِطَك عَلَيّ ولَئِن حَدّثتُك حَديثًا صِدْقًا تَجِدُ عَلَيّ فيه إني لأَرجُو عُقباي من الله فيه ولا والله ما كان لي من عُذرٌ والله ما كُنت قَطّ أقْوَى ولا أيْسَرَ مِنّي حينَ تَخَلّفت عَنك .

فقال رسولُ الله ﷺ : «**أمّا هذا فقد صَدَقَت فيه ، فقُم حتى يَقضيَ الله فيك**» . فقُمت ، وثارَ مَعي رِجالٌ من بني سَلِمَةَ فاتبَعُوني فقالُوا لي : والله ما عَلِمناك كُنتَ أذْنَبت ذَنبًا قَبلَ هذا ، ولَقد عَجَزتَ أن لا تَكُونَ اعْتَذَرت إلى رسولِ الله ﷺ بما اعْتَذَرَ به [إليه] المُخَلّفُونَ قد كان كافيك ذَنبَكَ استِغفارُ رسولِ الله ﷺ لَك فوالله ما زالُوا بي حتى أرَدْت أن أرْجِعَ إلى رسولِ الله ﷺ [٩٠/ب] فأُكَذّبُ نَفسي ، ثُمّ قلت لهم هَل لَقي هذا أحَدٌ غَيْرِي ؟ قالُوا : نَعم رَجُلانِ قالا مِثلَ مَقالتِك ، وقيلَ لهما مِثلَ ما قيلَ لَك ؛ قلت : مَن هما ؟

قالُوا : مُرارَةُ بنُ الرّبيعِ العمريّ [من بني عَمرِو بنِ عَوْف] وهِلالُ بنُ [أبي] أُمَيّةَ الواقِفِيّ فذَكَرُوا لي رَجُلَينِ صالِحَيْنِ فيهما أُسوَةٌ فَصَمَتّ حينَ ذَكَرُوهما لي ، ونَهَى رسولُ الله ﷺ عن كَلامِنا أيّها الثّلاثَةُ من بَيْنِ مَن تَخَلّفَ عنه فاجتَنَبَنا النّاسُ وتَغَيّرُوا لَنا ، حتى تَنَكّرَتْ لي نَفسي والأرضُ فما هِيَ بالأرضِ التي كُنت أعرِفُ فلَبِثْنا على ذلك خَمسينَ لَيلَةً فأمّا صاحِبايَ فاستَكانا ، وقَعَدا في بُيُوتِهما ، وأمّا أنا فكُنتُ أشَبّ القَوْمِ وأجلَدَهم فكُنت أخْرُجُ وأشْهَدُ الصّلَواتِ مع المُسلِمينَ وأطُوفُ بالأسواقِ ولا يُكَلّمُني أحَدٌ ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأُسَلّمُ عليه وهو في مَجْلِسِه بعد الصّلاةِ فأقُولُ في نَفسي ، هَل حَرّك شَفَتَيْه بِرَدّ السّلام عَلَيّ أم لا ؟ .

ثُمّ أُصَلّي قَريبًا مِنه فأُسارِقُه النّظَرَ فإذا أقْبَلت على صَلاتي نَظَرَ إلَيّ وإذا التَفَتّ نَحْوَه أعْرَضَ عَنّي ، حتى إذا طال ذلك عَلَيّ من جَفْوَةِ المُسلِمينَ مَشيتُ حتى تَسَوّرْت جِدارَ حائِطِ أبي قَتادَةَ . وهو ابنُ عمّي ، وأحَبّ النّاسِ إلَيّ فَسلّمت عليه فوالله ما رَدّ عَلَيّ السّلامَ فقُلْت : يا أبا قَتادَةَ ، أنْشُدُك بالله [هَل تَعلَمُ أنّي أُحِبّ] الله ورسولَه ؟ .

فسَكَتَ . فعُدت فناشَدْته ، فسَكَتَ [عَنّي] ، فعُدت فناشَدْته ، فسَكَتَ عَنّي ، فعُدت فناشَدْته ، فقال الله ورسولُه أعْلَمُ ففاضَتْ عَيْنايَ ووَثَبْت فتَسَوّرْت الحائِطَ ، ثُمّ غَدَوْت إلى السّوقِ فبَيْنا أنا أمشي بالسّوقِ إذا نَبَطِيّ يَسألُ عَنّي من نَبَطِ الشّام ، مِمّن قَدِمَ بالطّعامِ يَبيعُه بالمَدينَةِ يقول مَن يَدُلّ عَلَيّ كَعْبَ بنَ مالِكٍ ؟ قال فجَعَلَ النّاسُ يُشيرُونَ له إلَيّ حتى جاءَني ، فدَفَعَ إلَيّ كِتابًا من مَلِكِ غَسّانَ ، وكَتَبَ كِتابًا في سَرَقَةٍ من حَريرٍ فإذا فيه

«أمّا بَعْدُ فإنّه قد بَلَغَنا أنّ صاحِبَك قد جَفاك ، ولَم يَجْعَلْك الله بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعَةٍ فالحَقْ بنا نُواسِك» . قال قلت حينَ قَرَأتُها : وهذا من البَلاءِ أيضًا ، قد بَلَغَ بي ما وقَعْت فيه أن طَمِعَ فِيّ

رَجُلٌ من أهلِ الشِّرْكِ . قال فعَمَدت بها إلى تَنورٍ فَسَجَرْته بها .

فَأَقَمنا على ذلك حتى إذا مَضَتْ أربَعُونَ لَيْلَةً من الخَمسينَ إذا رسولُ رسولِ الله يَأتيني ، فقال إنّ رسولَ الله ﷺ يَأمُرك أن تَعْتَزِلَ امرأتَك ، قال قلت : أُطَلِّقُها أم ماذا ، قال لا ، بَلِ اعْتَزِلْها ولا تَقْرَبْها ، وأرْسَلَ إليَّ صاحِبِي بِمِثْلِ ذلك فَقُلْت لامرأتي : الحقي بأهلِك ، فَكُوني عندهم حتى يَقْضِي الله في هذا الأمرِ ما هُوَ قاضٍ .

قال وجاءَتِ امرَأةُ هِلالِ بنِ أُمَيّة رسولَ الله ﷺ فقالتْ يا رسولَ الله إنّ هِلال بنَ أُمَيّة شيخٌ كَبيرٌ ضائعٌ لا خادِمَ له أفَتَكْرَه أن أخدِمَه ؟ قال : «**لا ، ولكِن لا يَقْرَبنكِ**» ؛ قالتْ والله يا رسولَ الله ما به من حَرَكَةٍ إليَّ شيء [والله] ما زال يَبْكِي مُنْذُ كان من أمرِه ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تَخَوَّفَتْ على بَصَرِه .

قال فَقال لي بَعْضُ أهلي : لَو استَأْذَنْت رسولَ الله لامرأتِك ، فقد أذِنَ لامرأةِ هِلالِ بنِ أُمَيّةَ أن تَخْدُمَه قال فَقُلْت : والله لا أَستَأْذِنُه فيها ، ما أدْري ما يقول رسولُ الله ﷺ لي في ذلك إذا استَأْذَنْته فيها ، وأنا رَجُلٌ شابّ .

قال فَلَبِثْنا بعد ذلك عَشْرَ لَيالٍ فكَمُلَ لَنا خَمسُونَ لَيْلَةً من حينِ نَهَى رسولِ الله ﷺ المُسْلِمِينَ عن كَلامِنا ، ثُمّ صَلّيْت الصّبْحَ صُبْحَ خَمسينَ لَيْلَةً على ظَهْرِ بَيْتٍ من بُيُوتِنا ، على الحالِ التي ذَكَرَ الله تعالى مِنّا ، قد ضاقَتْ عَلَيْنا الأرْضُ بما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَليَّ نَفْسي ، وقد كُنْت[٩١/أ] ابْتَنَيْت خَيْمَةً في ظَهْرِ سَلْعٍ ، فَكُنْت أكُونُ فيها إذ سَمِعْت صَوْتَ صارِخٍ أوْفَى على ظَهْرِ سَلْعٍ يقول بأعْلَى صَوْتِه يا كَعْبَ بنَ مالِكٍ ، أبْشِرْ قال فَخَرَرْت ساجِدًا ، وعَرَفْت أن قد جاءَ الفَرَجُ .

قال : وَآذَنَ رسولُ الله ﷺ النّاسَ بتَوْبَةِ الله عَلَيْنا حينَ صَلّى الفَجْرَ فَذَهَبَ النّاسُ يُبَشّرُونَنا ، وذَهَبَ نَحْوَ صاحِبَيّ مُبَشّرُونَ ورَكَضَ رَجُلٌ إليَّ فَرَسًا ، وسَعَى ساعٍ من أسْلَمَ ، حتى أوْفَى على ظهر الجَبَلِ فَكان الصّوْتُ أسْرَعَ من الفَرَسِ ؛ فَلَمّا جاءَني الذي سَمِعْت صَوْتَه يُبَشّرُني ، نَزَعْت ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتهما إيّاه بِشارَةً والله ما أملِكُ يومئِذٍ غَيْرَهما ، واسْتَعَرْت ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتهما ، ثُمّ انطَلَقْت أتَيَمّمُ رسولَ الله ﷺ وتَلَقّاني النّاسُ يُبَشّرُونَني بالتّوْبَةِ يقولونَ لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْك ، حتى دَخَلْت المَسْجِدَ ورسولُ الله ﷺ جالِسٌ حَوْلَه النّاسُ فَقامَ إليَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ الله ، فَحَيّاني وهَنّأني ، ووالله ما قامَ إليَّ رَجُلٌ من المُهاجِرينَ غَيْرُه . قال : فَكان كَعْبُ بنُ مالِكٍ لا يَنْساها لِطَلْحَةِ . قال كَعْبٌ فَلَمّا سَلّمت على رسولِ الله ﷺ قال لي ، ووَجْهُه يَبْرُقُ من السّرُورِ : «**أبْشِرْ بِخَيْرِ يومٍ مَرّ عَلَيْك مُنْذُ وَلَدَتْك أُمّك**» ، قال قلت : أمِن عندك يا رسولَ الله أم من عند الله ؟ قال بَلْ من عِنْدِ الله قال وكان رسولُ الله ﷺ إذا اسْتَبْشَرَ كَأنّ وجهَه قِطْعَةُ قَمَرٍ .

قال وكُنّا نَعْرِفُ ذلك مِنه . قال فَلَمّا جَلَسْت بَيْنَ يَدَيْه قلت : يا رسولَ الله إنّ من تَوْبَتي إلى الله عَزّ وجَلّ أن أَنْخَلِعَ من مالي ، صَدَقَةً إلى الله وإلى رسولِه قال رسولُ الله ﷺ **أمسِكْ عَلَيْك بَعْضَ مالِك ، فهو خَيْرٌ لَك** . قال قلت : إنّي مُمسِكٌ سَهمي الذي بِخَيْبَر وقُلت : يا رسولَ الله إنّ الله قد نَجّاني بالصّدْقِ وإنّ من تَوْبَتي إلى الله أن لا أُحَدّثَ إلاّ صِدقًا ما بقيت ، والله ما أَعْلَمُ أحدًا من النّاسِ أبلاه الله في صِدْقِ الحَديثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ لِرسولِ الله ﷺ ذلك أفْضلَ مِمّا أبلاني [الله] والله ما تَعمَدت من كَذْبَةٍ منذ ذَكَرْتُ [ذلك] لِرسولِ الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإنّي لأَرْجُو أن يَحْفَظني الله فيما بَقِيَ . وأنـزَلَ الله تَعـالى **﴿لَقَد تابَ الله على النّبِيّ والمهاجِرينَ والأنصارِ الذينَ اتّبَعُوه في ساعَةِ العُسْرَةِ من بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَريقٍ منهم ثُمّ تابَ عليهم إنّه بِهِم رَءُوفٌ رَحيمٌ وعلى الثّلاثَةِ الذينَ خُلّفُوا﴾** . . . إلى قَوْلِه **﴿وَكُونُوا مع الصّادِقينَ﴾** قال كَعْبٌ فَوالله ما أنعمَ الله عَلَيّ نِعْمَةً قَطّ بعد أن هَداني لِلإسلامِ كانَتْ أعْظَمَ في نَفْسي من صِدْقي رسولَ الله ﷺ يومئذٍ أن لا أكُونَ كَذَبْته ، فَأَهلِكَ كَما هَلَكَ الذينَ كَذَبوا ، [فإنّ الله تَبارَكَ وتَعالى قال في الذينَ كَذَبوه] حينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرّ ما قال لأَحَدٍ قال : «**سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إذا انْقَلَبْتُم إلَيْهِم لِتُعْرِضُوا عنهم فَأَعْرِضُوا عنهم إنّهم رِجْسٌ ومَأواهم جَهَنّمُ جَزاءً بِما كانوا يَكْسِبونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عنهم فَإن تَرْضَوْا عنهم فَإنّ الله لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقينَ**» .

قال : وكُنّا خُلّفْنا أيّها الثّلاثَةُ عن أمرِ هَؤُلاءِ الذينَ قَبِلَ منهم رسولُ الله ﷺ حينَ حَلَفُوا له فَعَذَرَهم واستَغْفَرَ لهم وأرْجَأَ رسولُ الله ﷺ أمرَنا ، حتى قَضَى الله فيه ما قَضَى ، فَبِذلك قال الله تَعالى : **﴿وَعلى الثّلاثَةِ الذينَ خُلّفُوا﴾** .

وَليس الذي ذَكَرَ الله من تَخْليفِنا لِتَخَلّفِنا عن الغَزْوَةِ ولكِن لِتَخْليفِه إيّانا ، وإرْجائِه أمرَنا عمّن حَلَفَ له واعْتَذَرَ إلَيْه فَقَبِلَ مِنه .

أمرُ وفدِ ثقيفٍ وإسلامُها في شَهرِ رَمضانَ سَنةَ تِسعٍ

قال ابنُ إسحاقَ [1] : وَقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المَدينَةَ [من تَبوكَ] في رَمَضانَ وقَدِمَ عليه في ذلك الشّهرِ وفْدُ من ثَقيفٍ .

---

(١)حسن بشواهده : رواه الطبري في التاريخ [١٧٩/٢] والبيهقي [٣٠٤/٥] من طريق ابن إسحاق . ومن مرسل عروة بن الزبير رواه الحاكم [٦١٥/٣ - ٦١٦] ومن طريقه البيهقي [٢٩٩/٥] دلائل والطبراني في الكبير [١٤٨/١٧] ، ومن مرسل الزهري : رواه موسى بن عقبة في مغازيه [٣٠٨] والطبراني في الكبير [١٤٨/١٧] بطولها . ورواها ابن سعد في الطبقات [٢٣٧/١] من رواية الواقدي عن عبد الله بن أبي يحيى الأسلمي عمن أخبره . وله شاهد من حديث عثمان بن أبي العاص مختصرًا جدًا . رواه أحمد [٢١٨/٤] وأبو داود [٣٠٢٦] من رواية حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصري عن عثمان بن أبي العاص ، وعلته العنعنة من الحسن فهو مدلس ، وله شاهد آخر من حديث جابر . رواه أبو داود [٣٠٢٥] .... =

وَكان من حَديثِهِم أنّ رسولَ الله ﷺ لَمّا انصَرَفَ عنهم اتّبَعَ أثَرَه عُرْوَةُ بنُ مَسْعُودٍ الثّقَفِيّ ، حتى أدرَكَه قَبْلَ أن يَصِلَ إلى المَدينَةِ ، فأَسلَمَ وسَألَه [٩١/ب] أن يَرْجِعَ إلى قَوْمِه بالإسلامِ فَقال له رسولُ الله ﷺ كَما يَتَحَدّثُ قَوْمُه إنهم قاتِلُوك ، وعَرَفَ رسولُ الله ﷺ أنّ فيهم نَخْوَةَ الامتِناعِ الذي كان منهم فَقال عُرْوَةُ يا رسولَ الله أنا أحَبّ إلَيْهم من أبْكارِهِم [قال ابنُ هشام] : ويُقال من أبصارِهِم .

قال ابنُ هشام : وكان فيهم كذلك مُحَبّبًا مُطاعًا ، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَه إلى الإسلامِ رَجاءَ أن لا يُخالِفُوه لِمَنْزِلَتِه فيهم فَلَمّا أشْرَفَ لهم على عَلِيّةٍ له وقد دَعاهم إلى الإسلامِ وأظْهَرَ لهم دينَه رَمَوْه بالنّبْلِ من كُلّ وجْهٍ فأَصابَه سَهْمٌ فَقَتَلَه فَتَزْعُمُ بنُو مالِكٍ أنه قَتَلَه رَجُلٌ منهم يُقالُ له أوْسُ بنُ عَوْفٍ ، أخُو بني سالِمِ بنِ مالِكٍ وتَزْعُمُ الأحْلافُ أنّه قَتَلَه رَجُلٌ منهم من بني عَتّابِ بنِ مالِكٍ يُقالُ له وهْبُ بنُ جابِرٍ فَقيلَ لِعُرْوَةَ ما تَرَى في دَمِك ؟ قال كَرامَةٌ أكْرَمَني الله بها ، وشَهادَةٌ ساقَها [الله] إلَيّ فَليس فِيّ إلاّ ما في الشّهَداءِ الذينَ قُتِلُوا مع رسولِ الله ﷺ قَبْلَ أن يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ فادْفِنُوني مَعَهم فَدَفَنُوه مَعَهم فَزَعَمُوا أنّ رسولَ الله ﷺ قال فيه إنّ مِثْلَه في قَوْمِه مثلُ صاحِبِ ياسينَ في قَوْمِه .

[ائْتِمارُ ثَقيفٍ على إرْسالِ نَفَرٍ لِلرّسُولِ] :

ثُمّ أقامَتْ ثَقيفٌ بعد قَتْلِ عُرْوَةَ أشْهُرًا ، ثُمّ إنهم ائْتَمَرُوا بَيْنَهم ورَأوْا أنّه لا طاقَةَ لهم بِحَرْبِ مَن حَوْلَهم من العَرَبِ وقد بايَعُوا وأسْلَمُوا .

حَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغيرَةِ بنِ الأخْنَسِ [١] أنّ عمرَو بنَ أُمَيّةَ أخا بني عِلاجٍ كان مُهاجِرًا لِعبدِ ياليلَ بنِ عمرٍو ، الأصل الذي بَيْنَهما سُيِّئَ وكان عمرُو بنُ أُمَيّةَ من أدْهَى العَرَبِ ، فَمَشَى إلى عبدِ ياليلَ بنِ عمرٍو ، حتى دَخَلَ دارَه ثُمّ أرْسَلَ إلَيْه أنّ عمرَو بنَ أُمَيّةَ يقول لَك : اخْرُجْ إلَيّ قال فَقال عبدُ ياليلَ لِلرّسُولِ ويْلَك أعمرٌو أرْسَلَك إلَيّ ؟ قال نَعم وهو هُذا واقِفًا في دارِك ، فَقال إنّ هذا لشَيْءٌ ما كُنتُ أظُنّه لَعمرٌو كان أمنَعَ في نَفْسِه من ذلك فَخَرَجَ إلَيْه فَلَمّا رَآه رَحّبَ به فَقال له عمرٌو : إنّه قد نَزَلَ بنا أمرٌ ليستْ مَعَه هِجْرَةٌ إنّه قد كان من أمرِ هذا الرّجُلِ ما قد رَأيْت ، قد أسْلَمَتِ العَرَبُ كُلّها ، وليستْ لَكُم بِحَرْبِهم طاقَةٌ فانظُرُوا في أمرِكُم . فَعند ذلك ائْتَمَرَتْ ثَقيفٌ بَيْنَها ، وقال بَعْضُهم لِبَعْضٍ : أفَلا تَرَوْنَ أنّه لا يَأْمَنُ لَكُمْ سِرْبٌ ولا يَخْرُجُ مِنْكُم أحَدٌ إلاّ اقْتُطِعَ فَأْتَمَرُوا بَيْنَهم وأجْمَعُوا أن يُرْسِلُوا إلى رسولِ الله ﷺ رَجُلاً ، كَما أرْسَلُوا عُرْوَةَ فَكَلّمُوا عبدَ

= من رواية إبراهيم بن عقيل بن منبه عن أبيه عن وهب قال : سألت جابرًا عن وفد ثقيف فذكر شيئًا مختصرًا . وإسناده حسن . قلت : فقصة وفد ثقيف بهذه الطرق حسنة إن شاء الله .

[١] إسناده مرسل : وانظر السابق .

ياليلَ بن عمرو بن عُمَيْرٍ ، وكان سِنّ عُرْوَةَ بن مَسْعُودٍ وعَرَضُوا ذلك عليه فأَبَى أن يَفْعَلَ وخَشِيَ أن يُفعلَ به إذا رَجَعَ كَما صُنِعَ بعُرْوَةِ . فَقال لَسْت فاعِلاً حتى تُرْسِلُوا مَعي رِجالاً ، فَأَجْمَعُوا أن يَبْعَثُوا مَعَه رَجُلَيْنِ من الأحلافِ ، وثَلاثَةً من بني مالِكٍ فَيَكُونُوا سِتَّةً فَبَعَثُوا مع عبدِ ياليلَ الحَكَمَ ابنَ عمرِو بنِ وهْبِ بنِ مُعَتّبٍ ، وشُرَحْبيلَ بنَ غَيْلانَ بنِ سَلَمَةَ بنِ مُعَتّبٍ ، ومِن بني مالِكٍ عُثْمانَ ابنَ أبي العاصِ [ابنِ بِشْرِ بنِ عبدِ دُهْمانَ] ، أخا بني يَسارٍ وأَوْسَ بنَ عَوْفٍ ، أخا بني سالِمِ بنِ عَوْفٍ ونُمَيْرَ بنَ خَرَشَةَ بنِ رَبيعَةَ ، أخا بني الحارِثِ فَخَرَجَ بِهم عبدُ ياليلَ وهو نابُ القَوْمِ وصاحِبُ أمرِهِم ولَم يَخْرُجْ بِهِم إلاّ خَشْيَةَ من مِثْلِ ما صُنِعَ بِعُرْوَةَ بنِ مَسْعُودٍ لِكَيْ يَشْغَلَ كُلّ رَجُلٍ منهم إذا رَجَعُوا إلى الطّائِفِ رَهْطَه .

[قُدُومُهم المدينَةَ وسُؤَالُهم الرّسُولَ أَشْياءَ أَباها عليهم] :

فَلَمّا دَنَوْا من المَدينَةِ ، ونَزَلُوا قَناةَ ، أَلْفَوْا بِها المُغيرَةَ بنَ شُعْبَةَ ، يَرْعَى في نَوْبَتِه رِكابَ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ وكانَتْ رِعْيَتُها نُوَبًا على أصْحابه ﷺ فَلَمّا رَآهم تَرَكَ الرّكابَ عند الثّقَفِيّينَ وضَبَرَ يَشْتَدّ ، [٩٢/أ] لِيُبَشّرَ رسولَ الله ﷺ بِقُدُومِهم عليه فَلَقِيَه أبو بَكْرٍ الصّدّيقُ رضي الله عنه قَبْلَ أن يَدْخُلَ على رسولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَه عن رَكْبِ ثَقيفٍ أن قد قَدِمُوا يُريدُونَ البَيْعَةَ والإسلامَ بأن يَشْرُطَ لهم رسولُ الله ﷺ شُرُوطًا ، ويَكْتَتِبوا من رسولِ الله ﷺ كِتابًا في قَوْمِهِم وبِلادِهِم وأموالِهِم فَقال أبو بَكْرٍ لِلْمُغيرَةِ : أَقْسَمت عَلَيْك بِالله لا تَسْبِقْني إلى رسولِ الله ﷺ حتى أَكُونَ أنا أُحَدّثُه فَفَعَلَ المُغيرَةُ . فَدَخَلَ أبو بَكْرٍ على رسولِ الله ﷺ .

فَأَخْبَرَه بِقُدُومِهِم عليه ثُمّ خَرَجَ المُغيرَةُ إلى أصْحابه فَرَوّحَ الظّهْرَ مَعَهم وعَلّمَهم كَيْفَ يُحَيّونَ رسولَ الله ﷺ فَلَم يَفْعَلُوا إلاّ بتَحيّةِ الجاهِلِيّةِ . ولَمّا قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ ضَرَبَ عليهم قُبّةً في ناحِيَةِ مَسْجِدِه كَما يَزْعُمُونَ فَكانَ خالِدُ بنُ سَعيدِ بنِ العاصِ ، هُوَ الذي يَمْشي بَيْنَهم وبَيْنَ رسولِ الله ﷺ حتى اكْتَتَبوا كِتابَهم وكان خالِدٌ هُوَ الذي كَتَبَ كِتابَهم بيَدِه وكانوا لا يَطْعَمُونَ طَعامًا يَأْتيهِم من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ حتى يَأْكُلَ مِنه خالِدٌ حتى أَسْلَمُوا وفَرَغُوا من كِتابِهِم وقد كان فيما سَأَلُوا رسولَ الله ﷺ أن يَدَعَ لهم الطّاغِيَةَ ، وهِيَ اللاّت ، لا يَهْدِمُها ثَلاثَ سِنينَ فَأَبَى رسولُ الله ﷺ ذلك عليهم فَما بَرِحُوا يَسْأَلُونَه سَنَةً سَنَةً ويَأْبَى عليهم حتى سَأَلُوا شَهْرًا واحِدًا بعد مَقْدَمِهِم فَأَبَى عليهم أن يَدَعَها شيئًا مُسَمّى ، وإنّما يُرِيدُونَ بِذلك فيما يُظْهِرُونَ أن يَتَسَلّمُوا بِتَرْكِها من سُفَهائِهِم ونِسائِهِم وذَرارِيّهِم ويَكْرَهُونَ أن يُرَوّعُوا قَوْمَهم بِهَدْمِها حتى يَدْخُلَهم الإسلامُ فَأَبَى رسولُ الله ﷺ إلاّ أن يَبْعَثَ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ والمُغيرَةَ بنَ شُعْبَةَ فَيَهْدِماها ، وقد كانوا سَأَلُوه مع تَرْكِ الطّاغِيَةِ أن يُعْفِيَهم من الصّلاةِ وأن لا يَكْسِرُوا أَوْثانَهم بِأَيْدِيهِم فَقال رسولُ الله ﷺ أَمّا كَسْرُ أَوْثانِكُم بِأَيْديكُم فَسَنُعْفيكُم مِنه وأَمّا الصّلاةُ فَإِنّه لا خَيْرَ في دينٍ لا صَلاةَ فيه فَقالُوا : يا مُحَمّدُ

فَسَنُؤْتيكها ، وإن كانَتْ دَناءَةً .

فَلَمّا أسلَمُوا وكَتَبَ لهم رسولُ الله ﷺ كِتابَهم أمَّرَ عليهم عُثْمانَ بنَ أبي العاصِ ، وكان من أحدَثِهم سِنّا ، وذلك أنه كان أحرَصَهم على التَفَقّه في الإسلام وتَعَلّم القُرآنِ . فَقال أبو بَكْرٍ لِرسولِ الله ﷺ يا رسولَ الله إنّي قد رَأيتُ هذا الغُلامَ منهم من أحرَصِهِم على التَفَقّه في الإسلامِ وتَعَلّمِ القُرآنِ .

[بلالٌ ووَفْدُ ثَقيفٍ في رَمَضانَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدّثني عيسى بنُ عبدِ الله عن عَطيّةَ بن سُفيانَ بنِ رَبيعَةَ الثَقَفيّ ، عن بَعْضِ وفْدِهِم . قال كان بَلالٌ يَأتينا حينَ أسْلَمنا وصُمنا مع رسولِ الله ﷺ ما بَقِيَ من رَمَضانَ بِفِطرِنا وسَحُورنا من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ فَيَأتينا بالسَحُورِ وإنّا لَنَقُولُ إنّا لَنَرَى الفَجرَ قد طَلَعَ فَيقول قد تَرَكْت رسولَ الله ﷺ يَتَسَحّرُ لِتأخيرِ السَحُورِ ويَأتينا بِفِطرِنا ، وإنّا لَنَقُولُ ما نَرَى الشَمسَ كُلّها ذَهَبَتْ بَعْدُ . فَيقول ما جِئتُكُمْ حتى أكَلَ رسولُ الله ﷺ ثُمّ يَضَعُ يَدَه في الجَفْنَةِ فَيَلْقِمُ منها .

قال ابنُ هشامٍ : بِفَطُورِنا وسَحُورِنا .

[عَهْدُ الرَسُولِ لابنِ أبي العاصِ حينَ أمّرَه على ثَقيفٍ] :

قال ابنُ إسحاقَ : [2] وحَدّثني سَعيدُ بنُ أبي هِندٍ ، عن مُطَرّفِ بنِ عبدِ الله ابنِ الشِخّيرِ عَنْ عُثْمانَ بنِ أبي العاصِ ، قال كان من آخِرِ ما عَهِدَ إليّ رسولُ الله ﷺ حينَ بَعَثَني على ثَقيفٍ أن قال : يا عُثْمانُ تَجاوزْ في الصَلاةِ ، واقْدُرِ النّاسَ بِأضْعَفِهِم فَإنّ فيهم الكَبيرَ والصَغيرَ والضَعيفَ وذا الحاجَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ : [3] فَلَمّا فَرَغُوا من أمرِهِم وتَوَجّهُوا إلى بِلادِهِم راجِعينَ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ مَعَهم أبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ والمُغيرَةَ بنَ شُعْبَةَ ، في هَدْمِ الطّاغيَةِ . فَخَرَجا مع القَوْمِ حتى إذا قَدِمُوا

---

(١) ضعيف : رواه الطبراني في الكبير [١٦٩/١٧ ح ٤٤٧] من نفس الطريق ورواه الطبراني في الكبير [٦٤٠١] من طريق ابن إسحاق عن عيسى بن عبد الله عن سفيان بن عطية بن ربيعة قال : قدوفد ثقيف فذكره . قال الحافظ في الإصابة [١٢٦/٤] المحفوظ : أن الحديث من رواية عيسى بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدهم . فالله أعلم . وروي من طريق علقمة بن سفيان بن عبد الله الثقفي عن أبيه ، رواه الطبراني في الكبير [٦٤٠٠] والبيهقي في الدلائل [٣٠٥/٥] . وفي سنده إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع : ضعيف . ووقع عند البزار علقمة بن سهيل الثقفي عزاه إليه الحافظ ابن حجر وهو في الزوائد رقم [٨٣] . قال الحافظ في الإصابة : قال ابن عبد البر : اضطربوا فيه .

(٢) صحيح : إسناد ابن إسحاق حسن والحديث رواه مسلم [٤٦٨] ومالك في الموطأ [٢٢٩/٢] وأحمد [٢١/٤] وأبو داود [٣٨٧٣] والترمذي [٢١٢٦] وابن ماجه [٩٨٧] وغيرهم .

(٣) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٨١/٢] والبيهقي دلائل [٣٠٤/٥] من رواية ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة مرسلاً .

الطَّائِفَ أرادَ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ أن يُقَدِّمَ أبا سُفيانَ فَأَبَى ذلك أبو سُفيانَ عليه وقال ادْخُلْ أنتَ على [٩٢/ب] قَوْمِك ؛ وأقامَ أبو سُفيانَ بمالِه بذي الهَدْمِ ؛ فَلَمّا دَخَلَ المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ عَلاها يَضْرِبُها بالمِعْوَلِ وقامَ قَوْمُه دُونَه بنُو مُعَتِّبٍ ، خَشْيَةَ أن يُرْمَى أوْ يُصابَ كَما أُصيبَ عُرْوَةُ وخَرَجَ نِساءُ ثَقِيفٍ حُسَّرًا يَبْكِينَ عليها ويَقُلْنَ :

لَتُبْكَيَنَّ دُفَّاعُ أسلَمَها الرِّضَاعُ لَم يُحْسِنُوا المِصاعَ

قال ابنُ هشامٍ : «لَتُبْكَيَنَّ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : ويقول أبو سُفيانَ والمُغِيرَةُ يَضْرِبُها بالفَأْسِ واها لَك وآها لَك فَلَمّا هَدَمَها المُغِيرَةُ وأخَذَ مالَها وحُلِيَّها أرْسَلَ إلى أبي سُفيانَ وحُلِيُّها مَجْمُوعٌ وما لها من الذَّهَبِ والجَزْعِ .

وَقَد كان أبو مُلَيْحِ بنِ عُرْوَةَ وقارِبُ بنُ الأسْوَدِ قَدِما على رسولِ الله ﷺ قَبْلَ وفْدِ ثَقيفٍ ، حينَ قُتِلَ عُرْوَةُ يُرِيدانِ فِراقَ ثَقيفٍ ، وأن لا يُجامِعاهم على شيءٍ أبَدًا ، فَأسْلَما ؛ فَقال لهما رسولُ الله ﷺ تَوَلَّيا مَن شِئْتُما ؛ فَقالا : نَتَوَلّى اللهَ ورسولَه فَقال رسولُ الله ﷺ وخالَكُما أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ فَقالا : وخالَنا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ .

فَلَمّا أسلَمَ أهلُ الطّائِفِ ووَجَّهَ رسولُ الله ﷺ أبا سُفيانَ والمُغِيرَةَ بن شعبة إلى هَدْمِ الطّاغِيَةِ ، سَأَلَ رسولَ الله ﷺ أبو مُلَيْحِ بنِ عُرْوَةَ أن يَقْضِيَ عن أبيه عُرْوَةَ دَيْنًا كان عليه من مالِ الطّاغِيَةِ ، فَقال له رسولُ الله ﷺ نَعَم فَقال له قارِبُ بنُ الأسْوَدِ ، وعن الأسْوَدِ يا رسولَ الله فاقْضِه وعُرْوَةُ والأسْوَدُ أخَوانِ لأبٍ وأُمٍّ فَقال رسولُ الله ﷺ إنّ الأسْوَدَ ماتَ مُشْرِكًا . فَقال قارِبٌ لِرسولِ الله ﷺ يا رسولَ الله لَكِن تَصِلُ مُسْلِمًا ذا قَرابَةٍ يَعْني نَفْسَه إنّما الدَّيْنُ عَلَيَّ وإنّما أنا الذي أُطْلَبُ به فَأمَرَ رسولُ الله ﷺ أبا سُفيانَ أن يَقْضِيَ دَيْنَ عُرْوَةَ والأسْوَدِ من مالِ الطّاغِيَةِ ، فَلَمّا جَمَعَ المُغِيرَةُ مالَها قال لأبي سُفيانَ إنّ رسولَ الله ﷺ قد أمَرَك أن تَقْضِيَ عن عُرْوَةَ والأسْوَدِ دَيْنَهما ، فَقَضَى عنهما . وَكان كِتابُ رسولِ الله ﷺ الذي كَتَبَ لهم : بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ من مُحَمَّدٍ النَّبيِّ رسولِ الله إلى المُؤْمِنِينَ : إنّ عِضاهَ وَجٍّ وَصَيْدَه لا يُعْضَدُ مَن وُجِدَ يَفْعَلُ شيئًا من ذلك فَإنّه يُجْلَدُ وتُنْزَعُ ثيابُه فَإن تَعَدّى ذلك فَإنّه يُؤْخَذُ فَيَبْلُغُ به [إلى] النَّبيِّ مُحَمَّدٍ . وإنّ هذا أمرُ النَّبيِّ [مُحَمَّدٍ رسولِ الله ﷺ] .

وَكَتَبَ خالِدُ بنُ سَعيدٍ : بِأمرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله فَلا يَتَعَدّه أحَدٌ ، فَيَظْلِمَ نَفْسَه فيما أمَرَ به مُحَمَّدٌ رسولُ الله ﷺ .

* * *

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه وذكر براءة والقصص في تفسيرها.

قال ابنُ إسحاقَ :[١] ثُمَّ أقامَ رسولُ الله ﷺ بقيةَ شَهرِ رَمَضانَ وشَوّالاً وذا القَعْدَةِ ثُمَّ بَعَثَ أبا بَكرٍ أميرًا على الحجّ من سَنَةِ تِسعٍ ليُقيمَ للمُسلِمينَ حَجّهم والناسُ من أهلِ الشِّركِ على مَنازِلِهم من حَجِّهم . فخَرَجَ أبو بَكرٍ رَضيَ الله عنه ومَن مَعَه من المُسلِمينَ .

[نُزُولُ بَراءةٍ في نَقْضِ ما بَيْنَ الرّسُولِ والمُشرِكينَ] :

وَنَزَلَتْ بَراءةٌ في نَقْضِ ما بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَ المُشرِكينَ من العَهْدِ الذي كانوا عليه فيما بَيْنَه وبَيْنَهم أن لا يُصَدّ عن البَيْتِ أحَدٌ جاءَه ولا يَخافُ أحَدٌ في الشّهرِ الحرام .

وكان ذلك عَهْدًا عامًا بَيْنَه وبَيْنَ النّاسِ من أهلِ الشِّرْكِ وكانَتْ بَيْنَ ذلك عُهُودٌ بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَ قَبائِلَ من العَرَبِ خَصائِص ، إلى آجالٍ مُسَمّاةٍ فَنَزَلَتْ فيه وفيمَن تَخَلّفَ من المُنافِقينَ عنه في تَبوكَ وفي قَوْلِ مَن قال منهم فكَشَفَ الله تَعالى فيها سَرائِرَ أقْوامٍ كانوا يَسْتَخفُونَ بغَيْرِ ما يُظهِرُونَ منهم مَن سَمّى لَنا ، ومنهم مَن لَمْ يُسَمّ لَنا ، فقال عَزّ وجَلّ ﴿**بَراءَةٌ مِنَ الله ورسوله إلى الذينَ عاهَدْتُم مِنَ المُشرِكينَ**﴾ أيْ لأهلِ العَهْدِ العامّ [٩٣/أ] من أهلِ الشِّرْكِ ﴿**فَسيحُوا في الأرْضِ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ واعْلَمُوا أنّكُم غَيْرُ مُعْجِزِي الله وأنّ اللهَ مُخْزِي الكافِرينَ وأذانٌ مِنَ الله ورسولِه إلى النّاسِ يومَ الحَجّ الأكْبَرِ أنّ اللهَ بَريءٌ مِنَ المُشرِكينَ ورسولُهُ**﴾ أيْ بعد هذه الحِجّةِ ﴿**فَإن تُبْتُم فهو خَيْرٌ لَكُمْ وإن تَوَلّيْتُم فاعْلَمُوا أنّكُم غَيْرُ مُعْجِزِي الله وبَشّرِ الذينَ كَفَرُوا بعَذابٍ أليمٍ إلاّ الذينَ عاهَدْتُم مِنَ المُشرِكينَ**﴾ أيِ العَهْدَ الخاصّ إلى الأجَلِ المُسَمّى ﴿**ثُمّ لَمْ يَنْقُصُوكُم شيئًا ولَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُم أحَدًا فَأتِمّوا إلَيْهِم عَهْدَهم إلى مُدّتِهم إنّ اللهَ يُحِبّ المُتّقينَ فَإذا انْسَلَخَ الأشْهُرُ الحُرُمُ**﴾ يَعْني الأرْبَعَةَ التي ضَرَبَ لهم أجَلاً ﴿**فاقْتُلُوا المُشرِكينَ حَيْثُ وجَدْتُمُوهم وخُذُوهم واحْصُرُوهم واقْعُدُوا لهم كُلّ مَرْصَدٍ فَإن تابوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ فَخَلّوا سَبيلَهم إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ وإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكينَ**﴾ أيْ من هَؤُلاءِ الذينَ أمَرْتُك بقَتْلِهم ﴿**اسْتَجارَكَ فَأجِرْه حتى يَسْمَعَ كَلامَ الله ثُمّ أبْلِغْه مَأمَنَه ذلك بأنّهم قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ**﴾ .

ثُمّ قال ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشرِكينَ**﴾ الذينَ كانوا هم وأنتُم على العَهْدِ العامّ أن لا يُخيفُوكُم ولا

(١) رواه عنه الطبري في التفسير [٥٩/١٠/٦] والبيهقي في الدلائل [٢٩٣/٥] .

يُخيفُوهم في الحُرْمَةِ ولا في الشَّهرِ الحَرام **﴿عَهْدٌ عند الله وعند رسوله إلاّ الذين عاهَدْتُم عند المَسْجدِ الحَرام﴾** وَهيَ قَبائِلُ من بني بَكْرٍ الذينَ كانوا دَخَلُوا في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِم يومَ الحُدَيْبِيَةِ ، إلى المُدَةِ التي كانَتْ بَيْنَ رسولِ الله ﷺ وبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَلَم يَكُن نَقَضَها إلاّ هذا الحَيّ من قُرَيْشٍ ، وهيَ الدِّيلُ من بني بَكْرِ [بنِ وائِلٍ] ، الذينَ كانوا دَخَلُوا في عَقْدِ قُرَيْشٍ وعَهْدِهِم . فأُمِرَ بإتمامِ العَهْدِ لِمَن لَم يَكُن نَقَضَ من بني بَكْرٍ إلى مُدَّتِه **﴿فما استَقامُوا لَكُم فاستَقيمُوا لهم إنّ اللهَ يُحِبّ المُتَّقينَ﴾** . ثُمّ قال تَعالى : **﴿كَيْفَ وإن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾** أي المُشْرِكُونَ الذينَ لا عَهْدَ لهم إلى مُدّةٍ من أهلِ الشّرْكِ العامّ **﴿لا يَرْقُبوا فيكُمْ إلاّ ولا ذِمّةً﴾** .

قال ابنُ هشام : الإلّ : الحِلْفُ . قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ أحَدُ بني أُسَيّدِ بنِ عمرِو بنِ تَميمٍ :

لَوْلا بنُو مالِكٍ والإلّ مَرْقَبَةٌ ... وَمالِكٌ فيهم الآلاءُ والشّرَفُ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وجَمْعَه آلال قال الشّاعِرُ :

فَلا إلّ من الآلالِ بَيْني ... وَبَيْنَكُمْ فَلا تَأْلُنّ جُهْدًا

والذّمّةُ العَهْدُ . قال الأجْدَعُ بنُ مالِكٍ الهَمدانيّ وهو أبو مَسْرُوقِ بنِ الأجْدَعِ الفَقيه :

وَكان عَلَيْنا ذِمّةٌ أن تُجاوِزُوا ... من الأرْضِ مَعْرُوفًا إلَيْنا ومُنْكَرًا

وَهذا البَيْتُ في ثَلاثَةِ أبياتٍ له وجَمعُها : ذِمَمٌ . **﴿يُرْضُونَكُم بأفواهِهِم وتَأْبَى قُلُوبُهم وأكْثَرُهم فاسِقُونَ اشْتَرَوْا بآياتِ الله ثَمَنًا قَليلاً فَصَدّوا عن سَبيله إنّهم ساءَ ما كانوا يَعْمَلُونَ لا يَرْقُبونَ في مُؤْمِنٍ إلاّ ولا ذِمّةً وأُولَئِكَ همُ المُعْتَدُونَ﴾** أيْ قد اعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ **﴿فإن تابوا وأقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ فإخوانُكُمْ في الدّينِ ونُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدّثَني حَكيمُ بنُ حَكيمِ بنِ عَبّادِ بنِ حُنَيْفٍ عن أبي جَعْفَرٍ مُحَمّدِ بنِ عَليّ [رِضْوانُ الله عليه] أنّه [قال] لَمّا نَزَلَتْ بَراءَةٌ على رسولِ الله ﷺ وقد كان بَعَثَ أبا بَكْرٍ الصّدّيقَ لِيُقيمَ لِلنّاسِ الحَجّ قيلَ له يا رسولَ الله لَوْ بَعَثْت بها إلى أبي بَكْرٍ فَقال لا يُؤَدّي عَنّي إلاّ رَجُلٌ من أهلِ بَيْتي ، ثُمّ دَعا عَليّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عليه فَقال له : اخْرُجْ بِهذه القِصّةِ من صَدْرِ بَراءَةٍ ، وأذّن في النّاسِ يومَ النّحْرِ إذا اجْتَمَعُوا بِمِنًى ، أنّه لا يَدْخُلُ الجَنّةَ كافِرٌ ولا يَحُجّ

---

(١) مرسل : سند ابن اسحاق مرسل وللحديث شواهد صحيحة منها ما رواه البخارى [٦٢٢،٤٦٥٥] ، مسلم [٤٣٥] من حديث أبى هريرة [يعنى أبو بكر فى تلك الحجة فى مؤذنين . بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى : ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . قال حميد بن عبد الرحمن : فأردف رسول الله ﷺ بعلى بن أبى طالب ، وأمره أن يؤذن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر فى أهل منى ببراءه ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . وفى رواية أحمد [٢٩٩/٢] زيادة وهى : «لا يدخل الجنة إلا مؤمن ....، ومن كان بينه وبين الرسول ﷺ عهد فإن أجله أربعة أشهر» ومن حديث علي نحوه رواه أحمد [٧٩/١] .

بعد العام مُشْرِكٌ ولا يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ ومَن كان له عند رسولِ الله ﷺ عَهْدٌ فهو له إلى مُدّتِه في تلك السنة[٩٣/ب] فَخَرَجَ عَلِيّ بنُ أبي طالبٍ رِضوانُ الله عليه على ناقَةِ رسولِ الله ﷺ العَضْباءَ حتى أدْرَكَ أبا بَكْرٍ [بالطّريق] فَلَمّا رَآه أبو بَكْرٍ [بالطّريق] قال أأميرٌ أم مَأمورٌ ؟ فقال بَلْ مَأمورٌ ثُمّ مَضَيا . فأقامَ أبو بَكْرٍ لِلنّاسِ الحَجّ والعَرَبُ إذْ ذاكَ [في تِلْكَ السّنَةِ] على مَنازِلِهم من الحَجّ التي كانوا عليها في الجاهِلِيّةِ حتى إذا كان يومُ النّحْرِ قامَ عَلِيّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ الله عنه فَأذّنَ في النّاسِ بالذي أمَرَه به رسولُ الله ﷺ فقال : أيها النّاسُ إنّه لا يَدْخُلُ الجَنّةَ كافِرٌ ولا يَحُجّ بعد العام مُشْرِكٌ ولا يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيانًا ، ومَن كان له عند رسولِ الله ﷺ عَهْدٌ فهو له إلى مُدّتِه وأجَلَ النّاسَ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ من يوم أذّنَ فيهم ليَرْجِعَ كُلّ قَوْمٍ إلى مَأمَنِهِم أوْ بِلادِهِم ثُمّ لا عَهْدَ لِمُشْرِكٍ ولا ذِمّةَ إلاّ أحَدٌ كان له عند رسولِ الله ﷺ عَهْدٌ إلى مُدّةٍ فهو له إلى مُدّتِه . فَلَمْ يَحُجّ بعد ذلك العامِ مُشْرِكٌ ولَمْ يَطُفْ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ . ثُمّ قَدِما على رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ : فَكان هذا من بَراءَةٍ مِمّن كان من أهلِ الشّرْكِ من أهلِ العَهْدِ العامّ وأهلِ المُدّةِ إلى الأجَلِ المُسَمّى .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ أمَرَ الله رسولَه ﷺ بِجِهادِ أهلِ الشّرْكِ مِمّن نَقَضَ من أهلِ العَهْدِ الخاصّ ومَن كان من أهلِ العَهْدِ العامّ بعد الأرْبَعَةِ الأشْهُرِ التي ضَرَبَ لهم أجَلاً إلاّ أن يَعْدُوَ فيها عادٍ منهم فَيُقْتَلَ بِعَدائِه فَقال ﴿**ألا تُقاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أيْمانَهم وهَمّوا بِإخْراجِ الرّسُولِ وهم بَدَءُوكُم أوّلَ مَرّةٍ أتَخْشَوْنَهم فالله أحَقّ أن تَخْشَوْه إن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ قاتِلُوهم يُعَذّبْهُمُ الله بِأيْديكُمْ ويُخْزِهِم ويَنْصُرْكُم عليهم ويَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ويُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِم ويَتُوبُ الله**﴾ أيْ من بَعْدِ ذلك ﴿على مَن يَشاءُ والله عَليمٌ حَكيمٌ أم حَسِبْتُم أن تُتْرَكُوا ولَمّا يَعْلَمِ الله الذينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ ولَمْ يَتّخِذُوا من دُونِ الله ولا رسولِه ولا المُؤْمِنِينَ وليجَةً والله خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾ .

قال ابنُ هشام : وليجَةٌ دَخيلٌ وجَمْعُها : ولائِجُ وهو من ولَجَ يَلِجُ أيْ دَخَلَ يَدْخُلُ وفي كِتابِ الله عَزّ وجَلّ ﴿**حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخِياطِ**﴾ أيْ يَدْخُلُ يقول لَمْ يَتّخِذُوا دَخيلاً من دُونِه يُسِرّونَ إلَيْه غَيْرَ ما يُظْهِرُونَ نَحْوَ ما يَصْنَعُ المُنافِقُونَ يُظْهِرُونَ الإيمانَ لِلّذينَ آمَنُوا ﴿**وَإذا خَلَوْا إلى شَياطِينِهم قالُوا إنّا مَعَكُمْ**﴾ قال الشّاعِرُ :

واعْلَمْ بِأنّكَ قد جُعِلْتَ وليجَةً ... ساقُوا إلَيْكَ الحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبِ

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ ذَكَرَ قَوْلَ قُرَيْشٍ : إنّا أهلُ الحَرَمِ ، وسُقاةُ الحاجّ وعُمّارِ هذا البَيْتِ فَلا أحَدَ أفْضَلُ مِنّا ؛ فَقال ﴿**إنّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله مَن آمَنَ بِالله واليومِ الآخِرِ**﴾ أيْ إنّ عِمارَتَكُمْ ليستْ على ذلك وإنّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله أيْ مَن عمّرَها بِحَقّها ﴿**مَن آمَنَ بِالله واليومِ الآخِرِ وأقامَ**

الصلاةَ وآتَى الزكاةَ ولم يَخْشَ إلاّ اللهَ﴾ أيْ فَأُولَئِكَ عُمّارُها ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أن يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾ وَعَسَى من الله حَق .

ثُمَ قال تَعالى : ﴿أجَعَلْتُم سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ كَمَن آمَنَ بِالله واليومِ الآخِرِ وجاهَدَ في سَبيلِ الله لا يَسْتَوُونَ عند اللهِ﴾ .

[ما نَزَلَ في الأمرِ بِقِتالِ المُشْرِكينَ] :

ثُمَ القِصّةُ [عن عَدُوّهم] حتى انْتَهَى إلى ذِكْرِ حُنَيْنٍ ، وما كان فيهم وتَوَلّيهم فيه عن عَدُوّهم وما أنْزَلَ الله تَعالى من نَصْرِه بعد تَخاذُلِهم ثُمَ قال تَعالى : ﴿إنّما المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرامَ بعد عامِهِم هذا وإن خِفْتُم عَيْلَةً﴾ وَذلك أنّ النّاسَ قالُوا : لَتَنْقَطِعَنّ عنّا الأسواقُ فَلَتَهْلِكَنّ التّجارَةُ ولَيَذْهَبَنّ ما كُنّا نُصيبُ [فيها] من المَرافِقِ فَقال الله عَزّ وجَلّ ﴿وإن خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوفَ يُغْنيكُمُ الله من فَضْلِهِ﴾ أيْ من وجْهٍ غَيْرِ ذلك ﴿إن شاءَ إنّ اللهَ عَليمٌ حَكيمٌ قاتِلُوا الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالله ولا بِاليومِ الآخِرِ ولا[٩٤/أ] يُحَرّمُونَ ما حَرّمَ الله ورسولُه ولا يَدينُونَ دينَ الحَقّ مِنَ الذين أُوتُوا الكِتابَ حتى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عن يَدٍ وهم صاغِرُونَ﴾ أيْ فَفي هذا عِوَضٌ مِمّا تَخَوّفْتُم من قَطْعِ الأسواقِ فَعَوّضَهم الله بِما قَطَعَ عنهم بِأمرِ الشّرْكِ ما أعْطاهم من أعْناقِ أهلِ الكِتابِ من الجِزْيَةِ .

ثُمَ ذَكَرَ أهلَ الكِتابَيْنِ بِما فيهم من الشّرّ والفِرْيَةِ عليه حتى انْتَهَى إلى قَوْلِه تَعالى : ﴿إنّ كَثيرًا مِنَ الأحْبارِ والرّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أموالَ النّاسِ بِالباطِلِ ويَصُدّونَ عن سَبيلِ الله والذينَ يَكْنِزُونَ الذّهَبَ والفِضّةَ ولا يُنْفِقُونَها في سَبيلِ الله فَبَشّرْهم بِعَذابٍ أليمٍ﴾ .

ثُمَ ذَكَرَ النّسيءَ وما كانَتِ العَرَبُ أحْدَثَتْ فيه . والنّسيءُ ما كان يُحِلّ مِمّا حَرّمَ الله تَعالى من الشّهُورِ ويُحَرّمُ مِمّا أحَلّ الله منها ، فَقال ﴿إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عند الله اثْنا عَشَرَ شَهْرًا في كِتابِ الله يومَ خَلَقَ السّماواتِ والأرْضَ منها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلك الدّينُ القَيّمُ فَلا تَظْلِمُوا فيهنّ أنْفُسَكُم﴾ أيْ لا تَجْعَلُوا حَرامَها حَلالاً ، ولا حَلالَها حَرامًا : أيْ كَما فَعَلَ أهلُ الشّرْكِ ﴿إنّما النّسيءُ﴾ الذي كانوا يَصْنَعُونَ ﴿زِيادَةٌ في الكُفْرِ يُضَلّ به الذينَ كَفَرُوا يُحِلّونَه عامًا ويُحَرّمُونَه عامًا لِيُواطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ الله فَيُحِلّوا ما حَرّمَ الله زُيّنَ لهم سُوءُ أعْمالِهِم والله لا يَهْدي القَوْمَ الكافِرِينَ﴾ .

ثُمَ ذَكَرَ تَبوكَ وما كان فيها من تَثاقُلِ المُسْلِمينَ عنها ، وما أعْظَمُوا من غَزْوِ الرّوم ، حينَ دَعاهم رسولُ الله ﷺ إلى جِهادِهِم ونِفاقَ مَن نافَقَ من المُنافِقينَ حينَ دُعُوا إلى ما دُعُوا إلَيْه من الجِهادِ ثُمَ ما نَعَى عليهم من إحْداثِهِم في الإسلامِ فَقال تَعالى : ﴿يا أيها الذينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذا قيلَ لَكُمُ انْفِرُوا في سَبيلِ الله اثّاقَلْتُم إلى الأرْضِ﴾ ثُمَ القِصّةُ إلى قَوْلِه تَعالى : ﴿يُعَذّبْكُم عَذابًا أليمًا

ويَسْتَبدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُم﴾ إلى قَوْلِه تَعالى : ﴿إلاّ تَنصُرُوه فقد نَصَرَه الله إذ أخرَجَه الذينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إذ هما في الغارِ﴾ .

[ما نَزَلَ في أهلِ النِّفاقِ] :

ثُمَّ قال تَعالى لِنَبيّه ﷺ يَذْكُرُ أهلَ النِّفاقِ ﴿لَوْ كان عَرَضًا قَرِيبًا وسَفَرًا قاصِدًا لاتَّبَعُوكَ ولكِن بَعُدَتْ عليهِمُ الشُّقَّةُ وسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أنفُسَهم واللهُ يَعْلَمُ إنّهم لَكاذِبونَ﴾ أيْ إنّهم يَسْتَطيعُونَ ﴿عَفا اللهُ عَنكَ لِمَ أذِنْتَ لهم حتى يَتَبَيّنَ لَكَ الذينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبينَ﴾ . . . إلى قَوْلِه ﴿لَوْ خَرَجُوا فيكُم ما زادُوكُم إلاّ خَبالاً ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وفيكُمْ سَمّاعُونَ لهم﴾ .

قال ابنُ هشام : أوْضَعُوا خِلالَكُمْ سارُوا بَيْنَ أضعافِكُم فالإيضاعُ ضَرْبٌ من السَّيْرِ أسْرَعَ من المَشْيِ قال الأجْدَعُ بنُ مالكٍ الهَمدانِيّ :

يَصْطادُك الوَحَدَ المُدِلّ بِشَأْوِهِ بِشَريجِ بَيْنَ الشَّدِّ والإيضاعِ

وَهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان الذينَ اسْتَأْذَنُوه من ذَوِي الشَّرَفِ فيما بَلَغَني ، منهم عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلُولَ ، والجَدّ بنُ قيسٍ ؛ وكانوا أشْرافًا في قَوْمِهم فَثَبّطَهم الله لِعِلْمِه بِهم أن يَخْرُجُوا مَعَه فَيُفْسِدُوا عليه جُنْدَه وكان في جُنْدِه قَوْمٌ أهلُ مَحَبّةٍ لهم وطاعةٍ فيما يَدْعُونَهم إلَيْه لِشَرَفِهم فيهم . فَقال تَعالى : ﴿وَفيكُمْ سَمّاعُونَ لهم واللهُ عَليمٌ بِالظّالِمينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ من قَبْلُ﴾ أيْ من قَبْلِ أن يَسْتَأْذِنُوك ، ﴿وَقَلّبوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أيْ لِيَخْذُلُوا عَنكَ أصْحابَكَ ويَرُدّوا عَلَيْكَ أمرَك ﴿حتى جاءَ الحَقّ وظَهَرَ أمرُ اللهِ وهم كارِهُونَ ومنهم مَن يقول ائْذَن لي ولا تَفْتِنّي ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ وَكان الذي قال ذلك فيما سُمّيَ لَنا ، الجَدّ بنُ قيسٍ ، أخُو بني سَلِمَةَ ، حينَ دَعاه رسولُ الله ﷺ إلى جِهادِ الرّومِ . ثُمّ كانَتِ القِصّةُ إلى قَوْلِه تَعالى : ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أوْ مَغاراتٍ أوْ مُدّخَلاً لَوَلّوْا إلَيْه وهم يَجْمَحُونَ ومنهم مَن يَلْمِزُكَ في الصّدَقاتِ فَإن أُعْطُوا منها رَضُوا وإن لم [٩٤/ب] يُعْطَوْا منها إذا هم يَسْخَطُونَ﴾أيْ إنّما نِيّتُهم ورِضاهم وسَخَطُهم لِدُنْياهم . ثُمّ بَيّنَ الصّدَقاتِ لِمَن هيَ وسَمّى أهلَها ، فَقال : ﴿إنّما الصّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والمَساكينِ والعامِلينَ عليها والمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهم وفي الرّقابِ والغارِمينَ وفي سَبيلِ اللهِ وابنِ السّبيلِ فَريضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ﴾ .

[ما نَزَلَ فيمَن آذَوْا الرّسُولَ] :

ثُمّ ذَكَرَ غَشّهم وأذاهم النّبيّ ﷺ فَقال ﴿وَمنهمُ الذينَ يُؤْذُونَ النّبيّ ويقولونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ ويُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنينَ ورَحْمَةٌ لِلّذينَ آمَنُوا مِنكُم والذينَ يُؤْذُونَ رسولَ اللهِ

لهم عَذابٌ أليمٌ﴾

وَكان الذي يقول تِلْكَ المَقالةَ فيما بَلَغَني ، نَبْتَلُ بنُ الحارثِ أخُو بني عمرِو بنِ عَوْفٍ ، وفيه نَزَلَتْ هذه الآيَةُ وذلك أنه كان يقول إنّما مُحَمّدٌ أُذُنٌ مَن حَدّثَه شيئًا صَدّقَه . يقول الله تَعالى : **﴿قُل أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾** أيْ يَسمَعُ الخَيْرَ ويُصَدّقُ به .

ثُمّ قال تَعالى : **﴿يَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ والله ورسولُه أحَقّ أن يُرْضُوه إن كانوا مُؤْمِنينَ] ثُمّ قال [وَلَئِن سَأَلْتَهم لَيقولنّ إنّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أبالله وآياتِه ورسولِه كُنتُم تَسْتَهْزِئُونَ] إلى قَوْله تَعالى : [إن نَعْفُ عن طائِفَةٍ مِنكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً﴾** وَكان الذي قال هذه المَقالةَ وديعَةَ بنَ ثابتٍ ، أخُو بني أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ ، من بني عمرِو بنِ عَوْفٍ وكان الذي عُفِيَ عنه فيما بَلَغَني : مُخَشّنَ بنَ حُمَيّرٍ الأشْجَعِيّ حَليفَ بني سَلِمَةَ ، وذلك أنه أنْكَرَ منهم بَعْضَ ما سَمِعَ .

ثُمّ القِصّةُ من صِفَتِهم حتى انْتَهَى إلى قَوْلِه تَعالى : **﴿يا أيها النّبِيّ جاهِدِ الكُفّارَ والمُنافِقِينَ واغْلُظْ عليهم ومَأْواهم جَهَنّمُ وبِئْسَ المَصيرُ يَحْلِفُونَ بالله ما قالُوا ولَقد قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعد إسلامِهم وهَمّوا بِما لَم يَنالُوا وما نَقَمُوا إلاّ أن أغْناهمُ الله ورسولُه من فَضْلِهِ﴾** إلى قَوْلِه **﴿من وليّ ولا نَصيرٍ﴾** وَكان الذي قال تِلْكَ المَقالةَ الجُلاسُ بنَ سُوَيْد بنِ صامِتٍ فَرَفَعَها عليه رَجُلٌ كان في حِجْرِه يُقال له عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ ، فأنْكَرَها وحَلَفَ بالله ما قالها ، فَلَمّا نَزَلَ فيهم القُرآنُ تاب ونَزَعَ وحَسُنَتْ حالُه وتَوْبَتُه فيما بَلَغَني .

ثُمّ قال تَعالى : ﴿وَمنهم مَن عاهَدَ اللهَ لَئِن آتانا من فَضْلِه لَنَصّدّقَنّ ولَنَكُونَنّ مِنَ الصّالِحينَ﴾ وَكان الذي عاهَدَ اللهَ منهم ثَعْلَبَةَ بنَ حاطِبٍ ، ومُعَتّبَ بنَ قُشيرٍ ، وهما من بني عمرِو بنِ عَوْفٍ . ثُمّ قال : **﴿الذينَ يَلْمِزُونَ المُطّوّعينَ مِنَ المُؤْمِنينَ في الصّدَقاتِ والذينَ لا يَجِدُونَ إلاّ جُهْدَهم فَيَسْخَرُونَ منهم سَخِرَ الله منهم ولهم عَذابٌ أليمٌ﴾** وَكان المُطّوّعُونَ [من المُؤْمنينَ] في الصّدَقاتِ عبدَ الرّحْمَنِ ابنَ عَوْفٍ ، وعاصِمَ بنَ عَديّ أخا بني العَجْلانِ ، وذلك أنّ رسولَ الله ﷺ رَغّبَ في الصّدَقَةِ وحَضّ عليها ، فَقامَ عبدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ، فَتَصَدّقَ بأرْبَعَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وقامَ عاصِمُ بنُ عَديّ ، فَتَصَدّقَ بِمِئَةِ وسْقٍ من تَمْرٍ فَلَمَزُوهما وقالُوا ما هذا إلاّ رياءٌ وكان الذي تَصَدّقَ بِجَهْدِه أبو عُقَيْلٍ أخُو بني أُنَيْفٍ أتَى بِصاعٍ من تَمْرٍ فأفْرَغَها في الصّدَقَةِ فَتَضاحَكُوا به وقالُوا : إنّ اللهَ لَغَنيّ عن صاعِ أبي عُقَيْلٍ . ثُمّ ذَكَرَ قَوْلَ بَعْضِهم لِبَعْضٍ حينَ أمَرَ رسولُ الله ﷺ بالجِهادِ وأمَرَ بالسّيْرِ إلى تَبُوكَ ، على شِدّةِ الحَرّ وجَدْبِ البِلادِ فَقال تَعالى : **﴿وَقالُوا لا تَنفِرُوا في الحَرّ قُلْ نارُ جَهَنّمَ أشَدّ حَرّا لَوْ كانوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً ولْيَبْكُوا كَثيرًا﴾** إلى قَوْلِه **﴿وَلا**

تُعجِبْكَ أموالُهم وأوْلادُهم﴾ (١)

ما نَزَلَ بِسَبَبِ صَلاةِ النّبيّ ﷺ على ابن أُبَيّ :

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وحَدّثَني الزّهْريّ عن عُبَيْدِ الله بن عبدِ الله بنِ عُتْبَةَ عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الخَطّاب [٩٥/أ] يقول لَمّا تُوُفّيَ عبدُ الله بنُ أُبَيّ ،دُعيَ رسولُ الله ﷺ للصّلاةِ عليه فقامَ إليْه فَلَمّا وقَفَ عليه يُريدُ الصّلاةَ تَحَوّلْتُ حتى قُمت في صَدْرِه فَقُلْت : يا رسولَ الله أتُصَلّي على عَدُوّ الله عبدِ الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلُولَ ؟ القائِلِ كَذا يومَ كَذا ، والقائِلِ كَذا يومَ كَذا ؟ أُعَدّدُ أيّامَه ورسولُ الله ﷺ يَتَبَسّمُ حتى إذا أكْثَرْت قال : «**يا عُمَرُ أخّرْ عَنّي ، إنّي قد خُيّرْت فاخْتَرْت ، قد قيلَ لي : اسْتَغْفِرْ لهم أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لهم إن تَسْتَغْفِرْ لهم سَبْعينَ مَرّةً فَلَن يَغْفِرَ الله لهم فَلَوْ أعْلَمُ أنّي إن زِدْت على السّبْعينَ غُفِرَ له لَزِدْت**» . قال ثُمّ صَلّى عليه رسولُ الله ﷺ ومَشَى مَعَه حتى قامَ على قَبْرِه حتى فُرِغَ مِنه . قال فَعَجِبْت لي وجُرْأتي على رسولِ الله ﷺ والله ورسولُه أعْلَمُ . فَوالله ما كان إلاّ يَسيرًا حتى نَزَلَتْ هاتانِ الآيَتانِ **﴿وَلا تُصَلّ على أحَدٍ منهم ماتَ أبَدًا ولا تَقُم على قَبْرِه إنّهم كَفَرُوا بِالله ورسوله وماتُوا وهم فاسِقُونَ﴾** فَما صَلّى رسولُ الله ﷺ بعده على مُنافِقٍ حتى قَبَضَه الله تَعالى .

[ما نَزَلَ في المُسْتَأْذِنينَ] :

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ قال تَعالى : **﴿وَإذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أن آمِنُوا بالله وجاهِدُوا مع رسوله اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطّوْلِ منهم﴾** وَكان ابنُ أُبَيّ من أُولَئِكَ فَنَعَى الله عليه ذلك وذَكَرَه مِنه ثُمّ قال تَعالى : **﴿لَكِنِ الرّسُولُ والذينَ آمَنُوا مَعَه جاهَدُوا بِأموالِهِم وأنْفُسِهِم وأُولَئِكَ لهمُ الخَيْراتُ وأُولَئِكَ همُ المُفْلِحُونَ أعَدّ الله لهم جَنّاتٍ تَجْري من تَحْتِها الأنْهارُ خالِدينَ فيها ذلك الفَوْزُ العَظيمُ وجاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأعْرابِ ليُؤْذَنَ لهم وقَعَدَ الذينَ كَذَبُوا اللهَ ورسولَهُ﴾** إلى آخِرِ القِصّةِ .

وَكان المُعَذّرُونَ ، فيما بَلَغَني نَفَرًا من بني غِفارٍ ، منهم خُفافُ بنُ أيْماءَ بنِ رَحْضَةَ ، ثُمّ كانَتِ القِصّةُ لأهلِ العُذْرِ حتى انْتَهَى إلى قَوْلِه : **﴿وَلا على الذينَ إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهم قُلْتَ لا أجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عليه تَوَلّوْا وأعْيُنُهم تَفيضُ مِنَ الدّمعِ حَزَنًا ألاّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾** وَهم البَكّاءُونَ .

ثُمّ قال تَعالى : **﴿إنّما السّبيلُ على الذينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وهم أغْنياءُ رَضُوا بِأن يَكُونُوا مع الخَوالِفِ وطَبَعَ الله على قُلُوبِهم فَهم لا يَعْلَمُونَ﴾** والخَوالِفُ النّساءُ . ثُمّ ذَكَرَ حَلِفَهم لِلْمُسْلِمينَ

---

(١) قلت : تفسير ابن إسحاق لبراءة قد سبق في ذكر المنافقين .

(٢) صحيح : رواه البخاري [٤٦٧١] وأحمد [١٦/١] والنسائي [٦٤/٤ ، ٦٨] وغيرهم .

واعتِذارَهم فَقال : ﴿فأَعْرِضُوا عنهم﴾ إلى قَوْله تَعالى : ﴿فإن تَرْضَوْا عنهم فإنّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ﴾

[ما نَزَلَ فيمَن نافَقَ من الأعْرابِ] :

ثُمّ ذَكَرَ الأعْرابَ ومَن نافَقَ منهم وتَرَبّصَهم بِرسولِ اللهِ ﷺ وبالمُؤْمِنينَ فَقال ﴿وَمِنَ الأعْرابِ مَن يَتّخِذُ ما يُنْفِقُ﴾ أيْ : من صَدَقَةٍ أوْ نَفَقَةٍ في سَبيلِ الله ﴿مَغْرَمًا ويَتَرَبّصُ بِكُمُ الدّوائِرَ عليهم دائِرَةُ السّوْءِ واللهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾ ثُمّ ذَكَرَ الأعْرابَ أهلَ الإخْلاصِ والإيمانِ منهم فَقال : ﴿وَمِنَ الأعْرابِ مَن يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ ويَتّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عند الله وصَلَواتِ الرّسُولِ ألا إنّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُم اللهُ في رَحْمَتِهِ﴾ .

[ما نَزَلَ في السابِقينَ من المُهاجِرينَ والأنْصارِ] :

ثُمّ ذَكَرَ السّابِقينَ الأوّلينَ من المُهاجِرينَ والأنْصارِ ، وفَضْلَهم وما وعَدَهم اللهُ من حُسْنِ ثَوابه إيّاهم ثُمّ ألْحَقَ بِهم التّابِعينَ لهم بإحْسانٍ فَقال : ﴿رَضِيَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنهُ﴾ ثُمّ قال تَعالى : ﴿وَمِمّن حَوْلَكُم مِنَ الأعْرابِ مُنافِقُونَ ومِن أهلِ المَدينَةِ مَرَدُوا على النّفاقِ﴾ أيْ لَجّوا فيه وأبَوْا غَيْرَه ﴿سَنُعَذّبُهم مَرّتَيْنِ﴾ والعَذابُ الذي أوْعَدَهم اللهُ تَعالى مَرّتَيْنِ فيما بَلَغَني غَمّهم بما هم فيه من أمرِ الإسلامِ وما يَدْخُلُ عليهم من غَيْظِ ذلك على غَيْرِ حِسْبَةٍ ثُمّ عَذابُهم في القُبورِ إذا صارُوا إلَيْها ، ثُمّ العَذابُ العَظيمُ الذي يُرَدّونَ إلَيْه عَذابُ النّارِ والخُلْدُ فيه .

ثُمّ قال تَعالى : ﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلاً صالِحًا وآخَرَ سَيّئًا عَسَى اللهُ أن يَتُوبَ عليهِم إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ .

ثُمّ قال تَعالى : ﴿خُذْ من أموالِهِم صَدَقَةً تُطَهّرُهم وتُزَكّيهِم بِها﴾ إلى آخِرِ القِصّةِ . ثُمّ قال تَعالى : ﴿وآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأمرِ اللهِ إمّا يُعَذّبُهم وإمّا يَتُوبُ عليهم﴾ وَهم الثّلاثَةُ الذينَ خُلّفُوا ، وأرْجَأ رسولُ اللهِ ﷺ أمرَهم حتى أتَتْ من اللهِ تَوْبَتُهم . ثُمّ قال تَعالى : ﴿والذينَ اتّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرارًا﴾ إلخ .. القِصّةُ ثُمّ قال تَعالى ﴿إنّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنينَ أنْفُسَهم وأموالَهم بأنّ لهمُ الجَنّةَ﴾ ثُمّ كان قِصّةُ الخَبَرِ عن تَبوكَ ، وما كان فيها إلى آخِرِ التّوْرَةِ .

وَكانَتْ بَراءَةٌ تُسمّى في زَمانِ النّبِيّ[٩٥/ب] ﷺ وبعده «المُبَعْثِرَة» لَمّا كَشَفَتْ من سَرائِرِ النّاسِ . وكانَتْ تَبوك آخِرَ غَزْوَةٍ غَزاها رسولُ اللهِ ﷺ .

* * *

[شعرُ حسانَ الذي عَدّدَ فيه المَغازيَ]

وَقال حسانُ بنُ ثابتٍ يُعَدِّدُ أيّامَ الأنصارِ مع النّبيّ ﷺ ويَذْكُرُ مَواطِنَهم مَعَه في أيّامِ غَزْوِه

قال ابن هشام : وتُرْوَى لابنِه عبدِ الرّحْمَنِ [بنِ حسّانَ] :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدّ كُلّهـــا نَفَرًا ... وَمَعْشَرًا إن هم عُمّوا وإن حُصِلُوا[1]

قَوْمٌ هـــم شَهِدُوا بَدْرًا بِـأَجْمَعِهِم ... مَعَ الرّسُولِ فَما أَلَوْا ومـــا خَذَلُوا

وَبايَعُوه فَلَم يَنْكُثْ بـــه أحَـــدٌ ... منهم ولَمْ يَكُ فـــي إيمانِهِم دَخَلُوا

وَيومَ صَبّحَهم في الشّعْبِ مِـن أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كَحَـرّ النّارِ مُشْتَعِلُ

وَيومَ ذي قَرَدٍ يومَ استَثارَ بِهـــم ... على الجيادِ فَما خامُوا ومـا نَكَلُوا[2]

وَذا العَشيرَةِ جاسُوها بِخَيْلِهـــم ... مَعَ الرّسُولِ عليها البَيْضُ والأَسَلُ

وَيومَ وَدّانَ أَجْلَوْا أهلَه رَقَصًـــا ... بِالخَيْلِ حتـى نَهانا الحَزْنُ والجَبَلُ

وَلَيْلَةً طَلَبوا فيهـــــا عَدُوّهم ... لِلّهِ واللهُ يَجْزِيهِم بِمــــا عمِلُوا

وَغَزْوَةً يومَ نَجْدٍ ثُمّ كان لهـــم ... مَعَ الرّسُولِ بِهـا الأسلامُ والنّفَلُ

وَلَيْلَةً بِحُنَيْنٍ جالدُوا مَعَـــــهُ ... فيهـــا يَعُلّهم بِالحَرْبِ إذْ نَهِلُوا

وَغَزْوَةَ القاعِ فَرّقْنا العَدُوّ بِـــهِ ... كَمـا تُفَرّقُ دُونَ المَشْرَبِ الرّسَلُ

وَيَـــومَ بويِعَ كانـــوا أهلَ بَيْعَتِهِ ... علـى الجِلادِ فَآسَوْه ومـا عَدَلُوا

وَغَزْوَةَ الفَتْحِ كـانوا فـي سَرِيّتِهِ ... مُرابِطِينَ فَـما طاشُوا وما عَجِلُوا

وَيومَ خَيْبَرَ كـــانوا فـي كَتيبَتِهِ ... يَمْشُونَ كُلّهــم مُستَبْسِلٌ بَطَلُ

بِالبِيضِ تَرْعَشُ فـي الأيْمانِ عارِيَةً ... تَعْوَجّ في الضّرْبِ أحيانًا وتَعْتَدِلُ

وَيومَ سارَ رسولُ اللّـــه مُحْتَسِبًا ... إلى تَبوكَ وهـــم راياتُه الأُوَلُ

وَساسَةُ الحَرْبِ إن حَرْبٌ بَدَتْ لهم ... حتى بَدا لهـم الإقْبالُ والقَفَلُ

أُولَئِكَ القَوْمُ أنصـارُ النّبيّ وهم ... قَوْمي أصيرُ إليهِم حَيْنَ أتّصِلُ[3]

ماتُوا كِرامًا ولَـم تُنْكَثْ عُهُودُهم ... وَقَتْلُهم في سَبيلِ اللّـه إذْ قُتِلُوا

---

(١) حصلوا : جمعوا .

(٢) خاموا ونكلوا : جبنوا عند هيبة وفزع .

(٣) حين أتصل : حين انتسب

قال ابنُ هشام : عَجُزُ آخِرِها بَيْتًا عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال حسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا :**

كُنّا مُلُوكَ النّاسِ قَبْلَ مُحَمّـــــدٍ ... فَلَمّا أَتَى الإسلامُ كان لَنا الفَضْلُ

وَأَكْرَمَنا اللّـــــهُ الذي ليس غَيْرَهُ ... إلَهٌ بأيّامٍ مَضَتْ ما لهـــا شَكْلُ

بِنَصْرِ الإلَـــــهِ والرّسُولِ ودِينِهِ ... وَأَلْبَسَناه اسْمًا مَضَى ما لـه مِثْلُ

أُولَئِكَ قَوْمـــــي خَيْرُ قَوْمٍ بِأَسْرِهِمِ ... فَمَا عُدّ من خَيْرٍ فَقَوْمي له أهلُ

يَرُبّونَ بِالمَعْرُوفِ مَعْرُوفَ مَن مَضَى ... وَليس عليهم دُونَ مَعْرُوفِهِم قُفُلُ

إذا اخْتُبِطُوا لَمْ يُفْحِشُوا فـي نَدِيّهِم ... وَليس على سُؤّالِهِم عندهم بُخْلُ

وَإن حارَبوا أَوْ سالمُوا لَــم يُشَبّهُوا ... فَحَرْبُهم حَتْفٌ وسِلْمُهم سَهْـــلُ

وَجارُهم مُوفٍ بِعَلْياءَ[1] بَيْتُــــهُ ... لَه ما ثَوَى فينا الكَرامَةُ والبَذْلُ

وَحامِلُهم مُوفٍ بِكُـــلّ حَمالةٍ ... تَحَمّلَ لا غُرْمٌ عليها ولا خَـذْلُ

وَقائِلُهم بِالحَقّ إن قـــال قائِلٌ ... وَحِلْمُهم عَوْدٌ وحُكْمُهم عَــدْلُ

وَمِنّا أَميرُ المُسْلِمِينَ حَياتَهُ وَمَــن ... غَسّلَته من جَنابَتِه الرّسْـــلُ[2] [٩٦/أ]

[قال ابنُ هشام : وقَوْلُه «وأَلْبَسْناه اسْمًا» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ] :

قال ابنُ إسحاقَ :

قَوْمي أُولئِـكَ إن تَسْــأَلي ... كِرامٌ إذا الضّيْفُ يـــومًا أَلَمّ

عِظامُ القُـــدُورِ لأَيْســـارِهِم ... يَكُبّونَ فيها المُسِنّ السّنِــــم

يُؤَاسُونَ جــــارَهم في الغِنَى ... وَيَحْمُونَ مَوْلاهم إن ظُـــلِم

فَكانـــوا مُلُوكًا بِــأَرْضِيهِم ... يُنادُونَ عَضْبًا بِأَمْــرٍ غُشُم

مُلُوكًا على النّـــاسِ لَمْ يُملَكُوا ... من الدّهْرِ يومًا كَحِلّ القَسَم

فَـــأَنْبَوْا بِعـــادٍ وأَشْياعِهـــا ... ثَمُودَ وبَعْضِ بَقايــــا إرَم

بِيَثْرِبَ قـد شَيّدُوا في النّخيلِ ... حُصُونًا ودُجّنَ فيهـــا النّعم

---

(١) العلياء : الموضع المرتفع

(٢) أمير المسلمين : يعنى سعد بن معاذ . ومن غسلته : يعنى حنظلة . والرسل هنا : الملائكة .

نَواضحَ قــــد علّمَها اليهــــودُ ... (عَلْ) إلَيكَ وقَوْلاً هَــــلُمُ[1]

وَفمَّا اشتَهَوْا من عَصيرِ القِطافِ ... والعَيْشِ رَخْوًا عــــلى غَيْرِهَم

فَسِرْنــــــا إليهم بأثقالِنــــــا ... على كُلِّ فَحْلٍ هِجــانٍ قَطِم[2]

جَنَبْنــــا بِهِنّ جيــادَ الخيولِ ... قد جَلَّلوها جِــــلالَ الأَدَم

فَلَمّا أناخُوا بِجَنْبَيْ صِـــــرارٍ ... وَشَدّوا السُّروجَ بَــــلِيِّ الحُزُم

فَما راعَهم غَيْرُ مَعْجِ الخُيُــولِ ... والزَّحفُ من خَلْفِهم قد دَهِم[3]

فَطارُوا سِراعًا وقد أُفْزِعُــــوا ... وَجِئْنا إليهم كأُسْــــــدِ الأُجُم

على كُلِّ سَلْهَبَةٍ في الصِّيـانِ ... لا يَشْتَكِينَ نُحُولَ السَّـــــأَم[4]

وَكُلِّ كُمَيْتٍ مُطارُ الفُــــؤادِ ... أَمِينِ الفُصُوصِ كَمِثْـــلِ الزَّلَم[5]

عليها فَوارِسُ قــــد عُوِّدُوا ... قِراعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَــــم

مُلُوكٌ إذا غَشَمُوا في البِلادِ ... لا يَنْكُلُونَ ولكِــــــن قُدُم

فَأُبنا بِساداتِهم والنِّســــــاءِ ... وَأَوْلادُهم فيهم تُقْتَسَــــــــم

وَرِثْنا مَساكِنَهم بعدهــــــم ... وَكُنّا مُلُوكًا بِهــــــا لَمْ نَرِم

فَلَمّا أتانــــا الرَّسُولُ الرَّشيدُ ... بالحَقِّ والنّورِ بعــــــد الظُّلَم

قُلنا صَدَقْتَ رسولَ المَليــكِ ... هَلُمَّ إلينا وفينــــــــــا أَقِمْ

فَنَشْهَدَ أنّكَ عبدُ الإلَــــــهِ ... أُرْسِلْتَ نُورًا بِــــــدينٍ قِيَم

فَأَنا وأَوْلادُنــــــــا جُنَّةٌ ... نَقيكَ وفي مالِنــــــا فاحْتَكِمْ

فَنحن أُولئِــــكَ إن كَذّبوك ... فَنادِ نِداءً ولا تَحْتَشِـــــــــم

وَنادِ بِمــــــا كُنتَ أَخْفَيْتَهُ ... نداءً جَهــــــارًا ولا تَكْتَتِم

فَسارَ الغُواةُ بأسيافِهِــــــم ... إلَيْـــــه يَظُنّونَ أن يُخْتَرَم[6]

---

(١) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . عل : زجر تزجر به الإبل . هلم : أقبل .

(٢) الهجان : الأبيض ، قطم : هائج يشتهى الضراب .

(٣) معج الخيول : سرعتها . دهم : جاء غفلة على غير استعداد .

(٤) السلهبة : الفرس الطويلة . الصيان : ما يصان به الجلال . السأم : الملل .

(٥) مطار الفؤاد : ذكى الفؤاد . الفصوص : مفاصل العظام ، أمين الفصوص : قوى الفصوص . الزلم : القدح .

(٦) يخترم : يهلك

فقُمنا إلَيْهِم بأسيافِنـــــا نُجالِدُ عنــــــه بُغاةَ الأُمَمْ
بكُلّ صَقيلٍ لـــــه مَيْعَةٌ رَقيقِ الذّبابِ عَضُوضٍ خَذِمِ
إذا ما يُصادِفُ صُمّ العِظامِ لم يَنْبُ[1] عنهـــــا ولَمْ يَنْثَلِمِ
فَذلك مــــا ورّثَتْنا القُرُوم مَجْدًا تَليــــــدًا وعِزًّا أشَمّ
إذا مَرّ نَسْلٌ كَفَى نَسْلُـــــهُ وَغادَرَ نَسْلاً إذا مــــا انْفَصَم
فَما إن من النّاسِ إلاّ لَنـــا عليه وإن خاسَ فَضْلُ النّعم

قال ابنُ هشامٍ : أنْشَدَني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ بَيْتَه :

فَــــكانوا مُلُوكًا بِأرْضيهِم يُنادُونَ غُضْبًانا من بِأمرِ غُشُم

وَأنْشَدَني عنه أبو زيد الأنصارى :

بيَثْرِبَ قد شَيّدُوا في النّخيلِ حُصُونًا ودُجّنَ فيهـــا النّعم

وَبَيْتُه «وَكُلّ كُمَيْتٍ مُطارُ الفُؤَادِ» عنه .

وفود العرب

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم وصلي على رسولك سيدنا محمد وآله . حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن إسحاق المطلبي قال : لَمّا افْتَتَحَ رسولُ اللهِ ﷺ مَكّةَ ، وفَرَغَ من تَبوكَ ، وأسْلَمَتْ ثَقيفٌ وبايَعَتْ ضَرَبَتْ إلَيْه وُفُودُ العَرَبِ من كُلّ وجْهٍ .

قال ابنُ هشامٍ : حَدّثَني أبو عُبَيْدَةَ أنّ ذلك في سَنَةِ تِسْعٍ وأنّها كانَتْ تُسمَى سَنَةَ الوُفُودِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وإنّما كانَتِ العَرَبُ تَرَبّصُ بالإسلامِ أمرَ هذا الحَيّ من قُرَيْشٍ وأمرَ رسولِ الله ﷺ وذلك أنّ قُرَيْشًا كانوا إمامَ النّاسِ وهادِيَهم وأهلَ البَيْتِ الحَرامِ ، وصَريحَ ولَدِ إسماعيلَ بن إبْراهيمَ [عليهما السّلامُ] وقادَةَ العَرَبِ لا يُنْكِرُونَ ذلك وكانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ التي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رسولِ الله ﷺ وخِلافَه فَلَمّا افْتُتِحَتْ مَكّةُ ، ودانَتْ له قُرَيْشٌ ، ودَوّخَها الإسلامُ وعَرَفَتِ العَرَبُ أنّه لا طاقَةَ لها بِحَرْبِ رسولِ الله ﷺ ولا عَداوَتِه فَدَخَلُوا في دينِ الله .

كَما قال عَزّ وجَلّ أفْواجًا ، يَضْرِبونَ إلَيْه من كُلّ وجْهٍ يقول الله تَعالى لِنَبِيّه [٩٦/ب] ﷺ ﴿إذا جاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ ورَأيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ في دينِ الله أفْواجًا فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ

(١) لم ينب : لم يكل .

واستَغْفِرْه إنّه كان تَوّابًا﴾ أيْ فاحْمَدِ اللهَ على ما أظْهَرَ من دينِك ، واستَغْفِرْه إنّه كان تَوّابًا .

قُدومُ وفدِ بني تَميمٍ ونُزولُ سورةِ الحُجراتِ

فَقَدِمَتْ (١) على رسولِ الله وُفُودُ العَرَبِ ، فَقَدِمَ عليه عُطاردُ بنُ حاجبِ بنِ زُرارَةَ بنِ عُدُسٍ التميميّ ، في أشرافٍ من بني تَميمٍ ، منهم الأقرَعُ بنُ حابسٍ التميميّ ، والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ التميميّ ، أحَدُ بني سَعْدٍ وعمرُو بنُ الأهتَمِ ، والحَبْحابُ بنُ يَزيدَ .

قال ابنُ هشامٍ : الحُتاتُ وهو الذي آخَى رسولُ الله ﷺ بَيْنَه وبَيْنَ مُعاويةَ ابنِ أبي سُفيانَ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد آخَى بَيْنَ نَفَرٍ من أصحابِه من المهاجِرينَ بَيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ وبَيْنَ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ وعبدِ الرّحمٰنِ بنِ عَوْفٍ ، وبَيْنَ طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ الله والزّبيرِ بنِ العَوّامِ ، وبَيْنَ أبي ذَرّ الغِفاريّ والمِقْدادِ بنِ عمرو البَهْرانيّ ، وبَيْنَ مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ والحُتاتِ بنِ يَزيدَ المُجاشِعيّ فَماتَ الحُتاتُ عند مُعاويةَ في خِلافَتِه فأخَذَ مُعاويةُ ما تَرَكَ وِراثةً بهذه الأُخُوّةِ فقال الفَرَزْدَقُ لِمُعاويةَ بن أبي سفيان

أبوكَ وعمّي يا مُعاويَ أوْرَثا ... تُراثًا فَيَحْتـازُ التّراثَ أقارِبُهْ

فَما بالُ ميراثِ الحُتاتِ أكَلْتَهُ ... وَميراثُ حَرْبٍ جامِدٌ لَك ذائِبُهْ

وَهذانِ البَيْتانِ في أبياتٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : وفي وفدِ بني تَميمٍ نُعَيْمُ بنُ يَزيدَ وقَيْسُ بنُ الحارِثِ ، وقيسُ ابنُ عاصِمٍ ، أخُو بني سَعْدٍ في وفدٍ عَظيمٍ من بني تَميمٍ .

قال ابنُ هشامٍ : وعُطارِدُ بنُ حاجِبٍ ، أحَدُ بني دارِمِ بنِ مالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ ابنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَميمٍ ، والأقْرَعُ بنُ حابِسٍ أحَدُ بني دارِمِ بنِ مالِكٍ والحُتاتُ بنُ يَزيدَ أحَدُ بني دارِمِ بنِ مالِكٍ والزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ ، أحَدُ بني بَهْدَلَةَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَميمٍ ، وعمرُو بنُ الأهتَمِ ، أحَدُ بني مِنْقَرِ بنِ عُبَيْدِ بنِ الحارِثِ بنِ عمرو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَميمٍ ، وقيسُ بنُ عاصِمٍ ، أحَدُ بني مِنْقَرِ بنِ عُبَيْدِ [بنِ الحارِثِ] .

قالَ ابنُ إسحاقَ : ومَعَهم عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ الفَزاريّ ، وقد كان الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بن حذيفة شَهِدا مع رسولِ الله ﷺ فَتْحَ مَكّةَ وحُنَيْنًا والطّائِفَ . فَلَمّا قَدِمَ وفْدُ بني تَميمٍ كانا مَعَهم فَلَمّا دَخَلَ وفْدُ بني تَميمٍ المَسْجِدَ نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراءِ حُجُراتِه

---

(١) قصة وفد بني تميم بطولها هكذا ضعيفة : لم يذكر ابن إسحاق إسناده فيها ، وقد رويت بطولها هكذا من مسند جابر ، رواها الواحدي في أسباب النزول [٨٠٥] بسنده إلى جابر ، وسندها واهٍ . فيه معلي بن عبد الرحمن : وضاع . وللقصة شواهد مختصرة جدًا ، منها ما رواه البخاري [٤٣٦٥] من حديث عمران [٤٣٦٧] من حديث عبد الله بن الزبير .

أن اخرُجْ إلَيْنا يا مُحمَّدُ فآذَى ذلك رسولُ الله ﷺ من صياحِهِم فخَرَجَ إليهم فقالُوا : يا مُحمَّدُ جِئْناك نُفاخِرُك ، فأذَن لِشاعِرِنا وخَطِيبِنا ، قال قد أذِنتُ لخَطِيبِكُم فَلْيَقُلْ فقامَ عُطارِدُ بنُ حاجِبِ التميمى ،فقال : الحَمدُ لله الذي له عَلَيْنا الفَضْلُ [والمَنّ] ، وهو أهلُه الذي جَعَلَنا مُلُوكًا ، ووَهَبَ لَنا أموالاً عِظامًا ، نَفعَلُ فيها المَعْرُوفَ وجَعَلَنا أعَزَّ أهلِ المَشْرِقِ وأكْثَرَه عَدَدًا ، وأيْسَرَه عِدَّةً فَمَن مِثْلُنا في النَّاسِ ؟ ألَسنا برُءُوسِ النَّاسِ وأُولي فَضْلِهِم ؟ فَمَن فاخَرَنا فَلْيَعُدَّ مِثْلَ ما عَدَدْنا ، وإنَّا لَوْ نَشاءُ لأكْثَرْنا الكَلامَ ولكِنَّا نَحْيا من الإكْثارِ فيما أعْطانا ، وإنَّا نُعْرَفُ بذلك .

أقُولُ هذا لأن تَأتُوا بمِثْلِ قَوْلِنا ، وأمرٍ أفْضَلَ من أمرِنا . ثُمَّ جَلَسَ .

فقال رسولُ الله ﷺ لثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشمّاسِ أخي بني الحارثِ بنِ الخزرَجِ : «**قُمْ فأجِبِ الرَّجُلَ في خُطْبَتِه**» . فقامَ ثابتٌ فقال : الحَمدُ لله الذي السمَواتُ والأرضُ خَلْقُه قَضَى فيهِنَّ أمرَه ووَسِعَ كُرْسِيَّه عِلْمُه ولَم يَكُ شيءٌ قَطّ إلاّ من فَضْلِه ثُمَّ كان من قُدرَتِه أن جَعَلَنا مُلُوكًا ، واصْطَفَى من خَيْرِ خَلْقِهِ رسولاً ، أكْرَمَه نَسَبًا ، وأصْدَقَه حَديثًا ، [٩٧/أ] وأفْضَلَه حَسَبًا ، فأنْزَلَ .عليه كِتابَه وأئتَمَنَه على خَلْقِه فكان خِيرَةَ الله من العالمينَ ثُمَّ دَعا النّاسَ إلى الإيمانِ به فآمَنَ برسولِ الله ﷺ المُهاجِرُونَ من قَوْمِه وذَوِي رَحِمِه أكْرَمُ النّاسِ إحْسانًا ، وأحْسَنُ النّاسِ وُجُوهًا ، وخَيْرُ النّاسِ فِعالاً . ثُمَّ كان أوَّلُ الخَلْقِ إجابَةً واستَجابَ لله حينَ دَعاه رسولُ الله ﷺ نحن فَنحن أنْصارُ الله ووُزَراءُ رسولِ الله ﷺ نُقاتِلُ النّاسَ حتى يُؤْمِنُوا بالله فَمَن آمَن بالله ورسوله مَنَعَ مِنّا مالَه ودَمَه ومَن كَفَرَ جاهَدْناه في الله أبَدًا ، وكان قَتْلُه عَلَيْنا يَسِيرًا . أقُولُ [قَوْلي] هذا وأستَغْفِرُ اللهَ لي ولِلْمُؤْمِنينَ والمُؤْمِناتِ والسَّلامُ عَلَيْكُمْ .

فَقامَ الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْرٍ التميمي ، فَقال :

نحن الكِرامُ فَلا حَيٌّ يُعادِلُنا ... مِنّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[1]

وَكَمْ قَسَرْنا من الأحْياءِ كُلِّهِم ... عند النِّهابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

وَنحن يُطْعِمُ عند القَحْطِ مُطْعِمُنا ... مِنَ الشِّواءِ إذا لَمْ يُؤْنَسِ القَزَعُ

فَما تَرَى النَّاسَ تَأتينا سُراتُهم ... مِن كُلِّ أرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ تَصْطَنِعُ

فَنَنْحَرُ الكُوْمَ عُبْطًا[2] في أرُومَتِنا ... لِلنّازِلينَ إذا ما أُنْزِلُوا شَبِعُوا

فَلا تَرانا إلى حَيٍّ نُفاخِرُهم ... إلاّ اسْتَفادُوا فَكانوا الرَّأسَ يُقْتَطَعُ

فَمَن يُفاخِرُنا في ذاكَ نَعْرِفُهُ ... فَيَرْجِعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُسْتَمَعُ

---

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات .

(٢) عبطاً : أى من غير علة .

إنَا أبَيْنَا ولا يَأبَى لَنــــــا أحَدٌ ... إنَا كذلك عنــــد الفَخْرِ نُرْتَفَعُ

قال ابنُ هشام : ويُرْوَى : مِنَا المُلوكُ وفينا تُقْسَمُ الرَبْعُ ويُرْوَى : من كُلِّ أرْضٍ هَوانا ثُمَ تُتَبَعُ رَواه لي بَعْضُ بني تَميم وأكْثَرُ أهلِ العِلْمِ بالشعْرِ يُنكِرُها للزِبْرِقانِ .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان حسانُ غائِبًا ، فَبَعَثَ إليَه رسولُ الله ﷺ قال حسانُ جاءَني رسولُه فأخْبَرَني أنّه إنّما دَعاني لأجيبَ شاعِرَ بني تَميم ، فَخَرَجْت إلى رسولِ الله ﷺ وأنا أقُولُ :

مَنَعْنا رسولَ اللــه إذْ حَلّ وسْطَنا ... على أنْفِ راضٍ من مَعَدّ وراغِمِ

مَنَعْناه لَـــــا حَلّ بَيْنَ بُيُوتنا ... بِأسْيافِنا مِـــن كُلّ باغٍ وظالِمِ

بِبَيْتٍ حَريـــــدٍ عِزّه وثَراؤُهُ ... بِجابيَةِ الجَوْلانِ وسْطَ الأعاجِمِ[1]

هَلِ المَجْدُ إلاّ السّودَدُ العَوْدُ والنّدَى ... وجاه المُلوكِ واحتِمالُ العَظــائِمِ

قال : فَلَمّا انْتَهَيْت إلى رسولِ الله ﷺ وقامَ شاعِرُ القَوْمِ فَقال ما قال عَرَضْت في قَوْلِه وقُلْت على نَحْوِ ما قال . قال فَلَمّا فَرَغَ الزِبْرِقانُ قال رسولُ الله ﷺ لِحسّانَ ابنِ ثابتٍ : «**قُمْ يا حسّانُ فأجِبِ الرّجُلَ فيما قال**» فَقامَ حسّانٌ فَقال :

إنّ الذّوائِبَ[2] مِـــن فِهْرٍ وإخْوَتِهِم ... قد بَيّنُوا سُنّةً لِلنّـــــاسِ تُتّبَعُ

يَرْضَى بِهِم كُلُّ مَـــن كانَتْ سَريرَتُهُ ... تَقْوَى الإلَـــه وكُلّ الخَيْرِ يَصْطَنِعُ

قَوْمٌ إذا حارَبـــوا ضَرّوا عَدُوّهم ... أوْ حاوَلُوا النّفْعَ في أشْياعِهِم نَفَعُــوا

سَجِيّةٌ تِلْكَ منهـــــم غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخَلائِقَ فاعْلَمْ شَرّها البِـــدَعُ

إن كان في النّاسِ سَبّاقُونَ بعدهم ... فَكُـــلّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهِم تَبَعُ

لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أوْهَتْ[3] أكُفّهم ... عند الدّفاعِ ولا يُوهُونَ مـــا رَقَعُوا

إن سابَقُوا النّاسَ يومًا فازَ سَبْقُهم ... أوْ وازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بِالنّدَى مَتَعُــوا

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فـــي الوَحْيِ عِفّتُهم ... لا يَطْمَعُونَ ولا يُرْديهِـــــم طَمَعُ

لا يَبْخَلُونَ علـــى جارٍ بِفَضْلِهِم ... وَلا يَمَسّهم مِـــــن مَطْمَعٍ طَبَعُ

إذا نَصَبنا لِحَيّ لَـــم نَدِبّ لهم ... كَما يَدُبّ إلـــى الوَحْشيَةِ الذّرِعُ

نَسْمُو إذا الحَرْبُ نالتْنــا مَخالِبُها ... إذا الزّعانِفُ مِـــن أظفارِها خَشَعُ

---

(١) البيت الحريد : الفريد الذى لا يختلط بغيره لعزته . جابية الجولان : بلد الشام .

(٢) الذوائب : السادة .

(٣) ما أوهت : ما هدمت .

[٩٧/ب] لا يَفخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوّهم وإن أُصيبوا فلا خُون ولا هُلُعُ

كأنّهم في الوَغَى والمَوْتُ مُكتَنِعٌ أُسدٌ بحَلْيَةِ في أرساغِها فَدَعُ[1]

خُذْ منهم ما أتَى عَفْوًا إذا غَضِبوا ولا يَكُن همّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا

فإنّ في حَرْبِهم فاتْرُكْ عَداوَتَهم شَرًا يُخاضُ عليه السمّ والسَلَعُ[2]

أكْرِم بِقَوْمٍ رسولُ اللّه شيعَتُهم إذا تفاوَتَتِ الأهواءُ والشِيَعُ

أهدي لهم مِدَحَتِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ فيما أُحِبّ لِسانٌ حائكٌ صَنَعُ

فإنّهم أفْضَلُ الأحياءِ كُلّهم إن جَدّ بالنّاسِ جِدّ القَوْلِ أوْ شَمَعُوا[3]

قال ابنُ هشامٍ : أنشَدَني أبو زَيْدٍ :

يَرضَى بها كُلّ مَن كانَتْ سَريرَتُهُ تَقْوَى الإلَه وبالأمرِ الذي شَرَعُوا

وقال ابنُ هشام : حَدّثَني بَعضُ أهلِ العِلْمِ بالشّعْرِ من بني تَميم : أنّ الزبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ لَمّا قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ في وفدِ بني تَميم قامَ فَقال :

أتَيْناكَ كيْما يَعْلَمَ النّاسُ فَضْلَنا إذا احْتَفَلُوا عند احتِضارِ المَواسِمِ

بأنّا فُرُوعُ النّاسِ في كُلّ مَوْطِنٍ وأن ليس في أرْضِ الحِجازِ كَدارِمِ

وأنّا نَذُودُ المُعْلِمِينَ إذا انتَخَوْا ونَضرِبُ رأسَ الأصْيَدِ المُتَفاقِمِ

وأنّ لَنا المِرْباعَ في كُلّ غارَةٍ نُغيرُ بنَجْدٍ أوْ بأرْضِ الأعاجِمِ

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان :

فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هَلِ المَجْدُ إلاّ السّودَدُ العَوْدُ والنّدَى وجاه المُلُوكِ واحتِمالُ العَظائِمِ

نَصَرْنا وآوَيْنا النّبيّ مُحَمّدًا على أنفِ راضٍ من مَعَدّ وراغِمِ

بِحَيّ حَريدٍ أصْلُه وثَراؤُهُ بجابِيَةِ الجَوْلانِ وسْطَ الأعاجِمِ

نَصَرْناه لَمّا حَلّ وسْطَ دِيارِنا بأسيافِنا مِن كُلّ باغٍ وظالِمِ

---

(١) مكتنع : دان . الأرساغ : جمع رسغ وهو موضع القيد من الرجل . فدع : اعوجاج إلى ناحية .

(٢) السلع : نبات مسموم .

(٣) شمعوا : هزلوا .

جَعَلْنا بنينا دُونَه وبناتَـــــــا وَطِبنا لـــــه نَفْسًا بِفَيْءِ المَغانِمِ
وَنحن ضَرَبنا النّاسَ حتـــى تَتابَعُوا على دينـــه بالمُرْهَفاتِ الصَوارِمِ[1]
وَنحن ولَدْنا مـــن قُرَيْشٍ عَظيمَها ولدنا نَبيّ الخَيْرِ مـــن آهلِ هاشِمِ
بني دارِمٍ لا تَفْخَرُوا إنّ فَخْرَكُـــم يَعُودُ وبالاً[2] عند ذِكْرِ المكــــارِمِ
هَبِلْتُم عَلَيْنا تَفْخَرُونَ وأنْتُـــــم لَنا خَوَلٌ ما بَيْنَ ظِئْرٍ وخادِمِ ؟[3]
فَإن كُنتُم جِئتُم لِحَقْنِ دِمــــائِكُمْ وَأموالِكُمْ أن تُقْسَمُوا فـــي المَقاسِمِ
فَلا تَجْعَلُوا لِلَّـــــه نِدًا وأسْلِمُوا وَلا تَلْبَسُوا زِيًا كَزِيّ الأعــــاجِمِ

[إسلامُهم وتَجْويزُ الرَسُولِ إيّاهم] :

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا فَرَغَ حسّانُ بنُ ثابتٍ من قَوْلِه قال الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ وأبي ، إنّ هذا الرّجُلَ لَمُؤَتّى له لَخَطيبُه أخطَبُ من خَطيبِنا ، ولَشاعِرُه أشْعَرُ من شاعِرِنا ، ولأصواتُهم أحْلَى من أصْواتِنا . فَلَمّا فَرَغَ القَوْمُ أسْلَمُوا ، وجَوّزَهم رسولُ اللهِ ﷺ فأَحْسَنَ جَوائِزَهم .

وَكان عمرُو بنُ الأهتَمِ قد خَلّفَه القَوْمُ في ظَهْرِهِم وكان أصْغَرَهم سِنًا ، فَقال قَيْسُ بنُ عاصِمٍ ، وكان يُبْغِضُ عمرَو بنَ الأهتَمِ : يا رسولَ الله إنّه قد كان رَجُلٌ مِنّا في رِحالِنا ، وهو غُلامٌ حَدَثٌ وأَزْرَى به فَأعْطاه رسولُ اللهِ ﷺ مِثْلَ ما أعطَى القَوْمَ فَقال : عمرُو بنُ الأهتَمِ حينَ بَلَغَه : أنّ قَيْسًا قال ذلك يَهْجُوه .

ظَلِلْتُ مَفْتَرِشَ الهَلْباءِ تَشْتُمُني عند الرّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ ولَمْ تُصِبِ
سُدْناكُمْ سُوْدُدًا رَهْوًا وسُوْدُدُكُمْ
بادٍ نَواجِذُه مُقْعٍ على الذّنَبِ[٩٨/أ]

قال ابنُ هشام : بَقِيَ بَيْتٌ واحِدٌ تَرَكْناه لأنّه أقْذَعَ فيه .

قال ابنُ إسحاقَ : وفيهم نَزَلَ من القُرْآنِ **﴿إنّ الذين يُنادُونَكَ من وراءِ الحُجُراتِ أكْثَرُهم لا يَعْقِلُونَ﴾**

* * *

---

(١) المرهفات الصوارم : السيوف القاطعة .

(٢) الوبال : الثقل .

(٣) هبلتم : فقدتم وثكلتم . الظئر : التى ترضع ولد غيرها وقد تأخذ على ذلك أجرًا .

قِصَّةُ عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ وأرْبَدَ بنِ قَيْسٍ في الوِفادَةِ عن بني عامرٍ

وَقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وفدُ بني عامرٍ (١) فيهم عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ وأرْبَدُ بنُ قَيْسِ بنِ جَزْءِ ابنِ خالدِ بنِ جَعْفَرٍ ، وجَبّارُ بنُ سَلْمَى بنِ مالكِ بنِ جَعْفَرٍ ، وكان هَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ رُؤَساءَ القَوْمِ وشَياطِينَهم .

فَقَدِمَ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ عَدُوّ الله على رسولِ الله ﷺ وهو يُرِيدُ الغَدْرَ به وقد قال له قَوْمُه يا عامِرُ إنّ النّاسَ قد أسْلَمُوا فَأسْلِم . قال والله لَقد كُنْتُ آلَيْتُ أن لا أنْتَهِيَ حتى تَتْبَعَ العَرَبُ عَقِبي ، أفَأنا أتْبَعُ عَقِبَ هذا الفَتَى من قُرَيْشٍ ثُمّ قال لأرْبَدَ إذا قَدِمنا على الرّجُلِ فَإنّي شاغِلٌ عَنكَ وجْهَه فَإذا فَعَلْتُ ذلك فاعْلُه بالسّيْفِ فَلَمّا قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ قال عامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ : يا مُحَمّدُ خالِنِي ، [قال لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وحْدَه . قال يا مُحَمّدُ خالِنِي] . وجَعَلَ يُكَلّمُه ويَنْتَظِرُ من أرْبَدَ ما كان أمَرَه به فَجَعَلَ أرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئًا ؛ قال فَلَمّا رَأى عامِرُ ما يَصْنَعُ أرْبَدُ قال يا مُحَمّدُ خالِنِي قال : **«لا ، حتى تُؤْمِنَ بالله وحْدَه لا شَرِيكَ له»** .

فَلَمّا أبَى عليه رسولُ الله قال أما والله لأَملأنّها عَلَيْكَ خَيْلاً ورِجالاً ؛ فَلَمّا وَلّى قال رسولُ الله ﷺ : **«اللّهمّ اكْفِنِي عامِرَ بنَ الطُّفَيْلِ»** . فَلَمّا خَرَجُوا من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ قال عامِرٌ لأرْبَدَ ويْلَكَ يا أرْبَدُ أيْنَ ما كُنْتُ أمَرْتُكَ به ؟ والله ما كان على ظَهْرِ الأرْضِ رَجُلٌ هُوَ أخْوَفُ عِنْدي على نَفْسي مِنكَ . وايْمُ الله لا أخافُكَ بعد اليومِ أبَدًا . قال لا أبا لَكَ لا تَعْجَلْ عَلَيّ والله ما هَمَمتُ بالذي أمَرْتني به من أمرِهِ إلّا دَخَلْتَ بَيْني وبَيْنَ الرّجُلِ حتى ما أرَى غَيْرَكَ ، أفَأضْرِبُكَ بالسّيْفِ ؟ .

[مَوْتُ عامرٍ بِدُعاءِ الرّسُولِ عليهِ] :

وَخَرَجُوا راجِعينَ إلى بِلادِهِم حتى إذا كانوا بِبَعْضِ الطّريقِ بَعَثَ الله على عامِرِ ابنِ الطُّفَيْلِ

---

(١) حسن بشواهده : رواه البيهقي [٣١٨/٥] من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر مرسلاً . ومن مرسل ابن زيد مثله ، رواه ابن جرير في التفسير [١١٩/١٣/٨] وسنده صحيح إلى ابن زيد ، ومن مرسل ابن جريج ، رواه ابن جرير أيضًا ص ١٢٦ نفس المصدر السابق ورواه ابن سعد عن جمع من التابعين . الطبقات [٢٣٥/١] قال : أخبرنا علي بن محمد القرشي عن أبي معشر عن يزيد بن رمان ومحمد ابن كعب وعن أبي بكر الهذلي عن الشعبي ، وعن علي بن مجاهد ، وعن محمد ابن إسحاق عن الزهري ،وعكرمة بن خالد وعن عاصم بن عمر بن قتادة وعن يزيد بن عياض بن جعده به عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعن مسلمة بن علقمة عن خالد الحذاء عن أبي قلابة في رجال آخرين من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض ، ثم ذكر الوفود ، فذكره . وقد روى موصلاً من حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير [١٠٧٦٠] والأوسط [٩١٢٣] من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك الحديث ، وله شاهد من حديث أنس عند البخاري [٤٠٩١] وفيه ذكر موت عامر في بيت المرأة . وقد سبق في حادثة بئر معونة .

الطَّاعُونَ في عُنُقِه فَقَتَلَه الله في بَيْتِ امرأةٍ من بني سَلُولَ فَجَعَلَ يقول يا بني عامرٍ أغُدّةٌ [١] كغُدّةِ البَكْرِ في بَيْتِ امرأةٍ من بني سَلُولَ .

قال ابنُ هشام : ويُقالُ أغُدّةٌ كغُدّةِ الإبِلِ ومَوْتًا في بَيْتِ سَلُوليّةٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : ثُمّ خَرَجَ أصْحابُه حينَ وارَوْه حتى قَدِمُوا أرْضَ بني عامرٍ سابِينَ فَلَمّا قَدِمُوا أتاهم قَوْمُهم فقالُوا : ما وراءَك يا أرْبَدُ ؟ قال لا شيءَ والله لقد دَعانا إلى عِبادَةِ شيءٍ لَوَدِدْتُ أنّه عِنْدي الآنَ فَأرْميَه بالنَّبْلِ حتى أقْتُلَه فَخَرَجَ بعد مَقالتِه بيومٍ أوْ يومَيْنِ مَعَه جَمَلٌ له يَتْبَعُه فَأرْسَلَ الله تَعالى عليه وعلى جَمَلِه صاعِقَةً فأحْرَقَتْهما . وكان أرْبَدُ بنُ قَيْسٍ أخا لَبيدِ بنِ رَبيعَةَ لأمّه .

قال ابنُ هشام : [٢] وذَكَرَ زَيْدُ بنُ أسْلَمَ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال وأنْزَلَ الله عَزّ وجَلّ في عامرٍ وأرْبَدَ ﴿**الله يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وما تَغيضُ الأرْحامُ وما تَزْدادُ**﴾ إلى قَوْلِه ﴿**وما لهم من دُونِه من والٍ**﴾ قال المُعَقِّباتُ هيَ من أمرِ الله يَحْفَظُونَ مُحَمّدًا ﷺ . ثُمّ ذَكَرَ أرْبَدَ وما قَتَلَه الله به فقال ﴿**ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فيُصيبُ بها مَن يَشاءُ**﴾ إلى قَوْلِه ﴿**شَديدُ المِحالِ**﴾

قال ابنُ إسحاقَ : **وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه فقال لَبيدٌ يَبْكي أرْبَدَ :**

[٩٨/ب]

ما إن تُعَدّي المَنُونُ من أحَدِ	لا والِدٍ مُشْفِقٍ ولا ولَدِ
أخْشَى على أرْبَدَ الحُتُوفَ ولا	أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ
فَعَيْنِ هَلاّ بَكَيْتِ أرْبَدَ إذْ	قُمْنا وقامَ النّساءُ في كَبَدِ
إن يَشْغَبوا لا يُبالِ شَغْبَهم	أوْ يَقْصِدُوا في الحكوم يَقْتَصِدْ
حُلْوٌ أريبٌ وفي حَلاوَتِه	مُرّ لَطيفُ للأحْشاءِ والكَبِدِ
وَعَيْنِ هَلاّ بَكَيْتِ أرْبدَ إذْ	ألْوَتْ رياحُ الشّتاءِ بالعَضَدِ
وَأصْبَحَتْ لاقِحًا مُصَرّمَةً	حتى تَجَلّتْ غَوابِرُ المُدَدِ [٣]
أشْجَعُ من لَيْثِ غابَةٍ لَحِمٍ	ذُو نَهْمَةٍ في العُلا ومُنْتَقَدِ

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .
(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط كما سبق في الحديث الماضي .
(٣) المصرمة : التى لا لبن لها . الغوابر : البقايا

لا تَبْلُغُ العَيْنُ كُـلَّ نَهْمَتِها ... لَيْلَةَ تُمسى الجيادُ كالقِـدَدِ
الباعِثُ النَّوْحَ فـي مآتِمِهِ ... مِثْلَ الظِّباءِ الأبكـارِ بالجَرَدِ
فَجَعَني البَرْقُ والصَّواعِقُ ... بالفارسِ يومَ الكَريهَةِ النَّجُدِ[1]
والحارِبِ الجـابِرِ الحَريبِ إذا ... جاءَ نَكيبًـا وإن يَعُدْ يَعُدْ[2]
يَعْفُو على الجَهْدِ والسّؤالِ كَما ... يُنْبِتُ غَيْـثُ الرَّبيعِ ذُو الرَّصَدِ
كُلُّ بنـي حُرَّةٍ مَصيرُهم ... قُلَّ وإن أكْثَرَتْ مـن العَدَدِ
إن يُغْبَطُوا يَهْبِطُوا وإن أُمِرُوا ... يومًا فَهم لِلْهَلاكِ والنَّفَـدِ

قال ابنُ هشام: بَيْتُه «والحارِبِ الجابِرِ الحَريبِ» عن أبي عُبَيْدَةَ وبَيْتُه «يعفُو عن الجَهْدِ»: عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ:

قال ابنُ إسحاقَ: **وقال لَبيدٌ أيضًا يَبْكي أرْبَدَ:**

ألا ذَهَبَ المُحافِظُ والمُحامي ... وَمانِعُ ضَيْمِها يومَ الخِصـام
وَأيْقَنْتُ التفَرّقَ يومَ قالُـوا ... تُقْسَمُ مالُ أرْبَد بالتِّهـام
تُطيرُ عَدائِدَ الأشْرار شَفْعًا ... وَوِتْرًا والزَّعـامَةَ لِلْغُلام
فَوَدِّعْ بالسّلامِ أبـا حُرَيْزٍ ... وَقَـلَّ وداعُ أرْبَدَ بالسّلام
وَكُنْتَ إمامَنا ولَنا نِظامًـا ... وَكـانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظام
وَأرْبَدُ فارِسُ الهَيْجا إذا مـا ... تَقَعَّرَتِ المَشـاجِرُ بالفِئام[3]
إذا بَكَرَ النّساءُ مُرَدَّفـاتٍ ... حَواسِرَ لا يُجِنَّ على الخِدام[4]
فَواءَلَ يومَ ذلك مَـن أتاهُ ... كَما وَأَلَ المُحِلُّ إلـى الحَرام
وَيَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَد مَن عَراها ... إذا مـا ذُمَّ أرْبابُ اللِّحام
وَجارَتُه إذا حَلَّتْ لَدَيْـهِ ... لَها نَفَلٌ وحَظٌّ مـن سَنام
فَإن تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصـانٌ ... وَإن تَظْعن فَمُحْسِنَـةُ الكَلام
وَهَلْ حُدِّثْتَ عـن أخَوَيْنِ ... داما عـلى الأيّامِ إلاّ ابْنَيْ شَمام

---

(١) النجد: الشجاع.

(٢) الحارب: السالب. الحريب: المسلوب.

(٣) المشاجر: ضرب من الهوادج. الفئام: ما يبسط في الهودج ويوطأ به.

(٤) حواسر: كاشفات عن وجوههن. لا يجنن: لا يغطين. الخدام: جمع خدمة وهي الساق.

وَإلاّ الفَرْقَدَيْــنِ وآلَ نَعْشٍ	خَوالِدَ مـــــا تُحَدِّثُ بِانْهِدامِ

قال ابنُ هشامٍ : وهِيَ في قَصيدَةٍ له .

قال ابنُ إسحاقَ : **وقال لَبيدٌ أيضًا [يَبْكي أرْبَدَ]** :

انْعَ الكَريمَ لِلْكَريمِ أرْبَـــدا	انْعَ الرَّئيسَ واللَّطيفَ كَبَـــدا

يُحْذي ويُعْطي ماله لِيُحْمَـدا	أُدْمًا مُـــا يُشْبِهْنَ صُوارًا أَبَدا[1]

السابِلَ الفَضْلَ إذا ما عُدِّدا	وَيَمْلأُ الجَفْنَةَ مَلْئًــــــا مَدَدا

رِفْهًـا إذا يَأْتي ضَرِيكٌ وَرَدا	مِثْلُ الذي في الغيلِ يَقْرُو جُمُدا[2]

يَزْدادُ قُرْبًا منهــم أن يُوعَدا	أَوْرَثْتَنا تُراثَ غَيْرِ أَنْكَـــــدا

غِبًا ومــــالاً طارِفًا وَوَلَدا	شَرْخًا صُقُورًا يافِعًـــا وأمْرَدا

وَقال لَبيدٌ أيضًا :

لَ ن تُفْنيا خَيْرَاتِ أَرْ	بَدَ فابْكِيـــا حتى يَعُودا

قُــولا هُوَ البَطَلُ المُحا	مي حينَ يَكْسُونَ الحَديدا

وَيَصُـــدّ عَنّا الظّالِمِين	إذا لَقِينـــا القَوْمَ صيـدا

فاعْتــاقَه رَبّ البَرِيةِ	إذْ رَأَى أن لا خُـــلُودًا

فَثَوَى ولَمْ يُوجَـــعْ ولَمْ	يُوصَبْ وكان هُوَ الفَقيـدا

وقال لَبيدٌ أيضًا :

يُذَكِّرُني بِأَرْبَدَ كُلّ خَصْــــمٍ	أَلَدّ تَخالُ خُطّتَـــه ضِرارا

إذا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيـمٌ	وَإن جارُوا سَواءَ الحَقّ جارا

وَيَهْدي القَوْمَ مُطّلِعًا إذا ما	دَليلُ القَوْمِ بِالمَوْماةِ حــــارا [٩٩/أ]

قال ابنُ هشامٍ : آخِرُها بَيْتًا عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

[قال ابنُ إسحاقَ] : **وقال لَبيدٌ أيضًا :**

أَصْبَحْتُ أمشي بعد سَلْمَى بنِ مالِكٍ	وَبعد أبي قَيْسٍ وعُرْوَةَ كالأَجَبّ

---

(١) يحذي : يعطي . الصوارم : القطيع من بقر الوحش . أبدا جمع أبد وهو المستوحش النافذ .

(٢) رفها : أي يفعل ذلك دائما كل يوم . الضريك : الفقير . يقرو : يتتبع .

إذا ما رَأى ظِلّ الغُرابِ أضَجّهُ جذارًا عَلى باقي السّناسِنِ والعَصَبْ

قال ابنُ هشام : وهذانِ البَيْتانِ في أبياتٍ له .

قُدُومُ ضِمامِ بنِ ثَعْلَبَةَ وافِدًا عن بني سَعْدِ بنِ بَكْرٍ

قال ابنُ إسحاقَ : وبَعَثَ بنُو سَعْدِ بنِ بَكْرٍ إلى رسولِ الله رَجُلاً منهم يُقالُ له ضِمامُ بنُ ثَعْلَبَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ :[1] فحَدّثني مُحمّدُ بنُ الوَليدِ بنِ نُوَيْفِعٍ عن كُرَيْبٍ ، مَوْلى عبدِ الله بنِ عَبّاسٍ ، عن عبد الله ابنِ عَبّاسٍ ، قال بَعَثَتْ بنُو سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ضِمامَ ابنَ ثَعْلَبَةَ وافِدًا إلى رسولِ الله ﷺ فَقَدِمَ عليه وأناخَ بَعيرَه على بابِ المَسْجِدِ ثُمّ عَقَلَه ثُمّ دَخَلَ المَسْجِدَ ورسولُ الله ﷺ جالِسٌ في أصْحابه وكان ضِمامٌ رَجُلاً جَلْدًا أشْعَرَ ذا غَديرَتَيْنِ فأقْبَلَ حتى وقَفَ على رسولِ الله ﷺ في أصحابه فَقال أيّكُم ابنُ عبدِ المُطّلِبِ ؟ قال فَقال رسولُ الله ﷺ : **«أنا ابنُ عبدِ المطّلِبِ»** . قال : أمُحَمّدٌ؟ قال : **«نَعم»** قال يا ابنَ عبدِ المُطّلِبِ ، إنّي سائِلُك ومُغَلِّظٌ عَلَيْك في المَسْألَةِ فَلا تَجِدَنّ في نَفْسِك ، قال : **«لا أجِدُ في نَفْسي ، فَسَلْ عمّا بَدا لَكَ»** .

قال أنْشُدُك اللهَ إلَهَك وإلَهَ مَن كان قَبْلَك ، وإلَهَ مَن هُوَ كائِنٌ بعدك ، آللهُ بَعَثَك إلَيْنا رسولاً ؟ قال : **«اللّهمّ نَعم»** قال : فَأنْشُدُك اللهَ إلَهَك وإلَهَ مَن كان قَبْلَك ، وإلَهَ مَن هُوَ كائِنٌ بعدك ، آللهُ أمَرَك أن تَأمُرَنا أن نَعْبُدَه وحْدَه لا نُشْرِكُ به شيئًا ، وأن نَخْلَعَ هذه الأنْدادَ التي كان آباؤُنا يَعْبُدُونَ مَعَه ؟ قال : **«اللّهمّ نَعم»** قال فَأنْشُدُك اللهَ إلَهَك وإلَهَ مَن كان قَبْلَك ، وإلَهَ مَن هُوَ كائِنٌ بعدك ، آللهُ أمَرَك أن نُصَلّيَ هذه الصّلَواتِ الخَمْسَ ؟ قال : **«اللّهمّ نَعم»** قال ثُمّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرائِضَ الإسلامِ فَريضَةً فَريضَةً . الزّكاةَ والصّيامَ والحَجّ وشَرائِعَ الإسلام كُلّها ، يَنْشُدُه عند كُلّ فَريضَةٍ منها كَما يَنْشُدُه في التي قَبْلَها ، حتى إذا فَرَغَ قال فَإنّي أشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاّ الله ، وأشْهَدُ أنّ مُحَمّدًا رسولَ الله وسَأُؤدّي هذه الفَرائِضَ وأجْتَنِبُ ما نَهَيْتني عنه ثُمّ لا أزيدُ ولا أنْقُصُ . ثُمّ انْصَرَفَ إلى بَعيرِه راجِعًا . قال فَقال رسولُ الله ﷺ : **«إن صَدَقَ ذُو العَقيصَتَيْنِ دَخَلَ الجَنّةَ»** قال : فَأتَى بَعيرَه فَأطْلَقَ عِقالَه ثُمّ خَرَجَ حتى قَدِمَ على قَوْمِه فاجْتَمَعُوا إلَيْه فَكان أوّلُ ما تَكَلّمَ به أن قال بِئْسَ اللاّتُ والعُزّى قالُوا : مَهْ يا ضِمامُ اتّقِ البَرَصَ اتّقِ الجُذامَ اتّقِ الجُنُونَ قال ويْلَكُم إنّهما والله لا يَضُرّانِ ولا يَنْفَعانِ إنّ اللهَ قد بَعَثَ رسولاً ، وأنْزَلَ عليه كِتابًا أسْتَنْقِذُكُم به مِمّا كُنْتُم فيه

---

(١) حسن : سند ابن إسحاق حسن رواه أحمد [٢٦٤/١] وأبو داود [٤٨٧] والطبري في تاريخه [١٩٢/٢ - ١٩٣] والدارمي [١٦٦/١] والحاكم [٥٤/٣ - ٥٥] والبيهقي دلائل [٣٧٤/٥ - ٣٧٥] والحديث له شاهد من حديث أنس ، رواه البخاري [٦٣] ومسلم [١٢] نحوه مختصرًا .

وإني أشْهَدُ أن لا إلهَ إلاّ الله وحْدَه لا شَريكَ له وأنّ مُحمّدًا عبدُه ورسولُه وقد جِئتُكم من عِندِه بما أمَرَكُم به وما نَهاكُم عنه قال فوالله ما أمسَى من ذلك اليوم وفي حاضِرِه رَجُلٌ ولا امرأةٌ إلاّ مُسلمًا أو مسلمة . قال يقول عبدُ الله بنُ عَبّاسٍ : فَما سَمِعْنا بِوافِدِ قَوْمٍ كان أفْضَلَ من ضِمامِ بنِ ثَعْلَبَةَ .

قدُومُ الجارُودِ في وفدِ عبدِ القيس

قال ابنُ إسحاقَ : وقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ الجارُودُ بنُ عمرِو بنِ حَنَشٍ أخُو عبدِ القَيْسِ .

قال ابنُ هشامٍ : الجارُودُ بنُ بِشْرِ بنِ المُعَلّى في وفْدِ عبدِ القَيْسِ وكان [٩٩/ب] نَصْرانيًا .

قال ابنُ إسحاقَ : [١] حَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن الحَسَنِ قال لَمّا انْتَهى إلى رسولِ الله ﷺ كَلّمَه فَعَرَضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ودَعاه إليْه ورَغّبَه فيه فَقال يا مُحَمّدُ إنّي قد كُنْت على دينٍ وإنّي تارِكٌ ديني لِدينِك ، أفَتَضْمَنُ لي دَيْني ؟ قال فَقال رسولُ الله ﷺ نَعم أنا ضامِنٌ أن قد هَداك الله إلى ما هُوَ خَيْرٌ مِنه . قال فَأَسْلَمَ وأسْلَمَ أصْحابُه ثُمّ سَأَلَ رسولَ الله ﷺ الحُملانَ فَقال والله ما عِندي ما أحْمِلُكُم عليه فقال يا رسولَ الله فَإنّ بَيْنَنا وبَيْنَ بِلادِنا ضَوال من ضَوال النّاسِ أفَنَتَبَلّغُ عليها إلى بِلادِنا ؟ قال لا ، إيّاكَ وإيّاها ، فَإنّما تِلْكَ حَرَقُ النّارِ .

فَخَرَجَ من عِندِه الجارُودُ راجِعًا إلى قَوْمِه وكان حَسَنَ الإسلامِ صُلْبًا على دينِه حتى هَلَكَ وقد أدْرَكَ الرّدّةَ فَلَمّا رَجَعَ من قَوْمِه مَن كان أسْلَمَ منهم إلى دينِهم الأوّلِ مع الغَرُورِ بنِ المُنْذِرِ بنِ النّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ ، قامَ الجارُودُ [فَتَكَلّمَ] فَشَهِدَ شَهادَةَ الحَقّ ثم دَعا إلى الإسلامِ فَقال : أيّها النّاسُ إنّي أشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاّ الله ، وأنّ مُحَمّدًا عبدُه ورسولُه وأُكَفّرُ مَن لَم يَشْهَدْ .

قال ابنُ هشامٍ : ويُرْوَى : وأَكْفي مَن لَم يَشْهَدْ.

قال ابنُ إسحاقَ :[٢] وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَميّ قَبْلَ فَتْحِ مَكّةَ إلى المُنْذِرِ بنِ ساوَى العبديّ فَأسْلَمَ فَحَسُنَ إسلامُه ثُمّ هَلَكَ بعد رسولِ الله ﷺ قَبْلَ رِدّةِ أهلِ البَحْرَيْنِ ، والعَلاءُ عنده أميرًا لِرسولِ الله ﷺ على البَحْرَيْنِ .

* * *

(١) مرسل ضعيف : رواه الطبري في التاريخ [١٩٩/٢] والبيهقي دلائل [٣٢٨/٥] وسند ضعيف جدًا مع إرساله وقد ذكر الطبري المبهم في الإسناد وهو الحسن بن دينار والحسن متروك الحديث . قلت : وروى أبو يعلي في مسنده [٩١٨] من طريق الجارود رضي الله عنه من رواية خالد بن مخلد عن علي بن هاشم عن الأشعث عن محمد بن سيرين عن الجارود ورجاله ثقات .

(٢) متفق عليه : بعث النبي ﷺ العلاء ابن الحضرمي إلى البحرين . البخاري [٣١٥٨] ومسلم [٢٩٦١] من حديث عمرو بن عوف

قُدومُ وفدِ بني حَنيفَةَ ومَعَهم مُسَيلِمَةُ الكَذّاب

وَقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وفدُ بني حَنيفَةَ فيهم مُسَيلِمَةُ بنُ حَبيبٍ [الحَنَفِيّ] الكَذّابُ .

قال ابنُ هشامٍ : مُسَيلِمَةُ بنُ ثُمامَةَ ويُكَنّى أبا ثُمامَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) فكانَ مَنزِلُهم في دارِ بِنتِ الحارثِ امرأةٍ من الأنصارِ ، ثمّ من بني النّجارِ فَحَدّثَني بَعضُ عُلَمائِنا من أهلِ المدينَةِ : أنّ بني حَنيفَةَ أتَتْ به رسولَ الله ﷺ تَسْتُرُه بالثّيابِ ورسولُ الله ﷺ جالِسٌ في أصحابه . مَعَه عَسيبٌ من سَعَفِ النّخلِ في رَأسِه خُوصاتٌ فَلَما انتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ وهم يَسْتُرُونَه بالثّيابِ كَلّمَه وسَأَلَه فقال له رسولُ الله ﷺ : **«لَوْ سَألتني هذا العَسيبَ ما أعطَيْتُكَه»** .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وقد حَدّثَني شيخٌ من بني حَنيفَةَ من أهلِ اليَمامَةِ أنّ حَديثَه كان على غَيْرِ هذا . وزَعمَ أنّ وفدَ بني حَنيفَةَ أتَوْا رسولَ الله ﷺ وخَلّفُوا مُسَيلِمَةَ في رِحالِهم فَلَمّا أسلَمُوا ذَكَرُوا مَكانَه فَقالُوا : يا رسولَ الله إنّا قد خَلّفْنا صاحِبًا لَنا في رِحالِنا وفي رِكابِنا يَحْفَظُها لَنا ، قال فَأمَرَ له رسولُ الله ﷺ بِمِثْلِ ما أمَرَ به لِلْقَوْمِ وقال أما إنّه ليس بِشَرّكُم مَكانًا ؛ أيْ لِحِفْظِه ضَيْعَةَ أصْحابِه وذلك الذي يُريدُ رسولُ الله ﷺ .

قال ثُمّ انصَرَفُوا عن رسولِ الله ﷺ وجاءُوه بما أعطاه فَلَمّا انتَهَوْا إلى اليَمامَةِ ارْتَدّ عَدُوّ الله وتَنَبّأَ وتَكَذّبَ لهم وقال إنّي قد أُشْرِكْتُ في الأمرِ مَعَه . وقال لِوَفْدِه الذينَ كانوا مَعَه أَلَمْ يَقُلْ لَكُم حينَ ذَكَرْتُمُوني له أما إنّه ليس بِشَرّكُم مَكانًا ؛ ما ذاكَ إلاّ لَمّا كان يَعْلَمُ أنّي قد أُشْرِكْتُ في الأمرِ مَعَه ثُمّ جَعَلَ يَسْجَعُ لهم الأساجيعَ ويقول لهم فيما يقول مُضاهاةً لِلقُرآنِ «لَقد أنْعمَ الله على الحُبْلَى ، أخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى ، من بَيْنَ صِفاقٍ وحَشًى» . وأحَلّ لهم الخَمْرَ والزّنا ، ووَضَعَ عنهم الصّلاةَ وهو مع ذلك يَشْهَدُ لِرسولِ الله ﷺ بأنّه نَبِيّ ، فَأصْفَقَتْ مَعَه بنو حَنيفَةُ على ذلك[١٠٠/أ] فالله أعْلَمُ أيّ ذلك كان .

قُدومُ زَيدِ الخَيلِ في وفدِ طَيّئ

قال ابنُ إسحاقَ : (٣) وقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وفدُ طَيّئٍ فيهم زَيْدُ الخَيْلِ ، وهو سَيّدُهم فَلَمّا

---

(١)متفق عليه : لم يذكر ابن إسحاق إسناده . والحديث رواه البخاري [٤٣٧٣] ، ومسلم [٢٢٧٣] من حديث ابن عباس نحوه .

(٢)منكر : فيه جهالة هذا الشيخ ومع جهالته فقد خالف ما في الصحيحين .

(٣)مرسل : وفيه جهالة الذي أرسله ، رواه الطبري في التاريخ [٢٠٣/٢] والبيهقي دلائل [٣٣٧/٥] . قلت : .... =

انتَهَوْا إلَيه كلّمُوه وعَرَضَ عليهم رسولُ الله ﷺ الإسلامَ فأسلَمُوا ، فحَسُنَ إسلامُهم وقال رسولُ الله ﷺ كما حَدّثني مَن لا أتّهِمُ من رجالِ طَيِّئٍ ما ذُكِرَ لي رَجُلٌ من العَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمّ جاءَني ، إلاّ رَأيتُه دُونَ ما يُقالُ فيه إلاّ زَيْدَ الخَيْلِ : فإنّه لَم يَبْلُغْ كُلّ ما كان فيه ثُمّ سَمّاه رسولُ الله ﷺ زَيْدَ الخَيْرِ وقَطَعَ له فَيْدًا وأرَضينَ مَعَه وكَتَبَ له بِذلك . فخَرَجَ من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ راجعًا إلى قَوْمِه فقال رسولُ الله ﷺ إن يَنجُ زَيْدٌ من حُمّى المَدينَةِ فإنّه قال قد سَمّاها رسولُ الله باسْمٍ غَيْرِ الحُمّى ، وغَيْرِ أُمّ مَلْدَمٍ فَلَم يُثْبِتْه - فلَمّا انتَهَى من بَلَدِ نَجْدٍ إلى ماءٍ من مياهِه يُقالُ له فَرْدَةَ ، أصابَتْه الحُمّى بِها فَماتَ ولَمّا أحَسّ زَيْدٌ بالمَوْتِ قال :

أمُرْتَحِلٌ قَوْمي المَشارِقَ غُدْوَةً ... وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنجِدِى

ألا رُبّ يوم لَوْ مَرِضْتُ لَعادَني ... عَوائِدُ مَن لَمْ يُبْرَ مِنْهُنّ يَجْهَدِى

فلَمّا ماتَ عمَدَتِ امرَأتُه إلى ما كان مَعَها من كُتُبه التي قَطَعَ له رسولُ الله ﷺ فحَرّقَتْها بالنّارِ .

أمرُ عَديّ بن حاتِم

وَأمّا عَديّ بنُ حاتِمٍ فكان يقول فيما بَلَغَني [1] : ما مِن رَجُلٍ من العَرَبِ كان أشَدّ كَراهيَةً لِرسولِ الله ﷺ حينَ سَمِعَ به مِنّي ، أما أنا فَكُنت امرأً شَريفًا ، وكُنت نَصْرانيًا ، وكُنت أسيرُ في قَوْمي بالمِرْباعِ فَكُنتُ في نَفْسي على دينٍ وكُنت مَلِكًا في قَوْمي ، لِما كان يُصْنَعُ بي . فَلَمّا سَمِعْت برسولِ الله ﷺ كَرِهْته ، فَقُلْت لِغُلامٍ كان لي عَرَبيّ وكان راعيًا لإبِلي : قال : لا أبا لَكَ ، أعْدِدْ لي من إبِلي أجمالاً ذُلُلاً سِمانًا ، فاحْتَبِسْها قَريبًا مِنّي ، فإذا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمّدٍ قد وطِئَ هذه البِلادَ فآذِنّي ؛ فَفَعَلَ ثُمّ إنّه أتاني ذاتَ غَداةٍ فقال يا عَديّ ، ما كُنْتَ صانِعًا إذا غَشِيَتْك خَيْلُ مُحَمّدٍ

= ووقع ذكر زيد الخليل في صحيح البخاري [٤٣٥١] في حديث أبي سعيد الخدري وأن النبي ﷺ أتاه مال من اليمن قسمه على أربعة : الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وزيد الخيل والرابع عامر بن الطفيل .

(١) حسن بشواهده : سند ابن إسحاق مرسل ، رواه الطبري في التاريخ [١٨٧/٢] من رواية ابن إسحاق عن شيبان بن سعد الطائي ، ورواه البيهقي عنه في الدلائل [٣٣٨/٥] وللقصة شواهد عديدة منها ما رواه الإمام أحمد [٣٧٨/٤ - ٣٧٩] والترمذي [٤٠٢٩] والطبري في تاريخه [١٨٧/٢] والطبراني في الكبير [٩٨/١٧ ح ٢٣٦ ، ٢٣٧] من رواية شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي مطولاً نحوه . وسنده لا بأس به . عباد بن حبيش وثقه ابن حبان . وقد روى من وجوه أخرى عن عدي ، منها ما رواه أحمد [٢٥٧/٤] والبيهقي دلائل [٣٤٣/٥] من رواية هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي عبيدة عن رجل عنه ، ورواه البيهقي في الدلائل [٣٤٢/٥] من رواية أيوب وسعيد ابن عبد الرحمن عن ابن سيرين به . قلت علتة هذا المبهم ، ويشهد له ما قبله . وروي نحوه عن علي رضي الله عنه . رواه البيهقي دلائل [٥/ ٣٤١] من رواية ضرار بن صرد عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب عن كُميل بن زياد عن علي قال ابن كثير في البداية [٣/ الجزء ٦١/٥] : هذا حديث حسن المتن ، غريب الإسناد جدًا ، عزيز المخرج . قلت : وآخر الحديث مروي في الصحيح رواه البخاري [٣٥٩٥] من حديث عدي رضي الله عنه .

فاصْنَعْه الآنَ فَإني قد رَأيت رايات فَسَأَلت عنها ، فقالوا : هذه جُيُوش مُحمد . قال فَقُلت : فَقَرِّبْ إليَّ أجمالي ، فَقَرّبها ، فاحْتَمَلت بأهلي وولدي ،ثُمَّ قلت : ألحَقُ بأهلِ ديني من النّصارَى بالشّام فَسَلَكْتُ الجَوْشيَةَ ، ويُقال : الحَوْشيّةُ فيما قال ابنُ هشام - وخَلَّفت بِنتًا لحاتم في الحاضِر فَلَمّا قَدِمت الشّامَ أَقمْتُ بها .

وَتُخالِفُني خَيْلٌ لِرسولِ الله ﷺ فَتُصيبُ ابنَةَ حاتمٍ فيمَن أصابَتْ فَقُدِمَ بها على رسولِ الله ﷺ في سَبايا من طَيّئٍ وقد بَلَغَ رسولَ الله ﷺ هَرَبي إلى الشّام ، قال فَجُعِلَتْ بِنْتُ حاتمٍ في حَظيرَةٍ بباب المَسْجِدِ كانَتِ السّبايا يُحْبَسْنَ فيها ، فَمَرَّ بها رسولُ الله ﷺ فقامَتْ إليه وكانَتِ امرأةً جَزْلَةً فَقالتْ : يا رسولَ الله هَلَكَ الوالِدُ وغابَ الوافِدُ فامنُن عليَّ مَنّ الله عَلَيْك . قال : «**وَمَن وافِدُك ؟**» قالتْ : عَديّ ابنُ حاتم . قال : الهارب من الله ورسوله ؟ قالتْ : ثُمَّ مَضَى رسولُ الله ﷺ وتَرَكَني ، حتى إذا كانَ من الغَدِ مَرّ بي ، فَقُلْت : له مِثْلَ ذلك ، وقال لي مِثْلَ ما قال بالأمسِ . قالتْ : حتى إذا كان بعد الغَدِ مَرّ بي وقد يَئِسْت مِنه فَأشارَ إليَّ رَجُلٌ من خَلْفِه أن قُومي فَكَلّميه قالتْ : فَقُمت إليْه فَقُلْت : يا رسولَ الله هَلَكَ الوالِدُ وغابَ الوافِدُ فامنُن عَليّ مَنّ الله عَلَيْك ؛ فَقال ﷺ : «**قد فَعَلْتُ فَلا تَعْجَلي بِخُرُوجٍ حتى تَجِدي من قَوْمِك مَن يَكُونُ لَك ثِقَةً حتى يُبْلغك إلى بِلادِك ، ثُمّ آذِنيني**» . فَسَأَلْت عن الرّجُلِ الذي أشارَ إليَّ أن أُكَلّمَه فَقيلَ عَليّ بنُ أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه وأقَمْت حتى قَدِمَ رَكْبٌ من بَليّ أوْ قُضاعَةَ ، قالتْ وإنّما أُريدُ أن آتيَ أخي بالشّام . قالتْ فَجِئْت رسولَ الله ﷺ [١٠٠/ب] فَقُلْت : يا رسولَ الله قد قَدِمَ رَهْطٌ من قَوْمي ، لي فيهم ثِقَةٌ وبَلاغٌ . قالتْ فَكَساني رسولُ الله ﷺ وحَمَلَني ، وأعْطاني نَفَقَةً فَخَرَجْت مَعَهم حتى قَدِمت الشّامَ .

قال عَديّ : فَوالله إني لَقاعِدٌ في أهلي ، إذْ نَظَرْت إلى ظَعينَةٍ تَصُوبُ إليَّ تَؤُمنا ، قال فَقُلْت ابنَةُ حاتمٍ قال فإذا هيَ هيَ فَلَمّا وقَفَتْ عَليَّ انسَحَلَتْ تَقُول : القاطِعُ الظّالِمُ احْتَمَلْتَ بأهلِك ووَلَدِك ، وتَرَكْت بَقيّةَ والِدِك عَوْرَتَك ، قال قلت : أيْ أُخَيّةُ لا تَقُولي إلاّ خَيْرًا ، فَوالله ما لي من عُذْرٍ لَقد صَنَعْتُ ما ذَكَرْت . قال ثُمّ نَزَلَتْ فَأقامَتْ عِنْدي ، فَقُلْت لها : وكانَتِ امرأةً حازِمَةً ماذا تَرَيْنَ في أمرِ هذا الرّجُلِ ؟ قالتْ أرَى والله أن تَلْحَقَ به سَريعًا ، فَإن يَكُن الرّجُلُ نَبيًا فَلِلسّابِقِ إليْه فَضْلُه وإن يَكُن مَلِكًا فَلَن تَذِلّ في عِزّ اليَمَنِ ، وأنْتَ أنتَ . قال قلت : والله إنّ هذا الرّأْيُ . قال فَخَرَجْت حتى أَقْدَمَ على رسولِ الله ﷺ المَدينَةَ ، فَدَخَلْت عليه وهو في مَسْجِدِه فَسَلّمت عليه فَقال : «**مَن الرّجُلُ ؟**» فَقُلْت : عَديّ بنُ حاتمٍ ،فَقامَ رسولُ الله ﷺ فانطَلَقَ بي إلى بَيْتِه فَوالله إنّه لَعامِدٌ بي إليْه إذْ لَقيَتْه امرأةٌ ضَعيفَةٌ كَبيرَةٌ فاسْتَوْقَفَتْه فَوَقَفَ لها طَويلاً تُكَلّمُه في حاجَتِها ، قال قلت في نَفْسي : والله ما هذا بِمَلِكٍ قال ثُمّ مَضَى بي رسولُ الله ﷺ حتى إذا دَخَلَ

بي بَيْتَه تَناوَلَ وِسادَةً من أدَم مَحْشُوَةٍ لِيفًا ، فَقَدَمَها إلَيّ فَقال : «**اجْلِس على هذه**» قال قلت : بَلْ أنْتَ فاجْلِس عليها ، فَقال : «**بَلْ أنتَ**» فَجَلَسْت عليها ، وجَلَس رسولُ الله ﷺ بالأرْضِ قال قلت في نَفْسي : والله ما هذا بأمرِ مَلِكٍ ثُمَ قال : «**إيه يا عَديّ بنَ حاتم ألَم تَكُ رَكُوسيّا**» ؟ قال قلت : بَلَى . قال : «**أوَ لَم تَكُن تَسيرُ في قَوْمِك بالمِرْباع ؟**» قال قلتُ : بَلَى ، قال : «**فإنّ ذلك لَم يَكُن يَحِلّ لَك في دينِك**» ، قال قلت : أجَلْ والله وقال وعَرَفت أنّه نَبيّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ ما يُجْهَلُ ثُمَ قال : «**لَعَلّك يا عَديّ إنّما يَمْنَعُك من دُخُولٍ في هذا الدّينِ ما تَرَى من حاجَتِهِم فَوالله لَيُوشِكَنّ المالُ أن يَفيضَ فيهم حتى لا يُوجَدُ مَن يَأخُذُه ، ولَعَلّك إنّما يَمْنَعُك من دُخُولٍ فيه ما تَرَى من كَثْرَةِ عَدُوّهِم وقِلّةِ عَدَدِهِم فَوالله لَيُوشِكَنّ أن تَسْمَعَ بالمَرْأةِ تَخْرُجُ من القادِسيّةِ على بَعيرِها (حتى) تَزُورَ هذا البَيْتَ لا تَخافُ ، ولَعَلّك إنّما يَمْنَعُك من دُخُولٍ فيه أنّك تَرَى أنّ المُلْكَ والسّلْطانَ في غَيْرِهِم وايْمُ الله لَيُوشِكَنّ أنْ تَسْمَعَ بالقُصُورِ البيضِ من أرْضِ بابِلَ قد فُتِحَتْ عليهم**» قال فأسْلَمت .

وَكان عَديّ يقول قد مَضَتِ اثْنَتانِ وبَقِيَتِ الثّالِثَةُ والله لَتَكُونَنّ قد رَأيْت القُصُورَ البيضَ من أرْضِ بابِلَ قد فُتِحَتْ وقد رَأيت المَرْأةَ تَخْرُجُ من القادِسيّةِ على بَعيرِها لا تَخافُ حتى تَحُجّ هذا البَيْتَ وايْمُ الله لَتَكُونَنّ الثّالِثَةُ لَيَفيضَنّ المالُ حتى لا يُوجَدَ مَن يَأخُذُه .

قُدومُ فَرْوَةَ بنِ مُسَيْكٍ المُراديّ

قال ابنُ إسحاقَ :(١) وقَدِمَ فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ المُراديّ على رسولِ الله ﷺ مُفارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، ومُباعِدًا لهم إلى رسولِ الله ﷺ . وَقد كان قُبَيْلَ الإسلامِ بَيْنَ مُرادَ وهَمدانَ وقْعَةٌ أصابَتْ فيها هَمدانُ من مُرادَ ما أرادُوا ، حتى أثْخَنُوهم في يومٍ كان يُقالُ له يومَ الرّدْمِ ، فَكان الذي قادَ هَمدانَ إلى مُرادَ الأجْدَعُ بنُ مالِكٍ في ذلك اليومِ . قال ابنُ هشام : الذي قادَ هَمدانَ في ذلك اليوم مالِكُ بنُ حَريمٍ الهَمدانيّ .

قال ابنُ إسحاقَ : وفي ذلك اليومِ يقول فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ :

مَرَرْنا على لُفـاةَ وهُنّ خُوصٌ ... يُنازِعْنَ الأعِنّةَ يَنْتَحينـا

فَإن نَغْلِبْ فَغَلّابونَ قِدْمًـا ... وَإن نُغْلَب فَغَيْرُ مُغَلّبينـا

وَما إن طِبّنـا جُبنٌ ولَكِنْ ... مَنايانا ودولة آخَرينـا

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٩٨/٢] والبيهقي في الدلائل [٣٦٨/٥] من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً .

كَذاكَ الدَهرُ دَوْلَتُه سِجالٌ ... تَكرّ صُرُوفُه حينًا فَحينًا

فَبَيْنا مـــا نُسَرّ به ونَرْضَى ... وَلَوْ لُبِسَتْ غَضارَتُه سِنينا

إذِ انقَلَبَتْ به كَرّاتُ دَهرٍ ... فَألفَيْتَ الأُلى غُبِطُوا طَحينًا [١٠١/أ]

فَمَن يُغْبَطْ بِرَيْبِ الدَهْرِ منهم ... يَجِدْ رَيْبَ الزّمانِ له خَروفًا

فَلَوْ خَلَدَ المُلُوكُ إذاً خَلَدْنـــا ... وَلَوْ بَقِيَ الكِرامُ إذاً بَقينــا

فَأفْنَى ذَلِكُمُ سَرَواتِ قَوْمــي ... كَما أفْنَى القُرُونَ الأوّلينــا

قال ابنُ هشام : أوّلُ بَيْتٍ منها ، وقَوْلُه «فإن نَغْلِبْ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

قال ابنُ إسحاقَ : ولَمّا تَوَجّهَ فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ إلى رسولِ الله ﷺ مُفارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، قال لَمّا رَأيتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَتْ كالرّجُلِ خانَ الرّجُلَ عِرْقَ نَسائِها

قَرّبْتُ راحِلَتي أؤم مُحَمّدًا ... أرْجُو فَواضِلَها وحُسْنَ ثَوابِها

قال ابنُ هشام : أنْشَدَني أبو عُبَيْدَةَ « أرْجُو فَواضِلَه وحُسْنَ ثَنائِها» .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] فَلَمّا انتَهَى إلى رسولِ الله ﷺ قال له رسولُ الله ﷺ فيما بَلَغَني : «**يا فَرْوَةُ هَلْ ساءَك ما أصابَ قَوْمَك يومَ الرّدْمِ ؟**» قال : يارسولَ الله مَن ذا يُصيبُ قَوْمَه مِثْلُ ما أصابَ قَوْمي يومَ الرّدْمِ لا يَسُوءُه ذلك فقال رسولُ الله ﷺ له : «**أما إنّ ذلك لَمْ يَزِدْ قَوْمَك في الإسلامِ إلاّ خَيْرًا**» واسْتَعْمَلَه النّبيّ ﷺ على مُرادَ وزُبَيْدٍ ومَذْحِجٍ كُلّها ، وبَعَثَ مَعَه خالِدَ بنَ سَعيدِ بنِ العاصِ على الصّدَقَةِ فكان مَعَه في بِلادِه حتى تَوَفّى رسولُ الله ﷺ .

[قُدُومُ عَمرِو بنِ مَعْدِ يَكْرِبَ في أُناسٍ من بني زُبَيْدٍ]

وَقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ في أُناسٍ من بني زُبَيْدٍ ، فأسْلَمَ وكان عمرٌو قد قال لِقَيْسِ بنِ مَكْشُوحٍ المُراديّ حينَ انتَهَى إلَيهم أمرُ رسولِ الله ﷺ يا قَيْسُ ، إنك سَيّدُ قَوْمِك ، وقد ذُكِرَ لَنا أنّ رَجُلاً من قُرَيْشٍ يُقالُ له مُحَمّدٌ قد خَرَجَ بالحِجازِ ، يقول إنّه نَبيّ ، فانطَلِقْ بِنا إلَيه حتى نَعْلَمَ عِلْمَه فإن كان نَبيّا كما يقول فإنّه لَن يَخْفَى عَلَيْك ، وإذا لَقِيناه اتّبَعْناه وإن كان غَيْرَ ذلك عَلِمنا عِلْمَه فأبَى عليه قَيْسٌ ذلك وسَفّه رَأيَه فَرَكِبَ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ حتى قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ فأسْلَمَ وصَدّقَه وآمَنَ به . فَلَمّا بَلَغَ ذلك قَيْسَ بنَ مَكْشُوحٍ أوْعَدَ عمرًا ، وتَحَطّمَ عليه وقال خالَفَني وتَرَكَ رَأيي ؛ فَقال عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ في ذلك :

---

(١) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٩٨/٢] والبيهقي دلائل [٣٦٨/٥] من طريق ابن إسحاق مرسلاً .

أَمَرْتُكَ يومَ ذي صَنعاءَ أمرًا باديًا رُشْدَهْ ... أَمَرْتُكَ باتقاءِ اللهِ والمعْرُوفِ تَتعِـــدُهْ
خَرَجْتُ من المُنَى مِثْلَ الحُمَيْرِ غَرَّه وتِدُهْ ... تَمَنّاني على فَرسٍ عليه جالِسًـا أُسدُهْ
عَلَيّ مُفاضَةٌ كالنّهْيِ أَخْلَصَ ماءَه جدده ... تَرُدّ الرُمحَ مُنْثَنَى السّنانِ عَوائرًا قِصَدُهْ
فَلَوْ لاقَيْتَني لَلَقيتُ لَيْثًـا فَوْقَه لِبَدُهْ تُلاقي ... شَنْبَثًا شَثْنَ البَراثِنِ ناشِزًا كَتَـــدُهْ
يُسامَى القِرْنَ إن قِرْنٌ تَيَمّمُه فَيَعْتَضِدُهْ ... فَيأْخُذُه فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُه فَيَقْتَصِـــدُهْ
فَيَدْمَغُه فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمـــه فَيَزْدَرِدُهْ ... ظَلُومَ الشّرَكِ فيماأَحْرَزَتْ أَنْيابُه ويَـدُهْ

قال ابنُ هشامٍ : أَنْشَدَني أبو عُبَيْدَةَ :

أَمَرْتُكَ يومَ ذي صَنعاءَ أمرًا بَيّنًا رُشْدُهُ ... أَمَرْتُكَ باتقاءِ اللهِ تَأْتيه وتَتّعِدُهْ
فَكُنت كَذي الحُمَيْرِ غَرّرَه ممّا به وتِدُهْ

وَلَم يَعْرِفْ سائِرَها . قال ابنُ إسحاقَ : فَأَقامَ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ في قَوْمِه من بني زُبَيْدٍ وعليهِم فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ . فَلَمّا تَوَفّى رسولُ الله ﷺ ارْتَدَ عمرُو بنُ مَعْدِ يَكْرِبَ ، وقال حينَ ارْتَدّ :

وَجَدْنا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرّ مُلْكٍ ... حِمارًا ســافَ مُنْخُـرَه بِثَفْرِ
وَكُنتَ إذا رَأيتَ أبـا عُمَيْرٍ ... تَرَى الحُوَلاءَ من خَبَثٍ وغَدْرِ

قال ابنُ هشامٍ : قَوْلُه «بِثَفرٍ» عن أبي عُبَيْدَةَ .

[قُدُومُ الأَشْعَثِ بن قَيْسٍ في وَفْدِ كِنْدَةَ]

قال ابنُ إسحاقَ : [(1)] وَقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ الأَشْعَثُ بنُ قَيْسٍ ، في وفْدِ كِنْدَةَ ، فَحَدّثَني الزّهْرِيّ بنُ شِهابٍ أنّه قَدِمَ على رسُولِ الله ﷺ [١٠١/ب] في ثَمانينَ راكِبًا من كِنْـدَةَ ، فَدَخَلُوا على رسولِ الله مَسْجِدَه وقد رَجّلُوا جُمَمَهم وتَكَحّلُوا ، وعليهِم جُبَبُ الحِبَرَةِ وقد كَفّفُوها بالحَرِيرِ فَلَمّا دَخَلُوا على رسولِ الله ﷺ قال أَلَمْ تُسْلِمُوا ؟ قالُوا : بَلَى ، قال فَمَا بالُ هذا الحَريرِ في

---

(1) حسن بطرقه : رواه ابن إسحاق مرسلة . رواه عنه الطبري في التاريخ [٢/٢٠٠] والبيهقي دلائل [٥/٣٧٠] وتابع ابن إسحاق عن الزهري معمر . رواه عن الرزاق في المصنف [١٩٩٥٢] . وروى موصلاً من حديث الأشعث ، رواه أحمد [٥/ ٢١١ ، ٢١٢] والبخاري في التاريخ [٢٧٤/١/٤] وابن ماجه [٢٦١٢] والطبري في الكبير [٦٤٥] والبيهقي دلائل [٣٧١/٥] . كلهم من طريق حماد بن سلمة عن عقيل ابن طلحة عن مسلم بن هيصم عن الأشعث بن قيس . وعلته مسلم بن هيصم . وثقه ابن حبان وترجمه ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه شيئًا . ويشهد له المرسل . وروي الحديث من رواية جفشيش الكندي عن الأشعث . رواه الطبراني في الكبير [٢١٩٠ ، ٢١٩١] وسنده ضعيف . قال الهيثمي في المجمع [٢١٨/٨] فيه من لم أعرفهم . وروي من وجه آخر رواه أحمد [٢١١/٥] من طريق مجالد عن الشعبي عن الأشعث قال : قدمت على رسول الله في وفد كنده .... نحوه . قلت : فيه مجالد ضعيف ، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضًا .

أعناقِكُم ؛ قال فَشَقوه منها ، فألْقَوْه ثُمّ قال له الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ : يا رسولَ الله نحن بنُو آكِلِ المُرارِ ، وأنت ابن آكل المُرارِ قال فَتَبَسّمَ رسولُ الله ﷺ وقال ناسَبوا بهذا النّسَبِ العَبّاسَ ابنَ عبدِ المُطّلِبِ ، ورَبيعَةَ بنَ الحارثِ ، وكان العَبّاسُ ورَبيعَةُ رَجُلَيْنِ تاجِرَيْنِ وكانا إذا شاعا في بَعْضِ العَرَبِ ، فَسُئِلا مِمّن هما ؟ قالا : نحن بنُو آكِلِ المُرارِ ، يَتَعَزّزانِ بذلك وذلك أنّ كِنْدَةَ كانوا مُلُوكًا . ثُمّ قال لهم لا ، بَلْ نحن بنُو النّضْرِ بنِ كِنانَةَ ،لا نَقْفُوا أُمّنا ، ولا نَنْتَفِي من أبينا ، فَقال الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ : هَلْ فَرَغْتُم يا مَعْشَرَ كِنْدَةَ ؟ والله لا أسْمَعُ رَجُلاً يقولها إلاّ ضَرَبْته ثمانين .

قال ابنُ هشامٍ : الأشْعَثُ بنُ قَيْسٍ من ولَد آكِلِ المُرارِ من قِبَلِ النّساءِ وآكِلُ المُرارِ الحارِثُ ابنُ عمرِو بنِ حُجْرِ بنِ عمرِو بنِ مُعاوِيَةَ بنِ الحارِثِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ ثَوْرِ ابنِ مُرَتّعِ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ كِنْديّ ويُقالُ كِنْدَةَ ، وإنّما سُمّيَ آكِلَ المُرارِ لأنّ عمرَو بنَ الهَبولَةِ الغَسّانيّ أغارَ عليهم وكان الحارِثُ غائِبًا ، فَغَنِمَ وسَبَى ، وكان فيمَن سَبَى أُمّ أُناسَ بِنْتُ عَوْفِ بنِ مُحَلّمٍ الشّيْبانيّ امرَأةُ الحارِثِ [بنِ عمرٍو] ، فَقالَت لِعمرٍو في مَسيرِه لَكَأنّي بِرَجُلٍ أدْلَمَ أسْوَدَ كأنّ مَشافِرَه مَشافِرُ بَعيرٍ آكِلِ مُرارٍ قد أخَذَ بِرَقَبَتِك ، تَعْني الحارِثَ فَسُمّيَ آكِلَ المُرارِ والمُرارُ شَجَرٌ . ثُمّ تَبِعَه الحارِثُ في بني بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، فَلَحِقَه فَقَتَلَه واسْتَنْقَذَ امرَأتَه وما كان أصابَ .

فَقال الحارِثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيّ لِعمرِو بنِ المُنْذِرِ وهو عمرُو بنُ هِنْدٍ اللّخْميّ :

وَأقدناكَ رَبّ غَسّانَ بِالمُنْذِرِ كَرْهًا إذ لا تُكالُ الدّماءُ

لأنّ الحارِثَ الأعْرَجَ الغَسّانيّ قَتَلَ المُنْذِرَ أباه وهذا البَيْتُ في قَصيدَةٍ له . وهذا الحَديثُ أطْوَلُ مِمّا ذَكَرْت ، وإنّما مَنَعَني من اسْتِقْصائِه ما ذَكَرْت من القَطْعِ . ويُقالُ بَلْ آكِلُ المُرارِ حُجْرُ بنُ عمرِو بنِ مُعاوِيَةَ وهو صاحِبُ هذا الحَديثِ وإنّما سُمّيَ آكِلَ المُرارِ لأنّه أكَلَ هُوَ وأصْحابُه في تِلْكَ الغَزْوَةِ شَجَرًا يُقالُ له المُرارُ .

[قُدومُ صُرَدِ بنِ عبدِ اللهِ الأزديّ]

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ صُرَدُ بنُ عبدِ الله الأزديّ ، فَأسْلَمَ وحَسُنَ إسلامُه في وفْدٍ من الأزدِ ، فَأمّرَه رسولُ الله ﷺ على مَن أسْلَمَ من قَوْمِه . وأمَرُوه أن يُجاهِدَ بِمَن أسْلَمَ مَن كان يَليه من أهلِ الشّرْكِ من قَبائِلِ اليَمَنِ .

فَخَرَجَ صُرَدُ بنُ عبدِ الله يَسيرُ بأمرِ رسولِ الله ﷺ حتى نَزَلَ بِجُرَشَ ، وهِيَ يومئِذٍ مَدينَةٌ مُغْلَقَةٌ وبِها قَبائِلُ من قَبائِلِ اليَمَنِ ، وقد ضَوَتْ إلَيْهِم خَثْعَمُ ، فَدَخَلُوها مَعَهم حينَ سَمِعُوا بِسَيْرِ المُسْلِمينَ

(١) مرسل : رواه الطبري في التاريخ [١٩٦/٢] والبيهقي دلائل [٣٧٢/٥] وهو من مرسل عبد الله بن أبي بكر .

إلَيهم فَحاصَرُوهم فيها قَريبًا من شَهرٍ وامتَنَعُوا فيها مِنه ثُمَّ إنّه رَجَعَ عنهم قافِلاً ، حتى إذا كان إلى جَبَلٍ لهم يُقالُ له شَكَرُ ، ظَنَّ أهلُ جُرَش أنه إنّما ولّى عنهم مُنهَزِمًا ، فَخَرَجُوا في طَلَبه حتى إذا أدرَكُوه عَطَفَ عليهم فَقَتَلهم قَتلاً شَديدًا . .

وَقد كان أهلُ جَرَش بَعَثُوا رَجُلَيْنِ منهم إلى رسولِ الله ﷺ بالمَدينَةِ يَرتادانِ ويَنظُرانِ فَبَيْنا هما عند رسول الله ﷺ عَشيّةً بعد صَلاةِ العَصْرِ إذ قال رسولُ الله ﷺ بأيّ بِلادِ الله شَكَرُ ؟ فَقامَ إلَيه الجُرَشيّانِ فقالا : يا رسولَ الله بِبِلادِنا جَبَلٌ يُقالُ له كَشَرُ ، وكذلك كانت يُسَمّيه أهلُ جُرَش ، فَقال : «**إنّه ليس بكَشَرَ ولكنه شَكَرُ**» ; قالا : فَما شَأنُه يا رسولَ الله ؟ قال : «**إنّ بُدنَ الله لَتُنحَرُ عنده الآنَ**» قال : فَجَلَسَ الرَجُلانِ إلى أبي بَكرٍ أوْ إلى عُثمانَ فَقال لهما : ويْحَكُما إنّ رسولَ الله ﷺ لَيَنعَى لَكُما قَومَكما ، فَقُوما إلى رسولِ الله ﷺ فاسْألاه [١٠٢/أ] أن يَدْعُوَ اللهَ أن يَرْفَعَ عن قَوْمِكما ، فقاما إلَيه فَسَألاه ذلك فقال : اللّهمّ ارْفَعْ عنهم فَخَرَجا من عِنْدِ رسولِ الله ﷺ راجِعينَ إلى قَوْمِهما ، فَوَجَدا قَوْمَهما قد أُصيبوا يومَ أصابَهم صُرَدُ بنُ عبدِ الله في اليومِ الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال وفي الساعَةِ التي ذَكَرَ فيها ما ذَكَرَ .

وَخَرَجَ وفدُ جُرَش حتى قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ فَأسْلَمُوا ، وحَمَى لهم حِمًى حَوْلَ قَرْيَتِهم على أعْلامٍ مَعْلُومَةٍ لِلفَرسِ والرّاحِلَةِ ولِلمُثيرَةِ بَقَرَةُ الحَرْثِ فَمَن رَعاه من النّاسِ فَما له سُحْتٌ . فَقال في تِلكَ الغَزْوَةِ رَجُلٌ من الأزدِ : وكانَتْ خَثْعَمُ تُصيبُ من الأزدِ في الجاهِليّةِ وكانوا يَعْدُونَ في الشّهرِ الحَرام

يا غَزْوَةً مــا غَزَوْنا غَـيرَ خائِبَةٍ	فيها البِغالُ وفيهــــا الخَيْلُ والحُمُرُ
حتى أتَيْنا حُمَيْرًا فـــي مَصانِعِها	وَجَمْعُ خَثْعَمَ قد شاعَتْ لها النّذُرُ
إذا وضَعَتْ غَليلاً كُنتُ أحْمِلُهُ	فَـــا أُبـــالي أدانُوا بَعْدُ أم كَفَرُوا

[قُدُومُ رسولِ مُلوكِ حِميَرَ بِكِتابِهِم]

وَقَدِمَ على رسولِ الله ﷺ [كِتابُ] مُلوكِ حِميَرَ ، مَقْدَمَه من تَبوكَ ، ورسولُهم إلَيه بإسلامِهِم الحارِثُ بنُ عبدِ كُلالٍ ، [ونُعَيْمُ بنُ عبدِ كُلالٍ] ، والنّعمانُ قَيْلُ ذي رُعَيْنٍ ومَعافِرَ وهَمدانَ ؛ وبَعَثَ إلَيه زُرْعَةُ ذُو يَزَنٍ مالِكَ ابنَ مُرّةَ الرّهاويّ بإسلامِهِم ومُفارَقَتِهم الشّرْكَ وأهلَه . فَكَتَبَ إلَيهم رسولُ الله ﷺ : [1]

---

[1] الصواب فيه مرسل ولفقراته شواهد في الصحيح والسنن : رواه عبد الرزاق في المصنف [٦٧٩٣] عن معمر عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً . ورواه مالك في الموطأ كتاب العقول [٨٤٩/٢] ومن طريقه النسائي [٦٠/٨] والدارقطني [١/ ١٢١ ، ١٢٢] والبيهقي في سننه [٧٣/٨] من طريقه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً . ورواه ابن أبي شيبة ....=

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مُحَمَّدٍ رسولِ الله النّبيّ ، إلى الحارثِ بنِ عبدِ كُلالٍ ، وإلى نُعَيمِ بنِ عبدِ كُلالٍ ، وإلى النّعمانِ قَيْلِ ذي رُعَيْنٍ ومَعافِرَ وهَمدانَ . أمّا بَعْدُ ذَلِكُمْ فإنّي أحْمَدُ إليكُم اللهَ الذي لا إلهَ إلاّ هُوَ أمّا بَعْدُ فإنّه قد وقَعَ به رسولُكُمْ مُنقَلَبنا من أرضِ الرّوم فلَقِينا بالمَدينةِ ، فبَلّغَ ما أرسَلْتُم به وخَبّرَ ما قَبْلَكُم وأنبَأنا بإسلامِكُمْ وقَتْلِكُم المُشْرِكينَ وأنّ اللهَ قد هَداكُم بِهُداه إن أصْلَحْتُم وأطَعْتُم اللهَ ورسولَه وأقمتُم الصّلاةَ وآتَيْتُم الزّكاةَ وأعْطَيْتُم من المَغانِمِ خُمُسَ الله وسَهْمَ الرّسُولِ وصَفيّه وما كُتِبَ على المُؤْمنينَ من الصّدَقَةِ من العَقارِ عُشْرَ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ السّماءُ وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نِصْفُ العُشْرِ وأنّ في الإبِلِ الأرْبَعينَ ابنَةَ لَبونٍ وفي ثَلاثينَ من الإبلِ ابنُ لَبونٍ ذَكَرٍ وفي كُلّ خُمُسٍ من الإبِلِ شاةٌ وفي كُلّ عَشْرٍ من الإبِلِ شاتانِ وفي كُلّ أرْبَعينَ من البَقَرِ بَقَرَةٌ وفي كُلّ ثَلاثينَ من البَقَرِ تَبيعٌ جَذَعٌ أوْ جَذَعَةٌ وفي كُلّ أرْبَعينَ من الغَنَمِ سائِمَةٌ وحْدَها شاةٌ ، وأنّها فَريضَةُ الله التي فَرَضَ على المُؤْمنينَ في الصّدَقَةِ فَمَن زادَ خَيْرًا فهو خَيْرٌ له ومَن أدّى ذلك وأشْهَدَ على إسلامِه وظاهَرَ المُؤْمنينَ على المُشْرِكينَ فإنّه من المُؤْمنينَ له ما لهم وعليه ما عليهِم ولَه ذِمّةُ الله وذِمّةُ رسولِه وإنّه مَن أسْلَمَ من يَهُوديّ أوْ نَصْرانيّ فإنّه من المُؤْمنينَ له ما لهم وعليه ما عليهِم ومَن كان على يَهُوديّتِه أوْ نَصْرانيّتِه فإنّه لا يُرَدّ عنها ، وعليه الجِزْيَةُ على كُلّ حالٍ ذَكَرٍ أوْ أُنثَى ، حُرّ أوْ عبدٍ دينارٌ وافٍ من قيمَةِ المَعافِرِ أوْ عِوَضُه ثيابًا ، فَمَن أدّى ذلك إلى رسولِ الله ﷺ فإنّ له ذِمّةُ الله وذِمّةُ رسولِه ، ومَن مَنَعَه فإنّه عَدُوّ لِله ولِرسولِه . أمّا بَعْدُ فإنّ رسولَ الله مُحَمّدًا النّبيّ أرْسَلَ إلى زُرْعَةَ ذي يَزَنٍ أن إذا أتاكُم رُسُلي فأُوصيكُم بِهِم خَيْرًا : مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، وعبدُ الله بنُ زَيْدٍ ، ومالِكُ بنُ عُبادَةَ ، وعُقْبَةُ بنُ نَمِرٍ ومالِكُ بنُ مُرّةَ وأصْحابُكُمْ وأن اجْمَعُوا ما عندكُم من الصّدَقَةِ والجِزْيَةِ من مُخاليفِكُمْ وأبْلِغُوها رُسُلي ، وأنّ أميرَهم مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، فلا يَنْقَلِبَنّ إلاّ راضيًا ،أمّا بَعْدُ . فإنّ مُحَمّدًا يَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاّ الله وأنّه عبدُه ورسولُه ثُمّ إنّ مالِكَ بنَ مُرّةَ الرّهاويّ قد حَدّثَني أنّك أسْلَمتَ

= مختصرًا [١٥٩/٩] والدارقطني [١٢٢/١] والبيهقي في سننه [٨٧/٨ ، ٨٨] وقد روي موصولاً من رواية الحكم بن موسى عن سليمان بن داود عن الزهري أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده . رواه أبو داود في المراسيل [٢٥٩] والنسائي [٥٧/٨] والدارمي [١٨٨/٢ ، ١٨٩] والدارقطني [٢٢/١] والبيهقي في سننه [٨٧/١ ، ٨٨] [٢٥/٨ ، ٢٨] وابن حبان [٦٥٥٩] عن الحكم له . وعلته سليمان وهو ابن أرقم وليس ابن داود قاله الحفاظ . وابن أرقم : متروك الحديث . قال أبو داود بعد إخراجه : أسند هذا ، ولا يصح ، رواه يحيى بن حمزة عن سليمان بن أرقم عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ... قال : والذي قال : سليمان بن داود وهم فيه ثم ذكر سنده عن الحكم فيه قال : وهم فيه الحكم . وكذلك قال النسائي بعد أن أورده بالإسنادين من رواية الحكم بن موسى عن سليمان بن داود ورواية يحيى بن حمزة عن سليمان بن أرقم . قال : وهذا أشبه بالصواب وسليمان بن أرقم : متروك الحديث . وكذلك قال أبو زرعة وأبو حاتم والذهبي والحافظ ابن حجر .

مِن أوّلِ حِميَرَ ، وقَتَلْتَ المُشْرِكينَ فَأَبْشِرْ بِخَيْرٍ وآمُرُكَ [١٠٢/ب]بِحِمْيَرَ خَيْرًا ، ولا تَخُونُوا ولا تَخاذَلُوا ، فإنّ رسولَ الله هُوَ مولىَ غَنيّكُم وفقيرِكُم وأنّ الصّدَقَةَ لا تَحِلّ لِمُحَمّدٍ ولا لأهلِ بَيْتِه إنّما هيَ زَكاةٌ يُزَكّى بها على فُقَرائكم المُسْلِمِينَ وابنِ السّبيلِ وأنّ مالِكًا قد بَلّغَ الخَبَرَ ، وحَفِظَ الغَيْبَ وآمُرُكُم به خَيْرًا ، وإنّي قد أرْسَلْتُ إلَيْكُمْ من صالِحِي أهلِي وأُولي دينِهِم وأُولي عِلْمِهِم وآمُرُك بِهِم خَيْرًا ، فإنّهم مَنْظُورٌ إلَيْهِم والسّلامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه .

[وَصيةُ الرّسولِ مُعاذًا حينَ بَعَثَه إلى اليَمَنِ]

قال ابنُ إسحاقَ :(١) وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنّه حُدّثَ أنّ رسولَ الله ﷺ حينَ بَعَثَ مُعاذًا ، أوْصاه وعَهِدَ إلَيْه ثُمّ قال له : **«يَسّرْ ولا تُعَسّرْ وبَشّرْ ولا تُنَفّرْ وإنّكَ سَتَقْدَمُ على قَوْمٍ من أهلِ الكِتابِ يَسْألُونَكَ ما مِفْتاحُ الجَنّةِ فَقُلْ شَهادَةُ أن لا إلَهَ إلاّ الله وحْدَه لا شَريكَ له»** قال : فَخَرَجَ مُعاذٌ حتى إذا قَدِمَ اليَمَنَ فأقامَ بها ما أمَرَه به رسولُ الله ﷺ فأتَتْه امرأةٌ من أهلِ اليَمَنِ ، فقالتْ يا صاحِبَ رسولِ الله ما حَقّ زَوْجِ المَرْأةِ عليها ؟ قال : ويْحَكِ إنّ المَرْأةَ لا تَقْدِرُ على أن تُؤَدّيَ حَقّ زَوْجِها ، فأجْهِدي نَفْسَكِ في أداءِ حَقّه ما اسْتَطَعْتِ ، قالتْ : والله لَئِن كُنْتَ صاحِبَ رسولِ الله ﷺ إنّكَ لَتَعْلَمُ ما حَقّ الزّوْجِ على المَرْأةِ . قال : ويْحَكِ لَوْ رَجَعْتِ إلَيْه فَوَجَدْتِه تَنْثَعِبُ مَنْخِراه قَيْحًا ودَمًا ، فَمَصَصْتِ ذلك حتى تُذْهِبِيه ما أدّيْتِ حَقّه .

---

(١) حسن بشواهده :إسناد ابن إسحاق مرسل . أما لفظ «يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر» هذا اللفظ متفق عليه . رواه البخاري [٤٣٤١ ، ٤٣٤٢] ومسلم [١٧٣٤] **[ولفظ «مفتاح الجنة لا إله إلا الله»]** . رواه أحمد [٢٤٢/٥] . وعزاه للبزار البيهقي في الشعب والحافظ ابن حجر . وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ . وسنده ضعيف ومنقطع . فيه إسماعيل بن عياش روايته ضعيفة في غير أهل بلده ، وشهر لم يسمع معاذ ورواه الخطيب في تاريخ بغداد [٤٣٥/٨] من رواية ركن بن عبد الله الدمشقي عن مكحول عنه . وركن : متروك . وله شاهد من قول وهب بن منبه علقه البخاري في الصحيح أول الجنائز ووصله في التاريخ [٩٥/١] . **[أما قصة المرأة مع معاذ رضي الله عنه]** فوصلها الإمام أحمد [٢٣٩/٥] من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عائذ الله أبي إدريس الخولاني عن معاذ . مثله . قلت : وإجابة معاذ للمرأة (لو رجعت إليه فوجدته ... إلى آخره . مروي مرفوعًا وهو حسن بمجموع طرقه وهي : طريق أنس : رواه أحمد [١٥٨/٣] والبزار كشف الأستار [٢٤٥٤] والنسائي في الكبرى [٩١٤٧] مختصرًا . من رواية خلف بن خليفة بن حفص ابن أخي أنس . عن أنس قال الهيثمي في المجمع [٤١٩] : رجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة . قال الحافظ : صدوق ، ومن طريق أبي سعيد الخدري ، رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٣٩٦/٣] والبزار كشف الأستار [١٤٦٥] وابن حبان في صحيحه [٤١٦٤] والحاكم [١٨٨/٢] وفي سنده ربيعة بن عثمان . متكلم فيه وثقة ابن معين . وقال النسائي : لا بأس به . وقال أبو حاتم : منكر الحديث يكتب حديثه . وأخرج له مسلم . ومن طريق أبي هريرة . رواه البزار كشف الأستار [١٤٦٦] والحاكم [١٧٢/٤] وفيه سليمان بن داود اليمامي . ضعيف . قلت : فالحديث بهذه الطرق يُحسن إن شاء الله .

[إسلامُ فَرْوَةَ بن عَمْرٍو الجُذامِيّ]

قال ابنُ إسحاقَ : [١] وبَعَثَ فَرْوَةُ بنُ عمرِو النَّافِرَةَ الجُذاميّ ثُمَ النفاثيّ إلى رسولِ الله ﷺ رسولاً بإسلامِه وأهدَى له بَغْلَةً بَيْضاءَ وكان فَرْوَةُ عامِلاً لِلرّومِ على مَن يَليهِم من العَرَبِ ، وكان مَنْزِلُه مُعانٍ وما حَوْلَها من أرضِ الشّام .

فَلَمّا بَلَغَ الرّومَ ذلك من إسلامِه طَلَبوه حتى أخَذُوه فَحَبَسُوه عندهم فقال في مَحْبِسِه ذلك :

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِنا أَصْحـــابِي والرّومُ بَيْنَ البابِ والقِـرْوانِ

صَدّ الخَيَالُ وساءَه مــا قد رَأى وَهَمَمتُ أن أُغْفِي وقد أبْكَاني

لا تَكْحَلِنّ العَيْنَ بَعْـــدِي إثْمِدًا سَلْمَى ولا بد مـــنَ للأَيْتانِ

وَلَقد عَلِمــتَ أبـــا كُبَيْشَةَ أَنّني وَسْطَ الأعِزّةِ لا يُحَصَ لِساني

فَلَئِن هَلَـكـتُ لَتَفْقِدُنّ أخـــاكُمُ وَلَئِن بَقيتُ لَتَعْرِفُنّ مَكـــاني

وَلَقد جَمَعْتُ أجَلّ ما جَمَعَ الفَتَى مـــن جَوْدَةٍ وشَجاعَةٍ وبَيانِ

فَلَمّا أجْمَعَتِ الرّومُ على صَلْبه على ماءٍ لهم يُقالُ له عَفْراءُ بِفِلَسْطينَ قال :

ألا هَـلْ أَتَى سَلْمَى بأنّ خليلَها على ماءِ عَفْرا فَوْقَ إحْدَى الرّواحِلِ

على ناقةٍ لَم يَضْرِبِ الفَحْلُ أُمّها مُشَذّبَةٌ أطْـــرافُهـــا بـالمَنـــاجِلِ

فَزَعَمَ الزّهريّ ابنُ شِهابٍ ، أنّهم لَمّا قَدّمُوه ليَقْتُلُوه قال :

بَلّغ سَراةَ المُسْلِمينَ بأنّني سَلْمٌ لِرَبّي أعْظُمي ومَقامي

ثُمّ ضَرَبوا عُنُقَه وصَلَبوه على ذلك الماءِ [يَرْحَمُه الله تَعالى] .

[إسلامُ بني الحارِثِ بن كَعْبٍ على يَدَيْ خالِدِ بن الوَليدِ لَمّا سارَ إليْهِم]

قال ابنُ إسحاقَ : [٢] ثُمّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ خالِدَ بنَ الوَليدِ ، في شَهْرِ رَبيعٍ الآخِرِ أو جُمادَى الأُولَى ، سَنَةَ عَشْرٍ إلى بني الحارِثِ بن كَعْبٍ بِنَجْرانَ وأمَرَه أن يَدْعُوَهم إلى الإسلامِ قَبْلَ أن يُقاتِلَهم ثَلاثًا ، فإن اسْتَجابوا فاقْبَلْ منهم وإن لَم يَفْعَلُوا فقاتِلْهم . فَخَرَجَ خالِدٌ حتى قَدِمَ عليهم فَبَعَثَ الرّكْبانُ يَضْرِبونَ في كُلّ وجْهٍ ويَدْعُونَ إلى الإسلامِ ويقولونَ أيّها النّاسُ أسْلِمُوا تَسْلَمُوا .

---

(١) مرسل : رواه البيهقي عن ابن إسحاق في الدلائل [٤٠٩/٥] .

(٢) مرسل : رواه الطبري [١٩٤/٢] في تاريخه ، والبيهقي دلائل [٤١١/٥ ، ٤١٢] من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عند الطبري .

فَأَسلَمَ النَاسُ ودَخَلُوا فيما دُعُوا إليه فأقامَ فيهم خالِدٌ يُعَلِّمُهم الإسلامَ وكتابَ الله تعالى وسُنّةَ نَبيِّه ﷺ وبذلك كان أمَرَه رسولُ الله ﷺ إن هم أسلَمُوا ولَمْ يُقاتِلُوا .

ثُمَّ كَتَبَ خالِدُ بنُ الوَليدِ إلى رسولِ الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبى رسول الله ﷺ من خالِدِ بنِ الوَليدِ ، السلامُ عَلَيْكَ يا رسولَ الله ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه فإنّي أحْمَدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلَهَ إلاّ هُوَ أمّا بَعْدُ يا رسولَ الله صَلّى الله عَلَيْك ، فإنك بَعَثْتني إلى بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ وأمَرْتني [١٠٣/أ]إذا أتَيْتهم ألاّ أُقاتِلهم ثَلاثَةَ أيّام وأن أدْعُوَهم إلى الإسلام فإن أسلَمُوا [أقَمت فيهم] وقَبِلْت منهم وعَلّمتهم مَعالِمَ الإسلامِ وكِتابَ الله وسُنّةَ نَبيّه ، وإن لَم يُسْلِمُوا قاتَلْتهم . وإنّي قَدِمت عليهم فَدَعَوْتهم إلى الإسلام ثَلاثَةَ أيّام كَما أمَرَني رسولُ الله ﷺ وبَعَثْت فيهم رُكْبانًا ، [قالُوا] : يا بني الحارِثِ أسلِمُوا تُسلَمُوا ، [فأسلَمُوا] ولَم يُقاتِلُوا ، وأنا مُقيمٌ بَيْنَ أظْهُرِهِم آمُرُهم بما أمَرَهم الله تعالى به وأنهاهم عمّا نَهاهم الله تعالى عنه وأُعَلّمُهم مَعالِمَ الإسلام وسُنّةَ النّبيّ ﷺ حتى يَكْتُبَ إليّ رسولُ الله ﷺ والسّلامُ عَلَيْك يا رسولَ الله ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه .

فَكَتَبَ إليه رسولُ الله ﷺ بِسْمِ الله الرّحْمَنِ الرّحيمِ مِن مُحَمّدٍ النّبيّ رسولِ الله إلى خالِدِ بنِ الوَليدِ . سَلامٌ عَلَيْكَ ، فإنّي أحْمَدُ إلَيْكَ اللهَ الذي لا إلَهَ إلاّ هُوَ . أمّا بَعْدُ فإنّ كِتابَكَ جاءَني مع رسولِكَ تُخْبِرُ أنّ بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ قد أسلَمُوا قَبْلَ أن تُقاتِلهم وأجابوا إلى ما دَعَوْتهم إليه من الإسلامِ وشَهِدُوا أن لا إلَهَ إلاّ الله وأنّ مُحَمّدًا عبدُ الله ورسولُه وأن قد هَداهم الله بِهُداه فَبَشّرْهم وأنْذِرْهم وأقْبِلْ ولْيَقْبِلْ مَعَكَ وفْدُهم والسّلامُ عَلَيْكَ ورَحْمَةُ الله [وبَرَكاتُه] .

[قدوم خالد مع وفدهم على الرسول] :

فأقْبَلَ خالِدُ بن الوليد إلى رسولِ الله ﷺ وأقْبَلَ مَعَه وفْدُ من بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ منهم قَيْسُ بنُ الحُصَيْنِ ذي الغُصّةِ ، ويَزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ ، ويَزيدُ بنُ المُحَجّلِ ، وعبدُ الله بنُ قُرادٍ الزِيادِيّ ، وشَدّادُ بنُ عبدِ الله القَنانِيّ ، وعمرُو بنُ عبدِ الله الضِّبابيّ .

[حديث وفدهم مع الرسول] :

فَلَمّا قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ فَرَآهم قال مَن هَؤُلاءِ القَوْمُ الذينَ كأنّهم رِجالُ الهِنْدِ ، قيلَ يا رسولَ الله هَؤُلاءِ [رِجالُ] بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ فَلَمّا وقَفُوا على رسولِ الله ﷺ سَلّمُوا عليه وقالُوا : نَشْهَدُ أنّك رسولُ الله وأنّه لا إلَهَ إلاّ الله قال رسولُ الله ﷺ وأنا أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاّ الله وأنّي رسولُ الله ثُمّ قال رسولُ الله ﷺ أنتُم الذينَ إذا زُجِرُوا اسْتُقْدِمُوا ، فَسَكَتُوا ، فَلَم يُراجِعْه منهم أحَدٌ ، ثُمّ أعادَها الثانيَةَ فَلَم يُراجِعْه منهم أحَدٌ ، ثُمّ أعادَها الثالِثَةَ فَلَم يُراجِعْه منهم أحَدٌ ، ثُمّ أعادَها الرّابِعَةَ فَقالَ يَزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ : نَعَم يا رسولَ الله نَحنُ الذينَ إذا زُجِرُوا

اسْتُقْدِمُوا ، قالها أَرْبَعَ مِرارٍ فَقال رسولُ الله ﷺ لَوْ أنّ خالِدًا لَم يَكْتُبْ إلَيّ أنّكُم أسلَمتُم ولَم تُقاتِلُوا ، لأَلْقَيْت رُءُوسَكُم تَحْتَ أقْدامِكُم فَقال يَزيدُ بنُ عبدِ المَدانِ : أما والله ما حَمِدْناك ولا حَمِدْنا خالِدًا ، قال فَمَن حَمِدْتُم ؟ قالُوا : حَمِدْنا اللهَ عَزّ وجَلّ الذي هَدانا بِك يا رسولَ الله قال صَدَقْتُم . ثُمّ قال رسولُ الله ﷺ بِمَ كُنْتُم تَغْلِبونَ مَن قاتَلَكُم في الجاهِليّةِ ؟ قالُوا : لَم نَكُن نَغْلِبُ أحَدًا ، قال بَلَى ، قد كُنتُم تَغْلِبونَ مَن قاتَلَكُم قالُوا : كُنّا نَغْلِبُ مَن قاتَلَنا يا رسولَ الله إنّا كُنّا نَجْتَمِعُ ولا نَفْتَرِقُ ولا نَبْدَأُ أحَدًا بِظُلْمٍ قال صَدَقْتُم وأمّرَ رسولُ الله ﷺ على بني الحارِثِ بنِ كَعْبٍ قَيْسَ بنَ الحُصَيْنِ . فَرَجَعَ وفْدُ بني الحارِثِ إلى قَوْمِهِم في بَقيّةٍ من شَوّالٍ أوْ في صَدْرِ ذي القَعْدَةِ فَلَم يَمكُثُوا بعد أن رَجَعُوا إلى قَوْمِهِم إلاّ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ حتى تُوُفّيَ رسولُ الله ﷺ [ورَحِمَ وبارَكَ ورَضِيَ وأنعمَ] وَقد [(١)] كان رسولُ الله ﷺ وقد بَعَثَ إلَيْهِم بعد أن ولّى وفْدُهم عمرَو بنَ حَزْمٍ ، لِيُفَقّهَهم في الدّينِ ويُعَلّمَهم السّنّةَ ومَعالِمَ الإسلامِ ويَأْخُذُ منهم صَدَقاتِهِم وكَتَبَ له كِتابًا عَهِدَ إلَيْهِ فيه عَهْدَه وأمَرَه فيه بِأمرِه .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بَيانٌ من الله ورسوله يَأيّها الذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودِ عَهْدٌ من مُحَمّدٍ النّبيّ رسولِ الله لِعمرِو ابنِ حَزْمٍ حينَ بَعَثَه إلى اليَمَنِ ، أمَرَه بِتَقْوَى الله في أمرِه كُلّه فَإنّ اللهَ مع الذينَ اتّقَوْا والذينَ هم مُحْسِنُونَ وأمَرَه أن يَأْخُذَ بِالحَقّ كَما أمَرَه الله وأن يُبَشّرَ النّاسَ بِالخَيْرِ ويَأْمُرَهم به ويُعَلّمَ النّاسَ القُرْآنَ ويُفَقّهَهم فيه ويَنْهَى النّاسَ فَلا يَمَسّ القُرْآنَ إنسانٌ[١٠٣/ب] إلاّ وهو طاهِرٌ ويُخْبِرَ النّاسَ بِالذي لهم والذي عليهم ويَلينَ لِلنّاسِ في الحَقّ ويَشْتَدّ عليهم في الظّلْمِ فَإنّ اللهَ كَرِهَ الظّلْمَ ونَهَى عنه فَقال ﴿أَلا لَعْنَةُ الله على الظّالِمينَ﴾ [هود/١٨] وَيُبَشّرَ النّاسَ بِالجَنّةِ وبِعمَلِها ، ويُنْذِرَ النّاسَ النّارَ وعمَلَها ، ويَسْتَأْلِفَ النّاسَ حتى يُفَقّهُوا في الدّينِ ويُعَلّمَ النّاسَ مَعالِمَ الحَجّ وسُنّتَه وفَريضَتَه وما أمَرَ الله تعالى به والحَجّ الأكْبَرَ والحَجّ الأصْغَرَ هُوَ العُمْرَةُ . ويَنْهَى النّاسَ أن يُصَلّيَ أحَدٌ في ثَوْبٍ واحِدٍ صَغيرٍ إلاّ أن يَكُونَ ثَوْبًا يُثْني طَرَفَيْه على عاتِقَيه ويَنهى النّاسَ أن يَحْتَبِيَ أحَدٌ في ثَوْبٍ واحِدٍ يُفْضي بِفَرْجِه إلى السّماءِ ويَنْهَى أن يُعَقّصَ أحَدٌ شَعَرَ رَأْسِه في قَفاه ويَنْهَى إذا كان بَيْنَ النّاسِ هَيْجٌ عن الدّعاءِ إلى القَبائِلِ والعَشائِرِ ولْيَكُن دَعْواهم إلى الله عَزّ وجَلّ وحْدَه لا شَريكَ له فَمَن لَم يَدْعُ إلى الله ودَعا إلى القَبائِلِ والعَشائِرِ فَلْيُقْطَفُوا بِالسّيْفِ حتى تَكُونَ دَعْواهم إلى الله وحْدَه لا شَريكَ له ويَأْمُرُ النّاسَ بِإسباغِ الوُضُوءِ وُجُوهَهم وأيْديَهم إلى المَرافِقِ وأرْجُلَهم إلى الكَعْبَيْنِ ويَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِم كَما أمَرَهم الله عز وجل وإقامِ الصّلاةِ لِوَقْتِها ، وإتْمامِ الرّكُوعِ [والسّجُودِ] والخُشُوعِ ويُغَلّسُ بِالصّبْحِ

(١) سبق تخريجه والحكم عليه ص ٥٠٤ .

ويُهَجِرُ بالهاجِرَةِ حينَ تَميلُ الشَمسُ وصَلاةُ العَصْرِ والشَمسُ في الأرْضِ مُدْبِرَةٌ والمَغْرِبُ حينَ يَقْبَلُ اللّيلُ لا يُؤَخِّرُ حتى تَبْدُوَ النّجُومُ في السّماءِ والعِشاءُ أوّلَ اللّيلِ وأمَرَ بالسّعْيِ إلى الجُمُعَةِ إذا نُودِيَ لها ، والغُسْلِ عند الرَّواحِ إليْها ؛ وأمَرَه أن يَأْخُذَ من المَغانِمِ خُمُسَ الله وما كُتِبَ على المُؤْمِنينَ في الصّدَقَةِ من العَقارِ عُشْرَ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ السّماءُ وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نِصْفَ العُشْرِ وفي كُلّ عَشْرٍ من الإبلِ شاتانِ وفي كُلّ عِشْرينَ أرْبَعُ شياهٍ وفي كُلّ أرْبَعينَ من البَقَرِ بَقَرَةٌ وفي كُلّ ثَلاثينَ من البَقَرِ تَبيعٌ جَذَعٌ أوْ جَذَعَةٌ وفي كُلّ أرْبَعينَ من الغَنَمِ سائِمَةٌ وحْدَها شاةٌ فإنّها فَريضَةُ الله التي افْتَرَضَ على المُؤْمنينَ في الصّدَقَةِ فَمَن زادَ خَيْرًا فهو خَيْرٌ له وأنّه مَن أسْلَمَ من يَهُوديّ أوْ نَصْرانيّ إسلامًا خالِصًا من نَفْسِه ودانَ بِدينِ الإسلامِ فإنّه من المُؤْمنينَ له مِثْلُ ما لهم وعليه مِثْلُ ما عليهم ومَن كان على نَصْرانيّتِه أوْ يَهُوديّتِه فإنّه لا يُرَدّ عنها ، وعلى كُلّ حالِمٍ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى ، حُرّ أوْ عبدٍ دينارٌ وافٍ أوْ عِوَضُه ثيابًا . فَمَن أدّى ذلك فإنّ له ذِمّةَ الله وذِمّةَ رسولِه ومَن مَنَعَ ذلك فإنّه عَدُوّ لله ولرسوله وللمُؤْمنينَ جَميعًا ؛ صَلَواتُ الله على مُحَمّدٍ والسّلامُ عليه ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه .

[قُدُومُ رِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ الجُذاميّ]

وَقَدِمَ [1] على رسولِ الله ﷺ في هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَةِ ، قَبْلَ خَيْبَرَ ، رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ الجُذاميّ ثُمّ الضّبَيْبِيّ فأهْدَى لِرسولِ الله ﷺ غُلامًا له ، وأسْلَمَ ، فَحَسُنَ إسلامُه وكَتَبَ له رسولُ الله ﷺ كِتابًا إلى قَوْمِه . وفي كِتابِه بِسْمِ الله الرّحْمَنِ الرّحيمِ هذا كِتابٌ من مُحَمّدٍ رسولِ الله لِرِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ . إنّي بَعَثْتُه إلى قَوْمِه عامّةً ومَن دَخَلَ فيهم يَدْعُوهم إلى الله وإلى رسولِه فَمَن أقْبَلَ منهم فَفي حِزْبِ الله وحِزْبِ رسولِه ومَن أدْبَرَ فَلَه أمانُ شَهْرَيْنِ ، فَلَمّا قَدِمَ رِفاعَةُ على قَوْمِه أجابوا وأسْلَمُوا ، ثُمّ ساروا إلى الحَرّةِ : حَرّةِ الرّجْلاءِ ، ونَزَلُوها .

[قُدُومُ وفْدِ هَمْدانَ]

قال ابنُ هشامٍ : [2] وقَدِمَ وفْدُ هَمدانَ على رسولِ الله ﷺ فيما حَدّثَني مَن أثِقُ به عن عمرِو بنِ عبدِ الله بنِ أُذَيْنَةَ العبديّ عن أبي إسحاقَ السّبيعيّ قال قَدِمَ وفْدُ هَمدانَ على رسولِ الله

---

(١) مرسل : رواه الطبراني في الكبير [٤٥٦٢] ، وله شاهد في الصحيحين على قدوم رفاعة إلى النبي ﷺ قبل خيبر وفيه إهداءه للنبي الغلام واسمه مدعم . وقد أصابه سهم يوم خيبر فقال الناس هنيئًا له الشهادة فقال النبي ﷺ : إن الشملة التي أخذها من المغانم لتشتعل عليه نارًا . رواه البخاري [٤٢٣٤] ومسلم [١١٥] من حديث أبي هريرة وفي رواية مسلم تسمية رفاعة بن زيد الجذامي رضي الله عنه .

(٢) مرسل ضعيف : فيه إبهام من حدث ابن هشام ، ووصله ابن سعد في الطبقات عن محمد بن علي القرشي بأسانيد مرسلة وقد سبق ذكره قبل ، نحوه .

ﷺ منهم مالِكُ بنُ نَمَطٍ وأبو ثَوْرٍ ، وهو ذُو المِشْعارِ ومالِكُ ابنُ أيفَعَ وضِمامُ بنُ مالِكٍ السَّلْمانِيّ وعميرَةُ بنُ مالِكٍ الخارِفِيّ فَلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَه من تَبوكَ وعليهم مُقَطّعاتُ الحِبَرَاتِ والعمائِمُ العَدَنيّةُ بِرِحالِ المَيْسِ على المَهْرِيّة والأَرْحَبِيّة [١٠٤/أ] ومالِكُ بنِ نَمَطٍ ورَجُلٍ آخَرَ يَرْتَجِزانِ بِالقَوْمِ يقول أحَدُهما :

همْـــدانُ خَيْرٌ سُوقَةٌ وأَقْيال ... ليس لها في العالمينَ أمثال

مَحَلّها الهَضبُ ومنها الأبطال ... لَهـــا إطاباتٌ بِهـــا وآكال

وَيقول الآخَرُ :

أولَئِكَ جاَزُونَ سَوادَ الرّيفِ ... في هَبَواتِ الصّيفِ والخَرِيفِ

مُخَطّماتٍ بِحِبالِ اللّيفِ

فَقامَ مالِكُ بنُ نَمَطٍ بَيْنَ يَدَيْه فقال يا رسولَ الله نَصِيةٌ من همْـدانَ ، من كُلّ حاضِرٍ وبادٍ أتَوْك على كل قُلُصٍ نَواجٍ مُتّصِلَةٌ بِحَبائِلِ الإسلامِ لا تَأْخُذُهم في الله لَوْمَةُ لائِمٍ من مِخْلافِ خارِفٍ ويام وشاكِرٍ أهلُ الوددِ شيخه السّودِ والقَوَدِ أجابوا دَعْوَةَ الرّسُولِ وفارَقُوا الهاتِ الأنصابِ عَهْدُهم لا يُنْقَضُ ما أقامَتْ لَعْلَعُ ، وما جَرَى اليَعْفُورُ بِصَلَعٍ . فَكَتَبَ لهم رسولُ الله ﷺ كِتابًا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كِتابٌ من رسولِ الله [محمد] ، لِمخْلافِ خارِفٍ وأهلِ جَنابِ الهَضْبِ وحِقافِ الرّملِ مع وافِدِها ذي المِشْعارِ مالِكِ بنِ نَمَطٍ ومَن أسْلَمَ من قَوْمِه على أنّ لهم فِراعَها ووِهاطَها ، ما أقامُوا الصّلاةَ وآتَوُا الزّكاةَ يَأْكُلونَ عِلافَها ويَرْعُونَ عافِيَها ، لهم بِذلك عَهْدُ الله وذِمامُ رسولِ الله وشاهِدُهم المهاجِرُونَ والأنصارُ فَقال في ذلك مالِكُ بنُ نَمَطٍ :

ذَكَرْتُ رسولَ الله في فَحْمَةِ الدّجَى ... وَنحن بأعلَى رَحْـرَحانَ وصَـلْـدَدِ

وَهُنّ بِنـا خُـــوصٌ طَلائِحُ تَغْتَلي ... بِـرُكْبـانِها فــي لاحِـــبٍ مُتَمَدّدِ

على كُلّ فَتْـــلاءِ الذّراعَيْنِ جَسْرَةٍ ... تَمُرّ بِـنـا مَـرّ الهِجَـــفّ الخَفَيْدَدِ

حَلَفْتُ بِـــرَبّ الرّاقِصاتِ إلى مِنًى ... صَـــوادِرَ بالرّكْبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ

بأنّ رســـــولَ الله فينـــا مُصَدّقٌ ... رسولٌ أتَى من عِنْدِ ذي العَرْشِ مُهْتَد

فَمـا حَمَلَتْ مــن ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أشَـدّ عـلـى أعْـدائِـه مــن مُحَمّدِ

وَأعْطَى إذا ما طالِبُ العُرْفِ جاءَهُ ... وَأمضَـى بِحَـــدّ المَشْـــرَفِـيّ المُهَنّدِ

[ذكر الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي]

قال ابنُ إسحاق : وقد كان تَكَلَّمَ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ الكَذّابانِ مُسَيْلِمَةُ بنُ حَبيبٍ باليَمامَةِ في بني حَنيفَةَ والأسْوَدُ بنُ كَعْبٍ العَنْسيّ بِصَنْعاءَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) حَدَّثَني يَزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ قُسَيْطٍ عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ أو أخيه سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ عن أبي سَعيدٍ الخُدْريّ قال : سَمِعْت رسولَ الله ﷺ وهو يَخْطُبُ النّاسَ على مِنْبَرِه وهو يقول : أيها النّاسُ إنّي قد رَأيت لَيْلَةَ القدرِ ثُمّ أُنْسيتها ، ورأيت في ذِراعَيّ سِوارَيْنِ من ذَهَبٍ فكَرِهتهما ، فَنَفَحتُهما فَطارا ، فأَوّلْتهما هذَيْنِ الكَذّابَيْنِ صاحِبِ اليَمَنِ ، وصاحِبِ اليَمامَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) وحَدّثني مَن لا أتّهِمُ عن أبي هُرَيْرَةَ أنه قال سَمِعْت رسولَ الله ﷺ يقول : «**لا تَقُومُ الساعَةُ حتى يَخْرُجَ ثَلاثُونَ دَجّالاً ، كُلّهم يَدّعي النّبوّةَ**» .

[خُرُوجُ الأُمَراءِ والعُمّالِ على الصَّدَقاتِ]

قال ابنُ إسحاقَ : وكان رسولُ الله ﷺ قد بَعَثَ أُمَراءَه وعُمّاله على الصّدَقاتِ إلى كُلّ ما أَوْطأَ الإسلامُ من البُلْدانِ فَبَعَثَ المُهاجِرَ بنَ أبي أُمَيّةَ بنَ المُغيرَةِ إلى صَنْعاءَ ، فخَرَجَ عليه العَنْسيّ وهو بها ؛ وبَعَثَ زِيادَ بنَ لَبيدٍ ، أخا بني بَياضَةَ الأنْصاريّ إلى حَضْرَمَوْتَ وَعلى صَدَقاتِها ؛ وبَعَثَ عَديّ بنَ حاتِمٍ على طَيّئٍ وصَدَقاتِها ، وعلى بني أَسَدٍ ؛ وبَعَثَ مالِكَ بنَ نُوَيْرَةَ - قال ابنُ هشامٍ : اليَرْبوعيّ - على صَدَقاتِ بني حَنْظَلَةَ وفَرّقَ صَدَقَةَ بني سَعْدٍ على رَجُلَيْنِ منهم فَبَعَثَ الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ على ناحيَةٍ منها ، وقَيْسَ بنَ عاصِمٍ على ناحيَةٍ وكان قد بَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَميّ على البَحْرَيْنِ ، وبَعَثَ عَليّ بنَ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عليه إلى أهلِ نَجْرانَ ، ليَجْمَعَ صَدَقَتَهم ويَقْدَمَ عليه بِجِزْيَتِهم .

* * *

---

(١) حسن : سند ابن إسحاق حسن ، والحديث رواه البخاري [٤٣٧٤] ومسلم [٢٢٧٤] من حديث أبي هريرة . قال : إن رسول الله ﷺ قال : «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلى في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنس والآخر مسيلمة» . وفي رواية «فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما : صاحب صنعاء وصاحب اليمامة» .

(٢) متفق عليه : سند ابن إسحاق ضعيف فيه مبهم . والحديث رواه البخاري [٣٦٠٩] ، ومسلم [١٥٧] من حديث أبي هريرة .

[كتاب مُسَيْلِمَةَ إلى رسول الله والجواب عنه]

وَقد كان مُسَيْلِمَةُ بنُ حَبيبٍ ، قد كَتَبَ إلى رسولِ الله ﷺ من مُسَيْلِمَةَ رسولِ الله إلى مُحَمَّدٍ رسولِ الله : سَلامٌ عَلَيْك ؛ أمّا بَعْدُ فَإنّي قد أُشْرِكْت [١٠٤/ب] في الأمرِ مَعَك ، وإنّ لَنا نِصْفَ الأرْضِ ولِقُرَيْشٍ نِصْفَها ولَكِنّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ . فَقَدِمَ عليه رسولانِ له بهذا الكِتابِ .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] فَحَدّثَني شيخٌ من أشْجَعَ عن سَلَمَةَ بنِ نُعَيْمِ بنِ مَسْعُودٍ الأشْجَعِيّ ، عن أبيه نُعَيْمٍ قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول لهما حينَ قَرَأ كِتابَه : «**فَمَا تَقُولانِ أنتُمَا ؟**» قالا : نَقُولُ كَمَا قال . فقال : «**أما واللهِ لَوْلا أنّ الرّسُلَ لا تُقْتَلُ لَضَرَبْت أعناقَكُما**» . ثُمّ كَتَبَ إلى مُسَيْلِمَةَ الكذاب : «**بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ من مُحَمّدٍ رسولِ الله ، إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ : السّلامُ على مَن اتّبَعَ الهُدَى . أمّا بعدُ فَإنّ الأرْضَ لله يُورِثُها مَن يُشاءُ من عِبادِه والعاقِبَةُ لِلْمُتّقِينَ**» . وذلك في آخِرِ سَنَةِ عَشْرٍ

حَجّةُ الوَداعِ

قال ابنُ إسحاقَ : فَلَمّا دَخَلَ على رسولِ الله ﷺ ذُو القَعْدَةِ تَجَهّزَ لِلْحَجّ وأَمَرَ النّاسَ بالجَهازِ له .قال ابنُ إسحاقَ : [2] فَحَدّثَني عبدُ الرّحْمَنِ بنُ القاسِمِ ، عن أبيه القاسِمِ بنِ مُحَمّدٍ ، عن عائِشَةَ زَوْجِ النّبيّ ﷺ قالتْ خَرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى الحَجّ لِخَمْسٍ لَيالٍ بَقِينَ من ذي القَعْدَةِ .

قال ابنُ هشامٍ : فاسْتَعْمَلَ على المَدينَةِ أبا دُجانَةَ السّاعِدِيّ ، ويُقالُ سِباعَ ابنَ عُرْفُطَةَ الغِفاريّ .

---

(١) صحيح لغيره : رواه أبو داود [٢٧٦١] والطبري في التاريخ [٢/٢٠٣] والحاكم [٢/١٤٢ - ١٤٣] والبيهقي دلائل [٥/٣٣٢] من طريق ابن إسحاق وصرح بشيخه وهو سعد بن طارق الأشجعي وهذا سند حسن . ومن طريق ابن مسعود ، رواه الطيالسي [١١٦٢] ورواه أحمد [١/٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤٠٤] والنسائي في الكبرى [٨٦٧٦] وأبو داود [٢٧٦٢] والبيهقي في الدلائل [٥/٣٣٢] والدارمي [٢/٢٣٥] وأبو يعلى [٥٠٩٧] من طرق عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود وقد وقع خلاف على عاصم فروي من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مُعَيْز السعدي عن ابن مسعود وابن معيز لم يذكر فيه جرح ولا تعديل . وروي من طريق آخر عن ابن مسعود . قال ابن أبي حاتم في العلل [٩١٠] : سألت أبي عن حديث رواه الثوري عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود فذكره . ورواه أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل عن أبي معيز السعدي عن ابن مسعود . قال أبي الثوري أحفظ من أبي بكر وأرى أن عاصمًا حكى عن أبي وائل أن رجلاً يقال له أبو معيز مر بمسجد بني حنيفة ، فجعل أبو بكر عن ابن معيز ، والثوري أفهم . قلت ومما يرجح رواية الثوري موافقة جماعة له عليها .

(٢) إسناد ابن إسحاق حسن والحديث متفق عليه بمعناه : رواه البخاري [١٥١٦] ومسلم [١٢١١] . بلفظ قالت «خرجنا مع رسول الله ﷺ موافين لهلال ذي الحجة ... .

[ما أمَرَ به الرّسُولُ عائِشَةَ في حَيْضِها] :

قال ابنُ إسحاقَ [(١)] : فَحَدّثَني عبدُ الرّحْمَنِ بنُ القاسِمِ ، عن أبيه [القاسِمِ بن مُحَمّدٍ] ، عن عائِشَةَ ، قالتْ لا يَذْكُرُ ولا يَذْكُرُ النّاسُ إلاّ الحَجّ حتى إذا كانَ بِسَرِفٍ وقد ساقَ رسولُ الله ﷺ مَعَه الهَدْيَ وأشرافٌ من أشرافِ النّاسِ أمَرَ النّاسَ أن يُحِلّوا بِعُمرَةٍ إلاّ مَن ساقَ الهَدْيَ معه قالتْ : وحِضتُ ذلك اليومَ فَدَخَلَ عَلَيّ وأنا أبكي ؛ فَقال : «**ما لَكِ يا عائِشَةُ ؟ ، لَعَلّكِ نُفِستِ ؟**» قالتْ : قلت : نَعم ، والله لَوَدِدت أنّي لَم أخْرُجْ مَعَكُم عامي في هذا السّفَرِ فَقال : «**لا تَقُولِنّ ذلكِ فإنّكِ تَقضِينَ كُلّ ما يَقضِي الحاجّ إلاّ أنّكِ لا تَطُوفينَ بالبَيْتِ**» . قالتْ : ودَخَلَ رسولُ الله ﷺ مَكّةَ ، فَحَلّ كُلّ مَن كان لا هَدْيَ مَعَه وحَلّ نِساؤُه بِعُمرَةٍ فَلَمّا كان يومُ النّحْرِ أُتِيتُ بِلَحْمِ بَقَرٍ كَثيرٍ فَطُرِحَ في بَيْتي ، فَقُلْت : ما هذا ؟ قالُوا : ذَبَحَ رسولُ الله ﷺ عن نِسائِه البَقَرَ حتى إذا كانَتْ لَيْلَةُ الحَصْبَةِ بَعَثَ بي رسولُ الله ﷺ مع أخي عبدِ الرّحْمَنِ بنِ أبي بَكْرٍ فأعْمَرَني من التّنْعيمِ ، مَكان عُمْرَتي التي فاتَتْني .

قال ابنُ إسحاقَ : [(٢)] وحَدّثَني نافِعٌ مَوْلَى عبدِ الله بن عُمَرَ ، عن عبدِ الله ابنِ عُمَرَ ، عن حَفصَةَ ابنَةِ عُمَرَ قالتْ لَمّا أمَرَ رسولُ الله ﷺ نِساءَه أن يُحْلِلْنَ بِعُمرَةٍ قُلْنَ فَما يَمنَعُكَ يا رسولَ الله أن تَحِلّ مَعَنا ؟ فَقال : «**إنّي أهدَيْتُ ولَبّدت ، فَلا أُحِلّ حتى أنْحَرَ هَدْيي**» .

[مُوافاةُ عَليّ في قُفُولِه من اليَمَن رسولَ الله في الحَجّ]

قال ابنُ إسحاقَ : [(٣)] وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ كان بَعَثَ عَليّا رَضِيَ الله عنه إلى نَجْرانَ ، فَلَقِيَه بِمَكّةَ وقد أحْرَمَ فَدَخَلَ على فاطِمَةَ بِنْتِ رسولِ الله ﷺ ورضي عنها ، فَوَجَدَها قد حَلّتْ وتَهَيّأتْ فَقال ما لَكِ يا بِنْتَ رسولِ الله ؟ قالتْ أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نَحِلّ بِعُمرَةٍ فَحَلَلْنا . فقال : ثُمّ أتَى رسولَ الله ﷺ فَلَمّا فَرَغَ من الخَبَرِ عن سَفَرِه قال له رسولُ الله ﷺ : «**انطَلِقْ فَطُفْ بالبَيْتِ ، وحِلّ كَما حَلّ أصْحابُكَ ؟**» قال يا رسولَ الله إنّي أهلَلْتُ كَما أهلَلْتَ فَقال : «**ارْجِعْ فاحْلِلْ كَما حَلّ أصْحابُكَ**» . قال يا رسولَ الله إنّي قلت حينَ

---

(١) إسناد ابن إسحاق حسن : والحديث بنحوه رواه البخاري [١٧٨٦] ، ومسلم [١٢١١] .

(٢) خالف ابن إسحاق الإمام مالك في متن هذا الحديث فرواه البخاري [١٥٦٦] ومسلم [١٢٢٩] بلفظ : عن حفصة قالت : يا رسول الله ، ما شأن الناس حلو بعمرة ولم تحلل أنت من عمرتك ؟ قال : «إني لبدت رأسي وقلدت هديي فلا أحل حتى أنحر» .

(٣) حسن بشواهده : إسناده معضل . رواه الطبري في التاريخ [٢/٢٠٤ - ٢٠٥] وله شاهد من حديث أنس . رواه البخاري [١٥٥٨] ومسلم [١٢٥٠] ومن حديث جابر رواه البخاري [٢٥٠٦] .

أحرمتُ اللهم إني أُهِلّ بما أهَلّ به نبيّك وعبدُك ورسولُك محمّد ﷺ قال : «**فهل معك من هَدْي ؟**» قال لا . فأشركه رسولُ الله ﷺ في هَدْيه وثبَتَ على إحرامِه مع رسولِ الله ﷺ حتى فرَغا من الحجّ ونحَرَ رسولُ الله ﷺ الهَدْيَ عنهما .

[شَكا عَليًا جَنَدُه إلى الرّسولِ لانتزاعِه عنهم حُللاً من بَزّ اليَمَنِ] :

قال ابنُ إسحاقَ : (١) وحَدّثني يَحْيَى بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ الرّحمَنِ بنِ أبي عمرَةَ عن يَزِيدَ بنِ طَلْحَةَ بنِ يَزِيدَ [١٠٥/أ] بنِ رُكانَةَ قال لمّا أقبَلَ عَليّ رَضيَ الله عنه من اليَمَنِ ليَلْقَى رسولَ الله ﷺ بمَكّةَ تَعَجّلَ السير إلى رسولِ الله ﷺ واستَخْلَفَ على جُنْدِه الذينَ مَعَه رَجُلاً من أصْحابه فعَمِدَ ذلك الرّجُلُ فكَسا كُلّ رَجُلٍ من القَوْمِ حُلّةً من البَزّ الذي كان مع عَليّ رَضيَ الله عنه . فلَمّا دَنا جَيْشُه خَرَجَ ليَلْقاهم فإذا عليهم الحُلَلُ قال ويْلَك ما هذا ؟ قال كَسَوْتُ القَوْمَ ليَتَجَمّلُوا به إذا قَدِمُوا في النّاسِ قال ويْلك انزِعْ قبْلَ أن تَنْتَهِيَ به إلى رسولِ الله ﷺ . قال فانْتَزَعَ الحُلَلَ من النّاسِ فرَدّها في البَزّ قال وأظْهَرَ الجَيْشُ شَكْواه لِما صُنِعَ بِهِم .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) فحَدّثني عبدُ الله بنُ عبدِ الرّحمَنِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَزْمٍ عن سُلَيْمانَ بنِ مُحمّدِ ابنِ كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ عن عمّتِه زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ وكانَتْ عند أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ ، عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ قال : اشْتَكَى النّاسُ عَليًا [رِضوانُ الله عليه] فقامَ رسولُ الله ﷺ فينا خَطيبًا ، فسَمِعْته يقول : «**أيها النّاسُ لا تَشْكُوا عَليًا ،فوالله إنّه لأَخْشَنُ في ذاتِ الله أو في سَبيلِ الله [من أن يُشْكَى]**» .

[خُطبَةُ الرّسُولِ في حَجّةِ الوَداعِ] :

قال ابنُ إسحاقَ (٣) : ثُمّ مَضَى رسولُ الله ﷺ على حَجّه فأرَى النّاسَ مَناسِكَهم وأعْلَمَهم سُنَنَ حَجّهِم وخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَه التي بَيّنَ فيها ما بَيّنَ فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه ثُمّ قال «**أيها النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلي ، فإنّي لا أدري لَعَلّي لا ألقاكُم بعد عامي هذا بهذا المَوْقِفِ أبَدًا ؛ أيها النّاسُ إنّ دِماءَكُم وأموالكُم عَلَيْكُم حَرامٌ إلى أن تَلْقَوْا رَبّكُم كحُرْمَةِ يومِكُم هذا ، وكحُرْمَةِ شَهرِكُم هذا ، وإنّكُم**

---

(١) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [٢٠٥/٢] عن ابن إسحاق هكذا . وهذا سند مرسل . وفيه يحيى بن عبد الله وثقه ابن حبان ولم يذكر فيه البخاري جرحًا ولا تعديلاً .

(٢) حسن الإسناد : رواه أحمد [٨٦/٣] والطبري في التاريخ [٢٠٥/٢] والحاكم [١٣٤/٣] وأبو نعيم [٦٨/١] كلهم من طريق ابن إسحاق .

(٣) صحيح بشواهده : سند ابن إسحاق مرسل رواه الطبري عنه [٢٠٥/٢] عن ابن أبي نجيح مرسلاً وشواهده في الصحيح بلفظه تقريبًا من حديث جابر رواه مسلم [١٢١٨] مطولاً والبخاري [١٥٥٧ - ١٦٥١] فقرات منه وقد رويت من حديث أبي بكرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم .

سَتَلْقَوْنَ رَبَّكم فَيَسأَلُكُم عن أعمالِكُم وقد بَلَّغت ، فَمَن كانَت عنده أمانةٌ فَليُؤَدِّها إلى مَن ائتَمَنَه عليها ، وإنّ كُلّ رِبًا مَوْضُوعٌ ولكِن لَكُم رُءُوسُ أموالِكُم لا تَظْلِمُونَ ولا تُظْلَمُونَ . قَضَى الله أنه لا ربا ، وإنّ ربا عَبّاسِ بنِ عبدِ المطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّه وأنّ كُلّ دمٍ كان في الجاهِلِيّةِ مَوْضُوعٌ وإنّ أوّلَ دِمائِكُم أضَعُ دَمُ ابنِ رَبيعَةَ بنِ الحارِثِ بن عبدِ المطّلِبِ ، وكان مُسْتَرْضَعًا في بني لَيْثٍ فَقَتَلَتْه هُذَيْلٌ فهو أوّلُ ما أبدَأُ به من دِماءِ الجاهِلِيّةِ . أمّا بَعْدُ أيها النّاس فإنّ الشّيطانَ قد يَئِسَ من أن يُعْبَدَ بأرْضِكُم هذه أبَدًا ، ولَكِنّه إن يُطَعْ فيما سِوَى ذلك فقد رَضِيَ به مِمّا تَحْقِرُونَ من أعمالِكُم فاحْذَرُوه على دينِكُم أيها النّاس إنّ النّسيءَ زِيادَةٌ في الكُفْرِ يُضَلّ بهِ الذينَ كَفَرُوا ، يُحِلّونَه عامًا ويُحَرّمُونَه عامًا ، لِيُواطِئُوا عِدّةَ ما حَرّمَ الله فَيُحِلّوا ما حَرّمَ الله ويُحَرّمُوا ما أحَلّ الله وإنّ الزّمانَ قد اسْتَدارَ كَهَيْئَتِه يومَ خَلَقَ الله السّمَواتِ والأرْضَ وإنّ عِدّةَ الشّهُورِ عند الله اثنا عَشَرَ شَهرًا ، منها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاثَةٌ مُتَوالِيات ورَجَبُ مُضَرَ ، الذي بَيْنَ جُمادَى وشَعْبانَ . أمّا بَعْدُ أيها النّاس فإنّ لَكُم على نِسائِكُم حَقّا ، ولَهُنّ عَلَيْكُم حَقّا ، لَكُم عليهِنّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُم أحَدًا تَكْرَهُونَه وعليهِنّ أن لا يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ فإن فَعَلْنَ فإنّ اللهَ قد أذِنَ لَكُم أن تَهْجُرُوهُنّ في المَضاجِعِ وتَضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ فإن انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وكُسْوَتُهُنّ بالمَعْرُوفِ واسْتَوْصُوا بالنّساءِ خَيْرًا ، فإنّهُنّ عندكُم عَوانٌ لا يَمْلِكْنَ لأنْفُسِهِنّ شيئًا ، وإنّكُم إنّما أخَذْتُمُوهُنّ بأمانَةِ الله واسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنّ بِكَلِماتِ الله فاعْقِلُوا أيها النّاس قَوْلِي ، فإنّي قد بَلّغت ، وقد تَرَكْت فيكُم ما إن اعْتَصَمتُم به فَلَن تَضِلّوا أبَدًا ، أمرًا بَيّنًا ، كِتابَ الله وسُنّةَ نَبِيّه . أيها النّاس اسْمَعُوا قَوْلِي واعْقِلُوه تَعَلّمُنّ أنّ كُلّ مُسْلِمٍ أخٌ لِلْمُسْلِمِ وأنّ المُسْلِمينَ إخْوَةٌ فلا يَحِلّ لامرِئٍ من مالِ أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيبِ نَفْسٍ [مِنه] فلا تَظْلِمُنّ أنْفُسَكُم اللّهمّ هَلْ بَلّغت ؟ فَذُكِرَ لي أنّ النّاسَ قالُوا : اللّهمّ نَعم . فَقال رسولُ [١٠٥/أ] الله ﷺ : «اللّهمّ اشْهَدْ»

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدّثني يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادِ بن الزبير قال كان الرّجُلُ الذي يَصْرُخُ في النّاسِ يقول رسولُ الله ﷺ وهو مُعْرِفَةٌ رَبيعَة بنُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ . قال : يقول له رسولُ الله ﷺ قُلْ يَأيها النّاسُ إنّ رسولَ الله ﷺ يقول هَل تَدْرُونَ أيّ شَهْرٍ هذا ؟ فَيقول لهم فَيقولونَ : الشّهْرُ الحَرامُ فَيقول : قُلْ لهم إنّ اللهَ قد حَرّمَ عَلَيْكُم دِماءَكُم وأموالَكُم إلى أن تَلْقَوْا رَبّكُم كَحُرْمَةِ شَهْرِكُم هذا ؛ ثُمّ يقول قُلْ يَأيها النّاسُ إنّ رسولَ الله ﷺ يقول

---

(١) مرسل : رواه الطبراني في الكبير [٤٦٠٣] والطبري في التاريخ [٢٠٦/٢] من طريق ابن إسحاق وهذا سند مرسل . ورواه الطبراني موصولاً من حديث ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس في الكبير [١١٣٩٩] والمتن صحيح يشهد له ما قبله . وقد ذكر الحافظ في الإصابة في ترجمة ربيعة أنه ارتد . والله أعلم .

هَلْ تَدْرُونَ أيّ بَلَدٍ هذا ؟ قال فَيَصْرُخُ به قال فَيقولونَ البَلَدُ الحَرامُ ؛ قال فَيقول قُلْ لهم إنّ اللهَ قد حَرّمَ عَلَيْكم دِماءَكُم وأموالكم إلى أن تَلْقَوْا رَبّكم كَحُرْمَةِ بَلَدِكم هذا ؛ قال : ثُمّ يقول قُلْ يا أيّها النّاسُ إنّ رسولَ الله ﷺ يقول هَلْ تَدْرُونَ أيّ يوم هذا ؟ قال : فَيقوله لهم . فَيقولونَ : يومُ الحَجّ الأكْبَرِ قال فَيقول [قُلْ] لهم إنّ اللهَ قد حَرّمَ عَلَيْكم دِماءَكُم وأموالكُم إلى أن تَلْقَوْا رَبّكم كَحُرْمَةِ يومِكُم هذا .

قال ابنُ إسحاقَ : [(١)] حَدّثَني لَيْثُ بنُ أبي سُلَيْم عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ الأشْعَرِيّ عن عَمرِو ابنِ خارِجَةَ قال بَعَثَني عَتّابُ بنُ أسيدٍ إلى رسولِ الله ﷺ في حاجَةٍ ورسولُ الله واقِفٌ بِعَرَفَةَ فَبَلَغْتُه ثُمّ وقَفْت تَحْتَ ناقَةِ رسولِ الله وإنّ لُغامَها لَيَقَعُ على رَأسي ، فَسَمِعْته وهو يقول : «**أيّها النّاسُ إنّ اللهَ قد أدّى إلى كُلّ ذي حَقّ حَقّه وإنّه لا تَجُوزُ وصيّةٌ لِوارثٍ والوَلَدُ لِلْفِراشِ ، ولِلْعاهِرِ الحَجَرُ ، ومَن ادّعَى إلى غَيْرِ أبيه أوْ تَوَلّى غَيْرَ مَواليه فَعليه لَعْنَةُ الله والمَلائِكَةِ والنّاسِ أجْمَعينَ لا يَقْبَلُ الله مِنه صَرْفًا ولا عَدْلاً**» .

قال ابنُ إسحاقَ : [(٢)] وحَدّثَني عبدُ الله بنُ أبي نَجيحٍ : أنّ رسولَ الله ﷺ حينَ وقَفَ بِعَرَفَةَ قال هذا المَوْقِفَ لِلْجَبَلِ الذي هُوَ عليه وكُلّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ . وقال حينَ وقَفَ على قُزَحَ صَبيحَةَ المُزْدَلِفَةِ : هذا المَوْقِفُ وكُلّ المُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ . ثُمّ لَمّا نَحَرَ بِالمَنْحَرِ بِمِنًى قال هذا المَنْحَرُ وكُلّ مِنًى مَنْحَرٌ . فَقَضَى رسولُ الله ﷺ الحَجّ وقد أراهم مَناسِكَهم وأعْلَمَهم ما فَرَضَ الله عليهم من حَجّهم من المَوْقِفِ ورَمْيِ الجِمارِ وطَوافٍ بِالبَيْتِ وما أُحِلّ لهم من حَجّهم وما حُرّمَ عليهم فَكانَتْ حِجّةَ البَلاغِ وحِجّةَ الوَداعِ وذلك أنّ رسولَ الله لَمْ يَحُجّ بعدها .

---

(١) صحيح : رواه عبد الرزاق في مصنفه [١٦٣٠٧] وأحمد [١٨٦/٤ - ٢٣٨] من طريق ليث عن شهر وليث ضعيف وشهر متكلم فيه . وقد وقع خلاف في سنده على شهر فخالف ليثًا قتادة فرواه عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو ابن خارجة ، رواه أحمد [١٨٦/٤ - ١٨٧ وغيرها] وسعيد بن منصور [٤٢٨] والترمذي [٢٢٠٤] والنسائي [٢٤٧/٦] وابن ماجه [٢٧١٢] وأبو يعلي [١٥٠٨] والطبراني في الكبير [٣٣/١٧ ح ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ وغيرها] والبيهقي [٢٦٤/٦] في سننه من طرق عن قتادة به . وروي من طرق أخرى عن عمرو بن خارجة من رواية الحسن عنه . ومن رواية عامر الشعبي عنه رواها الطبراني . قلت : وللحديث شواهد في الصحيحين .

(٢) حسن بشواهده : إسناد ابن إسحاق مرسل رواه عنه ابن جرير الطبري في التاريخ [٢٠٦/٢] ورواه الطبراني في الكبير من طريق ابن إسحاق موصلاً إلى ابن عباس وهو السابق في رقم (١) وسنده رجاله ثقات قاله الهيثمي في المجمع [٢٧١/٣] . وللحديث شاهد في صحيح مسلم من حديث جابر [١٢١٨ مكرر] باب ما جاء أن عرفه كلهما موقف . ومن حديث علي رواه أحمد [٧٥/١ ، ٧٦ وغيرها] وأبو داود [١٩٣٥] والترمذي [٨٨٥] وابن ماجه [٣٠١٠] وسنده لا بأس به من رواية عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ربيعة عن زيد بن علي عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي نحوه . فيه عبد الرحمن ابن الحارث صدوق له أوهام .

[بَعْثُ أُسامَةَ بن زَيدٍ إلى أرْضِ فِلَسْطِين]

قال ابنُ إسحاقَ :(١) ثُمّ قَفَلَ رسولُ الله ﷺ فأقامَ بالمدينةِ بَقيّةَ ذي الحجّةِ والمحَرّم وصَفَرَ وضَرَبَ على النّاسِ بَعْثًا إلى الشّام ، وأمّرَ عليهم أُسامَةَ بنَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ مَوْلاه وأمَرَه أن يُوطِئَ الخَيْلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والداروم من أرْضِ فِلَسْطين ، فَتَجَهّزَ النّاسُ وأَوْعَبَ مع أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ المهاجِرُونَ الأوّلُونَ

[خُرُوجُ رُسُلِ رسولِ الله إلى المُلُوك]

قال ابنُ هشام : وقد كان رسولُ الله ﷺ بَعَثَ إلى المُلُوكِ رُسُلاً من أصحابه وكَتَبَ مَعَهم إلَيْهم يَدْعُوهم إلى الإسْلام .

قال [ابنُ هشام] : حَدّثني مَن أثِقُ به عن أبي بَكْرٍ الهُذَليّ قال : (٢) بَلَغَني أنّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ على أصْحابه ذاتَ يوم بعد عُمْرَتِه التي صُدّ عنها يومَ الحُدَيْبِيَةِ ، فَقال أيها النّاسُ إنّ اللهَ قد بَعَثَني رَحْمَةً وكافّةً فَلا تَخْتَلِفُوا عَلَيّ كَما اخْتَلَفَ الحَوارِيّونَ على عيسَى بنِ مَرْيَمَ ، [١٠٦/أ] فَقال أصْحابُه وكَيْفَ اخْتَلَفَ الحَوارِيّونَ يا رسولَ الله ؟ قال دَعاهم إلى الذي دَعَوْتُكُم إلَيْه فأمّا من بَعَثَه مَبْعَثًا قَرِيبًا فَرَضِيَ وسَلِمَ وأمّا مَن بَعَثَه مَبْعَثًا بَعِيدًا فَكَرِهَ وجْهَه وتَثاقَلَ فَشَكا ذلك عيسَى إلى الله فأصْبَحَ المُتَثاقِلُونَ وكُلّ واحِدٍ منهم يَتَكَلّمُ بِلُغَةِ الأُمّةِ التي بُعِثَ إلَيْها .

فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ رُسُلاً من أصحابه وكَتَبَ مَعَهم كُتُبًا إلى المُلُوكِ يَدْعُوهم فيها إلى الإسلام . فَبَعَثَ دِحْيَةَ بنَ خَلِيفَةَ الكَلْبِيّ إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرّوم ، وبَعَثَ عبدَ الله بنَ حُذافَةَ السّهْمِيّ إلى كِسْرَى مَلِكِ فارِسَ ، وبَعَثَ عمرَو بنَ أُمَيّةَ الضّمْرِيّ إلى النّجاشِيّ مَلِكِ الحَبَشَةِ ، وبَعَثَ حاطِبَ بنَ أبي بَلْتَعَةَ إلى المُقَوْقِسِ ، مَلِكِ الإسكندرية ، وبَعَثَ عمرَو بنَ العاصِ السّهْمِيّ إلى جَيْفَرٍ وعَيّاذٍ ابنَيِ الجُلُنْدَى الأزْدِيّيْنِ مَلِكَيْ عُمانَ : وبَعَثَ سَلِيطَ بنَ عمروٍ أحَدَ بني عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، إلى ثُمامَةَ بنِ أُثالٍ وهَوْذَةَ بنِ عَلِيّ الحَنَفِيّيْنِ مَلِكَيِ اليَمامَةِ ، وبَعَثَ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيّ إلى المُنْذِرِ بنِ ساوَى العبديّ مَلِكَ البَحْرَيْنِ ، وبَعَثَ شُجاعَ بنَ وهْبٍ الأسديّ إلى الحارِثِ بنِ أبي شِمْرٍ الغَسّانِيّ ، مَلِكِ تُخُومِ الشّام . قال ابنُ هشام : بَعَثَ شُجاعَ بنَ وهْبٍ إلى جَبَلَةَ بنِ الأيْهَمِ الغَسّانِيّ

---

(١) بعث أسامة للشام متفق عليه : أورده ابن إسحاق بدون إسناد ، من حديث ابن عمر رواه البخاري [٤٢٥٠] بلفظ : أمر رسول الله ﷺ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته فقال : «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل» .

(٢) سند واهٍ : فيه إبهام من حدث ابن هشام ، وأبو بكر الهذلي متروك .

وبَعَثَ المهاجرَ بنَ أبي أُميّةَ المخزوميّ إلى الحارثِ ابنِ عبدِ كُلالٍ الحِميَريّ ، مَلِكِ اليَمَنِ .

قال ابنُ هشام : أنا نَسيت سَليطًا وثُمامَةَ وهَوْذَةَ والمُنْذِرَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) حَدّثني يَزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ المِصْريّ : أنّه وجَدَ كِتابًا فيه ذِكْرُ مَن بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى البُلْدانِ ومُلوكِ العَرَبِ والعَجَمِ ، وما قال لأصْحابه حينَ بَعَثَهم . قال فَبَعَثْت به إلى مُحمّد بنِ شِهابٍ الزّهْريّ فعَرَفَه وفيه أنّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ على أصْحابه فقال لهم إنّ اللهَ بَعَثَني رَحْمَةً وكافّةً فأدّوا عَنّي يَرْحَمْكُمُ الله ولا تَخْتَلِفُوا عَلَيّ كما اخْتَلَفَ الحَواريّون على عيسَى ابنِ مَرْيَمَ ؛ قالُوا : وكَيْفَ يا رسولَ الله كان اخْتِلافُهم ؟ قال دَعاهم لِمِثْلِ ما دَعَوْتُكُم له فأمّا مَن قَرُبَ به فأحَبّ وسَلّمَ وأمّا مَن بَعُدَ به فكَرِهَ وأبَى ، فَشَكا ذلك عيسَى منهم عيسى ابن مريم إلى الله عز وجل فأصْبَحُوا وكُلّ رَجُلٍ منهم يَتَكَلّمُ بلُغَةِ القَوْمِ الذينَ وُجّهَ إلَيْهم .

قال ابنُ إسحاقَ : وكان مَن بَعَثَ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ عليه السّلامُ من الحَواريّينَ والأتْباعِ الذينَ كانوا بعدهم في الأرْضِ بُطْرُس الحَواريّ ، ومَعَه بولُسُ وكان بولُسُ من الأتْباعِ ولَم يَكُن من الحَواريّينَ إلى رُوميّةَ وأنْدَرائِسُ ومَنْتا إلى الأرْضِ التي يَأْكُلُ أهلُها النّاسَ وتُوماسُ إلى أرْضِ بابِلَ ، من أرْضِ المَشْرِقِ وفيلِيس إلى [أرضِ] قَرْطاجَنّةَ ، وهيَ إفْريقيّةُ ويُحَنّس إلى أفْسُوسَ ، قَرْيَةُ الفِتْيَةِ أصْحابِ الكَهْفِ؛ ويَعْقُوبُسُ إلى أوْرى شَلِمَ وهيَ إيلياءُ ، قَرْيَةُ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وابنُ ثَلْماءَ إلى الأعْرابيّةِ وهيَ أرْضُ الحِجازِ ، وسيمُن إلى أرْضِ البَرْبَرِ ؛ ويَهُوذا ، ولَم يَكُن من الحَواريّينَ جُعِلَ مَكان يُودِسَ .

[ذِكْرُ جُمْلَةِ الغَزَواتِ]

حدثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله قال : حَدّثنا أبو مُحمّد عبدُ المَلِكِ بنُ هشام قال حَدّثنا زِيادُ بنُ عبدِ الله البَكّائيّ عن مُحمّد بن إسحاقَ المُطّلِبيّ : (٢) وكان جَميعُ ما غَزا رسولُ الله ﷺ بنَفْسِه سَبْعًا وعِشْرينَ غَزْوَةً . منها غَزْوَةُ ودّانَ ، وهيَ غَزْوَةُ الأبْواءِ ، ثُمّ غَزْوَةُ بواط ، من ناحيَةِ رَضْوَى ، ثُمّ غَزْوَةُ العَشيرَةِ ، من بَطْنِ يَنْبُعَ ، ثُمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الأُولَى ، يَطْلُبُ كُرْزَ بنَ جابِرٍ ، ثُمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ [الكُبْرَى] ، التي قَتَلَ الله فيها صَناديدَ قُرَيْشٍ ، ثُمّ غَزْوَةُ بني سُلَيْمٍ ، حتى بَلَغَ الكُدْرَ ، ثُمّ غَزْوَةُ السّويقِ ، يَطْلُبُ أبا سُفْيانَ بنَ حَرْبٍ ثُمّ غَزْوَةُ غَطَفانَ ، وهيَ غَزْوَةُ ذي أمَرٍ ، ثُمّ غَزْوَةُ بَحْرانَ مَعْدِنٌ بالحِجازِ[١٠٦/ب] ثُمّ غَزْوَةُ أُحُدٍ ، ثُمّ غَزْوَةُ حَمراءَ الأسَدِ ، ثُمّ غَزْوَةُ بني

---

(١)مرسل .

(٢)مرسل : رواه الطبري في التاريخ [٢٠٦/٢ ، ٢٠٧] والبيهقي دلائل [٤٦٥/٥] عن ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر مرسلاً .

النضير ، ثمّ غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاع من نَجْدٍ ، ثمّ غَزْوَةُ بَدْرٍ الآخِرَةِ ، ثمّ غَزْوَةُ دَوْمَةِ الجَنْدَل ، ثمّ غَزْوَةُ الخَنْدَقِ ، ثمّ غَزْوَةُ بني قُرَيْظَةَ ، ثمّ غَزْوَةُ بني لِحْيانَ ، من هُذَيْلٍ ، ثمّ غَزْوَةُ ذي قَرَدٍ ، ثمّ غَزْوَةُ بني المُصْطَلِقِ من خُزاعَةَ ، ثمّ غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ ، لا يُريدُ قِتالاً ، فَصَدّه المُشْرِكونَ ثمّ غَزْوَةُ خَيْبَرَ ، ثمّ عُمرَةُ القَضاءِ ثمّ غَزْوَةُ الفَتْحِ ، ثمّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ ، ثمّ غَزْوَةُ الطائِفِ ، ثمّ غَزْوَةُ تبوكَ . قاتَلَ منها في تِسْعِ غَزَواتٍ بَدْرٍ وأُحُدٍ والخَنْدَقِ ، وقُرَيْظَةَ والمُصْطَلِقِ وخَيْبَرَ ، والفَتْحِ وحُنَيْنٍ ، والطّائِفِ .

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

وَكانَتْ بُعوثُه ﷺ وسَراياه ثَمانيًا وثلاثينَ ، من [بَيْنَ] بَعْثٍ وسَرِيّةٍ غَزْوَةُ عُبَيْدَةَ ابنِ الحارِثِ أسْفَلَ من ثَنِيّةِ ذي المَرْه ، ثمّ غَزْوَةُ حَمزَةَ بنِ عبدِ المطّلِبِ ساحِلَ البَحْرِ من ناحيَةِ العيصِ : وبَعْضُ النّاسِ يُقَدّمُ غَزْوَةَ حَمزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ وغَزْوَةُ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ الخَرّارَ ، وغَزْوَةُ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ نَخْلَةَ ، وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ القَرَدَةَ وغَزْوَةُ محمّدِ بنِ مَسْلَمَةَ كَعْبَ بنَ الأشْرَفِ وغَزْوَةُ مَرْثَدِ بنِ أبي مَرْثَدٍ الغَنَويّ الرَّجيعَ ، وغَزْوَةُ المُنْذِرِ بنِ عمرٍو بِئْرَ مَعُونَةَ ، وغَزْوَةُ أبي عُبَيْدَةَ ابنِ الجَرّاحِ ذا القَصّةِ من طَريقِ العِراقِ ، وغَزْوَةُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ تُرَبَةَ من أرْضِ بني عامِرٍ ، وغَزْوَةُ عَليّ بنِ أبي طالِبٍ اليَمَنَ ، وغَزْوَةُ غالِبِ بنِ عبدِ الله الكَلْبيّ ، كَلْبِ لَيْثٍ الكَديدَ ، فأصابَ بني المُلَوّحِ .

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح]

وَكان من حَديثِها أنّ يَعْقُوبَ بنَ عُتْبَةَ بنِ المُغيرَةِ بنِ الأخْنَسِ ، حَدّثَني عن مُسْلِمِ بنِ عبدِ الله ابنِ خُبَيْبٍ الجُهَنيّ [عن المُنْذِرِ] عن جُنْدَبِ بنِ مَكيثٍ الجُهَنيّ ،قال : (١) بَعَثَ رسولُ الله ﷺ غالِبَ بنَ عبدِ الله الكَلْبيّ ، كَلْبَ بنِ عَوْفِ بنِ لَيْثٍ في سَرِيّةٍ كُنْت فيها ، وأمَرَه أن يَشُنّ الغارَةَ على بني المُلَوّحِ ، وهم بِالكَديدِ فَخَرَجْنا ، حتى إذا كُنّا بِقُدَيْدٍ لَقينا الحارِثُ بنُ مالِكٍ وهو ابنُ البَرْصاءِ اللّيْثيّ فَأخَذْناه فقال إنّي جِئْت أُريدُ الإسلامَ وما خَرَجْت إلاّ إلى رسولِ الله ﷺ فَقُلْنا له إن تَكُ مُسْلِمًا فَلَن يَضيرَك رِباطُ لَيْلَةٍ وإن تَكُ على غَيْرِ ذلك كُنّا قد اسْتَوْثَقْنا مِنك ، فَشَدَدْناه رِباطًا ، ثمّ خَلّفْنا عليه رَجُلاً من أصْحابِنا أسْوَدَ وقُلْنا له إن عازّك فاحْتَزّ رَأسَه .

قال ثمّ سِرْنا حتى أتَيْنا الكَديدَ عند غُرُوبِ الشّمسِ فَكُنّا في ناحيَةِ الوادي ، وبَعَثَني أصْحابي

(١) ضعيف : رواه أحمد [٤٦٧/٣ - ٤٦٨] وأبو داود [٢٦٧٨] والطبري في تاريخه [١٤٤/٢] والطبراني [١٧٢٦] في الكبير ، والبيهقي دلائل [٢٩٨/٤ - ٢٩٩] كلهم عن ابن إسحاق ، فيه مسلم بن عبد الله لم يوثقه إلا ابن حبان . قال الحافظ مجهول .

رَبيئَةٌ لهم فَخَرَجْت حتى آتِيَ تَلاً مُشْرِفًا على الحاضِرِ فأسْنَدْت فيه فَعَلَوْتُ في رَأسِه فَنَظَرْت إلى الحاضِرِ فوالله إني لَمُنْبَطِحٌ على التَلّ إذ خَرَجَ رَجُلٌ منهم من خِبائِه فقال لامرأتِه إني لأرَى على التَلّ سَوادًا ما رَأيْته في أوّلِ يومي ، فانظُري إلى أوْعيَتِك هَلْ تَفْقِدينَ منها شيئًا ؟ لا تكُونُ الكِلابُ جَرّتْ بَعْضَها ؛ قال فَنَظَرَتْ فقالت : لا ، والله ما أفْقِدُ شيئًا ؛ قال فناوِليني قَوْسي وسَهْمَيْنِ فناوَلَتْه قال فأرْسَلَ سَهْمًا ، فوالله ما أخطَأ جَنْبي ، فأنْزِعُه فأضَعُه وثَبَتّ مَكاني ، قال ثُمّ أرْسَلَ الآخَرَ فوَضَعَه في مَنْكِبي ، فأنْزِعُه فأضَعُه وثَبَتّ مَكاني ، فقال لامرأتِه لَوْ كان رَبيئَةً [لِقَوْم] لَقد تَحَرّكَ لَقد خالَطَه سَهْمايَ لا أبا لَكِ ، إذا أصْبَحْتِ فابْتَغيهما ، فَخُذيهما ، لا يَمْضُغْهما عَلَيّ الكِلابُ . قال ثُمّ دَخَلَ . قال : وأمهَلْناهم حتى إذا اطْمَأَنّوا وناموا ، وكان في وجه السّحَرِ شَنَنّا عليهم الغارَةَ قال فَقَتَلْنا ، واستَقْنا النّعمَ وخَرَجَ صَريخُ القَوْمِ فجاءَنا دَهْمٌ لا قِبَلَ لنا به ومَضَيْنا بالنّعم ومَرَرْنا بابنِ البَرْصاءِ وصاحِبه فاحتملناهما مَعَنا ؛ قال وأدْرَكنا القَوْمَ حتى قَرِبوا مِنّا ، [قال] فما بَيْنَنا وبَيْنَهم إلاّ وادي قُدَيْدٍ ، فأرْسَلَ[١٠٧/أ] الله عز وجل الواديَ بالسّيْلِ من حَيْثُ شاءَ تَبارَكَ وتَعالى ، من غَيْرِ سَحابَةٍ نَراها ، ولا مَطَرٍ فجاءَ بشيءٍ ليس لأحَدٍ به قُوّةٌ ولا يَقْدِرُ على أن يُجاوِزَه قال فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إلَيْنا ، وإنّا لَنَسُوقُ نَعَمَهم ما يَسْتَطيعُ منهم رَجُلٌ أن يُجيزَ إلَيْنا ، ونحن نَحْدُوها سِراعًا ، حتى فُتْناهم فَلَمْ يَقْدِرُوا على طَلَبِناقال : فَقَدِمنا بها على رسولِ الله ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وحَدّثني رَجُلٌ من أسْلَمَ ، عن رَجُلٍ منهم أنّ شِعارَ أصْحابِ رسولِ الله ﷺ كان تِلْكَ اللّيْلَةَ أمِتْ أمِتْ . فقال راجِزٌ من المُسْلِمينَ وهو يَحْدُوها .

أبَى أبو القاسِمِ أن تَعَزّبي في خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ
صُفْرٍ أعاليه كَلَوْنِ المُذْهَبِ

قال ابنُ هشامٍ : ويُرْوَى : « كَلَوْنِ الذّهَبِ » . [تَمّ خَبَرُ الغُزاةِ وعُدْت إلى ذِكْرِ تَفْصيلِ السّرايا والبُعُوثِ] .

قال ابنُ إسحاقَ : وغَزْوَةُ عَليّ بن أبي طالِبٍ - رَضيَ الله عنه - بني عبدِ الله ابنِ سَعْدٍ من أهلِ فَدَكَ ؛ وغَزْوَةُ أبي العَوْجاءِ السّلَميّ أرْضَ بني سُلَيْم ، أُصيبَ بها هُوَ وأصْحابُه جَميعًا ؛ وغَزْوَةُ عُكاشَةَ بن مِحْصَنٍ الغَمْرَةَ ؛ وغَزْوَةُ أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسَدِ قَطَنًا ، ماءٌ من مياه بني أسَدٍ ، من ناحيَةِ نَجْدٍ ، قُتِلَ بها مَسْعُودُ بنُ عُرْوَةَ ؛ وغَزْوَةُ مُحَمّدِ بنِ مَسْلَمَةَ أخي بني حارِثَةَ « القُرَطاءَ من هَوازِنَ ؛ وغَزْوَةُ بَشيرِ ابنِ سَعْدٍ بني مُرّةَ بفَدَكَ وغَزْوَةُ بَشيرِ بنِ سَعْدٍ ناحيَةَ خَيْبَرَ ، وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ الجَمُومَ من أرْضِ بني سُلَيْمٍ ، وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ جُذامَ ، من أرْضِ خُشَيْنٍ .

---

(١)ضعيف : رواه الطبري والبيهقي انظر السابق عن ابن إسحاق فيه جهالة شيخه .

قال ابنُ هشامٍ : [عن نَفْسِه والشَّافِعِيّ عن عمرِو بنِ حَبيبٍ عن ابنِ إسحاقَ] : من أرْضِ حِسْمَى .

[غَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ إلى جُذامَ]

قال ابنُ إسحاقَ : (١) وكان من حَديثِها كَما حَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن رِجالٍ من جُذامَ كانوا عُلَماءَ بها ، أنّ رِفاعَةَ بنَ زَيْدٍ الجُذاميّ ، لَمّا قَدِمَ على قَوْمِه من عند رسولِ اللهِ ﷺ بِكِتابه يَدْعُوهم إلى الإسلامِ فاستَجابوا له لَمْ يَلْبَثْ أن قَدِمَ دِحْيَةُ بنُ خَليفَةَ الكَلْبيّ من عِنْدِ قَيْصَرَ صاحِبِ الرّوم ، حينَ بَعَثَه رسولُ اللهِ ﷺ إلَيْه ومَعَه تِجارَةٌ له حتى إذا كانوا بوادٍ من أوْدِيَتِهِم يُقالُ له شَنار ، أغارَ على دِحْيَةَ بنِ خَليفَةَ الهُنَيْدُ بنُ عُوصٍ وابنُه عُوصُ بنُ الهُنَيْدِ الضّلَعيّانِ .

والضّلَيْعُ : بَطْنٌ من جُذامَ ، فأصابا كُلّ شيءٍ كان مَعَه فَبَلَغَ ذلك قَوْمًا من الضّبَيْبِ رَهْطُ رِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ مِمّن كان أسْلَمَ وأجابَ فَنَفَرُوا إلى الهُنَيْدِ وابنِه فيهم من بني الضّبَيْبِ النّعْمانُ بنُ أبي جِعالٍ ، حتى لَقُوهم فاقْتَتَلُوا ، وانْتَمَى يومئذٍ قُرّةُ بنُ أشْقَرَ الضّفاويّ ثُمّ الضّلَعِيّ فقال أنا ابنُ لُبنَى ، ورَمَى النّعْمانَ بنَ أبي جِعالٍ بِسَهْمٍ فأصابَ رُكْبَتَه فقال حينَ أصابَه خُذْها وأنا ابنُ لُبنَى ، وكانَتْ له أُمّ تُدْعَى لُبنَى ، وقد كان حسّانُ بنُ مِلّةَ الضّبَيْبيّ قد صَحِبَ دِحْيَةَ بنَ خَليفَةَ الكلبي قَبْلَ ذلك فَعَلّمَه أُمّ الكِتابِ .قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ قُرّوه بنُ أشْقَرَ الضّفاريّ » وحِيّانُ بنُ مِلّةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (٢) حَدّثَني مَن لا أتّهِمُ عن رِجالٍ من جُذامَ ، قال فاسْتَنْقَذُوا ما كان في يَدِ الهُنَيْدِ وابنِه فَرَدّوه على دِحْيَةَ فَخَرَجَ دِحْيَةُ حتى قَدِمَ على رسولِ اللهِ ﷺ فأخْبَرَه خَبَرَه واسْتَسْقاه دَمَ الهُنَيْدِ وابنِه فَبَعَثَ إليهم رسولُ اللهِ ﷺ إلَيْهم زَيْدَ بنَ حارِثَةَ ، وذلك الذي هاجَ غَزْوَةَ زَيْدٍ جُذامَ ، وبَعَثَ مَعَه جَيْشًا ، وقد وجّهَتْ غَطَفانُ من جُذامَ ووائِلٌ ومَن كان من سَلامانَ وسَعْدُ بنُ هُذَيْمٍ حين جاءَهم رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ بِكِتابِ رسولِ اللهِ حتى نَزَلُوا الحَرّةَ ؛ حَرّةَ الرّجْلاءِ ، ورِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ بِكُراعِ رِبَةَ لَمْ يَعْلَمْ ومَعَه ناسٌ من بني الضّبَيْبِ وسائِرُ بني الضّبَيْبِ بِوادي مَرانٍ من ناحِيَةِ الحَرّةِ ، مِن مَاء يَسيلُ مُشَرّقًا ، وأقْبَلَ جَيْشُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ من ناحِيَةِ الأوْلاجِ ، فأغارَ بالماقِصِ من قِبَلِ الحَرّةِ ، فَجَمَعُوا ما وجَدُوا من مالٍ أوْ ناسٍ وقَتَلُوا الهُنَيْدَ وابنَه ورَجُلَيْنِ من بني الأجْنَفِ .

قال ابنُ هشامٍ : من بني الأخْيَفِ .

---

(١) ضعيف : رواه الطبري في التاريخ [٢٠١/٢] من طريق ابن إسحاق ، وسنده ضعيف فيه إبهام من حدثه وجهالة هؤلاء الرجال الذين حدثوا شيخه .

(٢) مثل سابقه .

قال ابنُ إسحاقَ في حَديثِه وَرَجُلاً من بني الخَصيبِ . فَلَمّا سَمِعَتْ بِذلك بنُو الضّبَيْبِ والجَيْشُ بِفَيْفاءِ مَرانٍ رَكِبَ نفرٌ منهم وكان فيمَن رَكِبَ مَعَهم حسّانُ [١٠٧/ب] بنُ مِلّة ، على فَرسٍ لِسُوَيْدِ بنِ زَيْدٍ يُقالُ لها العَجاجَةُ وأُنَيْف بنُ مِلّة على فَرسٍ لِمَلّةَ يُقالُ لها : رِغالٌ وأبو زَيْدِ بنِ عمرٍو على فَرسٍ يُقال لها شَمِرٌ ، فانْطَلَقُوا حتى إذا دَنَوْا من الجَيْشِ قال أبو زَيْدٍ وحسّانُ لأُنَيْفِ بنِ مِلّة : كُفّ عَنّا وانْصَرِفْ فإنّا نَخْشَى لِسانَك ، فَوَقَفَ عنهما ، فَلَم يَبْعُدا مِنْه حتى جَعَلَتْ فَرسه تَبْحَثُ بيَدَيْها وتَوَثّبَ فَقال لأَنا أضَرّ بِالرّجُلَيْنِ مِنْك بِالفرسَيْنِ فَأرْخَى لها ، حتى أدْرَكَهما ، فَقالا له أمّا إذا فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ فَكُفّ عَنّا لِسانَك ، ولا تَشأمنا اليومَ فَتَواصَوْا أن لا يَتَكَلّمَ منهم إلاّ حسّانُ بنُ مِلّة ، وكانَتْ بَيْنَهم كَلِمَةٌ في الجاهِلِيّةِ قد عَرَفَها بَعْضُهم من بَعْضٍ إذا أرادَ أحَدُهم أن يَضْرِبَ بِسَيْفِه قال بورَى أوْ ثُورَى ؛ فَلَمّا بَرَزُوا على الجَيْشِ أقْبَلَ القَوْم يَبْتَدِرُونَهم فَقال لهم حسّانُ إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ وكان أوّلَ مَن لَقِيَهم رَجُلٌ على فَرسٍ أدْهَمَ فَأقْبَلَ يَسُوقُهم فقال أُنَيْفٌ بورَى ، فَقال حسّانُ مَهْلاً ؛ فَلَمّا وقَفُوا على زَيْدِ بنِ حارِثَةَ قال حسّانُ إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ فَقال له زَيْدٌ فاقْرَأْ أُمّ الكِتابِ فَقَرَأها حسّانُ فَقال زَيْدُ بنُ حارِثَةَ : نادُوا في الجَيْشِ أنّ اللهَ عز وجل قد حَرّمَ عَلَيْنا ثُغْرَةَ القَوْمِ التي جاءُوا منها إلاّ مَن خَتَرَ .

[قال ابنُ إسحاقَ] : وَإذا أُخْتُ حَسانَ بن مِلّةَ ، وهِيَ امرَأةُ أبي وبَرِ بن عَديّ ابنِ أُمَيّةَ بنِ الضّبَيْبِ في الأُسارَى ، فَقال له زَيْدٌ خُذْها ، وأخَذَتْ بِحَقْوَيْه فَقالتْ أُمّ الفِزْرِ الضّلَعِيّة : أتَنْطَلِقُونَ بِبناتِكُم وتَذَرُونَ أُمّهاتِكُم ؟ فَقال أحَدُ بني الخَصيبِ إنّها بنُو الضّبَيْبِ انطلقون وسِحْرُ ألْسِنَتِهم سائِرَ اليومِ فَسَمِعَها بَعْضُ الجَيْشِ فَأخْبَرَ بِها زَيْدَ ابنَ حارِثَةَ ، فَأمَرَ بِأُخْتِ حَسانَ فَفُكّتْ يَداها من حِقْوَيْه وقال لها : اجْلِسِي مع بناتِ عمّك حتى يَحْكُمَ الله فيكُنّ حُكْمَه فَرَجَعُوا ، ونَهَى الجَيْشَ أن يَهْبِطُوا إلى واديهم الذي جاءُوا مِنْه فَأمسَوْا في أهليهم واسْتَعْتَمُوا ذَوْدًا لِسُوَيْدِ بنِ زَيْدٍ فَلَمّا شَرِبوا عَتَمَتَهم رَكِبوا إلى رِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ وكان مِمّن رَكِبَ إلى رِفاعَةَ بنِ زَيْدٍ تِلْكَ اللّيْلَةَ أبو زَيْدِ بنِ عمرٍو ، وأبو شِماسِ بنِ عمرٍو ، وسُوَيْد بنُ زَيْدٍ ، وبَعْجَةُ بنُ زَيْدٍ وبَرْذَع ابنُ زَيْدٍ وثَعْلَبَةُ بنُ عمرٍو ومُخَرّبَةُ بنُ عَديّ وأُنَيْف بنُ مِلّةَ ، وحَسّانُ بنُ مِلّةَ ، حتى صَبّحُوا رِفاعَةَ بنَ زَيْدٍ بِكُراعِ رِبَةَ بِظَهْرِ الحَرّةِ ، على بِئْرٍ هُنالِكَ من حَرّةِ لَيْلَى ،فَقال له حسانُ بنُ مِلّةَ : إنّك لَجالِسٌ تَحْلُب المِعْزَى ونِساءُ جُذامَ أُسارَى قد غَرّها كِتابُك الذي جِئْت به فَدَعا رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ بِجَمَلٍ له فَجَعَلَ يَشُدّ عليه رَحْلَه وهو يقول : هَلْ أنتَ حَيّ أوْ تُنادي حَيّا ثُمّ غَدا وهم مَعَه بِأُمَيّةِ بنِ ضَفارَةَ أخي الخَصيبيّ المَقْتُولِ مُبَكّرينَ من ظَهْرِ الحَرّةِ ، فَساروا إلى جَوْفِ المَدينَةِ ثلاثَ لَيالٍ فَلَمّا دَخَلُوا المَدينَةَ ، وانْتَهَوْا إلى المَسْجِدِ نَظَرَ إلَيْهم رَجُلٌ من النّاسِ فَقال لا تُنيخُوا إبِلَكُمْ فَتُقَطّعَ أيْدِيَهُنّ ، فَنَزَلُوا عنهُنّ وهُنّ قيامٌ فَلَمّا دَخَلُوا على رسولِ الله ﷺ ورَآهم ألاحَ إلَيْهم بيَدِه أن تُعالُوا من وراءِ النّاسِ فَلَمّا اسْتَفْتَحَ رِفاعَةُ بنُ

زَيْدِ المُنَطِقَ قامَ رَجُلٌ من النّاسِ فقال يا رسولَ الله إنّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ سَحَرَةٌ فَرَدَدَها مَرَّتَيْنِ فقال رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ رَحِمَ اللهُ مَن لَم يَحْذُنا في يومِه هذا إلاّ خَيْرًا . ثُمّ دَفَعَ رِفاعَةُ بنُ زَيْدٍ كِتابَه إلى رسولِ الله ﷺ الذي كان كَتَبَه له . فقال دُونَك يا رسولَ الله قَديمًا كِتابُه حَديثًا غَدْرُه . فقال رسولُ الله ﷺ اقْرَأْه يا غُلامُ وأعْلِن ؛ فَلَمّا قَرَأَ كِتابَه اسْتَخْبَرَهم فأَخْبَرُوه الخَبَرَ ، فقال رسولُ الله ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ بِالقَتْلَى ؟ [١٠٨/أ] [ثَلاثَ مَرّاتٍ] . فقال رِفاعَةُ أنتَ يا رسولَ الله أعْلَمُ لا نُحَرِّمُ عَلَيْكَ حَلالاً ، ولا نُحَلِّلُ لَكَ حَرامًا ، فقال أبو زَيْدِ بنُ عمرٍو : أَطْلِقْ لَنا يا رسولَ الله مَن كان حَيّا ، ومَن قُتِلَ فهو تَحْتَ قَدَمي هذه . فقال له رسولُ الله ﷺ صَدَقَ أبو زَيْدٍ ، ارْكَبْ مَعَهم يا عَلِيّ . فقال له عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عنه إنّ زَيْدًا لَن يُطيعَني يا رسولَ الله قال فَخُذْ سَيْفي هذا ، فَأَعْطاه سَيْفَه فقال عَلِيّ : ليس لي يا رسولَ الله راحِلَةٌ أَرْكَبُها ، فَحَمَلُوه على بَعيرٍ لِثَعْلَبَةَ بنِ عمرٍو ، يُقالُ له مِكْحالٌ فَخَرَجُوا ، فإذا رسولٌ لِزَيْدِ بنِ حارِثَةَ على ناقَةٍ من إبِلِ أبي وبْرٍ يُقالُ لها : الشّمر ، فأَنْزَلُوه عنها . فقال يا عَلِيّ ما شَأْني ؟ فقال ما لهم عَرَفُوه فأَخَذُوه ثُمّ سارُوا فَلَقُوا الجَيْشَ بِفَيْفاءِ الفَحْلَتَيْنِ فأَخَذُوا ما في أيْديهم حتى كانوا يَنْزِعُونَ لَبيدَ المَرْأَةِ من تَحْتِ الرَّحْلِ فقال أبو جِعالٍ حينَ فَرَغُوا من شَأْنِهم :

وَعاذِلَةٍ ولَـم تَعْـذُلْ بِطِبٍ	وَلَوْلا نحن حُشَّ بها السّعيرَ
تُدافِعُ فـي الأُسارَى بابنَتَيْها	وَلا يُرْجَى لهـــا عِتْقٌ يَسيرُ
وَلَوْ وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأَوْسٍ	لَحارَ بها عـن العِتْقِ الأُمورُ
وَلَوْ شَهِـــدَتْ رَكائِبنا بِمِصْرٍ	تُحاذِرُ أن يُعَلّ بهـــا المَسيرُ
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عن حِفاظٍ	لِرَبْعٍ إنّـه قَـــرَبٌ ضَـــريرُ
بِكُلّ مُجَـــرّبٍ كالسّيدِ نَهْـدٍ	على أَقْتادِ ناجِـيَةٍ صَـــبورُ
فِدًى لأبي سُلَيْمَى كُلّ جَيْشٍ	بيَثْرِبَ إذْ تَناطَحَتِ النّحُورُ
غَداةَ تَرَى المُجَـرّبَ مُستَكينًا	خِلافَ القَوْمِ هامَتُه تَـدُورُ

قال ابنُ هشامٍ : قَوْلُه «ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسيرُ» : وقَوْلُه «عن العِتْقِ الأُمورُ» عن غَيْرِ ابنِ إسحاقَ .

[تَمّتِ الغَزاةُ وعُدْنا إلى تَفْصيلِ ذِكْرِ السّرايا والبُعُوثِ] .

قال ابنُ إسحاقَ : وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ أيضًا الطَّرَفَ من ناحيَةِ نَخْلٍ . من طَريقِ العِراقِ .

* * *

[غَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ بني فَزارَةَ ومُصابُ أُمِّ قِرْفَةَ]

وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ أيضًا واديَ القُرَى ، لَقِيَ به بني فَزارَةَ فأُصيبَ بها ناسٌ من أصحابه وارْتُثَّ زَيْدٌ من بَيْنَ القَتْلَى ، وفيها أُصيبَ وَرْدُ بنُ عمرِو بنِ مَداشٍ وكان أحَدَ بني سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ ، أصابَه أحَدُ بني بَدْرٍ . قال ابنُ هشامٍ : سَعْدُ بنُ هُذَيْمٍ .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) فلَمَّا قَدِمَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ آلَى ألا يَمَسَّ رَأْسَه غُسْلٌ من جَنابَةٍ حتى يَغْزُوَ بني فَزارَةَ ، فلَمَّا اسْتَبَلَّ من جِراحَتِه بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إلى بني فَزارَةَ في جَيْشٍ فقَتَلَهم بوادي القُرَى ، وأصابَ فيهم وقَتَلَ قَيْسُ بنُ المُسَحِّرِ اليَعْمُرِيُّ مَسْعَدَةَ بنَ حَكَمَةَ بنِ مالِكِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ ، وأُسِرَتْ أُمُّ قِرْفَةَ فاطِمَةُ بِنْتُ رَبيعَةَ بنِ بَدْرٍ كانَتْ عَجُوزًا كَبيرَةً عند مالِكِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ ، وبِنْتٌ لها ، وعبدُ الله بنُ مَسْعَدَةَ ، فأَمَرَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ قَيْسَ بنَ المُسَحِّرِ أن يَقْتُلَ أُمَّ قِرْفَةَ فَقَتَلَها قَتْلاً عَنيفًا ؛ ثُمَّ قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ بابنَةِ أُمِّ قِرْفَةَ وبابنِ مَسْعَدَةَ .

وكانَتْ بِنْتُ أُمِّ قِرْفَةَ لِسَلَمَةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوَعِ كان هُوَ الذي أصابَها ، وكانَتْ في بَيْتِ شَرَفٍ من قَوْمِها ؛ كانَتِ العَرَبُ تَقُولُ [لَوْ كُنْتَ أعَزَّ من أُمِّ قِرْفَةَ ما زِدْتَ] . فَسَأَلَها رسولُ الله ﷺ سَلَمَةَ فوَهَبَها له فأهداها لِخالِه حَزْنَ بنَ أبي وَهْبٍ فوَلَدَتْ له عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ حَزْنٍ .

فَقال قَيْسُ بنُ المُسَحِّرِ في قَتْلِ مَسْعَدَةَ :

سَعَيْتُ بِوَرْدٍ مِثْلَ سَعْيِ ابنِ أُمِّهِ ... وَإِنِّي بِوَرْدٍ في الحَياةِ لَثائِرُ
كَرَرْتُ عليه المُهْرَ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... على بَطَلٍ من آلِ بَدْرٍ مُغاوِرِ
فَرَكَّبْتُ فيه قَعْضَبِيًّا كَأَنَّهُ ... شِهابٌ بِمَعْراةٍ يُذَكَّى لِناظِرِ

[غَزْوَةُ عبدِ الله بنِ رَواحَةَ لِقَتْلِ اليَسيرِ بنِ رِزامٍ]

وَغَزْوَةُ عبدِ الله بنِ رَواحَةَ خَيْبَرَ مَرَّتَيْنِ إحْداهما التي أصابَ فيها اليَسيرَ بنَ رِزامٍ .

قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ ابنُ زازِمٍ .

وَكان من (٢) حَديثِ اليَسيرِ بنِ رِزامٍ أنّه كان بِخَيْبَرَ يَجْمَعُ غَطَفانَ لِغَزْوِ رسولِ الله ﷺ فَبَعَثَ

---

(١) مرسل : قلت خالف ابن إسحاق ما وقع في صحيح مسلم : أن أمير هذه السرية هو أبو بكر رضي الله عنه . رواه مسلم [١٧٥٥] وأحمد [٤٦/٤] وأبو داود [٢٦٩٧] والبيهقي في الدلائل [٢٩٠/٤] من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

قال : (غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمره رسول الله ﷺ علينا فذكر الغزوة وقصة المرأة وقول النبي ﷺ له : «هب لي هذه المرأة فوهبها له ففدى بها النبي ﷺ ناسًا من المسلمين كانوا أسروا بمكة» وقلت : ما في الصحيح أصح . والله أعلم .

(٢) مرسل : لم يذكر ابن إسحاق سنده ، ورواه البيهقي في الدلائل [٢٩٣/٤ ، ٢٩٤] من مرسل عروة ......=

إلَيْه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ رَواحَةَ في نَفَرٍ من أصْحابه منهم عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ ، حَليفُ بني سَلِمَةَ فَلَمّا قَدِمُوا عليه كَلّمُوه وقَرّبوا لـه وقالُوا له إنّك إن قَدِمت على رسولِ الله ﷺ سْتَعْمَلَك وأكْرَمَك ، فَلَم يَزالُوا به حتى خَرَجَ مَعَهم في نَفَرٍ من يَهُودَ فَحَمَلَه عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ على بَعيرِه حتى إذا كانوا بِالقَرْقَرَةِ من خَيْبَرَ ، على سِتّةِ أميالٍ نَدِمَ [١٠٨/ب] اليَسيرُ بنُ رِزامٍ على مَسيرِه إلى رسولِ الله ﷺ فَفَطَنَ له عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ ، وهو يُريدُ السّيْفَ فاقْتَحَمَ به ثُمّ ضَرَبَه بِالسّيْفِ فَقَطَعَ رِجْلَه وضَرَبَه اليَسيرُ بِمِخْرَشٍ في يَدِه من شَوْحَطٍ فَأَمّه ومال كُلّ رَجُلٍ من أصْحابِ رسولِ الله ﷺ على صاحِبه من يَهُودَ فَقَتَلَه إلاّ رَجُلاً واحِدًا أفْلَتَ على رِجلَيْه فَلَمّا قَدِمَ عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ على رسولِ الله ﷺ تَفَلَ على شَجّتِه فَلَم تَقِحْ ولَمْ تُؤْذِه . وَغَزْوَةُ عبدِ الله بنِ عَتيكٍ [خَيْبَرَ] ، فَأَصابَ بِها أبا رافِعِ ابنِ أبي الحُقَيْقِ .

[غَزْوَةُ عبدِ الله بنِ أُنَيْسٍ لِقَتْلِ خالِدِ بنِ سُفيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَلِيّ]

وَغَزْوَةُ عبدِ الله بنِ أُنَيْسٍ خالِدَ بنِ سُفيانَ بنِ نُبَيْحٍ بَعَثَه رسولُ الله ﷺ إلَيْه وهو بِنَخْلَةَ أوْ بِعُرَنَةَ يَجْمَعُ لِرسولِ الله النّاسَ لِيَغْزُوه فَقَتَلَه .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزّبَيْرِ ، قال قال عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ : دَعاني رسولُ الله ﷺ فَقال إنّه قد بَلَغَني أنّ ابنَ سُفْيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَليّ يَجْمَعُ لي النّاسَ لِيَغْزُوني ، وهو بِنَخْلَةَ أوْ بِعُرَنَةَ فَأْتِه فاقْتُلْه . قلت : يا رسولَ الله انْعَتْه لي حتى أعْرِفَه . قال : **«إنّك إذا رَأيْته أذْكَرَك الشّيْطانَ وآيَةُ ما بَيْنَك وبَيْنَه أنّك إذا رَأيْته وجَدْت له قُشَعْريرَةً»** . قال فَخَرَجْت مُتَوَشّحًا سَيْفي ، حتى دُفِعْت إلَيْه وهو في ظُعُنٍ يَرْتادُ لَهُنّ مَنْزِلاً ، وحَيْثُ كان وقْتُ العَصْرِ فَلَمّا رَأيْته وجَدْت ما قال لي رسولُ الله ﷺ من القُشَعْريرَةِ قال فَأَقْبَلْت نَحْوَه وخَشيت أن تَكُونَ بَيْني وبَيْنَه مُجاوَلَةٌ تَشْغَلُني عن الصّلاةِ فَصَلّيْت وأنا أمْشي نَحْوَه أُومِئُ بِرَأْسي ، فَلَمّا انْتَهَيْت إلَيْه قال مَن الرّجُلُ ؟ قلت : رَجُلٌ من العَرَبِ سَمِعَ بِك وبِجَمْعِك لِهذا الرّجُلِ فَجاءَك لِذلك . قال : أجَلْ إنّي لَفي ذلك . قال فَمَشيت مَعَه شيئًا ، حتى إذا أمْكَنَني حَمَلْت عليه بِالسّيْفِ فَقَتَلْته ، ثُمّ خَرَجْت ، وتَرَكْت ظَعائِنَه مُنْكَبّاتٌ عليه فَلَمّا قَدِمت على رسولِ الله ﷺ فَرَآني ، قال أفْلَحَ الوَجْه قلت : قد

= ومن مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب وهو في مغازي موسى بن عقبة [٢٥٩] .

(١) إسناده لا بأس به : رواه أحمد [٤٩٦/٣] وأبو داود [١٢٤٩] وأبو يعلي [٩٠٥] وابن حبان في صحيحه [٧١٦٠] والبيهقي في الدلائل [٤٢/٤ - ٤٣] كلهم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن ابن عبد الله بن أنيس واسمه عبد الله عن أبيه . وقد سقط من السيرة هنا . وعلته عبد الله هذا لم يوثقه إلا ابن حبان ، وترجمه البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه شيئًا ، وللغزوة شاهد من مرسل عروة ، رواه البيهقي في الدلائل [٤٠/٤] ومن مرسل موسى بن عقبة رواه أيضًا البيهقي .

قَتَلْته يا رسولَ الله . قال صَدَقْت . ثُمّ قامَ بي ، فأَدْخَلَني بَيْتَه فأعطاني عَصًا ، فقال أمسِكْ هذه العَصا عندك يا عبدَ الله بنَ أُنَيْسٍ . قال فخَرَجْت بها على النّاسِ فقالُوا : ما هذه العَصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله وأمَرَني أن أُمسِكَها عِندي . قالُوا : أفَلا تَرْجِعُ إلى رسولِ الله ﷺ فَتَسْأله لِمَ ذلك ؟ قال فَرَجَعْت إلى رسولِ الله ﷺ فَقُلْت : يا رسولَ الله لِمَ أعطَيْتني هذه العَصا ؟ قال آيَةٌ بَيْني وبَيْنَك يومَ القيامَةِ . إنّ أقَلّ النّاسِ المُتَخَصّرُونَ يومئِذٍ قال فَقَرَنَها عبدُ الله ابنُ أُنَيْسٍ بسَيْفِه فَلَم تَزَلْ مَعَه حتى ماتَ ثُمّ أمَرَ بها فَضُمّتْ في كَفَنِه ثُمّ دُفِنا جميعًا .

قال ابنُ هشامٍ : **وقال عبدُ الله بنُ أُنَيْسٍ في ذلك :**

تَرَكْتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوارِ وحَــوْلَــهُ ... نَوائِحُ تَفْـري كُلّ جَيْبٍ مُقَدّدِ

تَناوَلْتُه والظّعْنُ خَلْفِي وخَــلْفَــهُ ... بأَبْيَضَ مِــن ماءِ الحَديدِ مُهَنّدِ

عَجُومٍ لِهــامِ الــدّارِعينَ كأنّــهُ ... شِهابٌ غَضَى من مُلْهَبٍ مُتَوَقّدِ

أقُولُ له والسّيفُ يَعْجُمُ رَأسَــهُ ... أنـا ابنُ أُنَيْسٍ فارِسًا غَيْرَ قُعْدُدِ

أنا ابنُ الذي لَمْ يُنْزِلِ الدّهرُ قِدْرَهُ ... رَحيبُ فِنــاءِ الدّارِ غَيْرُ مُزَنّدِ

وَقُلْتُ لــه خُذْها بِضَرْبَةِ ماجِدٍ ... حَنيفٍ عـلى ديـنِ النّبيّ مُحَمّدِ

وَكُنْتُ إذا هَــمّ النّبيّ بِكــافِرٍ ... سَبَقْتُ إلَيْه باللّسانِ وباليَــــدِ [١٠٩/أ]

[تمّتِ الغَزاةُ وعُدْنا إلى خَبَرِ البُعُوثِ] .

قال ابنُ إسحاق : وغَزْوَةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ وجَعْفَرُ بنُ أبي طالِبٍ وعبدُ الله بنُ رَواحَةَ إلى مُؤْتَةَ من أرْضِ الشّامِ ، فأُصيبوا بها [جَميعًا] ، وغَزْوَةُ كَعْبِ بنِ عُمَيْرٍ الغِفاريّ ذاتَ أطْلاحٍ ، من أرْضِ الشّامِ ، أُصيبَ بها هُوَ وأصحابُه جَميعًا [1] . وغَزْوَةُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ بني العَنْبَرِ من بني تَميمٍ .

[غزوةُ عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ بني العَنْبَرِ من بني تَميمٍ]

وَكان من حَديثِهِم أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه إلَيْهِم فأغارَ عليهم فأصابَ منهم أناسًا . وسَبَى منهم أناسًا .

فحَدّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ : أنّ عائِشَةَ قالتْ لِرسولِ الله ﷺ يا رسولَ الله إنّ عَلَيّ رَقَبَةً

(١) سبق تفصيل غزوة مؤتة كاملة .

من ولَدِ إسماعيلَ . قال هذا سَبْيُ بني العَنْبَرِ يَقْدَمُ الآنَ ، فنُعطيك منهم إنسانًا فتُعْتِقينَه .

قال ابنُ إسحاقَ : فلَمّا قُدِمَ بِسَبْيِهم على رسولِ الله ﷺ رَكِبَ فيهم وفْدٌ من بني تَميم ، حتى قَدِموا على رسولِ الله ﷺ منهم رَبيعَةُ بنُ رُفَيعٍ ، وسَبْرَةُ بنُ عمرو . والقَعْقاعُ بنُ عمرو ووَرْدانُ ابنُ مُحْرِزٍ وقَيْسُ بنُ عاصِمٍ ، ومالِكُ بنُ عمرو ، والأقْرَعُ بنُ حابِسٍ وفِراسُ بنُ حابِسٍ فكَلَّموا رسولَ الله ﷺ فيهم فأَعْتَقَ بَعْضًا ، وأَفْدَى بَعْضًا ، وكان مِمّن قُتِلَ يومئِذٍ من بني العَنْبَرِ عبدُ الله وأخَوانِ له بنُو وهْبٍ وشَدّادُ بنُ فِراسٍ وحَنظَلَةُ بنُ دارِمٍ وكان مِمّن سُبِيَ من نِسائِهم يومئِذٍ أسَماءُ بِنْتُ مالِكٍ وكاس بِنْتُ أري ، ونَجْوَةُ بِنْتُ نَهْدٍ وجُمَيْعَةُ بِنْتُ قَيْسٍ ، وعَمرَةُ بِنْتُ مَطَرٍ . فقالتْ في ذلك اليوم سَلْمَى بِنْتُ عَتّابٍ :

لَعمري لَقد لاقَتْ عَديّ بنُ جُنْدَبٍ	من الشّرّ مَهْواةً شَديدًا كَئُودها
تَكَفَّفَها الأعْــــداءُ من كُلّ جانِبٍ	وَغُيِّبَ عنها عِــزّها وجُدُودُها

قال ابنُ هشامٍ : **وقال الفَرَزْدَقُ في ذلك :**

وَعند رسولِ الله قامَ ابنُ حابِسٍ	بِخُطّةِ سَوّارٍ إلى المَجْدِ حــازِمِ
لَه أطلَقَ الأسْرَى التي في حِبالِهِ	مُغَلَّلَةً أعناقُها فــي الشّكائِمِ
كَفَى أُمّهــــاتِ الخائِفينَ عليهم	على المُفادي أوْ سِهامَ المَقاسِمِ

وَهذه الأبياتُ في قَصيدَةٍ له . وعَديّ بنُ الجُنْدُبِ من بني العَنْبَرِ والعَنْبَرُ بنُ عمرو بنِ تَميمٍ .

[غَزْوَةُ غالِب بن عبد الله أرْضَ بني مُرّة]

قال ابنُ إسحاقَ : وغَزْوَةُ غالِبِ بنِ عبدِ الله الكَلْبِيّ - كَلْبِ لَيْثٍ - أرْضَ بني مُـرّةَ ، فأصابَ بِها مِرْداسَ بنَ نَهيكٍ ، حَليفًا لهم من الحُرَقَةِ ، من جُهَيْنَةَ ، قَتَلَـه أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ ورَجُـلٌ أخر من الأنْصارِ . قال ابنُ هشامٍ : الحُرَقَةُ ، فيما حَدّثني أبو عُبَيْدَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : [1] وكـان من حَديثِه أن أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ قال أدْرَكْته أنا ورَجُـلٌ من الأنْصارِ ، فلَمّا شَهَرْنا عليه السّلاحَ قال أشْهَدُ أن لا إلَهَ إلاّ الله . قال فلَمْ نَنْزِعْ عنه حتى قَتَلْناه قال فلَمّا قَدِمنا على رسولِ الله ﷺ أخْبَرْناه خَبَرَه فقال يا أُسامَةُ مَن لَكَ بِلا إلَهَ إلاّ الله ؟ قال قلت : يا رسولَ الله [إنه إنّما] قالها تَعَوّذًا [بِها] من القَتْلِ . قال فَمَن لَكَ بِها يا أُسامَةُ ؟ قال فَوالذي بَعَثَه بِالحَقّ ما زال يُرَدّدُها عَلَيّ حتى لَوَدِدْت أنّ ما مَضَى من إسلامي لَمْ يَكُن وأَنّي كُنت أسلَمت يومئِذٍ وأنّي لَمْ أقْتُلْه قال قلت : أنْظِرْني يا رسولَ الله إنّي أُعاهِدُ اللهَ أن لا أقْتُلَ رَجُلاً يقول لا إلَهَ إلاّ الله

(١) متفق عليه بمعناه : لم يسنده ابن إسحاق ، ورواه البخاري [٤٢٦٩] ، ومسلم [٩٦] .

أبَدًا ، قال تَقُولُ بَعْدي يا أُسامَةُ قال : قلت : بعدك يا رسول الله .

[غَزْوَةُ عمرِو بن العاص ذاتَ السَلاسِل]

وَغَزْوَةُ عمرِو بنِ العاصِ ذاتَ التلاسِلِ مِن أرْضِ بني عُـذْرَةَ . (١) وكان من حَديثِه أنّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَه يَسْتَنْفِرُ العَرَبَ إلى الشّامِ . وذلك أنّ أُمّ العاصِ بنِ وائِلٍ كانَتِ امرَأَةً من بَلِيّ ، فَبَعَثَه [١٠٩/ب] رسـولُ الله ﷺ إلَيْهِـم يَسْتَألِفُهم لِذلك حتى إذا كـان عـلى مـاءٍ بِأرْضِ جُذامَ ، يُقالُ له السّلْسَلُ ، وبِذلك سُمّيَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ غَزْوَةَ ذاتِ التلاسِلِ ؛ فَلَمّا كان عليه خـافَ فَبَعَثَ إلى رسولِ الله ﷺ يَسْتَمِدّه فَبَعَثَ إلَيْه رسولُ الله ﷺ أبا عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ في المُهاجِرينَ الأوّلينَ فيهم أبو بَكْرٍ وعُمَرُ وقال لأبِي عُبَيْدَةَ حينَ وجّهَه لا تَخْتَلِفا ؛ فَخَرَجَ أبو عُبَيْدَةَ حتى إذا قَدِمَ عليه قال له عمرٌو : إنّما جِئْتَ مَدَدًا لي ؛ قال أبو عُبَيْدَةَ لا ، ولَكِنّي على ما أنا عليه وأنْتَ على ما أنْتَ عليه وكان أبو عُبَيْدَةَ رَجُلاً لَيّنًا سَهْلاً ، هَيّنًا عليه أمرُ الدّنْيا ، فَقال له عمرٌو : بَلْ أنتَ مَدَدٌ لي ؛ فَقال له أبو عُبَيْدَةَ يا عمرُو ، إنّ رسولَ الله ﷺ قال لي : لا تَخْتَلِفا ، وإنّك إن عَصَيْتَني أطَعْتُـك ، قال فَإنّي الأميرُ عَلَيْك ، وأنْتَ مَدَدٌ لي ، قـال فَدُونَك . فَصَلّى عمرٌو بالنّاسِ . قال : (٢) وكان من الحَديثِ في هذه الغَزاةِ أنّ رافِعَ بنَ أبي رافِعٍ الطّائِيّ وهو رافِعُ بنُ عميرَةَ كان يُحَدّثُ فيما بَلَغَني عن نَفْسِه قال كُنت امرأً نَصْرانيًا ، وسُمّيت سَرْجِسَ فَكُنْت أدَلّ النّاسِ وأهداهم بِهذا الرّمَلِ وكُنت أدْفِنُ الماءَ في بَيْضِ النّعامِ بِنَواحِي الرّملِ في الجاهِلِيّةِ ثُمّ أُغيرُ على إبِلِ النّاسِ فَإذا أدْخَلْتُها الرّمْلَ غَلَبْتُ عليها ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ أن يَطْلُبَني فيه حتى أمُرّ بِذلك الماءِ الذي خَبّأت في بَيْضِ النّعامِ فَأسْتَخْرِجُه فَأشْرَبُ مِنه فَلَمّا أسْلَمت خَرَجْت في تِلْكَ الغَزْوَةِ التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بنَ العاصِ إلى ذاتِ التلاسِلِ ; قال فَقُلْت : والله لأخْتـارَنّ لِنَفْسي صاحِبًا ؛ قال فَصَحِبْت أبا بَكْرٍ قال فَكُنْت مَعَه في رَحْلِه قال وكانَتْ عليه عَباءَةٌ له فَدَكِيّةٌ فَكـان إذا نَزَلْنا بَسَطَها وإذا رَكِبنا لَبِسَها ، ثُمّ شَكّها عليه بِخِلالٍ له قال وذلك الذي له يقول أهلُ نَجْدٍ حينَ ارْتَدّوا كُفّارًا : نحن نُبايِعُ ذا العَبـاءَةِ قال فَلَمّا دَنَوْنا مـن المَدينَـةِ قافِلِينَ قال قلت : يا أبا

---

(١) مرسل : رواه الطبري في تاريخه [١٤٦/٢ - ١٤٧] عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلاً . ورواه البيهقي في الدلائل [٣٩٩/٤] عن ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين مرسلاً ومحمد مجهول الحال . ومن مرسل عروة ، رواه البيهقي دلائل [٣٩٨/٤ - ٣٩٩] نحوه . ومن مرسل موسى بن عقبة رواه في مغازيه [٢٦٧] .

(٢) حسن بطرقه : رواه ابن إسحاق بلاغًا ، ووصله الطبراني في الكبير [٤٤٦٧] و [٤٤٦٨] من رواية إسرائيل عن إبراهيم ابن المهاجر عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع . وسنده ضعيف ؛ لضعف إبراهيم بن المهاجر ضعفه غير واحد من أهل العلم . قال الحافظ : صدوق لين الحديث . وروي من طريق آخر من رواية طلحه بن مصرف عن سليمان عن طارق بن شهاب عن رافع عزاه الحافظ في الإصابة لابن خزيمة .

بَكْرٍ إنّما صَحِبْتُك لِيَنْفَعَني الله بك ، فانْصَحْني وعَلّمني ، قال لَوْ لَمْ تَسْألْني ذلك لَفَعَلْت ، قال آمُرُك أن تُوَحّدَ اللهَ ولا تُشْرِكَ به شيئًا ، وأن تُقيمَ الصّلاةَ وأن تُؤْتِيَ الزّكاةَ وتَصُومَ شهر رَمَضانَ وتَحُجّ هذا البَيْتَ وتَغْتَسِلَ من الجَنابَةِ ولا تَتَأمّرْ على رَجُلٍ من المُسْلِمِينَ أبَدًا . قال قلت : يا أبا بَكْرٍ أما أنا والله فَإنّي أرْجُو أن لا أُشْرِكَ بالله شيئاً أبَدًا ؛ وأمّا الصّلاةُ فَلَن أتْرُكَها أبَدًا إن شاءَ الله وأمّا الزّكاةُ فَإن يَكُ لي مالٌ فإني أُؤَدّها إن شاءَ الله وأمّا رَمَضانُ فَلَن أتْرُكَه أبَدًا إن شاءَ الله وأمّا الحَجّ فَإن أسْتَطِعْ أحُجّ إن شاءَ الله تَعالى ؛ وأمّا الجَنابَةُ فَسَأغْتَسِلُ منها إن شاءَ الله وأمّا الإمارَةُ فَإنّي رَأيْت النّاسَ يا أبا بَكْرٍ لا يَشْرُفُونَ عند رسولِ الله ﷺ وعند النّاسِ إلاّ بها ، فَلِمَ تَنْهاني عنها ؟ قال إنّك إنّما اسْتَجْهَدْتَني لأجْهَدَ لَك ، وسأُخْبِرُك عن ذلك إن شاء الله إن الله عَزّ وجَلّ بَعَثَ مُحَمّدًا ﷺ بهذا الدّينِ فَجاهَدَ عليه حتى دَخَلَ النّاسُ فيه طَوْعًا وكَرْهًا ، فَلَمّا دَخَلُوا فيه كانوا عُواذَ الله وجيرانَه وفي ذِمّتِه فَإيّاكَ لا تُخْفِرِ اللهَ في جيرانِه فَيُتْبِعَك الله في خَفْرَتِه فَإنّ أحَدَكُم يُخْفَرُ في جارِه فَيَظِلّ ناتِئًا عَضَلُه غَضَبًا لِجارِه أن أُصيبَتْ له شاةٌ أوْ بَعيرٌ فالله أشَدّ [١٠١/أ] غَضَبًا لِجارِه . قال فَفارَقْته على ذلك .

[قال] فَلَمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وأُمّرَ أبو بَكْرٍ على النّاسِ قال قَدِمت عليه فَقُلْت له يا أبا بَكْرٍ ألَم تَكُ نَهَيْتَني عن أن أتَأمّرَ على رَجُلَيْنِ من المُسْلِمِينَ ؟ قال بَلَى ، وأنا الآنَ أنْهاك عن ذلك قال فَقُلْت له : فَما حَمَلَك على أن تَلِيَ أمرَ النّاسِ ؟ قال لا أجِدُ من ذلك بُدّا ، خَشيت على أُمّةِ مُحَمّدٍ ﷺ الفُرْقَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ : (١) أخْبَرَني يَزِيدُ بنُ أبي حَبيبٍ أنه حُدّثَ عن عَوْفِ بنِ مالِكٍ الأشْجَعِيّ ، قال كُنت في الغَزاةِ التي بَعَثَ فيها رسولُ الله ﷺ عمرَو بنَ العاصِ إلى ذاتِ السّلاسِلِ ، قال فَصَحِبْت أبا بَكْرٍ وعُمَرَ فَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ على جَزُورٍ لهم قد نَحَرُوها ، وهم لا يَقْدِرُونَ على أن يُعَضّوها ، قال وكُنت امرأً لَبِقًا جازرًا ،قال فَقُلْت : أتُعْطُونَني منها عَشيرًا على أن أقْسِمَها بَيْنَكُم ؟ قالُوا : نَعم قال فَأخَذْت الشّفْرَتَيْنِ فَجَزّأتها مَكاني ، وأخَذْت منها جُزْءًا ، فَحَمَلْته إلى أصْحابي ، فاطّبَخْناه فأكَلْناه . فَقال لي أبو بَكْرٍ وعُمَرُ [رَضِيَ الله عنهما] : أنّى لَك هذا اللّحْمُ يا عَوْفُ ؟ قال فَأخْبَرْتهما خَبَرَه فَقالا : والله ما أحْسَنْت حينَ أطْعَمتنا هذا ، ثُمّ قاما يَتَقَيّآنِ ما في بُطُونِهما من

---

(١) حسن بطرقه : سند ابن إسحاق ضعيف فيه مبهم ، وقد وصله البيهقي في الدلائل [٤٠٥/٤] من طريق ابن لهيعه وسعيد بن أبي أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن مالك بن هدم عن عوف بن مالك . وهذا السند فيه ابن لهيعة ضعيف . ورواية سعيد بن أبي أيوب من رواية ابن المبارك عنه اختلف على ابن المبارك فرواه ابن عثمان عنه هكذا . وخالفه سويد بن نصر وحبان بن موسى فروياه عنه عن يحيى بن أبي أيوب عن يزيد عن ربيعة بن هدير عن عوف ابن مالك رواه الطبراني في الكبير [٧١/١٨ح ١٣١] . قلت : وهذه الرواية أصح . وقد تابع ابن المبارك على هذا الوجه جرير بن عبد الحميد عند الطبراني . وهذا السند رجاله ثقات .

ذلك قال : فَلَمّا قَفَلَ النّاسُ من ذلك السّفرِ كُنت أوّلَ قادمٍ على رسولِ الله ﷺ قال فجئته وهو يُصَلّي في بَيْتِه قال فَقُلْت : السّلامُ عَلَيْك يا رسولَ الله ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُه قال أعَوْفُ بنُ مالِكٍ ؟ قال قلت : نَعم بِأبي أنتَ وأُمّي ؛ قال أصاحِبُ الجَزُورِ ؟ ولَم يَزِدْني رسولُ الله ﷺ على ذلك شيئًا .

[غَزْوَةُ ابن أبي حَدْرَدٍ بَطْنَ إضَمَ وقَتْلُ عامِرِ بنِ الأضْبَطِ الأشْجَعي]وغَزْوَةُ ابن أبي حَدْرَدٍ وأصْحابِه بَطْنَ إضَمَ ، وكانَتْ قَبْلَ الفَتْح

قال ابنُ إسحاقَ : (١) حَدّثَني يَزِيدُ بنُ عبدِ الله بنِ قُسَيْطٍ عن القَعْقاعِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي حَدْرَدٍ عن أبيه عبدِ الله بنِ أبي حَدْرَدٍ قال بَعَثَنا رسولُ الله ﷺ إلى إضَمَ في نَفَرٍ من المُسْلِمِينَ فيهم أبو قَتادَةَ الحارِثُ بنُ رِبْعِيّ ، ومُحَلّمُ بنُ جَثّامَةَ بنِ قَيْسٍ ، فَخَرَجْنا حتى إذا كُنّا بِبَطْنِ إضَمَ ، مَرّ بِنا عامِرُ بنُ الأضْبَطِ الأشْجَعِيّ ، على قَعُودٍ له ومَعَه مُتَيّعٌ له ووَطْبٌ من لَبنٍ . قال فَلَمّا مَرّ بِنا سَلّمَ عَلَيْنا بِتَحِيّةِ الإسلامِ فَأمسَكْنا عنه وحَمَلَ عليه مُحَلّمُ بنُ جَثّامَةَ ، فَقَتَلَه لِشيءٍ كان بَيْنَه وبَيْنَه وأخَذَ بَعيرَه وأخَذَ مُتَيّعَه . قال : فَلَمّا قَدِمنا على رسولِ الله ﷺ وأخبَرْناه الخَبَرَ ، نَزَلَ فينا ﴿**يا أيها الذينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُم في سَبيلِ الله فَتَبَيّنُوا ولا تَقُولُوا لِمَن ألْقَى إلَيْكُمُ السّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَياةِ الدّنيا**﴾ إلى آخِرِ الآيَةِ .

قال ابنُ هشامٍ : قَرَأ أبو عمرِو بنِ العلاءِ ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَن ألْقَى إلَيْكُمُ السّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾ لِهذا الحَديثِ .

قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : حَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفرِ بنِ الزّبَيْرِ ، قال سَمِعْت زِيادَ بنَ ضُمَيْرَةَ بنِ سَعْدٍ السّلَمِيّ يُحَدّثُ عن (*) عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عن جَدّه وكانا شَهِدا حُنَيْنًا مع رَسُولِ الله ﷺ

---

(١) حسن : رواه أحمد [١١/٦] والطبري في تفسيره [٢٢٢/٥/٤ - ٢٢٣] وابن أبي حاتم في تفسيره [٥٨٢٦] ، [٥٨٢٧] والبيهقي في الدلائل [٣٠٥/٤] كلهم من طريق ابن إسحاق وسنده حسن ، القعقاع ابن عبد الله بن أبي حدرد ، قال البخاي له صحبه ونفى غيره ذلك ، وعده ابن حبان فى ثقات التابعين . وللحديث شاهد في الصحيحين : رواه البخاري [٤٥٩١] ومسلم [٣٠٢٥] من رواية ابن عباس .

(٢) حسن : رواه أحمد [١١٢/٥] وأبو داود [٤٥٠٣] وابن ماجه [٢٦٢٥] مختصرًا ، والطبراني [٥٤٥٧] في الكبير والبيهقي في سننه [١١٦/٩] كلهم من طريق ابن إسحاق وهذا سند حسنه الحافظ في الإصابة [٦٤/٣] .

قلت : وقع هنا قلب في اسم سعد بن ضميرة فقال ابن هشام : ضميرة بن سعد وفي بعض الطرق التي روت الحديث سعد بن ضميرة حتى من رواية ابن إسحاق نفسه عند الطبراني وكذلك : وقع هنا في إسناده عن أبيه عن جده وعند الطبراني من رواية ابن إسحاق عن أبيه وجده وقد تابع ابن إسحاق عبد الرحمن بن الحارث عند أبي داود [٤٥٠٣] والطبراني [٥٤٥٥] .

(*) لفظة عن خطأ والصواب يحدّثُ عروة . وسمعه محمد بن جعفر حين تحديثه لعروة وليس عروة راوٍ .....=

قال صَلى بنا رَسُولُ الله ﷺ الظهْرَ ثُمّ عَمِدَ إلى ظِلّ شَجَرَةٍ فجَلَس تحتَها ، وهو بحُنَيْنٍ فقامَ إليه الأقرَعُ بنُ حابِسٍ وعُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ ابنِ حُذَيفَةَ بنِ بَدْرٍ ، يختَصِمانِ في عامِرِ بنِ الأضبَطِ الأشْجَعِيِّ عُيَيْنَةُ يَطلُبُ بدَمِ عامِرٍ وهو يَوْمئِذٍ رَئِيسُ غَطَفانَ ، والأقرَعُ بنُ حابِسٍ يَدفعُ عن مُحَلّمِ بنِ جَثّامَةَ ، لِمَكانِه من خندف ، فتَداوَلا الخُصُومَةَ عند رَسُولِ الله ﷺ ونَحْنُ نَسمَعُ [١١٠/ب] فسَمِعْنا عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ وهو يقول والله يا رَسُولَ الله لا أدَعُه حتى أُذِيقَ نِساءَه من الحُزْ مِثْلَ ما أذاقَ نِسائِي ، ورَسُولُ الله ﷺ يقول : «**لا بَلْ تَأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمسِينَ في سَفرِنا هذا ، وخَمسِينَ إذا رَجَعْنا**» ، وهو يأْبَى عَليه إذ قامَ رَجُلٌ من بَنِي ليثٍ يُقالُ له مُكَيْتِرٌ قَصِيرٌ مَجْمُوعٌ – قال ابنُ هشام : مُكَيْتِلٌ – فقال والله يا رَسُولَ الله ما وجَدْت لِهذا القَتيلِ شَبَهًا في غُرّةِ الإسْلامِ إلاّ كَغَنَمٍ ورَدَتْ فرُمِيَتْ أُولاها ، فنَفرَتْ أُخراها ، اسْنُن اليَوْمَ وغَيّرْ غَدًا . قال فرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَه . فقال : «**بَلْ تأْخُذُونَ الدِّيَةَ خَمسِينَ في سَفرِنا هذا ، وخَمسِينَ إذا رَجَعْنا**» . قال فقَبِلُوا الدِّيَةَ . قال : ثُمّ قالُوا : أيْنَ صاحِبُكُمْ هذا ، يَستَغْفِرُ له رَسُولُ الله ﷺ قال فقامَ رَجُلٌ آدَمُ ضَرْبٌ طَوِيلٌ عَليه حُلّةٌ له قد كان تَهيّأ لِلْقَتْلِ فِيها ، حتى جَلَس بين يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ فقال له : «**ما اسْمُكَ ؟**» قال أنا مُحَلّمُ بنُ جَثّامَةَ ، قال فرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَه ثُمّ قال : «**اللّهمّ لا تَغفِرْ لِمُحَلّمِ بنِ جَثّامَةَ ثَلاثًا**» . قال فقامَ وهو يَتَلَقّى دَمعَه بفضْلِ رِدائِه . قال فأمّا نَحْنُ فنَقُولُ فِيما بيننا : إنّا لَنَرْجُو أنْ يَكُونَ رَسُولُ الله ﷺ قد استَغفَرَ له وأمّا ما ظَهَرَ من رَسُولِ الله ﷺ فهذا .

قال ابنُ إسْحاقَ : وحَدّثَنِي مَنْ لا أتّهِمُ عن الحَسَنِ البَصْرِيّ ، قال [١] : قال رَسُولُ الله ﷺ حينَ جَلَس بين يَدَيْه أمّنْتَه بالله ثُمّ قَتَلْتَه ثُمّ قال له المَقالةَ التي قالها قال : فوالله ما مَكَثَ مُحَلّمُ بنُ جَثّامَةَ إلاّ سَبعًا حتى ماتَ فلَفظَتْه والذي نَفسُ الحَسَنِ بيَدِه الأرْضُ ثُمّ عادُوا له فلَفظَتْه الأرْضُ ثُمّ عادُوا له فلَفظَتْه فلَمّا غُلِبَ قَوْمُه عَمِدُوا إلى صُدّيْنِ فسَطَحُوه بينهما ، ثُمّ رَضَمُوا عليه الحِجارَةَ حتى وارَوْه . قال فبَلَغَ ذلك رَسُولَ الله ﷺ شَأْنُه فقال : والله إنّ الأرْضَ لَتَطّابِقُ على مَنْ هو شَرّ منه ولَكِنّ الله أرادَ أنْ يَعِظَكُمْ في حُرَمِ ما بينكُم بما أراكُمْ منه . قال ابنُ إسْحاقَ [٢] : وأخبَرَنا سالِمٌ أبُو النّضرِ أنّه حُدّثَ أنّ عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ وقَيْسًا حينَ قال الأقرَعُ بنُ حابِسٍ وخَلا بهم يا مَعْشَرَ قَيْسٍ مَنَعْتُم رَسُولَ الله ﷺ قَتيلاً يَستَصْلِحُ به النّاسَ أفأمنتُم أنْ يَلْعَنَكُم رَسُولُ الله ﷺ فيَلْعَنَكُمْ الله بلَعْنَتِه أوْ أنْ يَغضَبَ عَليكُمْ فيَغضَبَ الله عَليكُمْ لِغضَبه ؟ والله الذي نَفسُ الأقرَعِ بيَدِه

= لهذا الحديث .

(١) مرسل : رواه الطبراني [٥٤٥٦] الكبير والبيهقي دلائل [٣١٠/٤] من رواية الحسن ومن مرسل قبيصة بن ذؤيب وهو مرسل قوي ، قبيصة له رؤية . رواه البيهقي دلائل [٣٠٩/٤] .

(٢) مرسل : رواه البيهقي دلائل [٣٠٨/٤] من رواية ابن إسحاق .

لَتُسَلِّمُنَّه إلى رَسُولِ الله ﷺ فلَيَصْنَعَنَ فيه ما أرادَ أوْ لآتيَنّ بخَمسِينَ رَجُلاً من بَني تَميم يَشهدُونَ بالله كُلّهم لَقُتِلَ صاحِبُكُمْ كافِرًا ، ما صَلّى قَطّ ، فلأَطُلّنّ دَمَه [فلَمّا سَمِعُوا ذلك] قَبِلُوا الدّيَةَ .

قال ابنُ هشام : مُحَلّمٌ في هذا الحَديث كُلّه عن غيرِ ابنِ إسحاقَ ، وهو مُحَلّمُ بنُ جَثّامَةَ بنِ قَيْسٍ اللّيْثِيّ . قال ابنُ إسْحاقَ : مُلْجَمٌ فيما حَدّثناه زِيادٌ الدفاى عنه .

غَزْوَةُ ابن أبي حَدْرَدٍ لِقَتْلِ رِفاعَةَ بن قَيْسٍ الجُشَمِيّ

قال ابنُ إسْحاقَ [1] : وغَزْوَةُ بنِ أبي حَدْرَدٍ الأسْلَمِيّ للغابَةَ .

وكان من حَديثِها فيما بَلَغَني ، عَمّنْ لا أتّهِمُ عن ابنِ أبي حَدْرَدٍ قال تَزَوّجتُ امرأةً من قَوْمي ، وأصْدَقتها مِائتَيْ دِرْهمٍ قال فجِئتُ رَسُولَ الله ﷺ أسْتَعِينُه على نِكاحي ؛ فقال وكَم أصْدَقت ؟ فقُلْت : مِائتَيْ دِرْهم يا رَسُولَ الله قال سُبْحانَ الله لَوْ كُنْتُم تأخُذُونَ الدّراهِمَ من بَطْنِ وادٍ ما زِدْتُم [2] والله ما عِندي ما أُعِينُك به قال فلَبِثْتُ أيّامًا ، وأقبَلَ رَجُلٌ من بَني جُشَمَ بنِ مُعاوِيَةَ ، [١١١/أ] يُقالُ له رِفاعَةُ ابنُ قَيْسٍ ، أوْ قَيْسُ بنُ رِفاعَةَ ، في بَطْنٍ عَظِيمٍ من بَني جُشَمَ حتى نَزَلَ بقَوْمِه ومَنْ معه بالغابَةِ يُريدُ أنْ يَجْمع قَيْسا على حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ وكان ذا اسْمٍ في جُشَمَ وشَرَفٍ . قال فدَعاني رَسُولُ الله ﷺ ورَجُلينِ مَعِي من المُسْلِمِينَ فقال اخرُجُوا إلى هذا الرّجُلِ حتى تأتُوا منه بخَبَرٍ وعِلْمٍ . قال وقَدّمَ لَنا شارِفًا عَجْفاءَ فحُمِلَ عَليها أحَدُنا ، فوالله ما قامَتْ به ضَعْفًا حتى دَعَمَها الرّجالُ من خَلْفِها بأيْديهم حتى استَقَلّتْ وما كادَتْ ثُمّ قال تُبَلّغُوا عَليها واعْتَقِبُوها .

قال : فخَرَجْنا ومعنا سِلاحُنا من النّبْلِ والسّيُوفِ حتى إذا جِئْنا قَرِيبًا من الحاضِرِ عُشَيْشِيَةً مع غُرُوبِ الشّمسِ . قال كَمَنتُ في ناحيَةٍ وأمَرْت صاحِبِيّ فكَمَنا في ناحيَةٍ أُخرَى من حاضِرِ القَوْمِ وقُلْت لهما : إذا سَمِعْتُماني قد كَبّرْت وشَدَدْتُ في ناحيَةِ العَسْكَرِ فكَبّرا وشُدّا مَعِي . [قال] فوالله إنّا لِكَذلك نَنْتَظِرُ غِرّةَ القَوْمِ أوْ أنْ نُصِيبَ منهم شيئًا . قال وقد غَشِيَنا اللّيْلُ حتى ذَهَبَتْ فَحْمَةُ العِشاءِ وقد كان لهم راعٍ قد سَرّحَ في ذلك البَلَدِ فأبطأَ عَليهم حتى تَخَوّفُوا عَليه . قال فقامَ صاحِبُهم [ذلك] رِفاعَةُ بنُ قَيْسٍ ، فأخَذَ سَيْفه فجَعَله في عُنُقِه ثُمّ قال والله لأَتْبَعَنّ أثَرَ راعِينا هذا ، ولَقد أصابَه شَرّ ؛ فقال له نَفَرٌ مِمّنْ معه والله لا تَذْهبْ نَحْنُ نَكْفِيك ؛ قال والله لا يَذْهبُ إلاّ أنا ؛ قالُوا :

---

(١) إسناده لا بأس به : رواه البيهقي في الدلائل [٣٠٣/٤] من رواية ابن إسحاق عن جعفر بن عبد الله بن أسلم عن أبي حدرد .

(٢) إلى هنا صح من طريق آخر : رواه عبد الرزاق [١٠٤٠٩] في مصنفه وسعيد بن منصور [٦٠٤] في سننه وأحمد [٤٤٨/٣] والحاكم [١٧٨/٢] والطبراني في الكبير [٣٥٢/٢٢ح ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤] من طرق صحيحة عنه .

فنَحْنُ معك ؛ قال والله لا يَتْبَعُني أحَدٌ منكُم . قال وخَرَجَ حتى يَمُرّ بي . قال فلَمّا أمكَنَني نَفحَتُه بسَهْمِي ، فوَضَعْته في فُؤَادِه . قال فوالله ما تَكَلّمَ ووَثَبْت إليه فاحْتَزَزْتُ رَأْسَه . قال وشَدَدْت في ناحيَةِ العَسْكَرِ وكَبّرْت ، وشَدّ صاحِبايَ وكَبّرا .

قال فوالله ما كان إلاّ النّجاءُ بمَنْ فِيه عندك ، عندك ، بِكُلّ ما قَدَرُوا عَليه من نِسائِهِم وأبنائِهم وما خَفّ معهم من أموالِهِم . قال واستَقنا إبِلاً عَظِيمَةً وغَنَمًا كَثيرَةً فجِئْنا بها إلى رَسُولِ الله ﷺ . قال وجِئْت برأسِه أحْمِلُه مَعِي . قال فأعانَني رَسُولُ الله ﷺ من تِلْكَ الإبِلِ بثَلاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا في صَداقِي ، فجَمَعْتُ إلَيّ أهلِي .

غَزْوَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ إلى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ

قال ابنُ إسْحاقَ [1] : وحَدّثَنِي مَنْ لا أتّهِمُ عن عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ ، قال سَمِعْت رَجُلاً من أهلِ البَصْرَةِ يسأل عَبْدَ الله بنَ عُمَرَ بنِ الخَطّاب عن إرْسالِ العِمامَةِ من خَلْفِ الرّجُلِ إذا اعْتَمّ . قال فقال عَبْدُ الله سَأُخبِرُك عن ذلك إنْ شاءَ الله بِعِلْمٍ كُنْت عاشِرَ عَشَرَةِ رَهْطٍ من أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ في مَسْجِدِ فيهم أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ ، وعُثْمانُ ، وعَلِيّ ، وعَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ، وابنُ مَسْعُودٍ ، ومُعاذُ ابنُ جَبَلٍ ، وحُذَيْفَةُ بنُ اليَمانِ ، وأبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ ، وأنا مع رَسُولِ الله ﷺ إذْ أقبَلَ فتًى من الأنْصارِ ، فسَلّمَ على رَسُولِ الله ﷺ ثُمّ جَلَسَ فقال يا رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيك ، أيّ المُؤْمِنِينَ أفضَلُ ؟ فقال أحْسَنُهُم خُلُقًا ؛ قال فأيّ المُؤْمِنِينَ أكْيَسُ ؟ قال أكْثَرُهُم ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وأحْسَنُهُم استِعْدادًا له قَبْلَ أنْ يَنْزِلَ به أُولَئِكَ الأكْياسُ . ثُمّ سَكَتَ الفتَى ، وأقبَلَ علينا رَسُولُ الله ﷺ فقال **«يا مَعْشَرَ المهاجِرِينَ خَمْسُ خِصالٍ إذا نَزَلْنَ بِكُمْ وأعُوذُ بالله أنْ تُدْرِكُوهُنّ إنّه لَمْ تَظْهَرِ الفاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطّ حتى يُعْلِنُوا بها إلاّ ظَهَرَ فِيهِم الطّاعُونُ والأوْجاعُ التي لَمْ تَكُنْ في أسْلافِهِم الذينَ مَضَوْا ؛ ولَمْ يَنْقُصُوا المِكْيالَ والمِيزانَ إلاّ أُخِذُوا بالسّنِينَ وشِدّةِ المُؤْنَةِ وجَوْرِ السّلْطانِ ولَمْ يَمْنَعُوا الزّكاةَ من أموالِهِم إلاّ مُنِعُوا القَطْرَ من السّماءِ فلَوْلا البَهائِمُ ما مُطِرُوا ؛ وما نَقَضُوا عَهْدَ الله** [١١١/ب] **وعَهْدَ رَسُولِه إلاّ سُلّطَ الله عَلَيهِم عَدُوّ من غيرِهِم فأخَذَ بَعْضَ ما كان في أيْدِيهِم وما لَم يَحْكُم أئِمّتُهُم بِكِتابِ الله وتَجَبّرُوا فِيما أنْزَلَ الله إلاّ جَعَلَ الله بَأْسَهم**

---

(١) حسن بطرقه : سند ابن إسحاق فيه مبهم ، وقد روي من طرق عن عطاء به ، رواه الحاكم [٥٤٠/٤] من طريق الهيثم بن حميد عن حفص بن غيلان عن عطاء به وفيه حفص بن غيلان تكلم فيه بعضهم ، وقال الحافظ صدوق . ورواه ابن ماجه [٤٠١٩] وابو نعيم في الحلية [٣٣٣/٨ - ٣٣٤] من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء به . وفيه ابن مالك ضعيف واتهمه ابن معين . وقد روي من طرق أخرى . قلت : ولعجز الحديث شاهد من حديث بريدة رواه مسلم في صحيحه [٧١٣١] وأحمد [٣٥٢/٥ ، ٣٥٨] من بداية قوله ﷺ «اغزوا في سبيل الله إلى آخره» .

بينهم» .

ثُمَّ أَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ أن يَتَجَهَّزَ لِسَرِيَّةٍ بَعَثَه عليها ، فأصْبَحَ وقد اعْتَمَّ بِعِمامَةٍ من كَرابيسَ سَوْداءَ فأدْناه رَسُولُ الله ﷺ منه ثُمَّ نَقَضَها ، ثُمَّ عَمَّمَه بها ، وأرْسَلَ من خَلْفِه أرْبَعَ أصابِعَ أوْ نَحْوًا من ذلك ثُمَّ قال هكَذا يا ابنَ عَوْفٍ فاعْتَمَّ ، فإنّه أحْسَنُ وأعْرَفُ ثُمَّ أمَرَ بَلالاً أنْ يَدْفَعَ إليه اللّواءَ . فدَفعَه إليه فحَمِدَ الله تَعالَى ، وصَلّى على نَفْسِه ثُمَّ قال خُذْه يا بنَ عَوْفٍ اغْزُوا جَمِيعًا في سَبيلِ الله فقاتِلُوا مَنْ كَفرَ بِالله لا تَغُلّوا ، ولا تَغْدِرُوا ، ولا تُمَثّلُوا ، ولا تَقتُلُوا ولَيدًا ، فهذا عَهْدُ الله وسِيرَةُ نَبيّه فِيكُم . فأخَذَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ اللّواءَ .

قال ابنُ هشامٍ : فخَرَجَ إلى دَوْمَةِ الجَنْدَلِ .

غَزْوَةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ إلى سِيفِ البَحْرِ

قال ابنُ إسْحاقَ [١] : وحَدّثَني عُبادَةُ بنُ الوَليدِ بنِ عِبادَةَ بنِ الصّامِتِ ، عن أبيه عن جَدّه عُبادَةَ بنِ الصّامِتِ ، قال بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيّةً إلى سِيفِ البَحْرِ ، وأمر عليهم أبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ ، وزَوّدَهم جِرابًا من تَمرٍ فجَعَلَ يَقُوتُهم إيّاه حتى صارَ إلى أنْ يَعُدّه لهم عَدَدًا . قال ثُمَّ نَفِدَ التّمرُ حتى كان يُعطَى كُلّ رَجُلٍ منهم كُلّ يَوْمٍ تَمرَةً . قال فقَسَمَها يَوْمًا بيننا . قال فنَقَصَتْ تَمرَةٌ عن رَجُلٍ فوَجَدَ فقْدَها ذلك اليَوْمَ . [قال] فلَمّا جَهِدَنا الجُوعُ أخْرَجَ الله تعالى لَنا دابّةً من البَحْرِ فأصَبنا من لَحمِها ووَدَكِها ، وأقَمنا عليها عِشْرينَ ليلَةً حتى سَمِنّا وابْتَلَلْنا ، وأخَذَ أميرُنا ضِلَعًا من أضلاعِها ، فوَضَعَها على طَرِيقِه ثُمَّ أمَرَ بِأجْسَمِ بَعِيرٍ معنا ، فحَمَلَ عليه أجْسَمَ رَجُلٍ مِنّا . قال فجَلَسَ عليه قال فخَرَجَ من تَحتِها وما مَسّتْ رَأْسَه . قال فلَمّا قَدِمنا على رَسُولِ الله ﷺ أخبَرْناه خَبَرَها ، وسَألْناه عمّا صَنَعْنا في ذلك من أكْلِنا إيّاه فقال رِزْقٌ رَزَقَكُمُوه الله .

بَعْثُ عَمرِو بنِ أُمَيّةَ الضَّمْرِيّ لِقِتالِ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ وما صَنَعَ في طَرِيقِه

قال ابنُ هشام [٢] : ومِمّا لَمْ يَذْكُرْه ابنُ إسْحاقَ من بُعُوثِ رَسُولِ الله ﷺ وسَراياه بَعْثُ عَمرِو ابنِ أُمَيّةَ الضّمريّ ، بَعَثَه رَسُولُ الله ﷺ فِيما حَدّثَني مَنْ أثِقُ به من أهلِ العِلْمِ بعد مَقتَلِ خُبَيْبِ ابنِ عَدِيّ وأصْحابه إلى مَكّةَ ، وأمَرَه أنْ يَقتُلَ أبا سُفيانَ بنِ حَرْبٍ وبَعَثَ معه جَبّارُ بنُ صَخرٍ

(١) متفق عليه : رواه البخاري [٤٣٦٠] ومسلم [١٩٣٥] .

(٢) ضعيف الإسناد : أورده ابن هشام هكذا بإسناد مبهم ، وذكرها ابن سعد عن الواقدي في الطبقات [٢/ ٧٢] .

الأنصاريّ فخَرَجا حتى قَدِما مَكّةَ ،وحَبَسا جَمَلَيهما بِشِعْبٍ من شِعابِ يأْجَجَ ، ثُمّ دَخَلا مَكّةَ ليلًا ؛ فقال جَبّارُ بن صخر لِعَمرو : لَوْ أنّا طُفنا بالبَيْتِ وصَلّينا رَكْعَتَيْنِ فقال عَمْرو : إنّ القَوْمَ إذا تَعَشّوا جَلَسُوا بأفنِيَتِهم فقال كَلاّ ، إنْ شاءَ الله عز وجل فقال عَمْرو : فطُفنا بالبَيْتِ وصَلّينا ركعتين ، قال ثُمّ خَرَجنا نُرِيدُ أبا سُفيانَ فوالله إنّا لَنَمشِي بمَكّةَ إذْ نَظَرَ إلَيّ رَجُلٌ من أهلِ مَكّةَ فعَرَفَنِي ، فقال : عَمرُو بنُ أُمَيّةَ والله إنْ قَدِمَها إلاّ لِشَرّ قال : فقُلْت لِصاحِبِي : النّجاءُ فخَرَجْنا نَشْتَدّ ، حتى أصْعَدْنا في جَبَلٍ وخَرَجُوا في طَلَبِنا ، حتى إذا عَلَوْنا الجَبَلَ يَئِسُوا مِنّا ، فرَجَعْنا ، فدَخَلْنا كَهْفًا في الجَبَلِ فبِتْنا فِيه وقد أخَذْنا حِجارَةً فرَضَمناها دُونَنا ; فلَمّا أصْبَحنا غَدًا رَجُلٌ من قُرَيْشٍ يَقُودُ فرَسًا له ويَخْلِي عَلَيها ، فغَشِيَنا ونَحْنُ في الغارِ فقُلْت : إنْ رَآنا صاحَ بِنا ، فأُخِذْنا فقُتِلْنا .

قال : ومَعِي خِنجَرٌ قد أعْدَدْته لأبِي سُفيانَ فأخرُجُ إليه فأضرِبُه على ثَدْيِه ضَرْبَةً وصاحَ صَيْحَةً أسْمع أهلَ مَكّةَ ، وأرْجِعُ فأدْخُلُ مَكانِي ، وجاءَه النّاسُ يَشْتَدّونَ وهو بآخِرِ رَمَقٍ فقالُوا : مَنْ ضَرَبَك ؟ فقال عَمرُو بنُ أُمَيّةَ وغَلَبَه المَوْتُ فماتَ مَكانَه ولَم يَدْلُلْ علينا ، فاحْتَمَلُوه . فقُلْت لِصاحِبِي ، لَمّا أمسَيْنا : النّجاءُ فخَرَجنا ليلاً من مَكّةَ نريد المَدِينَةَ ، فمَرَرْنا بالحَرَسِ وهم يَحْرُسُونَ جيفةَ خُبَيْبِ بنِ عَدِيّ ؛ فقال [١١٢/أ] أحَدُهم والله ما رَأيت كاللّيْلَةِ أشْبَه بمِشْيَةِ عَمرِو بنِ أُمَيّةَ ، لَوْلا أنّه بالمَدِينَةِ لَقُلْت هو عَمرُو بنُ أُمَيّةَ قال فلَمّا حاذَى الخَشَبَةَ شَدّ عَلَيها ، [فأخَذَها] فاحْتَمَلَها ، وخَرَجا يشتدان ، وخَرَجُوا وراءَه حتى أتَى جُرُفًا بمَهْبِطِ مَسِيلِ يأْجَجَ ، فرَمَى بالخَشَبَةِ في الجُرُفِ ، فغَيّبَه الله عنهم فلَم يَقدِرُوا عَليه قال وقُلْت لِصاحِبِي : النّجاءَ [النّجاءَ] حتى تَأْتِيَ بَعِيرَك فتَقعُدَ عَليه فإنّي سَأشْغَلُ عنك القَوْمَ وكان الأنصاريّ لا رُجْلَةَ له .

قال ومَضَيْتُ حتى أخرُجَ على ضَجْنانَ ، ثُمّ أوَيْت إلى جَبَلٍ فأدْخُلُ كَهْفًا ، فبَيْنا أنا فِيه إذْ دَخَلَ عَلَيّ شيخٌ من بَنِي الدّيلِ أعْوَرُ في غُنَيْمَةٍ له فقال : مَن الرّجُلُ ؟ فقُلْت : من بَنِي بَكْرِ بن وائل ، فمَنْ أنتَ ؟ قال : من بَنِي بَكْرٍ فقُلْت : مَرْحَبًا ، فاضطَجَعَ ثُمّ رَفعَ عَقِيرَتَه فقال

وَلَسْتُ بمُسلِمٍ ما دُمتُ حَيّا ولا دانٍ لِدِينِ المُسْلِمِينا

فقُلْت في نَفسِي : سَتَعْلَمُ فأمهلته ، حتى إذا نامَ أخَذْتُ قَوْسِي ، فجَعَلْت سِيَتَها في عَيْنِه الصّحيحَةِ ثُمّ تَحامَلْت عَليه حتى بَلَغَت العَظْمَ ثُمّ خَرَجْت النّجاءَ حتى أتيت العَرْجَ ، ثُمّ سَلَكْت رَكُوبَةَ ، حتى إذا هبَطْت النّقِيعَ إذا رَجُلانِ من قُرَيْشٍ من المُشرِكِينَ كانَتْ قُرَيْشٌ بَعَثَتْهما عَيْنًا إلى المَدِينَةِ ينظران ويَتَحَسّسانِ الأخبار فقُلْت اسْتَأْسِرا ، فأبَيا ، فأرْمِي أحَدَهما بِسَهْمٍ فأقْتُلُه واسْتَأْسَرَ الآخَرُ فأوْثَقْه رِباطًا ، وقَدِمت به المَدِينَةَ .

* * *

سَرِيَّةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ إلى مَدْيَنَ

[قال ابنُ هشام] (١) : وسَرِيَّةُ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ إلى مَدْيَنَ . ذَكَرَ [ذلك] عَبْدُ الله بنُ حَسَنِ بنِ حَسَنٍ عن أُمّه فاطِمَةَ ابنَةِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيّ عَلَيهم رِضوانُ الله أنّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ نَحْوَ مَدْيَنَ ، ومعه ضُمَيْرَةَ مَوْلَى عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ رِضوانُ الله عَليه وأخٌ له . قالتْ فأصابَ سَبْيًا من أهلِ مِيناءَ ، وهِيَ السّواحِلُ وفيها جُمّاعٌ من النّاسِ فبيعُوا ، ففُرِّقَ بينهم فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وهم يَبْكُونَ فقال ما لهم ؟ فقِيلَ يا رَسُولَ الله فُرِّقَ بينهم فقال رَسُولُ الله ﷺ لا تَبيعُوهم إلاّ جَمِيعًا .

قال ابنُ هشامٍ : أرادَ الأُمّهاتِ والأوْلادَ .

سَرِيَّةُ سالِمِ بنِ عُمَيْرٍ لِقَتْلِ أبي عَفَكٍ

قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : [وغَزْوَةُ سالِمِ بنِ عُمَيْرٍ لِقَتْلِ] أبي عَفَكٍ أحَدُ بَنِي عَمرِو ابنِ عَوْفٍ ثُمّ من بَنِي عُبَيْدَةَ وكان من حديثِهم أنه كان قد نَجَمَ نِفاقُه حينَ قَتَلَ رَسُولُ الله ﷺ الحارِثَ بنَ سُوَيْدِ بنِ صامِتٍ ، فقال :

لَقد عِشتُ دَهْرًا وما إنْ أرَى	من النّاسِ دارًا ولا مَجْمَعا
أبَـــرَّ عُهُودًا وأوْفَـــى لِمَنْ	يُعاوِزُ فِيهم إذا مــا دَعا
من أوْلادِ قَيْلَةَ فـــي جَمعِهم	يَهُـدّ الجِبالَ ولَـم يَخضَعا
فصَدّعَهم راكِبٌ جــاءَهم	حَـلالٌ حَـرامٌ لِشَتّى مَعـا
فلَـــوْ أنّ بالعِزّ صَـدّقتُم	أوِ المُلْكِ تابَعْـتُـم تُبّعـا

فقال رَسُولُ الله ﷺ مَنْ لِي بهذا الخَبيثِ ، فخَرَجَ سالِمُ بنُ عُمَيْرٍ ، أخُو بَنِي عَمرِو بنِ عَوْفٍ وهو أحَدُ البَكّائِينَ فقَتَله ؟ فقالتْ أُمامَةُ المُرَيدِيه في ذلك :

تُكَذّبُ ديــنَ الله والمَرْءَ أحْمَدا	لَعَمرُ الذي أمناكَ أنْ بِئْسَ ما يُمني
حَباكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللّيلِ طَعْنَةً	أبا عَفَكٍ خُــذْهـا على كِبَرِ السّنّ

* * *

(١) مرسلة.
(٢) ذكرها ابن إسحاق هكذا ولم أقف على إسناد لها بوذكرها ابن سعد في الطبقات [٢١/٢] وسبق أن ذكرت أن ابن سعد روى المغازي والسريا بأسانيد متداخلة كلها مرسل تقريبًا من رواية الواقدي وغيره .

غَزْوَةُ عُمَيْرِ بن عَديّ الخَطْمِيّ لِقَتْلِ عَصْماءَ بِنْتِ مَرْوانَ

وَغَزْوَةُ (١) عُمَيْرِ بنِ عَديّ الخَطْمِيّ عَصْماءَ بِنْتَ مَرْوانَ ، وهِيَ من بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ فلَمّا قُتِلَ أبُو عَفَكٍ نافقَتْ فذكَرَ عَبْدُ الله بنُ الحارِثِ بنِ الفُضَيْلِ عن أبيه قال وكانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ من بَنِي خَطْمَةَ ويُقالُ له يَزِيدُ بنُ زَيْدٍ فقالتْ تَعِيبُ الإسْلامَ وأهله :

باسْتِ بَنِي مالِكٍ والنّبِيتِ ... وعَوْفٍ وباسْتِ بَنِي الخَزْرَجِ
أطَعْتُم أتاوِيّ من غَيرِكُمْ ... فَلا من مُرادٍ ولا مَذْحِجِ
تَرَجُونَه بعد قَتْلِ الرّءُوسِ ... كَما يُرْتَجَى مَرَقُ المُنْضَجِ
ألا أنِفٌ يَبْتَغِي غِرّةً ... فيَقطَع من أمَلِ المُرْتَجِي

[قال] فأجابَها حسانُ بنُ ثابتٍ ، فقال :

بَنُو وائِلٍ وبَنُو واقِفٍ ... وخَطْمَةُ دُونَ بَنِي الخَزْرَجِ
مَتَى ما دَعَتْ سَفهًا ويْحَها ... بِعَوْلَتِها والمَنايا تَجِي
فهزّتْ فتًى ماجِدًا عِرْقُه ... كَريمُ المَداخِلِ والمَخْرَجِ [١١٢/ب]
فضَرّجَها من نَجِيعِ الدّما ... ءِ بعد الهُدُوّ فلَمْ يَحْرَجْ

فقال رَسُولُ الله ﷺ حينَ بَلَغَه ذلكَ ألا آخِذٌ لِي من ابنَةِ مَرْوانَ ؟ فسَمِعَ ذلكَ من قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ عُمَيْرُ بنُ عَدِيّ الخَطْمِيّ ، وهو عنده فلَمّا أمسَى من تِلْكَ اللّيْلَةِ سَرَى عَلَيها في بَيْتِها فقَتَلَها ، ثُمّ أصْبَحَ مع رَسُولِ الله ﷺ فقال يا رَسُولَ الله إنّي قد قَتَلْتُها . فقال نَصَرْتَ الله ورَسُوله يا عُمَيْرُ ، فقال هل عَلَيّ شيءٌ من شَأْنِها يا رَسُولَ الله ؟ فقال لا يَنْتَطِحُ فِيها عنزانِ .

فرَجَعَ عُمَيْرٌ إلى قَوْمِه وبَنُو خَطْمَةَ يَوْمئِذٍ كَثيرٌ وَجوُهم في شَأْنِ بِنْتِ مَرْوانَ ولها يَوْمئِذٍ بَنُونَ خَمسَةُ رِجالٍ فلَمّا جاءَهم عُمَيْرُ بنُ عَديّ من عند رَسُولِ الله ﷺ قال يا بَنِي خَطْمَةَ أنا قَتَلْتُ ابنَةَ مَرْوانَ فكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمّ لا تُنْظِرُونَ . فذلك اليَوْمُ أوّلُ ما عَزّ الإسْلامُ في دارِ بَنِي خَطْمَةَ وكان يَسْتَخفِي بإسْلامِه فِيهم مَنْ أسْلَمَ ، وكان أوّلَ مَنْ أسْلَمَ من بَنِي خَطْمَةَ عُمَيْرُ بنُ عَديّ وهو الذي يُدْعَى القارِئَ وعَبْدُ الله بنُ أوْسٍ ، وخُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ ، وأسْلَمَ ، يَوْمَ قُتِلَتِ ابنَةُ مَرْوانَ رِجالٌ من بَنِي خَطْمَةَ لَمّا رَأَوْا من عِزّ الإسْلامِ .

---

(١) ضعيف لم يذكر ابن إسحاق سنده ، وذكرها ابن سعد في الطبقات [٢٠/٢] ورويت موصولة من حديث ابن عباس رواها ابن عدي في الكامل [١٤٥/٦] وابن الجوزي في العلل المتناهية [٢٧٩] من رواية محمد بن الحجاج عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس . فيه محمد بن الحجاج متهم بوضع هذا الحديث . قاله ابن عدي .

السرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي

بَلَغَني عن أبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيّ عن أبي هريرَةَ أنه قال [(١)] : خَرَجَتْ خَيلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ فأخَذَتْ رَجُلاً من بَنِي حَنِيفَةَ ، لا يَشْعُرُونَ مَنْ هو حتى أتَوْا به رَسُولَ الله ﷺ فقال : «**أتَدْرُونَ مَنْ أخَذْتُم ؟ هـذا ثُمامَـةُ بنُ أثالٍ الحَنَفِيّ ، أحْسِنُوا إسارَه**» ورَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أهلِه فقال اجْمَعُوا ما كان عندكُم من طَعَامٍ فابْعَثُوا به إليه وأمَرَ بِلِقحَتِه أن يُغْدَى عليه بها ويُراحُ فجَعَلَ لا يَقَعُ من ثُمامَةَ مَوْقِعًا ويأتيه رَسُولُ الله ﷺ فيقول : «**أسْلِمْ يا ثُمامَةُ**» فيقول إيهًا يا مُحَمَّدُ إنْ تَقتُلْ تَقتُلْ ذا دَمٍ وإنْ تُرِدِ الفِداءَ فسَلْ ما شِئْتَ ، فمَكَثَ ما شاءَ الله أنْ يَمكُثَ ثُمَّ قال النَّبِيّ ﷺ يَوْمًا : «**أطْلِقُوا ثُمامَةَ**» فلَمَّا أطْلَقُوه خَرَجَ حتى أتَى البَقِيعَ ، فتَطَهَّرَ فأحسَنَ طُهُورَه ثُمَّ أقبَلَ فبايَعَ النَّبِيّ ﷺ على الإسْلامِ فلَمَّا أمسَى جاءُوه بما كانوا يَأتُونَه به من الطَّعامِ فلَم يَنَلْ منه إلاّ قَلِيلاً ، وباللِّقحَةِ فلَم يُصِبْ من حِلابِها إلاّ يَسِيرًا فعَجِبَ المُسلِمُونَ من ذلك فقال رَسُولُ الله ﷺ حينَ بَلَغَه ذلك : «**مِمَّ تَعْجَبُون ؟ أمن رَجُلٍ أكَلَ أوّلَ النّهارِ في مِعًى كافِرٍ وأكَلَ آخِرَ النّهارِ في مِعًى مُسلِمٍ إنّ الكافِرَ يَأكُلُ في سَبْعَةِ أمعاءٍ وإنّ المُسلِمَ يَأكُلُ في مِعًى واحِدٍ**»

قال ابنُ هشام : فبَلَغَنِي أنه خَرَجَ مُعْتَمِرًا ، حتى إذا كان بِبَطْنِ [مَكّةَ لَبّى ، فكان أوّلَ مَنْ دَخَلَ] مَكّةَ يُلَبّي ، فأخَذَتْه قُرَيْشٌ ، فقالُوا : لَقد اجتَرَأتَ عَلينا ، فلَمّا قَدّمُوه لِيَضرِبُوا عُنُقَه قال قائِلٌ منهم دَعُوه فإنّكُمْ تَحتاجُونَ إلى اليَمامَةِ لِطَعامِكُمْ فخَلّوه فقال الحَنَفِيّ [في ذلك] .

ومِنّا الذي لَبّى بمَكّةَ مُعْلِنًا بِرَغْمِ   أبي سُفيانَ في الأشْهُرِ الحُرُمِ

وحُدِّثْتُ أنه قال لِرَسُولِ الله ﷺ حينَ أسْلَمَ ، لَقد كان وجهُكَ أبْغَضَ الوُجُوه إليّ ولَقد أصْبَحَ وهو أحَبّ الوُجُوه إليّ . وقال في الدِّينِ والبِلادِ مِثلَ ذلك . ثُمّ مضى مُعْتَمِرًا ، فلَمّا قَدِمَ مَكّةَ ، قالُوا : أصَبَوْتَ يا ثُمامُ ؟ فقال : لا ، ولَكِنّي اتّبَعْتُ خَيْرَ الدّينِ دينَ مُحَمّدٍ ولا واللهِ لا تَصِلُ إليكُمْ حَبّةٌ من اليَمامَةِ حتى يَأذَنَ فِيها رَسُولُ الله ﷺ . ثُمّ خَرَجَ إلى اليَمامَةِ ، فمَنَعَهم أنْ يَحْمِلُوا إلى مَكّةَ شيئًا ، فكَتَبُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ إنّكَ تَأمُرُ بِصِلَةِ الرّحِمِ وإنّكَ قد قَطَعْتَ أرْحامَنا ، [وقد قَتَلْتَ الآباءَ بالسّيْفِ والأبناءَ بالجُوعِ] فكَتَبَ رَسُولُ الله ﷺ [١١٣/أ] إليه أنْ يُخَلّي بينهم وبين الحَمْلِ .

* * *

(١) أورده ابن إسحاق بلاغًا والحديث متفق عليه : رواه البخاري [٤٣٧٢] ، ومسلم [١٧٦٤] .

سرية علقمة بن مجزز

وَبَعَثَ [رَسُولُ الله ﷺ] عَلْقَمَةَ بنَ مُجَزِّزٍ . لَمَّا قُتِلَ وقَاصُ بنُ مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيّ يَوْمَ ذِي قَرَدَ وسَأَلَ عَلْقَمَةُ بنُ مُجَزِّزٍ رَسُولَ الله ﷺ أن يَبْعَثَه في آثارِ القَوْمِ لِيَدْرِكَ ثَأرَه فِيهم .

فذَكَرَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ مُحَمَّدٍ [عن مُحَمَّدٍ] بنِ عَمْرِو بنِ عَلْقَمَةَ ، عن عَمْرِو بنِ الحَكَمِ بنِ ثَوْبَانَ ، عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ قال [(١)] : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلْقَمَةَ بنَ مُجَزِّزٍ - قال أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ : وأنا فِيهم - حتى إذا بَلَغْنا رَأْسَ غَزاتِنا أوْكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أذِنَ لِطائِفَةٍ مِن الجَيْشِ واسْتَعْمَلَ عَلَيهم عَبْدَ الله ابنَ حُذافةَ السَّهْمِيّ وكان من أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ وكانَتْ فِيه دُعابَةٌ فلَمَّا كان بِبَعْضِ الطَّرِيقِ أوْقَدَ نارًا ، ثُمَّ قال لِلْقَوْمِ أليسَ لِي عَليكُم السَّمعُ والطَّاعَةُ ؟ قالُوا : بَلَى ؛ قال أفَمَا أنا آمُرُكُم بِشيءٍ إلاَّ فعَلْتُمُوه ؟ قالُوا : نَعَم قال فإنِّي أعْزِمُ عَليكُم بِحَقِّي وطاعَتِي إلاَّ تَواثَبْتُم في هذه النَّارِ قال فقامَ بَعْضُ القَوْمِ يَحْتَجِزُ حتى ظَنَّ أنهم واثِبُونَ فِيها ، فقال لهم اجْلِسُوا ، فإنَّما كُنْت أضْحَكُ معكُم فذُكِرَ ذلك لِرَسُولِ الله ﷺ بعد أنْ قَدِمْنا عليه فقال رَسُولُ الله ﷺ مَنْ أمَرَكُم بِمَعْصِيَةٍ منهم فلا تُطِيعُوه . وذَكَرَ مُحَمَّدُ بنُ طَلْحَةَ أنّ عَلْقَمَةَ بنَ مُجَزِّزٍ رَجَعَ هو وأصْحابُه ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

حَدَّثَنِي بَعْضُ أهلِ العِلْمِ عَمَّنْ حَدَّثَه عن مُحَمَّدِ بنِ طَلْحَةَ ، عن عُثْمَانَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [(٢)] ، قال أصابَ رَسُولُ الله ﷺ في غَزْوَةِ مُحارِبٍ وبَنِي ثَعْلَبَةَ عَبْدًا يُقالُ له يَسارٌ فجَعَلَه رَسُولُ الله ﷺ في لِقاحٍ له كانَتْ تَرْعَى [في] ناحِيَةِ الجَمَّاءِ ، فقَدِمَ على رَسُولِ الله ﷺ نَفَرٌ من قَيْسِ كُبَّة من بَجِيلَةَ ، فاسْتَوْبَئُوا ، وطَحِلُوا ، فقال لهم رَسُولُ الله ﷺ لَوْ خَرَجْتُم إلى اللِّقاحِ فشَرِبْتُم من ألبانِها وأبوالِها ، فخَرَجُوا إليها .

فلَمَّا صَحُوا وانطَوَتْ بُطُونُهم عَدَوْا على راعِي رَسُولِ الله ﷺ يَسارٍ فذَبَحُوه وغَرَزُوا الشَّوْكَ في عَيْنَيْه واسْتَاقُوا اللِّقاحَ . فبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ في آثارِهم كُرْزَ بنَ جابِرٍ ، فلَحِقَهم فأتَى بِهم رَسُولَ الله ﷺ مَرْجِعه من غَزْوَةِ ذِي قَرَدَ فقَطَعَ أيْدِيَهم وأرْجُلَهم وسَمَلَ أعْيُنَهم .

---

(١) حسن : رواه أحمد [٣/٦٧] وابن أبي شيبة [٧/٧٣٦] وابن ماجه [٢٨٦٣] وأبو يعلى [١٣٤٩] وابن حبان في صحيحه [٤٥٥٨] كلهم من طريق محمد بن عمرو به وهذا إسناد حسن وللحديث شاهد من حديث علي رواه البخاري [٧٢٥٧] ومسلم [١٨٤٠] .

(٢) صحيح لغيره : سند ابن هشام ضعيف ، والحديث متفق عليه من حديث أنس رواه البخاري [٤١٩٢] ومسلم [١٦٧١] .

غَزْوَةُ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ إلى اليَمَن

وَغَزْوَةُ عَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ رِضوانُ الله عَليه إلى اليَمَنِ ، غَزاها مَرّتَيْنِ .

[قال ابنُ هشام] (١) : قال أبُو عَمرٍو المَدَنِيّ : بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَلِيّ ابنَ أبي طالِبٍ إلى اليَمَنِ ، وبَعَثَ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ في جُندٍ آخَرَ وقال إن التَقَيْتُما فالأميرُ عَلِيّ بنُ أبي طالِب .

وَقد ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ بَعْثَ خالِدِ بنِ الوَليدِ في حَديثِه ولَم يَذْكُرْه في عِدّةِ البُعُوثِ والسّرايا ، فيَنْبَغِي أنْ تَكُونَ العِدّةُ في قَوْلِه تِسْعَةً وثَلاثِينَ .

بَعْثُ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ إلى أرْضِ فِلَسْطِين

وَهو آخِرُ البُعُوث

قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : وبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ أُسامَةَ بنَ زَيْدِ بنِ حارِثَةَ إلى الشّام ، وأمَرَه أنْ يُوطِئَ الخَيْلَ تُخُومَ البَلْقاءِ والدّارُومِ ، من أرْضِ فِلَسْطِينَ ، فتَجَهّزَ النّاسُ وأوْعَبَ مع أُسامَةَ المُهاجِرُونَ الأوّلُونَ .

قال ابنُ هشامٍ : وهو آخِرُ بَعْثٍ بَعَثَه رَسُولُ الله ﷺ .

ابْتِداءُ شَكْوَى رَسُولِ الله ﷺ

قال ابنُ إسْحاقَ : فبَيْنا النّاسُ على ذلك ابْتُدِئَ رَسُولُ الله ﷺ بِشَكْوِه الذي قَبَضَه الله فِيه إلى ما أرادَ به من كَرامَتِه ورَحْمَتِه في لَيالٍ بَقِينَ من صَفَرٍ أوْ في أوّلِ شَهْرِ رَبيعٍ الأوّلِ .

وفاةُ الرسول ﷺ

فكانَ أوّلُ ما ابْتُدِئَ به من ذلك فيما ذُكِرَ لي ، أنّه خَرَجَ إلى بَقِيعِ الغَرْقَدِ ، من جَوْفِ اللّيْلِ فاسْتَغْفَرَ لهم ثُمّ رَجَعَ إلى أهلِه فلَمّا أصْبَحَ ابْتُدِئَ بِوَجَعِه من يَوْمِه ذلك .

قال ابنُ إسْحاقَ (٣) : وحَدّثَنِي عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ ، عن عتبة بن عمر الغيلى عن عُبَيْدِ بنِ

---

(١)صحيح : إسناد ابن هشام معلق ، ومن حديث البراء بن عازب ، رواه البخاري في صحيحه [٤٣٤٩] .
قال : بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن قال : ثم بعث عليًا بعد ذلك مكانه فقال : «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ، ومن شاء فليقبل ...» .

(٢) سبق تخريجه ص ٥٥ .

(٣)حسن : رواه أحمد [٤٨٩/٣] والطبري في تاريخه [٢٢٦/٢] والحاكم [٥٥/٣ ، ٥٦] والدارمي [٣٦/١] .... =

جُبَيْرٍ [مَوْلَى الحَكَمِ بنِ أبي العاص] عن عَبْدِ الله بنِ عَمرو بنِ العاص ، عن أبي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ قال بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ من جَوْفِ اللَّيْلِ فقال : «**يا أبا مُوَيْهِبَةَ** [١١٣/ب]**إني قد أُمِرت أن أستَغفِرَ لأهلِ هذا البَقِيعِ ، فانطَلِق مَعِي**» ، فانطَلَقت معه فلمّا وقَف بين أظهُرِهم قال : «**السَّلامُ عَليكُمْ يَا أهلَ المقَابِرِ لِيَهْنِئَ لَكُم ما أصبَحتُم فِيه مِمَّا أصبَحَ النَّاسُ فِيه أقبلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظلِمِ يَتبَعُ آخِرُها أوّلها ، الآخِرَةُ شَرّ من الأُولَى**» ، ثُمّ أقبَلَ عَلَيّ فقال : «**يا أبا مُوَيْهِبَةَ إنّي قد أُوتيت مَفاتيحَ خَزائِنِ الدّنيا والخُلْدَ فِيها ، ثُمّ الجَنّةُ فخُيِّرت بين ذلك وبين لِقاءِ رَبّي والجَنّةِ**» . قال فقُلْت : بأبي أنتَ وأمّي ، فخُذْ مَفاتيحَ خَزائِنِ الدّنيا والخُلْدَ فِيها ، ثُمّ الجَنّةَ ؟ قال : «**لا والله يا أبا مُوَيْهِبَةَ لَقد اختَرْت لِقاءَ رَبّي والجَنّةَ ثُمّ أستَغفِرُ لأهلِ البَقِيعِ**» ، ثُمّ أنصَرف فبَدَأ بِرَسُولِ الله ﷺ وجَعُه الذي قَبَضَه الله فِيه .

[تَمريضُه في بَيْتِ عائِشَةَ] :

قال ابنُ إسْحاقَ [١] : وحَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ ، عن مُحَمّدِ بنِ مُسْلِمٍ الزّهريّ ، عن عُبَيْدِ الله بن عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، عن عائِشَةَ زَوْجِ النّبيّ ﷺ قالتْ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ من البَقِيعِ ، فوَجَدَنِي وأنا أجِدُ صُداعًا في رَأْسِي ، وأنا أقُولُ : وازأساه ، فقال : «**بَل أنا والله يا عائِشَةُ وازأساه**» .

قالتْ ثُمّ قال : «**وما ضَرّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي ، فقُمتُ عَليك وكَفَّنتُك ، وصَلّيت عَليك ودَفَنْتُك ؟**» قالتْ قلت : والله لَكأنّي بِك ، لَوْ قد فعَلْتَ ذلك لَقد رَجَعْتَ إلى بَيْتي ، فأعْرَسْتَ فِيه بِبَعْضِ نِسائِك ، قالتْ فتَبَسّمَ رَسُولُ الله ﷺ وتَتامّ به وجَعُه وهو يَدُورُ على نِسائِه حتى اسْتَعَزّ به وهو في بَيْتِ مَيْمُونَةَ فدَعا نِساءَه [فاسْتَأْذَنَهُنّ في أنْ يُمَرّضَ في بَيْتي ، فأذِنّ له] [٢] .

ذِكرُ أزواجِه ﷺ أُمّهاتِ المؤمنين

قال ابنُ هشام : وكُنّ تِسْعًا أزواجُ النبي ﷺ : عائِشَةُ بِنْتُ أبي بَكْرٍ ، وحَفصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، وأُمّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ، وأُمّ سَلَمَةَ بِنْتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرَةِ ، وسَوْدَةُ

= والطبراني في الكبير [٢٢/٣٤٦ ، ٣٤٨] ، والبيهقي دلائل [١٦٢/٧] من طريق ابن إسحاق هذا ، وفيه عبد الله بن عمر العمري ضعيف . وروى من طرق أخرى من طريق الحكم بن فضيل عن يعلى بن عطاء عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة . رواه أحمد [٤٨٨/٣] وأبو نعيم في الحلية [٢٨/١] من طريق ابن إسحاق عن أبي مالك بن ثعلبة عن عمر بن الحكم ابن ثوبان عن ابن عمرو عن أبي مويهبة . قلت : الحديث بطرقه حسن .

(١) صحيح : سند ابن إسحاق حسن ، ورواه البخاري [٥٦٦٦] من رواية القاسم بن محمد عن عائشة نحوه ، وأحمد [٢٢٨/٦] وابن ماجه [١٤٦٥] .

(٢) هذه الفقرة متفق عليها : من حديث عائشة . رواه البخاري [٤٤٤٢] ، ومسلم [٤١٨] .

بِنْتُ زَمعةَ بنِ قَيْسٍ ، وزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بنِ رِئَابٍ ومَيْمُونَةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ حَزْنٍ ، وجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ ، وصَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيّ بن أخطَب فِيما حَدَّثَنِي غيرُ واحدٍ من أهلِ العِلْم .

قال : وَكان جَمِيعُ مَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ عَشْرَةَ خَديجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وهِيَ أوَّلُ مَنْ تَزَوَّجَ زَوَّجَه إيّاها أبُوها خُوَيْلِدُ بنُ أسَدٍ ، ويُقالُ أخُوها عَمرُو بنُ خُوَيْلِدٍ ، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ عِشْرِينَ بَكْرَةً فوَلَدَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ولَدَه كُلَّهم إلاّ إبْراهِيمَ وكانَتْ قَبْله عند أبي هالَةَ بنِ مالِكٍ أحَدِ بَنِي أُسَيْدِ بنِ عَمرِو ابنِ تَمِيمٍ حَلِيفِ بَنِي عَبْدِ الدّارِ فوَلَدَتْ له هِنْدَ بنَ أبي هالَةَ وزَيْنَبَ بِنْتَ أبي هالَةَ وكانَتْ قَبْلَ أبي هالَةَ عند عُتَيْقِ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ الله [بنِ عُمَرَ] بنِ مَخْزُوم ، فوَلَدَتْ له عَبْدَ الله وجارِيَةً . [قال ابنُ هشام : جارِيَةٌ من الجَوارِي ، تَزَوَّجَها صَيْفِيّ بنُ أبي رِفاعَةَ] .

[زَواجُه بعائِشَةَ] :

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عائِشَةَ بِنْتَ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِمَكَّةَ ، وهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِينَ وبَنَى بها بِالمَدِينَةِ وهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ أو عَشْرٍ ولَمْ يَتَزَوَّجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكْرًا غيرَها ، زَوَّجَه إيّاها أبُوها أبُو بَكْرٍ وأصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهم [1]

[زَواجُه بسَوْدَةَ] :

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدّ ابنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، زَوَّجَه إيّاها سَلِيطُ بنُ عَمرٍو ، ويُقال أبُو حاطِبِ بنِ عَمرِو بنِ عَبْدِ شَمسِ بنِ عَبْدِ وُدّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلٍ وأصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهم .

[قال ابنُ هشام : ابنُ إسْحاقَ يُخالِفُ هذا الحَدِيثَ يَذْكُرُ أنّ سَلِيطًا وأبا حاطِبٍ كانا غائِبَيْنِ بأرْضِ الحَبَشَةِ في هذا الوَقتِ] . وكانَتْ قَبْله عند السَّكْرانِ بنِ عَمرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدّ بنِ نَصْرِ ابنِ مالِكِ بنِ حِسْلٍ .

[زَواجُه بزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ] :

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ بنِ رِئَابٍ الأسَدِيَّةَ زَوَّجَه إيّاها أخُوها أبُو أحْمَدَ بنِ جَحْشٍ ، وأصْدَقَها رَسُولُ اللهِ ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهم وكانَتْ قَبْله عند زَيْدِ بنِ حارِثَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ففِيها أنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالَى ﴿فلَمّا قَضَى زَيْدٌ منها وطَرًا زَوَّجْناكَها﴾ . [الأحزاب : ٣٧] .

---

(١) روى البخاري [٣٨٩٤] ومسلم [٢١٤٦] من حديث عائشة قالت : «تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة ... فذكرت قصة بناؤه بها قالت وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين» .
قلت : وما في الصحيحين أصح من قول ابن إسحاق أن عمرها كان ست سنين لا سبع .

[زواجه بأم سلمة] :

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ بِنْتَ أبي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيَّةَ ، واسْمُها [١١٤/أ] هِنْدُ ، زَوَّجَه إيّاها سَلَمَةُ بنُ أبي سَلَمَةَ ابنُها ، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ فِراشًا حَشْوُه لِيفٌ وقَدَحًا ، وصَحْفَةً ومِجَشَّةً وكانَتْ قَبْلَه عند أبي سَلَمَةَ بنِ عَبْدِ الأسَدِ واسْمُه عَبْدُ الله ، فوَلَدَتْ له سَلَمَةَ وعُمَرَ وزَيْنَبَ ورُقَيَّةَ .

[زواجه بحفصة] :

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ حَفصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، زَوَّجَه إيّاها أبوها عُمَرُ [بنُ الخَطّابِ] ، وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهمٍ وكانَتْ قَبْلَه عند خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ السَّهْمِيّ .

[زواجه بأم حبيبة] : وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ ، واسْمُها رَمْلَةُ بِنْتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ، زَوَّجَه إيّاها خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ ، وهما بأرْضِ الحَبَشَةِ ، وأصْدَقَها النَّجاشِيّ عن رَسُولِ الله ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دينارٍ ، وهو الذي كان خَطَبَها على رَسُولِ الله ﷺ وكانَتْ قَبْلَه عند عُبَيْدِ الله بنِ جَحْشٍ الأسَديّ .

[زواجه بجويرية] : وَتَزَوَّجَ رَسُولُ الله ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ الخُزاعِيَّة ، كانَتْ في سَبايا بَنِي المُصْطَلِقِ من خُزاعَةَ ، فوَقَعَتْ في السَّهْمِ لِثابتِ بنِ قَيْسِ بنِ الشَّمّاسِ الأنْصاريّ ، فكاتَبَها على نفسِها ، فأتَتْ رَسُولَ الله ﷺ تَسْتَعِينُه في كِتابَتِها . فقال لها : هل لَكِ في خَيْرٍ من ذَلِكِ ؟ قالت وما هو ؟ قال أقْضِي عنك كِتابَتَكِ وأتَزَوَّجُكِ ؟ فقالتْ نَعَم فتَزَوَّجَها .

[قال ابنُ هشام] [١] : حَدَّثَنا بهذا الحَديثِ زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيّ ، عن مُحَمّدِ بنِ إسْحاقَ ، عن مُحَمّدِ بنِ جَعْفرِ ابنِ الزُّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، عن عائِشَةَ .

قال ابنُ هشام : ويُقال : لَمّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ من غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ ، وكانت معه جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحارِثِ ، فكان بذاتِ الجَيْشِ دَفَعَ جُوَيْرِيَةَ إلى رَجُلٍ من الأنْصارِ وديعَةً وأمَرَه بالاحْتِفاظِ بها ، وقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ ، فأقْبَلَ أبُوها الحارِثُ بنُ أبي ضِرارٍ بِفِداءِ ابنَتِه فلَمّا كان بالعَقِيقِ نَظَرَ إلى الإبِلِ التي جاءَ بها لِلفِداءِ فرَغِبَ في بَعِيرَيْنِ منها ، فغَيَّبَهما في شِعْبٍ من شِعابِ العَقِيقِ ، ثُمّ أتَى النَّبِيّ ﷺ فقال يا مُحَمّدُ أصَبْتُم ابنَتِي ، وهذا فِداؤُها ، فقال رَسُولُ الله ﷺ فأيْنَ البَعِيرانِ اللّذانِ غَيَّبْت بِالعَقِيقِ في شِعْبِ كَذا وكَذا ؟ فقال الحارِثُ : أشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، وأنّكَ رَسُولُ الله [صَلّى الله عَليك] ، فوالله ما اطّلَعَ على ذلك إلاّ الله [تَعالَى] فأسْلَمَ الحارِثُ ، وأسْلَمَ معه ابنانِ له وناسٌ من قَوْمِه وأرْسَلَ إلى البَعِيرَيْنِ فجاءَ بهما ، فدَفَعَ الإبِلَ إلى

(١) حسن الإسناد : وسبق تخريجه في غزوة بني المصطلق .

النبيّ ودُفِعَتْ إليه ابنَتُه جُوَيْرِيَةُ ، فأسْلَمَتْ وحَسُنَ إسْلامُها ، وخَطَبَها رَسُولُ الله ﷺ إلى أبيها ، فزَوّجَه إيّاها ، وأصْدَقَها أرْبَعَمِائَةِ دِرْهمٍ وكانَتْ قَبْلَ رَسُولِ الله ﷺ عند ابنِ عَمّ لها يُقالُ له عَبْدُ الله بن قيس .

[قال ابنُ هشام] : ويُقالُ اشْتَرَاها رَسُولُ الله ﷺ من ثابتِ بنِ قَيْسٍ ، فأعْتَقَها وتَزَوّجَها ، وأصْدَقَها أرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ .

[زَواجُه بصَفِيّةَ] : وَتَزَوّجَ رَسُولُ الله ﷺ صَفِيّةَ بِنْتَ حُيَيّ بنِ أخطَب ، سَباها من خَيْبَرَ ، فاصْطَفاها لِنَفسِه وأوْلَمَ رَسُولُ الله ﷺ وليمَةً ما فِيها شَحْمٌ ولا لَحْمٌ كان سَوِيقًا وتَمْرًا ، وكانَتْ قَبْله عند كِنانَةَ بنِ الرّبيعِ بنِ أبي الحُقَيْقِ .

[زَواجُه بمَيْمُونَةَ] : وَتَزَوّجَ رَسُولُ الله ﷺ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الحارِثِ بنِ حَزْنِ بنِ بُجَيرِ بنِ هُزَمَ بنِ رُوَيْبَةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، زَوّجَه إيّاها العَبّاسُ بنُ عَبْدِ المُطّلِبِ ، وأصْدَقَها العَبّاسُ عن رَسُولِ الله ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهمٍ وكانَتْ قَبْله عند أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، ويُقالُ إنّها التي وهبَتْ نَفسَها لِلنّبيّ ﷺ وذلك أنّ خِطبَةَ النّبيّ ﷺ انْتَهَتْ إليها وهيَ على بَعِيرِها ، فقالتِ البَعِيرُ وما عَليه لله ولِرَسُوله فأنْزَلَ الله تَبارَكَ وتَعالَى ﴿**وامرأةً مُؤمِنَةً إن وهبَتْ نَفسَها لِلنّبيّ**﴾ . [الأحزاب/ ٥٠] .

وَيُقالُ إنّ التي وهبَتْ نَفسَها لِلنّبيّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، ويُقالُ أُمّ شَرِيكٍ غَزِيّة بِنْتُ جابِرِ بنِ وهْبٍ من بَني مُنْقِذِ بنِ عَمرِو بنِ مَعِيصِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيّ ، ويُقالُ بَلْ هِيَ امرَأَةٌ من بَني سامَةَ ابنِ لُؤَيّ ، فأرْجَأها رَسُولُ الله ﷺ .

[زَواجُه زَيْنَبَ بِنْتِ خُزَيْمَةَ] : وَتَزَوّجَ رَسُولُ الله ﷺ [١١٤/ب] زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عَمرِو بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ وكانَتْ تُسَمّى أُمّ المَساكِينِ لِرَحْمَتِها إيّاهم ورأفتِها ورِقّتِها عَليهم زَوّجَه إيّاها قَبِيصَةُ بنُ عَمرِو الهِلاليّ وأصْدَقَها رَسُولُ الله ﷺ أرْبَعَمِائَةِ دِرْهمٍ وكانَتْ قَبْله عند عُبَيْدَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ ، وكانَتْ قَبْلَ عُبَيْدَةَ عند جَهْمِ ابنِ عَمرِو بنِ الحارِثِ ، وهو ابنُ عَمّها .

فهؤُلاءِ اللاتي بَنَى بهِنّ رَسُولُ الله ﷺ إحْدَى عَشَرَةَ فماتَ قَبْله منهُنّ ثِنْتانِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ . وَتُوُفّيَ عن تِسْعٍ قد ذَكَرْناهُنّ في أوّلِ هذا الحَديثِ وثِنْتانِ لَم يَدْخُلْ بهما : أسْماءُ بِنْتُ النّعْمانِ الكِنْدِيّةُ تَزَوّجَها فوَجَدَ بها بَياضًا ، فمَتّعَها ورَدّها إلى أهلِها ، وعَمرَةُ بِنْتُ يَزِيدَ الكِلابيّة وكانَتْ حَدِيثَةَ عَهْدٍ بكُفرٍ فلَمّا قَدِمَتْ على رَسُولِ الله ﷺ اسْتَعاذَتْ من رَسُولِ الله ﷺ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ مَنِيعٌ عائِذُ الله فرَدّها إلى أهلِها ، ويُقالُ إنّ التي اسْتَعاذَتْ من

رَسُولِ الله كِنديةُ بِنتُ عَمّ لأسماءِ بِنتِ النعْمانِ ويُقالُ إنّ رَسُولَ الله ﷺ دَعاها ، فقالت إنَّا قَوْمٌ نُؤْتَى ولا نَأْتِي ؛ فرَدّها رَسُولُ الله إلى أهلِها [1] .

القُرَشِيّاتُ من أزواجِ النّبيّ ﷺ ستّ : خَديجَةُ بِنتُ خُوَيْلدِ بنِ أسدِ بنِ عَبدِ العُزّى بنِ قُصَيّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ ، وعائِشَةُ بِنتُ أبي بَكرِ ابنِ أبي قُحافةَ بنِ عامِرِ بنِ عَمرِو ابنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ [بنِ غالِبٍ] ؛ وحَفصَةُ بِنتُ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ابنِ نُفَيْلِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَديّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ ؛ وأُمّ حَبيبَةَ بِنتُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمسِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيّ بنِ كِلابِ ابنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ ؛ وأُمّ سَلَمَةَ بِنتُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغيرَةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيّ ؛ وسَوْدَةُ بِنتُ زَمعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمسِ بنِ عَبْدِ وُدّ بنِ نَصْرِ ابنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيّ .

والعَرَبِيّاتُ وغيرُهُن سَبعٌ زَيْنَبُ بِنتُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمُرَ بنِ صَبْرَةَ بنِ مُرّةَ بنِ كَبيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دَوْدانَ بنِ أسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ؛ ومَيْمُونَةُ بِنتُ الحارِثِ بنِ حَزْنِ بنِ بُجَيرِ بنِ هُزَمَ بنِ رُوَيْبَةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هوازِنَ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ ؛ وزَيْنَبُ بِنتُ خُزَيْمَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عَمرِو بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ هِلالِ بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعاوِيَةَ ؛ وجُوَيْرِيَةُ بِنتُ الحارِثِ بنِ أبي ضِرارٍ الخُزاعِيّة ، ثُمّ المُصْطَلِقِيّة ؛ وأسماءُ بِنتُ النّعْمانِ الكِنْدِيّةُ وعَمْرَةُ بِنتُ يَزيدَ الكِلابيّة .

وَمن غيرِ العَرَبيّاتِ : صَفِيّةُ بِنتُ حُيَيّ بنِ أخطَبَ ، من بَني النّضِيرِ .

تمريض رسول الله في بيت عائشة

قال ابنُ إسْحاقَ [2] : حَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ ، [عن مُحمّدِ بنِ مُسْلِمِ الزّهْرِيّ ،عن عُبَيْدِ الله ابنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ] ، عن عائِشَةَ زَوْجِ النّبِيّ ﷺ قالت فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي بين رَجُلينِ من أهلِه أحَدُهما الفضْلُ بنُ العَبّاسِ ، ورَجُلٌ آخَرُ عاصِبًا رَأسَه تَخُطّ قَدَماه حتى دَخَلَ بَيْتي .

قال عُبَيْدُ الله : فحَدّثت هذا الحَديثَ عَبْدَ الله بنَ العَبّاسِ ، فقال : هل تَدْري مَن الرّجُلُ الآخَرُ ؟ قال قلت : لا ؟ قال عَليّ بنُ أبي طالِبٍ .

---

(١) القصة صحيحة : رواها البخاري [٥٢٥٥] ، وأحمد [٤٩٨/٣] ، والنسائي [١٥٠/٦] ، وابن ماجه [٢٠٣٧] . والخلاف فيمن هي .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري [٤٤٤٢] ، ومسلم [٤١٨] .

[شِدّةُ المرَضِ وصَبّ الماءِ عَليهِ] :

ثُمّ غُمِرَ رَسُولُ الله ﷺ واشْتَدّ به وجَعُه فقال : «**هريقُوا عَلَيّ سَبْعَ قِرَبٍ من آبارٍ شَتّى**» ، حتى أخرُجَ إلى النّاسِ فأعْهَدُ إليهم . قالتْ فأقعَدْناه في مِخْضَبٍ لحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، ثُمّ صَبَبْنا عَليه الماءَ حتى طَفِقَ يقول حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ

[كَلِمَةُ لِلنّبيّ واختِصاصُه أبا بَكْرٍ بالذّكْرِ] :

قال ابنُ إسْحاقَ (١) : وقال الزّهريّ : حَدّثَني أبو أيّوبُ بنُ بَشِيرٍ أنّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عاصِبًا رَأْسَه حتى جَلَسَ على المنبَرِ ثُمّ كان أوّلُ ما تَكَلّمَ به أنه صَلّى على أصْحابِ أُحُدٍ ، واسْتَغْفَرَ لهم فأكْثَرَ الصّلاةَ عَليهم ثُمّ قال : «**إنّ عَبْدًا من عِبادِ الله خَيّرَه الله بين الدّنيا والآخرة وبين ما عنده** [١١٥/أ] **فاختارَ ما عند الله على ما عنده**» . قال ففهِمَها أبو بَكْرٍ وعَرَفَ أنّ نَفسَه يُريدُ فبَكَى وقال بَلْ نَحْنُ نَفديكَ يا رسول الله بأنْفُسِنا وأبنائِنا ، فقال : «**على رِسْلِكَ يا أبا بَكْرٍ** ، **ثُمّ قال انظُرُوا هذه الأبْوابَ اللاّفِظَةَ في المَسْجِدِ فسُدّوها إلاّ بَيْتَ أبي بَكْرٍ فإنّي لا أعْلَمُ أحَدًا كان أفضَلَ في الصّحْبَةِ عِندي يَدًا منه**»

قال ابنُ هشامٍ : ويُرْوَى : إلاّ بابَ أبي بَكْرٍ . قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : وحَدّثَني عَبْدُ الرّحْمَنِ ابنُ عَبْدِ الله عن بَعْضِ آلِ [أبي] سَعِيدِ بنِ المُعَلّى : أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال يَوْمَئذٍ في كَلامِه هذا : «فإنّي لَوْ كُنْت مُتّخِذًا من العِبادِ خَليلاً لاتّخَذْت أبا بَكْرٍ خَليلاً ، ولَكِنْ صُحْبَةٌ وإخاءُ إيمانٍ حتى يَجْمعَ الله بيننا عنده» .

[أمرُ الرّسُولِ بإنْفاذِ بَعْثِ أُسامَةَ] :

وَقال ابنُ إسْحاقَ (٣) : وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ جَعْفرِ بنِ الزّبَيْرِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزّبَيْرِ وغيرِه من العُلَماءِ أنّ رَسُولَ الله ﷺ اسْتَبْطَأَ النّاسَ في بَعْثِ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ ، وهو في وجَعِه فخَرَجَ عاصِبًا رَأْسَه حتى جَلَسَ على المنبَرِ وقد كان النّاسُ قالُوا في إمرَةِ أُسامَةَ : أمّرَ غُلامًا حَدَثًا على جِلّةِ

---

(١) متفق عليه : سند ابن إسحاق فيه إرسال وقد عنعن . والحديث رواه البخاري [٤٦٦ - ٣٦٥٤] ومسلم [٢٣٨٢] من حديث أبي سعيد بلفظه تقريبًا .

(٢) صحيح من وجهٍ آخر : سند ابن إسحاق مرسل ضعيف ، رواه أحمد [٤٧٨/٣ ، ٢١١/٤ - ٢١٢] والترمذي [٣٦٥٩] والبيهقي دلائل [١٧٥/٧] والحديث بمعناه ، رواه البخاري [٣٦٥٤] ومسلم [٢٣٨٢] من حديث أبي سعيد ، ومن حديث ابن عباس رواه البخاري [٤٦٧] ، ومن حديث ابن مسعود رواه مسلم [٢٣٨٣] .

(٣) حسن بشواهده : سند ابن إسحاق مرسل وله شاهد من حديث ابن عمر رواه البخاري [٤٢٥٠] ومسلم [٢٤٢٦] بلفظ : «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وأيم الله لقد كان خليقًا للإمارة» .

المهاجِرينَ والأنصارِ .

فحَمِدَ الله وأثنى عليه بما هو له أهلٌ ثُمّ قال : «أيها النّاس أنفِذُوا بَعْثَ أُسامَةَ ، فلَعَمري لَئِنْ قُلْتُم في إمارَتِه لَقد قُلْتُم في إمارَةِ أبيه من قَبْلِه وإنّه لخَلِيقٌ للإمارَةِ وإن كان أبوه لخَلِيقًا لها» قال : ثُمّ نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ وانكَمَشَ النّاسُ في جَهازِهِم اسْتَعَزّ بِرَسُولِ الله ﷺ وجَعُه فخَرَجَ أُسامَةُ وخَرَجَ جَيْشُه معه حتى نَزَلُوا الجُرْف ، من المَدِينَةِ على فرْسَخٍ فضَرَبَ به عَسْكَرَه وتَتامّ إليه النّاس وثَقُلَ رَسُولُ الله ﷺ فأقامَ أُسامَةُ والنّاسُ لِيَنْظُرُوا ما الله قاضٍ في رَسُولِ الله ﷺ .

[وَصِيَّةُ الرّسُولِ بالأنصارِ] :

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ [(١)] : قال الزّهريّ : وحَدّثَني عَبْدُ الله بنُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ : أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال يَوْمَ صَلّى واستَغفَرَ لأصْحابِ أُحُدٍ ، وذَكَرَ من أمرِهِم ما ذَكَرَ مع مَقالتِه يَوْمَئِذٍ : «يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ ، استَوْصُوا بالأنصارِ خَيْرًا ، فإنّ النّاسَ يَزِيدُونَ وإنّ الأنصارَ على هيئَتِها لا تَزِيدُ وإنّهم كانوا عَيْبَتِي التي أوَيْتُ إليها ، فأحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِم وتَجاوَزُوا عن مُسِيئِهِم» [قال عَبْدُ الله] ثُمّ نَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ فدَخَلَ بَيْتَه وتَتامّ به وجَعُه حتى غُمِرَ .

[قال عَبْدُ الله] [(٢)] : فاجْتَمع إليه نِساءٌ من نِسائِه أُمّ سَلَمَةَ ، ومَيْمُونَةُ ، ونِساءٌ من نِساءِ المُسلِمِينَ منهُنّ أسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وعنده العَبّاسُ عَمّه فأجْمَعُوا أنْ يَلُدّوه وقال العَبّاسُ : لألُدّنّه .

قال فلَدّوه فلَمّا أفاقَ رَسُولُ الله ﷺ قال : «مَنْ صَنَعَ هذا بي ؟» قالُوا : يا رَسُولَ الله عَمّك ، قال : «هذا دَواءٌ أتَى به نِساءٌ جِئْنَ من نَحْوِ هذه الأرْضِ» وأشارَ نَحْوَ أرْضِ الحَبَشَةِ قال : ولِمَ فعَلْتُم ذلك ؟ فقال عَمّه العَبّاسُ : خَشِينا يا رَسُولَ الله أنْ يَكُونَ بِكَ ذاتُ الجَنْبِ فقال : «إنّ ذلك لَداءٌ ما كان الله عَزّ وجَلّ لِيَقذِفَنِي به لا يَبْقَ في البَيْتِ أحَدٌ إلاّ لُدّ إلاّ عَمّي» ، فلَقد لُدّتْ مَيْمُونَةُ وإنّها لَصائِمَةٌ لِقَسَمِ رَسُولِ الله ﷺ عُقُوبَةً لهم بِما صَنَعُوا [به] .

---

(١) صحيح من وجه آخر :سند ابن إسحاق مرسل ، رواه أحمد [٣/٥٠٠] من طريق الزهري عن ابن كعب مرسلاً ، ووصله عبد الرزاق [١٩٩١٧] في مصنفه ، من رواية معمر عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه ، والطبراني [١٩/٧٩ح ١٥٩] وهذا سند صحيح ، وله شاهد من حديث أنس رواه ابن سعد في الطبقات [٢/١٩٤] .

(٢) شاذ :رواية ابن إسحاق مرسلة وشاذة فقد خالفت ما في الصحيحين أن العباس لم يكن معهم ولم يشهدهم .

رواه البخاري [٤٤٥٨ - ٥٧١٢ - ٦٨٨٦ - ٦٨٩٧] ومسلم [٢٢١٣] من حديث عائشة قالت : لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني . فقلنا : كراهية المريض للدواء ، فلما أفاق قال : «ألم أنهكم أن تلدوني ؟» قلنا : كراهية المريض للدواء ، فقال : «لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم» .

قال ابنُ إسحاقَ [١] : وحَدثَني سَعِيدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ السَّبَّاقِ عن مُحَمَّدِ بنِ أُسامَةَ عن أبيه أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ قال : لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ الله ﷺ هبَطْتُ وهبَطَ النّاسُ مَعِي إلى المَدِينَةِ ، فدَخَلْت على رَسُولِ الله ﷺ وقد أُصْمِتَ فلا يَتَكَلَّمُ فجَعَلَ يَرْفعُ يَدَه إلى السَّماءِ ثُمَّ يَضَعُها عَلَيَّ فأعْرِفُ أنَّه يَدْعُو لِي

قال ابنُ إسْحاقَ [٢] : وقال ابنُ شِهابٍ الزّهْرِيّ : حَدّثَنِي عُبَيْدُ الله بنُ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ ، عن عائِشَةَ ، قالتْ كان رَسُولُ الله ﷺ كثيرًا ما أَسْمَعُه يقول إنّ الله عز وجل لَم يَقبِض نَبيًا قط حتى يُخَيِّرَه . [١١٥/ب] قالتْ فلَمّا حُضِرَ رَسُولُ الله ﷺ كان آخِرُ كَلِمَةٍ سَمِعْتُها وهو يقول **بَلِ الرَّفِيقُ الأعْلَى من الجَنّةِ** ، قالتْ فقُلْت : إذًا والله لا يَختارُنا ، وعَرَفت أنّه الذي كان يقول لَنا : إنّ نَبيًا لَم يُقبَضْ حتى يُخَيَّرَ .

[صَلاة أبي بَكْرٍ بالنّاسِ] :

قال الزّهْرِيّ [٣] : وحَدّثَنِي حَمزَةُ بنُ عَبْدِ الله بن عُمَرَ ، أنّ عائِشَةَ قالتْ لَمّا اسْتُعِزّ بِرَسُولِ الله ﷺ وجعه قال مُرُوا أبا بَكْرٍ فلْيُصَلّ بِالنّاسِ . قالتْ قلت : يارسول الله إنّ أبا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ ضَعِيفُ الصّوْتِ كثيرُ البُكاءِ إذا قَرَأَ القُرْآنَ .

قال : «**مُرُوه فلْيُصَلّ بالنّاسِ**» . قالتْ فعُدْت بِمِثْلِ قَوْلِي ، فقال : «**إنّكُنّ صَواحِبَاتُ يُوسُف ، فمُرُوه فلْيُصَلّ بالنّاسِ**» قالتْ : فوالله ما أحب أن أَقُولُ ذلك إلاّ أنّي كُنْت أُحِبّ أنْ يُصْرَف ذلك عن أبي بَكْرٍ وعَرَفت أنّ النّاسَ لا يُحِبّونَ رَجُلاً قامَ مَقامَه ذأَبَدًا ، وأنّ النّاسَ سَيَتَشاءَمُونَ به في كُلّ حَدَثٍ كان فكُنْت أُحِبّ أنْ يُصْرَف ذلك عن أبي بَكْرٍ

قال ابنُ إسْحاقَ [٤] : وقال ابنُ شِهابٍ : حَدّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرِ بنِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ الحارِثِ بنِ هِشامٍ ، عن أبيه عن عَبْدِ الله بنِ زَمْعةَ بنِ الأسْوَدِ بنِ عبد المُطّلِبِ بنِ أسَدٍ ،قال لَمّا اسْتُعِزّ بِرَسُولِ الله ﷺ وجعه وأنا عنده في نَفَرٍ من المُسْلِمِينَ قال دَعاه بَلالٌ إلى الصّلاةِ فقال : «**مُرُوا مَن يُصَلّي بالنّاسِ**» . قال فخَرَجْت فإذا عُمَرُ في النّاسِ . وكان أبُو بَكْرٍ غائِبًا ، فقُلْت : قُمْ يا عُمَرُ فصَلّ بِالنّاسِ قال فقامَ فلَمّا كَبّرَ سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ صَوْتَه وكان عُمَرُ رَجُلاً مُجْهِرًا ، قال فقال رَسُولُ الله ﷺ : «**فأيْنَ أبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى الله ذلك والمُسْلِمُونَ يَأْبَى الله ذلك**

---

(١) حسن : رواه أحمد [٢٠١/٥] ، والترمذي [٣٨٠٧] ، والطبري في التاريخ [٢٣٠/٢] ، والطبراني في الكبير [٣٧٧] .

(٢) متفق عليه بمعناه : البخاري [٤٤٣٧] ، ومسلم [٢٤٤٤] .

(٣) متفق عليه : البخاري [٦٧٩] ومسلم [٤١٨] .

(٤) حسن : رواه أحمد [٣٢٢/٤] ، وأبو داود [٤٦٦٠] ، وابن سعد في الطبقات [١٧٠/٢] ، والحاكم [٣/ ٦٤٠ - ٦٤١] .

[والمُسْلِمُونَ]» .

قال فبَعِثَ إلى أبي بَكْرٍ ، فجاءَ بعد أنْ صَلّى عُمَرُ تِلْكَ الصّلاةَ فصَلّى بالنّاسِ قال قال عَبْدُ الله ابنُ زَمعةَ قال لِي عُمَرُ : ويْحَك ، ماذا صَنَعْت بي يا بنَ زَمعةَ واللهِ ما ظَنَنْت حينَ أمَرْتني إلاّ أنّ رَسُولَ الله ﷺ أمَرَك بذلك ولَوْلا ذلك ما صَلّيت بالنّاسِ . قال قُلْتُ واللهِ ما أمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ بذلك ولكِنّي حينَ لَمْ أرَ أبا بَكْرٍ رَأيْتُك أحَقّ مَنْ حَضَرَ بالصّلاةِ بالنّاسِ .

[اليَوْمُ الذي قَبَضَ الله فِيه نَبِيّهُ] :

قال ابنُ إسْحاقَ (١) : قال الزّهْرِيّ : حَدّثَني أنَسُ بنُ مالِكٍ : أنّه لَمّا كان يَوْمُ الاثْنَيْنِ الذي قَبَضَ الله تبارك وتعالى فِيه رَسُولَه ﷺ خَرَجَ إلى النّاسِ وهم يُصَلّونَ الصّبْحَ فرَفَعَ السّتْرَ وفتَحَ البابَ فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فقامَ على بابِ عائِشَةَ فكادَ المُسْلِمُونَ يُفتَتَنُونَ في صَلاتِهم برَسُولِ الله ﷺ حينَ رَأوْه فرَحًا به وتَفرّجُوا ، فأشارَ إليهم أن اثْبُتُوا على صَلاتِكُم قال فتَبَسّمَ رَسُولُ الله ﷺ سُرُورًا لَمّا رَأى من هيْئَتِهم في صَلاتِهم وما رَأيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أحْسَنَ هيْئَةً منه تِلْكَ السّاعَةَ قال ثُمّ رَجَعَ وانصَرَف النّاسُ وهم يَرَوْنَ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قد أفرَقَ من وجَعِه فرَجَعَ أبو بَكْرٍ إلى أهلِه بالسّنحِ .

قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : وحَدّثَني مُحَمّدُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ الحارِثِ التيمي ، عن القاسِمِ بنِ مُحَمّدٍ : أنّ رَسُولَ الله ﷺ قال حينَ سَمِعَ تَكْبيرَ عُمَرَ في الصّلاةِ : «أيْنَ أبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى الله ذلك والمُسْلِمُونَ» . فلَوْلا مَقالَةٌ قالها عُمَرُ عند وفاتِه لَم يَشُكّ المُسْلِمُونَ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قد استَخْلَفَ أبا بَكْرٍ ، ولَكِنّه قال عند وفاتِه إنْ أسْتَخلِف فقد استَخلَف مَنْ هو خَيْرٌ مِنّي ، وإنْ أتْرُكْهم فقد تَرَكَهم مَنْ هو خَيْرٌ مِنّي فعَرَف النّاسُ أنّ رَسُولَ الله ﷺ لَم يَسْتَخلِف أحَدًا ، وكان عُمَرُ غيرَ مُتّهمٍ على أبي بَكْرٍ .

قال ابنُ إسْحاقَ (٣) : وحَدّثَني أبُو بَكْرٍ أنّ عَبْدِ الله بنِ أبي مُلَيْكَةَ قال لَمّا [١١٦/أ] كان يَوْمُ الاثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ عاصِبًا رَأسَه إلى الصّبْحِ وأبُو بَكْرٍ يُصَلّي بالنّاسِ فلَمّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ تَفرّجَ النّاسُ فعَرَفَ أبُو بَكْرٍ أنّ النّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذلك إلاّ لِرَسُولِ الله ﷺ فنَكَصَ عن مُصَلاّه

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري [٦٨٠ - ٦٨١ - ٧٥٤ ، ١٢٠٥ ، ٤٤٤٨] ومسلم [٤١٩] .

(٢) مرسل : من رواية ابن إسحاق . وقول النبي ﷺ «أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون» متفق عليه . رواه البخاري [٥٦٦٦] ومسلم [٢٣٨٧] ومن أول قوله فلولا مقالة عمر فذكرها . صحيحة رواها البخاري [٧٢/٨] ومسلم [١٨٢٣] من حديث عمر .

(٣) مرسل : رواه الطبري في تاريخه ، والبيهقي في الدلائل [٢٠١/٧] وابن سعد في الطبقات [١٩٧/٢] من رواية الواقدي وزاد في السند عن عبيد بن عمير .

فدَفعَ رَسُولُ الله ﷺ في ظَهْرِه وقال : «صَلِّ بالنَاسِ» ، وجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ إلى جَنبه فصَلّى قاعِدًا عن يَمِينِ أبي بَكْرٍ ، فلَمّا فرَغَ من الصَلاةِ أقبَلَ على النَاسِ فكَلّمَهم رافِعًا صَوْتَه حتى خَرَجَ صَوْتُه من بابِ المَسْجِدِ يقول : «أيها النَاسُ سُعّرَتِ النارُ ، وأقبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللَيْلِ المُظْلِمِ وإنّي والله ما تَمَسّكُونَ عَلَيّ بشيءٍ إنّي لَمْ أُحِلّ إلاّ ما أحَلّ القُرآنُ ولَم أُحَرِّم إلاّ ما حَرّمَ القُرآنُ . قال : فلَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ من كَلامِه قال له أبُو بَكْرٍ يا نَبِيّ الله إنّي أراك قد أصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ من الله وفضلٍ كَما نُحِبّ ، واليَوْمُ يَوْمُ بِنْتِ خارِجَةَ أفآتيها ؟ قال : نَعَم ثُمّ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وخَرَجَ أبُو بَكْرٍ إلى أهلِه بالسّنح .

[شَأْنُ العَبّاسِ وعَلِيّ] :

قال ابنُ إسْحاقَ [١] : قال الزّهْرِيّ : وحَدّثَني عَبْدُ الله بنُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ ،عن عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ ، قال خَرَجَ يَوْمئِذٍ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ رِضْوانُ الله عَلَيه على النّاسِ من عند رَسُولِ الله ﷺ فقال له النّاسُ يا أبا حَسَنٍ كَيفَ أصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ ؟ قال أصْبَحَ بِحَمدِ الله بارِئًا ، قال فأخَذَ العَبّاسُ بيَدِه ثُمّ قال يا عَلِيّ ، أنْتَ والله عَبْدُ العَصا بعد ثَلاثٍ أحْلِفُ بالله لَقد عَرَفتُ المَوْتَ في وجهِ رَسُولِ الله ﷺ كَما كُنتُ أعْرِفُه في وُجُوه بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ ، فانْطَلِقْ بنا إلى رَسُولِ الله ﷺ فإنْ كان هذا الأمرُ فِينا عَرَفْناه وإنْ كان في غيرنا ، أمَرْناه فأوْصَى بنا النّاسَ .
قال فقال [له] عَلِيّ بن أبي طالب : إنّي والله لا أفعَلُ والله لَئِنْ مُنِعْناه لا يُؤْتيناه أحَدٌ بعده .
فتُوُفّيَ رَسُولُ الله ﷺ حينَ اشْتَدّ الضّحاءُ من ذلك اليَوْمِ .

[سِواكُ الرّسُولِ قُبَيْلَ الوَفاةِ] :

قال ابنُ إسْحاقَ [٢] : وحَدّثَني يَعْقُوبُ بنُ عُتْبَةَ ، عن الزّهْرِيّ ، عن عُرْوَةَ عن عائِشَةَ قالَ : قالتْ : رَجَعَ إلَيّ رَسُولُ الله ﷺ في ذلك اليَوْمِ حينَ دَخَلَ من المَسْجِدِ فاضْطَجَعَ في حِجْري ، فدَخَلَ عَلَيّ رَجُلٌ من آلِ أبي بَكْرٍ ، وفي يَدِه سِواكٌ أخْضَرَ . قالتْ فنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إليه في يَدِه نَظَرًا عَرَفتُ أنّه يُرِيدُه قالتْ فقُلْتُ : يا رَسُولَ الله أتُحِبّ أنْ أُعْطِيَكَ هذا السّواكَ ؟ قال نَعَم قالتْ فأخَذْته فمَضَغْته له حتى لَيّنْته ، ثُمّ أعْطَيْته إيّاه قالتْ فاسْتَنّ به كَأشَدّ ما رَأيْته يَسْتَنّ بِسِواكٍ قَطّ ، ثُمّ وضَعَه ووَجَدْت رَسُولَ الله ﷺ يَثْقُلُ في حِجْري ، فذَهَبْت أنْظُرُ في وجْهِه فإذا بَصَرُه قد شَخَصَ وهو يقول بَلِ الرّفِيقُ الأعْلَى من الجَنّةِ ، قالتْ فقُلْت : خُيّرْتَ فاختَرْتَ

---

(١) صحيح : رواه البخاري [٤٤٤٧] وعبد الرزاق في مصنفه [٩٧٥٤] وابن سعد في الطبقات [٢/ ١٨٩] والبيهقي في الدلائل [٧/٢٢٥ ، ٢٢٦] .

(٢) صحيح : رواه البخاري [٤٤٣٨] وأحمد [٦/٢٧٤] والنسائي [٤/٦ - ٧] وابن سعد في الطبقات [٢/١٨٠] .

والذي بَعَثَك بالحق قالتْ وقُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ .

قال ابنُ إسْحاقَ (١) : وحَدّثَنِي يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ قال سَمِعْت عائِشَةَ تَقُولُ ماتَ رَسُولُ الله ﷺ بين سَحْري ونَحْري وفي دَوْلَتي ، لَمْ أظْلِم فِيه أحَدًا ، فمن سَفَهِي وحَداثَةِ سِنّي أنّ رَسُولَ الله ﷺ قُبِضَ وهو في حِجْري ، ثُمّ وضَعْت رَأْسَه على وِسادَةٍ وقُمْت أَلْتَدِمُ مع النّساءِ وأَضْرِبُ وجْهِي .

[مَقالةُ عُمَرَ بعد وفاةِ الرّسُولِ] :

قال ابنُ إسْحاقَ (٢) : قال الزّهْرِيّ ، وحَدّثَنِي سَعِيدُ بنُ المُسَيّبِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال لَمّا تُوُفّيَ رَسُولُ الله ﷺ قامَ عُمرُ بنُ الخَطّابِ ، فقال إنّ رِجالاً من المُنافِقِينَ يَزْعُمُونَ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قد تُوُفّيَ وإنّ رَسُولَ الله ﷺ ما ماتَ ولَكِنّه ذَهبَ إلى رَبّه كَما ذَهبَ مُوسَى بنُ عِمرانَ فقد غابَ عن قَوْمِه أرْبَعِينَ ليلَةً ثُمّ رَجَعَ إليهم بعد أنْ قِيلَ قد ماتَ ووالله لَيَرْجِعَنّ [١١٦/ب] رَسُولُ الله ﷺ كَما رَجَعَ مُوسَى ، فلَيَقطَعَنّ أيْدِي رِجالٍ وأرْجُلَهم زَعَمُوا أنّ رَسُولَ الله ﷺ مات .

قال : وأقبَلَ أبُو بَكْر حتى نَزَلَ على بابِ مَسْجِدِ رسول الله ﷺ حِينَ بَلَغَه الخَبَرُ ، وعُمَرُ يُكَلّمُ النّاسَ فَلَم يَلْتَفِتْ إلى شيءٍ حتى دَخَلَ على رَسُولِ الله ﷺ في بَيْتِ عائِشَةَ ، ورَسُولُ الله ﷺ مُسَجّى في ناحيَةِ البَيْتِ عَليه بُرْدٌ حِبَرَةٌ فأقبَلَ حتى كَشَفَ عن وجْه رَسُولِ الله ﷺ .

قال : ثُمّ أقبَلَ عَليه فقَبّله ثُمّ قال بِأبي أنْتَ وأُمّي ، أمّا المَوْتَةُ التي كَتَبَ الله عَليك فقد ذُقتها ، ثُمّ لَنْ تُصِيبَك بعدها مَوْتَةٌ أبَدًا . قال : ثُمّ رَدّ البُرْدَ على وجْه رَسُولِ الله ﷺ ثُمّ خَرَجَ وعُمَرُ يُكَلّمُ النّاسَ فقال على رِسْلِك يا عُمَرُ أنْصِتْ فأبَى إلاّ أنْ يَتَكَلّمَ فلَمّا رَآه أبُو بَكْرٍ لا يَنْصِتُ أقبَلَ على النّاسِ فلَمّا سَمِعَ النّاسُ كَلامَه أقبَلُوا عَليه وتَرَكُوا عُمَرَ فحَمِدَ الله وأثْنَى عَليه ثُمّ قال : أيّها النّاسُ إنّه مَنْ كان يَعْبُدُ مُحَمّدًا فإنّ مُحَمّدًا قد ماتَ ومَنْ كان يَعْبُدُ الله فإنّ الله حَيّ لا يَمُوتُ . قال ثُمّ تَلا هذه الآيَةَ **﴿وما مُحَمّدٌ إلاّ رَسُولٌ قد خَلَتْ من قَبْلِه الرّسُلُ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُم على أعْقابِكُم ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْه فلَنْ يَضُرّ الله شيئًا وسَيَجْزِي الله الشّاكِرِينَ﴾** . [آل

---

(١) حسن : رواه البخاري [٤١١٩] مختصرًا ، وأحمد [٦٤/٦ - ٧٧] والنسائي [٦/٤ ، ٧] والبيهقي دلائل [٧/ ٢١٣] وابن سعد في الطبقات [٢٠١/٢] من طرق عنها من رواية الواقدي .

(٢) صحيح من وجه آخر : رواه ابن إسحاق عن الزهري ولم يصرح بالتحديث وأظنه دلسه . فالحديث رواه ابن سعد من رواية صالح بن كيسان عن الزهري حدثني أنس فذكره بمثله تقريبًا الطبقات [٢٠٤/٢] ورواه أيضًا من رواية معمر ويونس في الطبقات [٢٠٧/٢] عن الزهري قال : حدثني أنس فذكر نحوه . ثم ذكر الزهري عن سعيد أن عمر قال في خطبته تلك : إني لأرجو أن يقطع رسول الله ﷺ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه قد مات . فعن ابن المسيب مرسلا ولرواية ابن إسحاق شاهد بدون ذكر المتن رواها ابن سعد في الطبقات [٢٠٥/٢] من رواية الزهري عن سعيد عن أبي هريرة قال دخل أبو بكر المسجد وعمر يكلم الناس فمضي حتى دخل بيت النبي ﷺ ... ولم يذكر متن كلام عمر رضي الله عنه .

عمران/١٤٤] .

قال : فوالله لَكَأنّ النّاسَ لَم يَعلَمُوا أنّ الله تعالى أنزل هذه الآيَةَ حتى تلاها أبُو بَكرٍ يَومئذٍ قال : وأخَذَها النّاس عن أبي بَكرٍ فإنّما هِيَ في أفواهِهم قال : فقال أبُو هُرَيْرَةَ : قال عُمَرُ والله ما هو إلاّ أنْ سَمِعتُ أبا بَكرٍ تلاها ، فعَقِرتُ حتى وقَعتُ إلى الأرضِ ما تَحمِلُني رِجلايَ وعَرَفتُ أنّ رَسُولَ الله ﷺ قد ماتَ .

[أمرُ سَقِيفةِ بَني ساعِدَةَ] :

قال ابنُ إسْحاقَ [١] : ولَمّا قُبِضَ رَسُولُ الله ﷺ انحازَ هذا الحَيّ من الأنصارِ إلى سَعْدِ بنِ عُبادَةَ في سَقِيفةِ بَني ساعِدَةَ ، واعتَزَلَ عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ رضي الله عنه والزّبَيْرُ بنُ العَوّام وطَلْحَةُ ابنُ عُبَيْدِ الله في بَيْتِ فاطِمَةَ وانحازَ بَقِيّةُ المُهاجِرينَ إلى أبي بَكرٍ ، وانحازَ معهم أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ في بَني عَبْدِ الأشْهلِ فأتَى آتٍ إلى أبي بَكرٍ وعُمَرَ ، فقال : إنّ هذا الحَيّ من الأنصارِ مع سَعْدِ بنِ عُبادَةَ في سَقِيفةِ بَني ساعِدَةَ ، قد انحازُوا إليه فإنْ كان لَكُمْ بأمرِ النّاسِ حاجَةٌ فأدرِكُوا النّاس قَبلَ أنْ يَتَفاقَمَ أمرُهم ورَسُولُ الله ﷺ في بَيْتِه لَم يُفرَغْ من أمرِه قد أغْلَقَ دُونَه البابَ أهلُه . قال عُمَرُ : فقُلتُ لأبي بَكرٍ انطَلِق بنا إلى إخوانِنا هؤُلاءِ من الأنصارِ ، حتى نَنظُرَ ما هم عَليه .

قال ابنُ إسْحاقَ : وكان من حَديثِ السّقِيفةِ حينَ اجْتَمعتْ بها الأنْصارُ ، أنّ عَبْدَ الله بنَ أبي بَكرٍ ، حَدّثَني عن ابنِ شِهابٍ الزّهريّ ، عن عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ ، عن عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ [٢] ، قال : أخبَرَني عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ، قال : وكُنتُ في مَنْزِله بِمِنًى أنْتَظِرُه وهو عند عُمَرَ في آخِرِ حِجّةٍ حَجّها عُمَرُ قال فرَجَعَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ من عِندِ عُمَرَ فوَجَدَني في مَنزِله [بِمِنًى] أنتَظِرُه وكُنتُ أُقرِئُه القُرآنَ قال ابنُ عَبّاسٍ : فقال لِي عَبْدُ الرّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ : لَوْ رَأيتَ رَجُلاً أتَى أميرَ المُؤْمِنِينَ فقال يا أميرَ المُؤْمِنِينَ هل لَكَ في فُلانٍ يقول والله لَوْ قد ماتَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ لَقد بايَعْتُ فُلانًا ، والله ما كانَتْ بَيْعَةُ أبي بَكرٍ إلاّ فَلْتَةٌ فتَمّتْ . قال : فغَضِبَ عُمَرُ فقال إنّي إنْ شاءَ الله لَقائِمٌ العَشِيّةَ في النّاسِ فمُحَذّرُهم هؤُلاءِ الذينَ يُرِيدُونَ أنْ يَغْصِبُوهم أمرَهم قال عَبْدُ الرّحْمَنِ فقُلتُ : يا أميرَ المُؤْمِنِينَ لا تَفعَلْ فإنّ المَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعاعَ النّاسِ وغَوْغاءَهم وإنّهم هم الذينَ يَغْلِبُونَ على قُرْبِك ، حينَ تَقُومُ في النّاسِ وإنّي أخشَى أنْ تَقُومَ فتَقُولُ مَقالةً يَطِيرُ بها أُولَئِكَ عنك كُلّ مَطِيرٍ ولا يَعُوها ولا يَضَعُوها على مَواضِعِها ، فأمهِلْ حتى تَقدَمَ المَدِينَةَ فإنها دارُ السّنّةِ وتَخلُصَ بأهلِ الفِقْه وأشرافِ النّاسِ فتَقُولُ ما قلت بالمَدِينَةِ مُتَمَكّنًا ، فيَعِي أهلُ[١١٧/أ] الفِقه مَقالتَك ،

(١) قصة السقيفة ستأتي مسنده .

(٢)صحيح : رواه البخاري بطوله [٦٨٣٠] من رواية صالح بن كيسان عن الزهري به . ورواه مسلم [١٦٩١] مختصرًا ، وعبد الرزاق [٩٧٥٨] .

ويَضَعُوها على مَواضِعِها ، قال فقال : عُمَرُ أما والله إنْ شاءَ الله لأَقُومَنَ بِذلك أوّلَ مَقامٍ أقُومُه بالمَدينَةِ .

[خُطبَةُ عُمَرَ عند بَيْعَةِ أبي بَكرٍ] :

قال ابنُ عَبّاسٍ : فقَدِمنا المَدينَةَ في عَقِبِ ذِي الحَجّةِ فلَمّا كان يَوْمُ الجُمُعَةِ عَجّلْت بالرّواحِ حينَ زاغتِ الشّمسُ فأجِدُ سَعِيدَ بنَ زَيْدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيْلٍ جالِسًا إلى رُكْنِ المنبَرِ فجَلَسْت حَذْوَه تَمَسّ رُكْبَتِي رُكْبَتَه فلَم أنْشَبْ أنْ خَرَجَ عُمَرُ [بنُ الخَطّابِ] ، فلَمّا رَأيْته مُقبِلاً ، قلت لِسَعِيدِ بنِ زَيْدٍ لَيَقُولَنّ العَشِيّةَ على هذا المنبَرِ مَقالةً لَم يَقُلْها مُنذُ استَخلَفَ قال فأنْكَرَ ذلك عَلَيّ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ ذلك وقال ما عَسَى أنْ يَقُولَ مِمّا لَم يَقُلْ قَبْله فجَلَسَ عُمَرُ على المنبَرِ فلَمّا سَكَتَ المُؤَذّنُونَ قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهلٌ له ثُمّ قال أمّا بَعْدُ فإنّي قائِلٌ لَكُمُ اليَوْمَ مَقالةً قد قُدّرَ لِي أنْ أقُولها ، ولا أدْرِي لَعَلّها بين يَدَيْ أجَلِي ، فمَنْ عَقَلَها ووَعاها فيَأْخُذ بها حَيْثُ انتَهَت به راحِلَتُه ومَن خَشِيَ أنْ لا يَعِيَها فلا يَحِلّ لأحَدٍ أنْ يَكْذِبَ عَلَيّ إنّ الله بَعَثَ مُحَمّدًا ، وأنْزَلَ عليه الكِتابَ فكان مِمّا أُنْزِلَ عَليه آيَةَ الرّجْمِ فقَرَأْناها وعَلّمناها ووَعَيْناها ، ورَجَمَ رَسُولُ الله ﷺ ورَجَمنا بعده فأخشَى إنْ طالَ بِالنّاسِ زَمانٌ أنْ يَقُولَ قائِلٌ والله ما نَجِدُ الرّجْمَ في كِتابِ الله تعالى فيَضِلّوا بتَرْكِ فريضَةٍ أنْزَلها الله تعالى وإنّ الرّجْمَ في كِتابِ الله حَق على مَنْ زَنَى إذا أُحصِنَ من الرّجالِ والنّساءِ وإذا قامَتِ البَيّنَةُ أوْ كان الحَبَلُ أوِ الاعتِرافُ ثُمّ إنّا قد كُنّا نَقرَأُ فيما نَقرَأُ من كِتابِ الله لا تَرْغَبُوا عن آبائِكم فإنّه كُفرٌ بِكُم أنْ تَرْغَبُوا عن آبائِكُم ألا إنّ رَسُولَ الله ﷺ قال «**لا تُطْرُونِي كَما أُطْرِيَ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ ، وقُولُوا : عَبْدُ الله ورَسُولُهُ**» ، ثُمّ إنّه قد بَلَغَنِي أنّ فُلانًا قال والله لَو قد ماتَ عُمَرُ [بنُ الخَطّابِ] لَقَد بايَعْت فُلانًا ، فلا يَغُرّنّ امرَأً أنْ يقول إنّ بَيْعَةَ أبي بَكرٍ كانَتْ فلْتَةً فتَمّتْ وإنّها قد كانَتْ كَذلك إلاّ أنّ الله قد وقَى شَرّها ، وليسَ فِيكُم مَنْ تَنْقَطِعُ الأعْناقُ إليه مِثلَ أبي بَكرٍ فمَنْ بايَعَ رَجُلاً عن غيرِ مَشُورَةٍ من المُسْلِمِينَ فإنّه لا بَيْعَةَ له هو ولا الذي بايَعَه تَغِرّةً أنْ يُقتَلا ، إنّه قد كان من خَبَرِنا حينَ تَوَفّى الله تبارك وتعالى نَبِيّه ﷺ أنّ الأنْصارَ خالَفُونا ، فاجْتَمَعُوا بِأشْرافِهِم في سَقِيفَةِ بَنِي ساعِدَةَ ، وتَخَلّف عنّا عَلِيّ ابنُ أبي طالِبٍ والزّبيرُ بنُ العَوّامِ ومَنْ معهما ، واجْتَمَع المهاجِرُونَ إلى أبي بَكرٍ فقُلْت لأبِي بَكرٍ انطَلِق بِنا إلى إخوانِنا من هؤُلاءِ الأنْصارِ ، فانطَلَقنا نَؤُمّهم حتى لَقِيَنا منهم رَجُلانِ صالِحانِ فذَكَرا لَنا ما تَمالأَ عليه القَوْمُ وقال أيْنَ تُرِيدُونَ يا مَعْشَرَ المهاجِرِينَ ؟ قُلْنا : نُرِيدُ إخوانَنا هؤُلاءِ من الأنْصارِ ، قالا : فلا عَليكُمْ أنْ لا تَقرَبُوهم يا مَعْشَرَ المهاجِرِينَ اقضُوا أمرَكُم . قال قلت : والله لَنَأْتِيَنّهم . فانطَلَقنا حتى أتَيْناهم في سَقِيفَةِ بَنِي ساعِدَةَ ، فإذا بين ظَهْرانَيْهِم رَجُلٌ مُزَمّلٌ فقُلْت : مَنْ هذا ؟ فقالُوا : سَعْدُ بنُ عُبادَةَ ، فقُلْت : ما له ؟ فقالُوا : وجِعٌ . فلَمّا جَلَسْنا تَشَهّدَ خَطِيبُهم فأثْنَى على الله بما هو له أهلٌ ثُمّ قال أمّا بَعْدُ فنَحنُ أنْصارُ الله وكَتِيبَةُ الإسْلامِ وأنتُم يا

مَعْشَرَ المهاجرينَ رَهطٌ مِنا ، وقد دَفَتْ دافَةٌ من قَوْمِكُم قال وإذا هم يُريدُونَ أنْ يختازُونا من أصْلِنا ، ويَغْصِبُونا الأمرَ فلَمّا سَكَتَ أرَدْت أنْ أتَكَلَّمَ وقد زَوَّرْتُ [في نفسِي] مَقالةً قد أعْجَبَتْنِي ، أُريدُ أنْ أُقَدِّمَها بين يَدَيْ أبي بَكْرٍ وكُنت أداري منه بَعْضَ الحَدّ فقال أبُو بَكْرٍ على رِسْلِك يا عُمَرَ فكَرِهْت أنْ أُغْضِبَه فتَكَلَّمَ وهو كان أعْلَمَ مِنّي وأوْقَرَ فوالله ما تَرَك من كَلِمَةٍ أعْجَبَتْنِي من تَزْوِيري إلاّ قالها في بَدِيهَتِه أوْ مِثْلها أوْ أفضَلَ منها حتى سَكَتَ قال أمّا ما ذَكَرْتُم فِيكُم من خَيْرٍ فأنتُم له أهلٌ ولَنْ تَعْرِف العَرَبُ هذا الأمرَ إلاّ لِهذا الحَيّ من قُرَيْشٍ ،هم أوْسَطُ العَرَبِ نَسَبًا ودارًا ، وقد رَضِيتُ لَكُمْ أحَدَ هذَيْنِ الرَّجُلينِ فبايِعُوا [١١٧/ب] أيّهما شِئْتُم وأخَذَ بيَدَيْ وبيَدِ أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرّاحِ وهو جالِسٌ بيننا ، ولَم أكْرَهْ شيئًا مِمّا قاله غيرُها ، كان والله أود أنْ أُقَدّمَ فتُضرَبُ عُنُقِي ، لا يُقَرّبُنِي ذلك إلى إثْمٍ أحَبّ إلَيّ من أنْ أتأمّرَ على قَوْمٍ فِيهم أبُو بَكْرٍ .

قال قائِلٌ من الأنصارِ : أنا جُذَيْلُها المُحَكّكُ وعُذَيْقُها المُرَجّبُ مِنّا أمِيرٌ ومنكُم أمِيرٌ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ . قال : فكَثُرَ اللَغَطُ وارْتَفعَتِ الأصْواتُ حتى تَخَوّفت الإختِلاف فقُلْت : ابْسُطْ يَدَك يا أبا بَكْرٍ فبَسَطَ يَدَه فبايَعْته ، ثُمّ بايَعَه المهاجِرُونَ ، ثُمّ بايَعَه الأنْصارُ ، ونَزَوْنا على سَعْدِ بنِ عُبادَةَ ، فقال قائِلٌ منهم قَتَلْتُم سَعْدَ بنَ عُبادَةَ . قال فقُلْت : قَتَلَ الله سَعْدَ بنَ عُبادَةَ .

قال ابنُ إسْحاقَ (١) : قال الزّهْرِيّ أخبَرَنِي عُرْوَةُ بنُ الزّبَيْرِ أنّ أحَدَ الرّجُلينِ الّذَيْنِ لَقَوْا من الأنْصارِ حينَ ذَهبُوا إلى السّقِيفةِ عُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ والآخَرُ معنُ بنُ عَدِيّ أخُو بَنِي العَجْلانِ (٢) .

فأمّا عُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ فهو الذي بَلَغَنا (٣) أنّه قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ مَن الذينَ قال الله عَزّ وجَلّ لهم ﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبّونَ أنْ يَتَطَهّرُوا والله يُحِبّ المطّهّرِينَ﴾ ؟ فقال رَسُولُ الله ﷺ نِعْمَ المَرْءُ منهم عُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ ؛ وأمّا مَعْنُ بنُ عَدِيّ فبَلَغَنا أنّ النّاسَ بَكَوْا على رَسُولِ الله ﷺ حينَ تَوَفّاه الله عَزّ وجَلّ وقالُوا : والله لَوَدِدْنا أنّا مُتْنا قَبْله إنّا نَخْشَى أنْ نَفتَتِنَ بعده . قال معنُ بنُ عَدِيّ لَكِنّي والله ما أُحِبّ أنّي مُتّ قَبْله حتى أُصَدّقَه مَيْتًا كَما صَدّقته حَيّا ؛ فقُتِلَ معنٌ يَوْمَ اليَمامَةِ شَهِيدًا في خِلافةِ أبي بَكْرٍ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ .

قال ابنُ إسْحاقَ (٤) : وحَدّثَنِي الزّهْرِيّ ، قال حَدّثَنِي أنَسُ بنُ مالِكٍ ، قال لَمّا بُويِعَ أبُو بَكْرٍ

---

(١) يراجع موضع الهامش في المتن

(٢) صحيح إلى عروة : رواه البخاري [٤٠١٢] وابن سعد في الطبقات [٣/٣٥٠] .

(٣) حسن : رواه ابن سعد في الطبقات [٣/٣٥٠] والطبري في التفسير [٧/١١/٣٠] وابن أبي حاتم في تفسيره [١٠٠٨٠] ، ووصله ابن سعد في الطبقات من رواية السري بن عبد الرحمن عن عباد بن حمزة بن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يحدث أباه فذكر قول النبي ﷺ في عويم بن ساعدة .

(٤) صحيح الإسناد : رواه عبد الرزاق في المصنف [٩٧٥٦] من رواية الطبري في التاريخ [٢/٢٣٧] وابن سعد في الطبقات [٢/٢٠٧] .

في السَقِيفةِ وكان الغَدُ جَلَسَ أبُو بَكرٍ على المنبَرِ فقامَ عُمَرُ فتَكَلَّمَ قَبْلَ أبي بَكرٍ فحَمِدَ الله وأثْنَى عليه بما هو أهلُه ثُمَّ قال أيها النَّاسُ إنِّي كُنتُ قلت لَكُمْ بالأمسِ مَقالةً ما كانَتْ مِمَّا وجَدتها في كِتابِ الله ولا كانَتْ عَهْدًا عَهِدَ إلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ ولَكِنِّي قد كُنت أرَى أنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَيُدَبِّرُ أمْرَنا ، يقول يَكُونُ آخِرَنا وإنَّ الله قد أبْقَى فِيكُم كِتابَه الذي به هدَى الله رَسُولَه ﷺ فإن اعْتَصَمتُم به هداكُم الله لِما كان هداه له وإنّ الله قد جَمع أمرَكُم على خَيْرِكُم صاحِبِ رَسُولِ الله ﷺ ثاني اثْنَيْنِ إذْ هما في الغارِ فقُومُوا فبايِعُوه فبايَعَ النَّاسُ أبا بَكرٍ [بَيْعَةَ العامّةِ بعد بَيْعَةِ السَقِيفة .

[خُطْبَةُ أبي بَكرٍ] :

فتَكَلَّمَ أبُو بَكرٍ] فحَمِدَ الله وأثْنَى عَليه بالذي هو أهلُه ثُمَّ قال أمَّا بَعْدُ أيها النَّاسُ فإنِّي قد وُلِّيت عَليكُمْ ولَسْت بخَيْرِكُمْ فإنْ أحْسَنت فأعِينُونِي ؛ وإنْ أسَأت فقَوِّمُونِي ، الصِّدْقُ أمانَةٌ والكَذِبُ خيانَةٌ والضَّعِيفُ فِيكُم قَوِيٌّ عِنْدي حتى أُرِيحَ عَليه حَقَه إنْ شاءَ الله والقَوِيّ فِيكُم ضَعِيفٌ عِنْدي حتى آخُذَ الحَق منه إنْ شاءَ الله لا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهادَ في سَبيلِ الله إلاّ ضَرَبَهم الله بالذُّلِّ ولا تَشِيعُ الفاحِشَةُ في قوم قَطّ إلاّ عَمّهم الله بالبَلاءِ أطِيعُونِي ما أطَعْت الله ورَسُوله فإذا عَصَيْتُ الله ورَسُوله فلا طاعَةَ لِي عَليكُمْ . قُومُوا إلى صَلاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ الله .

قال ابنُ إسْحاقَ [1] : وحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال والله إنِّي لأَمشِي مع عُمَرَ في خِلافتِه وهو عامِدٌ إلى حاجَةٍ له وفي يَدِه الدِّرّةُ وما معه غيري ، قال وهو يُحَدِّثُ نَفسَه ويَضرِبُ وحْشِيَّ قَدَمِه بدِرّتِه . وهو أسفل الكعب من القدم . قال إذ التَفتَ إلَيَّ فقال يا بنَ عَبّاسٍ هل تَدْري ما كان حَمَلَنِي على مَقالتي التي قُلتُ حينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ ؟ قال قلت : لا أدْري يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ أنْتَ أعْلَمُ قال فإنّه والله إنْ كان الذي حَمَلَنِي على ذلك إلاّ أنِّي كُنت أقرأُ هذه الآية **﴿وَكَذلك جَعَلْناكم أُمّةً وسَطًا لِتَكُونُوا شُهداءَ على النّاسِ ويَكُونَ الرّسُولُ عَليكُمْ شَهِيدًا﴾** ، فوالله إنْ كُنت لأَظُنّ أنّ رَسُولَ الله ﷺ سَيَبْقَى في أُمّتِه حتى يَشْهَدَ عَليها بآخِرِ أعْمالِها ، فإنّه لِلّذي حَمَلَني على أنْ قلت ما قلت .

جِهازُ رَسُولِ الله ﷺ ودَفْنُهُ

قال ابنُ إسْحاقَ [١١٨/أ] [2] : فلَمّا بُويِعَ أبُو بَكرٍ [رَضِيَ الله عنه] أقبَلَ النّاسُ على جَهازِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الثلاثاءِ فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكرٍ وحُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله وغيرُهما من

---

(١) ضعيف الإسناد : رواه الطبري في التاريخ [٢/٢٣٨] من طريق ابن إسحاق ، وفيه حسين بن عبد الله : ضعيف .

(٢) حسن بطرقه : إسناد ابن إسحاق مرسل ، رواه أحمد [٨/١] ووصله الطبري من رواية ابن عباس ، من رواية ....=

أَصْحابِنا : أنّ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ ، والعَبّاسَ بنَ عَبْدِ المُطّلِبِ ، والفضْلَ بنَ العَبّاسِ وقُثَمَ بنَ العَبّاسِ ، وأُسامَةَ بنَ زَيْدٍ وشُقرانَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ هم [الذينَ] وُلُوا غَسْله وأنّ أَوْسَ بنَ خَوْلِيّ . أحَدَ بَنِي عَوْفِ ابنِ الخَزْرَجِ ، قال لِعَلِيّ بنِ أبي طالِبٍ أنشُدُك الله يا عَلِيّ وحَظّنا من رَسُولِ الله ﷺ وكان أَوْسُ من أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ وأهلِ بَدْرٍ قال ادْخُلْ فدَخَلَ فجَلَسَ وحَضَرَ غَسْلَ رَسُولِ الله ﷺ فأسْنَدَه عَلِيّ بنُ أبي طالِبٍ إلى صَدْرِهِ وكان العَبّاسُ والفضْلُ وقُثَمُ يُقَلّبُونَه معه وكان أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ وشُقرانُ مَوْلاه هما اللّذانِ يَصُبّانِ الماءَ عَلَيه وعَلِيّ يُغَسّلُه قد أسْنَدَه إلى صَدْرِهِ وعَليه قَمِيصُه يُدَلّكُه به من ورائِه لا يُفضَى بيَدِه إلى رَسُولِ الله ﷺ وعَلِيّ يقول بِأبي أنتَ وأُمّي ، ما أطْيَبَك حَيّا ومَيّتًا ولَمْ يُرَ من رَسُولِ الله ﷺ شيءٌ مِمّا يُرَى من المَيّتِ .

قال ابنُ إسْحاقَ [1] : وحَدّثَنِي يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزّبَيْرِ ، عن أبيه عَبّادٍ عن عائِشَةَ قالتْ لَمّا أرادُوا غَسْلَ رَسُولِ الله ﷺ اختَلَفُوا فِيه . فقالُوا : والله ما نَدْري ، أنُجَرّدُ رَسُولَ الله ﷺ من ثيابه كَما نُجَرّدُ مَوْتانا ، أوْ نُغَسّلُه وعَليه ثيابُه ؟ قالتْ : فلَمّا اختَلَفُوا ألْقَى الله عَلَيهم النّوْمَ حتى ما منهم رَجُلٌ إلاّ ذَقنُه في صَدْرِه ثُمّ كَلّمَهم مُكَلّمٌ من ناحيَةِ البَيْتِ لا يَدْرُونَ مَنْ هو أن اغْسِلُوا النّبِيّ وعَليه ثيابُه قالتْ فقامُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ فغَسّلُوه وعَليه قَمِيصُه يَصُبّونَ الماءَ فَوْقَ القَمِيصِ ويُدَلّكُونَه والقَمِيصُ دُونَ أيْدِيهِم .

قال ابنُ إسْحاقَ [2] : فلَمّا فُرِغَ من غَسْلِ رَسُولِ الله ﷺ كُفّنَ في ثَلاثَةِ أثْوابٍ ثَوْبَيْنِ صُحارِيّيْنِ وبُرْدٍ حَبِرَةٍ أُدْرِجَ فِيها إدْراجًا كَما حَدّثَنِي جَعْفَرُ بنُ مُحَمّدِ بنِ عَلِيّ بنِ حُسَيْنٍ ، عن أبيه عن جَدّه عَلِيّ بن حُسَيْنِ بن عبدالله والزّهْرِيّ ، عن عَلِيّ بنِ حُسَيْنٍ .

= ابن إسحاق . وقد روي من طرق عديدة مرسلة . من مرسل ابن المسيب رواه ابن سعد في الطبقات [٢/٢١٥] ومن مرسل الشعبي ، رواه أيضًا ابن سعد والبيهقي في الدلائل [٧/٢٤٣] ومن مرسل عبد الله بن الحارث ، رواه ابن سعد ومن مرسل أبي جعفر محمد بن علي رواه ابن سعد ، وغيرهم .

(١) حسن : رواه أحمد [٦/٢٦٧] وأبو داود [٣١٤١] وابن ماجه [١٤٦٤] وابن حبان [٦٥٩٣] والطيالسي [١٥٣٠] والحاكم [٣/٥٩/٦٠] وابن الجارود [٥١٧] .

(٢) مرسل : رواه ابن سعد [٢/٢١٧ - ٢١٨] والطبري في تاريخه [٢٣٩] هكذا مرسلاً وروى موصولاً من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه ابن أبي ليلى ضعيف . قلت : والصحيح أنه ﷺ دفن في ثلاثة أثواب بيض سحوليه ليس فيها حبرة . رواه البخاري [١٢٦٤] ومسلم [٩٤١] ، أما الحبرة تركت وأخذها عبد الله بن أبي بكر . قالت أم المؤمنين : (أما الحلة فإنما شبه على الناس فيها ، أنها اشتريت له ليكفن فيها ، فتركت الحلة ، وكفن في ثلاثة أثواب سحولية ، فأخذها عبد الله بن أبي بكر ، فقال : لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي ، ثم قال : لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها) .

قال ابنُ إسْحاقَ [(١)] : وحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عَبّاسٍ ، قال لَمّا أرادُوا أنْ يَحْفِرُوا لِرَسُولِ الله ﷺ وكان أبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ يَضْرَحُ كَحَفْرِ أهلِ مَكّةَ ، وكان أبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بنُ سَهْلٍ هو الذي يَحْفِرُ لأهلِ المَدِينَةِ ، [فكان] يَلْحَدُ فدَعا العَبّاسُ رَجُلَيْنِ فقال لأحَدِهِما : اذهَبْ إلى أبي عُبَيْدَةَ ابنِ الجَرّاحِ ولِلآخَرِ اذهَبْ إلى أبي طَلْحَةَ . اللّهمّ خِرْ لِرَسُولِ الله ﷺ فوَجَدَ صاحِبُ أبي طَلْحَةَ أبا طَلْحَةَ فجاءَ به فلَحَدَ لِرَسُولِ الله ﷺ .

[دَفنُ الرّسُولِ والصّلاةُ عليهِ]

فلَمّا فُرِغَ من جَهازِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ الثّلاثاءِ وُضِعَ في سَرِيرِهِ في بَيْتِه وقد كان المُسْلِمُونَ اختَلَفُوا في دَفْنِه .

فقال قائِلٌ منهم نَدْفِنُه في مَسْجِدِهِ وقال قائِلٌ بَلْ نَدْفِنُه مع أصْحابه فقال أبُو بَكْرٍ [(٢)] : إنّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : «ما قُبِضَ نَبِيّ إلاّ دُفِنَ حَيْثُ يُقبَضُ» ، فرُفِعَ فِراشُ رَسُولِ الله ﷺ الذي تُوُفّيَ عَلَيه فحُفِرَ له تَحْتَه ثُمّ دَخَلَ النّاسُ على رَسُولِ الله ﷺ يُصَلّونَ عَليه أرْسالاً ، [دَخَلَ] الرّجالُ حتى إذا فرَغُوا أُدْخِلَ النّساءُ حتى إذا فرَغَ النّساءُ أُدْخِلَ الصّبْيانُ . ولَمْ يَؤُمّ النّاسَ على رَسُولِ الله ﷺ أحَدٌ ثُمّ دُفِنَ رَسُولُ الله ﷺ من وسَطِ اللّيْلِ ليلَةَ الأرْبِعاءِ .

قال ابنُ إسْحاقَ [(٣)] : وحَدّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ ، عن امرَأتِه فاطِمَةَ بِنْتِ عُمارَةَ عن عَمرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ أسْعَدَ بنِ زُرارَةَ ، عن عائِشَةَ رَضِيَ الله عنها قالت : ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من ، جَوْفِ اللّيْلِ من ليلَةِ الأرْبِعاءِ . قال محمد بن اسحاق : وقد حدثتني فاطمة هذا الحديث .

قال ابن إسحاق : وَكان [(٤)] الذينَ نَزَلُوا في قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ عَلِيّ بنَ أبي طالِبٍ رضى الله

---

(١) حسن بشواهده : رواه أحمد [١/٢٦٠] وابن ماجه [١٦٢٨] والبيهقي في الدلائل [٧/٢٥٢] من طريق ابن إسحاق .

وهذا السند ضعيف لضعف حسين بن عبد الله ، وله شاهد من حديث عائشة . رواه ابن سعد [٢/٢٢٥] وابن ماجه [١٥٥٨] وسنده حسن من رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم المؤمنين .

(٢) حسن بطرقه : هذا الطريق فيه حسين بن عبد الله : ضعيف . وله طريق آخر ضعيف . رواه المروزي مسند أبي بكر [٤٣] والترمذي [١٠١٨] وأبو يعلى [٤٥] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن أبي بكر وفي سنده عبد الرحمن بن أبي بكر ضعيف . وروى من وجه آخر رواه المروزي في مسند أبي بكر [١٣٦] من طريق ابن إسحاق عمن حدثه عن عروة عن عائشة علة هذا الإسناد المبهم . قلت : فالحديث بهذه الطرق يتقوى إلى الحسن .

(٣) حسن : رواه الطبري في التاريخ [٢/٢٣٩] والبيهقي في الدلائل [٧/٢٥٦] من نفس الطريق . ومن وجه آخر عن ابن إسحاق ، رواه أحمد [٦/١١٠] من رواية عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة .

(٤) مثل رقم (١) فإن الذين غسلوه هم الذين دفنوه .

عنه ، والفضلَ ابنَ عبّاسٍ ، وقُثَمَ بنَ العبّاسِ وشُقرانَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ . وقد قال أوْسُ بنُ خَوْلِيّ لِعَلِيّ بن أبي طالبٍ يا عَلِيّ ، أَنشُدُك الله وحَظّنا من رَسُولِ الله ﷺ فقال له انْزِلْ فنَزَلَ مع القَوْم وقد كان مَوْلاه شُقرانُ حينَ وضَعَ رَسُولَ الله ﷺ في حُفرَتِه وبَنَى عليه قد أخَذَ قَطِيفةً وقد كان رَسُولُ الله ﷺ يَلبَسُها ويَفتَرِشُها ، فدَفنَها في القَبْرِ وقال والله لا يَلبَسُها أحَدٌ بعدك أبَدًا [1] . قال : فدُفِنَتْ مع رَسُولِ الله ﷺ .

وَقد كان المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ يَدّعِي أنه أحدَثُ الناسِ عَهدًا برَسُولِ الله ﷺ يقول أخَذتُ خاتَمِي ، فألقَيْته في القَبْرِ ، وقُلْت : إنّ خاتَمِي سَقَطَ مِنّي ، وإنّما طَرَحْته عَمْدًا لأمَسّ رَسُولَ الله ﷺ فأكُونُ أحدَثَ النّاسِ عَهدًا به ﷺ [2] .

قال ابنُ إسْحاقَ : [3] فحَدّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ ، عن مِقسَمٍ أبي القاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ نَوْفلٍ ، عن مَوْلاه عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ ، قال اعْتَمَرْت مع عَلِيّ بنِ أبي طالبٍ رِضْوانُ الله عَليه في زَمانِ عُمَرَ أوْ زَمانِ عُثْمانَ ، فنَزَلَ على أُختِه أُمّ هانِئٍ بِنْتِ أبي طالبٍ ، فلَمّا فرَغَ من عُمرَتِه رَجَعَ فسُكِبَ له غِسْلٌ فاغْتَسَلَ فلَمّا فرَغَ من غُسْلِه دَخَلَ عَليه نفَرٌ من أهلِ العِراقِ ، فقالُوا : يا أبا حَسَنٍ جِئْنا نَسْأَلُك عن أمرٍ نُحِبّ أنْ تُخبِرَنا عنه ؟ قال أظُنّ المُغِيرَةَ بنَ شُعْبَةَ يُحَدّثُكُمْ أنّه كان أحدَثَ النّاسِ عَهدًا برَسُولِ الله ﷺ . قالُوا : أجَلْ عن ذلك جِئْنا نَسْأَلُك ؛ قال كَذَبَ قال أحدَثُ النّاسِ عَهدًا برَسُولِ الله ﷺ قُثَمُ بنُ عَبّاسٍ .

قال ابنُ إسْحاقَ : [4] وحَدّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ ، عن الزّهْرِيّ ، عن عُبَيْدِ الله بنِ عَبْدِ الله ابنِ عُتْبَةَ أنّ عائِشَةَ حَدّثَتْه قالتْ كان على رَسُولِ الله ﷺ خَمِيصَةٌ سَوْداءُ حينَ اشْتَدّ به وجَعُه قالتْ فهو يَضَعُها مَرّةً على وجْهِه ومَرّةً يَكْشِفُها عنه ويقول قاتَلَ الله قَوْمًا اتّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهم مَساجِدَ يَحْذَرُ من ذلك على أُمّتِه .

قال ابنُ إسْحاقَ : وحَدّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ ، عن الزّهْرِيّ ، عن عُبَيْدِ الله ابنِ عَبْدِ الله بنِ

---

(١) له شاهد عند مسلم [٩٦٧] وأحمد [٢٢٨/١ ، ٣٥٥] من حديث ابن عباس ومن حديث شقران رواه الترمذي [١٠٤٧] والطبراني في الكبير [٧٤٠٩] قال : (أنا والله الذي طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر) من رواية محمد بن جعفر عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن شقران . وحسنه الترمذي .

(٢) ضعيف : رواه ابن سعد في الطبقات من حديث المغيرة بن شيبة [٢٣١/٢] من رواية مجالد عن الشعبي عنه وفيه مجالد بن سعيد ضعيف . ورواه أيضًا ابن سعد من مرسل عروة نفس المصدر .

(٣) حسن : رواه أحمد [١٠١/١] والطبري في تاريخه [٢٣٩/٢] والبيهقي دلائل [٢٥٧/٧] كلهم عن -طريق ابن إسحاق .

(٤) متفق عليه : البخاري [٤٣٥ - ١٣٣٠ - ١٣٩٠ وغيرها] ومسلم [٥٣١] .

عُتْبَةَ عن عائِشَةَ ، قالتْ كان آخِرُ ما عَهِدَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ قال لا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ دينانِ

[افتِتانُ المُسلِمِينَ بعد مَوْتِ الرَسُولِ] :

قال ابنُ إسْحاقَ : [١] ولَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ عَظُمَتْ به مُصِيبَةُ المُسْلِمِينَ فكانَتْ عائِشَةُ ، فِيما بَلَغَنِي ، تَقُولُ لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ ارْتَدَّتِ العَرَبُ ، واشْرَأَبَّتِ اليَهُودِيَّةُ والنصرانية ، ونَجَمَ النِّفاقُ وصارَ المُسْلِمُونَ كالغَنَمِ المَطِيرَةُ في اللَّيْلَةِ الشّاتِيَةِ لِفقدِ نَبِيِّهِم ﷺ حتى جَمعهم الله على أبي بَكْرٍ .

قـال ابنُ هشام : [٢] حَدَّثَنِي أبُو عُبَيْدَةَ وغيرُه من أهلِ العِلْمِ أنَّ أكْثَرَ أهلِ مَكَّةَ لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ همّوا بالرّجُوعِ عن الإسْلامِ وأرادُوا ذلك حتى خافهم عَتّابُ بنُ أسِيدٍ ، فتَوارَى ، فقامَ سُهيْلُ بنُ عَمرٍو ، فحَمِدَ الله وأثْنَى عَليه ثُمّ ذَكَرَ وفاةَ رَسُولِ الله ﷺ وقال إنّ ذلك لَم يَزِدِ الإسْلامَ إلاّ قُوّةً ، فمَنْ رابَنا ضَرَبنا عُنُقَه فتَراجَعَ النّاسُ وكَفُّوا عَمّا همّوا به وظَهَرَ عَتّابُ بنُ أسِيدٍ . [فهذا المَقامُ الذي أرادَ رَسُولُ الله ﷺ في قَوْلِه لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ إنّه عَسَى أنْ يَقُومَ مَقامًا لا تَذُمّه] [٣] .

[شِعْرُ حَسّانَ بنِ ثابتٍ في مَرْثِيَتِه الرّسُولَ] :

وَقال حَسّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِي رَسُولَ الله ﷺ فِيما حَدّثَنا ابنُ هشام ، عن أبي زَيْدٍ الأنْصاريّ :

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرّسُـــولِ ومَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وقـــد تَعْفُو الرّسُومُ وتَهْمُدُ
وَلا تَمْتَحي الآياتُ من دارِ حُرْمَةٍ ... بها منبَرُ الهادي الذي كان يَصْعَدُ
وَواضِحُ آثارٍ وباقِي مَعـــــالِمٍ ... ورَبْعٌ له فِيـــه مُصَلّى ومَسْجِدُ
بها حُجُراتٌ كان يَنْزِلُ وسْطَهـــا ... من اللّـــه نُورٌ يُسْتَضاءُ ويُوقَدُ
مَعارِفُ لَمْ تُطْمَسْ على العَهْدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآيُ منهـــا تَجَدّدُ
عَرَفْتُ بها رَسْمَ الرّسُـولِ وعَهْدَه ... وقَبْرًا بها واراه فـي التّرْبِ مُلْحِدُ
ظَلِلْتُ بهـا أبْكِي الرّسُولَ فأسْعَدَتْ ... عُيُونٌ ومِثْلاها مـــن الجَفْنِ تُسْعَدُ
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرّسُولِ ومـــا أرَى ... لهـــا مُحْصِيًا نَفسِي فنَفسِيَ تَبَلّدُ
مُفجَعَـــةٌ قد شَفّها[٤] فقدُ أحْمَدَ ... فظَلّتْ لآلاءِ الرّسُولِ تُعَـــدّدُ

---

(١) حسن : رواه أحمد [٦/٢٧٥] والطبري في التاريخ [٢/٢٤٠] .
(٢) معضل : والمعنى صحيح ثابت .
(٣) سبق تخريجه .
(٤) شفها : أضعفها .

وَمـــا بَلَغَتْ من كُلّ أمرٍ عَشِيرَه[١] ولَكِنْ لِنَفسِي بعد مـــا قد تَوَجّدُ
أطالَتْ وُقُوفًا تَذْرِفُ العَيْنَ جُهْدَها على طَلَلِ القَبْرِ الـــذي فِيه أحْمَدُ
فبُورِكْتَ يـــا قَبْرَ الرّسُولِ وبُورِكَتْ بِلادٌ ثَوَى فِيهـــا الرّشِيدُ المُسَدّدُ
وَبُورِكَ لَحْدٌ منـــكَ ضُمّن طَيّبًا عَليه بِناءٌ مـــن صَفِيحٍ[٢] مُنَضّدُ
تَهِيلُ عَليـــه التّرْبَ أيْدٍ وأعْيُنٍ عَليه وقـــد غارَتْ بِذلك أسْعَدُ
لَقد غَيّبُوا حُلْمًـــا وعِلْمًا ورَحْمَةً عَشِيّـــةَ عَلّوْه الثّرَى لا يُوَسّدُ
وَراحُوا بِحُزْنٍ ليسَ فِيهـــم نَبِيّهم وقد وهنَتْ منهـــم ظُهُورٌ وأعْضُدُ
يُبَكّونَ مَنْ تَبْكِي السّمواتُ يَوْمَـــه ومَنْ قد بَكَتْه الأرْضُ فالنّاسُ أكْمَدُ
وَهل عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيّةُ هـــالِكٍ رَزِيّةَ يَوْمٍ ماتَ فِيـــــه مُحَمّدُ ؟
تَقَطّعُ فِيه مَنْزِلُ الوَحْيِ عنهـــم وقـــد كان ذا نُورٍ يَغُورُ ويُنْجِدُ
يَدُلّ على الرّحْمَنِ مَنْ يَقتَدي به ويُنْقِذُ مـــن هوْلِ الخَزايا ويُرْشِدُ
إمامٌ لهم يَهْديهم الحَقّ جـــاهِدًا مُعَلّمُ صِـــدْقٍ إنْ يُطِيعُوه يُسْعَدُوا
عَفوٌ عـــن الزّلاّتِ يَقبَلُ عُذْرَهم وإنْ يُحْسِنُوا فاللّـــه بِالخَيْرِ أجْوَدُ
وَإنْنابَ أمرٌ لَـــم يَقُومُوا بِحَمله فمِن عِنْدِه تَيْسِيرُ مـــا يُتَشَدّدُ
فبَيْنا هم في نِعْمَةِ اللّـــه بينهم دَلِيلٌ بَهْ نَهْجُ الطّرِيقَةِ يُقصَـــدُ
عَزِيزٌ عَليه أنْ يَجُورُوا عن الهُدَى حَرِيصٌ علـــى أنْ يَسْتَقِيمُوا ويَهْتَدُوا
عَطُوفٌ عَليهم لا يُثَنّى جُناحَـــه إلى كَنَفٍ[٣] يَحْنُو عَليهـــم ويَمْهدُ
فبَيْنا هم فـــي ذلك النّورِ إذْ غَدا إلى نُورِهم سَهْمٌ مـــن المَوْتِ مُقصِدُ
فأصْبحَ مَحْمُودًا إلى اللّـــه راجِعًا يُبَكّيـــه حَقّ المُرْسَلاتِ ويُحْمَدُ[٤]
وَأمسَتْ بِلادُ الحُرْمِ وحْشًا بِقاعُهـــا لِغيبَةِ مـــا كانَتْ من الوَحْيِ تُعْهدُ
قِفارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللّحْدِ ضافهـــا فقِيـــدٌ يُبَكّينَه بَلاطٌ وغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُه فالمُوحِشاتُ لِفقـــدِه خَلاءٌ له فِيـــه مَقامٌ ومَقعَدُ

(١) العشير : العشر . وتوجد : من الوجد وهو الحزن .
(٢) الصفيح : الحجارة العريضة . المنضد : الذي جعل بعضه على بعض .
(٣) الكنف : الجانب والناحية .
(٤) المرسلات : الملائكة .

وَبِالجَمْرَةِ الكُبْرَى لـه ثمّ أَوْحَشَتْ ديارٌ وعَرَصـاتٌ ورَبْعٌ ومَوْلِدُ
فبَكِّي رَسُولَ الله يـا عَيْنُ عَبْرَةً ولا أعرِفَنْكِ الدَّهرَ دَمعُـكِ يُجْمَدُ
وَما لَكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمَةِ التي على النّاسِ منهـا سابغٌ يُتَغَمَّدُ
فَجُودي عَليـه بالدُّمُوعِ وأَعْوِلي لِفقدِ الذي لا مِثْلُـه الدَّهرَ يُوجَدُ
وَما فقَدَ الماضُونَ مِثْـلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلُه حتـى القِيامَةِ يُفْقَدُ
أعَفَّ وأَوْفى ذِمّةً بعـد ذِمّةٍ وأقرَبَ منـه نائِلاً لا يُنَكَّدُ
وَأَبْذَلَ منـه لِلطّرِيفِ وتالِدٍ إذا ضَنّ مِعْطاءٌ بمـا كان يُتْلَدُ[1]
وَأَكْرَمَ صِيتًا في البُيُوتِ إذا انْتَمَى وأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيـا يُسَوَّدُ
وَأَمنَعَ ذِرْواتٍ وأَثْبَتَ فـي العُلا دَعائِمَ عِزٍّ شاهِقاتٍ تُشَيَّـدُ
وَأَثْبَتَ فرْعًا فـي الفُرُوعِ ومَنْبَتًا وعُودًا غَذّاه المُزْنُ فالعُـودُ أغْيَدُ[2]
رَبّاه وليدًا فاستَتَمّ تَمـامُه علـى أكرَمِ الخَيْراتِ رَبٌّ مُمَجَّدٌ
[١١٨/ب] تَناهتْ وصاةُ المُسْلِمِينَ بِكَفِّه فلا العِلْمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَّأْيُ يُفنَدُ[3]
أَقُولُ ولا يُلْقَى لِمـا قُلت عـائِبٌ من النّاسِ إلاّ عازِبُ العَقلِ مُبْعَدُ[4]
وَليسَ هوايَ نازِعًا عن ثَنائِـه لَعَلّي بـه في جَنّةِ الخُلْدِ أخلُدُ
مع المُصْطَفى أرْجُو بِذاكَ جِـوارَه وفي نَيْلِ ذاكَ اليَوْمِ أسْعَى وأجْهَدُ

وَقال حَسّانُ بنُ ثابتٍ أيضًا ، يَبْكِي رَسُولَ الله ﷺ :

ما بـالُ عَيْنِكَ لا تَنامُ كأنّمـا كُحِلَتْ مَآقِيها بكُحْلِ الأَرْمَـدِ
جَزَعًا على المَهْدِيِّ أصْبَحَ ثـاوِيًا يا خَيْرَ مَنْ وطِئَ الحَصَى لا تَبْعَدْ
وَجْهِي يَقِيكَ التّرابَ لَهْفِي يا ليتَني غُيِّبْتُ قَبْلَكَ في بَقِيعِ الغَـرْقَـدِ
بأبِي وَأُمّي مَـنْ شَهِدْتُ وفـاتَه في يَـوْمِ الاثْنَيْنِ النّبِيّ المُهْتَـدي

(١) الطريف : المال المستحدث . التالد : المال القديم الموروث . يتلد : يكتسب قديمًا .
(٢) المزن : السحاب . أغيد : ناعم متثن .
(٣) يفند : يعاب .
(٤) عازب العقل : بعيد العقل .

فظَلِلْتُ بعد وفــاتِـــه مُتَبَلِّـدًا مُتَلَدِّدًا يا ليتَني لَــم أُولَـــدْ(١)
أأُقِيمُ بعــــدكَ بالمَــدينَـــة بينهم يا ليتَني صُبِّحت سَمَّ الأسْوَدِ
أوْحَلَّ أمرُ الله فِينا عاجِــــلاً في رَوْحَةٍ من يَوْمِنا أوْ من غَــدِ
فتَقُـــومُ ساعَتُنا فنَلْقَى طَيِّبًا مَحْضًا ضَــرائِبُه كَــريمَ المَحْتِـدِ
يا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَــارِكَ بِكْــرُهــا ولَدَتْه مُحْصَنَةٌ بِسَعْـــدِ الأسْعَـدِ
نُورًا أضاءَ على الـــبَرِيّـــةِ كُلِّهـا من يُهْد لِلنُّورِ المُبَـــارَكِ يَهْتَــدِي
يــا رَبِّ فاجْمَعْنا مَعًـــا ونَبِيّنــا في جَنّةٍ تَثْنِي عُيُــــونُ الحُسَّدِ
فــي جَنّةِ الفِرْدَوْسِ فاكْتُبْها لَنــا يا ذا الجَلالِ وذا العُلا والسُّـؤْدُدِ
واللهِ أسْمَعُ مـــا بَقِيتُ بِهــالِكٍ إلاّ بَكَيْتُ عــــلـــى النّبيّ مُحَمَّدِ
يا وَيْحَ أنْصــــارِ النّبيّ ورَهْطِـه بعد المُغَيَّبِ في سَـــواءِ المَلْحَـــدِ
ضاقَتْ بِالأنْصارِ البِلادُ فأصْبَحُوا سُودًا وُجُوهُهم كَلَـــوْنِ الإثْمِـــدِ
وَلَقَـــد وَلَدْناه وفِينا قَـــبْرُه وفُضُولَ نِعْمَتِه بِنا لَمْ نَجْحَـــــدِ
والله أكْـرَمَنا بِــه وهدَى بِــه أنْصارَه في كُلّ ساعَـــةِ مَشْهَـــدِ
صَلّى الإله ومَنْ يَحُفّ بِعَرْشِـه والطَّيِّبُونَ عـــلـــى المُبارَكِ أحْمَدَ

قال ابنُ إسْحاقَ : **وقال حَسّانُ بنُ ثابتٍ يَبْكِي رَسُولَ الله ﷺ :**

نَبِّ المَساكِينَ أنّ الخَيْرَ فارَقَهُـــــم مع النّبيّ تَوَلّى عنهم سَحَــــرا
مَنْ ذا الذي عنده رَحْلِي وراحِلَتِي ورِزْقُ أهلِي إذا لَمْ يُؤْنِسُوا المَطَـرا
أم مَنْ نُعاتِبُ لا نَخْشَى جَنادِعَه(٢) إذا اللّسانُ عَتا فِي القَوْلِ أوْ عَثَرا
كــان الضِياءَ وكــان النّورَ نَتْبَعُـه بعد الإله وكان السّمعَ والبَصَـرا
فليتَنا يَــــــوْمَ وارَوْه بِمُلْحَـــدِه وغَيَّبُوه وألْقَوْا فوْقَه المَـــــدَرا
لَمْ يَتْرُكِ الله مِنّا بعــــده أحَـــدًا ولَمْ يَعِشْ بعده أُنْثَى ولا ذَكَـــرًا
ذَلّتْ رِقـــــابُ بَنِي النّجّارِ كُلِّهِـم وكان أمرًا من امرِ الله قد قُدِرا
واقْتُسِمَ الفَيْءُ دُونَ النّاسِ كُلِّهِـم وبَدَّدُوه جِهارًا بينهم هــــــدَرًا [١١٩/أ]

(١) متلدد : متحير .
(٢) الجنادع : أوائل البشر .

وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ أيضًا :

آليتُ ما في جميعِ الناسِ مُجتهدًا ... مني أليةَ بـرٍّ غيرَ إفنادِ[1]

تالله ما حملت أُنثى ولا وضعت ... مِثلَ الرسولِ نبيِّ الأُمّةِ الهادي

ولا برا الله خلقًا من بريته ... أوفى بذمةِ جارٍ أو بميعادِ

من الذي كان فينا يُستضاءُ به ... مُباركَ الأمرِ ذا عدلٍ وإرشادِ

أمسى نساؤك عطّلن البيوتَ فما ... يَضربنَ فوقَ قفا سترٍ بأوتادِ

مِثلَ الرواهب يَلبَسنَ المَباذِلَ قد ... أيقنّ بالبؤسِ بعد النعمةِ البادي

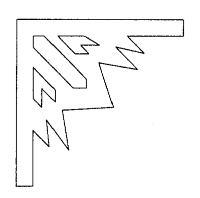
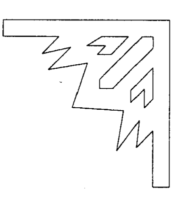
يا أفضلَ الناسِ إني كُنتُ في نهرٍ ... أصبحتُ منه كمثلِ المُفرَدِ الصادي[2]

قال ابنُ هشام : [عجز] البيتِ الأولِ عن غيرِ ابنِ إسحاق .

انتهى الجزء الرابع من سيرة سيدنا محمد رسول الله ﷺ

وبه تم الكتاب

(١) الآلية : اليمين والحلف . الإفناد : العيب .
(٢) الصادي : العاطش .

الفهرس

